

540.24

مكتبة

JKN

الجزء الأول

من

البذلينة والنهاية

﴿ في التاريخ ﴾

للامام الكبير والمؤرخ الشهير الحافظ عماد الدين أبي الفدا

اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المعروف

﴿ بابن كثير ﴾ المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٤٨ هـ ﴾

﴿ بمعرفة الفقير الى ربه ﴾



صاحب (مطبعة كردستان العلمية)

لنشر الكتب العالية الاسلامية

﴿ بمصر المحمية ﴾

﴿ حقوق الطبع محفوظة لناشره المذكور ﴾

قال في كشف الظنون ﴿ البداية والنهاية ﴾ في التاريخ للإمام الحافظ
 عماد الدين أبي الفدا اسماعيل بن عمر المعروف ﴿ بابن كثير الدمشقي ﴾
 المؤرخ المتوفى سنة ٧٧٤ وهو كتاب مبسوط في عشرة
 مجلدات . اعتمد في نقله على النص من الكتاب
 والسنة وقائع الألوف السالفة وميزين الصحيح
 والسقيم ، والخبر الاسرائيلي وغيره ،
 ورتب ما بعد الهجرة على السنوات
 الى آخر عصره (راجعه)



﴿ تذييه ﴾

قد طبعنا هذا الكتاب الجليل بعد المأبلة على عدة نسخ ، وأهمها النسخة العظيمة المحفوظة
 بدار الكتب المصرية العاصرة المأخوذة بالقطوغراف من مكتبة ولى الدين بالآستانة
 العلية ، ومعظمها بخط الفاضل الشيخ مصطفى احمد حجازى المقرئ (أحد أفاضل
 عصره) . وكتب فى آخر المجلد الأول منها ما نصه على يد الفقير الى
 الله تعالى مصطفى احمد حجازى المقرئ فقهه الله بالعلم ، ووقفه
 للعمل ، ولما دعا له بالمفطرة أمين ، وذلك فى يوم السبت
 المبارك خامس عشر شهر رجب من شهر سنة ١١٢٣ هـ
 وصلى الله على محمد وآله وكتب فى أول هذا
 المجلد بخطه أيضا ما صورته

﴿ البداية والنهاية ﴾

تأليف الشيخ الإمام العمدة الهام العالم العامل ، الولى الواصل ، الفقيه المتقن المحدث
 المفسر المفنن ، الحجة الثابت الحافظ المفيد البارع «عماد الدين أبو القدا اسماعيل» بن عمر بن
 كثير البصرى الأصل ، ثم الدمشقى تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأمكنه أعلى
 غرف جناته ، ووقفنا والمسلمين بركاته بمحمد وآله آمين والحمد لله رب العالمين.

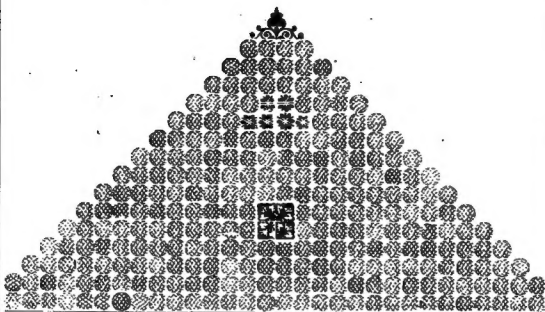
وفي آخر المجلد الأخير ما نصه

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك ليلة الاثنين المبارك نصف الليل سابع
 عشر رجب المبارك من شهر سنة ١١٢٣ هـ ليلية هجرية احسن الله عاقبتها . وذلك على يد
 العبد الفقير الى ربه القدير المذنب المقصر راجى عفوه ورحمته ﴿موسى المنشاوى﴾
 الازهرى الشافى عفى الله عنه وامن طالع فى هذه النسخة ودعا له بالمفطرة أمين

أفـ لرزق الكتبة أفـ له ما أضيعة

أفـ لرزق نازل من شق تلك العقبة

الحـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول الآخر ، الباطن الظاهر ، الذي هو بكل شيء علم ، الأول فليس قبله شيء ،
الآخر فليس بعده شيء ، الظاهر فليس فوقه شيء الباطن فليس دونه شيء ، الأزلي القديم الذي لم
يزل موجودا بصفات الكمال ، ولا يزال دائما مستمرا باقيا سرمديا بلا قضاء ولا انقضاء ولا زوال .
يسلم ديب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، وعدد الرمال . وهو العلي الكبير
المتعال ، العلي العظيم الذي خلق كل شيء بقدره تقديرا *

ورفع السموات بنير عهده ، وزينها بالكواكب الزاهرات ، وجعل فيها سراجا وقرآنا منيرا .
وسوى فوقهن سريرا ، شرجا ^(١) عاليا منيفا متصفا مقبيا مستديرا . وهو العرش العظيم . له قوائم
عظام . تحمله الملائكة الكرام ، وتحفه الكرويون عليهم الصلاة والسلام ، ولهم زجل بالتقديس
والتعظيم . وكذا أرجاء السموات مشحونة بالملائكة ، ويفد منهم في كل يوم سبعون ألفا إلى البيت
المعصور بالسحاب الرابعة لا يمدون إليه ، آخر ما عليهم ^(٢) في تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم *
ووضع الأرض للأنام على تيار الماء . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها .

(١) العرج هو المال المنيف كما يأتي شرحه عن المؤلف نفسه (٢) قوله آخر ما عليهم خير مبتدا محذوف
أي هذا آخر ما عليهم أي أن يدخلهم البيت وهم عودهم إليه يمدحهم منه آخر ما عليهم بالتسبيح (عود الامام)

في أربعة أيام قبل خلق السماء ، وأثبت فيها من كل زوجين اثنين ، دلائل للآباء من جميع ما يحتاج
العباد اليه في شتاتهم وصيغهم ، ولكل ما يحتاجون اليه ويملكونه من حيوان بهم *
وبدأ خلق الانسان من طين ، وجعل فيه من سائلة من ماء مهين ، في قرار مكين . فجعله سمياً
بصيراً ، بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً . وشرقه بالعلم والتعليم . خلق يده السكرعة آدم أبا البشر ،
وصور جنته ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وخلق منه زوجة حواء أم البشر فأنس بها
وحده ، وأسكنهما جنته ، واسبغ عليهما نعمته . ثم أهبطهما الى الأرض لما سبق في ذلك من حكمة
الحكيم . وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، وقسم بقدره العظيم ملوكاً ورجالاً ، وقراء وأغنياء ،
وأحراراً وعبيداً ، وحراراً وإماء . وأسكنهم أرجاء الأرض ، وطولها والعرض ، وجعلهم خلافاً فيها
يخلف البعض منهم البعض ، الى يوم الحساب والعرض على العظيم الحكيم . وسخر لهم الأنهار من سائر
الاقطار ، تنشق الأقاليم الى الأمصار ، ما بين صغار وكبار ، على مقدار الحاجات والأوطار ، وأنبع
لهم الميون والآبار . وأرسل عليهم السحاب بالامطار ، فأثبت لهم سائر صنوف الزرع والثمار . وأنعم
من كل ما سأله بلسان حالهم وقاظم : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظالم كفار » :
فسيحان الكريم العظيم العظيم * وكان من أعظم نعمة عليهم . واحسانه اليهم ، بد أن خلقهم ورزقهم
ويسر لهم السبل وأنقذهم ، أن أرسل رسله اليهم ، وأنزل كتبه عليهم : مينة حلاله وحرامه ، وأخبره
وأحكمه ، وتفصيل كل شيء في المبدأ والمعاد الى يوم القيامة *

فالمريد من قابل الاخبار بالتصديق والتسليم ، والاوامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم . فجاز بالنعم
القيم ، وزحزح عن مقام المكذبين في الجحيم ذات الزقوم والجحيم ، والعذاب الاليم *
أحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه يملأ أرجاء السموات والأرضين ، دائماً أبدياً ، ودهر
الداهرين ، الى يوم الدين ، في كل ساعة وآن ووقت وحين ، كما ينبغي لجلاله العظيم ، وسلطانه القديم
ووجهه الكريم * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ولا ولد له ولا والده ، ولا صاحبة
له ، ولا نظير ولا وزير له ولا مشير له ، ولا عديد ولا نديد ولا قسم *

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وحييه وخليته ، المصطفى من خلاصة العرب الغرابة من الصميم ،
خاتم الانبياء ، وصاحب الخوض الاكبر الرواء ، صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ، وحامل اللواء
التي يمشي الله المقام المحمود التي يرغب اليه فيه انطلق كلهم حتى الخليل ابراهيم صلى الله عليه
وعلى سائر اخوانه من التبيين والمرسلين ، وسلم وشرف وكرم أركى صلاة وتسليم ، وأعلى تشريف
وتكريم . ورضى الله عن جميع أصحابه الغر الكرام ، السادة النجباء الأعلام ، خلاصة العالم بعد
الانبياء . ما اخطأ الظالم بالضياء ، وأعلن الداعي بالهداء وما نسخ التهار غلام الليل البهيم *

﴿أما بعد﴾ فهذا كتاب أذكر فيه بمون الله وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر مبدأ الخلق : من خلق العرش والكرسى والسماوات ، والأرضين وما فيهن وما بينهما من الملائكة والجن والشياطين ، وكيف خلق آدم عليه السلام ، وقصص التبيين ، وما جرى مجرى ذلك الى أيام بنى اسرائيل وأيام الجاهلية حتى تنتهى النبوة الى أيام نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه . فذكر سيرته كما ينبغي فقتنى الصدور والغليل ، وترجع الداء عن السيل *

ثم نذكر ما بعد ذلك الى زماننا ، ونذكر الفتن والملاحم واشراط الساعة . ثم البعث والنشور وأحوال القيامة ، ثم صفة ذلك وما فى ذلك اليوم ، وما يقع فيه من الأمور الماثلة . ثم صفة النار ، ثم صفة الجنان وما فيها من الخيرات الحسان ، وغير ذلك وما يتعلق به ، وما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة والآثار والأخبار المتواترة المقبولة عند العلماء وورثة الانبياء ، الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام .

ولسنا نذكر من الاسرائيليات الا ما أذن الشارع فى قوله مما لا يخالف كتاب الله ، وستة رسوله ﷺ . وهو القسم الذى لا يسبق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمهم ورد به شرعا مما لا قائدة فى تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلى به لا على سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه . وانما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وستة رسول الله ﷺ ، ما صح قوله أو حسن وما كان فيه ضعف نيته . والله المستعان وعليه التكلان . ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم العلى العظيم * فقد قال الله تعالى فى كتابه (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وقد قص الله على نبيه ﷺ خبر ما مضى من خلق المخلوقات ، وذكر الامم الماضين ، وكيف فعل بأوليائهم ، وماذا أحل باعدائهم . وبين ذلك رسول الله ﷺ لآفته يابا شافيا ، سنورد عند كل فصل ما وصل الينا عنه ، صلوات الله وسلامه عليه . من ذلك نحو الآيات الواردة (١) فى ذلك فأخبرنا بما نحتاج اليه من ذلك ، وترك ما لا قائدة فيه مما قد يتراحم على علمه ويتراحم فى فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب مما لا قائدة فيه لكثير من الناس اليه (٢) وقد يستوعب قوله طائفة من علمائنا ولسنا نخدو خدم ولا تنصو نحموم ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار . ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا ، وما خالفه فوقه فيه الانكار *

فلما الحديث الذى رواه البخارى رحمه الله فى صحيحه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بلنوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، وحدثوا عنى ولا تكذبوا على » ومن كتب على متصدا فليتبوأ مقعده من النار » فهو محمول على الاسرائيليات المسكوت عنها (١) أى بذكر الحديث عقب الآيات (٢) قوله مما لا قائدة فيه لكثير من الناس اليه . كلما بالامول وهو تكبر

عندنا. فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها ، فيجوز روايتها للاعتبار . وهذا هو الذى تضمنه فى كتابنا هذا * فلما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا اليه استفتاء بما عندنا . وما شهد له شرعنا منها بل بطلان ذلك محدود لا يجوز حكايته ، الا على سبيل الانكار والابطال *

فاذا كان الله ، سبحانه وله الحمد ، قد أغنانا برسولنا محمد ، ﷺ عن سائر الشرائع ، وبكتابه عن سائر الكتب ، فلست نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخط ، وكذب ووض ، وتحريف وتبديل ، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير *

فالحاجة اليه قد بينه لنا رسولنا ، وشرحه وأوضحه . عرفه من عرقه ، وجهه من جهه . كما قال على بن أبى طالب « كتاب الله فيه خير ما قبلكم وبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصصه الله ، ومن أبغى الهدى فى غيره أضله الله » وقال أبو ذر ، رضى الله عنه : « لقد توفى رسول الله ﷺ وما طأر يطير بمناحيه الا أذكر كرامته علما » وقال البخارى فى كتاب بدء الخلق ، وروى عن عيسى بن موسى غنبار عن رقية عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال « سمعت عمر بن الخطاب يقول قام فىنا رسول الله ﷺ مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم . وأهل النار منازلهم » حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه « قال أبو مسعود الدمشقى فى اطرافه هكذا قال البخارى ، وإنما رواه عيسى غنبار عن أبى حمزة عن رقية ، وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله فى مسنده : حدثنا أبو عاصم ^(١) حدثنا عزة بن ثابت ، حدثنا علياه بن أحر الشكرى : حدثنا أبو زيد الانصارى ، قال قال : صلى بنا رسول الله ﷺ « صلاة الصبح » ثم صد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان ، وما هو كان فاعلمنا أحفظنا »

أخرد بطراجه مسلم فرواه فى كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن ابراهيم

الهمداني وحجاج بن الشاعر ، جميعا عن أبى عاصم الضحاك بن محمد

الثيل عن عزة عن علياه عن أبى زيد عمرو بن أخطب بن

رفاعة الانصارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ بنحوه

(١) قوله أبو عاصم كما فى نسخة ولى أخرى أبو مسر . وكلاهما راويان له ذلك لم نرجع احدهما على الاخرى

(مسعود الامام)

﴿فصل﴾

قال الله تعالى في كتابه العزيز : الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . فكل ما سواه تعالى فهو مخلوق له ، مروب مدبر ، مكنون بعد أن لم يكن محدث بد عهده . فعرش الذي هو سقف المخلوقات الى ما تحت الثرى ، وما بين ذلك من جامد وطلق الجميع خلقه ، وملكه وعييده وتحت قهره وقدرته ، وتحت تصرفه ومشيئته « خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام . ثم استوى على العرش . يعلم ما يليق في الارض ، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يخرج فيها ، وهو متكلم اينا كنتم ، والله بما تعملون بصير »

وقد أجمع العلماء قاطبة لايشك في ذلك مسلم أن الله خلق السموات والارض ، وما بينهما في ستة أيام كما دل عليه القرآن الكريم . فاختلّفوا في هذه الأيام أي كأيامنا هذه أو كل يوم كأنه ستة مما قد دون ؟ على قولين كما بينا ذلك في التفسير ، وسنخرص لا يراده في موضعه . واختلفوا هل كان قبل خلق السموات والارض شيء مخلوق قبلها . فذهب طوائف من المتكلمين الى انه لم يكن قبلها شيء وأنها خلقتا من العدم المحض . وقال آخرون بل كان قبل السموات والارض مخلوقات أخر لقوله « وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء » الآية . وفي حديث عمران ابن حصين كاسياني « كان الله ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض » وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو يعلى ابن عطاء عن وكيع بن جندب عن عمار بن رزيق عن قتيبة بن عامر الغيلي أنه قال « يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال كان في عاء مافوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء » ورواه عن يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة . ولفظه أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ وباقية سواء وأخرجه الترمذي عن أحمد بن منيع وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن الصباح ملاحظتهم عن يزيد بن هرون ، وقال الترمذي حسن . واختلف هؤلاء في أيها خلق أولا ؟ فقال قائلون خلق التيم قبل هذه الاشياء كلها ، وهذا هو اختيار ابن جرير ، وابن الجوزي ، وغيرهما قبل ابن جرير ، وبسند التيم السحاب الرقيق . واحجوا بالحديث الذي رواه الامام أحمد ، وأبو داود والترمذي عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه : قال قال رسول الله ﷺ « إن أول ما خلق الله القلم . ثم قال له اكتب ، فخرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » لفظ أحمد . وقال الترمذي حسن صحيح غريب . والذى عليه الجمهور فيها قوله المافظ أبو البلاء المحدث وغيره (أن العرش مخلوق قبل ذلك) وهذا هو الذي رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس كادل على ذلك الحديث الذي رواه

مسلم في صحيحه . حيث قال : حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب أخبرني
أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله
ﷺ يقول « كتب الله مقادير الملائق قبل أن يخلق السموات والأرض بمئتين ألف سنة ، قال
وعرشه على الماء » قالوا فهذا التصدير هو كتابه بالقلم المقادير . وقد دل هذا الحديث أن ذلك بد خلق
العرش ثبت قديم العرش على القلم الذي كتب به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجماهير . ويحمل حديث
القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن عمران بن حصين : قال
قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ « جئناك لتتبع في الدين وتنتالك عن أول هذا الأمر فقال كان الله
ولم يكن شيء قبله » وفي رواية معه ، وفي رواية غيره « وكان عرشه على الماء » . وكتب في القلم كل شيء
وخلق السموات والأرض » وفي لفظ : ثم خلق السموات والأرض . فسأله عن ابتداء خلق السموات
والأرض . ولهذا قالوا جئناك نألك عن أول هذا الأمر فأجابهم عما سألوا فقط . ولهذا لم يخبرهم
بخلق العرش كما أخبر به في حديث أبي رزيق المتقدم . قال ابن جرير وقال آخرون « بل خلق الله
عز وجل الماء قبل العرش » رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن
مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : قالوا « أن الله كان
عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء » وحكى ابن جرير عن
محمد بن إسحاق أنه قال « أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة
ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهراً مضيئاً
مبصراً » قال ابن جرير وقد قيل « أن الذي خلق ربنا بد القلم
الكروسي . ثم خلق بد الكروسي العرش . ثم خلق بد
ذلك الهواء والظلمة . ثم خلق الماء فوضع عرشه
على الماء » والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فصل ﴾

فما ورد في صفة خلق العرش والكروسي . قال الله تعالى « ربيع الدرجات ذو العرش » وقال تعالى
« فضلى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » وقال الله « لا إله إلا هو رب العرش
العزيز » وقال « وهو النور الودود ذو العرش المجيد » وقال تعالى « الرحمن على العرش استوى »
وقال « ثم استوى على العرش » في غير ما آية من القرآن ، وقال تعالى « الذين يحملون العرش ومن
حوله يستبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً »



وقال تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وقال تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وفي السماء المروى في الصحيح في دعاء الكروب « لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش الكريم . لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم » . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا يحيى بن الملاء عن عه شعيب بن خالد حدثني سفيان بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس عن عباس بن عبد المطلب قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله ﷺ « أتدرون ما هذا قال قلنا السحاب قال والمزن قال قلنا والمزن قال والعنان قال فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض قال قلنا الله ورسوله أعلم . قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل ساء الى ساء مسيرة خمسمائة سنة ، وكشف كل ساء ^(١) مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلىه كما بين السماء والأرض . ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأغلاهن كما بين السماء والأرض ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأغلاه كما بين السماء والأرض والله فوق ذلك وليس ينحني عليه من أعمال بني آدم شيء » . هذا لفظ الامام أحمد . ورواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن أبيه عن جده قل آتى رسول الله ﷺ عن اعرابي قال يا رسول الله جهلت الأضى وجاعت العيال ^(٢) ونهكت الأموال وهلك الأنعام . فاستسقى الله لنا فانا نستشف بك على الله ونستشف بالله عليك » قال رسول الله ﷺ « ويحك أتدري ما تقول » وسبح رسول الله ﷺ فا زال يسبح حتى عرف ذلك في وجه أصحابه . ثم قال « ويحك إنه لا يستشف بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدري ما الله إن عرشه على سمواته لمكنا » وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليعطيه أطيال الرجل بلراكب . قال ابن بشار في

(١) قوله (وكشف كل ساء) بالثين المعجمة . والقى فيسند الامام أحمد المطبوع بمصر كيف بآية التبعة . وفي البيهقي حلى البخاري منسوبا الى كتاب العرش لابن أبي شيبة . وكشف كل ساء بالثاء المثناة . وهذا هو الصواب (٢) قوله وجاعت العيال هكذا في النسخ التي بأيدينا وفي نسخة أبي داود التي بأيدينا وضاعت العيال (محمودة الامام)

حديثه « أن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته » وساق الحديث . وقيل عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبة وجير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده ، قال أبو داود والحديث بسند أحد بن سعيد وهو الصحيح . واتفقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلي بن المديني ورواه جماعة منهم عن ابن اسحاق قال أحمد أيضاً ، وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار في نسخة واحدة فيما بلغني . تخرّد بلخراجها أبو داود ، وقد صنف الحافظ أبو القاسم بن عساكر الممشقي جزءاً في الرد على هذا الحديث . سماه (بيان الوهم والتخطيط الواقع في حديث الأليط) واستغفر وسه في الطعن على محمد بن اسحاق بن بشار رواه . وذكر كلام الناس فيه ، ولكن قد روى هذا القبط من طريق أخرى عن غير محمد بن اسحاق ، فرواه عبد بن حميد وابن جرير في تخييريهما ، وابن أبي عاصم والطبراني في كتابي السنة لها ، والبزار في مسنده والحافظ الضياء المقدسي في مختارته من طريق أبي اسحاق السبسي عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة قال فسلم الرب تبارك وتعالى وقال « أن كرسيه وسع السموات والأرض وإن له أليطاً كأليط الرجل الجديد من قهه . عبد الله بن خليفة هذا ليس بذلك المشهور . وفي سماعه من عمر نظر . ثم منهم من يرويه موقوفا ومرسلاً ، ومنهم من يزيد فيه زيادة غريبة والله أعلم »

ونبت في صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا سألت الله الجنة فسلوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن » . يروى وفوقه بالفتح على الظرفية ، وبالضم . قال شيخنا الحافظ المزى وهو أحسن ، أى وأعلاها عرش الرحمن . وقد جاء في بعض الآثار (أن أهل الفردوس يسمون أليط العرش وهو تدرجته وتطهيره) وما ذاك إلا لقبهم منه . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ . وذكر الحافظ بن الحافظ محمد ابن عثمان بن أبى شيبة في كتاب صفة العرش عن بعض السلف « أن العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة » وذكرنا عند قوله تعالى « ترجع الملائكة وأرواح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » أنه بد ما بين العرش إلى الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وأنساعه خمسون ألف سنة . وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ولذا سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير . وهذا ليس بمجيد لانه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ، والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل ، وأيضا فإنه فوق الجنة والجنة فوق السموات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قاله القسطنطين وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك إلى فلك . وأيضا فإن العرش في اللغة عبارة عن السرير

الذي لل ملك كما قال تعالى (ولما عرش عظيم) . وليس هو ظلكا ولا نعيم منه العرب ذلك . والقرآن
أما نزل بلغة العرب فهو سرير ذو قوائم يحمله الملائكة ، وهو كقبة على العالم وهو سقف الخلوقة .
قال الله تعالى (الذين يحلون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين
آمنوا) وقد تقدم في حديث الأوعال أنهم ثمانية ، وفوق ظهورهن العرش ، وقال تعالى (ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وقال شهر بن حوشب « حلة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حملك بعد علك » وأربعة يقولون « سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على عفوك بعد قدرتك » فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عبد الله بن محمد هو أبو بكر
ابن أبي شيبة ، حدثنا عبد بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن
عباس أن رسول الله ﷺ صدق أمية يعني ابن أبي الصلت في بيتين من شعره قال

رجل وفور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

قال رسول الله ﷺ صدق . قال

والشمس تطلع كل آخر ليلة حراء مطلق لونها متورد

تأني فلا تبدلونا في رسلا . الا مفضلة والا تجلد

قال رسول الله ﷺ « صدق » فانه حديث صحيح الاسناد رجاله ثقات . وهو يقتضى أن
حلة العرش اليوم أربعة ، فيمارضه حديث الأوعال . اللهم الا أن يقال إن اثبات هؤلاء الأربعة على
هذه الصفات لا ينفى ما عداهم . والله أعلم . ومن شعر أمية بن أبي الصلت في العرش قوله

بجدوا الله فهو للجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبنا العالي الذي بهر النا من وسوى فوق السماء سريرا

شرجا لا يناله بصر البصر ن ترى حوله الملائكة صورا

صود جمع أصود وهو المائل النقي نظره الى العلو^(١) والشرج هو العالي المنيف . والسرير هو العرش في
الجنة . ومن شعر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الذي عرض به عن القراءة لاسرائه حين اتهمته بجاريته

شهدت بان وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام ملائكة الله مسومينا

ذكره ابن عبد البر وغير واحد من الأئمة . وقال أبو داود حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله
حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عتبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله

(١) قوله نظره الى العلو كذا بالاصول . والقي في كتب اللغة لتقل حله (محمود الامام)

أن النبي ﷺ قال «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» ورواه ابن أبي عاصم^(١) ولفظه «حق الطير» مسيرة سبعمائة عام

وأما الكرسي

فروى ابن جرير من طريق جويبر وهو ضعيف عن الحسن البصري أنه كان يقول الكرسي هو العرش وهذا لا يصح عن الحسن بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره وعن ابن عباس وسعيد بن جبيرة أنهما قالا في قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) أي علمه والمحموظ عن ابن عباس كما رواه الحاكم في مستدركه . وقال إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه من طريق سفيان الثوري عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل . وقد رواه شجاع بن مخلد الفلاس في تفسيره عن أبي عاصم النبيل عن الثوري فجعله مرفوعا والصواب أنه موقوف على ابن عباس وحكاية ابن جرير عن أبي موسى الأشعري والضحاك بن مزاحم وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ومسلم البطين وقال السدي عن أبي مالك «الكرسي تحت العرش» . وقال السدي السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش » وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال «لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة » وقال ابن جرير حدثني يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني أبي قال قال رسول الله ﷺ «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أقيت في ترس » قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما الكرسي في العرش إلا كحقة من حديد أقيت بين ظهري قلاة من الأرض » أول الحديث مرسل . وعن أبي ذر مقطع . وقد روى عنه من طريق أخرى موصولا قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني أن أبا عبد الله ابن وهيب المغربي أنبأنا محمد بن أبي سري السستلي أنبأنا محمد بن عبد الله القمي عن القاسم بن محمد الثقفي عن أبي اندريس الخولاني عن أبي ذر الثغفاني أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسي فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحقة مقاة بأرض قلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل القلاة على تلك الحلقة » وقال ابن جرير في تذييله حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي عن سفيان عن الأعش عن المهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة قال

(١) وفي نسخة ابن أبي حاتم (٢) قوله «حق الطير» كذا بالأصول ولا يندري له معنى . ولعل الرواية «حق الطير أو علم الطير» (محمود الأمل)

سئل ابن عباس عن قوله عز وجل وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الریح قال
والسوات والارضون وكل ما فيهن من شيء تحيط بها البحار ويحيط بذلك كله الميكل ويحيط بالميكل
فيما قيل الكرسي. وروى^(١) عن وهب ابن منبه نحوه. وفسر وهب الميكل قال شيء من أطراف
السوات يحيط بالأرضين والبحار كأطراف النضاط * وقد زعم بعض من ينسب الى علم الهيئة أن
الكرسي عبارة عن الفلك الثامن الذي يسونه فلك الكواكب الثوابت. وفيما زعموه فطر لأنه قد
ثبت أنه أعظم من السوات السبع بشيء كثير ورد الحديث المتقدم^(٢) بأن
نسبتها اليه كنسبة حلقة مقلاة بروض قلا وهذا ليس نسبة فلك الى فلك. فإن
قال قائلهم فتحن فمترف بذلك ونسبه مع ذلك فكافقول الكرسي
ليس في اللغة عبارة عن الفلك وإنما هو كما قال غير واحد من السلف
بين يدى العرش كل لركة اليه. ومثل هذا لا يكون فلسكا. وروى
أن الكواكب الثوابت مرساة فيه لا دليل لهم عليه.
هذا مع اختلافهم في ذلك أيضا كما هو
مقرر في كتبهم والله أعلم

ذكر اللوح المحفوظ

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا متجاب بن الحارث حدثنا
ابراهيم بن يوسف حدثنا زيد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن
عباس أن نبي الله ﷺ قال « أن الله خلق لوحا محفوظا من درة يضاء صفحتها من ياقوتة حمراء ،
قلعه نور وكتابه نور لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويمز ويذل
ويضل ما يشاء » وقال اسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال « إن
في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله . فمن آمن بالله وصدق بوعد^(٣)
واتبع رسله أدخله الجنة » قال « واللوح المحفوظ لوح من درة يضاء . طوله ما بين السماء والأرض ،
وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافاه الدر والياقوت ، ودخاه ياقوتة حمراء ، وقلعه نور ، وكلامه
مقتود بالعرش ، وأصله في حجر ملك » وقال أنس بن مالك ، وغيره من السلف « اللوح المحفوظ في
جبهة اسرافيل » وقل مقاتل هو عن يمين العرش •

(١) قوله وروى اي ابن جرير (٢) قوله ورد الحديث المتقدم) هكذا بالاصول وهو تليل لما

قوله قالصواب قد ورد الخ (محمود الامام) (٣) قوله بوعد في نسخة موعده

باب ما ورد في خلق السموات والارض وما بينهما

قال الله تعالى (الحمد لله الذى خلق السموات والارض ، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون) وقال تعالى (خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام) في غير ما آية من القرآن
وقد اختلف المفسرون في مقدار هذه الستة الايام على قولين . فليجهر على أنها كايامنا هذه . وعن ابن
عباس ، ومجاهد والضحاك ، وكعب الاحبار : ان كل يوم منها كالف سنة مما تعدون . ورواه ابن
جرير ، وابن أبي حاتم . واختار هذا القول الامام أحمد ابن حنبل في كتابه الذى رد فيه على الجهمية
وابن جرير وطائفة من المتأخرين والله أعلم . وسياق ما يدل على هذا القول . وروى ابن جرير عن
الضحاك بن مزاحم ، وغيره أن أسماء الايام الستة « أبجد هوز حلى كمن سفن قرشت » وحكى
ابن جرير في أول الايام ثلاثة أقوال ، فروى عن محمد بن اسحاق أنه قال « يقول أهل التوراة ابتدأ
الله الخلق يوم الأحد ، ويقول أهل الانجيل : ابتدأ الله الخلق يوم الاثنين ، ويقول نحن المسلمون
فينا انتهى البناء عن رسول الله ﷺ ابتدأ الله الخلق يوم السبت » وهذا القول الذى حكاه ابن
اسحاق عن المسلمين مالى اليه طائفة من الفقهاء من الشافعية ، وغيرهم . وسياق فيه حديث أبي هريرة
(خلق الله التربة يوم السبت) والقول بأنه الأحد رواه ابن جرير عن السدى عن أبي مالك ، وأبي
صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن جماعة من الصحابة ورواه أيضا عن عبد الله
ابن سلام ، واختاره ابن جرير . وهو نص التوراة ، ومالى اليه طائفة آخرون من الفقهاء . وهو أشبه بلفظ
الأحد ولهذا كل الخلق في ستة أيام فكان آخرهم الجمعة فاتممه المسلمون عديم في الأسبوع وهو
اليوم الذى أضل الله عنه أهل الكتاب قبلنا كما سياتى ياته ان شاء الله . وقال تعالى (هو الذى خلق
لكم ماقى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم) وقال تعالى
(قل أنشكم لتكفرون باللهى خلق الأرض في يومين وتجيئون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها
رواسى من فوقها وبورك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء
دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قلنا أيتنا طائفتين . قصصهن سبع سموات في يومين ،
وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح ، وحفظا ذلك تحدير العزيز العظيم) فهذا يدل على
أن الأرض خلقت قبل السماء لأنها كالأساس للبناء كما قال تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض
قرارا والسماء بناء وصودكم فأحسن صودكم ووزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فبارك الله رب
العالمين) قال تعالى (لم نجعل الأرض مهادا للجبال أولئذا الى ان قال وبقينا فوقكم سيما شدادا
وجعلنا سراجا ومهارجا) وقال (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما وجعلنا

من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) أي فصلنا ما بين السماء والأرض حتى هبت الرياح وزلت
الأمطار وجرت العيون ، والأنهار وابتعث الحيوان . ثم قال (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن
آياتها معرضون) أي عما خلق فيها من الكواكب النواب ، والسيارات والنجوم الزاهرات والأجرام
النيرات ، وما في ذلك من اللذالات على حكمة خالق الأرض والسماوات كما قال تعالى « وكان من
آية في السماوات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »
فأما قوله تعالى (أنتم أشد خلقا أم الساء بناها رضع سمكها فساها وأغطش ليلا وأخرج ضحاها والأرض
بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم) قد تمسك بعض
الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض . فخالقوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا
هذه الآية الكريمة فإن مقتضى هذه الآية أن دحى الأرض وإخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد
خلق السماء . وقد كان ذلك مقدرا فيها بالقوة كما قل تعالى (ولربك فيها وقدر فيها أقواتها) أي هيا
أما كن الزرع ومواضع العيون والأنهار ثم لما اكمل خلق صورة العالم السفلى والعلوى دحى الأرض
فأخرج منها ما كان مودعا فيها فخرجت العيون وجرت الأنهار ، ونبت الزرع والثمار ولهذا فسر
السعي بإخراج الماء والمرعى منها وإرساء الجبال فقال (والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها
ومرعاها) وقوله (والجبال أرساها) أي قررها في أماكنها التي وضعا فيها ونبتها وأكدها وأطدها
وقوله (والساء بينها) بيد وأنا لموسمون ، والأرض فرشناها فنعهم الماهدون ، ومن كل شيء خلقنا
زوجين لعلكم تذكرون) بيد أي بقوة . وأنا لموسمون ، وذلك أن كل ما علا اتسع فكل ساء أعلى
من التي تحته فهي أوسع منها . ولهذا كان الكرسي أعلى من السماوات . وهو أوسع منهن كلهن ،
والعرش أعظم من ذلك كله بكثير . وقوله بعد هذا (والأرض فرشناها) أي بسطناها وجعلناها مهدا
أي قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائتة بكم . ولهذا قال (فنعهم الماهدون) والواو لا تقتضى الترتيب
في الوقوع . وإنما يقتضى الاخبار المطلق في اللغة والله أعلم *

وقال البخارى حدثنا عمر بن جعفر بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد
عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال « دخلت على النبي ﷺ وعقت ناقى يالاب
فأله نلس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم » قالوا قد بشرتنا فاعطنا مرتين ثم دخل عليه نلس
من اليمن فقال « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم » قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا
جنتك نألك عن هذا الأمر . قال « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكذب في
الله كركل شيء وخلق السماوات والأرض » فتأدى متاد ذهبت تلتك يا ابن الحصين فاضلقت فاذا هي
تقطع دونها السراب فوالله لو دعت انى كنت تركتها » هكذا رواه هاهنا وقد رواه في كتاب المنازى

وكتاب التوحيد وفي بعض النسخ « ثم خلق السموات والأرض » وهو لفظ النسائي أيضا .
وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا حجاج حدثني ابن جريج أخبرني اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد
عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال « أخذ رسول الله ﷺ يدي فقال خلق الله
التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء
وخلق النور يوم الأربعاء وبث الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر خلق خلق
في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » وهكذا رواه مسلم عن سريج بن يونس
وهرون بن عبد الله والنسائي عن هرون ويوسف بن سعيد ثلاثهم عن حجاج بن محمد المصيصي الأعور
عن ابن جريج به مثله سواء . وقد رواه النسائي في التفسير عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن محمد
ابن الصباح عن أبي عبيدة الخداد عن الأخضر بن عجلان عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن أبي
هريرة « أن رسول الله ﷺ أخذ يدي فقال يا أبا هريرة « أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما
في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع ، وخلق التربة يوم السبت » وذكر تمامه بنحوه قد اختلف
فيه على ابن جريج وقد تكلم في هذا الحديث على ابن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم من الحفاظ
قال البخاري في التاريخ ، وقال بعضهم عن كعب وهو أصح يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة
وتلقاه من كعب الأبحار فلهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث ، فهذا يحدثه عن محمده ، وهذا
يحدثه بما يصدقه عن النبي ﷺ ، فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن محمده ، فوم
بعض الرواة فجعله مرفوعا إلى النبي ﷺ ، وأكد رحمه بقوله « أخذ رسول الله ﷺ يدي »
ثم في منته غرابة شديدة . فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات ، وفيه ذكر خلق الأرض وما
فيها في سبعة أيام . وهذا خلاف القرآن لأن الأرض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السموات في يومين
من دخان . وهو بخار الماء التي ارتفع حين اضطرب الماء العظيم التي خلق من ربة الأرض بالقعدة
الغظيمة البالغة كما قال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي
صالح عن ابن عباس وعن مرة المديني عن ابن مسعود ، وعن ثاس من أصحاب رسول الله ﷺ
« هو التي خلق لكم الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » قال إن الله
كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق للخلق أخرج من الماء دخانا
فارتفع فوق الماء فصار عليه سماه سياه * ثم أيس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فجعل سبع أرضين
في يومين (الأحد والاثنين) وخلق الأرض على حوت وهو النون التي قال الله تعالى « نون والقلم
وما يسطرون » والحوت في الماء والماء على صفات والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة
في الریح . وهي الصخرة التي ذكرها فهنا ليست في السماء ولا في الأرض فتتحرك الحوت فاضطرب

فترزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فمرت . وخلق الله يوم الثلاثاء الجبال وما فيه من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والسران والخراب وفق السماء وكانت رها فجعلها سبع سموات في يومين الخميس والجمعة . وأما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض وأوحى في كل مياه أسرها . ثم قال خلق في كل مياه خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لا يملئه غيره . ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظا يحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش . هذا الاستناد يذكر به السلي أشياء كثيرة فيها غرابة وكان كثير منها متلقى من الاسرائيليات . فلن كعب الأجبار لما أسلم في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأشياء من علوم أهل الكتاب فيستمع له عمر تأليفاً له ، وتعباً عما عنده مما يوافق كثير منه الحق التي ورد به الشرع المطهر فاستجاز كثير من الناس قتل ما يورده كعب الأجبار لهذا ، ولما جاء من الآذن في التحديث عن بني اسرائيل لكن كثيراً ما يقع ما يرويه غلط كبير وخطأ كثير * وقد روى البخاري في صحيحه (١) عن معاوية أنه كان يقول في كعب الأجبار (وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) أي فيما يتقوله لأنه لا يعتمد ذلك والله أعلم *

وممن نورد ما نورده من الذي يسوقه كثير من كبار الأئمة المتقدمين عنهم . ثم تبين ذلك من الأحاديث بما يشهد له بالصحة أو يكذبه وييقى الباقي مما لا يصدق ولا يكذب وبه المستانز عليه انكلاان قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي زناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رضى غلبت غضبي » وكذا رواه مسلم والنسائي عن قتيبة به . ثم قال البخاري

باب ما جاء في سبع أرضين

وقوله تعالى (والله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن متفزل الأمر ينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير ، وان الله قد أحاط بكل شيء علما) ثم قال حدثنا علي بن عبد الله أخبرنا ابن عليه عن علي بن المبارك حدثنا يحيى بن أبي كثير عن محمد بن ابراهيم بن الحارث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وكانت بينه وبين نلس خصومة في أرض فدخل على عائشة فذكر لها ذلك . فقالت يا أبا سلمة

(١) من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن انه سمع معاوية يحدث رجلاً من قریش بالمدينة . وذكر كعب الأجبار فقال ان كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يمدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب انتهى (محمود الامام)

اجتنب الارض فلن رسول الله ﷺ قال « من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين » ورواه أيضا في كتاب المغالام ومسلم من طرق عن يحيى بن كثير به * ورواه احمد من حديث محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة به ، ورواه أيضا عن يونس عن ابن عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة بثلثه . ثم قال البخارى حدثنا بشر بن محمد قال أخبرنا عبد الله عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه قال قال النبي ﷺ « من أخذ شيئا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين » ورواه في المغالام أيضا عن مسلم بن ابراهيم عن عبد الله هو ابن المبارك عن موسى بن عقبة به وهو من افراده ، وذكر البخارى ها هنا حديث محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ، قال قال رسول الله ﷺ « الزمان قد استدار كدائه يوم خلق الله السموات والارض السنة اثني عشر شهرا » الحديث ومراده والله أعلم تقرير قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) أى فى العدد كما أن عدة الشهور الآن اثني عشر مطابقة لعدة الشهور عند الله فى كتابه الأول فهذه مطابقة فى الزمان كما أن تلك مطابقة فى المكان . ثم قال البخارى حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نضيل أنه خاصته أروى (١) فى حق دعته أنه انقصه لها الى مروان قال سعيد رضى الله عنه انا انقص من حقها شيئا ؟ أشهد سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أخذ شبرا من الأرض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين » ورواه (٢)

وقال الامام أحمد حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله ابن لهيعة حدثنا عبد الله ابن أبي جعفر عن أبي عبد الرحمن عن ابن مسعود قال « قلت لرسول الله أى الظلم أعظم قل ذراع من الارض ينقصه المرء المسلم من حق أخيه نيلس حصاة من الارض يأخذها أحد الا طوقها يوم القيامة الى قرى الارض ، ولا يسلم قرها الا التى خلقها » فرد به أحمد ، وهذا اسناد لا بأس به . وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من أخذ شبرا من الارض بغير حقه طوقه من سبع أرضين » فرد به من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال أحمد حدثنا يحيى عن ابن مجلان حدثني أبي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

(١) أروى بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الواو مقصورا وهى بنت أبي أوس

(٢) قوله ورواه (ياض بالاصول . وفى البخارى عقب ما تقدم . قال ابن أبي الزناد عن هشام عن أبيه قال قال لى سعيد بن زيد (دخلت على النبي ﷺ انتهى) وهذا تطبيق من البخارى بين لقاء عروة لسعيد والتصريح بسماعه منه الحديث المذكور قلل المصنف يريد . ورواه البخارى ايضا مسلما أو نحوه (عمود لامام)



قال « من أقطع شبرا من الأرض بشير حقه طوفا الى سبع أرضين » تفرد به أيضا وهو على شرط مسلم . وقال أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « من أخذ من الأرض شبرا بشير حقه طوفا من سبع أرضين » تفرد به أيضا وقد رواه الطبراني من حديث معاوية بن قرة عن ابن عباس مرفوعا مثله « فهذه الأحاديث كالتواترة في اثبات سبع أرضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهي الأمر الى السابعة وهي مياه لا جوف لها ، وفي وسطها المركز وهي قطة مقدرة متوهمة . وهو حط الأقال ، اليه ينتهي ما يبيط من كل جانب اذا لم يوافقه مانع . واختلفوا هل هن متراكبات بلا فاصل أو بين كل واحدة والتي تليها خلاء على قولين وهذا الخلاف جار في الافلاك أيضا . والظاهر أن بين كل واحدة وبين الأخرى مسافة لظاهر قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأسرى) الآية وقال الامام أحمد حدثنا شرح حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قال « بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذ مررت سحابة قال « أتدرون ما هذه قلنا الله ورسوله أعلم قال العنان وزوايا الأرض تسوقه الى من لا يشكركونه من عباده ولا يدعوهم أتدرون ما هذه فوقكم : قلنا الله ورسوله أعلم قال الرقيق موج مكفوف وسقف محفوظ أتدرون كم ينسكم وبينها قلنا الله ورسوله أعلم . قال مسيرة خمسمائة سنة . ثم قال أتدرون ما التي فوقها قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سموات * ثم قال أتدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله أعلم قال العرش أتدرون كم بينه وبين السماء السابعة قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام . ثم قال أتدرون ما هنه تحتكم قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أتدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أخرى أتدرون كم بينها قلنا الله ورسوله أعلم . قال مسيرة سبعمائة عام حتى حد سبع أرضين ثم قال وأيم الله لو دليت أحدكم الى الأرض السفلى السابعة لم يبط . ثم قرأ هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ورواه الترمذي عن عبد بن حميد ، وغير واحد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة ، قال حدث الحسن عن أبي هريرة وذكره الا انه ذكر أن بعد ما بين كل أرضين خمسمائة عام وذكر في آخره كلمة (١) ذكرناها عند تفسير هذه الآية من سورة الحديد ثم قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه قال يوروي عن ايوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد

(١) (قوله كلمة) أي جملة . وذهبا (والتي ضحى محمد يده لوانكم دليت رجلا بجبل الى الأرض السفلى لم يبط على الله . ثم قرأ هو الاول والاخر الخ) (عبد الامام)

أنهم قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة * ورواه أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبي جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قد ذكر مثل لفظ الترمذي سواء بدون زيادة في آخره ورواه ابن جرير في تفسيره عن بشر عن يزيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا. وقد يكون هذا أشبه والله أعلم. ورواه الحافظ أبو بكر البزار والبيهقي من حديث أبي ذر الثفاري عن النبي ﷺ ولكن لا يصح استاده والله أعلم *

وقد تقدم عند صفة العرش من حديث الأوعال ما يخالف هذا في ارتفاع العرش عن السماء السابعة وما يشهد له. وفيه بعد ما بين كل سبعمائة خمسمائة عام، وكفها أي سمكها خمسمائة عام * وأما ما ذهب إليه بعض المتكلمين على حديث (طوقه من سبع أرضين) أنها سبعة أقاليم فهو قول يخالف ظاهر الآية والحديث الصحيح وصريح كثير من أفاضل علماء ما يعتمد من الحديث القوي أورده من طريق الحسن عن أبي هريرة. ثم أنه حل الحديث والآية على خلاف ظاهرها بلا مستند ولا دليل والله أعلم. وهكذا ما يذكره كثير من أهل الكتاب وتقاه عنهم طائفة من علمائنا من أن هذه الأرض من تراب والتي تحتها من حديد والأخرى من حجارة من كبريت والأخرى من كذا فكل هذا إذا لم يخبر به ويصح سندنا إلى معصوم فهو مردود على قائله. وهكذا الأثر المروي عن ابن عباس أنه قال في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه حتى آدم كآدمكم وإبراهيم كإبراهيمكم فهذا ذكره ابن جرير مختصراً واستقصاه البيهقي في الأسماء والصفات وهو محمول أن صح قله عنه على أنه أخذ ابن عباس رضي الله عنه عن الأسرار إثليات والله أعلم *

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال لا خلق الله للأرض جبلت تميد لخلق الجبال فلقاها عليها فاستقرت فتمجبت الملائكة من خلق الجبال قالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد. قالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار. قالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الريح. قالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصلق بيمينه يمينها من شبهة فرد به أحمد *

وقد ذكر أصحاب الميعة أعداد جبال الأرض في سائر بقاعها شرقاً وغرباً، وذكروا طولها وبعد امتدادها وارتفاعها وأوسعوا القول في ذلك بما يطول شرحه هنا. وقد قال الله تعالى «ومن الجبال جدد يض وحر مختلف الوانها وغرايب سود» قال ابن عباس وغير واحد الجدد الطرائق وقال عكرمة وغيره التراب الجبال الطوال السود. وهذا هو الشاهد من الجبال في سائر الأرض تختلف باختلاف بقاعها وألوانها. وقد ذكر الله تعالى في كتابه الجودي على الصين وهو جبل عظيم شرق

جزيرة ابن عمر الى جانب دجلة . عند الموصل امتداده من الجنوب الى الشمال مسيرة ثلاثة أيام
 وارتفاعه مسيرة نصف يوم وهو أخضر لأن فيه شجرا من البلوط والى جانبه قرية
 يقال لها قرية التمانين لسكنى الذين نجوا في السفينة مع نوح عليه السلام
 في موضعها فيما ذكره غير واحد من المفسرين والله أعلم

فصل في البحار والأنهار

قال الله تعالى « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لما طربا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
 وترى الفلك مواخر فيه وتجتنوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الارض رواسى أن يمد بكم
 وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات ولنجيم هم يهتدون . أفن يخلق كن لا يخلق أعلامتدكرون
 وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الله لنفور رحيم » وقال تعالى « وما يستوى البحران هذا عذب فرات
 ساقع شراهه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لما طربا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه
 مواخر لتجتنوا من فضله ولعلكم تشكرون » وقال تعالى « وهو الذى مرج البحرين مرج البحرين هذ عذب فرات
 وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ
 لا يبغيان » فالمراد بالبحرين البحر المالح وهو الاجاج والبحر العذب هو هذه الأنهار السارحة بين
 أقطار الأمصار لمصالح العباد قاله ابن جريج وغير واحد من الأئمة . وقال تعالى « ومن آياته الجوار
 فى البحر كالأعلام إن يثا يسكن الريح فيظلل رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور
 أو يوفىهن بما كسبن ويغفر عن كثير » وقال تعالى « ألم تر أن الفلك يجرى فى البحر بنعمة الله ليرىكم
 من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كظلل دعوا الله مخلصين له الدين
 فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل خال كفور » وقال تعالى « ان فى خلق
 السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله
 من السماء من ماء فأجابه الأرض ببد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
 المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » فممن تعالى على عباده بما خلق لهم من البحار
 والأنهار فالحيط المحيط بآثار أرجاء الأرض وما يفت منه فى جوانبها الجميع مالح الطعم مرفى هذا
 حكمة عظيمة لصحة الهواء اذ لو كان حلوا لآتن الجو وقصد الهواء بسبب ما عوت فيه من الحيوانات
 فكان يؤدى الى تفتاى بنى آدم ولكن اقتضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة لهذه المصلحة .
 ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن البحر قال هو الطهور ملؤه الخلل ميتة •

واما الأنهار فإزها حلو عذب فرات ساقع شراها لمن أراد ذلك . وجعلها جارية سارحة ينعما

تمالى في أرض ويسوقها الى أخرى رزقا للعباد . ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة . وقد تكلم اصحاب علم الهيئة والتفسير على تعداد البطر والأنهار الكبار وأصول منابها والى ابن يتهى سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق تعالى ، وأنه قلل بالاختيار والحكمة - وقوله تعالى « والبحر المسجور » فيه قولان أحدهما ان المراد به البحر القى تحت العرش المذكور في حديث الاوعال . وأنه فوق السموات السبع بين أسفله وأعلاه كما بين ساء الى ساء ، وهو القى ينزل منه المطر قبل البث فتحياءه الاجساد من قبورها . وهذا القول هو اختيار الربيع بن أنس . والثاني أن البحر اسم جنس يعم سائر البحار القى في الأرض وهو قول الجمهور *

واختلفوا في معنى البحر المسجور قبل الملاء وقبل يصير يوم القيامة نارا تزجج فيحيط بهل الموقف كما ذكرناه في التفسير عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير وابن مجاهد وغيرهم . وقيل المراد به المنوع المكفوف المحروس عن أن يطفى فيفسد الأرض ومن عليها فيفترقوا . رواه الهادي عن ابن عباس وهو قول السدي وغيره . ويؤيده الحديث القى رواه الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثني شيخ كان مراطلا بالساحل قال « بقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب قال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال « ليس من لبة الا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله عز وجل أن يتفصح عليهم فيكفهم الله عز وجل » ورواه اسحاق بن راهويه عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب حدثني شيخ مراطلا قال « خرجت لبة لمرس لم يخرج أحد من المرس غيري فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل لي ان البحر يشرف بمخاضى بروس الجبال فلذلك مرارا وانا مستيقظ فقلت أبا صالح قال حدثنا عمر بن الخطاب ان رسول الله ﷺ قال « ما من لبة الا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله أن يتفصح عليهم فيكفهم الله عز وجل في استأذنه رجل منهم (١) والله أعلم وهذا من فقه تعالى على عباده ان كفشر البحر عن أن يطفى عليهم وسخره لهم يحمل مراكهم لينقلوا عليها الى الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهدام فيه بما خلقه في السماء والأرض من النجوم والجبال القى جعلها لهم علامات يهتدون بها في سيرهم وبما خلق لهم فيه من الآلات والجواهر النفيسة العريضة الحسنات التي لا توجد الا فيه وبما خلق فيه من الدواب الفريسة وأطعمهم حتى يمتلأوا كما قال تعالى « أهل لكم صيد البحر وطعامه » وقال النبي ﷺ « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وفي الحديث الآخر « اجئت لنا ميتتان ودمان السك والجراد والكبد والطحال » رواه أحمد وابن ماجه وفي استأذنه نظر *

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده «وجئت في كتاب عن محمد بن معاوية البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى قال «كلم الله هذا البحر الغربي وكلم البحر الشرقي فقال لغربي ائى حامل فيك عبادا من عبادى فكيف انت صانع بهم قال أغرقهم . قال بأسك في نواحيك وحرمة الخلية والصيد ، وكلم هذا البحر الشرقي فقال ائى حامل فيك عبادا من عبادى فما انت صانع بهم قال أحملهم على يدى ، واكون لهم كوالدة لولمها فآلبه الخلية والصيد » ثم قال لا تم أهدا . ما رواه عن سهيل الاعد الرحمن بن عبد الله بن عمر وهو منكر الحديث . قال وقد رواه سهيل عن عبد الرحمن بن ابي عياش عن عبد الله بن عمرو موقوفا . قلت الموقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص فانه قد كان وجد يوم اليرموك ذاملتين مملوءتين كتبنا من علوم أهل الكتاب فكان يحدث منها بشياء كثيرة من الاسرائيليات منها المعروف والمشهور والمنكور والمردود . فاما المعروف فنجد به عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو القاسم المدني قاضيا . قال فيه الامام أحمد ليس بشئ وقد سمعته منه » ثم مرت حديثه كان كذبا واحاديثه مناكير » وكذا ضعفه بن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والجوزجاني والبخارى وأبو داود والنسائي وقال ابن على عامة أحاديثه مناكير وأفظعها حديث البحر *

قال علماء التفسير المتكلمون على العروض والاطوال والبحار والانهار والجلال والمساحات وما في الارض من المدن والخراب والمارات والاقاليم السبعة الحقيقية في اصطلاحهم والاقاليم المتعددة العرفية وما في البلدان والاقاليم من الخواص والنباتات وما يوجد في كل قطر من صنوف المعادن والتجاراات قالوا الارض مشورة بلقاء العظيم الامتداد الريع منها وهو تسعون درجة والعناية الالهية اقتصت انحصار الماء عن هذا القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنبت الزرع والثمار منها كما قال تعالى «والارض وضعا للانعام فيها فأكوة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأى الآراء يكما تكذبين » قالوا المعبود من هذا البادى منها قريب الثلاثين منه أو أكثر قليلا . وهو خمس وتسعون درجة . قالوا فالبحر المحيط الغربي ويقال له أوقيانوس وهو الذى يتاخم بلاد المغرب وفيه الجزائر الخالدات وبينها وبين ساحله عشر درج مسافة شهر تقريبا وهو بحر لا يمكن سلوكه ولا ركوبه لكثرة موجه واختلاف مافيه من الرياح والأمواج وليس فيه صيد ولا يستخرج منه شئ ولا يسافر فيه لشجر ولا نبتة وهو أخذ في ناحية الجنوب حتى يسامت الجبال القمر ^(١) ويقال جبال القمر التى منها أصل منيع نيل مصر ويتجاوز خط الاستواء *

(١) ضبعه بعض أهل الجغرافية بفتح القاف والميم . والتقات منهم على أنه بضم القاف وسكون الميم .
أفاده العلامة المحقق الأستاذ أحمد زكى باشا في طبعته لكتاب مسالك الأبحار *

ثم يمتد شرقا ويصير جنوبى الأرض . وفيه هناك جزائر الزايح وعلى سواحه خراب كثير * ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل بحر الصين والهند * ثم يمتد شرقا حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة . وهناك بلاد الصين . ثم ينطفئ فى شرق الصين الى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد يأنجوج ومأجوج . ثم ينطفئ ويستدير على أراضى غير معلومة الأحوال * ثم يمتد مغربا فى شمال الأرض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ويمطف مغربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويورد الى جهة الغرب وينبتق من الغربى الى متن الأرض الزقاق الذى ينتهى أقصاه الى اطراف الشام من الغرب * ثم يأخذ فى بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم وينبث من المحيط الشرقى بحار آخر فيها جزائر كثيرة ، حتى إنه يقال ان فى بحر الهند الف جزيرة وسبعائة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ويقال لها البحر الاخضر فشرقيه بحر الصين وغريه بحر اليمن وشماله بحر الهند وجنويه غير معلوم *

وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالا فاصلة بينهما وفيها فجاج يملك المراكب ينها يسيرها لهم الذى خفها كاجل مثلها فى البر أيضا قال الله تعالى (وجعلنا فى الأرض رواسى أن يمتد بكم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون) * وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند فى كتابه المسى بالمحيط الذى عرب فى زمان المأمون ، وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتضجرة من المحيط الغربى والشرقى والجنوبى والشمالى كثيرة جدا . فنها ملهو واحد ، ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له . فن ذلك بحر القززم . والقززم قرية على ساحله قريب من أيلة . وبحر فلرس وبحر الخزر وبحر وردك وبحر الروم وبحر بنطس وبحر الأزرق ، مدينة على ساحله وهو بحر القرم أيضا ويتضايق حتى يصب فى بحر الروم عند جنوبى القسطنطينية وهو خليج القسطنطينية ، ولهذا تسرع المراكب فى سيرها من القرم الى بحر الروم وتبلى اذا جاءت من الاسكندرية الى القرم لاستقبالها جريان الماء . وهذا من الصائب فى الدنيا فان كل ماء جار فهو حلوا الا هذا وكل بحر راكد فهو ملح أجاج الا مايد كرعن بحر الخزر وهو بحر جرجان وبحر طبرستان أن فيه قطرة كبيرة ماء حلوا فرائعا على ما أخبر به المسافرون عنه .

قال أهل الهيئة وهو بحر مستدير الشكل الى الطول مالهو * وقيل إنه مثلك كقطع وليس هو متصلا بشئ من البحر المحيط بل منفرد وحده ، وطوله ثمانمائة ميل وعرضه سائة وقيل أكثر من ذلك والله أعلم .

ومن ذلك البحر الذى يخرج منه المد والجزر عند البصرة وفى بلاد المغرب قليلة ايضا يتزايد الماء من أول الشهر ولا يزال فى زيادة الى تمام الليلة الرابعة عشر منه وهو المد * ثم يشرع فى النقص وهو الجزر الى آخر الشهر * وقد ذكروا تحديد هذه البحار ومبتدأها ومنتهاها وذكروا ما فى الأرض

من البحيرات المجتمعة من الأنهار وغيرها من السيول وهي البطائح *
 وذكروا ماقى الارض من الأنهار المشهورة الكبار : وذكروا ابتداءها وانتهائها ولنا بصد
 بسط ذلك والتطويل فيه وأما تحكم على ما يتعلق بالأنهار الوارد ذكرها في الحديث . وقد قتل الله تعالى
 « الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم
 الفلك لتجربى فى البحر باسمه وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل
 والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظالم كفار » فى
 الصحيحين من طريق قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ لما ذكر سيرة
 المتنبى قال فلذا يخرج من أصلها نهران بلطان ونهران ظاهران . فلما الباطنان فى الجنة وأما الظاهران
 فانليل والفرات * وفى لفظ فى البخارى وعنصرهما أى ماتتهما أو شكلهما وعلى صفتها ونتمها وليس فى
 الدنيا عما فى الجنة الاسماوية (١) وفى صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن عمرو بن خبيب بن عبد الرحمن
 عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل
 من أنهار الجنة »

وقال الامام احمد حدثنا ابن نمير وزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال رسول
 ﷺ « تجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان » وهذا استاد صحيح على
 شرط مسلم . وكان المراد والله أعلم من هذا ان هذه الأنهار تشبه انهار الجنة فى صفتها وعذوبتها
 وجريتها ومن جنس تلك فى هذه الصفات ونحوها كما قال فى الحديث الآخر الذى رواه الترمذى
 وصححه من طريق سعيد بن عاصم عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ
 قال « العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم » أى تشبه نهر الجنة لأنها مجتنة من الجنة ، فإن الحس يشهد
 بخلاف ذلك فحين أن المراد غيره وكذا قوله ﷺ « الحلى من فيج جهنم فأبرودها بللاء » وكذا
 قوله « اذا اشتد الحلى فأبرودها بللاء فإن شدة الحر من فيج جهنم » * وهكذا هذه الأنهار أصل منبها
 مشاهد من الأرض *

أما النيل . وهو النهر الذى ليس فى أنهار الدنيا له ظهير فى خلقه ولطافته وبمد مسراه فيما بين
 مبتداه الى منتهاه فيبتداه من الجبال القتر (٢) أى البيض ومنهم من يقول جبال القتر بالاضافة الى
 الكوكب وهي فى غربى الارض وراء خط الاستواء الى الجانب الجنوبى . ويقال أنها حر ينبع من
 بينها عيون * ثم يجتمع من عشر مسيلات متباعدة . ثم يجتمع كل خمسة منها فى بحر . ثم يخرج منها
 أنهار ستة . ثم يجتمع كلها فى بحيرة أخرى . ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بلاد السودان
 (١) كذا بالاصول (٢) هذا يؤيد قول الثقات الذى قلناه عن الاستاذ زكى بلشا فيما قدم

لحبسه ثم على التوبة ومديتها العظمى دمة (١) ثم على اسوان ثم يند على ديار مصر . وقد تحمل اليها من بلاد الحبشة زيادات أمطارها واجترف من ترابها وهي محتاجة اليها ما لان مطرها قليل لا يكفي زروعها وأشجارها . وترتها رمال لا تنبت شيئا حتى يجي النيل بزيادته وطيه فيبت فيه ما يحتاجون اليه وهي من أحق الأراضي بدخولها في قوله تعالى « أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرد فتخرج به زروعا تأكل منه أنعامهم وائسهم أفلا يصرون » ثم يجاوز النيل مصر قليلا فيتفرق شطرين عند قرية على شاطئه يقال لها شطون فيمر الغربي على رشيد ويصب في البحر المالح * وأما الشرقي فتتفرق ايضا عند جوجر فترقب تمر الغرية منهما على دمياط من غربيها ويصب في البحر والشرقية منهما تمر على أشمون (٢) ملتحاق فيصب هناك في بحيرة شرق دمياط . يقال لما بحيرة تنبس وبحيرة دمياط . وهذا بلد عظيم فيها بين مبتداه الى منتهاه . ولهذا كان ألطف المياه * قال ابن سينا له خصوصيات دون مياه سائر الأرض * فنها انه أبسدها مسافة من مجراه الى أقصاه . ومنها انه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب ولا أوحال ومنها انه لا يخضر فيه حجر ولا حصة وما ذاك الا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته . ومنها ان زيادته في أيام قصان سائر الأنهار . وقصافته في أيام زيادتها وكثرتها وأما ما يذكره بعضهم من أن أصل منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولا عظيما وجواري حسانا وأشياء غريبة وأن النقي اطلع على ذلك لا يمكنه الكلام بد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهذبات الأفاكين *

وقد قال عبد الله بن هزيمة عن قيس بن الحجاج عن حذته قال « لما فتح عمرو بن عاص مصر أتى أهلها اليه حين دخل شهر يؤته من أشهر المعجم (القبيلة) قالوا (أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان لتنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عدنا الى جارية بكر بين أوبها فارضينا أوبها ووجلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم التيناها في هذا النيل ، فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الإسلام وان الإسلام يهزم ما قبله فأتوا يؤته والنيل لا يجري لا قليلا ولا كثيرا * وفي رواية فأتوا يؤته وأيب ومسرى وهو لا يجري حتى هو الجبل . فكتب عمرو الى عربن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر إنك قد أصبت بالتي ضلت وأنى قد بثت اليك البطاقة داخل كتابي هذا فأتها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فتحتها فاذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر (أما بعد) فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يحريك قسائل الله أن يحريك (٣) فأتى عمرو البطاقة في النيل فاصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا

(١) المروءة الان بلم دحلة بطريق التحريف * (٢) كذا بالاصول وفي معجم البلدان (أشمون ملتحاق)

(٣) قوله فأتى عمرو البطاقة في النيل الخ التي في حسن المحاضرة للسيوطي فأتى عمر البطاقة في

في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم *
 وأما الفرات فاصلاها من شال أرزن الروم فصر الى قرب ملطيه ثم تمر على شمشاط . ثم على البيرة
 قبلها ثم تشرق الى بلس (١) وقطعة جسر ثم الرقة ثم الى الحجة شمالها ثم الى عانة ثم الى هيت ثم الى الكوفة
 ثم تخرج الى فضاء العراق ويصب في بطن كبار اى بحيرات وترد اليها ويخرج منها أنهار كبار مروة
 وأما سيحان ويقال له سيحون أيضا فأوله من بلاد الروم ويمجرى من الشمال والشرق الى الجنوب
 والشرق وهو غربي مجرى جيحان ودونه في القصد وهو يلاذ الارض التي تعرف اليوم ببلاد سبس
 وقد كانت في أول الدولة الاسلامية في أيدي المسلمين * فلما قلب الفاطميون على الديار المصرية
 وملكوا الشام وأعالمها عجزوا عن صونها عن الاعداء فغلب تغفور الأرمني على هذه البلاد أعنى بلاد
 سبس في حدود الثلاثمائة والى يومنا هذا . والله المسؤول عودها اليها بحمله وقوته . ثم يجتمع سيحان
 وجيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا . ثم يصبان في بحر الروم بين ايلس وطرسوس *
 وأما جيحان ويقال له جيحون أيضا وتسميه العامة ساجان . وأصله في بلاد
 الروم ويسير في بلاد سبس من الشمال الى الجنوب وهو يطارب الفرات في
 القصد * ثم يجتمع هو وسيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا *
 ثم يصبان في البحر عند ايلس وطرسوس والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

قال الله تعالى « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس
 والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تقاتلون * وهو الذي مد
 الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ينشى الليل النهار ان في
 ذلك لآيات لقوم يفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان
 وغير صنوان يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون »
 وقال تعالى « امن خلق السموات والأرض واتزل لکم من السماء ماء فابتغوا به حدائق ذات بهجة
 ما كان لکم ان تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم يدعون أن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها
 أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا إلهم مع الله بل أكثرهم لا يعلمون * وقال تعالى

النيل قبل يوم الصليب يوم وقد نهبأ أهل مصر للجلاد والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها
 الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراء الله ستة عشر ذراعاً . وقد زال تلك السنة السوء عن أهل
 مصر انتهى (١) بلدة بين حلب والرقة لما وقائع طريحية مذكورة في معجم البلدان (محمود الامام)

« هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون »

قد ذكر تعالى ما خلق في الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول والأوعار وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات في البراري والقفار والبحر وما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه وما سهل لكل دابة من الرزق الذي هي محتاجة إليه في ليلا ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومساءها كما قال تعالى « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين » وقد روى المافظ أبو يعل عن محمد بن المثنى عن عبيد بن واقد عن محمد بن عيسى بن كيسان عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول خلق الله ألف أمة منها ستائة في البحر وأربعائة في البر . وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك تنابت مثل النظام إذا قطع سلكه .

(عبيد بن واقد) أبو عباد البصري ضعفه أبو حاتم وقال بن عدى عامة ما يرويه لا يتابع عليه وشيخه اضعف منه . قال الفلاس والبخاري منكر الحديث ، وقال أبو زرعة لا ينبغي أن يحدث عنه . وضعه ابن حبان والدارقطني وأنكر عليه ابن عدى هذا الحديث بسببه وغيره والله أعلم .
وقال تعالى « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أشبالكم مافرقنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون »

باب ذكر ما يتعلق بخلق السموات وما فيها من الآيات

قد قدمنا أن خلق الأرض قبل خلق السماء كما قال تعالى « هو الذي خلق لكم من الأرض جبالا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » وقال تعالى « قل أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين » وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . قضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » وقال تعالى « أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغشئ ليلا وأخرج فجعلها والارض بعد ذلك دحلا » قل الذي غير الخلق وهو بد خلق السماء . وقال تعالى « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » الذي خلق سبع سموات طباقا ماتي في خلق

الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين يقلب اليك البصر خاسئا وهو حير * ولقد ذينا السماء الدنيا بمصاييح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير * وقال تعالى * وبينا فوقكم سبيلًا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا * وقال تعالى * ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا * وقال تعالى * الله الذي خلق سبع سموات والأرض مثلهن مثلن ينزل الأمر بينهما فجعلوا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما * وقال تعالى * تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا . وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا * وقال تعالى * انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان ملود لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب . الامن خلف الخليفة فأتيمه شهلب ثاقب * وقال تعالى * ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم . الامن استرق السمع فأتيمه شهلب مبین * وقال تعالى * والسماء بيناها بايد وانا لموسمون * وقال تعالى * وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون * وقال تعالى * وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * وقال تعالى * خلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيابا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في غلات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلون * وقال تعالى * إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ينشئ الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألهه الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين * والآيات في هذا كثيرة جدا وقد تسكمتنا على كل منها في التفسير * والمقصود أنه تعالى يخبر عن خلق السموات وعظمة اتساعها وارتفاعها وأنها في غاية الحسن والبهاء والكمال والثناء كما قال تعالى * والسماء ذات الجبك * أي انطلق الحسن وقال تعالى * فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين يقلب اليك البصر خاسئا وهو حير * أي خاسئا عن ان يرى فيها قصا أو خلا وهو حير أي كليل ضعيف ولو نظر حتى يبى ويكلى ويضعف لما اطمع على قص فيها ولا عيب لانه تعالى قد أحكم خلقها وزين بالكواكب انها كما قل * والسماء ذات البروج * أي النجوم * وقيل محال الحرس التي يرى منها بالشهب مسترق السمع ولا منافاة بين القولين وقال تعالى * ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم * قد ذكر أنه زين منظرها بالكواكب الثوابت والسيارات (الشمس والقمر والنجوم الزاهرات) وأنه صان حوزتها عن حلول

الشياطين بها وهذا زينة ممتنى * قال وحفظناها من كل شيطان رجيم كما قال (أما زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ الأعلى)

قال البخاري في كتاب بدء الخلق وقوله قتادة (وقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) خلق هذه النجوم الثلاث جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به * وهذا الذي قاله قتادة مصرح به في قوله تعالى (وقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) وقال تعالى «وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر» فمن تكلف غير هذه الثلاث أي من علم أحكام ما تدل عليه حركاتها ومقارنتها في سيرها وأن ذلك يدل على حوادث أرضيه قد أخطأ. وذلك أن أكثر كلامهم في هذا الباب ليس فيه الاحدس وظنون كاذبة ودعماوى بطلية. وذكر تعالى أنه خلق سبع سموات طباقا أي واحدة فوق واحدة * واختلف أصحاب الميعة هل من مترا بكت أو متفاضلات بينهما خلاء على قولين. والصحيح الثاني لما قدمنا من حديث عبد الله بن عمرو عن الأحنف عن العباس في حديث الأوعال أن رسول الله ﷺ قال أتدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم. قال بينهما مسيرة خمسمائة عام. ومن كل مائة إلى مائة خمسمائة سنة وكثف كل مائة خمسمائة سنة * الحديث بتمامه رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه * وفي الصحيحين من حديث أنس في حديث الأسراء قال فيه (ووجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فلم عليه فرد عليه السلام. وقال مرحبا وأهلا باني نعم الابن أنت إلى أن قال ثم عرج إلى السماء الثانية * وكذا ذكر في الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) فلعل على التفاضل بينها لقوله ثم عرج بنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح قبيل من هذا (الحديث) * وهذا يدل على ما قلناه والله أعلم.

وقد حكى ابن حزم وابن المنير وأبو الفرج ابن الجوزي وغير واحد من العلماء الإجماع على أن السموات ككرة مستديرة * واستدل على ذلك بقوله كل في ذلك يسبحون. قال الحسن بدورون، وقال ابن عباس في تلكه مثل تلكه المنزل. قالوا ويدل على ذلك أن الشمس تقرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع في آخرها من المشرق كما قال أمية ابن أبي الصلت.

والشمس تطلع كل آخر ليلة * حمراء مطلع لونها متورد * تأتي فلا تبدو لنا في رسلها * الامنبة والأتجد فلما الحديث الذي رواه البخاري حيث قال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ لا يذو حين غربت الشمس تدري أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال قلها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأنف فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأنف فلا يؤذن لها. يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك

قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لما ذلك تدوير الرزق العظيم) *

هذا لفظه في بدء الخلق ورواه في التفسير * وفي التوحيد من حديث الأعشى أيضا ورواه مسلم في الإيمان من طريق الأعشى ومن طريق يونس بن عبيد وأبو داود من طريق الحكم بن عتبة كلهم عن إبراهيم بن يزيد بن شريك عن أبيه عن أبي ذر ه نحوه . وقال الترمذي حسن صحيح * إذا علم هذا فانه حديث لا يمازى ما ذكرته من استدارة الأفلاك التي هي السموات على أشهر القولين ولا يدل على كرمه العرش كما زعمه زاعون . قد أبلغنا قولهم فيا سلف ولا يدل على أنها تصمد الى فوق السموات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش بل هي تقرب عن أعيننا وهي مستمرة في ظلكها التي هي فيه وهو الرابع فيا فانه غير واحد من علماء التفسير . وليس في الشرع ما يفني بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويتنضيه فلذا ذهب فيه حتى يتوسطه وهو وقت نصف الليل مثلا في اعتدال الزمان بحيث يكون بين القطبين الجنوبي والشمالي فلها تكون أبدا ما يكون من العرش لانه مقبب من جهته وجه العالم وهذا محل سجودها كما يناسبها كما أنها أقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا فلذا كانت في محل سجودها استأذنت الرب جل جلاله في طلوعها من الشرق فيؤذن لها فبئسوا من جهة الشرق وهي مع ذلك كراهة لمصاة بنى آدم أن تطلع عليهم ولهذا قال أمية

تأبى فلا تبدلونا في رسلها * الامم ذية والأتجيل * فلذا كان الوقت الذي يريد الله طلوعها من جهة مغربها تسجد على عاتقها وتستأذن في الطلوع من عاتقها فلا يؤذن لها فجاء أنها تسجد أيضا ثم تستأذن فلا يؤذن لها ثم تسجد فلا يؤذن لها وتطول تلك الليلة كما ذكرنا في التفسير ، فتقول يارب ان الفجر قد اقترب وان المدي يمد يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فلما رآها الناس آمنوا جميعا وذلك حين لا يضيء فضا إيمانها لم تكن أكنت من قبل أو كبت في إيمانها خيرا ، وفسروا بذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لما) قيل لوقتها التي تؤمر فيه تطلع من مغربها * وقيل مستقرها موضعها التي تسجد فيه تحت العرش * وقيل متعنى سيرها وهو آخر الدنيا . وعن ابن عباس أنه قرأ والشمس تجري لمستقر لما أي ليست تستقر فلي هذا تسجد وهي سائرة . ولهذا قال تعالى لا للشمس يبنى لما أن تدرك القمر ولا الأيل سابق النهار وكل في ذلك يسمحون أي لا تدرك الشمس القمر فتطلع في سلطانه ودولته ولا هو أيضا ولا الأيل سابق النهار أي ليس سابقه بمسافة يتأخر ذاك عنه فيها بل اذا ذهب النهار جاء الليل في أثره متقبلا له كما قال في الآية الأخرى ينشئ الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات لأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين *

وقال تعالى « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » أي يخلف هذا لهذا وهذا لهذا كما قال رسول الله ﷺ « اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت

الشمس قد أنظر الصائم » فالزمان المحقق ينقسم الى ليل ونهار وليس بينهما غيرها * ولهذا قال تعالى « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى » فيولج من هذا في هذا ، أى يلخذه من طول هذا في قصر هذا فيمتدلان كما في أول فصل الريح يكون الليل قبل ذلك طويلا والنهار قصيرا فلا يزال الليل يقصم والنهار يتزايد حتى يمتدلا وهو أول الريح * ثم يشرع النهار يطول ويتزايد والليل يتناقص حتى يمتدلا أيضا في أول فصل الخريف * ثم يشرع الليل يطول ويقصر النهار الى آخر فصل الخريف * ثم يرجع النهار قليلا قليلا ويتناقص الليل شيئا شيئا حتى يمتدلا في أول فصل الربيع كما قلنا ، وهكذا في كل عام . ولهذا قال تعالى « وله اختلاف الليل والنهار » أى هو المتصرف في ذلك كله الحاكم الذى لا يخالف ولا يمانع ولهذا يقول في ثلاث آيات عند ذكر السموات والنجوم والليل والنهار « ذلك تقدير العزيز العليم » أى العزيز الذى قد قهر كل شئ ودان له كل شئ فلا يمانع ولا يناهض العليم بكل شئ قد صد كل شئ تحديرا على نظام لا يختلف ولا يضطرب . وقد ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « قال الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار » وفي رواية قال الدهر أقلب ليله ونهاره *

قال العلماء كلشافى وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهما يسب الدهر أى يقول فل بنا الدهر كذا يلخية الدهر ، أىم الأولاد ، أرمل النساء . قال الله تعالى (وأنا الدهر) أى أنا الدهر الذى يمينه فاته فاعل ذلك الذى استند الى الدهر والدمر مخلوق ، وأنا فل هذا هو الله فهو يسب فاعل ذلك ويمتدده الدهر . والله هو الفاعل لتلك الخلق لكل شئ المتصرف فى كل شئ كما قال وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب ليله ونهاره وكما قال تعالى « قل اللهم ملك الملك توفى الملك من تشاء وتنزع الملك من تشاء وتميز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير » توج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب » وقال تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك الا لخلق . يفضل الا لىك قوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض الا لىك قوم يتقون » أى فالت بين الشمس والقمر فى نورهما وفى شكلهما وفى وقتهما وفى سيرهما فجعل هذا ضياء وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء يهر والقمر نورا أى أضف من برهان الشمس وجسده مستنادا من ضوئها وقدره منازل أى يطلع أول ليلة من الشهر صغيرا ضئلا قليل النور قربة من الشمس وقلة مقابته لما يقدر مقابته لما يكون نوره ولهذا فى الليلة الثانية يكون أبعد منها بضع ما كان فى الليلة الأولى فيكون نوره بضع النور أول ليلة * ثم كلما بد ازداد نوره حتى يتكامل إبداره ليلة

مقابله إياها من المشرق وذلك ليلة أربع عشرة من الشهر * ثم يشرع في القصر لاقترابه إليها من
الجهة الأخرى إلى آخر الشهر فيستتر حتى يمد كما بدأ في أول الشهر الثاني . فيه تعرف الشهور
وبالثس تعرف الليالي والأيام وبذلك تعرف السنين والأعوام ولهذا قال تعالى « هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وقال تعالى « وجعلنا الليل
والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين
والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » وقال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)
وقد بسطنا القول على هذا كله في التفسير . فلكواكب التي في السماء منها سيارات وهي المتحركة
في اصطلاح علماء التنجيز وهو علم غلبه صحيح بخلاف علم الأحكام فإن غلبه بلطل ودعوى مالا دليل
عليه وهي سبعة . القمر في مياه الدنيا وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في
الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة . وبقية الكواكب يسمونها الثوابت وهي عتدم في
الفلك الثامن وهو الكرسي في اصطلاح كثير من المتأخرين . وقال آخرون بل الكواكب كلها في
السماء الدنيا ولا مانع من كون بعضها فوق بعض * وقد يستدل على هذا بقوله تعالى (وقد زينا السماء
الدنيا بمصاييح وجعلناها رجوما للشياطين *) وقوله (قصصهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل
سما أمرها وزينا السماء الدنيا بمصاييح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فخص مياه الدنيا من ينهن
بزينة الكواكب فإن دل هذا على كونها مرصعة فيها فذاك والا فلامانع مما قاله الآخرون والله أعلم .
وعندهم أن الافلاك السبعة بل الثمانية تدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات تدور على
خلاف فلكه من المغرب إلى المشرق . فلكهم يقطع فلكه في شهر والشمس تقطع فلكها وهو الرابع
في سنة . فلذا كان السريران ليس بينهما تناوت وحركتهما متقاربة كان قدر السماء الرابعة بقدر السماء
الدنيا ثنتي عشرة مرة وزحل يقطع فلكه وهو السابع في ثلاثين سنة فلي هذا يكون قدر السماء الدنيا
ثلاثة وستين مرة *

وقد تكلموا على مقادير أجرام هذه الكواكب وسيرها وحركتها وتوسعوا في هذه الاشياء
حتى قعدوا إلى علم الأحكام وما يترتب على ذلك من الحوادث الأراضية وما لا علم لكثير منهم به .
وقد كان اليونانيون الذين كانوا يسكنون الشام قبل زمن المسيح عليه السلام يدهور لهم في هذا كلام
كثير يطول بسطه ، وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها أبوابا سبعة وجعلوا على رأس كل باب
هيكلًا على صفة الكواكب السبعة . يمدون كل واحد في هيكله ، ويدعونه بدعاء يأثرونهم غير
واحد من أهل التواريخ وغيرهم . وذكره صاحب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم

وغيره من علماء الخرفانيين (١) (فلاسة حران في قديم الزمان) . وقد كانوا مشركين يعبدون الكواكب السبعة وهم طائفة من الصابئين * ولهذا قال الله تعالى « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهم إن كنتم إياه تعبدون » وقال تعالى إخبارا عن المدهد أنه قال لسليان عليه السلام غفرا عن بقيس وجنودها ملكة سبأ فى اليمن وما والاها « إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجئتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل فهم لا يهتدون . أن لا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم » وقال تعالى « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فإنه من مكرم إن الله فضل ما يشاء » وقال تعالى « أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفأ غلالة عن العين والشبائل سجدوا لله وهم داخرون والله يسجد لى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويسلمون ما يؤمرون » وقال تعالى « والله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم للقدوس والآصال » وقال تعالى « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فىهن وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم أنه كان حليما غفورا » والآيت فى هذا كثيرة جدا . ولما كان أشرف الأجرام المشاهدة فى السموات والأرض هى الكواكب وأشرفهن منظرا وأشرفهن متبرا الشمس والقمر استدل الخليل على بطلان الحية شيء منهن . وذلك فى قوله تعالى « فلما جن الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين » أى الثائبين « فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهتدى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برئ مما تشركون . فنى وجهتى وجهى لذى فطر السموات والأرض حقيقا وما أنا من المشركين » فبين بطريق البرهان القلبي أن هذه الاجرام المشاهدات من الكواكب والقمر والشمس لا يصلح شيء منها للالهية لانهما كلها مخلوقة مبروبة مدبرة مسخرة فى سيرها لا تعبد عما خلقت له ولا تزيغ عنه الا بتقدير متعن محرر لا تضطرب ولا تختلف *

(١) قال فى معجم البلدان (حران) بتشديد الزاء وآخره نون يجوز أن يكون (فلاسا) من حران الفرس اذا لم يتقد ويجوز أن يكون (فلاسان) من الحر . يقال رجل حران أى عطشان وأصله من الحر وامرأة حرى وهو حران يران . والنسبة اليها حرثنى بمد الزاء الساكنة نون على غير قياس كما قالوا منانى فى النسبة الى ماني . والقياس ماوى وحرانى والسامة عليها (عمود الامام)

وذلك دليل على كونها مربوبة مصنوعة مسخرة مقهورة ولهذا قال تعالى « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » وبنت في الصحيحين في صلاة الكسوف من حديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ إن الشمس والقمر آياتان من آيات الله عز وجل وإلهما لا ينكسان لموت أحد ولا حياة »

وقال البخارى في بدء النطق حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (الشمس والقمر مكروران يوم القيامة) أفرد به البخارى * وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأيسر من هذا السياق ، قال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادى حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسرى في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة قال الحسن وما بينهما قال أحذثك عن رسول الله ﷺ وهول وما بينهما ثم قال البزار لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث * وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى من طريق يزيد الرقاشى وهو ضعيف عن أنس قال قال رسول الله ﷺ الشمس والقمر ثوران عيران في النار . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله الأزدي حدثنا أبو أسامة عن مجاهد عن شيخ من بجليه عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) . قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويمت الله ريحاً دوراً فتضرمها نارا . فقلت هذه الآثار على أن الشمس والقمر من مخلوقات الله خلقها الله لما أراد ثم جعل فيها ما يشاء ، وله الحجة الدافعة والحكمة البالغة فلا يسأل عما فعل له وحكمته وقدرته ومشيئته النافذة وحكمه الذى لا يرد ولا يمنع ولا يبالغ * وما أحسن ما أورده الامم محمد بن اسحاق بن يسار في أول كتاب السيرة من الشعر يزيد بن عمرو بن ذئيل في خلق السماء والأرض والشمس والقمر وغير ذلك * قال ابن هشام هي لامية ابن أبي الصلت

الى الله اهدى مدحى وثائيا وقولا رضى (١) لا يلقى الصبر باقيا
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه إله ولا رب يكون مدانيا
ألا يلب الانسان ايك والذى فانك لا تخفى من الله خافيا
وليك لا تحيل مع الله غيره فمن سبيل الرشيد أصبح ياديا

(١) قوله رضى فت قولوا وفي نسخة رضىنا والرضين الثابت (عمود الامام)

حنانك لذ الجن كانت دجامم وأنت المي ربنا ورباينا
 رضيت بك اللهم ربا قلن أرى أدين الما غيرك الله ثانيا
 وأنت الذي من فضل من روحه بثت الى موسى رسولا متاديا
 قلت له اذهب وهرون فلدعوا الى الله فرعون الذي كان طاغيا
 وقولا له أنت سويت هذه بلا وتد حتى الماتت كما هيا
 وقولا له أنت رقت هذه بلا عد لرفق اذا بك بانيا
 وقولا له أنت سويت وسطها منيرا اذا ملجته الليل هاديا
 وقولا له من يرسل الشمس غدوة فيصبح مامت من الارض ضاحيا
 وقولا لمن ينبت الحب في الترى فيصبح منه البقل يهز رايا
 ويخرج منه حبه في رؤسه وفي ذاك آيت لمن كان واعيا
 وأنت بفضل منك نحيث يوفنا وقد بليت في أضاف حوت ليايا
 واني لو سبحت باسمك ربنا لا كثر الاما غفرت خطايايا (١)
 قرب العباد ألق سيبا ورحمة على ولوك في بنى ومايا

فلذا علم هذا فالكواكب التي في السماء من الثواب والسيارات الجميع مخلوقة خلقها الله تعالى
 كما قال (وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم)
 وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة
 فرادها على نفسها فأبت إلا أن يملأها الاسم الأعظم فلماها فآله فرقت كوكبا الى السماء فهذا
 أظنه من وضع الاسرائيليين ولئن كان قد أخرجه كتب الأخبار وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكره
 على سبيل الحكاية والتحديث عن بنى اسرائيل . وقد روى الامام احمد وابن جابر في صحيحه في ذلك
 حديثا رواه احمد عن يحيى ابن بكير عن زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن ثعلب عن ابن عمر عن
 النبي ﷺ وذكر القصة بطولها وفيه فثلت لها الزهرة امرأة من أحسن البشر فقامتها فبالها نفسها
 وذكر القصة . وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عتبة عن سالم عن كعب

(١) قوله وأنى ولو سبحت النح معنى اليت انى لا كثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا الاما
 غفرت النح . وما بعد الازائمة . وان سبحت اعتراض بين اسم إن أخبرها كما قول لاني لا كثر من هذا
 الدعاء الذي هو باسمك ربنا الا والله يغفر لي فعل كذا والتسبيح هنا بمعنى الصلاة اى لا اعتند وان صليت
 الاعلى دعائك واستغفرك من خطايي (عمود الامام)

الأخبار به. وهذا أصح وأثبت. وقد روى الحاكم في مستدركه وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس فذكره. وقيل فيه وفي ذلك الزمان امرأة حنانيا في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وذكر تمامه * وهذا أحسن لفظ روى في هذه القصة والله أعلم *

وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك الواسطي حدثنا يزيد ابن هرون حدثنا مبشر بن عبيد عن يزيد بن أسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ. وحدثنا عمرو بن عيسى حدثنا عبد الأعلى حدثنا إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر سهيلاً فقال (كان عشيراً ظلوفاً فسحقه الله شهياً) ثم قال لم يروه عن زيد بن أسلم إلا مبشر بن عبيد وهو ضعيف الحديث ولا عن عمرو بن دينار إلا إبراهيم بن يزيد وهو لين الحديث وإنما ذكرناه على ما فيه من علة لا تألم لمخطفه الأمن هذين الوجهين (قلت) أما مبشر بن عبيد القرشي فهو أبو حفص الحمصي وأصله من الكوفة. قد ضعفه الجميع وقال فيه الإمام أحمد والدارقطني كان يضع الحديث ويكذب وأما إبراهيم بن يزيد فهو الخولزي وهو ضعيف بائناقهم * قال فيه أحمد والنسائي متروك.

وقال ابن معين ليس بثقة وليس بشيء * وقال البخاري سكتوا عنه. وقال أبو حاتم

وأبو زرعة منكر الحديث ضعيف الحديث. ومثل هذا الاستناد لا يثبت به

شيء بالكلية. وإذا أحسننا الظن قلنا هذا من أخبار بني إسرائيل

كما تقدم من رواية بن عمر عن كعب الأخبار. ويكون

من خرافاتهم التي لا يعول عليها والله أعلم *

الكلام على المجرة وقوس قزح

قال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عادم أبو التيمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن هرقل كتب إلى معاوية وقال إن كان في فهم شيء من النبوة فيخبرني عما أسألم عنه. قال فكتب إليه يسأله عن المجرة وعن القوس وعن بقعة لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة * قال فلما أتى معاوية الكتاب والرسول قال إن هذا الشيء ما كنت أبه له أن أسأل عنه إلى يومى هذا من لهذا * قيل ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل فبث به إلى ابن عباس فكتب إليه « أن القوس أماني لأهل الأرض من الفرق. والمجرة بلب السماء التي تنشق منه الأرض. وأما البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة من النهار فلبهر الذي أفرج عن بني إسرائيل وهذا استناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه * فلما الحديث الذي رواه الطبراني حدثنا أبو الزناد عن روح بن الفرج

حدثنا ابراهيم بن محمد حدثنا الفضل بن المختار عن محمد بن مسلم الطائي عن ابن أبي يحيى (١) عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « يلماذ إني مرسل إلى قوم أهل كتاب فإذا سئلت عن الهجرة التي في السماء قل هي لهاب حية تحت العرش » فنه حديث منكر جداً بل الأشبه أنه موضوع ورواه الفضل بن المختار هذا أبو سهل البصري * ثم انتقل إلى مصر قال فيه أبو حاتم الرازي هو مجهول حدث بالأبطل . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى منكر الحديث جداً . وقال ابن عدى لا يتابع على أحاديثه لا متناً ولا اسناداً * وقال الله تعالى « هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال » وقال تعالى « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من رزق فأجابه الأرض بيد موثبات فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » وروى الأمام أحمد عن يزيد بن هرون عن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن شيخ من بني غفار قال سمعت رسول الله ﷺ (يقول إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضطك أحسن الضطك) وروى موسى بن عبيدة بن سعد بن ابراهيم أنه قال إن نطق الرعد وضطك البرق . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام عن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فلما مضى يذنبه فذلك البرق * وقد روى الامام أحمد والترمذي والنسائي والبيهقي في كتاب الأئمة والملاحم في مستدرکه من حديث الحاجب بن أرواة حدثني ابن مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال (اللهم لا تخفنا بضضك ولا تهلكنا بظالك وعافنا قبل ذلك * وروى ابن جرير من حديث ليث عن رجل عن أبي هريرة رفته كان إذا سمع الرعد قال (سبحان من يسبح الرعد بحمده) وعن علي أنه كان يقول (سبحان من سبحت له) وكذا عن ابن عباس والأسود بن يزيد وطائوس وغيرهم * وروى مالك عن عبد الله ابن عمر أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول (إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض * وروى الامام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال قال ربكم لو أن عيسى أطلعوني لأستقيم المظلل بليل وأطلت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد فذكروا الله فله لا يصيب ذاكراً * وكل هذا مبسوط في التفسير والله الحمد والمنة *

باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم عليهم السلام

قال الله تعالى «وقلوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشعرون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشقون * ومن يقل منهم إلى الله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال تعالى «تسجد السوات يفتنون من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو المتفرد الرحيم » وقال تعالى «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وفذيلتهم انك أنت العزيز الحكيم » وقال تعالى «فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسعون * وقال (ومن عنده لا يستكبرون . عن عبادة ولا يستحسرون) يسبحون الليل والنهار لا يفترون » وقال تعالى «ومأنا لإلا له مقام معلوم . وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » وقال تعالى وما تنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا » وقال تعالى «وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما فعلون » وقال تعالى «وما يعلم جنود ربك إلا هو » وقال تعالى «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وقال تعالى «الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة ثلث وثلاثون زوجا يطير في أجنال ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » وقال تعالى «يوم تشقق السماء بالغمام تنزل الملائكة تنزيلا * الملك يومئذ الحق الرحمن وكان يومئذ على الكافرين عسيرا » وقال تعالى «والذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا » وقال تعالى «من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو الكافرين » وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يصون الله ما أمرهم ويضلون ما يؤمرون » والآيات في ذكر الملائكة كثيرة جدا يصعب تمامي بالقوة في العبادة وفي الخلق وحسن المنظر وعظمة الأشكال وقوة الشكل في الصور المتعددة كما قال تعالى «ولما جاءت رسلنا لوطا عسى بهم وضاق بهم ذروعا وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه بهرعون إليه ومن قبل كانوا يسلمون السيئات » الآيات قد كررنا في التفسير ما ذكره غير واحد من العلماء من أن الملائكة يتدولهم في صورة شبابه حسان امتحانا واختيارا حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر * وكذلك كان جبريل يأتي إلى

التي صلى الله عليه وسلم في صفات متعددة فآتى في صورة دحية بن خليفة الكلبي وثورة في صورة أعرابي وثورة في صورته التي خلق عليها . له ستة جناح ما بين كل جناحين كما بين الشرق والغرب كما رآه على هذه الصفة مرتين . مرة منهبطا من السماء الى الأرض . وثورة عند سدرة المنتهى عند جنة المأوى . وهو قوله تعالى « عليه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى » أي جبريل كما ذكرناه عن غير واحد من الصحابة * منهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة « فكان قلب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى » أي الى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ ينشئ السدرة ما ينشئ . ملائكة البعر وما ملأ) وقد ذكرنا في أحاديث الاسراء في سورة سبحان أن سدرة المنتهى في السماء السابعة * وفي رواية في السادسة أي أصلها وفروعها في السابعة فلما غشها من أمر الله ما غشها قيل غشها نور الرب جل جلاله * وقيل غشها فراش من ذهب * وقيل غشها ألوان متعددة كثيرة غير منحصرة * وقيل غشها الملائكة مثل الغرمان * وقيل غشها من نور الله تعالى فلا يستطيع أحد أن ينمها * أي من حسناتها وبهاياتها . ولا منافاة بين هذه الأقوال اذ الجميع ممكن حصوله في حال واحدة * وذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . ثم رُفعت لي سدرة المنتهى فلذا بنيتها كالكلال * وفي رواية ككلال هجر واذا وركها كاذان الغيبة واذا يخرج من أصلها نهران بلطان ونهران ظاهران . فأما الباطنان ففي الجنة . وأما الظاهران فالليل والنرات * وتهدم الكلام على هذا في ذكر خلق الأرض وما فيها من البحار والأنهار * وفيه ثم رفع لي البيت المعمور واذا هو يدخله في كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم * وذكر أنه وجد ابراهيم الخليل عليه السلام مستندا ظهره الى البيت المعمور . وذكرنا وجه المناسبة في هذا أن البيت المعمور هو في السماء السابعة بمنزلة الكعبة في الأرض * وقد روى سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن ابن الكوا سأل علي بن أبي طالب عن البيت المعمور فقال هو مسجد في السماء يقال له الضراح ، وهو بحيال الكعبة من فوقها . حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون اليه أبدا * وهكذا روى علي بن زينة وأبو الطفيل عن علي بنه * وقال الطبراني أنبأنا الحسن بن عوية القطان حدثنا اسماعيل بن عيسى الطاطر حدثنا اسحاق بن بشر أبو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحيال لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يرونه قط فان له في السماء جرمة على قدر حرمة مكة . يعني في الأرض وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والريعي بن أنس والسدي وغير واحد * وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

وما لأصحابه هل تدرون ما البيت المصور قالوا الله ورسوله أعلم * قال قال مسجد في السماء بحيال الكعبة
لوخر غر عليها يصل في كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم * وزعم
الضحاك أنه سمعه طائفة من الملائكة يقولون لم الجن من قبيلة ابليس لعنه الله كان يقول مدته وخداه
منهم والله أعلم *

وقال آخرون . في كل ساء يت يسره ملائكته بالعبادة فيه ويندون اليه بالنورة . والبلد كما يسر
أهل الأرض البيت العتيق بلحج في كل عام والاعتبار في كل وقت والطواف والصلاة في كل آن * قال
سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في أوائل كتابه الخازي * حدثنا أبو عبيد في حديث مجاهد « أن الحرم
حرم مناه (يعني قدره) من السموات السبع والأرضين السبع وأنه رابع أربعة عشر بيتا في كل ساء
يت وفي كل أرض يت لو سقطت سقط بعضها على بعض » ثم روى مجاهد قال مناه أي مقابله وهو
حرف مقصور . ثم قال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سليمان مؤذن الحجاج سمعت
عبد الله بن عمرو يقول « إن الحرم محرم في السموات السبع مقداره من الأرض - وإن يت القدس
مقدس في السموات السبع مقداره من الأرض كما قال بعض الشعراء

إن التي سملك السماء بقي لها بيتا دعائه أشد وأطول

واسم البيت الذي في السماء بيت العزة * واسم الملك الذي هو مقدم الملائكة فيها إسماعيل * فلي
هذا يكون السبعون ألفا من الملائكة الذين يدخلون في كل يوم إلى البيت المصور ثم لا يعودون اليه .
آخر ما عليهم (أي لا يحصل لهم نوبة فيه إلى آخر الدهر) يكونون من سكان السماء السابعة وحدها .
ولهذا قال تعالى « وما يعلم جنود ربك إلا هو » وقال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل
عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مودق عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ « إني أرى ملائكة
وأسمع ملائكة تسعون أمت السماء وحتى لما أن تطأ ماقها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لوعلم
ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا ولما قلدهم بالنساء على الفرشات ونخرجهم إلى الصدقات تجارون إلى
الله عز وجل » قال أبو ذر (والله لوددت آتي شجرة قمض) ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث
إسرائيل قال الترمذي حسن غريب وروى عن أبي ذر موقوفا * وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني
حدثنا حسين بن عروة المصري حدثنا عروة بن عمران الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم
ابن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ (ما في السموات السبع
موضع قم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فلذا كان يوم القيامة
قلوا جميعا ما عبدنا حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئا) فدل هذان الحديثان على أنه ما من موضع
في السموات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم في صنوف من العبادة . منهم من هو قائم أبدا . ومنهم

من هو رآهم أبداً ومنهم من هو ساجد أبداً ومنهم من هو في صنوف أخر والله أعلم بها . وهم دائمون في عبادتهم وتسييحهم وأذكارهم وأعمالهم التي أمرهم الله بها ، ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) * وقال عليه السلام (أنا صنفون كما تصف الملائكة عند ربها * قالوا وكيف يصفون عند ربهم قال يكلمون الصف الأول ويتراصون في الصف) * وقال (فضلنا على الناس بثلاث * جلست لنا الأرض مسجداً وترتبا لنا طهوراً وجلست صفوفا كصفوف الملائكة) وكذلك يأتون يوم القيامة بين يدي الرب جل جلاله صفوفاً كما قال تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) ويقفون صفوفاً بين يدي ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يكلون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) * والمراد بالروح هنا بنو آدم قاله ابن عباس والحسن وقطاعة * وقيل ضرب من الملائكة يشبهون بني آدم في الشكل * قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعشى * وقيل جبريل * قاله الشيبى وسعيد بن جبير والضحاك * وقيل ملك يقال له الروح بقدر جميع المخلوقات * قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يوم يقوم الروح قال هو ملك من أعظم الملائكة خلقا * وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف السقلاقي حدثنا داود ابن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن عقيقة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الزابعة هو أعظم السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسيحة يخلق الله من كل تسيحة ملكاً من الملائكة يحيي يوم القيامة صفاً وحده * وهذا غريب جداً * وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم المصري حدثنا ابن وهب بن رزق أبو هيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأزراعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن لله ملكاً لو قيل له اتقم السموات والأرضين بقصة واحدة فضل . تسيحه سبحانه حيث كنت » وهذا أيضاً حديث غريب جداً * وقد يكون موقوفاً * وذكرنا في صفة حلة العرش عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حلة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » رواه أبو داود وابن أبي حاتم ولفظه تحقق الطبري سبعمائة عام *

وقد ورد في صفة جبريل عليه السلام أمر عظيم قال الله تعالى « عله شديد القوى » قالوا كل من شدة قوة أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سباً بمن فيها من الأمم وكأوا قريبا من أربعمائة ألف وما معهم من النواب والحيوات وما تلك المدن من الأراضي والممتلكات والعمارات وغير ذلك * رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بين عتاق السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديكهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى . وقوله ذو مرة أي خلق حسن وبهاء وسناء كما قال في الآية الأخرى « إنه قول رسول كريم » أي جبريل رسول الله كريم أي حسن المنظر

فى قوة أى له قوة وبأس شديد عند ذى العرش مكن أى له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله ذى العرش المجيد معلى ثم أى معلى فى الملأ الأعلى أمين أى ذى أمانة عظيمة ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه عليهم السلام الذى ينزل عليهم بالوحى . فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة * وقد كان يأتى الى رسول الله ﷺ وينزل عليه فى صفات متعددة كما قلنا . وقد رآه على صفته التى خلقه الله عليها مرتين * له سمائة جناح كما روى البخارى عن طلق بن غنم عن زائدة الشيبانى قال سألت زراً عن قوله فكان قلب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى * قال حدثنا عبد الله بن مسعود أن محمداً ﷺ رأى جبريل له سمائة جناح *

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن راشد عن أبى وائل عن عبد الله قال رأى رسول الله ﷺ جبريل فى صورته وله سمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل (١) من الدر والياقوت ما الله به عليم . وقال أحمد أيضاً حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فى هذه الآية « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى » قال قال رسول الله ﷺ (رأيت جبريل وله سمائة جناح ينتشر من ريشه التهاويل الدر والياقوت * وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين (٢) حدثني عاصم بن بهدلة سمعت شقيق بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ وسلم رأيت جبريل على السدرة المنتهى وله سمائة جناح فسألت عاصم عن الأجمة فأبى أن يخبرنى قال فأخبرنى بعض أصحابه أن الجناح مابين المشرق والمغرب * وهذه أسانيد جيدة قوية أعز بها أحمد *

وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين حدثني حصين حدثني شقيق سمعت ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل فى خضر (٣) تعلق به الدر * إسناده صحيح * وقال ابن جرير حدثنا ابن بزيع البغدادي قال حدثنا اسحاق بن منصور قال حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله (ما كذب التؤاد ما رأى) قال رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه صلوات روف قد ملأ مابين السماء والارض * إسناده جيد قوى * وفى الصحيحين من حديث عامر الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة هلأت أليس الله يقول « ولقد رآه بالأفق المبين ولقد رآه نزلة أخرى » هالت أنا أول هذه الامة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال إنما ذلك جبريل لم يره فى صورته التى خلق عليها الا مرتين

(١) قوله التهاويل أى الاشياء المختلفة الالوان والرواية على ملق النهاية رأى جبريل ينتشر من جناحه الدر والتهاويل (٢) قوله الحسين هو ابن واقد مولى عبد الله بن عامر بن كرز أبو عبد الله المروزي قاضيا اه (٣) قوله فى خضر يتضح فكسر لباس اخضر والضمير فى به لخضر محمود الامام

إسرائيل يدنو من الأرض ويتسائل فلماذا ملك قد مثل بين يدي النبي ﷺ قال يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين عبد أو ملك هي قال فأشار جبريل إلى يده (أن تواضع) فرفت أنه لي تصح قلت عبد هي فخرج ذلك الملك إلى السماء قلت يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا قرأت من حالك ما شئتني عن المسألة فمن هذا يا جبريل ؟ قال هذا إسرائيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافاً قدميه لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نورا ملئها من نور يكاد يدنو منه إلا احترق بين يديه لوح فإذا أذن الله في شيء من السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرِبَ جبهته فينظر فإن كان من على أمر في به وإن كان من على ميكائيل أمره به وإن كان من على ملك الموت أمره به • قلت يا جبريل وعلى أي شيء أنت قال على الريح والجود • قلت وعلى أي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر قلت وعلى أي شيء ملك الموت قال على قبض الأتني وملئنت أنه نزل لإتيان الساعة وما التي رأيت مني إلا خوفاً من قيام الساعة • هذا حديث غريب من هذا الوجه • وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرائيل قطر السوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم • وفي حديث الصور أن إسرائيل أول من يبعث الله بعد الصقي ليقتل في الصور • وذكر محمد بن الحسن النقاش أن إسرائيل أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية اللوح المحفوظ • حكاه أبو القاسم السهيلي في كتابه (التعريف والاعلام) بما أبيهم في القرآن من (الاعلام) • وقال تعالى « من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل » حفظهما على الملائكة لشرعهما فجبريل ملك عظيم قد هتم ذكره • وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وهو ذومكاة من ربه عز وجل ومن أشرف الملائكة الثقلين • وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو الهيثم حدثنا ابن عباس عن عمار بن غزوة الانصاري أنه سمع حميد بن عبيد مولى بني المطلب يقول سمعت ثابثا البناي يحدث عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل مالي لم أر ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار • فهو لاء الملائكة المصرح بذكرهم في القرآن وفي الصريح المذكورون في السماء النبوي • اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرائيل • فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم • وميكائيل موكل بالقطر والنبات الذين يخلق منهما الارزاق في هذه الدار • وله أعوان ينفلون ما يأمرهم به بأمر ربه • يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله • وقد روينا أنه ملأ من قطرة تنزل من السماء إلا ومبها ملك يقردها في موضعها من الأرض • وإسرائيل موكل بالفتح في الصور لقيام من القبور • والمقصود يوم البعث والنشور ليفوز الشكور • ويجازي الكفور • فذلك ذنبه مغفور • وسماه مشكور • وهذا قد صار عمله كعليه المنشور • وهو يدعو بالويل والثبور • فجبريل عليه السلام

يحصل بما ينزله الهدي • وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق . وإسرافيل يحصل بما هو موكل به النصر والجزاء • وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح . وقد جاء تسميته في بعض الأساطير بمزرائيل والله أعلم •

وقد قال الله تعالى « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » وله أعوان يستخرجون روح البعد من جسده حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها في أكفان تلقى بها كما قد بسط عند قوله « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة »

ثم يصعدون بها فان كانت سالمة فحقت لها أبواب السماء ولا غلقت دونها وألقي بها إلى الأرض قال الله تعالى « وهو اقاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين •

وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنهم قالوا إن الأرض بين يدي ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقد ذكرنا أن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمناً آتاه ملائكة يضيء الوجوه يضيء الثياب طيبة الأرواح . وإن كان كافراً فالبضد من ذلك • عبادا لله العظيم من ذلك • وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المرقري حدثنا عمر بن شمر قال سمعت جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول نقل رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ يا ملك الموت ارفق بصاحبي فاه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طيب فسا وفر عينا فاني بكل مؤمن رفيق • واعلم أن مقي الأرض بيت منذر ولا شرفي بر ولا بحر إلا وأنا أنقصهم في كل يوم خمس مرات حتى إلى أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بموضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها . قال جعفر بن محمد أبي هو الصادق بلغني بضعهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضر عند الموت فإذا كان ممن يحافظ على الصلاة دأ منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في تلك الحال الطيبة . هذا حديث مرسل وفيه نظر وذكرنا في حديث الصور من طريق إسماعيل بن رافع المدني القاسم عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ (الحديث) بطوله . وفيه وأمر الله إسرافيل بنفعة الصديق فيفتح فحة الصق فيصق أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد خدعوا جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قتلعت أهل السموات والأرض إلا من شئت • فيقول الله وهو أعلم بمن بقي (فمن بقي) فيقول بقيت أنت الحى القى لا يموت وبقيت حملة عرشك وحي جبريل وميكائيل • فيقول لمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يارب يموت جبريل

وميكائيل فيقول اسكت فأتى كبيت الموت على كل من كان تحت عرشى فيدولن ه ثم أتى ملك الموت الى الجبار عز وجل فيقول يارب قد ملت جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بنى فى فن بنى فيقول بقت أنت الحى الذى لا يموت وبقت حلة عرشك وبقت أنا فيقول الله لمت حلة عرشى . صحت . ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يأتى ملك الموت فيقول يارب قد ملت حلت عرشك فيقول الله وهو أعلم بنى بنى (فن بنى) فيقول بقت أنت الحى الذى لا يموت وبقت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فت فيموت فلذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . كان آخرها كما كان أولا . وذكر تمام الحديث بطوله رواه الطبرانى وابن جرير والبيهقى ورواه الحافظ أبو موسى المدينى فى كتاب (الطولات) (١) وعنده زيادة غريبة وهى قوله فيقول الله له أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فت موتا لا يحيى بعده أبداه

ومن الملائكة المنصوص على أسمائهم فى القرآن هاروت وماروت فى قول جماعة كثيرة من السلف . وقد ورد فى قصتهما وما كان من أمرهما أثر كثير غالبا إسرائيليات . وروى الامام أحمد حديثا مرفوعا عن ابن عمر وصحبه ابن جابر فى تاسيسه . وفى حته عندى نظر والأشبه أنه موقوف على عبد الله بن عمر ويكون مما تقدمه عن كعب الأحبار كما سيأتى ياته والله أعلم . وفيه أنه تمثل لما الزهرة امرأة من أحسن البشر . وعن علي وابن عباس وابن عمر أيضا أن الزهرة كانت امرأة وأنهما لما طلبا منها ما ذكر أتت إلا أن يملأها الاسم الأعظم فملأها فقالت فارقت الى السماء فصارت كوكبا . وروى الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال وفى ذلك الزمان امرأة حسنها فى النساء كحسن الزهرة فى سائر الكواكب . وهذا اللفظ أحسن ملورد فى شأن الزهرة . ثم قيل كان أمرهما وقصتهما فى زمان إدريس . وقيل فى زمان سليمان بن داود كما حررنا ذلك فى التفسير .

وبالحلة فهو خير إسرائيلى مرجعه الى كعب الأحبار كما رواه عبد الرزاق فى تفسيره عن الثورى عن موسى بن عتبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار بقصة . وهذا أصح إسنادا وأثبت رجلا والله أعلم .

ثم قد قيل إن المراد بقوله « وما أنزل على الملكين يا بل هاروت وماروت » قيلان من الجان قاله ابن حزم وهذا غريب وبعيد من اللفظ . ومن الناس من قرأ وما أنزل على الملكين بالكسر ويجعلها طليحين من أهل فارس . قال الضحاك . ومن الناس من يقول هما ملكان من السماء ولكن

(١) قال فى كشف الظنون الطولات الحافظ الكبير أبى موسى محمد بن أبى بكر عمر المدينى المتوفى سنة ٥٨١ هـ فى مجلدين . وفيها الرواى والموضوع (عجود الامام)

سبق في قدر الله لها ما ذكره من أمرها إن صح به الخبر ويكون حكمها حكم إبليس إن قيل له من الملائكة لكن الصحيح أنه من الجن كما سيأتي تحريره •

ومن الملائكة المسين في الحديث منكر ونكير عليهما السلام . وقد استأنس في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر . وقد أوردناها عند قوله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء» وهما خاتما القبر موكلان بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه ويمتحان اللبر والفاجر وهما لئلا يفرقان إفرقان لها أبواب وأشكال مزججة وأصوات مفرجة أجلاها الله من عذاب القبر وميتنا بالقول الثابت آمين • وقال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن وهب حدثني يوسف عن ابن شهاب حدثني عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثت أنها قالت لبي ﷺ (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد . قال لقد بقيت من قومك وكان أشد ما بقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ليلى بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت . فاضلقت وأنا مبهوم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفضت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلقتني فظفرت فإذا فيها جبريل فتاداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فتاداني ملك الجبال فلم على ثم قال يا محمد فقال ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يبدل الله وحده ولا يشرك به شيأ • ورواه مسلم من حديث ابن وهب به •

فصل

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ملعيهم الله له أقسام • فمنهم حملة العرش كما تقدم ذكرهم ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش . ومن الملائكة المقربون كما قال تعالى «لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون» ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقد ذكر الله فيهم أنهم يستفرون للمؤمنين بظهور النبي كما قال تعالى «ويستفرون الذين آمنوا ربنا وسمت كل شئ رحمة وعدا فأنظر الذين ظلموا واتبوا سيئك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آلهم وأزواجهم وذرياتهم . إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ قد رحمته . وذلك هو الفوز العظيم» ولما كانت سجاياهم هذه السجدة الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة فثبت في الحديث عن الصادق المصدوق أنه قال «إذا دعا البذل أخيه بظهور النبي قال الملك آمين ولك بمثل •

ومنهم سكان السموات السبع يسمونها عبادة دائبة ليلا ونهارا صباحا ومساء كما قال «يسبحون

الليل والنهار لا يفترون • فنهزم الراكع دائما والقائم دائما والساجد دائما • ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة الى البيت المصور كل يوم سبعون الفا لا يمردون اليه آخر ما عليهم • ومنهم الموكلون بلحان وإعداد السكرامة لاهلها وتهينة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن وما كل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •

وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحاً به في بعض الاحاديث • ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية • ومقدموهم تسعة عشر وخازنها ملك وهو مقدم على جميع الخزنة • وهم المذكورون في قوله تعالى (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) الآية • وقال تعالى « وتلدوا باسمك ليقض علينا ربك » قال انكم « كثرتم لحننا لكم بلحق ولكن أكثركم للحق كارهون » وقال تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يصون الله ما أمرهم ويضلون ما يؤمرون) وقال تعالى « عليها تسعة عشر وملائكة أصحاب النار إلا ملائكة وملائكتنا عنهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب وزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ويقولون الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا • كذلك يضلل الله من يشاء ويهدي من يشاء • وما يعلم جنود ربك الا هو »

وهم الموكلون بحفظ بني آدم كما قال تعالى « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به » ومن هو مستخف بالليل وسارب بالهار • له مقببات من بين يديه ومن خلفه يحفظون من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وبالعلم من دونه من وال • قال الوالي عن ابن عباس (له مقببات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) وهي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله • قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلعا عنه وقال مجاهد ما من عبد الا وملاك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والحوام • وليس شيء يأتيه يريد الا قال وراك الاشئ يأذن الله فيه فيصيه • وقال أبو اسامة (ما من آفة الا ومعه ملك يدور عنه حتى يملكه للشي قدر له • وقال أبو مجازة رجل الى علي قال ان فرما من مراد يريدون ذلك قال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يتدر فإذا جاء القدر خلعا عنه ويمنه ان الأجل حجة حصية •

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال السباد كما قال تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد • ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وقال تعالى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يسجلون ما تعملون • قال الحافظ أبو محمد

عبد الرحمن بن أبي حاتم الزازي في تفسيره حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا
سفيان ومسر عن عقبة بن يزيد عن مجاهد قال قال رسول الله ﷺ أكرموا الكرام الكاتبين
الذين لا يملكونكم الا عند احصى حالتين الجنبية والناط. فاذا اغتسل أحدكم فليستتر بجمد حائط أو
بيره أو يسقره أخوه * هذا مرسل من هذا الوجه وقد وصله البزار في مسنده من طريق جعفر بن
سليمان * وفيه كلام عن عقبة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ان الله ينهاكم
عن التمرى فاستحيوا من الله والذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يملكونكم الا عند احصى
ثلاث حالات الناط والجنب والنسل . فاذا اغتسل أحدكم بالمرء فليستر بشيء أو بجمد حائط أو بيره .
ومعنى اكرامهم أن يستحي منهم فلا يعل عليهم الاعمال القبيحة التي يكتبونها فان الله خفيهم كراما في
خفيهم وأخلاقهم * ومن كرمهم أنه قد ثبت في الحديث المروي في الصحيح والسنن والمسانيد من
حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه قال لا يدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا
جنب . وفي رواية عن عاصم بن ضمرة عن علي (ولا بول) وفي رواية رافع عن أبي سعيد مرفوعا
لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال . وفي رواية مجاهد عن أبي هريرة مرفوعا لا تدخل الملائكة بيتا
فيه كلب أو تمثال . وفي رواية ذكر أن أبي صالح السالك عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا تصحب
الملائكة رقة منهم كلب أو جرس . ورواه زرارة بن أوفى عنه لا تصحب الملائكة رقة منهم جرس *
وقال البزار حدثنا اسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقولوس . حدثنا يان بن حمران حدثنا
سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان ملائكة
الله يعرفون بني آدم (وأحبه قال) ويعرفون أعمالهم فاذا نظروا الى عبد يصل بطاعة الله ذكروه
بينهم وسموه وقالوا أطلع الاله فلان نجيا الاله فلان . واذا نظروا الى عبد يصل بمعصية الله ذكروه
بينهم وسموه . وقالوا هلك فلان الاله . ثم قال سلام أحبه سلام المدائني وهو لين الحديث . وقد قال
البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شبيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله
ﷺ الملائكة يتنصبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحتمون في صلاة الغبر وصلاة العصر . ثم يخرج
اليه الذين يؤاؤفكم فيسألهم وهو أعلم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون . وأتيناهم وهم
يصلون * هذا اللفظ في كتاب بدء الخلق بهذا السياق وهذا اللفظ تفرد به دون مسلم من هذا
الوجه * وقد أخرجه في الصحيحين في البيه من حديث مالك عن أبي الزناد * وقال البزار حدثنا
زيد بن أيوب حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي حدثنا تمام بن نعيم عن الحسن بن ميمون البصري عن أنس
قال قال رسول الله ﷺ ما من حافلين يرضان الى الله عز وجل ملحظا في يوم قيرى في أول الصبيحة
وفي آخرها استغفارا الا قال الله عز وجل لمبدي ما بين طرفي الصبيحة * ثم قال تفرد به تمام بن نعيم

وهو صالح الحديث • قلت وقد وثقه ابن معين وضمنه البخارى وأبو حاتم وأبو ذرعة والنسائى وابن عدى ورواه ابن جبان بالوضع وقال الامام أحمد لأعرف حقيقة أمره والمقصود أن كل انسان له حافظان ملكان اثنان واحد من بين يديه وآخر من خلفه يحفظانه من أمر الله بأمر الله عز وجل • وملك كل كاتبان عن يمينه وعن شمله وكاتب اليمين أمير على كاتب الشمال • كما ذكرنا ذلك عند قوله تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد »

فأما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر • حدثنا سفيان • حدثنا منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ • ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإليك يا رسول الله قال وإيلى ولكن الله أمانتى عليه فلا يأمرنى الا بخير • افراد باخراجه مسلم من حديث منصور به فيحمل أن هذا القرين من الملائكة غير القرين يحفظ الانسان وانما هو موكل به ليهديه ويرشده بلذن به الى سبيل الخير وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لا يلقوه جهدا في الغلب والاضلال • والمقصود من عصه الله عز وجل وبالله المستعان •

وقال البخارى حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والاخر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا كان يوم الجمعة كان على كل قلب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فلذا جلس الامام طهوا الصحف وجاؤا يسعون الذكر وهكذا رواه منفردا به من هذا الوجه وهو فى الصحيحين من وجه آخر • وقد قال الله تعالى « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » • وقال الامام أحمد حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ • وحدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فى قوله « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار • ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أسباط • وقال الترمذى حسن صحيح • قلت وهو منقطع •

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا مسعر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ • قال فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة • ويجمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر • يقول أبو هريرة إقرؤا ان شئتم « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » وقال البخارى حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت فبات غضبان لهنها الملائكة حتى تصبح • تأبه شعبة وأبو حمزة وأبو داود وأبو معاوية عن

الاعشى . وجمعت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال إذا أمن الامام فأمنوا فأن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . وفي صحيح البخارى حدثنا اسماعيل بن عمار قال قال الامام امين فان الملائكة تقول في السماء آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . وفي صحيح البخارى حدثنا اسماعيل بن عمار قال قال الامام امين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . وفي صحيح البخارى حدثنا اسماعيل بن عمار قال قال الامام امين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . وقال الامام احمد حدثنا ابو مسوية حدثنا الاعشى عن ابي صالح عن ابي هريرة عن ابي هريرة أن النبي ﷺ قال إذا قال الامام سمع الله لمن حمده قولا (اللهم ربنا ولك الحمد) فان من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك . وقال الامام احمد حدثنا ابو مسوية حدثنا الاعشى عن ابي صالح عن ابي هريرة أو عن ابي سعيد هوشك (يعني الاعشى) قال قال رسول الله ﷺ ان الله ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فلذا وجدوا اقواما يدكرون الله فنادوا هلموا الى بيتكم فيحيونهم الى السماء الدنيا فيقول الله أى شئ تركتم عبادى يصنعون فيقولون تركناهم يعبدونك ويعبدونك ويذكرونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لم أرؤى فيقولون لرأواك لكانوا أشد تحميذا وتعجيذا وذكرنا . قال فيقول فأى شئ يطلبون فيقولون يطلبون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول وكيف لرأوها فيقولون لرأوها لكانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا قال فيقول من أى شئ يدعون فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول فكيف لرأوها فيقولون لرأوها لكانوا أشد منها هربا وأشد منها خوفا . قال فيقول أشهدكم أى قد غفرت لهم . قال فيقول ان فيهم فلا الخطاء لم يردم إنما جاء لملحة فيقول هم القوم لا يشق بهم جلبهم . وهكذا رواه البخارى عن حمزة عن جرير بن عبد الحميد عن الاعشى . وقال رواه شعبة عن الاعشى ولم يرفه . ورفه سهيل عن أبيه . وقد رواه أحمد عن عثمان عن وهيب عن سهيل عن أبيه عن ابي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه كما ذكره البخارى مطلقا عن سهيل . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد عن وهب . وقد رواه الامام أحمد أيضا عن غندر عن شعبة عن سليمان (هو الاعشى) عن ابي صالح عن ابي هريرة كما أشار اليه البخارى رحمه الله . وقال الامام أحمد حدثنا أبو مسوية . حدثنا الاعشى وابن غير . أخبرنا الاعشى عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من فُض عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فُض الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في عون البعيد ما كان البعيد في عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحطهم الملائكة وذكروا الله فيمن عنده . ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه . وكذا رواه مسلم من حديث ابي مسوية . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابي اسحاق عن الأغر (أبى مسلم) عن

أبي هريرة وأبي سعيد عن رسول الله ﷺ . قال ما اجتمع قوم يذكرون الله الاحتميم الملائكة
وعشيتهم الرحمة وتزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده * وكذا رواه أيضا من حديث
إسرائيل وسفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق بن عمار * ورواه مسلم من حديث شعبة والترمذي
من حديث الثوري وقال حسن صحيح * ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم
عن عمار بن زريق عن أبي إسحاق بن عمار * وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة * وفي مسند الامام
أحمد والسنن عن أبي الدرداء مرفوعا (وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) أي
تواضع له كما قال تعالى « وانخفض لها جناح القلب من الرحة » وقال تعالى « وانخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين » وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله
ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال إن لله ملائكة سياحين في الارض ليلفتوني عن امقي السلام *
وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان الاعشى كلاهما عن عبد الله بن السائب *
وقال الامام أحمد . حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال
رسول الله ﷺ خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مخرج من نار وخلق آدم مما وصف
لكم * وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق *
والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة جدا وقد ذكرنا ما يسهل الله تعالى وله الحمد

فصل

وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال . فأكثر ما توجد هذه المسئلة
في كتب المتكلمين والنفلا فيهما مع المتزلة ومن واقفهم وأقنع كلام رأيت في هذه المسئلة ما ذكره
الحافظ بن عساكر في تلخيصه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه حضر مجلسا لمر بن
عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر ما أحد أكرم على الله من كرم بني آدم . واستدل بقوله تعالى « ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » وواقعه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد قال عراك
ابن مالك ما أحد أكرم على الله من ملائكة هم خدمة داريه ورسله الى أنبيائه . واستدل بقوله تعالى
« منها كما ربكنا عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا انطاين » قال عمر بن عبد العزيز
لحمد بن كعب القرظي ما تقول أنت يا أبا حزة * قال قد أكرم الله آدم خلقه بيده وفتح فيه من
روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذرية الأنبياء والرسول ومن يزوره الملائكة * فوافق عمر بن
عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله * وأضف دلائلا ما صرح به من الآية وهو قوله « ان الذين
آمنا وعملوا الصالحات » مضبوطة أنها ليست بخاتمة بالبشر * فان الله قد وصف الملائكة بالإيمان في

قوله « ويؤمنون به » وكذلك الجنان « والله سمعنا الحق آمنا به » « واتمنا الملعون » قلت وأحسن ما يستدل به في هذه المسئلة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وهو أصح قل لما خلق الله الجنة قالت الملائكة يا ربنا أجل لنا هذا نأكل منها ونشرب فانك خلقت الدنيا لبني آدم قال الله لن أجل صالح خزية من خلقت يدي كمن قلت له كمن فكان .

باب ذكر خلق الجن وقصة الشيطان

قال الله تعالى « خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجنان من مرج من نرفأى الآلام بكائنات كذبان » وقال تعالى « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجن خلقناه من قبل من نلر السموم » وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد (من مرج من نلر) قالوا من طرف اللهب وفي رواية من خالصة وأحسنه وقد ذكرنا آثما من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ خلقت الملائكة من نور وخلق الجنان من نلر وخلق آدم مما وصف لكم رواه مسلم . قل كثير من علماء التفسير خلقت الجن قبل آدم عليه السلام وكان قبلهم في الأرض الخن والبين فسلط الله الجن عليهم فتلوهم وأجلوهم عنها وأجلوهم منها وسكنوها بدم . وذكر السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على البرش فبصل ابليس على ملك الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سماوا الجن لانهم خزان الجنة . وكان ابليس من ملكة خازنا فوقع في صدره انما أصطاني الله هذا لمزية لي على الملائكة . وذكر الضحاك عن ابن عباس أن الجن لما أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء بث الله اليهم ابليس ومعه جند من الملائكة فتلوهم وأجلوهم عن الأرض الى جزائر البحور .

وقال محمد بن إسحاق عن خلاد عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس كان اسم ابليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل . وكان من سكان الأرض ومن أشد الملائكة اجتهدا وأكثرم عطا وكان من حى يقال لهم الجن . وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة عنه كان اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة من أولى الاجنحة الاربعة . وقد أسند عن حجاج عن ابن جريح قال ابن عباس كان ابليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة . وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان ساء الدنيا . وكان له سلطان الأرض . وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس كان يسوس ما بين السماء والأرض رواه ابن جرير وقال قتادة عن سعيد بن المسيب كان ابليس رئيس ملائكة ساء الدنيا . وقال الحسن البصري لم يكن من الملائكة طرفه عين وانه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر . وقال شهر ابن حوشب وغيره كان ابليس من الجن الذين طردوهم الملائكة فأفسره بعضهم ونهب به الى الساء . رواه ابن جرير . قلوا غلما

أراد الله خلق آدم ليكون في الأرض هو وذريته من بعده وصور جثته منهاجل ابليس وهو رئيس الجن وأكثرم عبادة اذ ذاك وكان اسمه عزازيل لطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يملك * وقال ألمثلن سلطت عليك لاهلكتك ولئن سلطت على لاعصيتك فلما أن فزع الله في آدم من روحه كما سيأتي وأمر الملائكة بالسجود له دخل ابليس منه حقد عظيم وامتنع من السجود له وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين تخالف الأمر واعترض على الرب عز وجل وأخطأ في قوله وابتعد من رحمة ربه وأزّل من مرتبته التي كان قد نلها بعبادته وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لانه مخلوق من نورهم من نور غفاته طبعه في أحوج ما كان اليه ورجع الى أصله النارى (فسيجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين » وقال تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتخفونه وذريته أولياء من دوى وهم لكم عدو يس فقل الذين يدلا »

فأهبط ابليس من الملائكة الأعلى وحرم عليه قدر أن يسكنه قعر الى الأرض حقيرا ذليلا مذموما مدحورا متوعدا بالنار هو ومن اتبعه من الجن والانس الا انه مع ذلك جامد كل الجهد على اضلال بني آدم بكل طريق وبكل مرصد كما قال (أرأيتك هذا اتقى كرمت على ثلث آخرن الى يوم القيامة لا تحسبك ذرية الا قبيلا. قال انجب فن يملك منهم قلن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستغفر من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بختيكت ورجبك وشاركهم في الاموال والأولاد وعدم وما يدمم الشيطان إلا غرورا. إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكلا)

وسند ذكر القصة مستفاضة عند ذكر خلق آدم عليه السلام * والمقصود أن الجن خلقوا من النار وهم كبنى آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون * ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون كما أخبر تعالى عنهم في سورة الجن في قوله تعالى (واذ صرفنا اليك غربا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم * يا قومنا أجبوا داعى الله وأمنوا به يخبر لكم من ذوبكم ويخرجكم من عذاب اليم * ومن لا ييب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين » وقال تعالى (قل أوحى الى أنه استمع غر من الجن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشاد فآمنوا به ولن فسررك ربنا أحدا . وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . وانه كان يقول سفيها على الله شططا . وأن غلبنا أنالنا حول الانس والجن على الله كذبا . وانه كان ذجالا من الانس يهوذن رجال من الجن فزادهم رجسا . وأنهم غلبوا كما غلبتم أن لن يبعث الله أحدا * وأنا لسنا الهاء فوجدت بها ملات حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا قد منها مقاعد السمع فن يستمع الآن يبعد له شهبا

رصدنا . وإنا لندري أنشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا • وإنا لما سمعنا الصالحون منا دون ذلك كنا طرائق قسدا • وإنا علمنا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا . وإنا لما سمعنا الهدى أمنا به فبنؤمن به ولا نخاف من الله خفا • وأعلمنا المسكون منا القاسطون . فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا • وإنا القاسطون فكأنوا لهم خطبا . وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لغنتهم فيه . ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعبا • وقد ذكرنا تفسير هذه السورة وتمام القصة في آخر سورة الاحقاف • وذكرنا الاحاديث المتعلقة بذلك هناك • وأن هؤلاء النفر كانوا من جن (نصيبين) وفي بعض الآثار من جن (بصري) وأنهم مروا برسول الله ﷺ وهو قائم يصلي بإحبابه يعطون نخلة من أرض مكة فوقفوا فاستمعوا لقراءته . ثم اجتمع بهم النبي ﷺ ليلة كاملة فسأله عن أشياء أسهرهم بها ونهاهم عنها وسأله الزاد فقال لهم (كل عظم ذكر اسم الله عليه يجودونه أو فرما يكون لما وكل روثه علف للوابك) ونهى النبي ﷺ أن يستنجي بها وقال (لبنها زاد إخوانكم) الجن . ونهى عن البول في السرب لأنها مساكن الجن . وقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة الرحمن فاجعل يتر فيها بآية (فبأي آلاء ربكنا تكذبن) الاقلوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد . وقد أنشئ عليهم النبي ﷺ في ذلك لما قرأ هذه السورة على الناس فسكتوا . قال (الجن كانوا أحسن منكم دما قرأت عليهم فبأي آلاء ربكنا تكذبن الاقلوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد) . رواه الترمذي عن جبير وابن جرير والبزار عن ابن عمر •

وقد اختلف في مؤمنى الجن هل يدخلون الجنة أو يكون جزاء طاعتهم ان لا يئيب بالنار قط . على قولين الصحيح أنهم يدخلون الجنة لمسوم القرآن • ولمسوم قوله تعالى • ولن خاف مقام رب جنتان . فبأي آلاء ربكنا تكذبن • فليكن تعالى عليهم بذلك فلو أنهم يتألمون لما ذكره وعنده عليهم من النعم • وهذا وحده دليل مستقل كاف في المسئلة وحده والله أعلم •

وقال البخاري حدثنا قتيبة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صمصة عن أبيه أن أبا سعيد الخدري قال له (لئى أراك تحب النعم والبادية فلذا كنت في غنك وبديتك غاذت بالصلاة ترفع صوتك بالثناء فيه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة) قال أبو سعيد سمعته من رسول الله ﷺ • انقذه به البخاري دون مسلم •

وأما كلفوا الجن ففهم الشياطين ومقتسمهم الأكبر إبليس عدو آدم أبى البشر وقد سلطه هو وذريته على آدم وذريته . وقبض الله عز وجل بمصمة من آمن به وحقق رسوله واتبع شرع منهم . كما قال • (لئن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) وقال تعالى • (وقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) . وما كانه عليهم من سلطان الا يعلم من يؤمن بالآخرة من هو منها

في شك وربك على كل شيء حفيظ » وقال تعالى (يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)

وقال (واذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فنفخنا فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا إبليس ملك أن لا تكون من الساجدين قال لم أكن لاسجد لبشر خففت من صلال من حماه مسنون قال فلخرج منها فانك رجيم وإن عليك العنة الى يوم الدين . قال رب فأعطني إلى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتني لأزين لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين . الا عبادك المخلصين قال هذا صراط على مستقيم . ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من العاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لما سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)

وقد ذكر تعالى هذه القصة في سورة البقرة وفي الاعراف وهنأ وفي سورة سبحان وفي سورة طه وفي سورة ص * وقد تكلمنا على ذلك كله في مواضع في كتابنا التفسير والله الحمد * وسنورد هنا في قصة آدم إن شاء الله * والمقصود أن إبليس أظفّر الله الى يوم القيامة محنة لعباده واختبارا منه لهم كما قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك . وربك على كل شيء حفيظ) * وقال تعالى (وقال الشيطان لما قضي الامر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فستجبني لي فلا تخفون ولو لموا أنفكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم * وأدخل الذين آمنوا وعلوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها لا يذوقون فيها عذابا *)

فإبليس لعنه الله حتى الآن منظر الى يوم القيامة بنص القرآن * وله عرش على وجه البحر وهو جالس عليه ويمت سرائله يقفون بين الناس الشر والفتن * وقد قال الله تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا وكان اسمه قبل مصيبه العظيمة عزازيل * قال النقاش وكنيته (أبو كردوس) ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صياد ما ترى قال أرى عرشا على الماء . قال له النبي ﷺ (احسأ قلن تمدو قدرك) فرف أن مادق مكاشفته التي كاشفه بها شيطانية مستمدة من إبليس الذي هو يناهده عرشه على البحر * ولهذا قال له احسأ قلن تمدو قدرك أي ان تجاوز قيمتك الدنية الخسيسة الحقيرة *

والدليل على أن عرش إبليس على البحر الذي رواه الامام احمد حدثنا أبو المعيرة حدثنا صفوان حدثني معاذ التميمي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ (عرش إبليس في البحر يمت

سراياه في كل يوم ينتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس « ورواه (١)
وقال أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت
رسول الله ﷺ يقول (عرش إبليس على البحر يبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم
فتنة) فخر به من هذا الوجه *

وقال أحمد حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله ﷺ (ابن صائد) ما ترى . قال أرى عرشا على الماء أو قال على البحر حوله حيات
قال ﷺ ذاك عرش إبليس * هكذا رواه في مسند جابر *

وقال في مسند أبي سعيد حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن
أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال (ابن صائد) ما ترى قال أرى عرشا على البحر حوله الحيات) فقال
رسول الله ﷺ صدق ذاك عرش إبليس *

وروى الامام أحمد من طريق ماذا التميمي وأبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
ﷺ إن الشيطان قد يسئ أن يعبد المصلون ولكن في التحريش (٢) بينهم * وروى الامام مسلم
من حديث الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر عن النبي ﷺ قال «لئن الشيطان يضع عرشه
على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة . ينجي أحدهم فيقول ما لأت
بفلان حتى تركه وهو يقول كذا وكذا . فيقول إبليس لا والله ما صنعت شيئا . وينجي أحدهم فيقول
ما تركت حتى فرقت بينه وبين أهله . قال فيقر به ويدينه ويقول نعم أنت . يروى بفتح النون بمعنى نعم أنت
ذاك الذي تستحق الاكرام . ويكسرهما أى نعم منك * وقد استدل به بعض النحاة على جواز كون فعل
نعم مضرا وهو قليل * واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج الاول ووجهه بما ذكرناه والله اعلم
وقد أوردنا هذا الحديث عند قوله تعالى «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» معنى أن السحر المتعلق
عن الشياطين من الانس والجن يتوصل به الى التفرقة بين المتألفين غاية التألف المتوحد بين المتحابين
ولهذا يشكر إبليس سعى من كان السبب في ذلك . فلقى ذمه الله بدمه والذى يفضله يرضيه
عليه لعنة الله * وقد أنزل الله عز وجل سورتي المودتين معارضة لاثوار الشر وأسبابه وغايته . ولا سيما
سورة «قل أعوذ برب الناس ملك الناس اليه الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس» . وثبت في الصحيحين عن أنس . وفي صحيح البخاري عن صفية بنت حسين
أن رسول الله ﷺ قال «لئن الشيطان يجرى من ابن آدم يجرى الهم» *

(١) يارضى بالملين مقداره ما ترى (٢) قوله في التحريش متعلق بمقدار أى سعى بينهم في التحريش

بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها محمود الأمام

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن جبير حدثنا علي بن أبي عمار حدثنا زيد القنيري عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «إن الشيطان واضع خطه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي التزم قلبه فتلك الوسواس الخاس * ولا تكن ذكر الله مطردة للشيطان عن القلب كان فيه تذكر للناس كما قال تعالى «واذكر ربك إذا نسيت» وقال صاحب موسى «وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره» وقال تعالى «فأنساه الشيطان ذكر ربه» يعني الساق لما قال له يوسف اذكرني عند ربك فنى الساق أن يذكره لربه يعنى مولاه الملك. وكان هذا النسيان من الشيطان فلبث يوسف في السجن بضع سنين ولهذا قال بعده «وقال الذى نجا منها وادكر بدأمة» أى مدّة * وقرئ بدأمة أى نسيان. وهذا الذى قلنا من أن الناس هو الساق هو الصواب من القولين كما قررته في التفسير والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبيهم يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال عمر بلهني ﷺ حماره قلت ففس الشيطان قال النهي ﷺ (لا تهل ففس الشيطان فانك إذا قلت ففس الشيطان فاعظم وقال بقرى صرخته وإذا قلت بسم الله تصغر حتى يصير مثل القلب) * فترد به أحمد وهو إسناده جيد * وقال أحمد حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد القنيري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إن أحكم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأفيس به كما يفس الرجل بدايته فإذا سكن له زقه أو ألجه * قال أبو هريرة وأنتم ترون ذلك. أما المزنوق فقرأ ما تلاكنا لا يذكر الا الله * وأما الملجم فتأخّر فله لا يذكر الله عز وجل فترد به أحمد * وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعنى ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «العين حق ويحضرها الشيطان وحده ابن آدم» * وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال (جاء رجل الى النهي ﷺ قال يا رسول الله إني أحدث ففس بلهني لأن آخر من النباه أحب الى من أن اتكلم به) قال النهي ﷺ «الله أكبر الحمد لله الذى رد كيدك الى الوسوسة» * ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والأعشى كلاما عن أبي ذر به *

وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة قال قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «يأتى الشيطان أحكم يقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ذلك فإذا بلغه فليستد بالله وليته * وهكذا رواه مسلم من حديث الليث ومن حديث الزهري وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به * وقد قال الله تعالى «إن الذين اتوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فقام بمضرون» وقال تعالى «وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون» وقال تعالى «وإما يزعجك من الشيطان فزعجته بالله انه سميع عليم» وقال تعالى

(فإذا قرأت القرآن فليستد بالله من الشيطان الرجيم إله ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون - إما سلطاناً على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) . وروى الإمام أحمد وأهل السنن من حديث أبي المتوكل عن أبي سعيد قال كان رسول الله ﷺ يقول (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه وضنه وغته) . وجاء مثله من رواة جبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود وإبي أسامة الباهلي . وتفسيره في الحديث (فهزه الموتة وهو الخلق الذي هو الصرع وضنه الكبير . وغته الشر) . وثبت في الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال «أعوذ بالله من الخبيث والخبيثات» قال كثير من العلماء استعاذ من ذكران الشياطين وإثمهم . وروى الإمام أحمد عن شرح عن عيسى بن يونس عن ثور عن الحسين عن ابن سعد أن ثور كان من أصحاب عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (ومن أتى النائط فليستتر فإن لم يجد إلا أن يجمع كتيفاً فليستدبره فإن الشيطان يلمب بمقاعده بني آدم من قبل فقد أحسن ومن لا فلا حرج) . ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ثور بن يزيد به . وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن عدى بن ثابت قال قال سليمان بن صرد استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه منفضاً قد احمر وجهه قال النبي ﷺ (إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد . لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) قالوا الرجل ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ قال إني لست بمجنون . ورواه أيضاً مسلم وأبو داود والترمذي من طرق عن الأعمش .

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حبيب الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال (لا يأكل أحدكم بشاة ولا يشرب بشاة فإن الشيطان يأكل بشاة ويشرب بشاة) . وهذا على شرط الصحيحين بهذا الاستناد وهو في الصحيح من غير هذا الوجه .

وروى الإمام أحمد من حديث إسماعيل بن أبي حكيم عن عروة عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال (من أكل بشاة أكل مع الشيطان ومن شرب بشاة شرب مع الشيطان) . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أنبأنا شعبة عن أبي زياد الطحان سمعت أبا هريرة يقول عن النبي ﷺ أن أمة رجل لا يشرب قائماً فقال له (ه) قال لم . قال (أيسرك أن يشرب ملك امرئ) قال لا قال (فإنه قد شرب منك من هو شر منه الشيطان) . فردد به أحمد من هذا الوجه . وقال أيضاً حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (لو يعلم القى يشرب وهو قائم ما فبطنة لاستقاء) قالوحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثل حديث الزهري . وقال الإمام أحمد حدثنا موسى حدثنا ابن لميعة عن ابن الزبير أنه سأل جابرًا

سمعت النبي (١) ﷺ قال (إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان لاميت لكم ولا عشاء ههنا. وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال أدركم الميت. وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أحرکم الميت والعشاء. قال نعم * وقال البخاري حدثنا محمد حدثنا عبدة حدثنا محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يضيئ ولا يحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فلها تطلع بين قرني الشيطان » أو (الشياطين) لا أدري أي ذلك قال هشام * ورواه مسلم والنسائي من حديث هشام به * وقال البخاري حدثنا عبد الله بن مسleme عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق فقال ههنا الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان * هكذا رواه البخاري منفردا به من هذا الوجه. وفي السنن أن رسول الله ﷺ نهي أن يجلس بين الشمس والقمر. وقال إنه مجلس الشيطان * وقد ذكرنا في هذا معنى من أحسنها أنه لما كان الجلوس في مثل هذا الموضع فيه تشويه بطلقة فيا يرى كأن يحبه الشيطان لأن خلقته في نفسه مشوه وهذا مستقر في الأذهان. ولهذا قال قتالي (طلما كان رؤس الشياطين) الصحيح أنهم الشياطين لا ضرب من الحيات كما زعم من زعمه من المفسرين والله أعلم * فإن النفوس مغرور فيها فيح الشياطين وحسن خلق الملائكة وإن لم يشاؤا. ولهذا قال قتالي (طلما كان رؤس الشياطين) وقال النسوة لما شاهدن جمال يوسف (حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم). وقال البخاري حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا ابن جريج أخبرني عطاء عن جابر عن النبي ﷺ قال (إذا استنجح) أو (كان جنب الليل) فكفوا صديانكم فإن الشياطين تنشر حينئذ فذا ذهب ساعة من العشاء فظوم (٢) وأغلق بابك واذكر اسم الله وألق مضباحك واذكر اسم الله وأوك ستارك واذكر اسم الله وخر إناك واذكر اسم الله ولو تمرض عليه شيئا * ورواه أحمد عن يحيى عن ابن جريج وعنده من الشيطان لا يفتح متفقا. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن قس (٣) عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « أغلقوا أبوابكم وخرُوا آئنتكم وأوكوا أسقيتكم وأطفأوا سرجكم فإن الشيطان لا يفتح بابا متفقا ولا يكشف غطاء ولا يحمل وكاء وإن الفريقة تضرع البيت على أمه يعني القنطرة. وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة (٤) عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي »

(١) قوله سمعت النبي الخ يفتح التاء وهو استفهام من جابر عن الحديث الآتي فهو بيان لسؤال ابن الزبير جابرا. وجوابه قوله الآتي نعم (٢) المراد من الحل بلقاء المهمة المفتوحة خلاصتهم (٣) قوله عن قس كذا بالأصول وليس من الروايات من تسمى هذا (٤) نسخة حدثنا منصور عن سالم بن محمود الإمام

أَمَلَهُ قَالَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْنِي فَلَنْ كَانَ مِنْهَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ وَلَمْ يُلْطِ عَلَيْهِ . وَحَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ سَالِمٍ عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلُهُ *

وردوا أيضا عن موسى بن إسماعيل عن مهران عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (أما لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فرزقا ولما يضره الشيطان) • وقال البخاري حدثنا إسماعيل حدثنا أخي عن سليمان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن السيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «يقعد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو لم يثلاث عتد. يضرب على كل عتدة مكعبا» عليك ليل طويل فلقد «فان استيقظ فذكر الله انحلت عتدة. فان تروا انحلت عتدة. فان صلى انحلت عتدة كلها فأصبح شيطنا طيب النفس ولا أصبح خبيث النفس كالان» هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه. وقال البخاري حدثنا إبراهيم عن حمزة حدثني ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (إذا استيقظ أحدكم من منامه فوضأ فليستثر ثلثا فان الشيطان يبيت على خيشومه) ورواه مسلم عن بشر بن الحكم عن الدراوردي والنسائي عن محمد بن زبور عن عبد العزيز بن أبي حازم كلاهما عن يزيد بن الهادي به • وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال «ذكر عند النبي ﷺ رجل لم يله ثم أصبح قال ذاك رجل بل الشيطان في أذنه» أو قال (في أذنه) •

ورواه مسلم عن عثمان واسحاق كلاهما عن جرير بن . واخرجه البخاري أيضا والنسائي وابن ماجه
من حديث منصور بن الحنظل . وقل البخاري حدثنا محمد بن يوسف أنبأنا الأوزاعي عن يحيى
ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إذا نوى بالصلاة أدبر الشيطان
وله ضراط فإذا قضى أقبل فثأوب بها أدبر فلذا قضى أقبل حتى يخطئ بين الإنسان وقلبه . فيقول
إذا كر كذا وكذا حتى لا يدري أم لا صلى أم أم لا صلى أم يدري أم لا صلى أم أم لا صلى . فيقول
هكذا رواه متفردا به من هذا الوجه . وقال احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا جعفر يعني الأحمر
عن عطاء بن السائب عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « راصوا الصفوف فإني أرى الشيطان يقوم في الخلل »
وقال أحمد حدثنا ابن حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يقول راصوا الصفوف
وقاربوا بينها وحاذوا بين الأعناق فوالذي نفس محمد بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف
كأنه الخنف . وقال البخاري حدثنا أبو مسر حدثنا عبد الوارث حدثنا يونس عن حميد بن هلال
عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « إذا مر بين يدي أحدكم شيء فليمنه فإن أبي
فليمنه فإن أبي فليمنه فإنا هو شيطان » ورواه أيضا مسلم وأبو داود من حديث سليمان بن المغيرة عن

حيد بن حلال * وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا بشر بن مبيد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي فذهبت أسرى بين يديه فردني * ثم قل حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه يقرأ فاتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لو رأيتموني وإليس فأهويت يدي فاذلت أختي حتى وجدت برد لملأه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح صربوطا يسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفل * وروى أبو داود منه فمن استطاع الى آخره عن أحمد بن أبي سريج عن أبي أحمد محمد بن عبد الله بن محمد بن الزبير به . وقال البخاري حدثنا محمود حدثنا شبابة حدثنا شعبة عن محمد بن زيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « أنه صلى صلاة قال ان الشيطان عرض لي فدعيت على قطع الصلاة على فامكنني الله منه » وذكر الحديث * وقد رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به مطولا .

ولفظ البخاري عند تفسير قوله تعالى اخبارا عن سليمان عليه السلام أنه قال « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بدى انك أنت الوهاب » من حديث روح وغندر عن شعبة عن محمد بن زيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (إن عزيئا من الجن خلت على الباحة) أو كفة نحوها يقطع على الصلاة فامكنني الله منه فلدت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتظفروا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بدى انك أنت الوهاب) قال روح فردته خاسئا * وروى مسلم من حديث أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قام رسول الله ﷺ يصلي فسمناه يقول (اعوذ بالله منك) ثم قال (النك بلسنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك قوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يديك فقال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من لو ليحمله في وجهي قلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات . ثم قلت النك بلسنة الله التامة فلم يتأخر ثم أردت أخيه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موقعا يلعب به ولدان أهل المدينة . وقال قتادة فلا تزكم الحياة الدنيا ولا يزكم الله التورود) يعني الشيطان وقال قتادة (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) والشيطان لا يأنس إلا بالإنسان خيالا جهده وطاقته في جميع أحواله وحركاته وسكناته كما صنف الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتابا في ذلك سماه (مصائد الشيطان) وفيه فوائد جمة . وفي سنن أبي داود إن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه . وأعوذ بك ان يتخطى الشيطان عند الموت . وروينا في بعض الاخبار أنه قال (يلرب وعزك وجلاك لا أزال أغفرهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم) قال الله تعالى وعزى وجلابى ولا أزال أغفر لهم ما استغفرونى) وقال الله تعالى (الشيطان

يهدمكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يهدمكم منفرة منه وفضلا والله واسع علم) فوعد الله هو الحق المصدق ووعد الشيطان هو الباطل . وقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه وابن أبى حاتم فى تفسيره من حديث عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ان لا شيطان لمة بان آدم ولعلك لمة . فآلمة الشيطان فأبياد بالبشر وتكذيب بلقي . وأما لمة الملك فأبياد بالبشر وتصديق بلقي . فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتنوذن من الشيطان ثم قرأ « الشيطان يهدمكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يهدمكم منفرة منه وفضلا والله واسع علم » * وقد ذكرنا فى فضل سورة البقرة أن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه . وذكرنا فى فضل آية الكرسي أن من قرأها فى ليلة لا يقر به الشيطان حتى يصبح . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (من قال لا إله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ملئه مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر من ذلك . وأخرجه مسلم والترمذى وابن ماجه من حديث مالك . وقال الترمذى حسن صحيح .

وقال البخارى أنبأنا أبو اليان أنبأنا شبيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب بطعن فطعن فى الحجاب . فترد به من هذا الوجه . وقال البخارى حدثنا عاصم بن علي حدثنا بن أبي ذئب عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « التناؤب من الشيطان فإذا تناوب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال (ها) تحك الشيطان » . ورواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه النسائى من حديث ابن أبي ذئب به * وفى لفظ (إذا تناوب أحدكم فليكنظم ما استطاع قلن الشيطان يدخل) وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن محمد بن مجلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إن الله يحب المطاس ويغض أو يكره التناؤب فإذا قال أحدكم هاها فاعلم ذلك الشيطان يضحك من جوفه . ورواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن مجلان به . وقال البخارى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن أشعث عن أبيه عن مسروق قال قالت عائشة سألت النبي ﷺ عن التثاقل الرجل فى الصلاة قال هو اختلاس يختله الشيطان من صلاة أحدكم . وكذا رواه أبو داود والنسائى من رواية أشعث بن أبي الشعثاء سليم بن أسود المخابرى عن أبيه عن مسروق به *

وروى البخارى من حديث الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير حدثني عبد الله بن أبي قتادة عن

أبوه قال قال رسول الله ﷺ « الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلما بخافه فليصق عن يساره وليتمود بالله من شرها فاتها لا تنصره » . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا يشيرون أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن يزرع في يده فيقع في حفرة من النار » . أخرجه من حديث عبد الرزاق .
وقال الله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير)
وقال « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان ملود . لا يسمعون الى الملائكة الا على ويقتفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب . الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثقب »
وقال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » وقال تعالى « وما ننزل به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون آتهم عن السمع لم يزلون » وقال تعالى اخبارا عن الجن « وأنا لمنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهابا . وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا »

وقال البخاري وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن أبا الاسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ قال الملائكة تبحث في التان (والتان التانم) بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فخرها في اذن الكاهن كما تهر التارورة فيزيدون منها مائة كلمة ^(١) . هكذا رواه في صفة الملبس ملقا عن الليث به . ورواه في صفة الملائكة عن سعيد بن أبي مريم عن الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن ابني الاسود عن عروة عن عائشة بنحوه * تفرد بهذين الطريقين دون مسلم * وروى البخاري في موضع آخر ومسلم من حديث الزهري عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال « قالت عائشة سألت ناس النبي ﷺ عن الكهان قال «انهم ليسوا بشيء» * قالوا يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقا قال ﷺ تلك الكلمة من الحق يخطئها من الجني فيقررها في اذن وليه كقررة السحابة فيخطئون منها مائة كذبة * هذا لفظ البخاري *

وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول إن نبي الله ﷺ قال « اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بجنحتها خضعات حقوله كأنه سلسلة على صفوان . فلذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا قلنى قال . الحق وهو الملى الكبير . فيسمعها مسترق السمع . ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض . ووصف سفيان بكنهه غرفها وبدد بين أصابعه . فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الآخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر او الكاهن . فرمما أدرك الشهاب قبل أن يلقها وربما اتاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة

كذبة فيقال ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا وكذا . فيصدق بذلك الكلمة التي سمعت من السماء
 افرد به البخاري * وروى مسلم من حديث الزهري عن علي بن الحسين زين العابدين عن ابن عباس
 عن رجال من الانصار عن النبي ﷺ نحو هذا . وقال تعالى (ومن يش عن ذكر الرحمن فليس
 له شيطاناً فهو له قرين . ولهم ليصونهم عن السيل ويحسون أنهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال يا ليت
 بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وقال تعالى (وقضنا لهم قرناه فزينا لهم ما بين أيديهم وما
 خلفهم) الآية وقال تعالى (وقال قرينه ربنا ما أطعته ولكن كان في ضلال مبين . قال لا تتخصموا لي
 وقد قدمت اليك بالوعيد . ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل
 نبي عدوا شياطين الانس والجن يحوس بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . ولو شاء ربك ما فلوه
 قدرهم وما يفترون . ولتصني اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليفتروا ما هم مقترون)
 وقد قدمنا في صفة الملائكة ما رواه أحمد ومسلم من طريق منصور عن سالم بن أبي الجعد عن
 أبيه واسمه رافع عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه
 من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا
 يأمرني الا بخير *

وقال الامام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه واسمه حسين بن جندب
 وهو أبو غليان الجني عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ليس منكم من أحد الا وقد وكل به
 قرينه من الشياطين قالوا وأنت يا رسول الله قال نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم * فزده أحمد وهو
 على شرط الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا هارون حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابراهيم بن
 يزيد بن قسيط حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ
 «خرج من عندها ابلا قالت ففرت عليه قالت فجاء فرأى ما أصنع فقال ملك يا عائشة أغرت قالت قلت
 ومالي أن لا ينفار مثلي على ذلك قال رسول الله ﷺ «أفأخفك شيطانك قالت يا رسول الله أو منى
 شيطان . قال نعم . قلت ومع كل انسان . قال نعم . قلت وسلك يا رسول الله قال نعم ولكن ربي أعانني
 عليه حتى أسلم * وهكذا رواه مسلم عن هارون وهو ابن سعيد الأيلي بسنده نحوه .

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لحيمة عن موسى بن وردان عن ابي هريرة أن
 النبي ﷺ قال «ان المؤمن لينسئ شيطانه كما ينسئ أحدكم ببيره في السفر» فزده أحمد من هذا الوجه
 ومعنى لينسئ شيطانه ليأخذ بناصيته فينطه ويهزه كما يفعل بالبير اذا شرد ثم غلبه . وقوله تعالى
 إخبارا عن ابليس « قال فبما أغويتني لأقعدن لهم مرابطا المستقيم . ثم لا آتينهم من بين أيديهم ومن
 خلفهم وعن أيمانهم وعن شمالكهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » *

قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو ذؤيب هو عبد الله بن عقيل الثقفي حدثنا موسى ابن السبيعي سالم بن أبي الجعد عن سيرة بن أبي فاكه قال سمعت رسول الله ﷺ قال «إن الشيطان قد لا ين آدم بأطرفة قد له بطريق الاسلام قال أنتم وتذر دينك ودين آبائك . قال فصماه وأسلم قال وقد له بطريق الهجرة قال أتهاجر وتذر لوزك ومساك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فصماه وهاجر . ثم قبله بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال قال أقاتل فقتل ففكح المرأة ويقسم المال قال فصماه وجاهد » قال رسول الله ﷺ « فمن فعل ذلك منهم كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وإن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن كان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا عباد بن مسلم الفزاري حدثني جبير بن ابى سليمان ابن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول لم يكن رسول الله ﷺ يرد هذه الدعوات حين يصبح وحين يمسي « اللهم اني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي اللهم اغفر لي من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك بظلمتك أن أغتال من تحتي » قال وكيع يعني الخلف ودواه أبو داود والنسائي ولبن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عباد بن مسلم به . وقال الحاكم صحيح الاسناد *

باب ما ورد في خلق آدم عليه السلام

قال الله تعالى (واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويفك النعماء ونحن نُسبح بحمديك وقدس لك . قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها . ثم عرضهم على الملائكة . قال أنبؤني بسلامة هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بسلامتهم قلما أنبأهم بسلامتهم قال لم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس . أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة . وكلا منها رغدا حيث شئتما . ولا تهرما هذه الشجرة فكونا من الظالمين . فأولها الشيطان عنها فخرجهما مما كانا فيه . وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو . ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين . فخلق آدم من ربه كلمات . فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا قلما أنبئكم مفي هدى . فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وقال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال تعالى (يا أيها

الناس اتوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتوا الله الذى تسالون بهو الارحام . إن الله كان عليكم رقيباً » كما قال « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاهم » قال الله عليهم خير . وقال تعالى « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » الآية وقال تعالى « وقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نر وخلقته من طين . قال فاهبط منها . فما يكون لك أن تسكبر فيها فخرجناك من هناك من الصاغرين . قال انظرنى الى يوم يعثرون . قال انك من المنظرين . قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا يبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيائهم وعن شمالكهم ولا ينجي أحداً منكم الا بيمينى » قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبك منهم لا ملأن جهنم منك أجمعين . وبأدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ففسدوا من الظالمين . فوسوس لها الشيطان ليبدى لها ما ووردى عنها من سواهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقامهما الى لكان من الناصحين . فدلاهما فرور . فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطلعا يعضقان عليهما من ورق الجنة . ونذاهما ربهما ألم اتكما عن تلكا الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . فلا ربنا ظفنا أنفسنا . وان لم تتفلسنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بضركم لبعض عدو . ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » . كما قال فى الآية الاخرى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) . وقال تعالى (وقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجنان خلقناه من قبل من نل السوم . واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر من صلصال من حمأ مسنون . فلما سويته ونفخت فيه من روحي سجدوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين . قال يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون . قال فخرج منها فانك رجيم . وإن عليك اللعنة الى يوم الدين . قال رب فأظفرنى الى يوم يعثرون . قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتنى لأرسلن لهم فى الأرض ولا أغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين » قال هذا صراط على مستقيم . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من التاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . وقال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس . قال أسجد لمن خلقت طينا . قال أرايتك هذا الذى كرمت على نلن أخرن الى يوم القيامة لأحتسبن ذريته الا قليلا . قال اذهب فى تبك منهم فلن جهنم

جزاؤكم جزاء موفورا . واستغفر من استغفرت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم في الاموال والاولاد وعدمهم وما يبدى الشيطان الاغورا . ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكفى برك وكلاء وقال تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . فسجدوا الا ابليس كان من
الجن فشق عن امر ربه . فاستخفوه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » وقال
تعالى « ولقد عهدنا الى آدم من قبل قسوى ولم نجد له عزما . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس أبى » قلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ان لا
تخرج فيها ولا تمرى . وأنت لا تقفأ فيها ولا تضى . فوسوس اليه الشيطان . قال يا آدم هل أدلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدلت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة .
وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو .
فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له ميسرة
ضنكا ونحسره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا
فستيتها وكذلك اليوم تنسى . وقال تعالى (قل هوأنا عظيم أتم عنه مرضون . ما كان لى من علم باللا
الأعلى اذ يخصمون إن يوحى الى الآتيا أناذير مبين . اذ قال ربك للملائكة ائى خالق بشرنا من
طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فتهوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا
ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم
كنت من العالين . قال أناخير منه خلقتنى من نور وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم . وان
عليك لعنتى الى يوم الدين . قال رب فأعظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من النافرين الى يوم الوقت
المعلوم . قال فبئزك لا غوينهم أجمعين إلا عبادة منهم المخلصين . قال فطلق والحق أقول لا ملأن
جهنم منك وعمى تبعك منهم أجمعين . قل ما أسخطكم عليه من أجر وما أنا من المكلفين . ان هو
الا ذكر العالمين . ولتعلن نياه يدي حين) *

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن * وقد تكللنا على ذلك كله فى التفسير *
ولنذكر هنا مضمون ما دلت عليه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الاحاديث الواردة
فى ذلك عن رسول الله ﷺ * والله المستعان *

فأخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم « ائى جاعل فى الارض-لمية » أعلم بما يريد أن يخلق من آدم
وذريته الذين يختلف بعضهم بعضا كما قال (وهو الذى جعلكم خلافا) الارض فخيرهم بذلك على سبيل
التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالامر العظيم قبل كونه صالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف
والاستعلام عن وجه الحكمة لاعلى وجه الاعتراض والتقص لبقى آدم والحمد لهم كما قد يتوهم بعض

جهة المفسرين • قالوا (أنجيل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قيل علوا ان ذلك كنن بما رواه من
كان قبل آدم من الجن والبن قاله قتادة •

وقال عبد الله بن عمر كانت الجن قبل آدم بالثاني عام فسفكوا الدماء فبث الله اليهم جنودا من
الملائكة فطردوهم الى جزائر البحور • وعن ابن عباس نحوه • وعن الحسن الملوأ ذلك • وقيل لما
اطلوا عليه من اللوح المحفوظ قيل أظلمهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له الشجل •
رواه ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر • وقيل لآلهم علوا ان الأرض لا يخلق منها الا من يكون بهذه
الثابة غالبا (ونحن نسبح بحمدك وقدس لك) اى نبيدك دائما لا يصيبك منا أحد • فان كان المراد
بخلق هؤلاء ان يبدوك فما نحن لا فتر ليلا ولا نهارا (قل ابنى اعلم مالا تعلمون) اى اعلم من المصلحة
الراجعة في خلق هؤلاء مالا تعلمون اى سيوجد منهم الانبياء والمرسلون والصديقون والشهداء
ثم بين لهم شرف آدم عليهم في العلم قال (وعلم آدم الاسماء كلها) قال ابن عباس هي هذه الاسماء التى
يتعارف بها الناس لإنسان وداية وأرض وسهل وبحر وجبل وجبل وحمار وأشياء ذلك من الامم وغيرها •
وفى رواية عنه اسم الصحة والتندر حتى الفسوة والفسية • وقال مجاهد عليه اسم كل دابة وكل طير وكل شئ •
وكذا قال سعيد بن جبير وقادة وغير واحد • وقال الربيع عنه أسماء الملائكة • وقال عبد الرحمن
ابن زيد عليه اسماء ذرية والصحيح أنه عليه اسماء القنوت وافعالها مكبرها ومصرها كما أشار اليه ابن
عباس رضى الله عنهما • وذكر البخارى هنا ما رواه هو ومسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن
أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استغنينا الى ربنا فيأتون
آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ) وذكر تمام
الحديث • (ثم عرضهم على الملائكة قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) قال الحسن البصرى
(لا اراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه فاجلوا بهذا) وذلك قوله (ان
كنتم صادقين) وقيل غير ذلك كما بطلناه في التفسير قالوا (سبحانك لا علم لنا الا ما علنتنا انك أنت
العليم الحكيم) اى سبحانك أن يحيط أحد بشئ من علمك من غير تعليمك كما قال (ولا يحيطون بشئ
من علمه الا بما شاء) (قال يا آدم أأنهم يسمئهم هذا أنيأهم يسمئهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب
السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) اى أعلم السر كما أعلم اللاتية • وقيل إن المراد
بقوله وأعلم ما تبدون ما قلوا أنجيل فيها من يفسد فيها وقوله وما كنتم تكتمون المراد بهذا الكلام
ابليس حين أسر الكبر والتخيرة على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدى والضحاك
والثورى واختاره ابن جرير • وقال أبو الباقية والربيع والحسن وقادة (وما كنتم تكتمون) قولهم لن
يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه • قوله (واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا)

الا ابليس أبى واستكبر) هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه يده وفتح فيه من روحه •
 قال (فلذا سويته وفتح فيه من روحى قصوا له ساجدين) فهذه أربع تشرىفات خلقه له يده
 الكريمة وفتح فيه من روحه • وأمره الملائكة بالسجود له وتعليبه أسماء الاشياء ولهذا قيل له موسى
 السلام حين اجتمع هو وإياه فى الملأ الأعلى وتناظرا كما سيأتى (أنت آدم أبو البشر الذى خلقك
 الله يده وفتح فىك من روحه وأسجدك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ • وهكذا يقول أهل
 المحشر يوم القيامة كما تقدم وكما سيأتى ان شاء الله تعالى وقال فى الآية الاخرى (وقد خلقناكم ثم
 صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين • قال ما منعك
 ان لا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نوره وخلقته من طين) • قال الحسن البصرى
 قاس ابليس وهو أول من قاس • وقال محمد بن سيرين أول من قاس ابليس وما عسبت الشمس
 ولا القمر الا بلقيس • رواها ابن جرير ومعنى هذا انه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم
 فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له مع وجود الامر له ولأمر الملائكة بالسجود •
 والقياس اذا كان مقابلا لمن كان قاسد الاعتبار • ثم هو قاسد فى نفسه فان العين أنعم وخير من النار
 فان العين فى الرزاق والحلم والأناة والنمو والنار فيها العيش واللطف والسرعة والاحراق • ثم آدم
 شرفه الله بحقه له يده وفتح فيه من روحه • ولهذا أمر الملائكة بالسجود له • كما قال (اذ قال ربك
 للملائكة انى خلق البشر من صلصال من حأ مسنون • فلذا سويته وفتح فيه من روحى قصوا له
 ساجدين • فسجد الملائكة كلهم أجمعون • الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين • قال يا ابليس مالك
 أن لا تكون مع الساجدين • قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حأ مسنون • قال
 فخرج منها فانكسجيم • وان عليك العنة الى يوم الدين) استحق هذا من الله تعالى لانه استلزم نقصه
 لآدم وازدراؤه به وترفضه عليه مخالفة الأمر الأعلى ومما عدا الحق فى النص على آدم على التبيين
 وشرع فى الاحتذار بما لا يجدى عنه شيئا • وكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى فى سورة سبأ
 (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أسجد لمن خلقت طينا • قال أرأيتك هذا
 الذى كرمت على ثلثين آخرتنا الى يوم القيامة لأحتكن ذرية الا قليلا • قال انصب فى نيتك منهم
 فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا • واستغزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك
 وشاركهم فى الأموال والاولاد وعدم وما يقدم الشيطان الا غرورا • ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
 وكفى بربك وكيل) وقال فى سورة الكهف (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
 كان من الجبن فسحق عن أمر ربى) أى خرج عن طاعة الله عدا وعتادا واستكبارا عن امتثال أمره
 وما ذاك الا لانه خاف طبعه ومادته الخبيثة أخرج ما كان الهياقه مخلوق من نور كما قل وكما قدرنا فى

صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال (خلق الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) *

قال الحسن البصري . لم يكن ابليس من الملائكة طرقة عين قط . وقال شهر بن حوشب . كان من الجن فلما أفسدوا في الارض بعث الله اليهم جنداً من الملائكة فتكلموا وألجموا الى جزائر البحار وكان ابليس من أسر فأخذوه معهم الى السماء فكان هناك . فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع ابليس منه . وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون . كان ابليس رئيس الملائكة بسلامة الدنيا . قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل : وفي رواية عن الطائفة قال القاش وكنيته (أبو كردوس) قال ابن عباس . وكان من حي من الملائكة يقال لهم الجن وكثروا خزان الجنان وكان من أشرفهم وأكثرهم علماً وعبادة وكان من أولى الاجنحة الاربعة فسخره الله شيطاناً رجيحاً . وقال في سورة ص « اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته وفخت فيه من روحي قنوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منك أن تسجد لما خلقت يدي أستكبرت أم كنت من العالين . قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال فبئزك لاغويهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين قال فلقى ولقى الحق وأقول لأملن جهنم منك ومن بيتك منهم أجمعين » وقال في سورة الاحراف (قال فبا أغويقي لأقصدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا يبينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شاكلهم ولا نعيد أكثرهم شاكرين) أي بسبب اغوائك ايلي لأقصدن لهم كل مرصد ولا يبينهم من كل جهة منهم فأسعد من خالفه والشقي من اتبعه *

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عجيل (هو عبد الله بن عجيل الثقفي) حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن سيرة بن أبي الفاكه قال سمعت رسول الله ﷺ قال (ان الشيطان بقدر لابن آدم بأطرقه) وذكر الحديث كما قدمناه في صفة ابليس *

وقد اختلف المفسرون في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم . فم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور . أو المراد بهم ملائكة الارض . كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس . وفيه اقطاع . وفي السياق نكارة وان كان بعض المتأخرين قد رجحه ولكن الاظهر من السياقات الاول ويدل عليه الحديث وأسجد له ملائكته وهذا عموم أيضاً والله أعلم . وقوله تعالى لا بليس (أهبط منها) و(أخرج منها) دليل على أنه كان في السماء فأمر بالمهبوط منها وانخرج من الميزة والملاكة التي كان قد فلما بعباده وتشبه بالملائكة في الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بكبره وحده

ومخالته ليه فأهبط الى الارض مذموما مدحورا . وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجه الجنة
 قال (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
 من الظالمين) وقال في الأعراف (قال اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبك منهم لامتن جهنم منكم
 أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
 من الظالمين) وقال تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى قلنا يا آدم ان
 هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك أن لا تجوع فيها ولا تمرى وأنتك
 لا تنظما فيها ولا تضعى) وسياق هذه الآيات يقتضى أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة لقوله
 (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) وهذا قد صرح به اسحاق ابن بشار وهو ظاهر هذه الآيات
 ولكن حكى السدى عن ابى صالح وأبى مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن نلس
 من الصحابة أنهم قالوا اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشى ليس له فيها
 زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدية . خلقها الله من ضلعه . فأنها من أنت
 قالت امرأة قال ولما خقت قالت لتسكن الى فقال له الملائكة ينظرون ما يبلغ من علمه (ما اسمها
 يا آدم) قال حواء قالوا ولم كانت حواء قال لانها خقت من شئ حتى . وذكر محمد ابن اسحاق عن ابن
 عباس أنها خقت من ضله الاقصر الایسر وهو نثم ولأم مكاه لحا ومصدق هذا في قوله تعالى (يا أيها
 الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء)
 الآية وفي قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تنقشاها
 حملت حملا خفيا فررت به) الآية وستحكم عليها فيما بعد ان شاء الله تعالى *

وفي الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الاشجعي عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبي
 ﷺ أنه قال (استوصوا بالنساء خيرا - فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج شئ في الضلع أعلاه فان
 ذهبت تقيمته كسرتة وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا) لفظ البخارى

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة » فقيل هى الكرم وروى عن ابن
 عباس وسعيد بن جبير والشعبي وجدة بن هيرة ومحمد بن قيس والسدى في رواية عن ابن عباس وابن
 مسعود ونلس من الصحابة قال وتزعم يهود أنها الخنطة . وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصرى
 ووهب بن منبه وعطية السوفى وأبى مالك ومخارب بن دكر وعبد الرحمن بن أبى لیلی * قال وهب والحبة
 منه ألين من الزبد وأحلى من السل . وقال الثورى عن ابى حصين عن أبى مالك ولا تقربا هذه الشجرة
 هى النخلة * وقال ابن جرير عن مجاهد هى التينة وبه قال قتادة وابن جرير وقال أبو المألية كانت شجرة
 من أكل منها أحضت ولا ينجى في الجنة نخت *

وهذا انخلاف قريب * وقد أبهم الله ذكرها وتبينها * ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لبيها لنا كما في غيرها من الحال التي تبهم في القرآن *

وانما انخلاف القى ذكره في أن هذه الجنة التي دخلها آدم هل هي في السماء أو في الأرض هو انخلاف الذي ينبغي فصله والخروج منه والجهود على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والاحاديث كقوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) والالف واللام ليست للمعوم ولا لمعهود لفظي وانما تعود على معهود ذهني وهو المستقر شرعا من جنة المأوى وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام (علام أخرجتنا وضك من الجنة) الحديث كما سيأتي الكلام عليه * وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الاشجعي واسمه سعد بن طارق عن أبي حازم سلمة بن دينار عن أبي هريرة * وأبو مالك عن ربه عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ (يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين ترلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خبطة أيمك) وذكر الحديث بطوله وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى وليست بتخلو عن نظر *

وقال آخرون بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد لانه كاف فيها ان لا يأكل من تلك الشجرة ولانه لم فيها وأخرج منها ودخل عليه الجيس فيها وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى . وهذا القول يحكى عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة في المعارف والقاضي منذر بن سديد البلوطي في تفسيره وأفرده مصفا على حدة . وحكاه عن أبي حنيفة الامام واصحابه رحمهم الله . وقوله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي بن خنيط اليربي في تفسيره عن أبي القاسم البلخي وأبي مسلم الاصبهاني . وقوله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والتدريية * وهذا القول هو فص التوراة التي يابى أهل الكتاب * ومن حكي انخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في الملل والنحل وأبو محمد بن عطية في تفسيره وأبو عيسى الرمانى في تفسيره *

وحكى عن الجمهور الاول . وأبو القاسم الراغب والقاضي الماوردي في تفسيره قال واختلف في الجنة التي أسكنها يبنى آدم وحوا على قولين * أحدهما أنها جنة الخلد * الثاني جنة أعداء الله لها وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء . ومن قال بهذا اختلفوا على قولين * أحدهما أنها في السماء لانه اعطى منها وهذا قول الحسن . والثاني أنها في الأرض لانه امتحنها فيها بالنهي عن الشجرة التي نها عنها دون غيرها من الثمار . وهكذا قول ابن عبيد وكان ذلك بعد أن أمر الجيس بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب من ذلك *

هذا كلامه . قد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة وأشر كلامه أنه متوقف في المسألة . ولقد حكي

أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال هذه الثلاثة التي أوردتها المأوردى . ورواها
 الوقت • وحكي القول بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي . وقد أورد أصحاب القول
 الثاني سؤال يحتاج مثله الجواب قالوا لاشك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود
 عن الحضرة الالهية وأمره بالخروج عنها والمهبط منها وهذا الامر ليس من الاوامر الشرعية بحيث يمكن
 مخالفتها وانما هو امر قدرى لا يخالف ولا يخالف ولهذا قال (اخرج منها مذمورا مدحورا) وقال
 (اعبط منها فما يكون لك ان تسكر فيها) وقال (اخرج منها فانك عرجيم) والضمير عائد الى الجنة أو السماء
 أو المتزلة وأليما كان معلوم أنه ليس له الكون قدرا في المكان الذي طرده عنه وابدعته لاعلى سبيل الاستمرار
 ولا على سبيل المرور والاجتياز • قالوا ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخطبه
 بقوله (هل ادلك على شجرة الخلد ومكة لايل) وقوله (ما نها كما ربك اعم هذه الشجرة الا ان تكونا
 ملكين . أو تكونا من الخالدين . وقاسمها الى لكاملين الناصحين . فلامها بنور) الآية وهذا ظاهر في
 اجتماعهما في جنتها . وقد اجابوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على
 سبيل الاستمرار بها أو أنه وسوس لها وهو على باب الجنة أو من تحت السماء . وفي الثلاثة نظر . والله أعلم .
 وما احتج به أصحاب هذه المقالة ما رواه عبد الله بن الامام احمد في الزيادات عن هبة بن خالد
 عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عن يحيى بن زمره السدي عن أبي بن كعب قال (ان
 آدم لما انخفض اشتهى قطعا من عنب الجنة . فاقطع بنوه ليطلبوه له . فقتلهم الملائكة قالوا ابن
 تريدون يا بني آدم قالوا ان ابانا اشتهى قطعا من عنب الجنة . فقالوا لهم (ارجوا فقد كفيتموه) فأنهوا
 اليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه من الملائكة ودفنوه . وقالوا .
 (هذه مستكم في موتاكم) وسأني الحديث بسنده . وتمام فظله عند ذكر وفاة آدم عليه السلام . قالوا
 فلولا انه كان الوصول الى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف ممكنا لما ذهبوا يطلبون ذلك
 فدل على أنها في الأرض لا في السماء والله تعالى أعلم •

قالوا والاحتجاج بن الاثف واللام في قوله ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لم يتقدم عهد يعود
 عليه فهو الممهور انتهى سلم ولكن هو ملحق عليه سياق الكلام فان آدم خلق من الأرض ولم ينقل أنه
 رفع الى السماء . وخلق ليكون في الأرض وبهذا اعلم الرب الملائكة حيث قال (اني جاعل في الارض خليفة)
 قالوا وهذا كقولهم تعالى (انا بولعنا كما بولنا أصحاب الجنة) فالاثف واللام ليس للعبور ولم يتقدم
 مهور لنقل وانما هي للمهور انتهى انتهى دل عليه السياق وهو البستان .

قالوا وذكر المهبط لا يدل على النزول من السماء قال الله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا
 وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) الآية وانما كان في السفينة حين استقر على الجودي ونصب الماء

عن وجه الأرض أمر أن يهبط إليها هو ومن معه مباركاً عليه وعليهم . وقال الله تعالى (اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم) الآية وقال تعالى وإن منها لما يهبط من خشية الله) الآية . وفي الأحاديث والآثار من هذا كثير *

قولا ولا مانع بل هو الواقع أن الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الأرض ذات اشجار وثمار وظلال ونسيم وفضرة وسرور كما قال تعالى (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) أى لا ينل بطنك البلوع ولا ظهرك بالمرى) وانك لا تنفأ فيها ولا تضحي) أى لا يمس بطنك حر الظأ ولا ظهرك حر الشمس . ولهذا قرنين هذا وهذا وبين هذا وهذا ما بينهما من الملازمة . فلما كازمه ما كان من أكله من الشجرة التي نهى عنها اهبط الى ارض النقاء والتب والنصب والكدر والسعى والتكد والابتلاء والاختبار والامتحان واختلاف السكان دينا واختلاف اوعالا وقصودا وإرادات واقوالا وافعالا كما قال تعالى (ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين) ولا يلزم من هذا أنهم كانوا في السماء كما قال تعالى (وقتلنا من بعده لبي اسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لغيا) ومعلوم أنهم كانوا فيها لم يكونوا في السماء

قولا وليس هذا القول مفرعا على قول من ينكر وجود الجنة والنار اليوم ولا تلازم بينهما فكل من حكى عنه هذا القول من السلف واكثر الخلف عن يثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات والأحاديث الصحاح كما سيأتي إيرادها في موضعها والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب *

وقوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) أى عن الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من النعيم والنصرة والسرور الى دار التعب والكدر والتكد وذلك بما وسوس لها وزينه في صدورهما كما قال تعالى (فوسوس لها الشيطان لينبذ لها ما وورى عنها من سوءاتهما . وقال ما نها كما ربكها عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الغالطين) يقول ما نها كما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الغالطين أى ولو أكلتا منها لصرتا كذلك (وقسمهما) أى حلف لهما على ذلك (اى لكما لمن الناصحين) كما قال في الآية الأخرى (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أى هل أدلك على الشجرة التي اذا أكلت منها حصلت لك الخلد فيأفأت فيه من النعيم واستمرت في ملك لا يبيد ولا يقضى وهذا من التخيير والتزوير والاختلاف بخلاف الواقع *

والمقصود أن قوله شجرة الخلد التي اذا أكلت منها خلدت وقد تكون هي الشجرة التي قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ (ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد) *

وكذا رواه أيضا عن غندر (وحجاج عن شعبة ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة أيضا به *

قال غندر قلت لشعبة هي شجرة الخلد قال ليس فيها هي *

فرد به الامام أحمد * وقوله (فلما هما بمرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) كما قال في * طه « أكل منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حدثته على أكلهما والله أعلم »

وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري حدثنا بشر بن محمد حدثنا عبد الله بن أبي معمر عن همام ابن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه لولا بنوا اسرائيل لم يفتخر (١) اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها . فرد به من هذا الوجه وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به ورواه أحمد ومسلم عن هارون بن معروف عن أبي وهب عن عمرو بن حارث عن أبي يونس عن أبي هريرة به * وفي كتاب التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب أن القى دل حواء على الاكل من الشجرة هي الحية وكانت من احسن الاشكال وأعظمها فاكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لا بليس فعد ذلك اغتصب أعينهما وعلما انهما عريانان فوصلا من ورق التين وعلما يازر وفيها أنهما كانا عريانين * وكذا قال وهب بن منبه كل لباسهما نورا على فرجه وفرجها وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب فلن قل الكلام من لغة الى لغة لا يكاد يجسر لكل أحد ولا سيما من لا يعرف كلام العرب جيدا ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا فلماذا وقع في تزيينهم لما خطأ كثير لفتا ومعنى * وقد دل القرآن العظيم على انه كان عليهما لباس في قوله (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما) فهذا لا يرد لنيره من الكلام والله تعالى اعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن بن اسكاف حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ (ان الله خلق آدم رجلا طولا كثيرا شعر الرأس كله نخلة مسحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر الى عورته جل يشند في الجنة فاخذت شجرة فتأزعهما فناداه الرحمن عز وجل يا آدم متى فرغتما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ولكن استحياء * وقل التورى عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) ورق التين * وهذا اسناد صحيح اليه وكاه مأخوذ من أهل الكتاب وظاهر الآية يقتضى أهم من ذلك ويتقدير تسليبه فلا يضر والله تعالى أعلم *

ودرى الحافظ بن عساكر من طريق محمد بن اسحاق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن البصري عن ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ان اياكم آدم كان كخنقة السحوق ستين ذراعا كثيرا الشعر موارى العورة فلما اصاب الخلق في الجنة بدت له سواته فخرج من الجنة فلقية شجرة فاخذت بتاميتها

(١) قوله لم يفتخر أى لم يفتن

فتأذاه به أفرارا متى يا آدم قال بل حياه منك والله يلوب مما جئت به * ثم رواه من طريق سيد بن أبي عروة عن قتادة عن الحسن عن يحيى بن ضرة عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ بنحوه . وهذا أصح فان الحسن لم يدرك أياهم * ثم أورده أيضا من طريق خيشة بن سليمان الاطرابلسي عن محمد بن عبد الوهاب أبي قرصاة السقلاقي عن آدم بن أبي ابيس عن شيان عن قتادة عن أفس مرفوعا بنحوه * (وتاداهما ربهما ألم أنهما عن تلكا الشجرة وأقل لسكنا لئن الشيطان لسكا عدو ميب * قالا ربنا ظننا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا اعتراف ورجوع الى الالة وتذل وخضوع واستسكانة وافترار اليه تعالى في الساعة الزاهنة وهذا السر ما سرى في أحد من ذرية الا كانت عاقبته الى خير في دنياه وأخره (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) وهذا خطاب لآدم وحواء وابليس . قيل والحية معهم أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين * وقد يستشهد لذكر الحية معها بما ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه أمر بقتل الحيات وقال مسلماتهن منجاريتهن وقوله في سورة طه (قال اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو) هو أمر لآدم وابليس واستيعب آدم وحواء وابليس الحية * وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما في قوله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكما في الحث اذ فشت فيه قوم وكنا لحكمهم شاهدين) والصحيح ان هذا لما كان الحاكم لا يحكم الا بين اثنين مدع ومدعى عليه قل وكنا لحكمهم شاهدين وأما تكرره الاهباط في سورة البقرة في قوله وقلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا قلنا يأتيكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (قال بعض المفسرين المراد بالاهباط الاول المهبوط من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض . وهذا ضعيف لقوله في الاول (قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) فدل على انهم اهبطوا الى الارض بالاهباط الاول والله أعلم *

والصحيح أنه كرده لفظا وان كان واحدا وتلط مع كل مرة حكما فطاط بالا ول عدائتهم فيما بينهم والثاني الاشتراط عليهم أن من تبع هداى الذى ينزله عليهم بعد ذلك فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وهذا الاسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الحكيم .

وروى الحافظ بن عساكر عن مجاهد قال أمر الله ملكين أن يخرجيا آدم وحواء من جواره فترع جبريل التاج عن رأسه وحمل ميكائيل الاكليل عن جبينه وقملق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالقوة فنكس رأسه يقول الغر الغر فقال الله فراوا متى قال بل حياه منك بلسيدى وقال الاوزاعى

عن حسان مولى بن عطية مكث آدم في الجنة مائة عام وفي رواية ستين عاما وبكى على الجنة سبعين عاما وعلى خطيئته سبعين عاما وعلى ولده حين قتل أربعين عاما * رواه ابن عساكر *

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال أبط آدم عليه السلام الى ارض يقال له دحان بين مكة والطائف * وعن الحسن قال أبط آدم بالهند وحواء بجدة والبلس بستيمان من البصرة على أميال وأبطت الحية بأصبهان رواه ابن أبي حاتم أيضا * وقال السدي نزل آدم بالهند ونزل معه بلجر الاسود وبقية من ورق الجنة فيه في الهند فنبت شجرة الطيب هناك * وعن ابن عمر قال أبط آدم بالصفاء وحواء بالروقة. رواه ابن أبي حاتم أيضا وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني عوف عن قدامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال ان الله حين أبط آدم من الجنة الى الارض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثابره هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير * وقال الحاكم في مستدركه أنباء أبو بكر بن بلوية عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمر عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما سكن آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس . ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه * وفي صحيح مسلم من حديث الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها) وفي الصحيح من وجه آخر وفيه تقوم الساعة) وقال احمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي عن أبي عمار عن عبد الله بن فروخ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة على شرط مسلم *)

فاما الحديث الذي رواه ابن عساكر من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا محمد بن جعفر الوركاني حدثنا سعيد بن مسيرة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ (هبط آدم وحواء هرايين جيعا عليهما ورق الجنة فأصابه المرح حتى قد يبكي ويقول لها ليحوا قد أذاقني المرح قال فجاءه جبريل بقلن وأمرها أن تفضل وعليها وأمر آدم بلحياكة وعلمه أن ينسج وقال كان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابتهما باكلهما من الشجرة قال وكان كل واحد منهما ينأى على حدة ينأى احداهما الى البطحاء والاخر من ناحية أخرى حتى أتته جبريل فأمره أن يأتي أهله قال وعلمه كيف يأتيها فلما ألتعا جاءه جبريل فقال كيف وجدت امرأتك قال حلوة) فانه حديث غريب ورفعه منكر جدا * وقد يكون من كلام بعض السلف وسعيد بن مسيرة هذا هو أبو عمران البكري البصري . قال في البخاري منكر الحديث . وقال بن حبان يروي الموضوعات وقال بن عدى مطلق الامر وقوله (فخلق آدم من ربه كانت قلوب عليه) هو التواب الرحيم) قيل هي قوله (وبنا ظلماتنا أنفسنا وان لم نفع لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) * روى

هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم *

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ (قال آدم عليه السلام أأريت يارب ان تبت ورجعت أعائتي الى الجنة قال نعم) فذلك قوله . (فخلق آدم من ربه كالت فاب عليه) وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع *

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكليات (اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين . اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فب على انك انت التواب الرحيم) * وروى الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس (فخلق آدم من ربه كالت فاب عليه) قال قال آدم يارب ألم تخلف يديك . قيل له بلى . ونفخت في من روحي قبل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسقت رحمتك غضبك قيل له بلى وكبت على أن أعمل هذا . قيل له بلى . قال أفأريت ان تبت هل أنت راجي الى الجنة . قال نعم * ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه * وروى الحاكم أيضا والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ (لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فقال الله فكيف عرفت محمدا ولم أنطق به فقال يارب لانك لما خلقتني يديك ونفخت في من روحي رفعت رأسي فأريت على قوائم العرش مكتوبا لا إله الا الله محمد رسول الله فقلت انك لم تفض الى اسمك الا أحب انخلق اليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب انخلق الي واذا سألتني بجمعه قد غفرت لك ولولا محمد ما خفنتك * قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضيف والله أعلم وهذه الآية كقوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فاب عليه وهدي)

ذكر احتجاج آدم وموسى عليهما السلام

قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال حاج موسى آدم عليهما السلام فقال له أنت الذي أخرجت الناس بذيئك من الجنة وأشقيتهم . قال آدم يلموسى أنت الذي اصطفاك الله برسالة وبكلامه أنلومني على أمر قد

كتبه الله على قبل أن يخلق أو قدره على قبل أن يخلق قال رسول الله ﷺ فخرج آدم موسى *
وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد والسائي عن محمد بن عبد الله بن يزيد عن أيوب بن النجار به * قال
أبو مسعود المشقي ولم يخرجاه عنه في الصحيحين سواء * وقد رواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر
عن همام عن أبي هريرة * ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به *

وقال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا أبو شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن
أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت آدم الذي أخرجتك
خطيئتك من الجنة فقال له آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه تلومني على أمر قد
على قبل أن أخلق * قال رسول الله ﷺ (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) مرتين * قلت وقد روى هذا
الحديث البخاري ومسلم من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه
وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن الأعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة
عن النبي ﷺ (قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده وفخ فيك
من روحه أغويت للناس وأخرجتهم من الجنة قل قال آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه
تلومني على عمل أعله كتب الله علي قبل أن يخلق السموات والأرض قال فخرج آدم موسى * وقد رواه
الترمذي والسائي جميعا عن يحيى بن حبيب بن علي عن معمر بن سليمان عن أبيه عن الأعشى به * قال
الترمذي وهو غريب من حديث سليمان التيمي عن الأعشى قال وقد رواه بعضهم عن الأعشى
عن أبي صالح عن أبي سعيد قلت هكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن مثنى عن
معاذ بن أسد عن الفضل بن موسى عن الأعشى عن أبي صالح عن أبي سعيد . ورواه البزار أيضا حدثنا
عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد عن
النبي ﷺ فذكر نحوه ، وقال أحمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع طاووسا سمع أبا هريرة يقول قال
رسول الله ﷺ (احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له
آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله بكلامه وقال مرة برسالاته وخط لك يده ألومني على أمر قدره
الله علي قبل أن يخلقني بلوبين سنة قل حج آدم موسى حج آدم موسى) وهكذا رواه
البخاري عن علي بن المديني حدثنا عن سفيان قال حفظناه من عمرو عن طاووس قال سمعت أبا هريرة
عن النبي ﷺ قال (احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال
له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك يده ألومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بلوبين
سنة فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى هكذا علما

قال سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله * وقد رواه الجماعة

إلا ابن ماجه من عشر طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه * وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد عن عمار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال لقي آدم موسى فقال أنت آدم الذي خلقك الله يده وأسجد لك ملائكته واسكنك الجنة ثم قلت . قال أنت موسى الذي كلمك الله واصطفاك برسائه وأنزل عليك التوراة أنا أقدم أم الذي قال لا بل الذي ذكر فخرج آدم موسى *

قال أحمد وحدثنا عثمان حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وحيد عن الحسن عن رجل قال حماد أخبرني جندب بن عبد الله البجلي عن النبي ﷺ قال لقي آدم موسى فذكر معناه . فزاد به أحمد من هذا الوجه . وقال أحمد حدثنا الحسن حدثنا جرير هو ابن حازم عن محمد هو ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (لقي آدم موسى فقال أنت آدم الذي خلقك الله يده واسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ثم صنعت ما صنعت * قال آدم يا موسى أنت الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة * قال نعم * قال فهل تبعه مكدوا على قبل ان أخلق * قال نعم * قال (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) وكذا رواه حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفته وكذا رواه علي بن حاصم عن خالد وهشام عن محمد بن سيرين * وهذا على شرطها من هذه الوجوه * وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنبأ ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذئب عن يزيد بن هرم سمعت أبا هريرة يقول . قال رسول الله ﷺ (احتج آدم وموسى عند ربهما فخرج آدم موسى . قال موسى أنت الذي خلقك الله يده وفتح فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبط الناس إلى الأرض بخطيئتك * قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فيكم وجعلت الله كتب التوراة * قال موسى ياربين عاما * قال آدم فهل جعلت فيها * وعصى آدم ربه فغوى * قال نعم * قال أنؤمنى على أن عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلقني ياربين سنة . قال . قال رسول الله ﷺ « فخرج آدم موسى »

قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرم بن بنك عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ وقد رواه مسلم عن اسحق بن موسى الاصبغ عن أنس بن عياض عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن يزيد بن هرم والاعرج كلاهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ، وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأ ثعلبة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى فقال موسى لآدم يا آدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار . قال آدم يا موسى اصطفاك الله برسائه وبكلامه وأنزل عليك التوراة فهل جعلت أن أهبط . قال نعم . قال فخبه آدم » وهذا على شرطها ولم يخرجاه

من هذا الوجه * وفي قوله أدخلت ذريتك النار فكلارة *

فهذه طرق هذا الحديث عن أبي هريرة رواه عنه حميد بن عبد الرحمن وذو كان أبو صالح السمان وطاووس ابن كيسان وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعمار بن أبي عمار ومحمد بن سيرين وهمام بن منبه ويزيد بن هرمز وأبو سلفة بن عبد الرحمن *

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال حدثنا الحارث بن مسكين المصرى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال (قال موسى عليه السلام يارب أرنا آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه آدم عليه السلام * فقال أنت آدم * قال له آدم نعم قال أنت الذى فزعنا فبك من روحه وأسجدك ملائكته وعطك الاسماء كلها * قال نعم * قال فما حوكت على أن أخرجنا ونفسك من الجنة فقال له آدم من أنت قال أنا موسى * قال أنت موسى نبي نبي اسرائيل أنت الذى كلمك الله من وراء الحجاب فلم يحمل بينك وبينه رسولا من خلقه * قل نعم * قال تلومنى على أمر قد سبق من الله عز وجل القضاء به قبل قال رسول الله ﷺ (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) ورواه أبو داود عن أحمد بن صالح المصرى عن ابن وهب * . قال أبو يعلى ، وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الملك بن الصباح المسمى حدثنا عمران عن الردينى عن أبي مجاز عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر قال أبو محمد اكبر خلقى أنه رضى * قال (التقي آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت أبو البشر أسكنك الله جنته وأسجد لك ملائكته . قل آدم . يا موسى أما تجده على مكتوب * قال فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) وهذا الاستناد أيضا لا بأس به والله أعلم *

وقد تقدم رواية الفضل بن موسى لهذا الحديث عن الأعشى عن أبي صالح عن أبي سعيد * ورواية الامام أحمد له عن عثان عن حماد بن سلفة عن حميد عن الحسن عن رجل * قال حماد أظنه جندب بن عبد الله البجلي عن النبي ﷺ (لقي آدم موسى) فذكر معناه *

وقد اختلفت مسالك الناس فى هذا الحديث فرده قوم من القدرية لما تضمن من اثبات القدر السابق * واحتج به قوم من الجبرية وهو ظاهر لهم بلادى الرأى حيث قال فخرج آدم موسى لما احتج عليه بتقديم كتابه وسيأتى الجواب عن هذا ، وقال آخرون انما حجه لآدم لانه على ذنب قد قلب منه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له * وقيل انما حجه لآدم اكبر منه واقدم * وقيل لآدم أبوه * وقيل لآدمها فى شريعتين متباينتين * وقيل لانها فى دار البرزخ وقد اقطع التكليف فيها بزعمونه *

والتحقيق ان هذا الحديث روى بلفاظ كثيرة بعضها مروي باللفظ . وفيه نظر . ومدار مذهبها فى الصحيحين وغيرهما على أنه لآدم على إخراج نفسه وذريته من الجنة فقال له آدم انما لم أخرجكم وانما

أخرجكم التي رتب الاخراج على أكل من الشجرة والتي رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أنزل هو الله عز وجل فأتت تلومني على أمر ليس له نسبة إلى أكثر ما أتى نهي عن الأكل من الشجرة فأكلت منها وكون الاخراج مترتباً على ذلك ليس من ضلي فأنما لم أخرجكم ولا نفسي من الجنة وإنما كان هذا من قدرة الله وصنعه وله الحكمة في ذلك فلماذا حج آدم موسى *

ومن كذب بهذا الحديث فمأذله متواتر عن أبي هريرة رضي الله عنه وتعليك به عدالة وحفظاً واختاماً * ثم هو مروى عن غيره من الصحابة كما ذكرنا . ومن تأوله بتلك التأويلات المذكورة أعلاه فهو بعيد من اللفظ والمعنى . وما فهم من هو اقوى مسلماً من الجبرية . وفيما قلوه نظر من وجوه * (أحدها) أن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد لب منه فله (الثاني) أنه قد تحمل ضالم يؤسر بتلها وقد سأل الله في ذلك بقوله « رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له » (الثالث) أنه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالتقدم كتابته على البعد لا يفتح هذا لكل من لم على أمر قد فعله فيحتج بالتقدم السابق فيفسد بلب القصاص والحدود ولو كان التقدم حجة لاحتج به كل أحد على الأمر الذي ارتكبه في الأمور السكبار والصغار وهذا يفضي إلى لوازم فظيمة . فلماذا قال من قال من الدماء بن جواب آدم إنما كان احتجاجاً بالتقدم على المصيبة لا المصيبة والله تعالى أعلم .

ذكر الاحاديث الواردة في خلق آدم عليه السلام

قال الامام أحمد حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر حدثنا عوف حدثني قسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك . وانخيليت والطيب والسهل والحزن وبين ذلك ورواه أيضا عن هود عن عوف عن قسامة بن زهير سمعت الأشعري قال قال رسول الله ﷺ (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك . والسهل والحزن وبين ذلك . وانخيليت والطيب وبين ذلك) . وكذا رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عوف بن أبي جميلة الاعرابي عن قسامة بن زهير المازني البصري عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن النبي ﷺ بنحوه . وقال الترمذي حسن صحيح *

وقد ذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا (فبعث الله عز وجل جبريل في الارض لآتيه بعين منها هات الأرض أعوذ بالله منك ان تقص مني أو تشين فرجع ولم يأخذ وقال رب انما عاذت بك فأعنتها

فبعث ميكائيل فاضت منه فاعادها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فاضت منه فقال وأما
أعوذ بالله أن أراجع ولم أئخذ أمره فأخذ من وجه الأرض وخطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من
تربة بيضاء وحراء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل التراب حتى عاد طينا لازبا)
واللاذب هو الذي يلزق بفضه يعض * ثم قال للملائكة (إني خالق بشرا من طين . فذا سويته وفخنت
فيه من روعي فصوروا له ساجدين) فخلق الله يده لئلا يتكبر إبليس عنه فخلق بشرا فكان جسدا
من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة فزعروا منه لما رأوه وكان أشدهم منه
فزعوا إبليس فكان يمر به فيضرب فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول
(من صلصال كالفخار) ويقول لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره وقال للملائكة لا تهرابوا
من هذا فان ربكم صد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكته فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل
أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة إذا فخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما فتح فيه الروح فدخل
الروح في رأسه عطس قالت الملائكة قل الحمد لله قال الحمد لله قال له الله رحمك ربك فلما دخلت الروح
في عيذه نظر الى ثمار الجنة فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجليه
مجلان الى ثمار الجنة وذلك حين يقول الله تعالى « خلق الانسان من عجل » (فسجد الملائكة كلهم
اجمعون الا إبليس أي أن يكون مع الساجدين) وذكر تمام القصة ولبعض هذا السباق شاهد من
الاحاديث وان كان كثير منه متفق من الاسرائيليات قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن
ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال (لما خلق الله آدم تركه ماشاء أن يدهه فجعل إبليس يطيف به فلما
راه أجوف عرف أنه خلق لا يملك) وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هبة
ابن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال (لما فسخ في آدم
فبلغ الروح رأسه عطس قال الحمد لله رب العالمين قال له تبارك وتعالى برحمتك الله) *

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا حبان بن هلال حدثنا مبارك بن
فضالة عن عبيد الله عن حبيب عن حمص هو ابن عاصم بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب عن أبي هريرة
رفعه قال (لما خلق الله آدم عطس قال الحمد لله قال له ربه رحمك ربك يا آدم) وهذا الاستناد لأبس
به ولم يخرجوه . وقال عمر بن عبد العزيز « لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم اسرافيل
فأثم الله أن كتب القرآن في جيبه » رواه ابن عساكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عتبة بن مكرم
حدثنا عمرو بن محمد عن اسمعيل بن رافع عن القبري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ان
الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى اذا كان حما مسنونا خلقه وصوره ثم تركه حتى اذا
كان صلصالا كالفخار قال فكان إبليس يمر به فيقول لقد خلقت لأمر عظيم . ثم فسخ الله فيه من روحه

فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فطس فقال الله رحمتي عليك . ثم قال الله يا آدم اذهب الى هؤلاء النفر قبل لهم (١) فانظر ماذا يقولون فجاء فلم عليهم فقالوا عليك السلام ورحمة الله وبركاته . قال يا آدم هذا تحتك وتحت ذريتك . قال يارب وما ذريتى قل اختر يدى يا آدم قال اختر يمين ربي وكنت يدى ربي يمين ويسط كفه فلذا من هو كائن من ذريتى في كف الرحمن فلذا رجال منهم أفواههم النور فلذا رجل يجب آدم نوره قال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فكيف جلت له من العمر قال جلت له ستين قال يارب فأنتم له من عمرى حتى يكون له من العمر مائة سنة فضل الله ذلك . وأشهد على ذلك فلما غدر آدم بث الله ملك الموت فقال آدم أو لم يبق من عمرى أربعون سنة قال له الملك أولم تظلم ابنك داود فجحد ذلك فجحدت ذريته ونسب قسيت ذريته . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار والترمذى والنسائى فى اليوم واليلة من حديث صفوان بن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . وقال الترمذى حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقال النسائى هذا حديث منكرو وقد رواه محمد بن عجلان (٢) عن سعيد المقبرى عن أبيه عن عبد الله بن سلام . وقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أى رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه ويص ما بين عينيه قال أى رب من هذا قال هذا رجل من آخر الامم من ذريتك يقال له داود قال رب وكيف جلت عمره قال ستين سنة قال أى رب زده من عمرى أربعين سنة فلما انتهى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أو لم يبق من عمرى أربعون سنة قال أو لم تظلم ابنك داود . قال فجحد فجحدت ذريته ونسب قسيت ذريته وخلى آدم فطخت ذريته) ثم قال الترمذى حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وروى ابن أبي حاتم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعا قد كره وفيه (ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك واذا فيهم الأجنم والابرص والأعمى وأنواع الاسقام فقال آدم يارب لم ضلت هذا بذيتى قال كى تشكر نسبي) . ثم ذكر قصة داود . وساقى من رواية ابن عباس أيضا . وقال الامام أحمد فى مسنده حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا أبو الربيع عن يونس (١) قوله قل لهم كذابا لأصول ساقطاً منه القول وهو السلام عليكم أو نحوه (٢) قوله عن سعيد المقبرى الخ صوابه عن أبيه عن أبي سعيد المقبرى عن عبد الله بن سلام اهـ (محمود الامام)

ابن ميسرة عن أبي إدريس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال (خلق الله آدم حين خلقه فضرب كفته اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم النور وضرب كفته اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمى . قال للذي في يمينه . الى الجنة ولا أبلى . وقال للذي في كفته اليسرى الى النار ولا أبلى . »

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام حدثنا الحكم بن سنان عن حوشب عن الحسن قال « خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفته اليمنى وأخرج أهل النار من صفته اليسرى فألقوا على وجه الأرض منهم الأعمى والأعمى والمبتلى » قال آدم يارب الاسويت بين ولى * قال يا آدم انى أردت ان أشكر » وهكذا روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن بنحوه * وقد رواه أبو حاتم وابن جبان في صحيحه قال حدثنا محمد بن اسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله بأذن الله قال له ربه برحمتك ربك يا آدم اذهب الى أولئك الملائكة الى ملائمتهم جلوس فلم عليهم قال السلام عليكم قالوا وعليكم السلام ورحمة الله . ثم رجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية بئيك بينهم وقال الله ويدها مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت بين ربي وكلتا يدي ربي بين مباركة ثم بسطها فاذا فيها آدم وذريته فقال اي رب ما هؤلاء قال هؤلاء ذريتك واذا كل انسان منهم مكتوب عمره بين عينيه واذا فيهم رجل أضوؤم » أو « من أضوؤهم لم يكتب له الا اربعون سنة قال يارب ما هذا . قال هذا ابنك داود وقد كتب الله عمره أربعين سنة * قال أي رب زد في عمره قال ذاك الذي كتب له قال فاني قد جعلت له من عمري ستين سنة قال انت وذاك * اسكن الجنة . فسكن الجنة ماشاء الله ثم هبط منها وكان آدم يده لنفسه قائمه ملك الموت فقال له آدم قد مجئت قد كتب لي ألف سنة قال بلى ولكنتك جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجعل آدم فجعلت ذريته ونفى قضيت ذريته فيومئذ أمر بالكتاب والشهود » هذا لفظه

وقد قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا . ثم قال اذهب فلم على أولئك من الملائكة واستمع ما يحيونك قلها تحيك وتحيته ذريتك قال السلام عليكم قالوا السلام عليكم ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الملائكة يقرعون حتى الان » . وهكذا رواه البخارى في كتاب الاستئذان عن يحيى بن جعفر ومسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به ، وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال كلن طول آدم ستين ذراعا في سبع أذرع عرضا . اغزده احد.

وقال الامام أحمد حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ « إن أول من جحد آدم إن أول من جحد آدم إن أول من جحد آدم ان الله خلق آدم ومسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارى الى يوم القيامة فجعل يمرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلا يزهر قال أى رب من هذا قال هذا ابنيك داود قال أى رب كم عمره قال ستون عاما قال أى رب زدنى عمره قال لا الا أن ازيد من عرك وكان عمر آدم الف عام فزاده أربعين عاما . فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم اتته الملائكة لقبضه قال إنه قد بقى من عمرى أربعون عاما . فقيل له إنك قد وهبتها لابنيك داود . قال فانظمت وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة » وقال احمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ (إن أول من جحد آدم قالما ثلاث مرات ان الله عز وجل لما خلقه مسح ظهره فأخرج ذريته فمرضهم عليه فرأى فيهم رجلا يزهر فقال أى رب زدنى عمره قال لا الا ان تزيد أنت من عرك فزاده أربعين سنة من عمره . فكتب الله تعالى عليه كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما أراد أن يقبض روحه قال بقى من أجلى أربعون سنة فقيل له إنك قد جعلتها لابنيك داود قال فجحد قال فأخرج الله الكتاب وأقام عليه البيعة فأتمها لداود مائة سنة وأتم لآدم عمره الف سنة * فخر به أحمد وعلى بن زيد فى حديثه نكارة * ورواه الطبرانى عن علي بن عبد العزيز عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وغير واحد عن الحسن قال (لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ إن أول من جحد آدم ثلاثا) وذكره * وقال الامام مالك بن أنس فى موطنه عن زيد بن أبى أنيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب اخبره عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية قال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يال غيا فقال (ان الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء الجنة وبصل أهل الجنة يسلمون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء النار وبصل أهل النار يسلمون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل قال رسول الله ﷺ اذا خلق الله البديل الجنة استعمله بصل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق الله البديل النار استعمله بصل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار)

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم بن حبان في صحيحه من طرق عن الإمام مالك * وقال الترمذي هذا حديث حسن * ومسلم بن يسار

لم يسمع عمر * وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وفيهما فيم بن ربيعة * وقد رواه أبو داود عن محمد بن مصفى عن جبة عن عمر بن جشم عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عن مسلم بن يسار عن فيم بن ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية فذكر الحديث * قال الحافظ الدار قطني وقد تابع عمر بن جشم أبو قروة بن يزيد بن سنان الزهاوي عن زيد بن أبي أنيسة قال وقولها أولى بالصواب من قول مالك رحمه الله *

وهذه الأحاديث كلها دالة على استخراجها تعالى ذرية آدم من ظهره كالنمر وقسمهم قسمين أهل الجنين وأهل الشمال وقال هؤلاء للجنة ولا أبلى وهؤلاء للنار ولا أبلى . فاما الإشهاد عليهم واستنطاقهم بالقرار بالوحداية فلم يجبي . في الأحاديث الثابتة . وتفسير الآية التي في سورة الأعراف وحملها على هذا فيه نظر كما بيناه هناك . وذكرنا الأحاديث والآثار مستقصاة بإسانيدها وألفاظ متونها . فن أراد تحريره فليرجعه ثم والله أعلم *

فاما الحديث الذي رواه أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن حازم عن كاثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنحان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنترها بين يديه . ثم كلمهم قبلا قال (ألسن بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غفلين أو تقولوا (الى قوله (المبطلون) فهو بإسناد جيد قوى على شرط مسلم * رواه النسائي وابن جرير والمالك في مستدركه من حديث حسين ابن محمد المروزي به . وقال المالك صحيح الإسناد ولم يخرجاه الا أنه اختلف فيه على كاثوم بن جبر فروى عنه مرفوعا وموقوفا . وكذا روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا . وهكذا رواه العوفي والوالي والضحاك وأبو جرة عن ابن عباس قوله * وهذا أكثر وأثبت والله أعلم *

وهكذا روى عن عبد الله بن عمر موقوفا ومرفوعا والموقوف أصح * واستأنس القائلون بهذا القول وهو أخذ الميثاق على القرية وهم الجمهور بما قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت متفديا به قال فيقول نعم . فيقول قد أردت منك ما هو أهون من ذلك قد أخفت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأيت الا أن تشرك بي) أخرجاه من حديث شعبة به وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية والتي بعدها قال فجسمهم له يومئذ جميعا ما هو كائن منه الى يوم القيامة فخلقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فكلوا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهد عليهم أنفسهم (ألسن بربكم قالوا بلى) الآية قال فأتى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد

عليكم أباكم آدم أن لا تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا. اعلوا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا
 بي شيئا وإني سأرسل اليكم رسلا ينذرونكم عهدي وميثاقى وأنزل عليكم كتابى - قالوا نشهد أنك
 ربنا والهنأ لآرب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك فاقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم ففطر اليهم فرأى
 فهم النقى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك * قال يارب لو سويت بين عبائك قال إني أحببت
 أن أشكر . ورأى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذى
 يقول الله تعالى (واذ أخذنا من النبين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم
 وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وهو الذى يقول (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها
 لا تبديل لخلق الله) وفى ذلك قال (هذا نذير من النذر الاولى) وفى ذلك قال (وما وجدنا لأكثرهم
 من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) رواه الأئمة عبد الله بن أحمد وابن أبى حاتم وابن جرير
 وابن مردويه فى تفاسيرهم من طريق أبى جعفر * وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن
 البصرى وقادة والسدى وغير واحد من علماء السلف بسياقات توافق هذه الأحاديث وتقدم أنه
 تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم امتثلوا كلهم الأمر الإلهى وامتنع اليمس من السجود له حسدا
 وعداوة له فطرده الله وأبعده وأخرجه من الحضرة الالهية وفاء عنها وأهبطه الى الأرض طريدا
 ملعونا شيطانا رجيا *

وقد قال الأئمة أحد حدثنا وكيع . وهبى ومحمد ابنا عبيد قتلوا الأعمش عن أبى صالح عن
 أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا) قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول
 ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فصبيت فى النار . ورواه مسلم من حديث
 وكيع وأبى معاوية عن الأعمش به . ثم لما أسكن آدم الجنة التى أسكنها سواء كانت فى السماء أو فى
 الأرض على ما تقدم من الخلاف فيه أقام بها هو وزوجه حواء عليها السلام يأكلان منها رغدا حيث
 شاآ قلأا من الشجرة التى نبها عنها سلبا ما كافأه من اليباس وأهبطا الى الأرض * وقد ذكرنا
 الاختلاف فى مواضع هبوطه منها * واختلفوا فى مقدار مقامه فى الجنة فقيل بضع يوم من أيام الدنيا
 وقد قلنا ما رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعا وخلق آدم فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وتهمم
 أيضا حديثه عنه وفيه (معنى) يوم الجمعة خلق آدم وفيه أخرج منها فلن كان اليوم الذى خلق فيه فيه أخرج
 وقلنا إن الأيام الستة كهذه الأيام قد لبث بضع يوم من هذه . وفى هذا نظر وإن كان إخراجها فى غير
 اليوم الذى خلق فيه أو قلنا بأن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد
 والضحاك واختاره ابن جرير قد لبث هناك مدة طويلة . قال ابن جرير ومعلوم أنه خلق فى آخر ساعة
 من يوم الجمعة والساعة منه ثلاث وعشرون سنة وأربعة أشهر فكثرت مصورا طينا قبل أن يتفخ فيه *

الروح أربعين سنة وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثاً وأربعين سنة وأربعة أشهر والله تعالى أعلم • وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن سوار خير عطاء بن أبي رباح أنه كان لا أهبط رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فخطه الله إلى ستين ذراعاً • وقد روى عن ابن عباس نحوه • وفي هذا قطر لما هدم من الحديث الممتنع على صحته عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق يتقص حتى الآن • وهذا يقتضي أنه خلق كذلك لا أطول من ستين ذراعاً وأن ذريته لم يزلوا يتناقص خطهم حتى الآن •

وذكر ابن جرير عن ابن عباس إن الله قال يا آدم إن لي حرماً بحيال عرشي فانطلق فابن لي فيه بيتاً فطف به كما تطفون ملائكتي برشي وأرسل الله له ملكاً فرفه مكنه وعلمه المناسك • وذكر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك •

وعنه أن أول طعام أكله آدم في الأرض أن جاءه جبريل يسبح جات من حنطة فقال ما هذا قال هذا من الشجرة التي نبيت عنها فأكلت منها فقال وما أصنع بهذا قال ابذره في الأرض فيذره وكان كل حبة منها زنتها أزيد من مائة ألف فنبئت فخصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنته ثم بمجته ثم خبزه فأكله بعد جهد عظيم وتعب ونكد وذلك قوله تعالى (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) •

وكان أول كسوتهم من شعر الضأن جزاء ثم غزاه قسج آدم له حبة ولحاء درعا وخمارا • واختلفوا هل ولد لها بلجنة شيء من الأولاد فقيل لم يولد لها إلا في الأرض • وقيل بل ولد لها فيها فكان قاييل وأخته ممن ولد بها والله أعلم •

وذكروا أنه كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وأمر أن يزوجه كل ابن أخت أخيه التي ولدت معه والاخر بالأخرى وهم جرا ولم يكن تحمل أخت لأخيها التي ولدت معه

ذكر قصة ابني آدم قاييل وهابيل

قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بلقي إذ قربا قربا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلك قال إنما يتقبل الله من المتقين • ثلث بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بإسبط يدى إليك لا قتلك لي أن أخاف الله رب العالمين • إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين • فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين • فبعت الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يلوئي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين) • قد تكلمنا على هذه القصة في سورة المائدة في التنصير بما فيه كفاية والله الحمد • ولتذكر هنا ملخص ما ذكره آئمة السلف في ذلك • فذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن

ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بائني الأخرى وأن هابيل أراد أن يتزوج بخت قاييل وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن فراد هابيل أن يستأجرها على أن يهبه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه ليها فأبى فأمرهما أن يقربا قربانا وذهب آدم ليحج إلى مكة واستحفظ السموات على بنه قايين والأرضين والجبال فأبى فقتل قاييل بحفظ ذلك . فلما ذهب قربا قربتهما قرب هابيل جذعة صميئة وكان صاحب غم وقرب قاييل حرمة من زرع من ردى زرع قزلت فلما نأكلت قربان هابيل وترك قربان قاييل فضرب وقال لا تقتلك حتى لا تتكبح أختي فقال إنما يتقبل الله من المتقين • وروى عن ابن عباس من وجوه أخرى عن عبد الله بن عمرو وقال عبد الله بن عمرو وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منه التخرج أن يسط إليه يده • وذكر أبو جعفر البقر أن آدم كان مباشرا لقرعها القربان والتقبل من هابيل دون قاييل فقال قاييل لآدم إنما تهبل منه لأنك دعوت له ولم تدع لي وتوعد أخاه فيما بينه وبينه . فلما كان ذات ليلة أبصأ هابيل في الرعي فبث آدم أخاه قاييل لينظر ما أبصأ به فلما ذهب إذا هو به فقال له تهبل منك ولم يتقبل مني فقال إنما يتقبل الله من المتقين . فضرب قاييل عندها وضربه بمجديدة كانت معه فقتله • وقيل إنه إنما قتله بصخرة رمها على رأسه وهو قائم فشدخته • وقيل بل خفه خنقا شديدا وعصا كما فعل السباع فأت والله أعلم •

وقوله له لما توعد بالقتل (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بإسطة يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) دل على خلق حسن وخوف من الله تعالى وخشية منه وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالتقاتل والمقتول في النار . قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه . وقوله (إني أريد أن تبوء بأثمي وأثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) أي إني أريد ترك مقاتلتك وإن كنت أشد منك وأقوى إذ قد عزمتم على معاظمتي عليه أن تبوء بأثمي وأثمك أي تتحمل إثم قتلي مع مالك من الأثم المقدمة قبل ذلك قاله مجاهد والسدي وابن جرير وغير واحد وليس المراد أن أكرم المقتول تتحول بمجرد قتله إلى القاتل كما قد توهمه بعض قال فأت ابن جرير حكى الإجماع على خلاف ذلك •

وأما الحديث الذي يورده بعض من لا يعلم عن النبي ﷺ أنه قال مارك القاتل على المقتول من ذنب فلا أصل له ولا يعرف في شيء من كتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضيف أيضا ولكن قد يتفق في بعض الأشخاص يوم القيامة يطالب المقتول القاتل فتكون حسنت القاتل لا تقى بهذه المظلمة فتحول من سيئات المقتول إلى القاتل كما ثبت في الحديث الصحيح في سائر المظالم والقتل

من أعظمها والله أعلم . وقد حررنا هذا كله في التفسير والله الحمد *

وقد روى الامام احمد وأبو داود والترمذي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال عند فتنة عثمان ابن عفان أشهد أن رسول الله ﷺ قال (انما ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من المائث والمائث خير من الساعى) قال أفرأيت ان دخل على يتي فسط يده الى ليقطنى قال كن كبن آدم . ورواه بن مردويه عن حذيفة بن اليمان مرفوعا وقال كن كخير ابني آدم . وروى مسلم وأهل السنن الا النسائي عن أبي ذر نحو هذا

وأما الآخر فقد قال الامام احمد حدثنا ابو معاوية ووكيع قالا حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ (لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل) ورواه الجماعة سوى أبي داود من حديث الأعمش به وهكذا روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابراهيم النخعي انهما قالا مثل هذا سواء * وبجبل قاسيون شمال دمشق منارة يقال لها منارة النعم مشهورة بانها المكان الذى قتل قاييل أخاه هابيل عندها وذلك مما تلقوه عن أهل الكتاب فله أعلم بصحة ذلك * وقد ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة احمد بن كثير وقال إنه كان من الصالحين أنه رأى النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل وأنه استخلف هابيل ان هذا دمه خلف له وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فأجابه الى ذلك وصدقه في ذلك رسول الله ﷺ وقال إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس * وهذا منام لو صرح عن احمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعى والله أعلم * وقوله تعالى (فبث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فاصبح من النادمين) ذكر بعضهم أنه لما قتله حمله على ظهره سنة وقال آخرون حمله مائة سنة ولم يزل كذلك حتى بث الله غرابين * قال السدى يستند عن الصحابة اخرون فقتلا قتل أحدهما الآخر فلما قتله عد الى الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه وواراه فلما رآه يصنع ذلك قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فضل مثل ماضل التراب فواراه ودفنه *

وذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن على ابنه هابيل حزنا شديدا وأنه قال فى ذلك شعرا وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابن حميد

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض منير قبيح

تغير كل ذى لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

(فأجيب آدم)

أباه هابيل قد قُتل جريماً وصار إلى كاليث القديح
وجاء بشرة قد كان منها على خوف غلبها يصيح

وهذا الشر فيه قطر وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزن به بقلته فقلته بضم فاءه إلى هذا وفيه
أقوال والله أعلم * وقد ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالقوة يوم قُتل أخاه فقلقت ساقه إلى فخذيه وجعل
وجهه إلى الشمس كيما دارت تنكح لابه وتقبل لذهبه وفيه وحده لأخيه لأبويه * وقد جاء في
الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال (ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدره
لصاحبه في الآخرة من البني وقطيعه الرحم) *

والذي رأيته في الكتاب الذي بأيدي أهل الكتاب الذين يزعمون أنه التوراة أن الله عز وجل
أجله وأظفروه وأنه سكن في أرض نود في شرق عدن وهم يسمونه قين وأنه ولد له خنوخ وخنوخ عند
ولمندر محوایل والحوایل متوشيل ومتوشيل لامك وتزوج هذا امرأتين عدا وصلا فولدت عدا ولدا
اسمه ايل وهو أول من سكن القباب واقتنى المال وولدت أيضا نوبل وهو أول من أخذ في ضرب
الفرخ والصنح وولدت صلا ولدا اسمه توبيقين وهو أول من صنع النحاس والحديد وبنا اسمها مهي
وفيها أيضا أن آدم طاف على امرأته فولدت غلاما ودعت اسمه شيث وقالت من أجل أنه قد وهب لي
خلقا من هابيل التي قتله قابيل وولد لشيث أنوش قالوا وكان عمر آدم يوم ولد له شيث مائة وثمانين
سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وكان عمر شيث يوم ولد له أنوش مائة وخمسة وستين وعاش بعد
ذلك ثمانمائة سنة وسبع سنين . وولد له بنون وبنات غير أنوش فولد لانوش قينان وله من العمر
تسعون سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان عمر قينان
سبعين سنة ولد له مهلايل وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وأربعين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان
لمهلايل من العمر خمس وستون سنة ولد له برد وعاش بعد ذلك ثمانمائة وثمانين سنة وولد له
بنون وبنات فلما كان لبرد مائة سنة واثنان وستون سنة ولد له خنوخ وعاش بعد ذلك ثمانمائة
سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لخنوخ خمس وستون سنة ولد له متوشلح وعاش بعد ذلك ثمانمائة
سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لمتوشلح مائة وسبع وثمانون سنة ولد له لامك وعاش بعد ذلك سبعائة
واثنين وثمانين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان للامك من العمر مائة واثنان وثمانون سنة ولد
له نوح وعاش بعد ذلك خمسمائة وخمسين سنة . وولد له بنون وبنات فلما كان لنوح خمسمائة سنة
ولد له بنون سام وحام ويافت هذا مضمون ما في كتابهم صريحا *

وفي كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء قطر كما ذكره غير واحد من العلماء طاعين

عليهم في ذلك والظاهر أنها مقحمة فيها . ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير . وفيها غلط كثير
 كما سنذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى * وقد ذكر الامام أبو جعفر بن جرير في تلخيصه عن بعضهم
 أن حواء ولدت لآدم أربعين ولدا في عشرين بلنا قاله ابن اسحق وسام والله تعالى أعلم . وقيل مائة
 وعشرين بلنا في كل واحد ذكر وأنثى . أولهم قاييل وأخوه قاي . وآخرهم عبد المنيث وأخته أم
 المنيث * ثم اقتسر الناس بعد ذلك وكثروا وامتدوا في الارض ونموا كما قال الله تعالى (يا أيها الناس
 اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) الآية
 وقد ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمض حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده
 أربع مائة ألف نسمة والله أعلم * وقال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن
 قدامها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثملت دعوا الله ربهما لئن آتينانا صلحا لنكونن من الشاكرين
 اليها فلما آتاهما صلحا جللاه شركاه فها آنهاتما قتال الله عما يشركون) الآيات فهذا تنبيه أولا بذكر آدم
 ثم استطراد الى الجنس وليس المراد بهذا ذكر آدم وحواء بل لما جرى ذكر الشخص استطراد الى
 الجنس كما في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلافة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين)
 وقال تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) ومعلوم أن رجوم الشياطين
 ليست هي أعيان مصابيح السماء وانما استطراد من شخصها الى جنسها * فلما الحديث الذي رواه الامام
 أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمار بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال
 (لما ولدت حواء طاف بها الميوس وكان لا يمشي لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يمشي فسمته عبد
 الحارث ففاحس وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره *)

وهكذا رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهم عند هذه الآية
 وأخرجه الحاكم في مستدركه كلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به * وقال الحاكم صحيح
 الاسناد ولم يخرجاه وقال الترمذي حسن غريب لا نرفعه الا من حديث عمار بن ابراهيم ورواه بعضهم
 عن عبد الصمد ولم يرفعه فيهذه عدة قاذحة في الحديث انه روى موقوفا على الصحابي وهذا شبه والظاهر
 أنه تلقاه من الاسرائيليات * وهكذا روى موقوفا على ابن عباس . والظاهر أن هذا متلق عن كعب
 الاحبار ودوته والله أعلم * وقد فسر الحسن البصري هذه الآيات بخلاف هذا . فلو كان عنده عن سمرة
 مرفوعا لما عدل عنه الى غيره والله أعلم . وأيضا قلنا تعالى انما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر
 وليث منهما رجالا كثيرا ونساء فكيف كانت حواء لا يمشي لها ولد كما ذكر في هذا الحديث إن
 كان محفوظا . والمثلون بل المقطوع به ان ربه الى النبي ﷺ خطأ والضوابط وقفه والله أعلم *
 وقد حررنا هذا في كتابنا التفسير وقه الحمد .

ثم قد كان آدم وحواء أتقى لله بما ذكر عنهما في هذا . فان آدم أبو البشر الذي خلقه الله يده
 ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنة * وقد روى ابن حبان
 في صحيحه عن أبي ذر قال قالت يارسول الله كم الانبياء قال مائة الف وأربعة وعشرون الفا . قلت يارسول
 الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفيرة . قلت يارسول الله من كان أولهم . قال آدم . قلت
 يارسول الله نبي مرسل قال نعم خلقه الله يده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا . وقال الطبراني حدثنا
 ابراهيم بن نائلة الاسهباني حدثنا شيان بن فروخ حدثنا نافع بن هرم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس
 قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأفضل الملائكة جبريل وأفضل النبيين آدم وأفضل الأيام يوم الجمعة
 وأفضل الشهور شهر رمضان وأفضل الليالي ليلة القدر وأفضل النساء مريم بنت عمران * وهذا إسناد
 ضيف فان نافعا أبا هريرة كذبه ابن معين وضعه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم والله أعلم *
 وقال كعب الاحبار ليس أحد في الجنة له لحية الا آدم . لحيته سوداء الى سرتة . وليس أحد يكنى
 في الجنة الا آدم كنيته في الدنيا أبو البشر وفي الجنة أبو محمد * وقد روى ابن عدى عن طريق مسيح (١)
 ابن أبي خالد عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله مرفوعا أهل الجنة يدعون
 بأسمائهم الا آدم فله يكنى أبا محمد * ورواه ابن عدى أيضا من حديث علي بن أبي طالب وهو ضعيف
 من كل وجه والله أعلم *

وفي حديث الاسراء الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما مر بأدم وهو في السماء الدنيا
 قال له مرحبا بالابن الصالح والنبي المالح قال وإذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة . فإذا نظر عن
 يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى . قلت يا جبريل ما هذا قال هذا آدم وهؤلاء نسبه . فإذا نظر قبل
 أهل اليمين وهم أهل الجنة ضحك وإذا نظر قبل أهل الشمال وهم أهل النار بكى هذا معنى الحديث * وقال
 أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام بن حسان عن الحسن قال كان
 عقل آدم مثل عقل جميع ولده *

وقال بعض العلماء في قوله ﷺ فردت يوسف وإذا هو قد أعطى شطر الحسن * قالوا مناه أنه
 كان على النصف من حسن آدم عليه السلام * وهذا مناسب . فان الله خلق آدم وصوره يده الكريمة
 ونفخ فيه من روحه فما كان ليخلق إلا أحسن الأشباه * وقد روينا عن عبد الله بن عمر وابن عمرو
 أيضا موقوفًا ومرفوعًا إن الله تعالى لما خلق الجنة قالت الملائكة يا ربنا أجل لنا هذه فانك خلقت لبق
 آدم الدنيا يا كلون فيها ويشربون . قال الله تعالى وعزني وجلالي لأجل صالح ذرية من خلقت يدي
 كن قلت له كن فكان . وقد ورد الحديث المروي في الصحيحين وغيرهما من طرق أن رسول الله
 (١) قوله مسيح بن أبي خالد كذا بالأصل ولا نعرف من الرجال من سمي بهذا الاسم «محمود الامام»

ﷺ قال إن الله (خلق آدم على صورة) وقد تكلم الملاء على هذا الحديث قد كروا فيه مسائل كثيرة ليس هذا موضع بسطها والله أعلم *

ذكر وفاة آدم ووصيته الى ابنه شيث عليه السلام

ومعنى شيث هبة الله وسمايه بذلك لانها رزقاه بعد أن قتل هابيل * قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله ﷺ إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف . على شيث وخمين صحيفة * قال محمد بن اسحاق ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك . قل ويقال إن اقصاب بن آدم اليوم كلها تنهى الى شيث . وسائر أولاد آدم غيره اقرضوا وبادوا والله أعلم *

ولما توفي آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة جاءت الملائكة بمنحوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة . وعزوا فيه ابنه ووصيه شيثا عليه السلام * قال ابن اسحاق وكفت الشمس والقمر سبعة أيام بليالين * وقد قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا هبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن يحيى هو ابن ضمرة السدي قال رأيت شيثا بالبدنية تكلم فقلت عنه قالوا هذا أبي بن كعب . فقال إن آدم لما حضره الموت قال لبيته أي بني إني أشتي من ثمار الجنة قال فذهبوا يطلبون له فاستقبلهم الملائكة ومهمهم أكفاهم وحنوطه ومهمهم الفوس والمساخي والمكاثل قالوا لهم يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون أو ما تريدون وأن تطلبون قالوا أبونا مريض واشتوى من ثمار الجنة قالوا لهم ارجعوا فقد قضى أبوكم فجاءوا فلما رأتهم حواء عرقهم فلاذت بآدم فقال اليك عني فاني اتما أنيت من قبلك فلي يني وبين ملائكة ربي عز وجل قبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحفوه وصلاوا عليه . ثم ادخلوه قبره فوضوه في قبره . ثم حثوا عليه . ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم * إسناد صحيح اليه * وروى ابن عساكر من طريق شيخان بن فروخ عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال كثرت الملائكة على آدم أربا وكبر أبو بكر على فاطمة أربا وكبر عمر على أبي بكر أربا وكبر صهيب على عمر أربا * قال ابن عساكر ورواه غيره عن ميمون قال عن ابن عمر *

واختلفوا في موضع دفنه فاشتهر أنه دفن عند الجبل الذي أحبط منه في الهند وقيل بجبل أبي قيس بمكة * ويقال إن نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدفعهما بيت المقدس * حكى ذلك ابن جرير * وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال رأسه عند مسجد ابراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس * وقد ماتت بعده حواء بسنة واحدة * واختلف في مقدار عمره عليه السلام فقدمنا

في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعاً أن عمره اكتب في اللوح المحفوظ الف سنة . وهذا لا يمارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعة وثلاثين سنة لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود اذا خالف الحق الذي بأيدينا ما هو المحفوظ عن المصوم * وأيضاً قل قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث قلن ما في التوراة إن كان محفوظاً محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط وذلك تسعة وثلاثون سنة شمسية وهي بالقمري تسعة وسبع وخسون سنة ويضاف الى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الإهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع الف سنة *

وقال عطاء الخراساني لما ملأ آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام * رواه ابن عساكر فلما ملأ آدم عليه السلام قام بأبناء الأمر بدده ولله شيت عليه السلام . وكان نيا ينص الحديث الذي رواه ابن جبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً أنه أنزل عليه خسون صحيفة . فلما حانت وفاته أوصى الى ابنه أنوش قائم بالأمر بدده ثم بدده ولله قين . ثم من بدده ابنه مهلايل وهو الذي يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة وأنه أول من قطع الأشجار وبني المدن والمصون الكبار . وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى . وأنه قهر الجبل وجنود وشردهم عن الأرض الى أطرافها وشباب جبالها وأنه قتل خفا من مرمة الجن والغيلان وكان له تاج عظيم وكان يخطب الناس ودامت دولته أربعين سنة . فلما ملأ قام بالأمر بدده . ولله يرد فلما حضرته الوفاة أوصى الى ولده خنوخ وهو إدريس عليه السلام على المشهور *

ذكر إدريس عليه السلام

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إدريس انه كان صدقاً نبياً * ورضناه مكاناً علياً) فلا إدريس عليه السلام قد أنشئ الله عليه ووصفه بالنبوة والصدقية وهو خنوخ هذا وهو في عود نسب رسول الله ﷺ على ما ذكره غير واحد من علماء النسب . وكان أول بني آدم أعلى النبوة بعد آدم وشيت عليهما السلام . وذكر ابن اسحاق أنه أول من خط بقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثلاثين سنين . وقد قال طائفة من الناس إنه المشار اليه في حديث معاوية بن الحكم السلي لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط بقلم فقال إنه كان نبي يخط به فن وافق خطه فذاك * وزعم كثير من علماء التفسير والاحكام أنه أول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس المرامسة ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأنبياء * وقوله تعالى (ورضناه مكاناً علياً) هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الاسراء أن رسول الله ﷺ مر به وهو في السماء الرابعة * وقد روى ابن جرير عن يونس عن عبد الأعلى عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعشى عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف

قال سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لا إدريس (ورفضناه مكاناً علياً) فقال كعب
 أما إدريس قال الله أوحى إليه أني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم (له من أهل زمانه) فأحب
 أن يزداد علماً قاله خليل له من الملائكة فقال إن الله أوحى إلى كذا وكذا فكممك الموت حتى
 أزداد علماً فخله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء فلما كان في السماء الاربعة تلقاه ملك الموت منحدراً
 فكممك ملك الموت في التي كلمه فيه إدريس قال وأين إدريس قال هو ذا على ظهري فقال ملك
 الموت فاصحب بشت وقيل لي أقبض روح إدريس في السماء الاربعة فجلت أقول كيف أقبض روحه في
 السماء الاربعة وهو في الأرض فقبض روحه هاك فقلت قول الله عز وجل (ورفضناه مكاناً علياً) ورواه
 ابن أبي حاتم عند تفسيرها * وعنده فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري فإله وهو
 معه كم بقي من عمره قال لا أدري حتى أنظر فنظر فقال إنك لتسألني عن رجل ماتي من عمري الا طرقة
 عين فنظر الملك إلى تحت جناحه إلى إدريس فلذا هو قد قبض وهو لا يشعر * وهذا من الاسرائيليات
 وفي بعضه نكارة . وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (ورفضناه مكاناً علياً) قال إدريس رفع ولم
 يمت كما رفع عيسى إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر وإن أراد أنه رفع حياً إلى السماء ثم قبض
 هناك فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأخبار والله أعلم * وقال الموفى عن ابن عباس في قوله (ورفضناه
 مكاناً علياً) رفع إلى السماء السادسة فأت بها . وهكذا قال الضحاك . والحديث المتفق عليه من أنه في
 السماء الاربعة أصبح وهو قول مجاهد وغير واحد * وقال الحسن البصري (ورفضناه مكاناً علياً) قال إلى
 الجنة * وقال قائلون رفع في حياة أبيه يرد بن مهلايل والله أعلم * وقد زعم بعضهم أن إدريس لم
 يكن قبل نوح بل في زمان بني اسرائيل *

قال البخاري ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو إدريس واستأنسوا في ذلك بما
 جاء في حديث الزهري عن أنس في الاسراء أنه لما مر به عليه السلام قال له مرحبا
 بالأخ الصالح والنبي الصالح ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم مرحبا بل النبي الصالح والابن
 الصالح قالوا فلو كان في عود نبيه فقال له كما قال له * وهذا لا يدل ولا بدلالة
 قد لا يكون الراوي حفظه جيداً . أوله قاله له على سبيل المضم والتواضع ولم
 يقص له في مقام الأبوّة كما انتصب لأدم أبي البشر وإبراهيم النبي هو
 خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين *

قصّة نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ . وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن قين بن أنوش
 ابن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام * كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما

ذكره ابن جرير وغيره . وعلى تلويح أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة . وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن عمر بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن اخيه زيد بن سلام سمعت أبا سلام سمعت أبا ألفة أن رجلا قال يا رسول الله أنبي كان آدم قتل نعم مكرم . قال فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون . قلت وهذا على شرط مسلم ولم يخرج به . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام . فان كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس فينبغي ألف سنة لاحالة لكن لا ينبغي أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالاسلام اذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الاسلام لكن حديث أبي ألفة يدل على الحصر في عشرة قرون وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على الاسلام . وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قابيل وبنيه عبدوا النار والله أعلم . وان كان المراد بالقرن الجبل من الناس كما في قوله تعالى (ولم أهلكنا من القرون من بد نوح) وقوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) وقال تعالى (وقرونا بين ذلك كثيرا) وقال (ولم أهلكنا قبلهم من قرن) وكتوبه عليه السلام (خير القرون قرني) الحديث فقد كان الجبل قبل نوح يسرون الفهر الطويلة . فلي هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين والله أعلم .

وبالحجة ففوح عليه السلام انما به الله تعالى لما عبت الاصنام والطواغيت وشرع الناس في الصلاة والكفر فبته الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث الى أهل الارض كما يقول أهل الموقف يوم القيامة . وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جرير وغيره .

واختلفوا في مقدار سبته يوم بعث قيل كان ابن خمسين سنة . وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة . وقيل ابن اربعمائة وثمانين سنة . حكاهما ابن جرير وعزا الثالثة منها الى ابن عباس .

وقد ذكر الله قصته وما كان من قومه وما أنزل بين كفره من العذاب بالطوفان وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه العزيز . ففي الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والمنكوبين والصافات واقرئت وأنزل فيه سورة كلمة . فقال في سورة الاعراف (قد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه انا لترك في ضلال مبين . قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون . أو عيستم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منك لم يندركم ولتنتوا وللكم ترجون . فكذبوه فأجيته الله والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنيهم كانوا قوما عيبن) وقال في سورة يونس (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبير

عليكم مقامى وتذكى كبرى بآيت الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشرككم ثم لا يكن أمركم عليكم غة
ثم اقصوا الى ولا تنظرون . فان توليتم فبما سألتمكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن
أكون من المسلمين . فكنذوه فتحيته ومن معي الفلك وجعلناهم خلافاً وأغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا فاطر كيف كل عاقبة المنفدين) وقال تعالى في سورة هود (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى
لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملا الذين كفروا
من قومه متركة الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بلى الرى وما نرى لكم علينا
من فضل بل قتلنكم كذابين * قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتاني رحمة من عنده
فصيت عليكم أنزلكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا
بطاود الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى اراكم قوماً تجهلون * ويا قوم من ينصرنى من الله ان
طردتهم أفلا تذكرون * ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا
أقول للذين تزددى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا بان الظالمين * قالوا يا نوح
قد جادلنا فاكثرت جدلنا فأنتا بما قدنا ان كنت من الصادقين * قال انما يأتىكم به الله ان شاء وما
أنتم بمعجزين * ولا ينصركم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ذبك والى
ترجون * أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى لى اجراى وأنا برى مما تجرمون * وأوحى الى نوح
أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تجلس بما كانوا يصطلون * واصنع الفلك باعيننا ووحينا
ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مفرقون * ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال
إن تسخروا منا فانا نفسخ منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
عذاب مقيم * حتى اذا جاء أمرنا وطر التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق
عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل * وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسدا ان ربى لغفور
رحيم * وهى تجري بهم فى موج كالجبال ونهى نوح ابته وكان فى منزل يابى لركب معنا ولا تكن مع
الكافرين * قال ساوى الى الجبل يصصى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال
بينهما المارج فكاتا من المرفقين * وقيل بأرض الجلى ملك ويا سماء أطفى وغضى الماء وقضى الأمر
واستوت على الجوى وقيل بسدا للقوم الظالمين * ونهى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلى وان
وعدي الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما
ليس لك به علم انى أعطتك أن تكون من الجاهلين * قال رب انى اعوذ بك أن أسألك ما ليس لى
به علم والا تنفر لى وترحمى أن كن من الخاسرين * قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركعت عليك وعلى
أمن من معك وأمن سنتهم ثم بعهم منا عذاب أليم * تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت

تملها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين * وقال تعالى في سورة الانبياء (ونوحا
 اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم * ونصرناه من القوم الذين كذبوا
 بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون (ولقد أرسلنا نوحا الى
 قومه قال يقوم اعبدوا الله مالا لكم من له غيره ألا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا
 الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل بكم ولو شاء الله لآتزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابأنا الأولين *
 ان هو الا رجل به جنة فترصبوا به حتى حين * قال رب انصرني بما كذبون * فلو حينا اليه أن اصنع
 الفلك باعيننا ووحينا فلذا جاء أمرنا وفل التنوير فملك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق
 عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون * فلذا استوتيت أنت ومن معك على الفلك
 قل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين * وقال رب انزلي منزلا مباركا وأنت خير المزلين * ان
 في ذلك لآيات وان كنا لملتبين) وقال تعالى في سورة الشعراء (كذبت قوم نوح المرسلين * اذ قال
 لهم أخوهم نوح ألا تتقون . اني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر ان
 اجري الا على رب العالمين . فاتقوا الله وأطيعون . قلوا أو من لك واتبعك الأذقون . قال وما على
 بما كانوا يعملون * ان حسابهم الا على ربك تسعرون وما أنا ببالد المؤمنين . إن أنا الا نذير مبين .
 قالوا لئن لم تنته بالوح لشكون من المرجومين . قال رب إن قومي كذبون . ففتح بيني وبينهم فحاه
 ونجى ومن معي من المؤمنين . فنجيناه ومن معه في الفلك المشحون . ثم أغرقنا بعد الباقين . إن في ذلك
 لآية وما كان أكرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم) وقال تعالى في سورة العنكبوت (ولقد
 أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فلأنهم الظوفان وهم ظالمون . فنجيناه وأصحاب
 السفينة وجعلناها آية للعالمين) وقال تعالى في سورة الصافات (ولقد نادانا نوح فلنهم المهييئون . ونجيناه
 وأهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على نوح في
 العالمين . إنا كذلك نجزي المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين) وقال تعالى في سورة
 اقترت (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازجر . فدعاه ابي مغلوب فاقصر .
 ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وغرقنا الارض عيويا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات
 ألواح ودسر . تبحرنا بعيننا جزاء لمن كان كفر . ولقد تركناها آية فهل من مدكر . فكيف كان عذاب
 ونذر . ولقد يسرنا القرآن لذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم انا أرسلنا
 نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم . قل يا قوم إنى لكم نذير مبين * أن اعبدوا
 الله واتقوه وأطيعون ينصر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو
 كنتم تعلمون * قال رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يردم دعائي الا فرارا . وإنى كلما دعوتهم

فتغفر لهم جلوا أصابعهم في آذانهم واستشفوا أياديهم وأصروا واستكبروا استكباراً * ثم إنى دعوتهم
 جهاراً * ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم أسراراً * قلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء
 عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله
 وقاراً * وقد خلقكم أطواراً * ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل
 الشمس سراجاً * والله ابتكم من الأرض نباتاً * ثم يمدهم فيها ويمخرهم إخراجاً * والله جعل لكم
 الأرض باطلاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً * قل نوح رب أنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله
 وولده إلا خساراً ومكروا مكراً كباراً * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذردوا ولا سواعاً ولا يثوث
 ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً ولا تذرد الظالمين إلا ضلالاً * مما خبطياتهم أغرقوا فأنزلوا نارا
 فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً * وقل نوح رب لا تذرد على الأرض من الكافرين دليلاً *
 إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فجرة كفراراً * رب اغفرلى ولوالهdy ولمن دخل بيتى مؤمناً
 وللمؤمنين والمؤمنات ولا تذرد الظالمين إلا تباراً (وقد تكلمنا على كل موضع من هذه في التفسير
 وسند ذكر مضبوط القصة مجموعاً من هذه الأماكن المتفرقة وما دلت عليه الأحاديث والآثار وقد
 جرى ذكره أيضاً في مواضع متفرقة من القرآن فيها مدحه وذم من خالفه قال تعالى في سورة النساء
 (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والتين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
 والأيصاوعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً * ورسلاً قد قصصناهم عليك
 من قبل ورسلاً لم قصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
 على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) وقال في سورة الأنعام (وذلك جنتنا آتيناهم إبراهيم
 عليه السلام قوله نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا
 من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا
 ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل وإسحاق ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين *
 ومن آياتهم وذرياتهم وأخوانهم وإحبيبتهم وهديتهم إلى صراط مستقيم) الآية * وتقدم قصته
 في الأعراف * وقال في سورة براءة (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم
 وأصحاب مدين والمؤتفكت أنهم بالبينات فأكذبوا فكان الله يقظهم ولكن كانوا أنفسهم يظنون)
 وتقدم قصته في يونس وهود) وقال في سورة إبراهيم (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
 وثمود والذين من بعدهم لا يلهيهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فزادوا أيديهم في أقوارهم وقالوا إنا
 بكفرا بما أرسلهم * وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب) وقال في سورة سبحان (ذرية من حملنا مع
 نوح إنه كان عبداً شكوراً) وقال فيها أيضاً (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب

عباده خيرا بصيرا) وتقدمت قصته في الانبياء، والمؤمنون والشراء والعنكبوت . وقال في سورة
 الأحزاب (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا
 منهم ميثاقا غليظا) وقال في سورة (ص) (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود
 وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب . ان كل الاكذب الرسل فحق عقاب) وقال في
 سورة غافر (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا
 بالباطل ليدحضوا به الحق فانكبتهم فكيف كان عقاب . وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم
 أصحاب النار) وقال في سورة الشورى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والتي أوحينا إليك وما
 وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوم إليه * الله
 يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) وقال تعالى في سورة (ق) (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب
 الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)
 وقال في القدريلت (وقوم نوح من قبل أنهم كلوا قوما فاسقين) وقال في النجم (وقوم نوح من قبل
 أنهم كلوا هم أنظلم وأطغى) وتقدمت قصته في سورة اقتربت الساعة * وقال تعالى في سورة الحديد
 (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون)
 وقال تعالى في سورة التحريم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين
 من عبادنا صالحين فخذاهما فل يفتنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) *

وأما مضمون ما جرى له مع قومه مأخوذا من الكتاب والسنة والأثر فقد قدمنا عن ابن عباس
 أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام رواد البخارى * وذكرنا أن المراد بالقرن الجيل
 أو المدة على ملسف * ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان
 الى عبادة الاصنام وكان سبب ذلك ملوواه البخارى من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس
 عند تفسير قوله تعالى (وقالوا لا تذرنا آلهتناكم ولا تذرنا ودا ولا سواها . ولا يوثق ويوق وفسرا) قال
 (هذه) اسما رجال صالحين قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم
 التي كانوا يجلسون (فيها) أنصابا وسموها بآلهتهم ففعلوا فلم تصبحتي إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبثت *
 قال ابن عباس وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بد * وهكذا قال عكرمة
 والضحاك وقادة ومحمد بن اسحاق *

وقال ابن جرير في تفسيره حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن
 قيس قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين
 كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كل أشوق لنا الى العبادة إذا ذكرناهم فصورهم فلما ماتوا وجاء آخرون

دب إليهم إليس قال اتما كانوا يبدونهم وبهم يستقون المطر فبدوهم • وروى ابن أبي حاتم عن عروة ابن الزبير أنه قال ود ويثوق وسواع ونسر أولاد آدم وكان ود أكبرهم وأبرهم به •

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبي المطهر قال ذكروا عند أبي جعفر هو الباقر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب قال فلما اختلف من صلاته قال ذكركم يزيد بن المهلب أما انه قتل في أول أرض عبد نها غير الله . قال ذكروا رجلا صالحا وكان محببا في قومه فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إليس جزعهم عليه تشبه في صورة انسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في تلويمكم فتذكروا قالوا نعم . فصور لهم مثله . قال ووضعوه في نعليهم وجلوذ كرونه . فلما رأى منهم من ذكره قال هل لكم أن اجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ليكون له في بيته تذكرونه . قالوا نعم قال ففعل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به . قال وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قل وتناسلوا ودرس أثر ذكركم إياه حتى انخفوه لما يبدونه من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ماعبد غير الله ودأ الصنم الذي صوره ودأ •

ومقتضى هذا السياق أن كل صنم من هذه عبدة طائفة من الناس • وقد ذكر أنه لما تناولت اليهود والأزمان جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون أئمت لهم ثم عبدت بعد ذلك من دون الله عز وجل • ولهم في عبادتها مسالك كثيرة جدا قد ذكرناها في مواضعها من كتابنا التفسير والله الموفق • وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة تلك الكنيسة التي رايها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرتا من حسناتها وتصاوير فيها قال (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صورو فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل) والمقصود أن الضاد لما اقتشر في الأرض وعم البلاء بعباد الأصنام فيها بعث الله عبده ورسوله نوحا عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة قال فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وفتح عليك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تنفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه وما بلتنا فيقول ربى قد غضب غضبا شديدا لم يغضب قبلك مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فصمت غصني اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلتنا ألا تنفع لنا إلى ربك عز وجل فيقول ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبلك مثله ولا يغضب بعده

مثله فضى فضى . وذكر تمام الحديث بماوله كما أورده البخارى فى قصة نوح •

فلما بعث الله نوحا عليه السلام دعاه الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن لا يعبدوا معه صنما ولا تمثالا ولا طاغوتا وأن يمتروا بوحديته وأنه لا إله غيره ولا رب سواه كما أمر الله تعالى من بعده من الرسل الذين هم كلهم من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقال فيه وفى ابراهيم (وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) أى كل نبي من بعد نوح فمن ذريته . وكذلك ابراهيم قال الله تعالى (ولقد بعنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقيل تعالى واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا أنجلنا من دون الرحمن آتاهم يسعون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون) ولهذا قال نوح لقومه (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ائنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقال (ألا تعبدوا الا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم اليم) وقال (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) وقال (يا قوم ائنى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون . يفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر فلو كنتم تعلمون • قل رب ائنى دعوت قوى ليلا ونهارا فلم يردم دعائى الا فرارا وائنى كلما دعوتهم لتفتر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستشوا نياهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم ائنى دعوتهم جهارا ثم ائنى أعلنت لهم وأسردت لهم أسرارا . قتلست استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا • ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم اطوارا) الآيت الكريمة . فذكر انه دعاه الى الله بأنواع الدعوة فى الليل والنهار والسر والاجهار بالترغيب والتهريب أخرى وكل هذا فلم ينفع فيهم بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الاصنام والأوثان ونصبوا له المداوة فى كل وقت وأوان وتنقصوه وتنقصوا من آمن به وتوعدهم بالرجم والاخراج ونالوا منهم وباتوا فى أمرهم (قال الملا من قومه) أى السادة الكبار منهم (انا لترك فى ضلال مبين . قال يا قوم ليس بضرالة ولكى رسول من رب العالمين) أى لست كما تزعمون من أنى ضال بل على الهدى المستقيم رسول من رب العالمين أى الذى يقول للشئ كن فيكون (أبلغكم رسالات ربي وأوضح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) . وهذا شأن الرسول أن يكون ليلى أى فصيحاً نوحاً أعلم الناس بالله عز وجل . وقالوا له فيما قالوا (ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بآدى الرأى وماترى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) تسبوا ان يكون بشرا رسولا وتنقصوا بمن اتبعه وزأوم اراذلهم • وقد قيل انهم كانوا من أقياد الناس وهم ضغافهم كما قال هرقل وهم أتباع الرسل وما ذاك الا لأنه لا مانع لهم من اتباع الحق وقولهم بآدى الرأى أى بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية وهذا

الذى رموم به هو عين ما يمدحون بسببه رضى الله عنهم فلن الحق الظاهر لا يحتاج الى دوية ولا فكر ولا نظر بل يجب اتباعه والاعتقاد له متى ظهر . ولهذا قال رسول الله ﷺ مادحا للصدق مدعوت احدا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه لم يتعلم ولهذا كانت يومه يوم التقيعة ايضا سرية من غير نظر ولا دوية لان افضليته على من عداه ظاهرة جلية عند الصحابة رضى الله عنهم ولهذا قال رسول الله ﷺ لما أراد أن يكتب الكتاب الذى أراد أن ينص فيه على خلافته فتركه وقال يا ابي الله والمؤمنون الا ابا بكر رضى الله عنه . وقول كفرة قوم نوح له ولبن آمن به . (وما ترى لكم علينا من فضل) اى لم يظهر لكم امر بعد انصافكم بالايمان ولا مزية علينا (بل ظننكم كاذبين . قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتاني رحمة من عنده فصيت عليكم انزموكموها وأنتم لها كلوهون) وهذا تطف في الخطاب معهم وترقى بهم في الدعوة الى الحق كما قال تعالى (فقل لا له قولا لنا لله يتذكر او ينسى) (وقال تعالى) ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) وهذا منه يقول لهم (ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتاني رحمة من عنده) اى النبوة والرسالة (فصيت عليكم) اى قلتم فتموهوا ولم تهتدوا اليها (انزموكموها) اى تضيقكم بها وغيركم عليها (وأنتم لها كلوهون) اى ليس لي فيكم حيلة والحالة هذه (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله) اى لست اريد منكم اجرة على ابلاغى اياكم ما ينصركم في دنياكم واخراكم ان اطلب ذلك الا من الله الذى ثوابه خير لي واتق مما تعلمون انتم . وقوله (وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملائقوا ربهم ولكي اراكم قوما يجهلون) كلمهم طلبوا منه ان يبعد هؤلاء عنه ووعده ان يجتمعوا به اذا هو فعل ذلك فابى عليهم ذلك وقال (انهم ملائقوا ربهم) اى فخاف ان طردهم ان يشكروا الى الله عز وجل ولهذا قال (ويا قوم من ينصرني من الله ان طردهم اقلأ تذكرون) ولهذا لما سأل كفار قريش رسول الله ﷺ ان يطرده عن ضفاه المؤمنين كملو ومصيب وبلال وخباب واشباههم نباه الله عن ذلك كما ينه في سورتي الانعام والكهف (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لاني ملك) اى بل أنا عبد رسول لأعلم من علم الله الا ما أعلمني به ولا أقدر الا على ما أقدرني عليه ولا أملك لتنتيضا ولا ضرا الا ما شاء الله (ولا أقول للذين تردى أعنكم) . يعنى من اتباعه (ان يؤتهم الله خيرا الله اعلم بما في أنفسهم انى اذا لمن الظالمين) اى لا أشهد عليهم بلهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة الله أعلم بهم وسيجازيهم على ما في نفوسهم ان خيرا أو غير وان شرا فشر كما قالوا في المواضع الأخر (أتؤمن لك واتبعك الارذفون . قل وما علمي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الا على ربى . لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين) *

وقد تناول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى (فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما

فانضم الطوفان وهم ظالمون) اى ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به الا القليل منهم وكان كل ما تعرض
 جيل وصوا من بدم بدم الايمان به ومحاربه ومخالفته . وكان الوالد اذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه
 وصاه فيها بينه وبينه ان لا يؤمن بنوح ابدا ما عاش ودائما ما بقى وكانت سجاياهم تأبى الايمان واتباع
 الحق ولهذا قال (ولا يلدوا الا ظهرا كفارا) ولهذا قالوا (قولوا يا نوح قد جادتنا فأكثرت جلالنا فأنتما
 بما تصدنا ان كنت من الصادقين) قال انما يأتىكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين) اى انما يقدر على
 ذلك الله عز وجل فانه الذى لا يميزه شئ ولا يكثره أمر بل هو الذى يقول للشئ كن فيكون
 (ولا ينضمكم نصصى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد ان ينويكم هو ربكم واليه ترجعون)
 أى من يرد الله فخته فلن يملك احد هدايته هو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو النزال لما يريد
 وهو المرز الحكيم السليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق التوايه . وله الحكمة البالغة والحجة الدامنة
 (وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) تسليه له عما كان منهم اليه (فلا تبش
 بما كانوا يشكون) وهذه تمزيه لنوح عليه السلام فى قومه أنه لن يؤمن منهم الا من قد آمن اى لا
 يسوئك ما جرى فان النصر قريب والنبأ عجيب (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين
 ظلموا انهم مفروقون) وذلك ان نوحا عليه السلام لما شى من صلاحهم وقلاحهم ورأى أنهم لاخير
 فيهم وتوصلوا الى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق من ضال ومقال دعا عليهم دعوة غضب ظلى الله
 دعوته وأجاب طلبته قال الله تعالى (ولقد ثننا نوح فلنعم المهييئون . ونحيناه وقومه من الكرب
 العظيم) . وقال تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنحيناه وأهله من الكرب العظيم) . وقال
 تعالى (قال رب ان قومى كاذبون فافتح ينى وبينهم فجما ونجى ومن معى من المؤمنين) وقال تعالى
 (فدعاه ربى انى مطلوب فانصر) وقال تعالى (قال رب انصرنى بما كذبون) وقال تعالى (عما خليا بهم
 أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا . وقال نوح رب لا تذر على الأرض من
 الكافرين ديارا . انك ان تدمرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا ظهرا كفارا) فلجتم عليهم خباياهم
 من كفرهم وفجورهم ودعوة تبهم عليهم فسد ذلك امره الله تعالى ان يصنع الفلك وهى السفينة العظيمة
 التى لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثله . وقسم الله تعالى اليه أنه اذا جاء أمره وحل بهم بأسه
 الذى لا يرد عن القوم المهجرين أنه لا يماوده فيهم ولا يراجسه فانه لله قد تدركه رقة على قومه عند
 معاينة المذاب النازل بهم فانه ليس انظير كلامينة ولهذا قال (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مفروقون
 ويصنع الفلك وكما امر عليه ملا من قومه سخروا منه) اى يستهزئون به استبعاد الوقوع ما توعدهم به
 قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اى نحن الذين نخسر منكم وتعجب منكم فى
 استمراءكم على كفركم وعنادكم التى يقتضى وقوع المذاب بكم وحلوله عليكم (فسوف تعلمون من يأتيه

عذاب يجزيه ويحل عليه عذاب مقيم) وقد كانت سجاياهم الكفر الفليظ والعدا البالغ في الدنيا وهكذا في الآخرة فانهم يمحطون ايضا أن يكون جاءهم رسول كما قال البخاري حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ (يحيى نوح عليه السلام وأمه فيقول الله عز وجل هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمته هل بلغتكم فيقولون لا أما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمه فتشهد أنه قد بلغ) وهو قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . والوسط العدل . فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن الله قد بث نوحا بالحق وأنزل عليه الحق وأمره به وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ولم يدع شيئا مما ينضمهم في دينهم الا وقد أمرهم به ولا شيئا مما قد يضرهم الا وقد نهاهم عنه وحذرهم منه . وهكذا شأن جميع الرسل حتى أنه حذر قومه المسيح الدجال وان كان لا يتوقع خروجه في زمتهم حذرا عليهم وشقة ورحمة بهم كما قال البخاري حدثنا عبدان حدثنا عبد الله عن يونس عن الزهري قال سالم قال ابن عمر قام رسول الله ﷺ في الناس فأنشأ على الله بما هو أهله . ثم ذكر الدجال فقال (إني لا أتركوه وما من نبي الا وقد أغرده قومه . لقد أغرده نوح قومه . ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور) وهذا الحديث في الصحيحين ايضا من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (الا أحدكم عن الدجال حديثا ما حدث به نبي قومه أنه أعور وأنه يحيى معه بمثل الجنة والنار والتي يقول عليها الجنة هي النار وإنى أغرركم كما أغر به نوح قومه) لفظ البخاري .

وقد قال بعض علماء السلف لما استجاب الله له أمره ان يفرس شجرا ليعمل منه السفينة ففرسه وانظره مائة سنة ثم نجده في مائة أخرى وقيل في أربعين سنة فأنعم * قال محمد بن اسحق عن الثوري وكانت من خشب الساج * وقيل من الصنوبر . وهو نص التوراة . قال الثوري وأمره أن يجبل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وان يطلى ظاهرها وباطنها بالقطار وان يجبل لها جوجاً أزود يشق الماء * وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعا وهذا الذي في التوراة على ما رأيته * وقال الحسن البصري ستائة في عرض ثلثمائة وعن ابن عباس الف ومائتا ذراع في عرض ستائة ذراع * وقيل كان طولها التي ذراع وعرضها مائة ذراع . قولوا كلهم وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعا وكانت ثلاث طبقات . كل واحدة عشرة أذرع . فالسفل للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها * قال الله تعالى (قل رب اصرف بما كذبون فأوحينا إليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا) أي بأمرنا بالك وبمرأى منا لصنعتك لها ومشاهدتنا لذلك

لترشدك الى الصواب في صنعها (فاذا جاء امرنا وطار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واحلك
الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفرقون) فقدم اليه بأسره العظيم العالي
أنه اذا جاء أمره وحل بأهله أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه
روح من الماء كولات وغيرها لبقاء نسلها وان يحمل معه أهله أى أهل بيته الا من سبق عليه القول
منهم أى الامن كان كفرا فانه قد غفلت فيه الدعوة التى لا ترد ووجب عليه حلول لباس الذى لا يرد
وأمر أنه لا يراجعه فيهم اذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذى قد حمله عليهم فقال لما يريد
كما قلنا وبانه قبل .

والمراد بالتنور عند الجمهور وجه الارض أى نبت الارض من سائر أرجائها حتى نبت التناير
التي هى محال النار . وعن ابن عباس التنور عين في الهند وعن الشعبي بالكوفة وعن قتادة بلخيرة *
وقال علي بن أبى طالب المراد بالتنور نلق الصبح وتنوير الفجر أى إشرافه وضيائه أى عند ذلك
فاحل فيها من كل زوجين اثنين وهذا قول غريب * وقوله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وطر التنور قلنا
احل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل هذا
أمر بأن عند حلول القصة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وفي كتاب أهل الكتاب أنه أمر
أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج وما لا يؤكل زوجين ذكر وأنثى وهذا منابر لمفهوم قوله
تعالى في كتابنا الحق (اثنين) إذ جعلنا ذلك منمولا به . وأما إذ جعلناه توكيذا لزوجين والمفعول به محذوف
فلاننا في والله أعلم *

وذكر بعضهم ويروى عن ابن عباس أن أول ما دخل من الطيور الدرة وآخر ما دخل من الحيوانات
الحمار * ودخل ايليس متعلقا بذنب الحمار . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن صالح
حدثني الليث حدثني هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال لما حل نوح
في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف نطعن أو كيف نطعن المواشى ومنا الاسد فسلط
الله عليه الحمى فكانت أول حى نزلت في الأرض * ثم شكوا الفأرة قالوا الفريسة فتد علينا
طماننا ومتاعنا فأوحى الله الى الاسد فطلس فخرجت الهرة منه فتخبات الفأرة منها . هذا مرسل *
وقوله (واحلك الا من سبق عليه القول) أى من استجبت فيهم الدعوة النافذة ممن كفر فكان منهم ابنه
بالم الذى غرق كما سيأتى بيانه (ومن آمن) أى واحل فيها من آمن بك من أمته قال الله تعالى (وما
آمن معه الا قليل) هذا مع طول المدة والمقام بين اظهرهم ودعوتهم الأكيدة ليلا ونهاراً بضروب
المقالب ونفوس التلطفات والتهديد والوعيد قرة والترغيب والوعيد أخرى .

وقد اختلف العلماء في عدة من كان معه في السفينة فمن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً معهم فأسأزم .

وعن كعب الاحبار كانوا اثنى وسبعين فسا . وقيل كانوا عشرة وقيل اثنا كانوا نوحا وبنه الثلاثة
وكنايته الاربع بله آية يوم الذي انزل وانزل وسلى عن طريق النجاة فاعل اذ عدل . وهذا القول
فيه مخالفة لظاهر الآية بل هي نص في انه قد ركب معه غير اهل طائفة ممن آمن به كما قال
(ونجى ومن مئ من المؤمنين) وقيل كانوا سبعة وأما امرأة نوح وهى أم أولاده كلهم وهم حام
وسام ويافث وبام وقسمه أهل الكتاب كعتان وهو الذى قد غرق وعابر وقد ماتت قبل الطوفان . قيل
لها غرقت مع من غرق وكانت من سبق عليه القول لكفرها وعند أهل الكتاب أنها كانت فى
السفينة فيحتمل أنها كبرت بعد ذلك أو أنها أقضت ليوم القيامة والظاهر الأول لقوله (لا تدر على
الارض من الكافرين ديلا) قال الله تعالى (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك قل الحمد لله
الذى نجاكم من القوم الظالمين . وقل رب انزلى منزلا مباركا وأنت خير المتزلين) أمره أن يحمده
على ما سخر له من هذه السفينة فتجاء بها وفتح بينه وبين قومه واقربته عن خالته وكذب كما قال تعالى
(الذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والافعام ما تكونون . لتستوا على ظهوره ثم تذكروا
نعمه ديبكم إذا استويت عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا
لمقلبون) . وهكذا يؤمر بالدعاء فى ابتداء الأمور أن يكون على الخير والبركة وأن تكون عاقبتها
محمودة كما قال تعالى لرسوله ﷺ حين هاجر (وقل رب أدخلى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق
واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) وقد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية (وقال اركبوا فيها
بسم الله جبراه ومرساها ان ربي لنفود رحيم) أى على اسم الله ابتداء سيرها وانهاؤه (إن ربي لنفود
رحيم) أى وذو عتاب اليه مع كونه غفورا رحبا لا يرد بأسه عن القوم المجرمين كما احل بأهل
الارض الذين كفروا به وعبدا غيره قال الله تعالى (وهى تجري بهم فى موج كالجبال) . وذلك أن
الله تعالى أرسل من السماء مطرا لم يمهده الارض قبله ولا تمطره بعده كان فواء القرب وأمر
الارض فنبت من جميع فجائها وسائر ارجلها كما قال تعالى (فعاد به اتي مغلوب فاتمصر . فتفتحنا
أبواب السماء بماء منمهر . ونغرينا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات ألواح
ودسر) . والسر السائر (تجري بأعيننا) أى بحفظنا وكلائتنا وحراستنا ومشاهدتنا لها جزء لمن
كلن كفر *

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن الطوفان كان فى ثلث عشر شهر آب فى حطب القبط . وقال
تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) أى السفينة (لنجلكم تذكرا وصيا أذن وإعيا) قال
جماعة من المفسرين ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعا وهو الذى عند أهل الكتاب
وقيل ثمانين ذراعا وعم جميع الأرض طولها والعرض سهلها وحزنها وجبالها وقادها ودرملها . ولم يبق

على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف . ولا صنيز ولا كبير * قال الامام مالك عن زيد
ابن اسلم كان أهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل والجبل * وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم (لم تكن
بقعة في الأرض الا ولها مالك وحائز) رواها ابن أبي عاصم . (وتلدى نوح ابته وكان في منزل يابني
اركب معنا ولا تسكن مع الكافرين قال - آوى الى جبل يصبى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر
الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفرقين) وهذا الابن هو يام أخو سام وحام ويافث *
وقيل اسمه كئسان . ولكن كفرا على علا غير صالح لخالف أباه في دينه ومذهبه فهلك مع من . هلك هذا .
وقد نجا مع ابيه الأجانب في النسب لما كانوا مواضع في الدين والمذهب (وقيل يا أرض ابلى ماءك
وباسماء أقضى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجوى) وقيل بهذا لقوم الظالمين (أى لما فرغ
من أهل الأرض ولم يبق منها أحد من عبيد غير الله عز وجل أمر الله الأرض ان تبلى مادعا وأمر السماء
ان تقلع أى تمسك عن المطر (وغيض الماء) أى قص عما كان (وقضى الأمر) أى وقع بهم الذى
كان قد سبق في علمه وقدره من إحلاله بهم ملحل بهم . (وقيل بهذا لقوم الظالمين) أى نودى عليهم
بلسان القدرة بهذا لهم من الرحمة والمنفرة كما قال تعالى (فكذبوه فانجيتهما والذين معه فى الفلك وأغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عيى) وقال تعالى (فكذبوه فانجيتهما ومن معه فى الفلك وجعلناهم
خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المُنذرين) وقال تعالى (ونصرته من القوم
الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء ظفر قوام أجعين) وقال تعالى (فانجيتهما ومن معه فى الفلك
المشحون . ثم أغرقنا بسبالباقين . ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز
الرحيم) وقال تعالى (فانجيتهما وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) وقال تعالى (ثم أغرقنا الآخرين) وقال
(وقد تركناها آية فهل من مدكر . فكيف كان عذابى ونذر . وقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)
وقال تعالى (عما خلقناهم أغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا . وقال نوح رب
لا تفر على الأرض من الكافرين ديارا . انك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدو إلا فجرة كفرارا) وقد
استجاب الله تعالى وله الحمد والمنة دعوة فلم يبق منهم عين تطرف *

وقد روى الامامان أبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما من طريق يعقوب
ابن محمد الزهرى عن قائد مولى عبد الله بن أبي رافع أن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة اخبره
أن عائشة أم المؤمنين اخبرته ان رسول الله ﷺ قال (فلو رحم الله من قوم نوح أحداً (رحم أم الصبي)
قال رسول الله ﷺ مك نوح عليه السلام فى قومه ألف سنة (يقى الا خمسين عاما) وغرس مائة
سنة الشجر فظلت وذبت كل مذهب ثم قطبها ثم جعلها سفينة وعبرون عليه ويسخرون منه ويقولون
تصل سفينة فى البر كيف تبحر قال سوف تلعون * فلما فرغ من بيع الماء وصار فى السكك خشيت أم الصبي

عليه وكانت نحيه جبا شديدا خرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثة فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل . فلما بلغ الماء رقبتها رفته يديها فزقا فزق رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي * وهذا حديث غريب * وقد روى عن كعب الاحبار ومجاهد وغير واحد شيه هذه القصة * وأخرى بهذا الحديث أن يكون موقوفاً يلتقي عن مثل كعب الاحبار والله أعلم *

والمقصود أن الله لم يبق من الكافرين دياراً فكيف يزعم بعض المفسرين ان عوج بن عنق ويقال بن عناق كان موجوداً من قبل نوح الى زمان موسى ويقولون كان كافراً متمرداً جباراً عنيداً ويقولون كان لغير رشدة بل ولله أمه عنق بنت آدم من زنا ولله كان يأخذ من طول السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس وإنه كان يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصيدة التي لك ويستهرز به * ويذكرون أنه كان طولهُ ثلاثة آلاف ذراع وثلاثة مائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاثاً الى غير ذلك من الهذيان التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسافلها ودكاكتها * ثم لهما مخالفة للمعقول والمنقول

أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الايمان ولا يهلك عوج بن عنق ويقال عناق وهو أعظم وأظن على ما ذكروا . وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أم الصبي ولا الصبي ويترك هذا الدعى الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المريد على ما ذكروا *

وأما المنقول فقد قال الله تعالى (ثم أغرقنا الآخرين وقال رب لا تنزل على الأرض من الكافرين دياراً) . ثم هذا الطول الذي ذكره مخالف لما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق يتقص حتى الآن)

فهذا نص الصادق المصدوق المعصوم القنّى لا ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى أنه لم يزل الخلق يتقص حتى الآن أى لم يزل الناس في قصان في طولهم من آدم الى يوم اخباره بذلك وهم جرا الى يوم القيامة *

وهذا يقتضى أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه فكيف يترك هذا ويذهل عنه ويصار الى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المتزلة وحرفوها وأولوها ووضوها على غير مواضعها فاعطتكم بما هم يستولون بقله أو يؤتمنون عليه وما اظن ان هذا الخبر عن عوج بن عناق الا اختلافاً من بعض زنادقهم وجارم الذين كانوا اعداء الأنبياء والله أعلم *

ثم ذكر الله تعالى مناشدة نوح ربه في ولده وسؤاله عن غرقه على وجه الاستسلام والاستكشاف ووجه السؤال أنك وعدتني بنجاة أهلى مئى وهو منهم وقد غرق ظليب بله ليس من أهلك أى الذين

وعلى نجاتهم أى أما قلنا لك وأهلك إلا من سبق عليه القول فكان هذا من سبق عليه القول منهم بن سفيان بكفره ولهذا ساقه الأقدار الى أن انحاز عن حوزة أهل الإيمان ففرق مع حزبه أهل الكفر والطغيان * ثم قال تعالى (قبل ياتوح اهبط بسلام منا وبركت عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سننتهم ثم يمسه منا عذاب ألیم) هذا أمر لنوح عليه السلام لما قضى الماء عن وجه الأرض وأمكن السرى فيها والاستقرار عليها أن يهبط من السفينة التى كانت قد استقرت بدسرها العظيم على ظهر جبل الجودي * وهو جبل يرض الجزيرة مشهور وقد قدمنا ذكره عند خلق الجبال (بسلام منا وبركات) أى اهبط سالما مباركا عليك وعلى أمم ممن سيولد بعد أى من أولادك فإن الله لم يجعل لأحد من كان معه من المؤمنين فسلا ولا عقبا سوى نوح عليه السلام قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بنى آدم ينسبون الى أولاد نوح الثلاثة وهم * سام وحام ويافث *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن النبی ﷺ قال (سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم) ورواه الترمذى عن بشر بن معاذ القدنى عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروة عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعا نحوه وقال الشيخ أبو عمرو ابن عبد البر وقد روى عن عمران بن حصين عن النبی ﷺ مثله . قال والمراد بالروم هنا الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومى بن بعلبى بن يوفى بن يافث بن نوح عليه السلام * ثم روى من حديث اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال (ولد نوح ثلاثة سام ويافث وحام وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم . وولد يافث الترك والسقالة وأبجوج وماجوج وولد حام القبط والسودان والبربر) قلت وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا ابراهيم بن هانئ وأحمد بن حسين بن عباد أبو العباس قالا حدثنا محمد بن يزيد بن ستان الرهاوى حدثني أبى عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (ولد لنوح سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم . وولد ليافث أبجوج وماجوج والترك والسقالة ولا خير فيهم * وولد لحام القبط والبربر والسودان) ثم قال لا فصل يروى مرفوعا الا من هذا الوجه . فترده محمد بن يزيد بن ستان عن أبيه وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتلوا حديثه . ورواه غيره عن يحيى بن سعيد مرسل ولم يسنده وإنما جعله من قول سعيد . قلت وهذا الذى ذكره أبو عمرو هو المحفوظ عن سعيد قوله * وهكذا روى عن وهب بن منبه مثله والله أعلم * ويزيد بن ستان أبو فروة الرهاوى ضعيف بكرة لا يمتد عليه * وقد قيل إن نوحا عليه السلام لم يولد له هؤلاء الثلاثة الأولاد الا بعد الطوفان وإنما ولد له قبل السفينة كتمان الذى غرق وعابر مات قبل

الطوفان • والصحيح ان الاولاد الثلاثة كانوا معه في السفينة هم وقضايم وامهم وهو نص التوراة • وقد ذكر أن حاماً واقع امرأته في السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه خلقه فلفته فولد له ولد أسود وهو كنان بن حام جد السودان • وقيل بل رأى أباه قائماً وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخواه فلهذا دعا عليه أن تغير خلقه بان يكون أولاده عبيداً لآخوته •

وذكر الامام أبو جعفر بن جرير من طريق علي بن زيد بن جلعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قال (قال الحواريون لعيسى بن مريم لو بشت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها . قال فاضلق بهم حتى أتى الى كتيب من تراب فاختد كفاً من ذلك التراب بكفه قال اتدرون ما هذا . قالوا الله ورسوله أعلم . قال هذا كعب حام بن نوح . قال وضرب الكتيب ببصاه وقال قم ياخذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب • قال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا ولكني مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شئت . قال حدثنا عن سفينة نوح . قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير . فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام أن اغمر ذنب الفيل فغمره فوقه منه خنزير وخنزيرة فاقبلتا على الروث ولما وقع الفار يغرر السفينة بقرضه أوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام أن اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنود وسنودة فاقبلتا على النار . قال له عيسى كيف علم نوح عليه السلام أن البلاد قد غرقت قال بشت للتراب يأتيه بالخير فوجد جيفة فوق عليهما فدعا عليه بلخوف فلذلك لا يألف البيوت . قال ثم بشت الحمامة فجاءت بوري زيتون بمقارها وطين برجلها فلم أن البلاد قد غرقت فطوقها الخضر التي في عتقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت . قال فقالوا يا رسول الله ألا تتطلق به الى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتيمكم من لارزق له . قال قال له عد ياخذن الله فادترابا) وهذا أثر غريب جداً

ودوى علباء بن أحر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلهم وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً وإن الله وجه السفينة الى مكة فدارت ثلاثين أربعين يوماً ثم وجهها الى الجودي فاستقرت عليه فبث نوح عليه السلام التراب ليأتيه بخير الأرض فذهب فوق على الجيف فابصاً عليه فبث الحمامة فأنته بوري الزيتون ولطخت رجلها بالطين فزحف نوح أن الماء قد فضب فهبط الى أسفل الجودي فأبني قرية وسماها ثمانين فصبوا ذات يوم وقد تبللت السهائم على ثمانين لفة أحداها العربي وكان بعضهم لا يهقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يبرعهم .

وقال قتادة وغيره ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوماً واستقرت بهم على الجودي شهراً . وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم • وقد روى

ابن جرير خيراً صرفوا بما وافق هذا وأنهم صاموا يومهم ذلك وقال الامام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا
عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال (سر النبي
ﷺ) بانس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء قال ما هذا الصوم قالوا هذا اليوم الذي نجا الله
موسى وبني اسرائيل من الفرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح
وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل قال النبي ﷺ انا احق بموسى واحق بصوم هذا اليوم *
وقال لأصحابه من كان منكم اصبح صائماً فليتم صومه ومن كان منكم قد اصاب من غدا أهله فليتم
بقية يومه . وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح أيضاً والله أعلم .
وأما ما يذكره كثير من الجبهة أنهم أكلوا من فضول أزوادهم ومن جبوب كانت معهم قد استصحبوها
ولطحنوا الجبوب يومئذ واكتحلوا بالأمم لتقوية أبصارهم لما انهارت من الضياء بعد ما كانوا في ظلمة
السفينة فكل هذا لا يصح فيه شيء وإنما يذكر فيه آثار متقطعة عن بني اسرائيل لا يعتمد عليها ولا
يقتدى بها والله أعلم *

وقال محمد بن اسحاق لما أراد الله أن يكف ذلك الطوفان أرسل ريحاً على وجه الأرض فكن
الماء وانسلت ينابيع الأرض فجعل الماء ينقص ويفيض ويدبر وكان استواء الفلك فيما يزعم أهل التوراة
في الشهر السابع لسبع عشر ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشر دثت رؤس الجبال * فلما
مضى بعد ذلك أربعون يوماً فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء
 فلم يرجع إليه فأرسل الحمامة فرجت إليه لم يجد لها طيراً موضعاً فبسط يده للحمامة فدخلها فأدخلها ثم مضت
سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له ما فعل الماء فلم ترجع فرجت حين أمست وفيها ورق زيتونة فلم يرح
أن الماء قد قل عن وجه الأرض * ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه فلم يرح أن الأرض
قد برزت فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد
من الشهر الأول من سنة اثنين برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك * وهذا الذي
ذكره ابن اسحاق هو بيته مضمون سياق التوراة التي يأيدى أهل الكتاب * قال ابن اسحاق وفي
الشهر الثاني من سنة اثنين في ست وعشرين ليلة من (قيل ياتوح اهبط بسلام منا وبركلك عليك وعلى
امم ممن معك وأمم سننتهم ثم يمسم منا عذاب أليم) وفيما ذكر أهل الكتاب ان الله كلم نوحاً قائلاً
له اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك وجميع الدواب التي معك ولينوا
وليكبروا في الأرض فخرجوا وابنى نوح مذبحاً لله عز وجل وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير
الحلال فذبحها قرباناً إلى الله عز وجل وعهد الله إليه ان لا يمد الطوفان على أهل الأرض . وجل
تذكروا الميثاق الذي في النمام وهو قوس قزح التي قلعتنا عن ابن عباس أنه أمان من

الفرق • قال بعضهم فيه إشارة الى أنه قوس بلا وتر أى أن هذا التهام لا يوجد منه طوفان كأول مرة وقد أنكرت طائفة من جهة الفرس وأهل الهند وقوع الطوفان واعترف به آخرون منهم وقتلوا أتما كان يرض بإبل ولم يصل إلينا . قالوا ولم تزل توارث الملك كبرا عن كبر من لندن كيومرث يسون آدم الى زماننا هذا . وهذا قاله من قاله من زنادقة الجيوس عباد النيران وأتباع الشيعان وهذه منسقة منهم وكفر فطبع وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الأرض والسموات وقد أجمع أهل الأديان الناطلون عن رسل الرحمن مع ماوآثر عند الناس فى سائر الأزمان على وقوع الطوفان وأنه عم جميع البلاد ولم يبق الله أحدا من كفره العباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذا لما سبق فى القدر المحتوم

ذكر شئ من أخبار نوح عليه السلام

قال الله تعالى إنه كان عبدا شكورا . قيل إنه كان يحمد الله على طامه وشرابه ولباسه وشأنه كله وقال الامام أحمد حدثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (إن الله يرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها وكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث أبى أسامة . والظاهر أن الشكور هو الذى يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية فإن الشكر يكون بهذا وبهذا كما قال الشاعر

أفدتكم النساء منى ثلاثة • بلى ولسانى والضمير المحجبا

ذكر صومه عليه السلام

وقال ابن منبه (صام نوح عليه السلام) حدثنا سهل بن أبى سهل حدثنا سعيد بن أبى مرجم عن ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن أبى فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول (صام نوح الدهر الا يوم عيد النضر ويوم الأضحي) هكذا رواه ابن منبه عن طريق عبد الله بن لهيعة بإسناده ولفظه • وقد قال الطبراني حدثنا أبو الزيناع روح بن فرج حدثنا عمرو بن خالد الحراني حدثنا ابن لهيعة عن أبى قتادة عن يزيد بن دباح أبى فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول (صام نوح الدهر الا يوم النضر والأضحي وصام داود نصف الدهر وصام ابراهيم ثلاثة أيام من كل شهر • صام الدهر وأضر الدهر »

ذكر حجه عليه السلام

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن زمة هو ابن أبي صالح عن سلفه بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال حج رسول الله ﷺ فلما أتى وادي عسنان قال يا أبا بكر أي واد هذا قال هذا وادي عسنان قال قد مر بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم علي بكراتهم حر خطهم اليف أزدوم الباء وأردتهم النار يحجون البيت العتيق • فيه غرابة

ذكر وصيته لو لده عليه السلام

قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الصقب بن زهير عن زيد بن اسلم قال حماد أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال (كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيحان مزدورة بالدياج قال ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس بن فارس أو قال يريد أن يضع كل فارس بن فارس ورض كل راع بن راع قال فلنخذ رسول الله ﷺ بمجامع جيبه وقال لا أرى عليك لباس من لا يقبل • ثم قال إن نبي الله نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه إني قاص عليك الوصية أترك بאתنين وأنهاك عن اثنتين أترك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولولأن السموات السبع والأرضين السبع كفن حقة مبهمة فضت بهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإن بها صلات كل شيء يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر) قال قلت (أو) قيل يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر أن يكون لاحدا فلان حستان لما شرا كلن حستان قال لا . قال هو أن يكون لاحدا حلة يلبسها قال لا . قال هو أن يكون لاحدا دابة يركبها قال لا . قال هو أن يكون لاحدا أصحاب يجلسون إليه قال لا • قلت (أو) قيل يا رسول الله فما الكبر قال منه الحق وغضب الناس . وهذا إسناده صحيح ولم يخرجوه • ورواه أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال (كن في وصية نوح لابنه أوصيك بمحبتين وأنهاك عن خصلتين) فذكر نحوه • وقد رواه أبو بكر البزار عن إبراهيم بن سعيد عن أبي معاوية الضرير عن محمد بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ بنحوه • والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن الماس كما رواه أحمد والطبراني والله أعلم • وزعم أهل الكتاب أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة كان عمره ستائة سنة • وقد تمتنا عن ابن عباس مثله وزاد وحاشا بعد ذلك ثلثائة وخمسين سنة . وفي هذا القول نظر • ثم إن لم يمكن الجمع

بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض. فان القرآن يقتضي أن نوحاً مكث في قومه بعد البثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاماً فلخدم الطوفان وم ظالمون. ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك فان كان ما ذكره محفوظاً عن ابن عباس من أنه بث وله أربع مائة وثمانون سنة وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة.

وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والازرق عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلان أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام. وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين من أنه يلبده بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك فيا ذكر والله أعلم.

قصة هود عليه السلام

وهو هود بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. ويقال إن هوداً هو عابر بن شالح ابن ارفخشذ بن سام بن نوح. ويقال هود بن عبد الله بن دباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح عليه السلام. ذكره ابن جرير وكان من قبيلة يقال لهم عاد بن عوص بن سام بن نوح وكانوا غزياً يسكنون الاحقاف وهي جبال الرمل وكانت يمين من عان وحضر موت بأرض معللة على البحر يقال لها الشحر واسم واديهم مغيث. وكانوا كثيراً ما يسكنون انخيام ذوات الاعمدة الضخام كما قال تعالى (ألم تركف من ديك بعد ايام ذات العباد) أي عاد ليرم وهم عاد الأولى. وأما عاد الثانية فتأخرة كما سيأتي بيان ذلك في موضعه. وأما عاد الأولى فهم عاد (ليرم ذات العباد التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي مثل القبيلة. وقيل مثل السد. والصحيح الأول كما ينه في التفسير.

ومن زعم أن ارم مدينة تدور في الأرض فتارة في الشام وتارة في اليمن وتارة في الحجاز وتارة في غيرها فقد أبعد النجدة وقال ما لا دليل عليه ولا برهان يعول عليه ولا مستند يركن اليه. وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر في حديث الطويل في ذكر الأنبياء والمرسلين قال فيه منهم أربعة من العرب هود وصالح وشيب ونوح. ويقال إن هوداً عليه السلام أول من تكلم بالعربية. وزعم وهب ابن منبه أن أباه أول من تكلم بها. وقال غيره أول من تكلم بها نوح. وقيل آدم وهو الأشبه. وقيل غير ذلك والله أعلم.

ويقال للعرب الذين كلوا قبل اسماعيل عليه السلام العرب العاربة وهم قبائل كثيرة منهم عاد وثمود وجرم وطسم وجديس وأميم ومدين وعملق وعيل وجاسم وقحطان وبنو يقطن وغيرهم.

وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل * وكان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من تكلم بالبرية الفصيحة البليغة * وكان قد أخذ كلام العرب من جرم الذين تزوا عند أمه هاجر بلحوم كما سيأتي بيانه في موضعه لمن شاء الله تعالى ولكن أنقذه الله بها في غاية الفصاحة والبيان . وكذلك كان يظنظ بها رسول الله ﷺ *

والمقصود أن عاداً وهم عاد الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان . وكان أصنامهم ثلاثة صدأ وصوداً وهرا . فبث الله فيهم أخاهم هوداً عليه السلام فدعاهم إلى الله كما قال تعالى بعد ذكر قوم نوح وما كان من أمرهم في سورة الاعراف . (والى عاد أخاهم هوداً . قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه إننا لفرak في سفاهة وإننا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين . أفأنكم رسالات ربي وأن لكم ناصح أمين . أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة . فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون . قالوا أجبنا لنبد الله وحده ونذر ما كان يبدأ بآبائنا فأتانا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني في أساءة سميتوها أنثم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان . فانتظروا إلى ما معكم من المنتظرين . فنجيهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآبائنا وما كانوا مؤمنين) وقال تعالى بعد ذكر قصة نوح في سورة هود . (والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنثم إلا مفترون . يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون . ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين . قالوا يا هود ما جئنا بينة وما نحن بباركئ ألهتنا عن قولك . وما نحن لك بمؤمنين . إن قول إلا اعتراك بعض آلهمنا بسوء . قال إني أشهد الله وأشهدوا أنني برئ مما تشركون من دونه فيكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم . فان تولوا فقد أبلجتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربي على كل شيء حفيظ . ولما جاء أمرنا فنجيها هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا وننجيهم من عذاب غليظ . وتلك عاد جحطوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد . واتبوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا ببدأ لعاد قوم هود) . وقال تعالى في سورة قد أطلع المؤمنين بعد قصة قوم نوح (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة وأترفاهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً

منلكم إنكم إذا ظلمون) أريدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . مهمات مهمات لما توعنون منى إلى حياتنا الدنيا وما نحن بمؤمنين . إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين . قال رب انصرنى بما كذبون . قال عما قليل ليصبحن نادمين . فأخضعهم للصيحة للحق فجعلناهم غداةً قبلاً القوم الظالمين) . وقال تعالى فى سورة الشعراء بعد قصة قوم نوح أيضاً (كذبت عاد المرسلين . إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وأسالكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين . أتنبئون بكل ريح آية تعيثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا التى أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبتين وجنات وعيون . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين . وما نحن بمحذيين فكذبوه فأهلكناهم إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم) وقال تعالى فى سورة حم السجدة (وأما عاد فلست بمرء فى الأرض بغير الحق وقولوا من أشد منا قوة . أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمحذون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نوح لندفعهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد) وقال تعالى فى سورة الاحقاف (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالآحاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا يعبدوا إلا الله لى أخاف عليهم عذاب يوم عظيم . قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما قدما لى كنت من الصادقين . قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به إليكم ولكنى أراكم قوماً يعجلون . فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) . وقال تعالى فى الذاريات (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شئ أنت عليه إلا جله كالرميم) وقال تعالى فى النجم (وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى . وقوم نوح من قبل إسم كانوا هم أظلم وأطغى . والمؤتفة أحوى . فضناها ماغشى فبأنى آلاء ربك تتبارى) وقال تعالى فى سورة القمر (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نوح مستمر . تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر . فكيف كان عذابي ونذر . ولقد يسرنا القرآن لذكر فهل من مدكر) . وقال فى الحاقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . قيل يرى لهم من بقية) وقال فى سورة الضحى (ألم تركب من قبلك ياد إرم ذات الجاد . التى لم يخلق مثلاً فى البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذى الأوتاد . الذين ظنوا فى البلاد أنهم كانوا فيها الساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك للبالرصاد) . وقد تكلمنا على كل من هذه

القصص في أمما كهمنا من كتابنا التفسير والله الحمد والمئة *

وقد جرى ذكر عاد في سورة براءة وإبراهيم والفرقان والنكبات وفي سورة (ص) وفي سورة (ق) ولندكر مضمون القصة مجموعاً من هذه السياقات مع ما يضاف إلى ذلك من الأخبار * وقد قدمنا أنهم أول الأمم عبدوا الأصنام بعد الطوفان . وذلك بين في قوله لهم (وإذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) أي جعلهم أشد أهل زمانهم في الخلق والثقة والبطش . وقال في المؤمنون (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) وهم قوم هود على الصحيح * وزعم آخرون أنهم هود لقوله (فأخستهم الصيحة بالحق فجعلناهم غداً) قتلوا وقوم صالحم الذين أهلوا بالصيحة (وأما عاد فاهلكوا بريح مصرية عاتية) وهذا الذي قالوه لا يمنع من اجتماع الصيحة والريح العاتية عليهم كما سيأتي في قصة أهل مدين أصحاب الأيكة قاله أجمع عليهم أنواع من العقوبت * ثم لا خلاف أن عاداً قبل هود * والمقصود أن عاداً كانوا عرباً جفاة كافرين عتاة متبردين في عبادة الأصنام فمرسل الله فيهم رجالاً منهم يدعهم إلى الله وإلى أفرادهم بعبادة والإخلاص له فكذبوه وخالفوه وتنصروه فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر فلما أمرهم بعبادة الله ودرغهم في طاعته واستغفاره وعدمهم على ذلك خير الدنيا والآخرة وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سناهة) أي هذا الأمر الذي تدعوننا إليه منه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التي يرتجى منها النصر والرزق ومع هذا ظن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك (قال يا قوم ليس بي سناهة ولكني رسول من رب العالمين) أي ليس الأمر كما تظنون ولا ما تعتقدون (أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم نصح أمين) والبلاغ يستلزم عدم الكذب في أصل المبلغ وعدم الزيادة فيه والنقص منه ويستلزم إبلاغه بعبارة فصيحة وجيزة جامعة مائة لائس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب وهو مع هذا البلاغ على هذه المرفة في غاية النصح لقومه والثقة عليهم والحرص على هدايتهم لا يفتنى منهم أجراً ولا يطلب منهم جلابيل هو غطس لله عز وجل في الدعوة إليه والنصح لخلق لا يطلب أجره إلا من الذي أرسله فان خير الدنيا والآخرة كله في يديه وأمره إليه ولهذا (قال يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) أي ما لكم عقل تعجزون به وتهمون أني أدعوك إلى الحق المبين الذي تشهد به فطرهم التي ختم عليها وهو دين الحق الذي بث الله به نوحاً وأهلك من خالفه من الخلق وما أنا أدعوكم إليه ولا أسألكم أجراً عليه بل أجتى ذلك عند الله ملك الضر والنفع ولهذا قال مؤمن يس (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون . وما لي لأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) وقال قوم هود له فيما قالوا (يا هود ما جئناك بنبأ بل ما نحن بآراء من قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن قول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) يقولون ما جئنا بخارق يشهد لك بصديق ما جئت به وما نحن بلذنين

ترك عبادة أصنامنا عن مجرد قولك بلا دليل أفته ولا برهان نصبتة وما تظن إلا أنك مجنون فإنا نترعه
وعندنا إنما أصابك هذا أن بعض ألفتنا غضب عليك فاصابك في عقلك فاعتراك جنون بسبب ذلك
وهو قولهم (إن قول إلا اعتراك بعض ألفتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أتى برى مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) وهذا تحد منه لهم وتبر من ألفتهم وتنقص منه لها ويان
أنها لا تنفع شيئاً ولا تضر وانها جاد حكماً حكمة وصلها فعله . فان كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع
وتنصر فيها أنا برى منها لآعن لها (فكيدوني ثم لا تنظرون) أنه جميعاً بجميع ما يمكنكم أن تصلوا اليه
وتقدروا عليه ولا تؤخروني ساعة واحدة ولا طرفة عين فإني لا أبالي بكم ولا أفكر فيكم ولا أظن
اليكم (إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) أى
أنا متوكل على الله ومتأيده به ووائق بجنابه الذى لا يضيع من لاذبه واستند اليه فليست أبالي بخلقه سواء
ولست أتوكل إلا عليه ولا أعبد إلا إياه * وهذا وحده برهان قاطع على أن هوداً عبداً لله ورسوله وأنهم
على جهل وضلال في عبادتهم غير الله لآسهم لم يصلوا اليه بسوء ولا نلوا منه مكروها فدل على صدقه فيما
جاءهم به وبطلان ما هم عليه وفساد مذهبوا اليه * وهذا الدليل بيته قد استدلل به نوح عليه السلام قبله
في قوله (يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركائكم
ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم أقضوا الي ولا تنظرون) . وهكذا قل الانليل عليه السلام (ولا أخاف
ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شئ عدا أقلاً تذكرون . وكيف أخاف ما أشرككم
ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فإني الفريقين أحق بالآمن إن كنتم تعلمون .
الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * وقال الملائكة من قومهم الذين كفروا وكذبوا بقاء
الآخرة وأترفاهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون
ولئن أطعتم بشراً مثلكم لئن كنتم إيمانكم إذا خلاصرون . أيعدكم أنكم إذا كنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون)
استبدوا أن يبعث الله رسولا بشراً وهذه الشبهة أدلى بها كثير من جملة الكفرة قديماً وحديثاً كما
قال تعالى (أكن للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس) وقال تعالى (وما منع الناس أن
يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا) ولهذا قال لهم هود عليه السلام (أو عجبتم أن جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) أى ليس هذا بمعجب فإني الله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله
(أبعدكم أنكم إذا كنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيأت هيأت لا تؤعدون . إن هي إلا حياتنا
الدنيا نموت ونحى وما نحن بمبعوثين إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين * قال

ربى انصرنى) استجدوا المعاد وانكروا قيام الاجساد بد صيرورتها تراباً وعظاماً وقالوا هيهات هيهات
أى بيد بيد هذا الوعد إن هى إلحائنا الدنيا نموت ونحى وما نحن بمجوعين أى يموت قوم ويحيى
آخرون. وهذا هو اعتقاد الدهرية كما يقول بعض الجبهة من الزنادقة ارحام تدفع وأرض تبلع *

وأما الدورة فهم الذين يعتقدون أنهم يعودون الى هذه الدار بعد كل ستة وثمانين ألف سنة
وهذا كله كذب وكفر وجهل وضلال وأقوال باطلة وخيال فاسد بلا برهان ولا دليل يستميل عقل
الفجرة الكفرة من بنى آدم الذين لا يفلتون ولا يبتدون كما قال تعالى (ولنصغى اليه أهلة الذين
لا يؤمنون بالأخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترون) وقال لهم فيها وعظهم به (أتنبون بكل ربيع آية
تفسون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) يقول لهم أتنبون بكل مكان سرقة بناء عظاماً هائل كالتصور
ونحوها تفسون بيناتها لانه لا حاجة لكم فيه وما ذاك إلا لاهم كانوا يسكنون الخيام كما قال تعالى
(ألم تتركب فل ربك بدار إرم ذات المهاد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد) فدار إرم هم عاد الأولى الذين
كانوا يسكنون الاعمدة التى تحمل الخيام *

ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهى تنقل فى البلاد قد غلط وأخطأ وقل مالا دليل
عليه * وقوله (وتتخذون مصانع) قيل هى القصور * وقيل بروج الحمام * وقيل ما أخذ الماء (لمسك
تخلدون) أى رجاء منكم أن تصروا فى هذه الدار أعماراً طويلة (وإذا بلستم بلستم جبارين فاتقوا
الله وأطيعوا . واتقوا التى أمركم بها فتلون . أمركم بأفعال وبينت وجنتا وعيون فى أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم) وقالوا له ما قلوا (أجبتنا لنمجد الله وحده ونذر ما كان يمد آبلونا فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين) أى أجبتنا لنمجد الله وحده ونخالف آباءه وأسلافنا وما كانوا عليه *
فان كنت صادقا فيما جئت به فأتنا بما تعدنا من العذاب والنكال فأتنا لا تؤمن بك ولا تبعك ولا
نصدقك كما قالوا (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا الا خلق الأولين . وما نحن
بمبذيين) أما على قراءة فتح اخلاء فالمراد به اختلاق الأولين أى ان هذا الذى جئت به الا اختلاق
منك وأخذه من كتب الأولين * هكذا فسر غير واحد من الصحابة والتابعين * وأما على قراءة ضم
الخاء واللام فالمراد به الدين أى ان هذا الدين الذى نحن عليه الا دين الآباء والاجداد من أسلافنا ولن
تحويل عنه ولا تتغير ولا تزال متمسكين به . ويناسب كلا القراءتين الأولى والثانية قولهم (وما نحن
بمبذيين) قال (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني فى أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما
نزل الله بها من سلطان فاتخذوا ائى مك من المتظنين) أى قد استحققت بهذه المقالة الرجس والغضب
من الله أنما رضون عبادة الله وحده لا شريك له بعبادة أصنام أنتم تحمونها وسميتوها آلهة من تلقاء
أفئكم اصطالحتم عليها أنتم وآبائكم ما نزل الله بها من سلطان أى لم ينزل على ما ذهبتم اليه ديلا ولا

برهاناً وإذا أتيت قبول الحق وتمايت في الباطل وسواء عليكم أنيتكم عما أنتم فيه أم لا فانتظروا
الآن عذاب الله الواقع بكم وبأسه الذي لا يرد ونكاله الذي لا يصد وقال تعالى (قال رب انصرني بما
كذبون قل عما قليل ليصبحن نادمين فآخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين) وقال
تعالى (قالوا أجبنا لنافكنا عن آلهتنا فأتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين . قال اتما العلم عند الله وأبلغكم
ما أرسلت به ولكني أراكم قوماً تجهلون . فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
بل هو ما استعجبتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شئ بأسرها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
كذلك نميزي القوم المجرمين) وقد ذكر الله تعالى خبر اهلاكهم في غير ما آية كما قدم مجلا ومنصلا
كقوله (فأنجيناهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) وكقوله (ولما
جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ . وذلك عاد جحدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لمة ويوم القيمة ألا ان عادا كفروا
ربهم الا ببدأ لماد قوم هود) وكقوله (فآخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين وقال
تعالى (فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم)
وأما تفصيل إهلاكهم فلما قال تعالى (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل
هو ما استعجبتم به ريح فيها عذاب أليم) كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا محطين مستئين فطلبوا
السقيا فرأوا عارضا في السماء وظنوه سقيا فآذا هو سقيا عذاب . ولهذا قال تعالى (بل هو ما استعجبتم
به) أي من وقوع العذاب وهو قولهم (فأتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين) ومثلهما في الأعراف .
وقد ذكر المفسرون وغيرهم ههنا الخبر الذي ذكره الامام محمد بن اسحق بن بشار قال فلما أبوا إلا الكفر
بالله عز وجل أسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدم ذلك قال وكان الناس اذا جهدم أمر في ذلك
الزمان فطلبوا من الله الفرج منه إما يطلبونه بحرمه ومكان يشه . وكان ممرقا عند أهل ذلك الزمان
وبه المالحق مقيمون وهم من سلالة علي بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم اذ ذاك رجلا يقال له
معاوية بن بكر وكانت أمه من قوم عاد واسمها جليلة ابنة الخيبرى . قال فبعث عاد وفداً قريبا من سبعين
رجلا يستقوا لهم عند الحرم فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فزولوا عليه فاقبلوا عنده شهراً يشربون
الخمر فيضهم الجراد فكان قتياناً لمأوية وكثروا قد وصلوا اليه في شهر . فلما طال مقامهم عنده وأخذته
شقة على قومه واستحجى منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شراً فيعرض لهم بالانصراف وأمر القيتين
أن تفتنهم به فقال

ألا يا قاتل ومحك قم فبينم لل الله بمنحتنا غماما
فيستقي أرض عاد ان عاداً قد أمسوا لا يبتنون الكلاما

من العلى الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير قد أمت نساؤهم ألبا
وإن الوحش يأتيهم جهارا ولا يخشى لعلهم سبها
وأثم هنا فيا أشتيت نهاركم وليلكم تملا
فحبب وفدكم من وفد قوم ولا تقوا التحية والسلاما

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاموا له فتهضوا الى الحرم ودعوا لقومهم فلما داعيهم وهو قيل
ابن عترة فأنشأ الله سبحانه ثلاثاً يضاء وسوداء ثم فلاه مناد من السماء اختر لنفسك وقومك
من هذا السحاب فقال اخترت السحابة السوداء فلما أكره السحاب ماء فناداه اخترت رمادا ورمدا
لا تبقى من عاد أحدا . لا والدأ يترك ولا ولدا . إلا جلته هذا إلا بنى اللودية الهدا . قال هو بطن من
عاد كانوا مقيمين بمكة فلم يصعبهم ما أصاب قومهم قال ومن بنى من أنسابهم وأقاربهم هم عاد الآخرة
قال وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بن عترة بما فيها من النعمة الى عاد حتى يخرج عليهم من
واد يقال له الخبيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض عطرنا فيقول تعالى (بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ بأمر ربها) أى كل شئ أشرت به فكان أول من ابصر ما فيها
وعرف أنها ريح فيا يذكرون امرأة من عاد يقال لها فهد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صقت . فلما
انفقت قالوا ما رأيت يا فهد قالت رأيت ريحا فيها كشيب النار أملأها رجال يقرودونها فصرخا الله
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما والحيوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك قال واعتزل هود
عليه السلام فيا ذكر لى فى حظيرة هو ومن معه من المؤمنين ما يصيبهم الا ما يلين عليهم الجلود ويتند
الافس وإنها لتمر على عاد بالطنن فيا بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة هود ذكر تمام القصة

وقد روى الامام أحمد حديثا فى مسنده يشبه هذه القصة قال حدثنا زيد بن الحباب حدثنى أبو
المنذر سلام بن سليمان النحوى حدثنا عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل عن الحارث وهو ابن حسان
ويقال ابن يزيد البكري قال خرجت اشكو السلا بن الحضرمى الى رسول الله ﷺ فررت بربذة
فاذا عجوز من بنى تميم متقطع بها فقلت لى يا عبد الله ان لى الى رسول الله ﷺ حاجة فهل أنت مبلى
اليه قال غلبها فانيت المدينة فاذا المسجد خاص بأهله واذا راية سوداء تحفى واذا بلال متقلد السيف
بين يدى رسول الله ﷺ فقلت لى الناس قالوا يريد أن يموت عمرو بن العاص وجها قال فجلست قال
فدخل منزله أو قال رحله فلست أدنيت عليه فاذن لى فدخلت فقلت قال هل كان بينكم وبين بنى تميم شئ
قلت نعم وكانت لنا البيرة عليهم ومهدت يسجوز من بنى تميم متقطع بها فأتانى أن احملها اليك وهامى
بالباب فاذن لى فدخلت فقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بنى تميم حاجزا فاجعل الدهنا

قاتلاً كانت لنا قال غيبت العجوز واستوفرت وقتك يا رسول الله قال أين تضطرب مضرك قال قلت إن مثلي
 ما قال الأول (مضى حلت حلتها) حلت هذه الأمة ولا أشمر أنها كانت لي خصماً أعوذ بالله ورسوله أن
 أكون كوافد عاد قال هي وما وافد عاد وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت إن عاداً قتلوا فبشوا
 وضالمهم يقال له قيل فرب بماوية بن بكر فقام عنده شهراً يقيه الحار ويقيه الجار يثنان يقال لهما الجرادتان
 فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة فقال اللهم انك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فداويه ولا إلى أسير
 ففديه . اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فمرت به سحابة سود فنودي منها اختر فأوى إلى سحابة منها
 سوداء فنودي منها خذها رملداً رملداً فأتى من عاد أحداً قال فابلقني أنه بثث عليهم من الريح الـ
 كهلداً ما يجرى في خاتمي هذا من الريح حتى هلكوا . قتل أبو وائل وصدق وكانت المرأة والرجل إذا
 بشوا وضالمهم فتوالا لتكن كوافد عاد وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به
 ورواه النسائي من حديث سلام أبي المنذر عن عاصم بن بهيثة ومن طريقه رواه ابن ماجه . وهكذا
 أورد هذا الحديث وهذه القصة عند تفسير هذه القصة غير واحد من المفسرين كابن جرير وغيره *
 وقد يكون هذا السياق لاهلاك عاد الآخرة فإن فيها ذكره ابن اسحاق وغيره ذكر لمكة ولم تبين
 إلا بد إبراهيم الخليل حين أسكن فيها هاجر وابنه إسماعيل فزلت جرم عندهم كما سيأتي وعاد الأولى
 قبل الخليل وفيه ذكر بماوية بن بكر وشمره وهو من الشر المتأخر عن زمان عاد الأولى لا يشبه كلام
 المتقدمين . وفيه أن في تلك السحابة شرر فلما عاد الأولى إنما أهلكوا بريح صرصر . وقد قال ابن
 مسعود وابن عباس وغير واحد من أئمة التابعين هي الباردة والغاية الشديدة الهبوب (سخرها عليهم
 سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) أي كوامل متتابعات * قيل كان أولها الجمعة وقيل الأربعاء (فقرى القوم
 فيها صرعى كلهم أعجاز نخل خاوية) شبههم بأعجاز النخل التي لا رؤس لها وذلك لأن الريح كانت تجيء
 إلى أحدهم فتحمله فترفضه في الهواء ثم تنكسه على رأسه فتشدخه فيقضي جثة بلا رأس كما قال (إنا أرسلنا
 عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر) أي في يوم نحس عليهم مستمر عذابه عليهم (فنزح الناس كأنهم
 أعجاز نخل منقعر) ومن قال إن اليوم النحس المستمر هو يوم الأربعاء وتشام به لهذا الفهم قد أخطأ
 وخالف القرآن فإنه قال في الآية الأخرى (فلأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات) ومعلوم أنها ثمانية
 أيام متتابعات فلو كانت نحسات في أيامها لكانت جميع الأيام السبعة المتدرجة فيها مشؤومة هذا لا يقوله
 أحد وإنما المراد في أيام نحسات أي عليهم وقال تعالى (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أي التي
 لا تنفع خيراً فإن الريح المفردة لا تنثر سحاباً ولا تلقح شجراً بل هي عقيم لا تفيج خيراً لها ولهذا قال
 (ما تذر من شيء إلا جلته كالريم) أي كالشيء البالي الفاني الذي لا يفتخ به بالكيفية * وقد
 ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه

قال فصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور * وأما قوله تعالى (واذكر أنحاز عاد إذ أنذر قومه بالآخاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله لئى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فالظاهر أن عاداً هذه هي عاد الأولى فمنسياها شيه بساتى قوم هود وهم الأولى . ويحتمل أن يكون المذكورون فى هذه القصة هم عاد الثانية . ويدل عليه ما ذكرنا وما سياتى من الحديث عن عائشة رضى الله عنها * وأما قوله (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) فلن عاداً لما رأوا هذا العارض وهو الناشئ فى الجوف كالسحاب ظنوه سحاب مطر فلذا هو سحاب عذاب اعتقدوه رحمة فلذا هو رحمة رجوا فيه الخبير فقالوا منه غاية الشر قال الله تعالى (بل هو ما استعجبتم به) أى من العذاب ثم فسره بقوله (ريح فيها عذاب اليم) يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة المهبوب التى استمرت عليهم سبع ليال يأيامها الثمانية فلم يبق منهم أحداً بل تتبعهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والنيران فظفهم وتخرجههم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت المحسكة والقصور المشيدة فكما منوا بقوتهم وشدهم وقالوا من أشد منا قوة سلط الله عليهم ما هو أشد منهم قوة وأقدر عليهم وهو الريح العقيم * ويحتمل أن هذه الريح أثلت فى آخر الأمر سحابة ظن من بقى منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم وغياث لمن بقى منهم فأرسلها الله عليهم شرراً وتلوا كما ذكره غير واحد ويكون هذا كما أصاب أصحاب الظلة من أهل مدين وجمع لهم بين الريح الباردة وعذاب النار وهو أشد ما يكون من العذاب بالاشياء المختلفة المتضادة مع الصبيحة التى ذكرها فى سورة فقد أطلع المؤمنين والله أعلم *

وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس حدثنا ابن فضل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ ما فتح الله على عاد من الريح التى أهلكتها إلا مثل موضع انطام فرت بأهل البادية فحملهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها (قالوا هذا عارض ممطرنا) قالت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة . وقد رواه الطبرانى عن عبدان بن أحمد عن اسماعيل بن ذكريا الكوفى عن أبى مالك عن مسلم الملائى عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ما فتح الله على عاد من الريح الا مثل موضع انطام . ثم أرسلت عليهم البوالى الحضر فلما رأها أهل الحضر قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا وكان أهل البوادر فيها فلقى أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا قال عنت على خزائنها حتى خرجت من خلال الابواب . قلت وقال غيره خرجت بين حساب *

والمقصود أن هذا الحديث فى ردفه قتل . ثم اختلف فيه على مسلم الملائى وفيه نوع اضطراب والله أعلم * وظاهر الآيه أنهم رأوا عارضا والمفهوم منه لمة السحاب كما دل عليه حديث الحارث بن حسان البكرى ان جنابا مفسراً لهذه القصة . وأصرح منه فى ذلك ما رواه مسلم فى صحيحه حيث قال

حدثنا أبو الطاهر حدثنا ابن وهب سمعت بن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال (اللهم انى أسألك خيرا وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) قالت وإذا عبت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرى عنه ضرفت ذلك عائشة فقال له لعائشة كما قال قوم عاد (فلما رأود عارضا مستقبل أوديتهم قلوا هذا عارض ممطرنا) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن جريج *

طريق أخرى * قل الامم أحمد حدثنا هرون بن معروف أن أبانا عبد الله بن وهب أنبأنا عمرو وهو ابن الحارث أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة أنها قالت مرأيت رسول الله ﷺ مستجماً ضاحكا قط حتى أرى منه لمواته إنما كان يتبسم . وقالت كان إذا رأى غيا أو ريحا عرف ذلك فى وجهه قلت يا رسول الله (الناس إذا رأوا النعم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف فى وجهك الكراهية فقال لعائشة ما يؤمننى أن يكون فيه عذاب . قد عذب قوم نوح بالريح . وقد رأى قوم المذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا * فهذا الحديث كالصريح فى تباين القصتين كما أشرنا اليه أولا . فلى هذا تكون القصة المذكورة فى سورة الاحقاف خبراً عن قوم عاد الثانية . وتكون بقية السياقات فى القرآن خبراً عن عاد الأولى والله أعلم بالصواب * وهكذا رواه مسلم عن هارون ابن معروف وأخرجه البخارى وأبو داود من حديث ابن وهب * وقدمنا حج هود عليه السلام عند ذكر حج نوح عليه السلام . وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه ذكر حقة قبر هود عليه السلام فى بلاد اليمن . وذكر آخرون أنه بدمشق وبجانبها مكان فى حائطه القبلى يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام والله أعلم *

قصة صالح عليه السلام نبي ثمود

وهى قبيلة مشهورة يقال ثمود بلسم جدم ثمود أخى جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح وكلاهما عرباً من العاربة يسكنون الحجر الذى بين الحجاز وتبوك . وقد مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب الى تبوك بمن معه من المسلمين فلبسأتى بيانه وكاتوا بيد قوم عاد وكاتوا يبيدون الأصنام كأولئك فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو عبد الله ورسوله صالح بن عبيد بن ماسح (١) بن عبيد بن حاجر

(١) وفى نسخة عبيد بن ماشخ والذى فى الرئاس هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد ابن حاذر بن ثمود بن عابر بن إرم الخ (محمود الأمام)

ابن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن يخلعوا الاصنام
والانداد ولا يشركوا به شيئاً فامنت به طائفة منهم وكفر جمهورهم ونزلوا منه بالقتال والقتال وهما يقتله
وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى في سورة الاعراف
(والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم . هذه ناقة
الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم . واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخفون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال يوتاً فاذا أكرموا
آلاء الله ولا تشكروا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن
منهم أتصلون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنا بالذي
آمنتم به كافرون . فقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح اتتنا بما تقدمنا إن كنت من المرسلين
فأخفستهم الرحمة فأصبحوا في دارهم جاثمين يقول عنهم وقل يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وقال تعالى في سورة هود (والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من إله غيره . هو أنشأكم من الأرض واستمرركم فيها فاستغفروا ثم توبوا إليه إن ربي
قريب مجيب . قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نترك ما يعبد آباؤنا واتنا لنرى شاك
ما تدعونا إليه مريب . قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من
الله أن عصيته فما تزدونني غير تخيير . ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا
تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب . فقروها فقال يمتوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب .
فلما جاء أمرنا نجحنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ . إن ربك هو القوى العزيز .
وأخذ الذين ظلموا الصبيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين . كأن لم ينشأ فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا
بدا لثمود) وقال تعالى في سورة الحجر (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا
عنها معرضين . وكانوا ينحتون من الجبال يوتاً آمنين . فأخفستهم الصبيحة مصبيين . فما أغنى عنهم ما كانوا
يكتسبون) وقال سبحانه وتعالى في سورة سبأ (وما مننا أن نرسل بالآيات إلا أن نكتب بها
الأولون . وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) وقال تعالى في سورة
الشعراء (كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تنتنون . إنى لكم رسول أمين . فاتهاوا الله
وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى لإعلى رب العالمين . أتتركون فيها هاهنا آمنين في جنات
وعيون . وزرورع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال يوتاً فارحين . فاتهاوا الله وأطيعون . ولا تظلموا
أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا إنما أنت من المسحرين . ما أنت إلا
بشر مثنا فات بآية إن كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا

تسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم . ففروها فاصبحوا نادمين . فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما
 كان أكثرهم مؤمنين وإن ذلك لهو العزيز الرحيم (وقال تعالى في سورة النمل (ولقد أرسلنا نوحاً أخاهم
 صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون . قال يقوم لم تستعجلون باليئة قبل الحسنة لولا تستغفرون
 الله لعلكم ترحمون . قالوا اطيرنا بك وعن مملك . قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تقتنون . وكان في المدينة
 تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تعاسوا بالله لبيئته وأهل ثم لقولن لوليه ما شهدنا
 مهلك أهله وإننا لصادقون . ومكروا مكرآ ومكروا بكرا وهم لا يشعرون . فأنظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا
 دمرناهم وقومهم أجمعين . فذلك يومئذ خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . وأتينا الذين
 آمنوا وكالوا يتقون (وقال تعالى في سورة حم السجدة (وأما نوح فهدينا نوحاً فاستجوا المسمى على الهدى
 فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون . ونوحنا الذين آمنوا وكالوا يتقون (وقال تعالى في
 سورة اقتربت (كذبت نوحاً بالنذر . فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه (أنا إذا لناي ضلال وسمر . أتأني الذكر
 عليه من ينينا بل هو كذاب أشمر . سيطفون غدا من الكذاب الأشر . أنا مرسلوا الناقة فتعلم فارتعهم
 واصطبر . ونوبهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب مختصر . فتادوا صاحبهم فتعاطى فقر فكيف كان عذابي
 ونذر . أنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن لذكر فهل من مدكر (
 وقال تعالى (كذبت نوحاً بطغواها إذ أنبت أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه
 ففروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها) . وكثيراً ما قرن الله في كتابه بين ذكر
 عاد وثمود كما في سورة براءة وإبراهيم والفرقان وسورة (ص) وسورة (ق) والنجم والفجر * ويقال
 إن هاتين الأيتين لا يعرف خيرها أهل الكتاب وليس لها ذكر في كتابهم التوراة ولكن في القرآن
 ما يدل على أن موسى أخبر عنها كما قال تعالى في سورة إبراهيم (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن
 في الأرض جميعاً فإن الله لنفي حميد . ألم يأتكم نأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من
 بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات (الآية . الظاهر أن هذا من تمام كلام موسى مع
 قومه ولكن لما كان هاتان الأيتان من العرب لم يضبطوا خيرها جيداً ولا اعتنوا بحفظه وإن
 كان خيرها كان مشهوراً في زمان موسى عليه السلام * وقد تسكنا على هذا كله في التفسير متصفاً
 والله الحمد والمنة *

والمقصود الآن ذكر قصتهم وما كان من أمرهم وكيف نجي الله نبيه صالحاً عليه السلام ومن
 آمن به وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتورهم ومخالفتهم رسولهم عليه السلام * قد قدمنا
 أنهم كانوا عرباً وكانوا بدع عاد ولم يتبروا بما كان من أمرهم * ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام (أعبدا
 الله مالكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية ففروها تأكل في أرض الله

ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض
تتخذون من سهولها قصوراً وتتحنون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تتنوا في الأرض مفسدين)
أى إنما جعلكم خلفاء من يهدم لتعبدوا بما كنتم أمرهم وقصروا بخلاف علمهم وأبلى لكم هذه الأرض
تبنون في سهولها القصور وتتحنون من الجبال بيوتاً فلهين أى حاذقين فى صنعتها واتقانها وإحكامها
فأبلىها فصة الله بالشكر والعمل الصالح والعبادة له وحده لا شريك له ولما كنتم تخالفونه والمدول عن طاعته
فإن عاقبة ذلك وخيمة ولهذا وعظهم بقوله (انتركوا فيها هبن آمنين . فى جنات وعيون وزروع ونخل
طلمها هضيم) أى متراً كم كثير حسن بهى تفيض (وتتحنون من الجبال بيوتاً فلهين فأتوا الله وأطيعوا
ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) وقال لهم أيضاً (يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) أى هو الذى خلقكم فأنشأكم من الأرض
وجعلكم عمارها أى أعطاكموها بما فيها من الثمرات وهو الخالق الرزاق فهو الذى يستحق العبادة
وحده لا سواه (فاستغفروهم ثم توبوا إليه) أى أقلعوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته فانه يقبل منكم
ويتجاوز عنكم (إن ربى قريب مجيب) فقلوا يا صالح قد كنت فىنا مرجوا قبل هذا) أى قد كنا نرجو
أن يكون عطفك كاملاً قبل هذه المقالة وهى دعائك إيانا إلى إفراد العبادة وترك ما كنا نعبده من
الاتداد والمدول عن دين الآباء والأجداد فقلوا (انتم أنتم أن تترك ما يعبد آباؤنا وإنا فى شك مما
تدعونا إليه مريب . قال يقوم أرايتم إن كنت على بينة من ربى وآتاني منه رحمة فمن ينصرنى من الله
إن عصيته فما تريدوننى غير تخير) وهذا تلميح منه لهم فى العبادة ولين الجانب وحسن تأت فى
الدعوة لهم إلى الخير أى فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوك إليه ماذا عندكم عند الله وماذا
يخلصكم بين يديه وأنتم تطلبون منى أن أترك دعائكم إلى طاعته وأنا لا يمكننى هذا لانه واجب على
ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يغيرنى منه ولا ينصرنى فانا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده
لا شريك له حتى يحكم الله بيني وبينكم وقالوا له أيضاً (انما أنت من المسحرين) أى من السحورين
يعنون مسحوراً لا تدرك ما تقول فى دعائك إيانا إلى إفراد العبادة لله وحده وخلق مسواه من الأتداد
وهذا القول عليه الجهد إن المراد بالمسحرين السحورين * وقيل من المسحرين أى ممن له سحر . وهى
الزفة كلهم يقولون انما أنت بشر له سحر والأول أظهر لقولهم بد هذا ما أنت إلا بشر مثنا * وقولهم
(قلت يا بة إن كنت من الصادقين) سألوهم منه أن يأتيهم بخارق يدل على صدق ما جادهم (قال هذه ناقة
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم) وقال (قد جاءكم بينة من
ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) وقال تعالى
(وآتينا نوحاً البصرة فظلموا بها) *

وقد ذكر المفسرون ان ثمود اجتمعوا يوما في تلبيح فجاهد رسول الله صالح فدعاهم الى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له ان أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة وأشأروا الى صخرة هناك ناقة من صفها كيت وكيت وذكروا اوصاف سموها وفتوها وفتتوا فيها وأن تكون عشراء طويلة من صفها كذا وكذا قال لهم النبي صالح عليه السلام أرايتم ان أجبتكم الى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئكم به وتصدقوني فيما أرسلت به . قالوا نعم فآخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ثم قام الى مصلاه فصلّى لله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم الى ما طلبوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه المطلوب الذي طلبوا أو على الصفة التي فتروا فلما عاينوها كذلك رأوا أمراً عظيماً ومنظراً هائلاً وقدره باهرة ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً فأمن كثير منهم واستمرأ أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم ولهذا قل (فظنوا بها) أى جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها أى أكثرهم . وكان رئيس الذين آمنوا جندع بن عمرو بن علاه بن لبيد بن جواس . وكان من رؤسائهم وهم بقية الأشراف بالاسلام قصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والخباب صاحباً أو ثائبهم ورباب بن صمر بن جلس ودعا جندع بن عمه شهاب بن خليفة وكان من اشرافهم فهم بالاسلام قهاه أولئك قال اليهم فقال في ذلك رجل من المسلمين قال له مهرش بن غنمة بن النميل رحمه الله

وكانت عصبة من آل عمرو الى دين النبي دعوا شهاباً
عزير ثمود كلهم جميعاً فهم بأن يجيب ولو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيراً وما عدلوا بصاحبهم ذؤاباً
ولكن الفتوة من آل حجر تولوا يد رشحهم ذؤاباً (١)

ولهذا قال لهم صالح عليه السلام (هذه ناقة الله لكم آية) أضافها لله سبحانه وتعالى إضافة تشریف وتعظيم كقوله يت الله وعبد الله لكم آية أى دليلاً على صدق ما جئكم به قدروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترى حيث شامت من أرضهم وترد الماء يوماً بعد يوم وكانت اذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذك فكلوا يرفقون حاجتهم من الماء في يومهم لندهم ويقال إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ولهذا « قال لما شرب ولكم شرب يوم معلوم » ولهذا قال تعالى (إنا مرسلوا الناقة فتنه لهم) أى اختباراً لهم يؤمنون بها أم يكفرون والله أعلم بما يتخلون (فارتع بهم) أى انتظر ما يكون من امرهم (واصطبر) على أذاهم فسيأتيك الخبر على جلية (وبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محضّر) فلما طال عليهم الحال هذا اجتمع ملؤهم واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها ويترفع عنهم مؤثم وزين لهم الشيطان

(١) كذا بالاصل وفي المرائس ذؤاباً وفي نسخة فولوا بدل تولوا .

أعمالهم (قال الله تعالى) ففروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح اثنتا بنا حدتنا إن كنت من المرسلين). وكان التي تولى قلبها منهم رئيسهم قدار بن سالف بن جندع وكان أحمر ازرق أصهب وكان يقال انه ولد زانية ولد على فراش سالف وهو ابن رجل يقال له صبيان. وكان فيه ذلك بافناق جميعهم فلذا نسب الفضل الى جميعهم كلهم *

وذكر ابن جرير وغيره من علماء المفسرين أن امرأتين من ثمود اسم احدهما صدوق ابنة الحيا ابن زهير بن المختار وكانت ذات حسب ومال وكانت تحت رجل من أسلم ففارقته فدعت ابن عم لها يقال له مصرع بن مهران بن الحيا وعرضت عليه نفسها ان هو عقر الناقة واسم الاخرى عنبزة بنت غنيم بن مجلز وتكنى أم عثمان وكانت عجوزا كلفة لها بنات من زوجها ذؤاب بن عمرو احد الرؤساء فرضت بناتها الاربع على قدار بن سالف ان هو عقر الناقة فله أى بنتها شاء فانتدب هذان الثابليان لقرعها وسعوا في قومهم بذلك فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة وهم المذكورون في قوله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وسعوا في بقية القبيلة وحسنوا لهم عقرها فاجابوهم الى ذلك وطاعوهم في ذلك فانطلقوا يرصدون الناقة فلما صدرت من ودها كمن لها مصرع فرماها بهم فانتظم عظم ساقها وجاء النساء يزمرن القبيلة في قلبها وحسرن عن وجوههن ترغيا لهم فابتدروهم قدار بن سالف فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة الى الارض ودرغت رذعة واحدة عظيمة فحنن ولدها ثم طعن في لبها فنحرها واخلى سبيلها وهو فصيلها فصمد جبلا منيما ودعا ثلاثا *

ودوي عبد الرزاق عن معمر عن سمع الحسن أنه قال يلرب ابن أمي ثم دخل في ضخرة فغاب فيها ويقال بل ابعوه فقروه أيضا قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتاعلى ففر فكيف كان عذابي ونذر). وقال تعالى (اذ انبث أشقاها فقال لهم رسول الله لعل الله وسقياها) أى احذروها فكذبوه فقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقابها) *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن نعيم حدثنا هاشم هو أبو عزة عن أبيه عبد الله بن زمة قال خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال (اذ انبثت أشقاها) انبث لها رجل من غارم عزيز منيع في ردهه مثل أبي زمة. أخرجاه من حديث هشام بن عارم أى شهم عزيز أى رئيس منيع أى مطاع في قومه * وقال محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خيثم عن محمد بن كعب عن محمد بن خيثم عن يزيد بن عمار بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ لعل ألا أحدنك بأشقى الناس قال بلى قال رجلان أحدهما احيير ثمود التي عقر الناقة والتي يضربك بلعل على هذا يعنى قرنه حتى تبجل منه هذه يعنى لحية. رواه ابن أبي حاتم. وقال تعالى (ففروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا

يا صالح اتنا بما تمدنا ان كنت من المرسلين) فجمعوا في كلامهم هذابين كفر بليغ من وجوه. منها أنهم
 خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية. ومنها أنهم
 استجبوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين * أحدهما الشرط عليهم في قوله (ولا تمسوها بسوء
 فيأخذكم عذاب قريب) وفي آية عظيم وفي الأخرى اليه والكل حق * والثاني استعجالهم على ذلك *
 ومنها أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه وهم يملكون ذلك علما جازما
 ولكن حملهم الكفر والضلال والتماد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم * قال الله تعالى (فقرروها
 قال تتموا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) وذكروا أنهم لما عقروا الناقة كان أول من
 سطا عليها قدار بن سالف لسهة الله ففرقها فسقطت الى الأرض ثم اجتدروها بإسيافهم يقطعونها فدا عين
 ذلك سقيها وهو ولدها شرد عنهم فلا أعل الجبل هناك ورغا ثلاث مرات فلهاذا قال لهم صالح (تتموا
 في داركم ثلاثة أيام) أي غير يومهم ذلك فلم يصدقوه أيضا في هذا الوعد الأكيد بل لما أمسوا هموا
 بقتله وأرادوا فيما يزعمون أن يلقوه بالناقة (قالوا هاهنا والله نبيته وأهله) أي لنكبسته في داره مع أهله
 فلفنته ثم نحيطن قله ونسركن ذلك أن طالبنا أو لياؤه بدمه. ولهذا قالوا. (ثم لنقول لولي ما شهدنا
 مهلك أهله وإنا لصادقون) قال الله تعالى (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان
 عاقبة مكرمهم أنا مدرهم وقومهم أجمعين. فذلك يوتهم خاوية بما ظفروا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون
 واتبعنا الذين آمنوا واكلوا يتقون) وذلك أن الله تعالى أرسل على أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح
 حجارة رضحتهم سلفاً وقصيلاً قبل قومهم وأصبحت ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة
 ووجوههم مصفرة كما أنذرهم صالح عليه السلام فلما أمسوا نلدوا باجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل .
 ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل . وهو يوم الجمعة ووجوههم حمرة فلما أمسوا نلدوا ألا قد
 مضى يومان من الأجل . ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة
 فلما أمسوا نلدوا ألا قد مضى الأجل فلما كان صبيحة يوم الأحد تحنطوا وتأهبوا وقصدوا ينتظرون
 ماذا يحل بهم من العذاب والنعكال والنفمة لا يدرون كيف يفضل بهم ولا من أي جهة يأتيهم العذاب
 فلما أشرق الشمس جاتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح
 وزهقت النفوس وسكنت الحركة وخشعت الأصوات وحق الحقائق فاصبحوا في دارهم جامعين
 جثثاً لا أرواح فيها ولا حراك لها . قالوا ولم يبق منهم أحد إلا جارية كانت مقعدة واسمها كلبية ابنت
 السلق . ويقال لها الذرية وكانت شديدة الكفر والدعوة لصالح عليه السلام فلما رأت العذاب أطلقت
 رجلاها فقامت تسمى كلبرع شئ فأتت حياً من العرب فخيرتهم بما رأت وما حل بقومها واستمتمهم
 ما فلما شربت ماتت . قال الله تعالى (كأن لم يننوا فيها) أي لم يقيموا فيها في سعة ورزق وغناء (ألا إن

نمود كفروا ربههم ألا بعداً لشهود) . أي تلى عليهم لسان القدر بهذا
 قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن
 جابر قال لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال لا تأملوا الآيات قد سألها قوم صالح فكانت يمين الناقة
 ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج (فستوا عن أمر ربههم فقروها) . وكانت تشرب مادم يوماً
 ويشربون لبنها يوماً فقروها فأخضتهم صيحة أحمد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان
 في حرم الله . فقالوا من هو يا رسول الله قال هو أبو رغال . فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه .
 وهذا الحديث على شرط مسلم وليس هو في شيء من الكتب الستة والله أعلم *
 وقد قال عبد الرزاق أيضاً قال معمر أخبرني اسماعيل بن أمية أن النبي ﷺ مر بقبر أبي رغال
 فقال أندرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم . قال هذا قبر أبي رغال رجل من عمود كلز في حرم الله فنه
 حرم الله عذاب الله . فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فقتل القوم
 فابتدروه بأسبابهم فبحثوا عنه فاستخرجوا النصف * قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال
 أبو هيف * هذا مرسل من هذا الوجه * وقد جاء من وجه آخر متصلاً كما ذكره محمد بن اسحق في السيرة
 عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول حين
 خرجنا معه إلى الطائف فرأينا قبر فقال إن هذا قبر أبي رغال . وهو أبو هيف . وكان من عمود وكان بهذا
 الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابه النمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن
 معه غصن من ذهب - إن أنتم تبنتم عنه أصبتموه معه . فابتدروه الناس فاستخرجوا منه النصف * وهكذا
 رواه أبو داود من طريق محمد بن اسحق به * قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمه الله هذا حديث
 حسن عزيز . قلت تفرد به بجير بن أبي بجير هذا ولا يعرف إلا بهذا الحديث ولم يرو عنه سوى اسماعيل
 ابن أمية * قال شيخنا فيحتمل أنه وهم في ربه وإما يكون من كلام عبد الله بن عمرو من زاملته والله أعلم
 قلت لكن في المرسل الذي قبله وفي حديث جابر أيضاً شاهد له * والله أعلم . وقوله تعالى (فتولى
 عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) إخبار عن صالح
 عليه السلام أنه خاطب قومه بعد هلاكهم وقد أخذ في التعاب عن معظمهم إلى غيرها فأتاهم (يا قوم
 لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) أي جهدت في هدايتكم بكل ما أمكنني وحرصت على ذلك
 بقولي وفعلتي وبقيتي (ولكن لا تحبون الناصحين) أي لم تكن سجاياكم قبل الحق ولا تريد فلها ممرم
 إلى ما أنتم فيه من الذناب الأنيم المستمر بكم المتصل إلى الأبد وليس لي فيكم حيلة ولا لي بالبلغ عنكم
 يدان والذي وجب على من أداء الرسالة والنصح لكم قد فعله وبخله لكم ولكن الله فضل ما يريد
 وهكذا خاطب النبي ﷺ أهل قليب بدر بعد ثلاث ليال وقف عليهم وقد ركب راحلته وأمر بالرحيل

من آخر الليل قال يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا وقال لهم فيها قال بئس عشيرة النبي كنتم لنتيكم كذبتوني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقتلتموني ونصرني الناس فبئس عشيرة النبي كنتم لنتيكم قال له عمر يا رسول الله تخاطبنا قوما قد جبنوا فقال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يغيثون). وسيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله * وقال ابن صالح عليه السلام انتقل إلى حرم الله فقام به حتى مات *

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا زمة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال لما أمر النبي ﷺ بوادي عسفان حين حج قال يا أبا بكر أي واد هذا . قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطلما القيف ازرم الباء وأردتهم النار يلبنون يحجون البيت المتين * اسناد حسن * وقد تقدم في قصة نوح عليه السلام من رواية الطبراني وفيه نوح وهود وإبراهيم

ذكر مرور النبي صلى الله عليه وسلم بوادي الحجر من أرض ثمود عام تبوك

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جورية عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فصبجوا منها ونصبوا القدور فأمرهم رسول الله ﷺ فلهراقوا القدور وعطفوا العجين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا إلى أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم * وقال أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم * أخرجه في الصحيحين من غير وجه * وفي بعض الروايات أنه عليه السلام لما مر بمنزلهم قنع رأسه وأسرع راحلته ونهى عن دخول منازلهم إلا أن تكونوا باكين وفي رواية فإن لم تكونوا فباكوا خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم * صلوات الله وسلامه عليه *

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي عن اسمعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنباري عن أبيه واسمه عمرو بن سعد وقال عامر بن سعد رضي الله عنه قال لما كنن في غزوة تبوك فسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت النبي ﷺ وهو ممسك ببيده وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فتأذاه رجل فنجب منهم يا رسول الله قال أفلا أنبشكم بأنجب من ذلك رجل من أنسكم ينشكم بما كان

قبلكم وما هو كان بدمكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يهيبكم بذنوبكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفنون عن أنفسهم شيئا * إسناده حسن ولم يخرجوه . وقد ذكر أن قوم صالح كانت أعمارهم طويلة فكلوا يبنون البيوت من المlder فخرّب قبل موت الواحد منهم فتحتوا لهم بيوتا في الجبال . وذكروا أن صالحا عليه السلام لما سأله آية فأخرج الله لهم الناقة من الصخرة أسرم بها وبولد الذي كان في جوفها وحذرم بأس الله إن هم تلّوها بسوء . وأخبرهم أنهم سيعقرونها ويكون سبب هلاكهم ذلك وذكر لهم صفة عاقرها وأنه أحرأزرق أصهب فبعثوا القوایل في البلد متى وجدوا مولودا بهذه الصفة يقتله فكلوا على ذلك دهرًا طويلا واقرض جيل وآتى جيل آخر . فلما كان في بعض الأعصار خطب رئيس من رؤسائهم على ابنه بنت آخر مثله في الريلة فزوجه فولد بينهما عاقر الناقة وهو قدار بن سالف فلم تمكن القوایل من قتله لشرف أبيه وجديه فقيم قنشا نشأة سرية فكان يشب في الجملة كما يشب غيره في شهر حتى كان من أمره أن خرج مطاعا فيهم رئيسا بينهم فسولت له فسه عقر الناقة واتبعه على ذلك ثمانية من أشراهم وهم التسعة الذين أرادوا قتل صالح عليه السلام . فلما وقع من أسرم مالمع من عقر الناقة وبلغ ذلك صالحا عليه السلام جاهم بأكياء عليها فقتلوه يمتدنون اليه ويقولون إن هذا لم يقع عن ملائنا وإنا فعل هذا هؤلاء الأحداث فينا . فيقال إنه أسرم يستدرك سقها حتى يحسنوا اليه عوضا عنها فذهبوا وراه فصعد جبلا هناك فلما تصاعدوا فيه وراه قمالى الجبل حتى ارتفع فلا يراه الطير وبكى الفصيل حتى سالت دموعه . ثم استقبل صالحا عليه السلام ودعا ثلاثا فشدّها قال صالح تنتموا في داركم ثلاثة أيام وذلك وعد غير مكذوب وأخبرهم أنهم يصبحون من غدهم صفراء ثم

تحمّر وجوههم في الثاني وفي اليوم الثالث تسود وجوههم * فلما كان في اليوم

الرابع أنهم صبيحة فيها صوت كل صاعقة فأخذتهم فأصبحوا في دارهم

جامعين . وفي بعض هذا السياق قطر ومخالفة لظاهر ما فيهم من القرآن

في شأنهم وقصتهم كما قلنا وألفه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

قصة إبراهيم الخليل عليه السلام

هو إبراهيم بن تارخ * ٢٥٠ * بن تلحور * ١٤٨ * بن ساروخ * ٢٣٠ * بن راعو * ٢٣٩ * ابن فالخ * ٤٣٩ * بن عابر * ٤٦٤ * بن شالح * ٤٣٣ * بن أرغشند * ٤٣٨ * بن سام * ٦٠٠ * ابن نوح عليه السلام . هذا قص أهل الكتاب في كتابهم وقد أعلنت على أعمارهم تحت أسماهم للهندى كما ذكره من الممدد (١) وقدمنا الكلام على عمر نوح عليه السلام فأغنى عن إعادته . وحكى الحافظ

(١) تنبيه هذه الأرقام موافقة لما في التوراة وأما الأسمافاً كثرها مخالفة لما في التوراة . مثلاً أن

ابن عساكر في ترجمة ابراهيم الخليل من تربيته عن اسحق بن بشر الكاهلي صاحب كتاب المبتدأ
أن اسم أم ابراهيم أمية * ثم أورد عنه في خبر ولادته حكاية طويلة وقال الكاهلي اسمها يونا بنت
كرتيا بن كرتي من بني أرغثش بن سام بن نوح *

وروى ابن عساكر من غير وجه عن عكرمة أنه قال كلن ابراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان
قالوا ولما كان عمر تلخ خمساً وسبعين سنة ولد له ابراهيم عليه السلام وتلخور وهاران وولد لهاران
لوط * وعندهم أن ابراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد
فيها وهي أرض الكلدانيين بمنون أرض بابل * وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ
والأخبار وصحح ذلك الحفاظ ابن عساكر بعد ما روى من طريق هشام بن عمار عن الوليد عن سعيد
ابن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس قال ولد ابراهيم بنوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل
يقال له قسيون * ثم قال والصحيح أنه ولد ببابل . وإنما نسب اليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء
مبعياً للوط عليه السلام . قالوا فتزوج ابراهيم سارة وتلخور ملكا ابنة هاران بمنون بانية أخيه قالوا
وكانت سارة عاقراً لا تلد قالوا وانطلق تلخ بانية ابراهيم واسرائه سارة وابن أخيه لوط بن هاران فخرج
بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين فقلوا حران فأت فيها تلخ وله مائتان وخمسون سنة
وهذا يدل على أنه لم يولد بحران ولما مولده بأرض الكلدانيين وهي أرض بابل وما والاها * ثم ارتحلوا
قاصدين أرض الكنعانيين * وهي بلاد بيت المقدس فقلوا بحران وهي أرض الكنعانيين في ذلك
الزمان وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً وكانوا يبدون الكواكب السبعة . والذين عمروا مدينة دمشق
كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشالي ويبدون الكواكب السبعة بأنواع من الضال والمقال *
ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويسلمون لها أعياداً
وقرايين * وهكذا كان أهل حران يبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض
كانوا كفاراً سوى ابراهيم الخليل واسرائه وابن أخيه لوط عليهم السلام وكان الخليل عليه السلام هو
الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذلك الضلال فلن الله سبحانه وتعالى أنه رشده في صفره
وايمته رسولاً واتخذ خليفاً في كبره قل تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عاينين)
أي كان أهلاً لتلك وقيل تعالى (و ابراهيم إذ قال قوموا اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم
تملكون إنما تملكون من دون الله أو أنتم تخلقون فكأن الذين تصدون من دون الله لا يملكون لكم
رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون . وان تكذبوا فقد كذب أمم من
ما قبلها تلوح ببل تسارخ وسروج ببل ساروغ . وقالم ببل قلم . وارافكشاد ببل أرغثش وزعو ببل
راعو ووضعنا أرقام الأعمار بكل اسم *

قبلك وما على الرسول الا البلاغ المبين . أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير .
 قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة . ان الله على كل شئ قدير
 يمدب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تqlبون . وما اتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من
 دون الله من ولي ولا نصير . والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يشوا من رحمتي وأولئك لهم
 عذاب اليم . فإكن جواب قومه الا أن قلوا اهلوه أوحرقوه فأنجاه الله من النار . إن في ذلك لآيات
 لقوم يؤمنون . وقال انما اتخذتم من دون الله آوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر
 بضمكم ببعض ويلمع بضمكم بعضاً وماواكم النار وما لكم من نصرين . فآمن له لوط وقال إني مهاجر
 الى ربي انه هو العزيز الحكيم . ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب . وآتيناه
 اجره في الدنيا وآته في الآخرة لمن الصالحين) ثم ذكر تعالى مناظرته لآيه وقومه كما سذكه ان
 شاء الله تعالى . وكان أول دعونه لآيه وكان أبوه ممن عبد الأصنام لأنه أحق الناس باخلاص النصيحة
 له كما قال تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم إله كان صديقاً نبياً . اذ قال لآيه . ياأبت لم تعبد مالا يسمع
 ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئاً . ياأبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك فأتبعني أهدك صراطاً سوياً . ياأبت
 لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً . ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون
 للشيطان ولياً . قل أرأغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجنك واهجرني ملياً . قال سلام عليك
 سأستغفر لك ربي انه كان في حيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ان لا أكون
 بدعاء ربي شقياً) . فذكر تعالى ما كان بينه وبين آيه من المحاوراة والمجادلة وكيف دعا أباه الى الحق
 بأنطق عبارة . وأحسن اشارة بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الآ وتأن التي لاتسمع دعاء عابديها ولا
 تبصر مكانه فكيف تنفي عنه شيئاً أو تفضل به خيراً من رزق أو نصر * ثم قال متبها على ما أعطاه الله
 من الهدى والى التامع وإن كان أصغر سنّاً من آيه (ياأبت إله قد جاءني من العلم مالم يأتك فأتبعني أهدك
 صراطاً سوياً) أي مستقياً وانها سهلاً خيراً يفضي بك الى الخير في ديارك وأخرأك فلما عرض هذا الرشد
 عليه وأهدى هذه النصيحة اليه لم يقبلها منه ولا أخضاها عنه بل تهده وتوعده قال (أرأغب أنت عن آلهتي
 يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجنك) قيل بالقتال وقيل بالقتال (واهجرني ملياً) أي واقطعني وأمل هجراني
 فنهدها قال له ابراهيم (سلام عليك) أي لا يصوك متى مكروه ولا يئالك متى اذى بل أنت سالم من
 ناحيتي وزاده خيراً قال (سأستغفر لك ربي انه كان في حيا) * قال ابن عباس وغيره أي لطيفاً معنى
 في أن هداى لبيادته والاخلاص له ولهذا قال (واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى
 أن لا أكون بدعاء ربي شقياً) . وقد استغفر له ابراهيم عليه السلام كما وعده في أذيعته فلما تبين له أنه
 عدو لله تبرأ منه كما قال تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لآيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له

أنه عدو لله تبارك اسمه إن إبراهيم لأواه حليم

وقال البخاري حدثنا اسمعيل بن عبد الله حدثني اخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (يلقي إبراهيم إله آزر يوم القيامة وعلى وجهه آزر قشرة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تصنع فيقول له أبوه قليم لأعصيك فيقول إبراهيم يارب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يموتون وأنى خزي أخزى من أبى الأبد فيقول الله إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجلك فينظر فإذا هو يذبح متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار هكذا رواه في قصة إبراهيم متفردا •

وقال في التفسير وقال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة • وهكذا رواه النسائي عن أحمد بن حفص بن عبد الله عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان به . وقد زواه البزار من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه . وفي سياقه غريبة . ورواه أيضا من حديث قتادة عن عتبة بن عبد العافر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ بنحوه وقال تعالى (واذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين) هذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم آزر وجمهور أهل النسب منهم ابن عباس على أن اسم أبيه تلوح وأهل الكتاب يقولون تلوح بلفظ المجعة قيل إنه لقب بصمك كل يميده اسمه آزر •

وقال ابن جرير والصواب أن اسمه آزر ولعل له اسمان علان أو أحدهما لقب والآخر علم . وهذا الذي قلناه محتمل والله أعلم • ثم قال تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب إلا فلين . فلما رأى القمر يزعا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهتدي ربي لأكون من القوم الضالين . فلما رأى الشمس يزعا قال هذا ربي فلما أفلت قال يا قوم اني ربي مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتتاجونني في الله وقد هدانا ولا أخاف ما تشركون به إلا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أتدكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأتى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) . وهذا المقام مقام مناظرة قومه ويبان لهم أن هذه الاجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للألوهية ولا أن تبعد مع الله عز وجل لانهما مخلوقة مبرومة مصنوعة مدبرة مسخرة تطلع تارة وتأفل أخرى فتضيب عن هذا العالم والرب تعالى لا يفتيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية بل هو الدائم الباقي بلا زوال لا إله الا هو ولا رب سواه فينبى لهم أولا عدم

صلاحية الكواكب . قيل هو الزهرة فلذلك ثم ترقى منها الى القمر الذى هو أضوأ منها وأبهى من حسنها . ثم ترقى الى الشمس التى هى أشد الاجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء فبين انهما مسخرة مسيرة مقطرة مربوبة كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم ايها المتبدون) ولهذا قال (فلما رأى الشمس بازغة) أى عالمة (قال هذا ربى هذا أكبر فلما أظنت قال يا قوم إني بربى مما تشركون . أنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتأجورنى فى الله وقد هدانا ولا أخاف مما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا) . أى لست أبلى فى هذه الالهة التى تعبدونها من دون الله فأتينا لاتنفع شيئا ولا نسمع ولا نعمل بل هى مربوبة مسخرة كالكواكب ونحوها أو مصنوعة منحوتة منجورة *

والظاهر ان معوقته هذه فى الكواكب لأهل حران فلقم كانوا يعبدونها وهذا يرد قول من زعم أنه قال هذا حين خرج من السرب لما كان صغيرا كما ذكره ابن اسحق وغيره وهو مستند الى أخبار اسرائيلية لا يوثق بها ولا سيما اذا خالفت الحق * وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الاصنام وهم الذين نالهم فى عبادتها وكسرها عليهم وأهانتها وبين بطلانها كما قال تعالى (وقال إنما اتخذتم من دون الله آوتانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا . ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا . وما أوتاكم النار وما لكم من ناصرين) وقال فى سورة الانبياء (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عاينين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آبائنا لها عاكدين . قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجبنا بلقى أم أنت من الالهين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . والله لا يكذب أصدانكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جنذا الاكبراء لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من ضل هذا بأهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا قى يذكركم يقاله ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أنت ضلت هذا بأهتنا يا ابراهيم . قال بل ضله كبيرهم هذا فاعلموا ان كانوا ينطقون فرجوا الى أضهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤسهم . لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أقصدهم من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تتقون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا بالكرهى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخيرين) وقال فى سورة الشعراء (وأتوا عليهم بأى ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نبيد أصداننا فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون او يتغنونكم أو يضررون . قالوا بل وجدنا آبائنا كذلك يفعلون . قال أفأنتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم الأثمون . فلقم عدو الى الرب السالين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطمع ويقتين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يبعثنى ثم يميت . والذى أطعم أن ينزلنى خلى يلقى يوم الدين

رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين) . وقال تعالى في سورة الصافات (وان من شيعته لأبراهيم
 جاءه ربه بقلب سليم . اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . انمكنا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب
 العالمين . فنظر نظر في النجوم . فقال انى سقيم . قولوا عنه مدبرين . فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون
 ما لكم لا تنطقون . فراغ عليهم ضرباً باليمين فآقبلوا إليه يزفون . قال أنعبدون ما نتحنون . والله خلقكم وما
 تعملون . قولوا ابنوا له بيوتاً فآلقوه في الجحيم . فاردوا به كيذا فخلناهم الاسفلين) بحمد الله تعالى عن ابراهيم
 خليله عليه السلام أنه أنكر على قومه عبادة الأوثان وحرقها عندهم وصنرها وتنقصها فقال (ما هذه
 التماثيل التي أنتم لها عاكفون) أى متكفون عندها وخاضعون لها قولوا (وجدنا آبائنا لها عاكفين) ما كان
 حجتهم إلا صنيح الآباء والاجداد وما كانوا عليه من عبادة الانداد (قال لقد كنتم . أنتم وأباؤكم في ضلال
 مبين) كما قال تعالى (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . انمكنا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب
 العالمين) قال قتادة فما ظنكم به أنه فاعل بكم اذا قبيتموه وقد عديتم غيره وقال لهم (هل يسمعونكم
 اذ تدعون أو ينصرونكم أو يضرون . قالوا بلى وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) سلوا له أنها لاتسمع داعياً
 ولا تنفع ولا تضر شيئاً وانما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بسلافهم ومن هو مثلهم في الضلال من الآباء
 الجاهل ولهذا قال لهم (أفأنتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم الأنعمون فثم عدو لى الارب العالمين)
 وهذا برهان قاطع على بطلان آلهية ما ادعوه من الأصنام لأنه تبرأ منها وتنقص بها فلو كانت تضر
 لضرته أو تؤثر لأثرت فيه (قولوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعين) يقولون هذا الكلام الذى قوله
 لنا وتنقص به آلهتنا وتعلن بنبية في آبائنا قوله محضاً جاداً فيه أم لاعباً (قال بلى ربكم رب السموات
 والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) يعنى بلى أقول لكم ذلك جاداً محضاً وإيما إلهكم الله
 الذى لا إله الا هو ربكم ورب كل شئ فاطر السموات والارض الخالق لها على غير مثال سبق فهو
 المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأنا على ذلكم من الشاهدين . وقوله (وتلقه لا يكون أصنامكم بد
 أن تولوا مدبرين) أقسم ليكيكن هذه الأصنام التى يعبدونها بد أن تولوا مدبرين الى عيديم . قيل
 إنه قال هذا خفية في نفسه وقال ابن مسعود سمعهم بعضهم وكان لهم عيد يذهبون إليه في كل عام مرة الى
 ظاهر البلد فدعاه أبوه ليحضره فقال انى سقيم كما قال تعالى (فنظر نظرة في النجوم . فقال انى سقيم) .
 عرض لهم في الكلام - حتى توصل الى مقصوده من إهانة أصنامهم ونصرة دين الله الحق في بطلان ما هم
 عليه من عبادة الأصنام التى تستحق أن تكسر وأن تهان غاية الاهانة فلما خرجوا الى عيديم
 واستقر هو في بلمه (راغ الى آلهتهم) أى ذهب إليها مسرعاً مستخفياً فوجدها قبيحاً عظيماً وقد وضعوا
 بين أيديها أنواعاً من الأطعمة قرباناً لها (فقال) لما على سبيل التهمك والازدراء (ألا تأكلون . ما لكم
 لا تنطقون . فراغ عليهم ضرباً باليمين) لأنها أقوى وأبطش وأسرع وأقهر فكسرها بقدمه في يده كما قال

تمال (فجهلهم جذاذاً) أى حطاماً كسرهما كلها (إلا كبيراً لهم لهم يرجون) قيل إنه وضع القدمون في يد الكبير إشارة إلى أنه غار أن قبيد معه هذه العقار . فلما رجوا من عيديم ووجدوا ماحل يعبودهم (قالوا من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين)

وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يقتلون وهو ماحل بأهتهم التي كانوا يعبودونها فلو كانت آلهة لدفت عن أضها من أرادها بسوء لكنهم قالوا من جهلهم وقلة عقلم وكثرة ضلالم وخبالم من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا في ذكرهم (قاله ابراهيم) أى يذكرها باليبس والتقص لها والازدراء بها فهو المقيم عليها والكاسر لها . وعلى قول ابن مسعود أى يذكرهم قوله وثقله لا كيدن أستمحك بد أن تولوا مدبرين (قالوا فأتوا به على أعين الناس لهم يشهدون) أى في الملأ الأكبر على رؤس الأشهاد لهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه ويمانيون بما يجل به من الإقصاص منه وكان هذا أكبر مقاصد التلليل عليه السلام أن يجمع الناس كلهم فيقير على جميع عباد الأصنام المحبة على بطلان مالم عليه كما قال موسى عليه السلام لفرعون (مرعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) فلما اجتمعوا وجأوا به كاذكروا (قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا) قيل معناه هو الحامل إلى على تكسيرها وإعما عرض لهم في القول (فاسألهم إن كانوا ينطقون) وأما أراد بقوله هذا أن يبادروا إلى القول بأن هذه لا تنطق فيمترقوا بأنها جهاد كسائر الجادات فرجوا إلى أنفسهم (قالوا إنكم أنتم الظالمون) أى فادوا على أنفسهم باللامعة (قالوا إنكم أنتم الظالمون أى في تركها لاحافظ لها ولا حارس عندها) ثم نكسوا على رؤسهم (قال السدى أى ثم رجوا إلى الفتنة فلى هذا يكون قوله إنكم أنتم الظالمون أى في عبادتها) وقال قتادة أدركت القوم حيرة سوء أى فاطر قوا ثم قالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى لقد علمت يا ابراهيم أن هذه لا تنطق فكيف تأمرنا بسؤالها فند ذلك قال لهم التلليل عليه السلام (أقصدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبسون من دون الله أفلا تعقلون) كما قال (فأقبلوا إليه يرفون) قال مجاهد يسرعون . قال (أقصدون ما تنحتون) أى كيف تعبسون أنصاما أنتم تنحتونها من الخشب والحجارة وقصورونها وتشكلونها كما تريدون (والله خفيكم وما تعلمون) وسواء كانت ما مصدرة أو بحفى الذى فتقضى الكلام أنكم مخلوقون وهذه الأصنام مخلوقة فكيف يبد مخلوق مخلوق مثله فانه ليس بعبادتك لها بأولى من عبادتها لكم وهذا باطل فلا خير باطل للتحكم إذ ليست البادة تصلح ولا نجب إلا للخالق وحده لا شريك له (قالوا ابناؤه بينا فأتوه في الجحيم . فأرادوا به كيداً فغلناهم الأسفلين) . عدلوا عن الجدال والمناظرة لما اطمعوا وغلبوا ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلى استعجال قوتهم وسلطانهم لينصروا مالم عليه من سفهم وطغيانهم فكادهم الرب جل جلاله وأعلى كلمته ودينه وبرهانه كما قال

تعالى (قلنا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا بلو كوني برداً وسلاماً على ابراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الآخرى) . وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن فشكلوا مدة يجمعون له حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنفذ ثنتين عوفيت لتحمل حطباً لحريق ابراهيم * ثم عمدوا الى جوة عظيمة فوضوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار فاضطربت وتأججت والنهب وعلا لها شر لم ير مثله قط * ثم وضعوا ابراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الاكراد يقال له هزن وكان أول من صنع المجانيق فخفف الله به الأرض فهو يتجبلل فيها الى يوم القيامة ثم أخذوا بقدونه ويكتفونه وهو يقول لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيداً مكبوا قائم أقره منه الى النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل فلما ابراهيم حين التي في النار وقالها محمد حين قيل له (لن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فاقبلوا بنسمة من الله وفضل لم يمسهم سوء) الآية *

وقال أبو يعلى حدثنا أبو هشام الرافعي حدثنا اسحق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن عامر بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال ﷺ لما التي ابراهيم في النار قال اللهم إنيك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك *

وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا * وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة أنه قال جل ملك المطر يقول متى أومر فارسل المطر فكان أمر الله أسرع (قلنا يا بلو كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) قال علي بن أبي طالب أي لا تضربه وقال ابن عباس وأبو المالية لولا أن الله قال وسلاماً على ابراهيم لأذى ابراهيم بردها * وقال كعب الأحبار لم ينفع أهل الأرض يومئذ بنار ولم يحرق منه سوى وثقه * وقال الضحاك يروى أن جبريل عليه السلام كان معه مسح المرقع عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره * وقال السدي كان معه أيضاً ملك الظل . وصار ابراهيم عليه السلام في ميل الجوة حوله النار وهو في روضة خضراء والناس ينظرون اليه لا يقدرون على الوصول اليه ولا هو يخرج إليهم فمن أبي هريرة أنه قال أحسن كلمة قالها أبو ابراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال نعم الرب ربك يا ابراهيم * وروى ابن عساكر عن عكرمة أن أم ابراهيم نظرت الى ابنها عليه السلام فتأذنته يابني إني أريد أن أجزي اليك فادع الله أن ينجي من حر النار حولك . فقال نعم فأقبلت اليه لا يمسه شيء من حر النار . فلما وصلت اليه اعتنقه وقبلته ثم عادت * وعن التهامي بن عمرو أنه قال أخبرني أن ابراهيم مكث هناك إما أربعين وإما خمسين يوماً وأنه قال ما كنت أليلاً وليلاً أطلب عيشاً إذ كنت فيها ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل إذ كنت فيها صلوات الله وسلامه عليه

فأرادوا أنت يتصمروا فخذلوا وأرادوا أن يرتضوا فأنضموا وأرادوا أن يلبوا فلبوا . قال الله تعالى (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الآخرين) وفي الآية الأخرى (الأسفلين) فاضاوا بالظلمة والسفال هذا في الدنيا وأما في الآخرة فلن نلزم لانتكون عليهم برداً ولا سلاماً ولا يلقون فيها نجاة ولا سلاماً بل هي كما قال تعالى (إنها ساعت مستقرا ومقاما) .

قال البخاري حدثنا عبد الله بن موسى أو ابن سلام عنه أنبأنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال وكان ينفخ على إبراهيم * ورواه مسلم من حديث ابن جريج * وأخرجاه والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة كلاهما عن عبد الحميد بن جبير بن شعبة * وقال احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابن جريج أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي أمية أن فلاناً مولى ابن عمر أخبره أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ قال اتلوا الوزغ فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم . قال فكانت عائشة تقتلهم * وقال احمد حدثنا اسماعيل حدثنا أيوب عن ثعلبة أن امرأة دخلت على عائشة فلذا رمح منصوب فقالت هذا الرمح هالك قتلت به الأوزاغ . ثم حدثت عن رسول الله ﷺ أن إبراهيم لما ألقى في النار جعلت الدواب كلها تعلق عنه إلا الوزغ فإنه جعل ينفخها عليه * تفرد به أحمد من هذين الوجهين *

وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير حدثنا ثعلبة حدثني سامة مولاة الفاكه بن المغيرة قالت دخلت على عائشة فראيت في يدها رمحاً موضوعاً قلت يا أم المؤمنين متصنعين بهذا الرمح قالت هذا لهذه الأوزاغ تقتلهم به فان رسول الله ﷺ حدثنا أن إبراهيم حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تعلق عنه النار غير الوزغ كان ينفخ عليه فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله * ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد عن جرير بن حازم به .

**ذكر مناظرة إبراهيم الخليل مع من أراد أن ينازع العظيم
الجليل في العظمة ورداء الكبرياء فادعي
الربوبية وهو أحد العبيد الضعفاء**

قال الله تعالى (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في دبه أن آله الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحى ويميت قال أنا أحيى وأميت . قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأتىها من المغرب فهبت التى كفر . والله لا يهتدى القوم الضالين) . يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد

التي ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام دليله وبين كثرة جهله وقلة عقله وأجله الحجة وأوضح له طريق الحقبة *

قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار وهذا الملك هو ملك بابل واسمه النمرود ابن كمان بن كوش بن سام بن نوح قاله مجاهد. وقل غيره نمرود بن فالج بن عابر بن صالح بن أرغند بن سام بن نوح قل مجاهد وغيره وكان أحد ملوك الدنيا قاله قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة مؤمنان وكافران. فالؤمنان ذو القرنين وسليمان. والكافران النمرود ويختصر وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعة مائة سنة وكان قد طفا وبنا وتجر وعتا وآثر الحياة الدنيا * ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لاشريك له حمله الجبل والصلال وطول الآمال على إنكار الصانع فغاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية. فلما قال الخليل ربى الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت *

قال قتادة والسدي ومحمد بن اسحق يعنى أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قلبها فإذا أمر يقتل أحدهما وغنا عن الآخر فكأنه قد أحيى هذا وأمات الآخر. وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خرنجى عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشبيب محض وهو اقطاع في الحقيقة فإن الخليل استدل على وجود الصانع بمحدث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها على وجود فاعل ذلك الذى لا بد من استنادها الى وجوده ضرورة عدم قيامها بنفسها ولا بد من فعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتفسير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التى توجد مشاهدة ثم إيمانها ولهذا (قال إبراهيم ربى الذي يحيى ويميت) قول هذا الملك الجاهل أنا أحيى وأميت إن عنى أنه الناعل لهذه المشاهدات قد كبر وعاند وإن عنى ما ذكره قتادة والسدي ومحمد بن اسحق فلم يقل شيئا يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض الليل *

ولما كان اقطاع مناظرة هذا الملك قد تنحى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلا آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود واقطاعه جبهة (قال فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) أى هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها. وهو الله الذى لا إله إلا هو خالق كل شئ * فإن كنت كما زعمت من أنك الذى يحيى ويميت فأت بهذه الشمس من المغرب فإن الذى يحيى ويميت هو الذى يضل ما يشاء ولا يمانع ولا يناوب بل قد قهر كل شئ ودان له كل شئ * فإن كنت كما تزعم فاضل هذا فإن لم تضله قلت كما زعمت وأنت قلم وكل أحد أنك لا تقدر على شئ من هذا بل أنت أعمى وأقل من أن تخلق بوصة أو تنصر منها فين ضلله وجهه وكذب فيه ادعاه وبطلان مأسكه وتبيح به عند جهلة قومه ولم يبق له كلام يجيب الخليل

• بل اقطع وسكت ولهذا قال (فبئس الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) •

وقد ذكر السلي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم وبين القنود يوم خرج من النار ولم يكن
إجماع به يومئذ فكانت بينهما هذه المناظرة * وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم
أن القنود كان عنده طعام وكان الناس يمدون اليه البيرة فوفد إبراهيم في جملة من وفد البيرة فكان
بينهما هذه المناظرة ولم يسط إبراهيم من الطعام كما أعطى الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام *
فلما قرب من أهله عمد إلى كتيب من التراب فلأ منه عليه وقال أشغل أهلي إذا قدمت عليهم فلما
قدم وضع رجليه وجاء فاتكأ فنام فقامت امرأته سارة إلى العلين فوجتسها ملائين طعاماً طيباً فمضت
منه طعاماً * فلما استيقظ إبراهيم وجد النسي قد أصلحوه فقال أتى لكم هذا قالت من النسي جئت به
فصرف أنه رزق رزقه هو الله عز وجل * قال زيد بن أسلم وبث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكاً يأمره
بالإيمان بالله فأبى عليه . ثم دعاه الثانية فأبى عليه . ثم الثالثة فأبى عليه . وقال اجمع جوعك

ذكر هجرة الخليل عليه السلام الى بلاد الشام
ودخوله الديار المصرية وأستقراره
في الارض المقدسة

قال الله (فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى دُونِ هَذَا هُوَ الْعَرِيزُ الْحَكِيمُ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ . وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمُنْصِلِينَ) وقال تعالى (وَنَحْنُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ . وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) لما هجر قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم وكانت أسرته عاقرا لا يولد لها ولم يكن له من الولد أحديا منه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين وجعل في ذرية النبوة والكتاب فكل نبي بث بعده فهو من ذرية وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من بعده صلى الله عليه وآله وخلفه خلة من الله وكرامة له حين ترك بلاده وأهله وأقرباءه وهاجر إلى بلادهم

فيها من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق اليه والأرض التي قصدتها بلحجرة أرض الشام وهي التي قال الله عز وجل (إلى الأرض التي بركنا فيها للعالمين) قاله أبي بن كعب وأبو العالية وقادة وغيرهم * وروى العوفي عن ابن عباس قوله (إلى الأرض التي بركنا فيها للعالمين) مكة ألم تسمع إلى قوله (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين) .

وزعم كعب الأحبار أنها حران * وقد قلنا عن قل أهل الكتاب أنه خرج من أرض بابل هو وابن أخيه لوط وأخوه ناحور وامرأة ابراهيم سارة وامرأة أخيه ملكا فترزوا حران فأتى أبو ابراهيم بها وقل السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طمنت على قومها في دينهم فترزوها على أن لا يغيرها رواء ابن جرير وهو غريب * والمشهور أنها ابنت عمه هاران الذي تنسب إليه حران ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلي عن القتيبي والنقاش قد أبد النجسة وقل بلا علم وادعى أن تزويج بنت الأخ كان إذ ذاك مشروعاً فليس له على ذلك دليل . ولو فرض أن هذا كان مشروعاً في وقت كما هو متقول عن الربانيين من اليهود فإن الانبياء لا تتماطه والله أعلم * ثم المشهور أن ابراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بارة مهاجراً من بلاده كما تقدم والله أعلم . وذكر أهل الكتاب أنه لما قدم الشام أوحى الله إليه إني جاعل هذه الأرض خلفك من يدك فابني ابراهيم مذبحاً لله شكراً على هذه النعمة وضرب قبته شرقي بيت المقدس ثم انطلق مرتحلاً إلى التيمن وأنه كان جوعاً أي قحطاً وشدة وغلاء فارتحلوا إلى مصر وذكروا قصة سارة مع ملكها وإن ابراهيم قال لما قولي أنا أخته وذكروا خدام الملك إياها هاجر . ثم أخرجهم منها فرجعوا إلى بلاد التيمن يعني أرض بيت المقدس وما والاها ومعه دواب وعبيد وأموال *

وقد قال البخاري حدثنا محمد بن محبوب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبت ثنتان منه في ذات الله قوله (إني سقيم) وقوله (بل فصله كبيرهم هذا) وقال بينا هو ذات يوم وسارة أذا في جبار من الجبابرة قيل له ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل اليه وسأله عنها فقال من هذه قال أختي فأبى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألتني فاخبرته أنك أختي فلا تكذبي فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها يده فأخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأنطق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فلما مضى حجبته فقال إنك لم تأتني بإنسان وإنما أتيتني بشيطان فأخذهما هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأومأ يده مهم فقالت رد الله كيد الكافر أو العاجر في نحره وأخذهما هاجر * قال أبو هريرة فلك أمكم يابني ماء السماء . فترد به من هذا الوجه موقوفة * وقد رواء الحافظ أبو بكر البزار عن عروبن علي الفلاس عن عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد

ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إن إبراهيم لم يكذب قط الا ثلاث كذبت كل ذلك في ذات الله قوله (أني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرم هذا) وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة اذ نزل منزلا فأتى الجبار قهيل له إنه قد نزل ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس . فأرسل اليه فساله عنها فقال إنها أختي فلما رجع اليها قال ان هذا سألني عنك قتلت إنك أختي وإنه ليس اليوم مسلم غيبي وغيرك وإنك أختي فلا تكذبي عنده فأطلق بها فلما ذهب يتناولها أخذ فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت له فأرسل فذهب يتناولها فأخذ مثلها أو أشد منها . فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت فأرسل ثلاث مرات فدعا أدنى حشمه فقال إنك لم تأتني بإنسان ولكن أتيتني بشيطان أخرجه وأعطها هاجر فجاءه إبراهيم قائم يصلي فلما أحس بها انصرف فقال مهمم قالت كفى الله كيد الظالم وأخذني هاجر وأخرجاه من حديث هشام * ثم قال البزار لا نعلم أسنده عن محمد عن أبي هريرة الا هشام ورواه غيره موقوفا *

وقال الامام احمد حدثنا علي بن حفص عن ورقاء هو ابن عمر الشكري عن ابى الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لم يكذب إبراهيم الا ثلاث كذبت قوله حين دعى الى آلهتهم قال (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرم هذا) وقوله لسارة (إنها أختي) قال ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة قهيل دخل إبراهيم الليلة بمرأة من أحسن الناس قال فأرسل اليه الملك أو الجبار من هذه ملك قال أختي قال فأرسل بها اليه وقال لا تكذبي قولي فأتى قد أخبرته أنك أختي إن على الأرض مؤمن غيبي وغيرك فلما دخلت عليه قام اليها فقبلت توشأ وتصلى وتقول اللهم ان كنت تعلم اني آمننت بك وبرسولك وأحصنت فرجى الا على زوجى فلا تسلط على الكافر قال ففقط حتى ركض برجله * قال أبو الزناد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة إنها قالت اللهم ان يمت يقال هي قتلتك قال فأرسل قال ثم قدم اليها قال فقامت توشأ وتصلى وتقول (اللهم ان كنت تعلم اني آمننت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على الكافر) قال ففقط حتى ركض برجله قال أبو الزناد وقال أبو سلمة عن أبي هريرة إنها قالت اللهم ان يمت يقال هي قتلتك قال فأرسل قال فقال في الثالثة أو الرابعة ما أرسلتم الى الأسيطان ارجعوهما الى إبراهيم وأعطوهما هاجر قال فرجعت قالت لابراهيم أشعرت ان الله رد كيد الكافرين وأخذم وليدة * فرد به احد من هذا الوجه هو على شرط الصحيح * وقد رواه البخاري عن أبي اليان عن شبيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ * وخصرا * وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا سفيان عن علي بن زيد ابن جعدان عن أبي فضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ في كذبات إبراهيم الثلاث التي قال ما منها كلمة الا ما حل بها عن دين الله قال إنني سقيم وقال بل فعله كبيرم هذا وقال للملك حين اراد امرأته هي أختي قوله في الحديث في الدين الله وقوله لها إنه ليس على وجه الأرض مؤمن

غبرى وغيرك يعنى زوجين مؤمنين غبرى وغيرك ويشين حمله على هذا لان لوطا كان معهم وهو نبى عليه السلام وقوله لما لما رجعت اليه مهم مناه ما الخبر قالت ان الله رد كيد الكافرين. وقد روى الفاجر وهو الملك وأختم جارية وكان ابراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها الى الملك قام يصلى لله عز وجل ويسأله أن يدفع عن أهله وأن يرد بأس هذا الذى اراد اهله بسوء وهكذا فعلت هى ايضا فلما اراد عدو الله ان ينال منها أمراً قامت الى وضوئها وصلاتها ودعت الله عز وجل بما تقدم من الدعاء العظيم ولهذا قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلوة) فقصها الله وصاتها لعصمة عبده ورسوله وحييه وخليله ابراهيم عليه السلام

وقد ذهب بعض العلماء الى نبوة ثلاث نسوة سارة وأم موسى ومريم عليهن السلام * والذى على الجهور أنهم صدقات رضى الله عنهن وارضاهن * ورأيت فى بعض الآثار أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين ابراهيم عليه السلام وبينها فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده الى أن رجعت اليه وكان مشاهدا لما وهى عند الملك وكيف عصمها الله منه ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعيته وأشد لطمائنته فانه كان يحبها حباً شديداً لدينها وقرباتها منه وحننها الباهر فانه قد قيل إنه لم تكن امرأة بدحواء الى زميتها أحسن منها رضى الله عنها * والله الحمد والمنة

وذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر هذا كلّف أخا لضحك الملك المشهور بالظلم وكان عاملاً لآخيه على مصر * ويقال كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن علق بن لاود بن سام ابن نوح . وذكر ابن هشام فى التيجان أن الذى أرادها عمرو بن امرئ القيس بن مابلون (١) بن سبأ وكان على مصر هه السهيل فله أعلم *

ثم إن الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر الى أرض التين وهى الأرض المقدسة التى كان فيها ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل وصحبتهم هاجر اقبطية المصرية ثم إن لوطا عليه السلام تزح بماله من الاموال الجزيلة بأمر الخليل له فى ذلك الى أرض النور المعروف بنور زغر قنزل بمدينة سدوم وهى أم تلك البلاد فى ذلك الزمان وكان أهلها أشراً أكثراً فجاء وأوحى الله تعالى الى ابراهيم الخليل فأمره أن يمد بصره وينظر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ويشره بلن هذه الأرض كلها سأجعلها لك وتلقاك الى آخر الدهر وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بدد تراب الأرض * وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة بل ما كنت ولا كانت أعظم منها فى هذه الأمة المحمدية * يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ أن الله زوى لى الأرض قرأيت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمى ما زوى لى منها . قالوا ثم أن طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط عليه السلام فأسروه وأخذوا أمواله واستاقوا أنعامه فلما بلغ

أمواله وقتل من أعداء الله ورسوله خلقاً كثيراً وهزمهم وساق في آثرهم حتى وصل إلى شرق دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة وأفلح مقام إبراهيم إنما سمي لأنه كان موقف جيش الخليل والله أعلم .
ثم رجع مؤبداً منصوراً إلى بلاده وتقاه ملوك بلاد بيت المقدس مظلمين له مكرمين خاضعين واستقر بيلاده صلوات الله وسلامه عليه *

ذكر مولد اسماعيل عليه السلام من هاجر

قال أهل الكتاب إن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة وأن الله بشره بذلك وأنه لما كان لإبراهيم بيلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لإبراهيم عليه السلام إن الرب قد أكرمني الولد فادخل على أمي هذه لعل الله يرزقني منها ولما قلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام فحين دخل بها حملت منه قالوا فلما حملت ارتضت غسها وتماطلت على سبيلها فغارت منها سارة فشكت ذلك إلى إبراهيم فقال لها افعل بها ما شئت لخافت هاجر فهربت فتزلت عند عين هناك فقال لها ملك من الملائكة لا تخافي فإن الله جامل من هذا الغلام الذي حملت خيراً وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابناً وتسميه اسماعيل ويكون وحش الناس يده على الكل ويد الكل به وبذلك جميع بلاد إخوته فشكرت الله عز وجل على ذلك . وهذه البشارة إنما انطبقت على ولده محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه الذي سادت به العرب ومملكة جميع البلاد غرباً وشرقاً وألغى الله من العلم النافع والعسل الصالح فلم تزل أمة من الأمم قبلهم ومما ذكره إلى أشرف رسولها على سائر الرسل وبركة رسالته وبمن بشارته وكأله فيما جاء به وعموم بشته لجميع أهل الأرض . ولما رجعت هاجر وضعت اسماعيل عليه السلام قالوا وولده ولا إبراهيم من العمر ست وثمانون سنة قبل مولد اسحق بثلاث عشرة سنة ولما ولد اسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم ينشره بلسحق من سارة فخره ساجداً وقال له قد استجبت لك في اسماعيل وولدت عليه وكثرته ونميتة جداً كثيراً ويولد له اثنا عشر عظيماً وأجله ريشاً لشعب عظيم وهذه أيضاً بشارة بهذه الأمة العظيمة وهؤلاء الاثنا عشر عظيماً الملقاه الراشدون الاثنا عشر المبشر بهم في حديث عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال (يكون اثنا عشر أميراً) ثم قال كلمة لم افهمها فسألت أبي ما قال قال (كلهم من قريش) أخرجه في الصحيحين . وفي رواية لا يزال هذا الأمر قائماً وفي رواية عزراً حتى يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش . فهؤلاء منهم الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . ومنهم عمر بن عبد العزيز أيضاً . ومنهم بعض بني العباس وليس المراد أنهم يكونون اثني عشر فسقاً بل لا بد من وجودهم وليس المراد الأئمة الاثني عشر الذين يمتد فيهم الرفضة الذين أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المنتظر بسرداب سامرا وهو محمد ابن الحسن العسكري فيما يزعمون فإن أولئك لم يكن فيهم أفع من

على وإبنة الحسن بن علي حين ترك القتال وسلم الأمر لحاوية وأخذ تل العنتنة وسكن رحى الحروب بين المسلمين والباقيون من جملة الرعايا لم يكن لهم حكم على الأمة في أمر من الأمور * وأما ما يستقذرونه بسر داب سامرا فذاك هوس في الرؤس وهذيان في النفوس لاحقيقة له ولا عين ولا أثر *

والمقصود أن هاجر عليها السلام لما ولد لها اسماعيل اشتدت غيرة سارة منها وطلبت من الخليل أن ينيب وجهها عنها فذهب بها وولدها فصار بهما حتى وضعا حيث مكة اليوم ويقال إن ولدها كان إذ ذاك رضيما فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وتسلت بثيابه وقالت يا ابراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفينا فلم يجيبها فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت فإذا لا يضيئنا * وقد ذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله في كتاب النوادر أن سارة قمضت على هاجر خلفت لتقطع ثلاثة أعضاء منها فأمرها الخليل أن تجب أذننها وأن تخفضها فخير قسما * قال السهلي فكانت أول من اختن من النساء وأول من حبت أختها منهن وأول من طوت ذيلها *

ذكر مهاجرة ابراهيم بابنه اسماعيل وأمه هاجر إلى جبال فاران وهي أرض مكة وبنائها البيت العتيق

قال البخاري قال عبد الله بن محمد هو أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب السخيتي وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتعني أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبانها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعا عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعا ههنا لك ووضع عندهما جراب فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فبحثه أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليهما فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيئنا * ثم رجعت فاطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه قال (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند

يتك الحرم . ربنا ليقبوا الصلاة لجل أئمة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثروات لعلهم يشكرون)
 وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرّب من ذلك الماء حتى إذا غد ملى السماء عطشت وعطش
 ابنها وجعلت تنظر إليه يئوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل
 في الأرض يلها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فبطلت من الصفا
 حتى إذا بلغت الوادى رقت طرف ذراعها ثم سمت سعى الانسان المجهود حتى إذا جاوزت الوادى ثم
 أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا فضلت ذلك سبع مرات * قال ابن عباس
 قال النبي ﷺ فلذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا قالت صه تريد ضمها .
 ثم سمعت فسمعت أيضا قالت قد أسمعتم إن كن عندك غواث فلذا هي بملك عند موضع زمزم فيبحث
 بقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول يدها هكذا وجعلت تقرف من الماء في سقلها
 وهي تخور بعد ما ترف * قال ابن عباس قال النبي ﷺ (رحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم)
 أو قال (لو لم ترف من الماء لكانت زمزم عينا معنا) فشربت وأرضعت ولها قال لما الملك لا تخافي
 الضية فإن ههنا بيت الله يبنى هذا القلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتضا من الأرض
 كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرّت بهم رقعة من جرم أو
 أهل بيت من جرم مقبلين من طريق كذا فزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عاتقا فقالوا إن هذا الطائر
 ليدور على الماء لهدانا بهذا الوادى ومغايه ماء فربوا جريا أو جريين فاذا هم بلأه فرجوا فأنهروهم بلأه
 فاقبلوا قال وأم اسمعيل عند الماء قالوا تأذنين لنا أن نزل عندك ضم ولكن لاحق لك من الماء
 قالوا نعم * قال عبد الله بن عباس قال النبي ﷺ فلقى ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فزلوا وأرسلوا
 الى أهلهم فزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل آيات منهم وشب القلام وتعل الرية منهم وأنضمهم
 وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل
 بطالع تركته فلم يجد اسمعيل فقال امرأته قالت خرج يئسى لنا . ثم سألهما عن عيشهم وهيتهم قالت
 نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه * قال فلذا جاء زوجك أقرنى عليه السلام وقولى له يغير حجة
 بابه فلما جاء اسمعيل كأنه أنسى شيئا قال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فأنسا
 عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة . قال فهل أوصاك بشئ قالت نعم أمرنى
 أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير حجة بآبك قال ذلك أبى وأمرنى أن أقرأك غلقتي بأهلك فظفها
 وتزوج منهم أخرى ولبث عنهم ابراهيم ما شاء الله * ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألهما عنه
 قالت خرج يئسى لنا قال كيف أتتم وسألهما عن عيشهم وهيتهم قالت نحن بخير وسعة وأنت على
 الله قال ما طامعكم قالت اللحم قال فاشربكم قلت الماء . قال اللهم برك لهم في اللحم والماء .

قال النبي ﷺ ولم يكن لهم يومئذ حب . ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه فما لا يخلو عليها أحد (١)
بين مكة والام يواضاه قال فلذا جاء زوجك فآقرني عليه السلام ومر به يثب عتبة بابها فلما جاء اسميل
قال هل آتاكم من أحد قالت نعم آتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فآلني عنك فآخبرته فآلني كيف
عشنا فآخبرته أنا بخبر قال فأوصاك بشي قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك
قال ذاك أبي وأمرني أن أسكك * ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسميل يرى نباله تحت
دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد * ثم قال يا اسميل إن
الله أمرني بسر قال فاصنع ما أمرك به ربك قال وتعينني قال وأعينك قال قلن الله أمرني أن أبني ههنا
بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رضا القواعد من البيت فجعل اسميل يأتي بالحجارة
وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسميل يناوله الحجارة
وهما يقولان (ربنا تبارك منا انك أنت السميع العليم) قال وجلا بينان حتى يدورا حول البيت وهما
يقولان (ربنا تبارك منا انك أنت السميع العليم) ثم قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عاصم عبد الملك
ابن عمرو حدثنا ابراهيم بن طلح عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما كان من
ابراهيم وأهله ما كان خرج باسميل وأم اسميل ومعه شاة فيها ماء * وذكر تمامه بنحو ما تقدم وهذا
الحديث من كلام ابن عباس وموشع يرفع بضه وفي بضه غرابة وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن
الاسر اثيليات * وفيه أن اسميل كان رضيحا اذ ذاك * وعند أهل التوراه أن ابراهيم أمره الله بأن يمتحن
ولده اسميل وكل من عنده من العبيد وغيرهم فآخبرهم وذلك بعد مضى تسع وتسعين سنة من عمره فيكون
عمر اسميل يومئذ ثلاث عشرة سنة وهذا امتثال لامر الله عز وجل في أهله فيدل على أنه فعله على وجه
الوجوب ولهذا كان الصحيح من أقوال العلماء أنه واجب على الرجال كما هو مقرر في موضعه

وقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا غيرة بن عبد الرحمن
القرشي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ اختن ابراهيم النبي عليه السلام
وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم * تأبه عبد الرحمن بن اسحق عن أبي الزناد وتأبه مجلان عن أبي هريرة
ودرواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة * وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به * وفي بعض الاقفاظ
اختن ابراهيم بعد ما أتت عليه ثمانون سنة واختن بالقدوم والتقدم هو الآلة وقيل موضع وهذا

(١) قوله فما لا يخلو عليها أحد الى قوله الام يواضاه كذا بالأصول الشامية والمصرية وهو متعين
وفي مثل هذا الموضع من الراس للثعلبي فلو جاءت يومئذ بمنزلة أو بر أو شعير أو تمر لكافتك مكة
أكثر أرض الله برا وشعيرا ونمرا انتهى (محمود الامام)

اللفظ لا ينافي الزيادة على الثمانين . والله أعلم لما سيأتى من الحديث عند ذكر وقته عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال اختن إبراهيم وهو ابن مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة . رواه ابن حبان فى صحيحه . وليس فى هذا السياق ذكر قصة التويح وأنه اسمعيل ولم يذكر فى قدماء ملت إبراهيم عليه السلام الا ثلاث مرات أولاهن بعد أن تزوج اسمعيل بعد موت هاجر وكيف تركهم من حين صغر الولد على ما ذكر الى حين تربيته لا ينظر فى حالهم . وقد ذكر أن الارض كانت تطوى له وقيل إنه كان ير كى البراق اذا سار اليهم فكيف يتخلف عن مطالعة حالهم وهم فى غاية الضرورة الشديدة والحاجة الأكيدة . وكان بعض هذا السياق متلقى من الاسرائيليات ومطرز بشئ من المرفوعات ولم يذكر فيه قصة التويح وقد قلنا على ان التويح هو اسمعيل على الصحيح فى سورة الصافات

قصة التويح

قال الله تعالى (وقال إني ذاهب الى ربى سيدين . رب هب لى من الصالحين . فبشرته بسلام حلیم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله لحيين . ونذيتاه ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجى نجى المحسنين . ان هذا هو البلاد المين . وقديتاه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الاخرين . سلام على إبراهيم . كذلك نجى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين . وبشرته بسحق نيا من الصالحين . ويلركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) . يذكر تعالى عن خليله إبراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه ان يحب له ولدا صالحا فيشره الله تعالى بسلام حلیم وهو اسمعيل عليه السلام لانه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل . وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لانه أول ولده وبكره وقوله (فلما بلغ معه السعى) أى شب وصار يسى فى مصالحة كآبه قال مجاهد (فلما بلغ منه السعى) أى شب وارتحل وأطلق مايضله أبوه من السعى والعمل . فلما كان هذا رضى إبراهيم عليه السلام فى المنام أنه يؤمر بذبح ولده . هذا . وفى الحديث عن ابن عباس مرفوعا رؤيا الانبياء وحى . قاله عبيد ابن عمير أيضا وهذا اختيار من الله عز وجل لخليله أن يذبح هذا الولد العزيز الذى جاءه على كبر وقد طمن فى السن بعد ما أسر بن يسكنه هو وأمه فى بلاد قمر وواد ليس به حسيب ولا أنيس ولا زرع ولا ضرع فقتل أسر الله فى ذنك وتركهما هناك همة بالله وتوكل عليه فبصل الله لها فرجا ومخرجا ورزقها من حيث لا يحتسبان . ثم لما أسر بعد هذا كله يذبح ولده هذا الذى قد أفرد عن أسر ربه وهو بكره ووحيدته الذى ليس له غيره أجاب ربه وامتل أسرهم وسارع الى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيع قلبه وأهرون عليه من أن يأخذه قسرا ويذبحه قهرا (قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى اذبحك فانظر

ماذا ترى) فإدرك النعام العظيم سر والده الخليل إبراهيم قال يا أبت أفضل ماتومر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد قال الله تعالى (فلما أسدأ وتله للجبين) قيل أسدأ أى استسما لأمر الله وعزما على ذلك . وقيل هذا من المقدم والمؤخر والمعنى تله للجبين أى ألقاه على وجهه . قيل أراد أن يذبحه من قناه لئلا يشاهده في حال ذبحه قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقادة والضحاك . وقيل بل أضجعه كما تضحج المذبذب وتقي طرف جبينه لاصقا بالأرض واسدأ أى سمى إبراهيم وكبر وتشهد الولد للموت * قال السدي وغيره أمر السكين على حلقه فم تم قطع شيئا ويقال جلل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس والله أعلم . فسمي ذلك نودى من الله عز وجل (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أى قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك الى أمر ربك وبذلك ولدك القرابن كما سمحت يدك للقرابن وكما مالك مبدول للضيغان ولهذا قال تعالى (إن هذا هو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر البين وقوله (وفديناه بذبح عظيم) أى وجعلنا فداء ذبح ولده مايصره الله تعالى له من العوض عنه والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعين أقرون راء مربوطة بسرة في ثبير . قال الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كبش قد رمى في الجنة أربعين خريفا (١) وقال سعيد بن جبيرة كان يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر . وعن ابن عباس هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرون له فناء فذبحه وهو الكبش الذى قر به ابن آدم فتقبل منه . رواه ابن أبي حاتم *

قال مجاهد فذبحه يحيى وقال عبيد بن عير ذبحه بلقلام . فأما ما روى عن ابن عباس أنه كان وعلا وعن الحسن أنه كان ينام من الأروى . واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما * ثم غالب ما بهنا من الآثار مأخوذ من الاسرائيليات * وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختيار الباهر وأنه فدى بذبح عظيم وقد ورد في الحديث أنه كان كبشا * قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا منصور عن خاله نافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني امرأة من بنى سليم ولدت حاة أهل دارنا قالت أرسل رسول الله ﷺ الى عثمان بن طلحة وقال مرة إني سألت عثمان لم دعاك رسول الله ﷺ قال إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فسميت أن أسمرك أن تخمرها فخرها فله لا يبنى أن يكون في البيت شئ يشغل المصلى قال سفيان لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا . وهذا روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة قد يس . وهذا وحده دليل على أن الذبيح اسمعيل لأنه كان هو المقيم بمكة . واسحق لا علم أنه قلمها في حال صفه والله أعلم . وهذا هو الظاهر من القرآن بل كأنه نص على أن الذبيح هو اسمعيل لانه ذكر قصة الذبيح ثم قال

بعده (وشرناه بسحق نيا من الصالحين) ومن جله حالاً قد تكلف ومستنده أنه اسحق إنما هو اسراييليات
 وكتابتهم فيه تحريف ولا سيما ههنا قطعاً لا محيد عنه فإن عدم أن الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه وحيد
 وفي نسخة من المرة بكرة اسحق فلفظة اسحق ههنا مقحمة مكذوبة معتارة لانه ليس هو الوحيد ولا
 البكر . ذاك اسمعيل . وانما خلم على هذا حمد العرب فإن اسمعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز
 الذين منهم رسول الله ﷺ واسحق والد يعقوب وهو اسراييل الذين يتسبون اليه فارادوا أن يمحروا
 هذا الشرف اليهم فغرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يفروا بالفضل يد الله يؤتیه من
 يشاء . وقد قال به اسحق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم . وانما أخذوه والله أعلم من كتب الاحبار
 أو صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المصوم حتى تترك لأجله ظاهر الكتاب
 العزيز ولا ينهم هذا من القرآن بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه اسمعيل . وما أحسن
 ما استدلل محمد بن كعب القرظي على أنه اسمعيل وليس بسحق من قوله فبشر لها بسحق ومن وراء
 اسحق يعقوب قال فكيف تقع البشارة بسحق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق وهو صغير
 قبل أن يولد له هذا لا يكون لانه يناقض البشارة المتقدمة والله أعلم *

وقد اعترض السهيلي على هذا الاستدلال بما حاصله أن قوله (فبشر لها بسحق) جملة ثلثة
 وقوله (ومن وراء إسحاق يعقوب) جملة أخرى ليست في جز البشارة . قال لانه لا يجوز من حيث
 العربية أن يكون مخفوضاً إلا أن يعاد منه حرف الجر فلا يجوز أن يقال صرحت بزيد ومن بعده عرو حتى
 يقال ومن بعده بسر . وقال القى قاله فطر . ورجح أنه اسحاق واحتج بقوله (فما بلغ معه السعي) قال
 واسماعيل لم يكن عنده انما كان في حال صغره هو وأمه بحال مكة فكيف يبلغ معه السعي وهذا أيضاً
 فيه نظر لانه قد روي أن الخليل كان يذهب في كثير من الأوقات راكبا البراق الى مكة فيطلع على
 ولده وابنه ثم يرجع والله أعلم * فنحكي القول عنه بأنه اسحق كعب الأحبار * وروي عن عمر والعباس
 وعلى وابن مسعود ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والشعبي ومقاتل وعبيد بن عمر
 وأبي ميسرة وزيد بن أسلم وعبيد الله بن شقيق والزهري والقاسم وابن أبي ردة ومكحول وعثمان بن
 حاضر والسدي والحن وقادة وأبي الهذيل وابن سابط وهو اختيار ابن جرير وهذا عجب منه وهو
 إحدى الروايتين عن ابن عباس ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أنه اسماعيل عليه السلام . قال
 مجاهد وسعيد والشعبي ويوسف بن مهران وعطاء وغير واحد عن ابن عباس هو اسماعيل عليه السلام
 وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن
 عباس أنه قال المندى اسماعيل وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود * وقال عبد الله بن الأمام احمد

عن أميه هو اسماعيل * وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن القديح قال الصحيح أنه اسماعيل عليه السلام * قال ابن أبي حاتم وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير والحسن ومجاهد والشعي ومحمد بن كعب وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح أنهم قالوا القديح هو اسماعيل عليه السلام * وحكاها البغوي أيضا عن الربيع بن أنس والكلبي وأبي عمرو بن العلاء * قلت وروى عن معاوية وجاء عنه أن رجلا قال لرسول الله ﷺ يا ابن القديحين فضحك رسول الله ﷺ وأليه ذهب عمر بن عبد العزيز ومحمد بن اسحاق بن يسار وكان الحسن البصري يقول لاشك في هذا وقال محمد بن اسحاق عن بريدة عن سفیان بن فروة الاسلمی عن محمد بن كعب أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام يعني استدلاله بقوله بعد العصة فبشرناه بلسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قال له عمر إن هذا الشيء ما كنت اظن فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علمائهم قال فأناله عمر بن عبد العزيز أي ابني ابراهيم أمر بذبحه قال اسماعيل وأله يأمر المؤمنين وإن اليهود لتسلم بذلك ولكمهم يحسدونكم مشر العرب على ان يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يحسدون ذلك ويزعمون أنه اسحق لأن اسحق أبوم * وقد ذكرنا هذه المسئلة مستقصاة بأدلتها وأكملها في في كتابنا التفسير وفقه الحمد والمنة

ذكر مولد اسحاق عليه السلام

قال الله تعالى (وبشرته اسحق نبيا من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) * وقد كانت البشارة به من الملائكة لابراهيم وسارة لما مروا بهم مجتازين ذاهبين الى مدائن قوم لوط ليدمروا عليهم لكفرهم وفجورهم كما سيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى قال الله تعالى (وقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فإلث أن جاء ببجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تفصل عنهم نكرم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكك فبشرتها بلسحق ومن وراء اسحق يعقوب . قالت يوليتي أأله وأنا عجوز وهذا بل شيعنا إن هنا لشيء عجيب . قالوا أمصبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وقال تعالى (وبنهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه قالوا سلاما قال إنا منكم وجلون . قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم . قال أبشركم على أن مسى الكبر فيم تيشرون . قالوا بشرك بلحق فلا

تكن من القاطنين . قال ومن ينقذ من رحمة ربه إلا الضالون) وقال تعالى (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ إلى أهل غنم . فبجل سمين . فقر به إليهم قال ألا تاكون فأوجس منهم خيفة فقالوا لا تخف وبشروه بسلام عليهم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم . قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم) يذكر تعالى أن الملائكة قالوا وكتبوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل لما وردوا على الأنبياء عليهم أضيافا فاملهم ماملة الضيوف شوى لهم عملا سمينا من خيار قومه فلما قر به إليهم وعرض عليهم لم ير لهم حمة إلى الأكل بالسكينة وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة إلى الطعام (فذكرهم) إبراهيم (وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط) . أي لنلدمر عليهم فلبشرت عند ذلك سارة غضبا لله عليهم وكانت قائمة على رؤس الأضياف كاجرت به عادة الناس من العرب وغيرهم فلما تمكنت استبشاراً بذلك قال الله تعالى (فبشرتها بالسحق ومن وراءه اسحق يقوب) أي بشرتها بالملائكة بذلك (فأقبلت امرأته في صرة) أي في صرخة (فصكت وجهها) أي كأيض النساء عند التعجب (وقالت يا بولقي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيئا) أي كيف يلد مثلي وأنا كبيرة وعقيم أيضا وهذا بعلي أي زوجي شيئا تعجبت من وجود ولد والحالة هذه ولهذا قلت (إن هذا لشيء عجيب قالوا أصبحين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وكذلك تعجب إبراهيم عليه السلام استبشاراً بهذه البشارة وثابتاً لها وفرحاً بها (قال أبشرنوني على أن مسى الكبر فيم تبشرون . قالوا بشرتك بالحق فلا تكن من القاطنين) أكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه فبشروها (بسلام عليهم) . وهو اسحق وأخوه إسماعيل غلام حليم مناسب لقامه وصيره وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر . وقال في الآية الأخرى (فبشرتها بالسحق ومن وراءه اسحق يقوب) وهذا مما استدله به محمد بن كعب القرظي وغيره على أن الذريح هو إسماعيل وأن اسحق لا يجوز أن يؤمر بذبحه بعد أن وقت البشارة بوجوده ووجود ولده يقوب المشتق من القصب منه *

وعند أهل الكتاب أنه أحضر مع العجل الحنيد وهو المشوى رغيفاً من مكة فيه ثلاثة أكيال وسمين ولبن . وعندما أنهم أكلوا وهذا غلط محض * وقيل كانوا يودون أنهم يأكلون والطعام يتلاشى في الهواء . وعندما أن الله تعالى قل لإبراهيم أما سارا امرأتك فلا يدعى اسمها سارا ولكن اسمها سارة وأبورك عليها وأعطيتك منها ابناً وأبوركه ويكون الشعوب وملوك الشعوب منه خير إبراهيم على وجهه معنى ساجداً وضعت قائلاً في نفسه أبعد مائة سنة يولد لي غلام أو سارة تلد وقد أتت عليها تسعون سنة . وقال إبراهيم لله تعالى ليت إسماعيل يعيش قدامك فقال الله لإبراهيم بحق إن امرأتك سارة

قلد لك غلاما وتدعو اسمه اسحق الى مثل هذا الحين (١) من قابل واولهه ميثاق الى الدهر وظلفه من
 بمله وقد استجبت لك في اساميل وولدت عليه وكبرته ونميتها جدا كثيرا ويولده اثنا عشر غفلا
 وأجمله رئيسا لشعب عظيم * وقد تكلمنا على هذا بما تقدم والله أعلم. قوله تعالى (فبشرناها باسحق
 ومن وراءه اسحق يعقوب) دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها اسحق ثم من بعده يولد ولده يعقوب
 أي يولد في حياتهما لتمر أعينهما به كما قوت يولده . ولو لم يرد هذا لم يكن ذكر يعقوب وتخصيص التنصيص
 عليه من دون سائر نسل اسحق قائمة ولما عين بالذكر دل على انها يتمتعان به ويسران يولده كما سرا
 يمولد أيه من قبله وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) وقال تعالى (فلما اعتزلهم وما
 يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب) وهذا ان شاء الله ظاهر قروي ويؤيده ما ثبت في الصحيحين
 من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن ابراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت ليارسول
 الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى . قلت كم بينهما قل
 أربعون سنة قلت ثم أي قال ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد . وعند أهل الكتاب أن
 يعقوب عليه السلام هو الذي أسس المسجد الأقصى وهو مسجد ايليا بيت المقدس شرفه الله . وهذا
 متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث صلى هذا يكون بناء يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام بد بناء
 الخليل وابنه اساميل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء وقد كان بناؤها ذلك بعد وجود اسحق لأن
 ابراهيم عليه السلام لما دعا قال في دعائه كما قال تعالى (واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ولا
 تجنبي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء . الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اساميل واسحق إن
 ربى لسيب الدعاء . رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي
 وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) . وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت
 المقدس سأل الله خلافا لآل كما ذكرناه عند قوله (رب اغفر لي ولوالدي) ملكا لا ينجي لاحد من
 بدى) وكما سنورده في قصته فالمراد من ذلك والله أعلم أنه جدد بناءه كما تقدم من أن بينهما
 أربعين سنة ولم يقل أحد إن بين سليمان و ابراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان
 في تناسيمه وأنواعه وهذا القول لم يوافق عليه ولا سبق اليه

(١) قوله الى مثل الخ كذا بالاصول ولعل الصواب في مثل الخ محمود الامام

ذكر بناء البيت العتيق

قال الله تعالى (واذ بوينا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذنفي الناس بلطج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا. وقل على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا. ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) وقال تعالى (واذ اجلي إبراهيم ربه بكلمات فتمنن. قال إني جاعلك للناس إماما. قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين. واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمانا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والماكفين والركع السجود. واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فانتقمه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير. واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا ما كنا سكتا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابش فمهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) يذكر تعالى عن عبده ورسوله وصفيه وخليفه إمام الحنفاء ووالد الانبياء عليه أفضل صلاة وتسليم أنه بنى البيت العتيق الذي هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه ويؤد الله مكانه أي أرشده إليه ودله عليه * وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره أنه أرشد إليه يوحى من الله عز وجل. وقد قدمنا في صفة خلق السموات أن الكعبة بحيال البيت المعمور بحيث أنه لو سقط لسقط عليها وكذلك معابد السموات السبع كما قال بعض السلف إنني كل سماء يتأهب الله فيه أهل كل سماء وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض فأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبنى له بيتا يكون لأهل الأرض كذلك المعابد للآلئكة السموات وأرشد الله إلى مكان البيت المهيأ له المئين لتلك منذ خلق السموات والأرض كما ثبت في الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ولم يجز في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنا قبل الخليل عليه السلام * ومن تمك في هذا بقوله مكان البيت فليس يتأهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدرته المظم عند الانبياء موضحه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم * وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة وأن الملائكة قولوا له قد طهنا قبلك بهذا البيت وأن السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك ولكن كل هذه الأخبار عن بنى إسرائيل * وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب فلا يصحح بها قأما إن ردها الحق فهي مردودة. وقد قال الله (إن أول بيت وضع

للناس للنبي مكة مباركا وهدى للعالمين) أى أول بيت وضع لموم الناس للبركة والهدى البيت الذى
يكة * قيل مكة وقيل محل الكعبة (فيه آيات بينات) أى على أنه بناء الخليل والدالانياء من بده
وإمام الحنفاء من ولده الذين يقتدون به ويستكون بخته ولهذا قال (مقام إبراهيم) أى الحجر الذى
كان يقف عليه قائما لما أرفع البناء عن قامته فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرفع عليه لما تمالى
البناء وعظم الفناء كما تقدم فى حديث ابن عباس الطويل. وقد كان هذا الحجر ملصقا بجناط الكعبة على
ما كان عليه من قديم الزمان الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فخره عن البيت قليلا لئلا يشغل
المصلين عنده الطائفين بالبيت واتبع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا فاته قد واقفه ربه فى اشياء
منها فى قوله لرسوله ﷺ فواتنا من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله (وأتخذوا من مقام إبراهيم
مصلى) وقد كانت آثار قدى الخليل باقية فى الصخرة الى أول الإسلام وقد قال أبو طالب فى قصيدته
اللامية المشهورة.

وثور ومن أرمى ثيرا أمكته وراق لبر فى حراء ونزل (١)
وباليت حق البيت من بطن مكة والله إن الله ليس بشافل
وبطجر المسود إذ يمسحونه اذا اكتنفوه بالضحي والأصائل
وموطى إبراهيم فى الصخر رطبة على قدمه حافيا غير ناعل

يعنى أن رجله الكريمة غاصت فى الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا تمتلئ ولهذا قال تعالى
(واذ برقع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) أى فى حال قولهما (ربنا قبل منا إنك أنت السميع
العليم) فهما فى غاية الاخلاص والطاعة لله عز وجل وهما يسلان من الله السميع العليم أن يتقبل منهما
مهما فيه من الطاعة العظيمة والسعى المشكور (ربنا واجعلنا مبجلين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا
منا سكتنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم).

(١) قال فى المعجم بعد بيان معنى ثور أنه الجبل الذى فيه النار. وقال أبو طالب عم النبي عليه السلام.
أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بشر أو ملح ياطل * ومن كاشع يسي لنا بمصية * ومن مقر
فى الدين ملم يحاول * ثور ومن أرمى ثيرا أمكته * وعير وراق (١) فى حراء ونزل. وقال الجوهري
ثور جبل بمكة وفيه النار المذكور فى القرآن الى أن قال صاحب المعجم أيضا وقد قيل إن بمكة أيضا
جبل اسمه عير ويشهد بذلك بيت أبي طالب المذكور فاته ذكر جبال مكة وذكر فيها عيرا فيكون المعنى
أن حرم المدينة مقدار ما بين عير الى ثور الذين بمكة أو حرم المدينة تحريما مثل تحريم ما بين عير
وثور بمكة يحذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه ووصف المصدر المحذوف الخ (١) قوله وعير
وراق هكذا فى المعجم. وماتى القصيدة المطبوعة بالآستانة والاصول التى يأتينا وراق لبر. والبر العبادة

والمقصود أن الخليل بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع في واد غير خي زرع ودعا لاهلها بالبركة وأن يرزقوا من الثروات مع قلة المياه وعدم الأشجار والزرع والتجار وأن يجعله حرماً محرماً وآمنناً فاستجاب الله وله الحمد له مسأته ولبي دعوته وأمه طلبته قال تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) وقال تعالى (أولم تكن لهم حرماً آمناً يجيى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا) وسأل الله أن يبعث فيهم رسولا منهم أى من جنسهم وعلى لغتهم النصيحة البليغة النصيحة اتهم عليهم نعمتان الدنيوية والدينية سعادة الأولى والأخرى . وقد استجاب الله له فبعث فيهم رسولا وأى رسول ختم به انبياء ورسله واكمل له من الدين ما لم يؤت احداً قبله وعم بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الاقطار والأقطار والأعصار الى يوم القيامة وكان هذا من خصائصه من بين سائر الانبياء لشرفه في نفسه وإكمال ما أرسل به وشرف بقضه وفصاحته لفته وإكمال شقيقته على أمته ولطفه ورحمته وكرمه وعظم مولده وطيب مصدره ومورده ولهذا استحق إبراهيم الخليل عليه السلام إذا كان في الكعبة لأهل الأرض أن يكون منصبه ومحلّه وموضعه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور الذى هو كعبة أهل السماء السابعة المبارك المبرور الذى يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يتعبدون فيه . ثم لا يعودون اليه الى يوم البعث والنشور وقد ذكرنا في التفسير من سورة البقرة صفة بناية البيت وما ورد في ذلك من الأخبار والآثار بما فيه كفاية فمن أراد فليراجع ثم والله الحمد . فمن ذلك ما قال السدى لما أمر الله إبراهيم وإسماعيل أن يبنيا البيت ثم لم يدريا ابن مكة حتى بعث الله رجلاً يقال له النجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشفت لهما محلول الكعبة عن اساس البيت الأول واتباعها بالمعول يحفران حتى وضعا الأساس وذلك حين يقول تعالى (واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) فلما بلغنا القواعد بنينا الركن قال إبراهيم لإسماعيل يا بنى اطلب لى الحجر الأسود من الهند وكان ايضا ياقوتة يضاء مثل النعامة وكان آدم هبط به من الجنة فأسود من خطايا الناس فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن . قال يا بنى من جاءك بهذا قال جاء به من هو انشط منك فبنا وهما يدعوان الله (ربنا تعجل لنا إنك أنت السميع العليم) وذكر ابن أبى حاتم أنه بناء من خمسة اجبل وأن ذا القرنين وكان ملك الأرض إذ ذاك سر بهما وهما يبنياه قال من أمركما بهذا قال إبراهيم الله أمرنا به قال وما يدري بما تقول فشهدت خمسة أكبش انه أمره بذلك فأمن وصدق .

وذكر الأزرقي أنه طاف مع الخليل بالبيت وقد كانت على بناء الخليل مدة طويلة ثم بعد ذلك بتها قريش قصرت بها عن قواعد إبراهيم من جهة الشمال مما على الشام على ما يحى عليه اليوم . وفي الصحيحين من حديث مالك عن ابن شهاب عن سالم أن عبد الله بن محمد بن أبى بكر اخبر بن عمر عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال ألم ترى الى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم قلت يا رسول

الله لا تردّها على قواعد ابراهيم فقال لولا حدثن قومك وفي رواية لولا أن قومك حديث عهد بمجاهلة
أو قال بكفر لا مقت كثر الكعبة في سبيل الله ولجئت إليها بالأرض ولأدخلت فيها الحجر وقد بناها
ابن الزبير رحمه الله في أيامه على ما أشار إليه رسول الله ﷺ حسبما أخبرته عائشة أم المؤمنين
عنه فلما قتل الحجاج في سنة ثلاث وسبعين كتب إلى عبد الملك بن مروان الخليفة إذ ذاك فاعتقدوا أن
ابن الزبير إنما صنع ذلك من تقاء فيه فمرّ بها إلى ما كانت عليه فنقضوا الحائط الشامي
وأخرجوا منها الحجر ثم سدوا الحائط وردموا الاحجار في جوف الكعبة فارتفع بها
الشرق وسدوا التربي بالكعبة كما هو مشاهد إلى اليوم ثم لما بلغهم أن ابن الزبير
اتماثل هذا لما أخبرته عائشة أم المؤمنين فعموا على ما فعلوا وتأسفوا أن
لوكثوا تركوه وما تولى من ذلك ثم لما كان في زمن المهدي بن
المنصور استشار الامام مالك بن أنس في ردّها على الصفة التي
بناها ابن الزبير فقال له إني أخشى أن يتخذها الملوك
لعبة يعني كلما جاء ملك بناها على الصفة التي
يريد فاستمر الامر على ما هي عليه اليوم

ذكر ثناء الله ورسوله الكريم على

عبده وخليئه ابراهيم

قال الله (واذ ابلى ابراهيم ربه بكلمات فأمّهن قال إني جاعك للناس إماما. قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدى الظالمين) . لا وفي ما أمره ربه به من التكليف العظيمة جعله للناس اماما يتتبعونه ويأتمرون
بهديه وسأل الله أن تكون هذه الامامة متصلة ببيته وبأبيه في نفسه وخالته في عقبه فأجيب الى ما سأل
ورام. وسلمت اليه الامامة بزمان واستثنى من قبلها الظالمون واختص بها من ذريته العلماء العادلون كما قال
تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب. وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب. وآتيناه أجره في الدنيا وإياه في الآخرة
للمن الصالحين) . وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته
داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين. وذكرا يحيى وعيسى والياس
كل من الصالحين. واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم
واجبتناهم وهديناهم الى صراط مستقيم) . فلتضمير في قوله ومن ذريته عائد على ابراهيم على المشهور .
ولوط وإن كان ابن أخيه الا أنه دخل في القرية تنظييا. وهذا هو الحامل لقتال الآخر ان الضمير على توح
كما قلنا في قصته والله اعلم . وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)

الاية . فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الانبياء بعد ابراهيم الخليل فن ذريته وشيعته . وهذه خلة سنية لا تضاهي ومربة عليه لا تباهى . وذلك أنه ولد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان اسمعيل من هاجر ثم اسحق من سارة وولد لهذا يعقوب وهو اسرائيل الذى ينسب اليه سائر أسباطهم فكانت فيهم النبوة وكثروا جداً بحيث لا يعلم عددهم الا الذى يشهم واختصمهم بالرسالة والنبوة حتى خمدوا اميسى ابن مريم من بنى اسرائيل وأما اسمعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها كما سنبينه فيما بعد ان شاء الله تعالى ولم يوجد من سلالة من الانبياء سوى خاتمهم على الاحلاق وسيدهم وغر بنى آدم فى الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى المسمى المكى ثم المدينى صلوات الله وسلامه عليه فلم يوجد من هذا الفرع الشريف والقصن المنيف سوى هذه الجوهرة الباهرة والدرة الزاهرة وواسط القمعة الفاخرة وهو السيد الذى يختاره أهل الجمع وينطه الأولون والآخرون يوم القيامة . وقد ثبت عنه فى صحيح مسلم كما سنورده أنه قال (سأقوم مقاماً يرغب الى الخلق كلهم حتى ابراهيم) فهد ابراهيم أباه مدحة عظيمة فى هذا السياق . ودل كلامه على أنه أفضل انطلاقاً بمده عند الخلق فى هذه الحياة الدنيا ويوم يكشف عن ساق .

وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن التمهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يمد الحسن والحسين ويقول أن أباً كل كان يمد بهما اسمعيل واسحق . أعوذ بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة . ورواه أهل السنن من حديث منصور به وقال تعالى (واذا قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قل أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلنى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادهنهن يأتينك سميعاً . وأعلم أن الله عزيز حكيم) ذكر المفسرون لهذا السؤال اسباباً بسطناها فى التفسير . وقرئها بأنهم يقررون . والحاصل أن الله عز وجل أجابه الى ما سأل فأمره أن يمد الى أربعة من الطيور واختلفوا فى تمثيلها على اقوال والمقصود حاصل على كل تقدير فأمره أن يمزق لحومهن وريشهن ويخلط ذلك بمضغه فى بعض ثم يقسمه قسماً ويجعل على كل جبل منهن جزءاً أفضل ما أمر به ثم أمر أن يدعوهم بلفظ دهن فلما دعاهن جعل كل عضو يطير الى صاحبه وكل ريشة تأتى الى أختها حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه وهو ينظر الى قدرة الذى يقول للشئ كن فيكون فأتين اليه سميعاً ليكون آيين له وأوضح لمشاهدته من أن يأتين طيرانا . ويقال إنه أمر أن يأخذ رؤسهن فى يده فجعل كل طائر يأتى فيلقى رأسه فيتركب على جسده كما كان فلا إله الا الله وقد كان ابراهيم عليه السلام يعلم قدرة الله تعالى على احياء الموتى علماً يقينياً لا يحتمل التيقن ولكن أحب أن يشاهد ذلك عياناً ويتقن من علم اليقين الى عين اليقين فلجابه الله الى سؤاله وأعطاه غاية مأموله . وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تحلجوا فى ابراهيم وما أنزل التوراة

والانجيل الا من بعده أفلا تقولون . ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم . فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . (إن أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) ينكر تعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في دعوى كل من الفريقين كون الخليل على ملتهم وطريقتهم فبرأه الله منهم وبين كثرة جهلهم وقلة عقلمهم في قوله (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) أى فكيف يكون على دينكم وأنتم انما شرع لكم ما شرع بعده بمدد متطاولة ولهذا قل (أفلا تقولون) الى أن قال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) . فين أنه كان على دين الله الحنيف وهو القصد الى الاخلاص والانحراف وعمدا عن الباطل الى الحق الذى هو مخالف لليهودية والنصرانية والمشركية كما قال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإياه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قل له ربه أسلم قال أسلت رب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قل لبنيه ماتبعون من بعدى . قولوا نبيك إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون . وقولوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا فرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون قل آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد أحسنوا وان تولوا فاتماهم فى شقاق فيكفكم الله وهو السميع العليم . صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة ونحن له عابدون . قل أتحاجونا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . أم يقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كنتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون) . فتره الله عز وجل خطبه عليه السلام عن أن يكون يهوديا أو نصرانيا وبين أنه انما كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين ولهذا قال تعالى (إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا على ملته من اتباعه فى زمانه ومن تمسك بدينه من بعدهم (وهذا النبي) يعنى محمدا ﷺ قل الله شرع له الدين الحنيف الذى شرعه للخليل وكلمه الله تعالى له وأعطاه مالم يسط نبيا ولا رسولا قبله كما قال تعالى (قل إني هداني ربي الى صراط مستقيما قيا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقال تعالى إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكر لا تشبه لجنبه وهذه الى صراط مستقيم . وآيتناه فى الدنيا حسنة وإياه

في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كن من المشركين)
 وقال البخاري حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس
 أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فحيت ورأى إبراهيم واسماعيل بإيديهما
 الأزيلا فقال قاتلهما الله والله إن يستقسما بالأزلام قط (١) لم يخرجهم مسلم * وفي بعض النسخ البخاري
 قاتلهما الله لقد علموا أن شيخنا لم يستقسم بها قط . قوله (أمة) أى قدوة إماما مهتديا داعيا إلى الخير
 يقتدى به فيه (قاتلا لله) أى خاشعا له في جميع حالاته وحركاته وسكناته (حنيفا) أى مخلصا على
 بصيرة (ولم يك من المشركين . شاكرًا لأنفسه) أى قائما بشكر ربه بجميع جوارحه من قلبه ولسانه
 وأعماله (اجتبا) أى اختاره الله لنفسه واصطفاه لرسالته واتخذ خيلا وجمع له بين خيرى الدنيا
 والآخرة وقال تعالى (ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ
 الله إبراهيم خيلا) يرغب تعالى في اتباع إبراهيم عليه السلام لأنه كان على الدين القويم والصراط
 المستقيم وقد قام بجميع ما أمره به ربه ومدحه تعالى بذلك فقال (وإبراهيم الذى وفى) ولهذا اتخذ الله
 خيلا والله هى غاية المحبة كما قال بعضهم

قد تخلصت منك الروح منى وبذا سمى الخليل خيلا

وهكذا نال هذه المنزلة خاتم الانبياء سيد الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه كما ثبت في
 الصحيحين وغيرهما من حديث جندب البجلي وعبد الله بن عمرو وابن مسعود عن رسول الله ﷺ
 أنه قال أيها الناس إن الله اتخذني خيلا كما اتخذ إبراهيم خيلا . وقال أيضا في آخر خطبة خطبها أيها الناس
 لو كنت متخذًا من أهل الأرض خيلا لاتخذت أبا بكر خيلا ولكن صاحبكم خليل الله . أخرجه من
 حديث أبي سعيد وثبت أيضا من حديث عبد الله بن الزبير وابن عباس وابن مسعود . وروى البخاري
 في صحيحه حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن
 ميمون قال إن ماذا لما قدم العين صلى بهم الصبح قرأ واتخذ الله إبراهيم خيلا . قال رجل من القوم
 لقد قرت عين أم إبراهيم * وقال ابن مردويه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم حدثنا اسمعيل بن أحد
 ابن اسيد حدثنا إبراهيم بن يقوب الجوزجاني بمكة حدثنا عبد الله الحنفى حدثنا زمة بن صالح عن سلمة
 ابن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينظرونه فخرج حتى
 إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم وإذا بعضهم يقول عجب أن الله اتخذ من خلقه خيلا
 فإبراهيم خليله * وقال آخر لماذا يحب من أن الله كلم موسى تكليمًا . وقال آخر فيسوى روح الله وكلمه .
 وقال آخر آدم اصطفاه الله . فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو

(١) قوله ان استقسا إن ثاقبة . أى والله ما استقسا بالأزلام قط محمود الامام

كذلك وموسى كايه وهو كذلك وعيسى روحه وكله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك . ألا وإني حبيب الله ولا نخر ألا وإني أول شافع وأول مشفع ولا نخر وأنا أول من يحرك حقة بلب الجنة فيفتح الله فيدخلنيها ومعي قراء المؤمنين وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا نخر * هذا حديث غريب من هذا الوجه وله شواهد من وجوه أخر والله أعلم * وروى الحاكم في مستدركه من حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أنتكرون أن تكون الخلة لأبراهيم والكلام لموسى والرؤية لحصد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين * وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد السلمي حدثنا الوليد عن اسحاق بن بشر قال لما اتخذ الله إبراهيم خيلا أتى في قلبه الوجع حتى أن كان خفقان قلبه ليسمع من بعد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وقال عبيد بن عير كان إبراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوماً يمشي إنساناً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه فوجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً قال يا عبد الله ما أدخلك داري بنير إذني قال دخلتها بأذن ربها * قل ومن أنت قال أنا ملك الموت أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذني خيلاً قال من هو فوافقه إن أخبرني به ثم كان باقي البلاد لا يتنه ثم لا يرجع له جأراً حتى يفرق بيننا الموت قل ذلك العبد أنت قال أنا قال نعم قال فم اتخذني ربي خيلاً قال بأنك تقطع الناس ولا تسألم . رواه ابن أبي حاتم * وقد ذكره الله تعالى في القرآن كثيراً في غير ما موضع بالثناء عليه والملاح له قليل إنه مذكور في خمسة وثلاثين موضعاً منها خمسة عشر في البقرة وحدها وهو أحد أولى العزم الحجة المنصوص على اسمهم تخصيصاً من بين سائر الأنبياء في آتني الاحزاب والشورى وما قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) الآية . ثم هو أشرف أولى العزم بعد محمد ﷺ وهو الذي وجهه عليه السلام في السماء السابعة مستنداً ظهره بالبيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يمردون إليه آخر ما عليهم . وما وقع في حديث شريك ابن أبي نمر عن أنس في حديث الاسراء من أن إبراهيم في السادسة وموسى في السابعة فما اعتقد على شريك في هذا الحديث والصحيح الأول *

وقال احمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الكرم ابن الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم خليل الرحمن . فرد به احمد .

ثم مما يدل على أن إبراهيم أفضل من موسى الحديث الذي قال فيه (وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم) رواه مسلم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه . وهذا هو المقام المعمود

الذي أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه بقوله (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا خسر) ثم ذكر إستيفاع الناس بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكلهم يحمد عنها حتى يأتوا محمداً ﷺ فيقول (أنا لها أنا لها) الحديث . وهكذا رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طريق عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به *

قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله حدثني سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله من أكرم الناس قال أكرمهم . قالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف بنى الله ابن نبي الله ابن نبي الله بن خليل الله . قالوا ليس عن هذا نسألك قال ضمن مادن العرب تسألوني خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا ههبوا * ثم قال البخاري قال أبو أسامة ومتمر عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قلت وقد أسنده في موضع آخر من حديثهما وحديث عبدة ابن سليمان والنسائي من حديث محمد بن بشر اربتهم عن عبيد الله بن عمر عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وقال أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم خليل الله . فترد به أحمد * وقال البخاري حدثنا عبدة حدثنا عبد الصمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم . فترد به من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر به * فلما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني مقبرة بن النعمان عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ « يحشر الناس حفاة غرلا فأول من يكسى ابراهيم عليه السلام » ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نفيه) فانخرجه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن مقبرة بن النعمان النخعي الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وهذه الفضيلة المصينة لا تقتضي الأفضلية بالنسبة الى ما قبلها مما ثبت لصاحب المقام المصود الذي ينطبق به الأولون والآخرين * وأما الحديث الاخر الذي قال الامام أحمد حدثنا وكيع وأبو نعيم حدثنا سفيان هو الثوري عن مختار بن قفل عن انس بن مالك قال قال رجل للنبي ﷺ ياخير البرية فقال ذلك ابراهيم قد رواه مسلم من حديث الثوري وعبد الله بن إدريس وعلى بن مسهر ومحمد بن فضيل اربتهم عن المختار بن قفل * وقال الترمذي حسن صحيح * وهذا من باب المضم والتواضع مع والده انظيل عليه السلام كما قال لا تفضلوني على الانبياء وقال لا تفضلوني على موسى فان الناس يصقون يوم القيامة فاكون أول من يفيق فاجد موسى بلطاً قائمة العرش فلا أدري افاق قبلي أم جوزي بصقة الطور * وهذا كله لا ينافي في ما ثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه من أنه سيد ولد آدم يوم القيامة وكذلك

حديث أبي بن كعب في صحيح مسلم وأخرت الثالثة ليوم يرغب الى انطلق كلهم حتى ابراهيم . ولما كان ابراهيم عليه السلام أفضل الرسل وأولى الزم بمسجد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمر المصلين أن يقول في تشهد ماثبت في الصحيحين من حديث كعب بن جحرة وغيره قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد » وقال تعالى (وابراهيم الذي وفى) قالوا وفى جميع ما أمر به وقام بجميع خصال الايمان وشعبه وكان لا يشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل ولا ينفيه القيام بأعباء المصالح الكبار عن الصغار . قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال ابتلاه الله بالمطهرة خمس في الرأس وخمس في الجسد . في الرأس قص الشارب والمضضة والسواك والاستنشاق وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة واخذ الختان وتنف الابط وغسل أثر النائط والبول بالماء . رواه ابن أبي حاتم * وقال ودروى عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والنخعي وأبي صالح وأبي الجبل نحو ذلك قلت وفى الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال الفطرة خمس اخلتان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار وتنف الابط * وفى صحيح مسلم وأهل السنن من حديث وكيع عن ذكر بن أبي زائدة عن مصعب بن شيبة العبدري المكي الحنبل عن طلق بن حبيب البصري عن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم وتنف الابط وحلق العانة وإيقاص الماء . يعنى الاستنجاء وسيأتى في ذكر مقدار عمره الكلام على اخلتان * والمتصود أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يشغله القيام بالاخلاص لله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة بدنه وإعطاء كل عضو ما يستحقه من الاصلاح والتحسين وإزالة ما يشين من زيادة شعر أو ظفر أو وجود قلع أو وسخ فهذا من جملة قوله تعالى في حق من المدح العظيم وابراهيم الذى وفى *

ذكر قصرة في الجنة

قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا احمد بن ستان القمان الواسطي ومحمد بن موسى القمان قالا حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن في الجنة قصرا احببه قال من لؤلؤة ليس فيه فسم ولا وى أعده الله نخله ابراهيم عليه السلام تزلأ . قال البزار وحدثناه احمد بن حنبل المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن

عكرمة بن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال وهذا الحديث لا نعلم رواه عن حماد بن سلمة
فاسنده الأثر بن هارون والنضر بن شميل وغيرهما يرويه موقوفاً لولا هذه اللمعة لكأن على
شرط الصحيح ولم يخرجوه *

ذكر صفة إبراهيم عليه السلام

قال الامام احمد حدثنا يونس وحجين قالا حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله
ﷺ أنه قال عرض عليّ الانبياء فلذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى
ابن مريم فلذا أقرب من رأيت به شهاباً عروة بن مسعود ورأيت إبراهيم فلذا أقرب من رأيت به شهاباً
دحية . فترد به الامام احمد من هذا الوجه وبهذا اللفظ * وقال أحمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا
اسرائيل عن عثمان بن عيسى عن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ رأيت عيسى
ابن مريم وموسى وإبراهيم فلما عيسى فاجر جد عريض الصدر - وأما موسى فآدم جسيم . قالوا له إبراهيم
قال انظروا الى صاحبكم يعني فسه * وقال البخاري حدثنا بيان بن عمرو حدثنا النضر أنبأنا ابن عون
عن مجاهد أنه سمع ابن عباس وذكروا له السجالات بين عيسى وكافراً (ك ف ر) قال لم اسمه ولكنه
قال ﷺ أما إبراهيم فانظروا الى صاحبكم وأما موسى فجد آدم على جبل احمر مخطوم بمخلة كافي أنظر
اليه انحدري الوادي . ورواه البخاري ايضاً ومسلم عن محمد بن المثني عن ابن أبي عدي
عن عبد الله بن عون به * وهكذا رواه البخاري ايضاً في كتاب الحج وفي الالباس
ومسلم جميعاً عن محمد بن المثني عن ابن أبي عدي عن عبد الله بن عون به

ذكر وفاة إبراهيم الخليل وما قيل في عمره

ذكر ابن جرير في تلويذه أن مولده كان في زمن الفروخ بن كتمان وهو فيا قيل الضحاك الملك
المشهور الذي يقال له ملك الف سنة وكان في غاية الفشم والظلم * وذكر بعضهم أنه من بني راسب
الذين بث إليهم نوح عليه السلام وأنه كان إذ ذاك ملك الدنيا . وذكروا أنه طلع نجم اخفى ضوء
الشمس والقمر فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفزع الفروخ . فجمع الكهنة والمنجدين وأسلمهم عن ذلك
فقالوا بولد مولود في ريعتك يكون زوال ملكك على يديه . فلما عند ذلك منع الرجال عن النساء وأن
يقتل المولودون من ذلك الحين فكان مولد إبراهيم الخليل في ذلك الحين فغناه الله عز وجل وصاته
من كيد الفجار وشب شباباً باهراً وابنته الله ناثاً حسناً حتى كان من أمره ما تقدم وكان مولده بالسوس
وقيل بابل وقيل بالسواد من ناحية كوثي (١) وتقدم عن ابن عباس أنه ولد ببرزة شرق دمشق فلما
(١) قال في معجم البلدان (كوثي) بالضم ثم السكون والثاء مثله والفاء مقصورة تكتب بآلاء لأنها

أهلك الله نمرود على يديه وهاجر الى حران ثم الى أرض الشام وأقام ببلاد ايليا كما ذكرنا وولد له اسماعيل واسحق ومانت سارة قبله بقرة حبرون التي في أرض كنعان ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب فغرن عليها ابراهيم عليه السلام ورتلها رجها الله واشترى من رجل من بني حيث يقال له عفرون بن صخر مائة باريق مائة متقال ودفن فيها سارة هناك قالوا ثم خطب ابراهيم على ابنة اسحق فزوجها رهبانت يتوكل بن تلحور بن قرح وبث مولاه فحملها من بلادها ومنها مرضتها وجوارها على الابل قالوا ثم تزوج ابراهيم عليه السلام قنطورا فولدت له زمران ويقشان ومادان ومدين وشياق وشوح . وذكروا مولد كل واحد من هؤلاء أولاد قنطورا . وقد روى ابن عساکر عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب في صفة يحيى ملك الموت الى ابراهيم عليه السلام أخبارا كثيرة الله أعلم بصحتها وقد قيل إنه مات فجأة وكذا داود وسليمان والذي ذكره أهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك . قالوا ثم مرض ابراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين * وقيل وتسعين سنة ودفن في الخارة المذكورة التي كانت يحبرون الحثي عند إسرائه سارة التي في مزرعة عفرون الحثي وتولى دفنه اسميل واسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين * وقد ورد ما يدل أنه عاش مائتي سنة كما قاله ابن السكبي وقال أبو حاتم بن حبان في صحيحه أنبأنا المفضل بن محمد الجندی بمكة حدثنا علي بن زياد النخعي حدثنا أبو قرة عن ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال اختن ابراهيم بالقندوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وقد رواه الحافظ بن عساکر من طريق عكرمة بن ابراهيم وجعفر بن عون العمري عن يحيى ابن سعيد عن سعيد عن أبي هريرة موقوفا *

ثم قال ابن حبان ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن رفع هذا الخبر وهم أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيدي نيس (١) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال اختن ابراهيم حين بلغ مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة واختن بقندوم . وقد رواه الحافظ ابن عساکر من طريق يحيى بن سعيد عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وقد أتت رابعة الاسم الى قوله (كوفي) في ثلاث مواضع بسواد العراق وفي أرض بابل وبمكة . الى قوله وكوفي العراق كوثيان أحدها كوفي الطريق . والآخر كوفي ربي وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام . وبها مولده وها من أرض بابل وبها طرح ابراهيم في النار وها تلحيتان الخ الخ راجع المعجم .

(١) قوله محمد بن عبد الله بن الجنيدي نيس كذا في نسخة وفي أخرى ابن المدائني (بنير كاتري والمروفي من أسماء الرجال في ترجمة قتيبة بن سعيد ان من روى عنه محمد بن عبد الله بن نير وليس من روى عنه من سمي محمد بن عبد الله غيره (محمود الامام)

عليه ثمانون سنة . ثم روى ابن حبان عن عبد الرزاق أنه قال القدوم اسم القرية . قلت الذي في الصحيح أنه اختن وقد أتت عليه ثمانون سنة . وفي رواية وهو ابن ثمانين سنة وليس فيها تعرض لما عاش بعد ذلك والله أعلم . وقال محمد بن اسماعيل الحنفى الواسطى زاذنى تفسير وكيع عنه فيما ذكره من الزادات حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال كان إبراهيم أول من تسرول وأول من فرق وأول من استحد وأول من اختن بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وأول من قرى الضيف وأول من شاب هكذا رواه موقوفا وهو أشبه بالرفوع خلافا لابن حبان والله أعلم .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول الناس اختن وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب قال يارب ما هذا قال الله « وقار » فقال يارب زدنى وقارا وزاد غيرها وأول من قص شاربه وأول من استحد وأول من لبس السراويل . وقبره وقبر ولده اسحق وقبر ولد ولده يعقوب في المربة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم وهذا تلقى بالتواتر أمة بعد أمة وجيل بعد جيل من زمن بنى إسرائيل وإلى زماننا هذا أن قبره بالمربة تحققا . فلما قصيته منها فليس فيه خبر صحيح عن مصوم فينبغى أن تراعى تلك الحلة وأن تحترم احترام مثلها وأن تبجل وأن تجل أن يداس في أرجائها خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأنبياء عليهم السلام تمحها . وروى ابن حساكر بسنده إلى وهب بن منبه قال وجد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة خفة .

ألمى جهولا أنه يموت من جا أجله
ومن دنا من حنقه لم تن عنه حيلة
وكيف يبقى آخر من مل منه أوله
والمرء لا يصحبه في القبر إلا عله

ذكر أولاد إبراهيم الخليل

أول من ولد له اسماعيل من هاجر القبيلة المصرية ثم ولد له اسحق من سارة بنت عم الخليل ثم تزوج بعدها قنطورا بنت يعقبن الكنعانية فولدت له ستة مدین وزمران وسرج وقشان ونثق ولم يسم السادس ثم تزوج بعدها حجون بنت أمين فولدت له خمسة كيسان وسودج واميم ولوطان ونافس . هكذا ذكره أبو القاسم السهيلي في كتابه التبريد والاعلام .

ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمور العظيمة قصة قوم لوط عليه السلام وما حل بهم من البقرة

النسيمة وذلك أن لوطاً بن هاران بن تارح وهو آزر كما تخدم ولوط ابن أخى إبراهيم الخليل فلإبراهيم
 وهاران ولخود أخوة كما قدمنا ويقال إن هاران هذا هو الذى بنى حران وهذا ضيف لخالفته ما أبدي
 أهل الكتاب والله أعلم . وكان لوط قد ترح عن محلة عمه الخليل عليه السلام بأمره له وأذنه فزل
 بمدينة سدوم من أرض غور زغر وكان أم تلك المحلة ولما أرض ومستلات وقرى مضافة إليها ولها
 أهل من الخمر الناس واكفرهم واسوأهم طوية وأرداهم سريرة وسيرة يقطعون السبل ويأتون في نكبتهم
 المنكر ولا يفتأون عن منكر ضلوه لبس ما كانوا يضلون ابتدعوا فلعنة لم يسبقهم إليها أحد من بنى
 آدم وهى إتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق الله من النسوان لبياده الصالحين فدعاهم لوط إلى عبادة
 الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاملهم هذه المحرمات والفواحش المنكرات والأفاعيل المستباحات
 فقادوا على ضلالهم وطيناتهم واستمروا على فجورهم وكفرانهم فأحل الله بهم من البأس الذى لا يرد مل
 يكن في خلدهم وحسابهم وجعلهم مثلة في المآلين وعبرة يتعظ بها الآباء من العالمين ولهذا ذكر الله تعالى
 قصتهم في غير ما موضع من كتابه المبين قال تعالى فى سورة الأعراف (ولوطا إذ قال لقومه أتأتون
 الفاحشة ما سبقكم بها أحد من العالمين . أنكم تأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون .
 وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجمهم من قريحتكم إنهم أناس يطهرون . فأتبعناه وأهلكهم إلا أمرأته
 كانت من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فأنقظ كيف كان عقوبة المجرمين) وقال تعالى فى سورة هود
 (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فآبى أن جاء بسجل حنيد . فلما رأى أيديهم
 لا تصل إليهم نكهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط . وأمرأته قائمة فضكت
 بفشر لها بسحق ومن وراء إسحاق يعقوب . قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا
 لشيء عجيب . قالوا أقمعين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . فلما ذهب
 عن إبراهيم الأروع وجاءته البشرى فجدلنا فى قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب . يا إبراهيم أعرض
 عن هذا إنه قد جاء أمر ربك . وإهم آتاهم عذاب غير مردود . ولما جاءت رسلنا لوطا سمى بهم وضاق
 بهم ذمما . وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون إليه . ومن قبل كانوا يعملون السيئات . قال
 يا قوم هؤلاء بناتى بناتى لكم فأتوا الله ولا تخرؤنى فى ضيقى اليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد
 علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما تريد . قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . قالوا
 يا لوط إنا أرسل ربك لن يصلوا إليك فمضى بهلكم بقطع من القبل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك إنه
 مصيها ما أصابهم ان موعدم الصبح اليس الصبح قريب . فلما جاء أمرنا جئنا عليها ساقطها وأمطرنا
 عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظالمين بعيد) وقال تعالى فى سورة الحجر
 (ونبئهم عن ضيف إبراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجئون قال لا توجل إنا نبشرك

بنلام عليم . قال أبشرتموني على أن مسى الكبر فم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القاطنين
قال ومن يقطع من رحمة رب الا الضالون . قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين .
الا آكل لوط إنا لمنجمهم أجمعين . إلا امرأته قدردنا أنها لمن النابرين . فلما جاء آكل لوط المرسلون قال
إنكم قوم منكرون . قالوا بل جئناك بما كنتم تأتونه وآتيناك بالحق وإنا لصادقون . فلبس باهلك
بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا إليه ذلك الأمر
أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وجاء أهل المدينة يستبشرون . قال إن هؤلاء ضيقي فلا تفضحون .
واخو الله ولا تخزون . قالوا أولم نهك عن العالمين . قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين . لمبرك إنهم
لن يسكرتهم يصبون . فانظنهم الصيحة مشرقي . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل .
إن في ذلك لآيات للتوحيين وانها لبسيل مقيم . إن في ذلك لآية للذين آمنوا (وقال تعالى في سورة
الشعراء) كذبت قوم لوط المرسلين * إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين . فأنهوا الله
وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين * أتأتون الذكر إن من العالمين .
وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون * قالوا لئن لم تنته بلوط لشكون من
المخرجين * قال إني لعلكم من القالين * رب نجني وأهلي مما يصلون * فنجيناه وأهله أجمعين *
إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين * وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين * إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم (وقال تعالى في سورة النمل (ولوطاً إذ قال
قومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون . أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون *
فما كان جواب قومهم إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم لهم أناس يطهرون فأنجيناه وأهله
إلا امرأته قدردناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) . وقال تعالى في سورة
المنكبات (ولوطاً إذ قال قومهم إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * أنتم لتأتون
الرجال وتقطعون السبل وتأتون في نكاح المنكر * فما كان جواب قومهم إلا أن قالوا اتنا بذاب
الله إن كنت من الصادقين . قال رب أنصرني على القوم المفسدين * ولما جاءت رسلنا لإبراهيم بالبشرى
قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية * إن أهلها كانوا ظالمين * قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها
لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين * ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سئ بهم وضاق بهم ذرعاً
وقالوا لا تحف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون على أهل
هذه القرية رجلاً من السماء بما كانوا يفتقون * ولقد تركنا منها آية ينة لقوم يعقلون (وقال تعالى في
سورة الصافات (وإن لوطاً لمن المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين . إلا عجوزا في الغابرين * ثم دمرنا
الآخرين * وإنكم لترون عليهم مصبحين * وبليل ألقا تقولون (وقال تعالى في القدرية بصد قصة

ضيف إبراهيم وبشارتهم إياه بسلام عليم (قال فما خطبكم أيها المرسلون • قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين •
 لئرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين • فآخزنا من كل فيها من المؤمنين • فذا وجدنا
 فيها غيريت من المسلمين • وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وقال في سورة الانشقاق
 (كذبت قوم لوط بلندر إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آكل لوط نحيما • بسحر • فسمه من عندنا كذلك نجزي
 من شكر • ولقد أخذهم بطشتنا فآثروا بلندر • ولقد راودوه عن ضيفه فطسنا أعينهم فذوقوا عذاب
 ونذر • ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابا ونذر • ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر •
 وقد تكلمنا على هذه القصص في أما كتبها من هذه السورة في التفسير • وقد ذكر الله لوطا وقومه
 في مواضع أخرى من القرآن • هدم ذكرها مع قوم نوح وعاد وثمود • والمقصود الآن إيراد ما كان من
 أمرهم وما أحل الله بهم مجموعا من الآيات والآثار • والله المستعان • وذلك أن لوطا عليه السلام لما
 دعاه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن ضالتي ما ذكر الله عنهم من الفواحش فلم يستجيبوا
 له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم ولم يتركوا ما عنه نهوا بل استمروا على حالهم ولم يردعوا
 عن غيهم وضلالهم وهما بالخارج رسولهم من بين ظهرانيهم وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم إذ كانوا
 لا يعقلون إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريحتكم أنهم أناس يطهرون فجلبوا غاية المدح فما يقتضي
 الإخراج وما حلهم على مقاتلتهم هذه إلا السناد واللجاج فطهره الله وأهله إلا امرأته وأخرجه من
 أحسن إخراج وتركهم في محلهم خالدين لكن بعد ما صيرها عليهم بحرة منقذة ذات أمواج لكنها عليهم
 في الحقيقة نزل تاج وحرقته وحر يتهوج وملؤها ملح أجاج وما كان هذا جوابهم إلا لما نهاهم عن العاطاة
 العظي والفاحشة الكبرى التي لم يسبقهم إليها أحد من أهل الدنيا • ولهذا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن
 عليها وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ويأتون في نديهم وهو مجتمعهم ومحل حديثهم
 وسمرهم المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه حتى قيل أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم
 ولا يستحيون من مجالسهم وربما وقع منهم الفتنة العظيمة في المحافل ولا يستنكفون ولا يعروون لوط
 واعظ ولا نصيحة من عاقل وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلا ولم يقلعوا عما كانوا عليه في
 الحاضر ولا يندموا على ما سلف من الماضي ولا راموا في المستقبل تحويلا فخذهم الله أخذًا ويلا وقالوا
 له فيما قالوا (اتنا بسذاب الله إن كنت من الصادقين) فطلبوا منه وقوع ما حذرهم عنه من العذاب
 الأليم وحلول البأس العظيم فتد ذلك دعا عليهم فيهم الكريم فقال من رب العالمين وإله المرسلين أن
 ينصره على القوم المفسدين فإنا الله لتيرة وغضب لنفضجه واستجاب لدعوه واجابه إلى طلبه وبث
 رسوله الكرام وملائكته العظام فقرأوا على النليل إبراهيم وبشروه بالسلام الطيب وأخبروه بما جازوا له من
 الأمر الجسيم والخطب العسير (قال فما خطبكم أيها المرسلون • قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين • لئرسل

عليهم حجارة من طين . مسومة عند ذلك لغيرين) وقال (ولما جاءت سلتنا ابراهيم بالبشرى قالوا يا
 مهلكوا اهل هذه القرية إن اهلها كانوا ظالمين . قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيته وأهل
 الا امرأته كانت من النابرين) وقال الله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في
 قوم لوط) . وذلك إنه كان يرجو أن يبتئوا ويملوا ويقلوا ويرجوا . ولهذا قال تعالى (إن
 ابراهيم لحليم أواه منيب . يا ابراهيم اعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيتهم عذاب غير
 محدود) أى اعرض عن هذا وتكلم في غيره فانه قد حتم أمرهم ووجب عذابهم وتدميرهم وهلاكهم
 إنه قد جاء أمر ربك أى قد أمر به من لا يرد أمره ولا يرد بأسه ولا مقب لحكمه وإنهم آتيتهم
 عذاب غير محدود .

وذكر سعيد بن جبير والسدى وقادة ومحمد بن اسحق أن ابراهيم عليه السلام جعل يقول *
 (أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا قال فاثبات مؤمن قالوا لا قال فابرون مؤمنا قالوا لا قال فابرة
 عشر مؤمنا قالوا لا) قال ابن اسحق الى أن قال (أفرايتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا) قالوا إن فيها
 لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها) الآية وعند أهل الكتاب أنه قال يارب أتهلكهم وفيهم خسون رجلا
 صالحا قال الله لا أهلكهم وفيهم خسون صالحا ثم تنزل الى عشرة قال الله لا أهلكهم وفيهم عشرة
 صالحون) قال الله تعالى (وقال ولما جاءت سلتنا لوطا سئى بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب)
 قال المفسرون لما فصلت الملائكة من عند ابراهيم وم جبريل وميكائيل واسرافيل أقبلوا حتى أتوا
 أرض سدوم في صور شبان حسان اختبأوا من الله تعالى قوم لوط وإقامة للحجة عليهم فاستضافوا لوطا
 عليه السلام وذلك عند غروب الشمس فخشى إن لم يضيفهم يضيفهم غيره وحجم بشرأ من الناس
 وسئى بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب *

قال ابن عباس ومجاهد وقادة ومحمد بن اسحق شديد بلاؤه وذلك لما يعلم من مداغته البلية عنهم
 كما كان يصنع بهم في غيرهم وكأنوا قد اشتروا عليه أن لا يضيف احدا ولكن رأى من لا يمكن الحيد
 عنه * وذكر قادة أنهم وردوا عليه وهو في ارض له يمل فيها فضيفوا فاستحى منهم وانطلق امامهم
 وجعل يرض لهم في الكلام لمهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلوا في غيرها قال لهم فيا قال يا هؤلاء
 ما أعلم على وجه الارض اهل بلد اخبث من هؤلاء ثم مشى قليلا ثم اعاد ذلك عليهم حتى كرهه اربع
 مرات قتل وكأنوا قد امروا ان لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم فيهم بذلك *

وقال السدى خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قوم لوط فأتوها فصف النهار فلما بلغوا نهر
 سدوم قوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى ديثا والصغرى ذمرا قالوا
 لما ياجارية هل من منزل فقالت لهم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت عليهم من قومها فأتت ابها

قَالَتْ يَا أَبَاهُ ارْأَيْكَ خَيَانٌ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ مَا رَأَيْتُ وَجْهَ قَوْمٍ قَطُّ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهُمْ لَا يَأْخُذُكُمْ قَوْمُكُمْ
 فِيضُحُومٍ وَقَدْ كَانَ قَوْمُهُ نَهْوَهُ أَنْ يَضِيفَ رَجُلًا غَلَا بِهِمْ قَلَمٌ يَعْلَمُ أَحَدٌ إِلَّا أَهْلَ الْبَيْتِ فَخَرَجَتْ أَسْرَانَهُ
 فَخَبِرَتْ قَوْمَهَا قَالَتْ إِنَّ فِي بَيْتِ لُوطٍ رَجُلًا مَا رَأَيْتُ مِثْلَ وَجْهِهِمْ قَطُّ فَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ . وَقَوْلُهُ
 (وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَسْكُونُونَ السِّيَاتِ) . أَيْ هَذَا مَعَ مَا سَأَلَ لَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ الْعَظِيمَةِ الْكَبِيرَةِ الْكَثِيرَةِ
 (قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) يَرْشِدُهُمْ إِلَى غَشْيَانِ نِسَائِهِمْ وَهُنَّ بَنَاتُهُ شَرَعًا لِأَنَّ النَّبِيَّ لِلْأُمَةِ
 بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَكَأَنَّ قَوْلَ قَالِي (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) فِي
 قَوْلِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالسُّلَفِ وَهُوَ أَبُوبَ لُحْمٍ . وَهَذَا كَقَوْلِهِ (أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ
 مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ بِمُجَاهِدٍ وَسَمِيدٍ بَنُ جَبْرِ
 وَالرَّيْبِ بَنُ أَسَى وَتَقَادَةَ وَالسُّدَى وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَهُوَ الصَّوَابُ . وَالْقَوْلُ الْآخَرُ خَطَأٌ مَأْخُذٌ مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَدْ نَصَّفَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَخْطَأُوا فِي قَوْلِهِمْ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانُوا إِبْنَيْنِ وَاتَّهَمُوا عَنْدَهُ وَقَدْ
 خَبَطَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ تَخْيِيلًا عَظِيمًا وَقَوْلُهُ (فَاتَّخَذُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونَ فِي ضَيْقٍ أَلَيْسَ مِنْكُمْ
 رَجُلٌ رَشِيدٌ) نَهَى لَهُمْ عَنْ تَطَالُفِ مَا لَا يَلِيقُ مِنَ الْفَاحِشَةِ وَشَهَادَةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ مَسْكَةٌ
 وَلَا فَيَّةٌ خَيْرٌ بِلِ الْجَمِيعِ سَفَهَاءُ . فَخَرَّةٌ أَقْوَامُهُ . كُفْرَةٌ أَغْيَاءُ . وَكَانَ هَذَا مِنْ جِلَّةِ مَا أَرَادَ الْمَلَائِكَةُ أَنْ يَسْمَعُوا
 مِنْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْهُ . قَالَ قَوْمُهُ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ الْحَمِيدُ . مُجِيبِينَ لِنَيْبِهِمْ فِيهِمَا أَمْرُهُمْ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ
 السَّيِّدِ (قَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَيْتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا رَأَيْتَ) يَقُولُونَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ بِالْوَطِ
 إِيَّاهُ لَا أَرُبَّ لَنَا فِي نِسَائِنَا وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مِرَادَنَا وَغَرَضَنَا . وَاجْهُوا بِهَذَا الْكَلَامِ الْقَبِيحَ رَسُولَهُمُ الْكَرِيمَ
 وَلَمْ يَخَافُوا سَطْوَةَ الْعَظِيمِ خَذَى الْمَذَابِ الْأَلِيمِ . وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ
 شَدِيدٍ) وَدَأَّنَ لَوْ كَانَ لَهُ بِهِمْ قُوَّةٌ أَوْ لَهُ مَنَّةٌ وَعَشِيرَةٌ يَنْصُرُونَهُ عَلَيْهِمْ لِيَحِلَّ بِهِمْ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْمَذَابِ
 عَلَى هَذَا الْخَطَابِ * وَقَدْ قَالَ الْزَّهْرِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ وَأَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا (نَحْنُ أَحَقُّ
 بِاللَّسِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ لَوْ مَا قَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْسُفَ
 لَا حُجَّتَ الدَّاعِي) وَرَوَاهُ أَبُو الزُّنْدَاقِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ * وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَرُوبٍ عَنْ عَقْبَةَ عَنْ أَبِي
 سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى لُوطٍ قَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ يَعْنِي اللَّهُ
 عَزَّ وَجَلَّ فَمَا لَبِثَ اللَّهُ بِدَمِهِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ . وَقَالَ قَالِي (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ
 قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْقِي فَلَا تَفْضَحُون . وَاتَّخَذُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونَ . قَالُوا أَوْ لَمْ تَنْهَكُ عَنِ الْعَالَمِينَ . قَالَ هَؤُلَاءِ
 بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) فَاسْرَمَ بِقَرْنَيْنِ نِسَائِهِمْ وَحَدَّثَهُمُ الْاسْتِمْرَارَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ وَسَيَّاتِهِمْ هَذَا وَهُمْ فِي
 ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُونَ وَلَا يَرْعَوْنَ بَلْ كَلَّمَهُمْ بَيَّانَتُونَ فِي تَحْصِيلِ هَؤُلَاءِ الضَّيْقَانِ وَمَحْضُون . وَلَمْ يَسْلَمُوا مَالَهُمْ

به القدر مما هم اليه صائرون . وصيحة ليقيم اليه مقبلون (١) ولهذا قال تعالى مقبلاً بجملة فيه محمد صلوات الله وسلامه عليه (لمرئك إني سكرتهم يعمهون) وقال تعالى (وقد أنذرم بطشتنا قاروا بالندر . وقد راودوه عن ضيفه فطسنا أعينهم فتوقوا عذابي ونذر وقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) ذكر المفسرون وغيرهم أن نبي الله لوطاً عليه السلام جعل يمانع قومه السخول ويدافعهم والباب مفتوح وهم يرومون فتحه وولوجه وهو يعضهم ويتهام من وراء الباب وكل ما لهم في الجاهج والجاهج فلما ضاق الأمر وعسر الحال قال * لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى دكن شديد لأحلت بكم النكال * قالت الملائكة (يا لوط إنا أرسلناك مع ربك لن يصلوا إليك) وذكروا أن جبريل عليه السلام خرج عليهم فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطست أعينهم حتى قيل لها غارت بالكلية ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر فرجعوا يتجسسون مع الحيطان . ويتوعدون رسول الرحمن . ويقولون إذا كان النكال لنا وله شان قال الله تعالى (وقد راودوه عن ضيفه فطسنا أعينهم فتوقوا عذابي ونذر وقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) فذلك أن الملائكة تقدمت إلى لوط عليهم السلام آمريين له بأن يسرى هو وأهله من آخر الليل ولا يلتفت منكم أحد يعني عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه وأسرده أن يكون سيره في آخرهم كالساقاة لهم * وقوله (إلا امرأتك) على قراءة النصب يحتمل أن يكون مستثنى من قوله فليس بملك كأنه يقول إلا امرأتك فلا تسربها . ويحتمل أن يكون من قوله ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك أي فلتها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم . وقوى هذا الاحتمال قراءة الرفع ولكن الأول أظهر في المعنى والله أعلم *

قال السهيلي واسم امرأة لوط والهة واسم امرأة نوح والهة . وقالوا له مبشرين بهلك هؤلاء البناة العتاة الملعونين النظراء والاشباه الذين جعلهم الله سلفاً لكل خائن مرئب (إن موعدهم الصبح أليس الصبح قريب) فلما خرج لوط عليه السلام بأهله وهم ابتاه ولم يتبعه منهم رجل واحد ويقال إن امرأته خرجت معه فأنه أعلم فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس فكان عند شروقها جاءهم من أمر الله ما لا يرد . ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يصد * وعند أهل الكتاب أن الملائكة أسروه أن يصعد إلى رأس الجبل التي هناك فاستبده وسأل منهم أن يذهب إلى قرية قريبة منهم فقالوا اذهب فانا نختطرك حتى نصير اليها وتستقر فيها ثم نحل بهم العذاب فذكروا أنه ذهب إلى قرية صغر التي يقول الناس غودزغر فلما اشتربت الشمس نزل بهم العذاب قال الله تعالى (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين بعيد) قالوا اقلع من جبريل بطرف

جناحه من قرارهن وكن سبع مدن بمن فيهن من الامم قالوا لهم كانوا أربع مائة نسمة . وقيل أربعة آلاف نسمة وما معهم من الحيوانات وما يتبع تلك المدن من الأراضي والا ما كن والمثلات فرفع الجميع حتى بلغ بين عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديتهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها قال مجاهد فكان أول ما سقط منها شرقتها (وأمطرا عليهم حجارة من سجيل) والسجيل فارسي مرب وهو الشديد الصلب القوي (منضود) أى يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم من السماء (مسومة) أى مطعة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذى يهبط عليه فيدغمه كما قال (مسومة عند ربك للسرفين) وكما قال تعالى (وأمطرا عليهم مطرا فساء مطر المنسذين) وقال تعالى (والمؤفكة أهوى . فغشاها ما غشى) يعنى قلبها فأهوى بها منكسة عاليها سافلها وغشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذى سقط عليه من الحاضرين منهم فى بلادهم والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها * ويقال إن امرأة لوط مكثت مع قومها ويقال إنها خرجت مع زوجها وبنتها ولكنها لما سمعت الصيحة وسقطت البلدة والتفتت الى قومها وخافت أمر ربها قديما وحديثا وقالت واقوماه فسقط عليها حجر فدهقها وألقها قومها اذ كانت على دينهم وكانت عينا لهم على من يكون عند لوط من الضيفان كما قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين أى خانتاهما فى الدين فلم يتبهاهما فيه . وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة حاشا وكلاهما . فان الله لا يقدر على نهي أن تبني امرأته كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف واختلف ما ثبت امرأة نبي قط * ومن قال خلاف هذا قد اخطأ خطأ كبيرا . قال الله تعالى فى قصة الإبط لما انزل براءة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لما أهل الافك ما قولوا فأناب الله المؤمنين واناب وزجر ووعظ وحذر وقال فيها قال (اذ تقنوه بالسنكم وتقولون بفواهم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) . أى سبحانك أن تكون زوجة نبيك بهذه المثابة وقوله هينا (وماهى من الظالمين بعيد) أى وما هذه العقوبة بعيدة بمن أشبههم فى ظلمهم . ولهذا ذهب من ذهب من العلماء إلى أن اللاتط يرمج سواء كان محصنا أولا فص عليه الشافعى وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من الأئمة واحتجوا أيضا بما رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال (من وجدتموه يصل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) وذهب أبو حنيفة الى أن اللاتط يلقي من شاطئ جبل ويتبع بالحجارة كما فعل قوم لوط لقوله تعالى (وماهى من الظالمين بعيد) . وجعل الله مكان تلك البلاد بحيرة ممتنة لا يتنفع بأهلها

ولا بما حولها من الاراضى المتاخمة لفتحها لردائها وذلتها فصارت عبرة ومشلة وعظة وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته فى انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاه . ودليلا على رحمة بعباده المؤمنين فى انجائه إياهم من المهلكات . واخراجه إياهم من التور الى التلذات كما قال تعالى (ان فى ذلك لآية وما كان أكثركم مؤمنين . وان ربك هو العزيز الرحيم) وقال تعالى (فاختصم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل . إن فى ذلك لآيات للتوهمين وإنها لبسيل مقيم . ان فى ذلك لآية للمؤمنين) أى من قطر بين الفراسة والتوسم فيهم كيف غير الله تلك البلاد وأهلها وكيف جعلها بد ما كانت أهلة عامرة . هالكة غامرة . كما روى الترمذى وغيره سرفوعا (اتوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) ثم قرأ (ان فى ذلك لآيات للتوهمين) وقوله (وانها لبسيل مقيم) أى لطريق مهيح مسلك الى الآن كما قال (وانكم تمرون عليهم مصحين وبلايل أفلأ تعلون) وقال تعالى (وتعد تركناها آية ينة لقوم يعقلون) وقال تعالى (فخرجنا من كل فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أى تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة وخشى الرحمن بالنيب وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فأنزجر عن محارم الله وترك ما حاسبه وخاف أن يشابه قوم لوط (ومن تشبه قوم فهو منهم) وإن لم يكن من كل وجه فمن بعض الوجوه كما قال بعضهم فان لم تكونوا قوم لوط فبهم فما قوم لوط منكم يبعد فالماثل القريب الخائف من ربه الفاني بمثل ما أمره الله به عز وجل وقيل ما ارشده اليه رسول الله من إتيان ما خلق له من الزوجات الحلال . والجوارى من السرارى فوات الجمال . وإياه أن يتبع كل شيطان مرید . فيحق عليه الوعيد . ويدخل فى قوله تعالى (وماهى من الظالمين يبعد)

قصة مدين قوم شعيب عليه السلام

قال الله تعالى فى سورة الاحراف بد قصة قوم لوط (والى مدين أخام شيئا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من آله غيره قد جاءتكم بنة من ربكم فآفوا الكيل والميزان ولا تبغضوا الناس اشياءهم ولا تحسدوا فى الأرض بد اصلاحها فلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين . ولا تعبدوا بكل صراط توعدون . وتصلون عن سيل الله من آمن به وتيقونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين . وان كنن طائفة منكم آمنوا بالثى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا ملك من قريتنا أو نتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كلوهين . قد أقرتنا على الله كذبا ان عدنا

في ملتكم بعد اذ نجينا الله منها وما يكون لنا أن نهود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً .
 على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين . وقال الملأ الذين كفروا من قومه
 لئن اتيتم شعياً لئنكم اذا خلصرون . فاختصمهم الرجعة فاصبحوا في دارهم جاثمين . الذين كذبوا شعياً
 كأن لم يفتوا فيها الذين كذبوا شعياً كانوا هم الغاسرين . فغوى عنهم وقال يقوم لقد ابلتكم رسالات
 ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) . وقال في سورة هود بعد قصة قوم لوط أيضاً .
 (والى مدين أخاهم شعياً قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إلى
 أراكم بخير وإلى أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس
 اشياءهم ولا تمسوا في الأرض مفسدين . بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بمخفي .
 قالوا يا شبيب أصولك تأسرك أن تترك ما يبيد أبائنا وأن ضل في أموالنا ما نشاء . إنك لانت الحليم
 الرشيد . قال يقوم أراهم إن كنت على بينة من ربى وورزقنى منه رزقا حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى
 ما أنتمأكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أئيب .
 ويا قوم لا يجرى منكم شقاق أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط
 منكم بعيد . واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود . قالوا يا شبيب ما فقه كثيراً مما تقول وإنا
 نترك فينا ضعفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز . قال يقوم أرهطى أعز عليكم من الله
 واتخذتموه ورائكم ظهراً إن ربى بما تعملون محيط . ويا قوم اعلوا على مكاتكم إلى عامل سوف تعلمون
 من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارهبوا إلى محكم رقيب . ولما جاء أمرنا نجينا شعياً والذين
 آمنوا معه برحمة منا وأخلى الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين . كأن لم يفتوا فيها إلا بعداً
 لمدين كما بدلت ثمود) . وقال في الحجر بعد قصة قوم لوط أيضاً . (وإن كان اصحاب الأيكة لظالمين
 فانتقمنا منهم وانهم بالامام مبين) وقال تعالى في الشعراء بعد قصتهم . (كذب اصحاب الأيكة المرسلين
 اذ قال لهم شيب ألا تتقون إنى لكم رسول أمين . فأتوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن
 اجرى إلا على رب العالمين . أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين وزوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا
 الناس اشياءهم ولا تمسوا في الأرض مفسدين . واتوا الله الذى خلقكم والجلية الأولين . قالوا انما أنت
 من المسحرين وما أنت إلا بشر مثنا وإن ظننك لمن الكاذبين . فاقطع علينا كسفا من السماء إن كنت
 من الصادقين . قال ربى أعلم بما تعملون . فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إله كان عذاب يوم عظيم
 إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم)

كان أهل مدين قوم عابراً يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض ممان من أطراف الشام
 نماء على ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط . وكانوا بدم بجملة قرية . ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة

وم من بني مدین بن مدیان بن ابراهیم النلیل وشعیب نهم هو ابن میکیل (١) بن یسجن (٢) ذکره ابن اسحاق قال ویقال له بالسریانیة بنزون (٣) وفی هذا نظر ویقال شعیب بن یسجر بن لاوی بن یعقوب ویقال شعیب بن یوب بن عیفا (٤) بن مدین بن ابراهیم ویقال شعیب بن ضیفر بن عیفا (٥) بن ثابت بن مدین بن ابراهیم وقیل غیر ذک فی نفسه .

قال ابن عساکر ویقال جدته ویقال أمه بنت لوط وکلن من آمن بآبراهیم وهاجر معه ودخل معه دمشق وعن وهب ابن منبه أنه قال شعیب وملثم من آمن بآبراهیم (٦) يوم أحرق بالنار وهاجر معه الى الشام فزوجهما بنتی لوط علیه السلام . ذکره ابن قتیبة * وفی هذا کله نظر أيضا والله أعلم .

وذكر أبو عمر بن عبد البر فی الاستیعاب فی ترجمة سلمة بن سعد النضری قدم علی رسول الله ﷺ فأسلم وانسحب الى عنزة قال فم الحی عنزة مبعی علیهم منصورون قوم شعیب وأختان (٧) موسی فلو صح هذا لدل علی أن شعیا من موسی وأنه من قبيلة من العرب الماربة یقال لهم عنزة لا أنهم من عنزة ابن أسد بن ریمة بن تزار بن مدین عدنان فان هؤلاء بدمه بدهر طویل والله أعلم .

وفی حدیث أبی ذر النضری فی صحیح ابن حبان فی ذکر الأنبیاء والرسل قال (أربعة من العرب هود وصالح وشعیب ونیک یا أبا ذر) وکلن بعض السلف یسمی شعیا خطیب الأنبیاء یعنی لفصاحته وعلو عیارته وبلاغته فی دعایة قومه الى الايمان برسائه * وقد روی ابن اسحاق بن یسجر عن جویبر ومقاتل عن الضحاک عن ابن عباس قال کلن رسول الله ﷺ اذا ذکر شعیا قال (ذاك خطیب الأنبیاء) وکلن أهل مدین كفاراً یقطعون السیل ویخیفون المارة ویسبدون الأیكة وهی شجرة من الأیك حولها غیضة ملتفة بها وکلوا من أسوء الناس معاملة یسخرسون المکیال والمیزان ویعطفون فیها یاخذون بازائد ویدفنون بالنقص فبعت الله فیهم رجلا منهم وهو رسول الله شعیب علیه السلام فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شریک له ونهاهم عن تعاطی هذه الأفاعیل القبیحة من بخش الناس أشیائهم واختاتمهم لهم فی سبلهم وطرقاتهم فآمن به بعضهم وكفر آکثرهم حتی أحل الله بهم البأس الشدید . وهو الولی الحمید . كما قال تعالى (وإلی مدین أخاصم شعیا . قال یقوم اعبدوا الله ما لکم من إله غیره قد جائکم بینة من ربکم) أى دلالة وحجة واضحة وبرهان قاطع علی صدق ما یجسمکم به وأنه أرسلنی وهو ما أجرى الله علی یدیه من المعجزات الی لم تنقل الینا تفصیلاً وان کلن هذا الحفظ قد دل علیها إجمالاً

(١) وفی الطبری میکائیل (٢) فی نسخة یسجر (٣) فی نسخة یثرون كما فی الطبری (٤) فی الطبری عیفا (٥) فی نسخة صیغور وفی الطبری صیغون (٦) عبارة الطبری وانما هو من ولد بعض من آمن بآبراهیم وهاجر معه الى الشام (٧) قوله واختان موسی کذا بالأصول والقی فی الاستیعاب وأخبار موسی محمود الامام

(فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) (ولا تصدوا في الأرض بعد إصلاحها) أمرهم بالعدل ونهام عن الظلم وتوعدهم على خلاف ذلك فقال (ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تصدوا بكل صراط) أى طريق (توعدون) أى توعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك وتنفون السبل • قال السدى فى تفسيره عن الصحابة (ولا تصدوا بكل صراط توعدون) أنهم كانوا يأخذون الشور من أموال المارة • وقال اسحاق بن بشر عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال كانوا قوما طغاة بناء يجلسون على الطريق (يبخسون الناس) يعنى يمشرونهم وكانوا أول من سن ذلك (وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتنفونها عوجا) قهام عن قطع الطريق الحسية الدينية والمنوية الدينية (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) ذكركم بنصه الله تعالى عليهم فى تكثيرهم بعد القلة وحذرهم قبة الله بهم إن خالفوا ما أوردتهم اليه وطمع عليه كما قال لهم فى القصة الأخرى (ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) أى لا تركبوا ما أنتم عليه وتستروا فيه فيمحق الله بركة ملقى أيديكم ويحترق وينهب ما به ينسبك وهذا مضاف إلى عذاب الآخرة ومن جمع له هذا وهذا فقد باء بالصفة الخالصة قهام أولا عن تامل ما لا يليق من التعطيف وحذرهم سلب نعمة الله عليهم فى دنياهم وعذابه الأليم فى آخرهم وعنفهم أشد تنيف . ثم قال لهم أمرا بعد ما كن عن ضده زاجرا (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنشروا فى الأرض مفسدين) بقت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين (وما أنا عليكم بحفيظ) قال ابن عباس والحسن البصرى (بقيت الله خير لكم) أى رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس • وقال ابن جرير ما فضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتعطيف . قال وقد روى هذا عن ابن عباس وهذا الذى قاله وحكاه حسن وهو شبيه بقوله تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) يعنى إن القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام فإن الحلال مبارك وإن قل والحرام محموق وإن كثر كما قال تعالى يحق الله الربا ويرى الصدقات وقال رسول الله ﷺ (إن الربا وإن كثر فإن مصيره إلى قتل) رواه أحمد أى إلى قلة وقال رسول الله ﷺ (البعير بالخيار ما لم يفرقا فإن صدقا وبنا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما) والمقصود أن الربح الحلال مبارك فيه وإن قل والحرام لا ينجى وإن كثر ولهذا قال نبى الله شبيب (بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) وقوله (وما أنا عليكم بحفيظ) أى افعلوا ما أمركم به اجتناء وجه الله ووجه ثوابه لا لأراكم أنا وغيرى (قالوا يا شبيب أصولك تأمرك أن تترك ما يبدد أبؤنا أو أن نضل فى أمورنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد) يقولون هذا على سبيل الاستهزاء والتقصص والتهمك أصولك هذه التى تصلها هى الامرة لك بأن تحصر علينا فلانبد الا إلحك

وترك ما يبد آبلونا الأقدمون وأسلمنا الاولون أو أن لا تعامل الا على الوجه الذى ترفضه أنت
 وترك المعاملات التى تأبها وان كنا نحن نرضاه (انك لانت الحليم الرشيد) قال ابن عباس وميمون
 ابن مهران وابن جريج وزيد بن أسلم وابن جرير يقولون ذلك اعداء الله على سبيل الاستهزاء (قال
 يقوم رأيتم ان كنت على ينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد ان أخالفكم الى ما أنها كم عنه
 ان أريد الا الاصلاح ما استطت وما توفى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) هذا تعلق مهمم فى
 العبارة ودعوة لهم الى الحق باين اشارة يقول لهم رأيتم أيها المكذبون (ان كنت على ينة من ربى)
 أى على أسرين من الله تعالى أنه أرسلنى اليكم (ورزقنى منه رزقا حسنا) يعنى النبوة والرسالة يعنى
 وعى عليكم مرقها فى حيلة لى بكم . وهذا كما تقدم عن نوح عليه السلام أنه قال قموه سواء وقوله (وما
 أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه) أى لست أسركم بالأمر الا وأنا أول فاعل له واذا نهيتكم عن الشيء
 فانا أول من يتركه وهذه هى الصفة المحسودة العظيمة وضدها هى المردودة القمية كما تلبس بها علماء بنى
 اسرائيل فى آخر زمانهم وخبطاؤم الجاهلون * قال الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
 وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) وذكر عندها فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال يؤتى
 بالرجل فلقى فى النار فتندلق احباب بطنه أى تخرج أعضاؤه من بطنه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه
 فيجتمع أهل النار فيقولون باطلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول لى كنت آمر
 بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية * وهذه صفة مخالفى الانبياء من الفجار والاشقياء فلما السادة
 من النجباء والالباء من العلماء الذين يخشون ربهم بالغيب غلظهم كما قال نبي الله شيب (وما أريد أن
 أخالفكم الى ما أنها كم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطت) أى ما أريد فى جميع أمرى الا الاصلاح
 فى النعال والمقال بمهيدى وطاقتى (وما توفى) أى فى جميع أحوالى (إلا بالله عليه توكلت واليه
 أنيب) أى عليه أتوكل فى سائر الأمور واليه مرجى ومصيرى فى كل أمرى وهذا مقام ترغيب .
 ثم انتقل الى نوع من التهيب فقال (وما قوم لا يجر منكم شقاق أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح
 أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم يبعد) أى لا تحملنكم مخالفتى وبضكم ما جشتم به على
 الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيحل الله بكم من العذاب والنكال ظهير ما احله بظلماتكم
 وأشباهكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين . وقوله (وما قوم لوط منكم
 يبعد) قيل معناه فى الزمان أى ما يبعد من قدم بما قد بلغكم ما أجل بهم على كفرهم وعتوهم * وقيل
 معناه وما هم منكم يبعد فى اللحظة والمكان . وقيل فى الصفات والأفعال المستقبحة من قطع الطريق
 وأخذ أموال الناس جبرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات . والجمع بين هذه الأقوال ممكن فليهم لم يكونوا
 بعيدين منهم لا زمانا ولا مكانا ولا صفات ثم مزج التهيب بالترغيب قال (واستغفروا ربكم ثم توبوا

اليه إن ربي رحيم وودود) أى أقبلوا عما أنتم فيه وقربوا إلى ربكم الرحيم الودود قاله من تلب إليه تلب عليه قاله رحيم بعباده أرحمهم من الوالدة بولدها وودود وهو الحبيب ولو بعد التوبة على عبده ولو من المواقف العظام (قالوا يا شبيب ما فقه كثيرا مما تقول وإنا لتركنا فينا ضيغا) روى عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والثوري أنهم قالوا كان ضرير البصر • وقد روى في حديث مرفوع أنه يكنى من حب الله حتى عى فرد الله عليه بصره . وقال يا شبيب أتبكي خوفا من النار أو من شوقك إلى الجنة قال بل من محبتك فإذا نظرت إليك فلا أبلى ماذا يصنع في فأوحى الله إليه هيتا لك يا شبيب لقائى فلذلك أخذتلك موسى ابن عمران كلبى • رواه الواحدي عن أبي الفتح محمد بن علي الكوفي عن علي بن الحسن بن بندار عن أبي عبد الله محمد بن إسحق الترمذي (١) عن هشام بن عمار عن اسمعيل بن عباس عن يحيى بن سعيد عن شداد بن أمين عن النبي ﷺ بنحوه وهو غريب جداً وقد ضغنه الخطيب البغدادي • وقولهم (ولولا رهطك لرجناك وما أنت علينا بعزيز) وهذا من كفرهم البليغ وعنادهم الشنيع حيث قالوا (ما فقه كثيرا مما تقول) أى ما فقهه ولا تفقه لأننا لانجبه ولا نزيد وليس لنا حمة إليه ولا إقبال عليه وهو كما قال كنفار قرشي لرسول الله ﷺ (وقالوا قلوبنا في أكنة ما تدعونا إليه وفي آذاننا وتر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) وقولهم (وانا لتركنا فينا ضيغا) أى مضطهداً مهجوراً (ولولا رهطك) أى تيملك وعشيرتك فينا (لرجناك وما أنت علينا بعزيز) قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله أى تخافون قبيلتي وعشيرتي وترعونى بسبهم ولا تخافون جنبه الله ولا تراعونى لأنى رسول الله فصار رهطى أعز عليكم من الله (واتخذتموه ورائكم ظهرياً أى جانب الله وراء ظهركم) (إن ربي بما تعملون محيط) أى هو عليم بما تعملونه وما تصنونه محيط بذلك كله وسيجزيكم عليه يوم ترجسون إليه (ويا قوم اعلوا على مكاتكم إلى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارهبوا إلى معكم رقيب) وهذا أمر تهديد شديد ووعيد أكيد بأن يستمروا على طريقهم ومنهجهم وشاكلتهم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار . ومن يحل عليه الملاك والبوار (من يأتيه عذاب يخزيه) أى في هذه الحياة الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم) أى في الآخرة (ومن هو كاذب) أى مني ومنكم فيا أخبر وبشروا (وارهبوا إلى معكم رقيب) وهذا كقوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شبيب والذين آمنوا ملك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كلهمين . قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نفوذ فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علماً على الله توكلنا ربنا افزع

يبتناوين قوما بلحق وأنت خير الفاتحين) طلبوا بزعمهم أن يردوا من آمن منهم إلى ملتهم فاتصّب
شعيب للمعاجة عن قومه قال (أو لو كنا كلهمين) أي هؤلاء لا يهودون اليكم اختياراً وإنما
يهودون إليه إن عادوا اضطراباً مكرهين ذلك لأن الإيمان إذا خالطه بشاشة القلوب لا يسخره
أحد ولا يرتد أحد عنه ولا يعيد لأحده. ولهذا قال (قد اقرتينا على الله كلباً إن عدنا في ملتكم
بسد إذ نجما الله منها وما يكون لنا أن نفود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله
توكلنا) أي فهو كلفينا وهو العاصم لنا واليه ملجأنا في جميع أمرنا ثم استفتح على قوله واستنصر
ربه عليه في تمجيد ما يستحقونه اليهم قال (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بلحق وأنت خير الفاتحين
أي الحاكمين) فدعا عليهم والله لا يرد دعاء رسله إذا استنصروه على الذين جحدوه وكفروهم وبرسوله
خالقوه. ومع هذا صبروا على ما هم عليه مشتملون. وبه متلبسون (وقال الملا الذين كفروا من قومه
لئن اتبعتُم شعيباً إنكم إذا لخاسرون قال الله تعالى. فلخضتُم الرجة فاصبحوا في دارهم جائعين)
ذكر في سورة الأعراف أنهم أخذتهم رجة أي رجفت بهم أرضهم وزلزلت زلزلاً شديداً أزهدت
أرواحهم من أجسادها وصيرت حيوانت أرضهم كجسادها واصبحت جثهم جائية لأرواح فيها
ولا حركات بها ولا حواس لها * وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبت وصنوفاً من المثلات وأشكالا
من البليات وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات سلط الله عليهم رجة شديدة أسكنت الحركات
وصيحة عظيمة أخذت الأصوات وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات. ولكنه
تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها في سياق قصة الأعراف ارجفوا نبي الله
وأصحابه وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم أو ليعودن في ملتهم راجعين قال تعالى (فلخضتُم الرجة
فاصبحوا في دارهم جائعين) فقابل الارجفاف بالرجة والاحاقة بالخيبة وهذا مناسب لهذا السياق ومتعلق
بما تقدمه من السابق * وأما في سورة هود فذكر أنهم أخذتهم الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائعين
وذلك لأنهم قالوا نبي الله على سبيل التهمك والاستهزاء والتقصص (أصولك تأمرك أن تترك ما يبعد
أبؤنا أو أن نضل في أمواتنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد) فناسب أن يذكر الصيحة التي هي كالجر
عن قاطي هذا الكلام القبيح الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح فجاءتهم صيحة
أسكتهم مع رجة أسكتهم. وأما في سورة الشعراء فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة. وكان ذلك
إجابة لما طلبوا. وهربوا إلى ما إليه رغبوا. فاتهم قالوا (إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثنا
وإن فلانك لمن الكاذبين فلقط علينا كفاً من الساء إن كنت من الصادقين. قال رب أعلم بما
تعملون) قال الله تعالى (وهو السميع العليم فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم)
ومن زعم من المفسرين كثرة أن أصحاب الآية أمة أخرى غير أهل مدين قوله ضيف وإنما

عنهم شيطان أحدهما أنه قال (كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب) ولم يقل أخوهم كما قال والى مدين أخاهم شعيبا . والثاني أنه ذكر عذابهم يوم النقلة وذكر في أولئك الرجعة أو الصيحة والجواب عن الأول أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) لانه وصفهم بعبادة الأيكة فلا يناسب ذكر الأخوة ههنا ولما نسبهم الى القبيلة شاع ذكر شعيب بأنه أخوهم * وهذا الفرق من التثاقس اللطيفة الممزجة بالشرعة * وأما احتجاجهم يوم النقلة فإن كان دليلا بمجرده على أن هؤلاء أمة أخرى فيمكن تعداد الانتقام بالرجعة والصيحة دليلا على انهما أمتان أخريان وهذا لا يقوله أحد فيهم شيئا من هذا الشأن * فأما الحديث الذي أورده الحافظ ابن صاكر في ترجمة النبي شعيب عليه السلام من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن شقيق بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو مرفوعا (إن مدين وأصحاب الأيكة أمتان يمث الله اليهما شعيبا النبي عليه السلام) فانه حديث غريب وفي رجاله من تكلم فيه * والأشبه أنه من كلام عبد الله بن عمرو مما أصابه يوم اليرموك من تلك الزامتين من أخبار بني اسرائيل والله أعلم * ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المنفعة المذكورة عن أهل مدين من التلطيف في المكيال والميزان فدل على أنهم أمة واحدة اهلكوا بأنواع من العذاب * وذكر في كل موضع ما يناسب من الخطاب . وقوله (فأخذهم عذاب يوم النقلة إنه كان عذاب يوم عظيم) ذكروا أنهم أصابهم حر شديد وأسكن الله هبوب الهوا عنهم سبعة أيام فكان لا يتفهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الأسراب فهربوا من محلتهم الى البرية فظلمهم سمابة فلجئوا تحتها ليستظلوا بظلها فلما تكلموا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة من السماء فازهقت الارواح وغربت الاشباح فاصبحوا في دارهم جائعين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يفنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الظالمين . ونحى الله شعيبا ومن معه من المؤمنين) كما قال تعالى وهو أصدق القائلين (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين . كأن لم يفنوا فيها ألا يبدأ لمدين كما بدلت نود) . وقال تعالى (وقال الملا من قومه لئن اتيتم شعيبا إنكم اذا ظلمون . فأخفتم الرجعة فاصبحوا في دارهم جائعين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يفنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الظالمين) وهذا في مقابلة قولهم (لئن اتيتم شعيبا إنكم اذا ظلمون) ثم ذكر تعالى عن نبيهم أنه ناهى الى ارضهم موبخا ومؤبئا ومقرعا فقال تعالى (يا قوم قد أتيتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) أى أعرض عنهم موليا عن محبتهم بعد هلكتهم قائلا (يا قوم قد أتيتكم رسالات ربي ونصحت لكم) أى قد أدت ما كان واجبا على من البلاغ التام والنصح الكامل وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدر عليه وأتوصل اليه فلم

ينفكم ذلك لأن الله لا يهدي من يضل والملم من تلمسين فلت أأتسف بعد هذا عليكم لأنكم لم
تكونوا تبولون النصيحة ولا تخافون يوم النضيجة ولهذا قال فكيف آسى أى احزن على قوم كفارين
أى لا تهبلون الحق ولا ترجعون إليه ولا تلتفتون إليه غل بهم من بأس الله الذى لا يرد مالا يدافع
ولا يمانع ولا يحيد لاحد أريد به عنه ولا مناص منه *

وقد ذكر الحفاظ بن عساكر فى ترويحى عن ابن عباس أن شعيبا عليه السلام كن بعد
يوسف عليه السلام . وعن وهب بن منبه أن شعيبا عليه السلام مات بمكة ومن
سه من المؤمنين وقبورهم غرى الكعبة بين دار الندوة ودار بنى سهم

باب ذكر ذرية ابراهيم عليه الصلاة والتسليم

قد قدمنا قصته مع قومه وما كان من أسرهم وما آل اليه أمره عليه السلام والتحية والأكرام
وذكرنا ما وقع فى زمانه من قصة قوم لوط . وأتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شيب عليه السلام لأنها قريتها
فى كتاب الله عز وجل فى مواضع متعددة فذكر تعالى بعد قصة قوم لوط قصة مدين وم
أصحاب الأيكة على الصحيح كما قدمنا فذكرناها فيما لها إقتداء بقرآن العظيم *
ثم نشرع الآن فى الكلام على تفصيل ذرية ابراهيم عليه السلام لأن الله
جل فى ذريته النبوة والكتاب فكل نبى أرسل بعده فن ولد *

ذكر اسماعيل عليه السلام

وقد كان للخليل بنون كما ذكرنا ولكن أشهرهم الأخوان النيران الظليان الرسولان أسهما وأجلهما
الذى هو الذبيح على الصحيح اسماعيل بكر ابراهيم الخليل من هاجر القبيلة المصرية عليها السلام من
الطيب الجليل * ومن قال إن الذبيح هو اسحق قائما تقاه من هلة بنى اسرائيل الذين بدلوا وحرفوا
وأولوا التوراة والانجيل وخلفوا ما بأيديهم فى هذا من التنزيل * فان ابراهيم أمر بذبح ولده البكر *
وفى رواية الوحيد وأيلما كن فهو اسماعيل بنص الليل فى قص كتابهم إن اسماعيل ولد لابراهيم من
المرست وثلاثون سنة * وإلما ولد اسحق بعد ماضى مائة سنة من عمر الخليل فاسماعيل هو البكر لاجالة
وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة * أما فى الصورة فإله كان وحده ولده أزيد من ثلاثة عشر سنة
وأما أنه وحيد فى المعنى فانه هو الذى هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكان صغيرا رضيا فيما قيل فوضعا
فى وهاد جبال فاران وهى الجبال التى حول مكة فسم القليل وتركهما هناك ليس مهما من الزاد والماء
الاقليل وذلك حمة بالله وتوكل عليه . فخطبها الله تعالى بناتيه وكفانيه فسم الحبيب والكلبى والوكيل

والكفيل فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمثني ولكن أين من يتفطن لهذا السراوين من يحل بهذا المحل والمثني لا بدركه ويحيط به إلا كل شيء نيل * وقد أنقذ الله تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر وصديق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقوم الذباب مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب * قال تعالى (فبشرته بسلام حلیم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فتطاول عابه على ما إليه دعاه . ووعده بأن سيصبر فوق بذلك وصبر على ذلك . وقال تعالى (واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) وقال تعالى (واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار . إنا آخضناهم بخلصة ذكرى الدار واتهم عندنا من المصطفين الأخيار . واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) وقال تعالى (واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) وقال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والتين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) الآية . وقال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) الآية . وتطيرتها من السورة الأخرى . وقال تعالى (أم يقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا يهودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله) الآية فذكر الله عنه كل صفة جميلة وجهه نبيه ورسوله وبراه من كل مناسب إليه الجاهلون . وأمر بأن يؤمن بما أنزل عليه عباده المؤمنون . وذكر علماء القسب وإمام الناس أنه أول من ركب الخليل وكانت قبل ذلك وحوشا فأنساها وركبها . وقد قال سعيد بن يحيى الأموي في منازبه حدثنا شيخ من قريش حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال (اتخذوا الخليل واعتقبوها فانها مراث أئكم اسماعيل) وكانت هذه العرب وحشا فدعا لها بدعوة التي كان أعطي فاجابها وإنه أول من تكلم بالمرية النصيحة البليغة * وكان قد تلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل .

قال الاموي حدثني علي بن المنيرة حدثنا أبو عبيدة حدثنا مسمع بن مالك عن محمد بن علي بن ابن الحسين عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال « أول من فحق لساه بالمرية البيعة اسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة » فقال له يونس صدقت يا أبا سيار هكذا أبو جري حدثني . وقد قلعتنا أنه تزوج ١١ شب من العماليق امرأة وأن أباه أسره فراقها فزارها * قال الاموي هي عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليق * ثم نكح غيرها فأسره أن يستمر بها فاستمر بها وهي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي

وقيل هذه ثلثة فولت له اثني عشر ولدا ذكرا . وقصصنا محمد بن اسحق رحمه الله وم ثابت وقندر (١) واذيل وميشي ومسع وماش ودوصا وادر ويطور ونيش وطييا وقينما * وهكذا ذكروا أهل الكتاب في كتابهم . وعندهم أنهم الاثنا عشر عظيما المبشر بهم المتقدم ذكرهم . وكذبوا في تأويلهم ذلك وكان اسماعيل عليه السلام رسولا الى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرم والماليق وأهل اليمن صلوات الله وسلامه عليه * ولما حضرته الوفاة أوصى الى أخيه اسحق وزوج ابنته نسمة من ابن أخيه العيص بن اسحق فولت له الروم . ويقال لهم بنو الاصفر لصفرة كانت في العيص * وولدت له اليونان في أحد الاقوال * ومن ولد العيص الاشيان قيل منها ايضا * وتوقف ابن جرير رحمه الله .

ودفن اسماعيل بنى الله بلحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة * وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال شكى اسماعيل عليه السلام الى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله اليه آتى سافح لك بيا الى الجنة الى الموضع الذى تدفن فيه فحرق عليك روحها الى يوم القيامة .

وعرب المجاز كلهم يتسبون الى وقته ثابت وقنار * وستحكم على أعياء العرب ويطونها وعائرها وقبائلها وعائرها من لدن اسماعيل عليه السلام الى زمان رسول الله ﷺ * وذلك اذا

اتيننا الى أيامه الشريعة وسيرة المنية بعد الفراغ من أخبار انبياء بنى اسرائيل الى زمان

عيسى بن مريم خاتم انبيائهم * ثم نذكر ما كان في زمن بنى

اسرائيل * ثم ما وقع في أيام الجاهلية ثم ينتهى الكلام الى سيرة فيينا رسول الله

الى العرب والعجم وسترتوف بنى آدم من الأُمم بإنشاء الله تعالى به التفة

وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله الى العظيم العزيز الحكيم

ذكر اسحاق بن ابراهيم الكريم بن الكريم

عليهما الصلاة والتسليم

قد قعدنا أنه ولد ولأبيه مائة سنة بعد أخيه اسماعيل بلربع عشرين سنة . وكان عمر أمه مائة حين بشرت به تسعين سنة قال الله تعالى (ويشرله لاسحق نبيا من الصالحين ولو كنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) * وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز * وقعدنا في حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم

(١) قوله قندر في نسخة قنار وقوله وميشي وفي نسخة منبسي قوله وادر في نسخة وادر وفي

أخرى وازر قوله ويطور في نسخة ويطور قوله وطييا في نسخة وطييا

يوسف بن يعقوب بن سحق بن ابراهيم . وذكر أهل الكتاب أن اسحق لما تزوج رقا بنت يثرائيل في حيات أبيه كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاتراً فدعا الله لها غلت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم * والثاني خرج وهو أخذ يعقوب أخيه فسماه يعقوب وهو اسرائيل الذي يتسبأليه بنو اسرائيل قالوا وكان اسحق يحب العيصو أكثر من يعقوب لأنه بكره وكانت أمهما رقا تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر قالوا فلما كبر اسحق ووضف بصره اشتكى على ابنه العيص طاماً وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويعطيه له ليبارك عليه ويدعو له وكان العيص صاحب صيد فذهب يفتي ذلك فطرد رقا ابنها يعقوب أن يذبح جديدين من خيار غنمه ويصنع منهما طاماً كما اشتاء أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له فقامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديدين لأن العيص كان أشمر الجسد ويعقوب ليس كذلك فلما جاء به وقربه إليه قال من أنت قال وللك فضه اليه وجهه وجعل يقول أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجسد والثياب فلعين فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً وكلته عليهم وعلى الشروب يحمده وأن يكثر رزقه وولده *

فلما خرج من عنده نجا إخوه العيص بما أمره به والده فتره اليه فقال له ما هذا يا بني قال هذا الطعام الذي اشتيته فقال أما تجتنى به قبل الساعة وأكلت منه ودعوت لك فقال لا والله وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك فوجد في نفسه عليه وجداً كثيراً . وذكروا أنه تواعده بالقتل إذا ملت أبوها وسأل أباه فدعا له بدعوة أخرى وأن يجعل لندبته غليظ الأرض وأن يكثر أرزاقهم ومأثرهم فلما سمعت أمهما ما تواعده به العيص أخاه يعقوب أمرت ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها لابن الذي ي أرض حران وأن يكون عنده إلى حين يمكن غضب أخيه عليه وأن يتزوج من بناته . وقالت لزوجها اسحق أن يأمره بذلك ويوصيه ويدعو له ففعل فخرج يعقوب عليه السلام من عنده من آخر ذلك اليوم فأدركه المساء في موضع فنام فيه أخذ حجراً فوضه تحت رأسه وتلم فرأى في نومه ذلك سراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له إني سأبارك عليك وأكثرت ذريتك واجعل لك هذه الأرض ولتقربك مني . فلما هب من نومه فرح بما رأى ونذر لله أن يرجع إلى أهله سالماً لينتفي في هذا الموضع مبدأ الله عز وجل وأن جميع ما يرزق من شيء يكون لله عشره ثم عهد إلى ذلك الخبر فجعل عليه دعاء يترفع به وسمى ذلك الموضع بيت إيل أي بيت الله وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب بعد ذلك كما سيأتي قالوا فلما قدم يعقوب على خاله أرض حران إذا له ابنتان اسم السكيزى يا وأسم الصغرى راحيل وكانت أحسنهما وأجملها فلما به إلى ذلك بشرط أن يرعى على غنمه سبع سنين فلما مضت المدة بعث خاله لابن صنع طاماً وجمع الناس عليه وزف إليه ليلا

ابنته الكبرى يا وكانت ضيفة العيتين قبيحة المنظر . فلما أصبح يعقوب اذا هي يا فقال ظله لم غدرت
 بي وأنت إنما خطبت اليك راحيل فقال له ليس من سنتنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى فان احببت
 اختها فعل سبع سنين أخرى وازوجكها فصل سبع سنين وادخلها عليه مع أختها وكان ذلك ساقطا في ملتهم
 ثم نسخ في شريعة التوراة * وهذا وحده دليل كاف على وقوع النسخ لان قتل يعقوب عليه السلام دليل على
 جواز هذا واباحته لانه معصوم * ووهب لابن لكل واحدة من ابنتيه جارية فوهب لراحيل جارية اسمها زلي
 ووهب لراحيل جارية اسمها بلقي * وجبر الله تعالى ضفتيها بأن وهب لها أولادا فكان أول من ولدت
 ليعقوب روبيل ثم شمعون ثم لاوي ثم يهوذا فنارت عند ذلك راحيل وكانت لا تحبل فوهبت ليعقوب
 جارياتها بلقي فوطها فحملت وولدت له غلاما سمته دان وحلت وولدت غلاما آخر سمته نفتالي فحملت
 عند ذلك ليا فوهبت جارياتها زلي من يعقوب عليه السلام فولدت له جاد (١) وأشير غلامين ذكرين ثم
 حملت ليا أيضا فولدت غلاما خامسا منها وسمته ايساخر (٢) * ثم حملت وولدت غلاما سادسا سمته
 زابلون ثم حملت وولدت بنتا سميتها دينا فصار لها سبعة من يعقوب * ثم دعت الله تعالى راحيل وسألت
 أن يهب لها غلاما من يعقوب فسمع الله ندائها وأجاب دعائها فحملت من نبي الله يعقوب فولدت له غلاما
 عظيما شريفا حسنا جيليا سمته يوسف كل هذا وهم مقيمون برض حران (٣) وهو رعى على خاله غنبه فشد
 دخوله على البقيتين ست سنين أخرى فصار مدة مقامه عشرين سنة فطلب يعقوب من خاله لابن أن يسرحه
 ليرى إلى أهل فقال له خاله اني قد بورك لي بسببك فسلني من مالي ما شئت فقال قطيعي كل حمل يولد من
 غنمك هذه السنة أقم وكل حمل ملمع أيضا بسواد وكل أملح بياض وكل أطلح أيضا من المزع قال نعم
 فسد بنوه فبرزوا من غنم أبيهم ما كان على هذه الصفات من التيوس ثلاثا يولد شئ من الحملان على هذه
 الصفات وساروا بها مسيرة ثلاثة أيام عن غنم أبيهم قالوا فسد يعقوب عليه السلام إلى قضبان رطبة أيضا
 من لوز وولب فكان يقرها بقا وينصبها في مساق الغنم من المياه لينظر الغنم اليها فتزع وتتحرك أولادها
 في يطولنها فتصير ألوان حلالها كذلك وهذا يكون من باب خوارق العادات ويتنظم في سلك المعجزات
 فصار ليعقوب عليه السلام أغانم كثيرة ودواب وعبيد وتخير له وجه خاله وبقيهم واكتمهم انحصروا منه
 وأوحى الله تعالى إلى يعقوب أن يرجع إلى بلاد أبيه وقومه ووعده بأن يكون معه قرض ذلك على
 أهل فلجأوه بإذنين إلى طاعته فحمل بأهله وماله وسرقت راحيل أصنام أبيها فلما جاوزوا وتجاوزوا
 عن بلادهم لحقهم لابلون وقومه فلما اجتمع لابلون يعقوب عاتبه في خروجه بنير عليه وهلا أهله
 فيخرجهم في فرح ومزاهر وطبول وحتى يودع بنيته وأولادهن ولم أخفوا أصنامهم معهم ولم يكن عند

(١) في النسخة المحلية جاد (٢) في نسخة اناخير (٣) في الطبري برض لابل

يعقوب علم من أصنامه فانكر أن يكون أخذوا له استناما فدخل بيوت بناته وامائهن يبتش فلم يجد شيئا وكانت راحيل قد جعلتهن في بردة الحمل وهي تحنها فلم تهم وأخذت بآنها طامث فلم يقدر عليهن فشد ذلك وتواتروا على راية هناك يقال لما جلدوا على أنه لا يهين بناته ولا يتزوج عليهن ولا يجاوز هذه الارية الى بلاد الآخر لا لابن ولا يعقوب وعلا طامثا وأكل القوم معهم ونودع كل منها من الآخر وفارقوا واجعين الى بلادهم فلما اقترب يعقوب من أرض ساعير تلقته الملائكة فيشرونه بالقدوم وبش يعقوب البرد الى أخيه العيص يترقب له ويتواضع له فرجعت البرد وأخبرت يعقوب بأن العيص قد ركب اليك في أربمئة راجل فحشى يعقوب من ذلك ودعا الله عز وجل وصلى له وتضرع اليه وتحمس لديه وتلذذه عهده ووعده الذي وعده به وسأله أن يكف عنه شر أخيه العيص وأعد لآخيه هدية عظيمة وهي مائتا شاة وعشرون تيساً ومائتا فجة وعشرون كبشاً وثلثون لقمة وأربعون بقرة وعشرة من الثيران وعشرون أفاعاً وعشرة من الحمر وأمر عبيده أن يسوقوا كلا من هذه الأصناف وحده وليكن بين كل قطيع وقطيع مسافة فلذا قيمهم العيص قال للأول لمن أنت ولمن هذه منك فليقل لبيدك يعقوب أهداها لبيدك العيص وليقل الذي بيده كذلك وكذا الذي بيده ويقول كل منهم وهو جاني يهداها وتأخر يعقوب بزوجه وأمتيه وفيه الأحد عشر بصد الكل بليتين وجل يسير فهما ليلا ويكون نهرا فلما كان وقت النجم من الليلة الثانية تبدا له ملك من الملائكة في صورة رجل فضله يعقوب رجلا من الناس فأله يعقوب ليصارعه ويتالبه فظهر عليه يعقوب فبأى إلى أن الملك أصاب وركه فرج يعقوب فلما أضاء النجم قال له الملك ما اسمك قال يعقوب قال لا ينبغي أن تدعى بهذا اليوم إلا اسرائيل قال له يعقوب ومن أنت وما اسمك فذهب عنه فلم أنه ملك من الملائكة وأصبح يعقوب وهو يرجع من رحله فلذلك لا يأكل بنوا اسرائيل عرق النساء ورفع يعقوب عينه فلذا أخوه عيصو قد أقبل في أربمئة راجل فقدم أمام أهله فلما رأى أخاه العيص سجد له سبع مرات وكانت هذه نحيبهم في ذلك الزمان وكان مشروعا لهم كما سجلت الملائكة لآدم نحية له وكما سجد أخوه يوسف وأبواه له كما سيأتي فلما رآه العيص تقدم اليه وأحضنه وقبله وبكى ورض العيص عينيه ونظر الى النساء والصبيان قال من أين لك هؤلاء قال هؤلاء الذين وهب الله لبيدك فذنت الأمتان وبنوها فسيبوه ودنت لياوئوها فسيبوه وودنت راحيل وابنها يوسف فخرا سجداً له وعرض عليه أن يقبل هديته وألح عليه قبلها ورجع العيص فقدم أمامه ولحقه يعقوب بأهله وما معه من الأنعام والمواشي والبييد قاصدين جبال ساعير فلما مر بساحر اجتنى له بيتا ولوايته غلالا ثم مر على اورشليم قرية شخيم فنزل قبل القرية واشترى مزدعة شخيم بن جور بمائة فجة فغضب هناك فسطاطه وابتقى ثم مضى فسيما إيل إلى اسرائيل وأمره الله بناته ليستعلن له فيه * وهو بيت المقدس اليوم الذي جده بعد ذلك سليمان بن داود عليها

السلام وهو مكان الصخرة التي أعطاها بوضع الدهن عليها قبل ذلك كما ذكرنا أولاً
وذكر أهل الكتاب هنا قصة دينيا بنت يعقوب بنت ليا وما كان من أمرها مع شخيم بن جور
التي قهرها على نفسها وأدخلها منزله ثم خطبها عن أبيها وأخوتها هال إخوتها إلا أن تختنوا كلكم
فمنصاهركم وتصاهروا قاتلاً نصاهر قومًا غافلاً فأجابهم إلى ذلك واختنوا كلهم فلما كان اليوم الثالث
واشتد وجهم من ألم الختان مال عليهم بنوا يعقوب فقتلهم عن آخرهم وقتلوا شخيا وأبله جور فبيح
ما صنموه اليهم مضاعفاً إلى كثرهم وما كانوا يبدونه من أصنامهم فلهذا قتلهم بنوا يعقوب وأخذوا
أموالهم غنية *

ثم حلت راحيل فولدت غلاماً وهو بنيامين إلا أنها جهدت في طلقها به جهداً شديداً وماتت عتيبه
فلحقها يعقوب في أفرات وهي يت لحم وصنع يعقوب على قبرها حجراً وهي الحجارة المروقة بقبر راحيل
إلى اليوم * وكان أولاد يعقوب المذكور اثني عشر رجلاً فن ليا ورويل وشمعون ولاوى ويهوذا
وايساخ وزايلون ومن راحيل يوسف وبنيامين ومن أمة راحيل دان وغثلي
ومن أمقليا حاد واشير عليهم السلام وجاء يعقوب إلى أبيه اسحاق فقام عنده
بقرة جبرون التي في أرض كمان حيث كان يسكن إبراهيم ثم مرض
اسحاق ومات عن مائة وثمانين سنة ودفنه ابنه العيص ويعقوب
مع أبيه إبراهيم الخليل في المغارة التي اشتراها كما قلنا

ذكر ما وقع من الأمور العجيبة في حياة اسرائيل

فمن ذلك قصة يوسف بن راحيل وقد أنزل الله عز وجل في شأنه وما كان من أمره سورة من
القرآن العظيم ليتدبر ما فيها من الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
(بسم الله الرحمن الرحيم التي آتت الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . نحن
قصص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن النافلين) قد تكلمنا
على الحروف المقطعة في أول تفسير سورة البقرة فن أراد تحقيقه فلينظره ثم * وتكلمنا على هذه
السورة مستقصى في موضعها من التفسير ونحن نذكر هنا نبأً عما هناك على وجه الاختصار والنباهة *
وجملة القول في هذا المقام أنه تعالى يمدح كتابه العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم
بليان عربي فصيح بين واضح جلي يفهمه كل عاقل ذي ذكي فهو أشرف كتاب تزل من السماء أنزله
أشرف الملائكة على أشرف الملائكة في أشرف زمان ومكان . بأفصح لغة وأظهر بيان . فإن كان السياق
في الأخبار الماضية أو الآتية ذكر أحسنها وأجملها وأظهر الحق مما اخلف الناس فيه ودمغ الباطل وزينه

ورده وإن كان في الأوامر والنواهي فاعمل الشرائع وأوضح المناهج وأبين حكا وأعدل حكا فهو كما قال تعالى (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا) . يعني صدقا في الأخبار عدلا في الأوامر والنواهي ولهذا قال تعالى (نحن همص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) أي بالنسبة إلما أوحى إليك فيه كما قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) . وقال تعالى (كذلك همص عليك من أنباء ما قد سبق . وقد آتيناك من لدنا ذكرا . من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حلالا) . يعني من أعرض عن هذا القرآن واتبع غيره من الكتب فإنه يناله هذا العيد كما قال في الحديث المروى في المسند والترمذي عن أمير المؤمنين علي مرفوعا وموقوفا (من اجتنب الهدى في غيره أضله الله) . وقال الامام أحمد حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشام أن أبانا خالد بن الشهي عن جابر (أن عربن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب قرأه على النبي ﷺ قال فضرب وقال أتتوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده قد جئتكم بها يضاهية لا تسألونم عن شيء فيخبرونكم بحق فكذبونه أو ياطل فتصدقونه والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعته إلا أن يتبعني) استاذ صحيح . ورواه أحمد من وجه آخر عن عمرو فيه قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضلتم) إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين) وقد أوردت طرق هذا الحديث وألفاظه في أول سورة يوسف . وفي بعضها أن رسول الله ﷺ خطب الناس قال في خطبته (أيها الناس إني قد أتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصارا وقد آتيتكم بها يضاهية فلا تهوكونا ولا يفرنكم التهوكون . ثم أمر بتلك الصحيفة فحيت خرفا حرقا) اذ قال يوسف لا يسه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين . قال يافى لا تهمص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين . وكذلك يجتبيك ربك ويملك من تأويل الأحاديث ويتم فستة عليك وعلى آل يعقوب كما أنما على أوليك من قبل إبراهيم واسحق إن ربك عليم حكيم) قد قدعنا أن يعقوب كان له من البين اثنا عشر ولما ذكرنا وسينام واليهام تنسب أسباط بني إسرائيل كلهم وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عليه السلام وقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لم يكن منهم نبي غيره وبقي أخوته لم يوح إليهم . وظاهر ما ذكر من ضلالم ومقالم في هذه القصة يدل على هذا القول * ومن استدلل على قوتهم قوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلنا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب) واستدل على أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوى

لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء والله أعلم *

وما يزيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه نص على واحد من إخوته سواء فعل على ما ذكرته ويستأنس لهذا بما قال الأمام أحد (حدثنا) عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عمر أن رسول الله ﷺ قال الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم « اخبرد به البخاري » فرواه عن عبد الله ابن محمد وعبدية عن عبد الصمد بن عبد الوارث به * وقد ذكرنا طرقة في قصة ابراهيم بما أغنى عن اعادته هنا والله الحمد والمنة * قال المنسرون وغيرهم رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحلم كأن (أحد عشر كوكبا) وهم إشارة الى بقية إخوته (والشمس والقمر) وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له فهال ذلك فلما استيقظ قصها على أبيه فزف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة بحيث ينضج له أبواه وإخوته فيها فأمره بكتانها وأن لا يقصها على إخوته كيلا يحسدوه ويغفوا له التوائل ويكيدوه بأشواع الخيل والمكر وهذا يدل على ما ذكرته * ولهذا جاء في بعض الآثار (استمينا على قضاء حوائجكم بكتانها) فان كل ذي فمة محسود * وعند أهل الكتاب أنه قصها على أبيه وإخوته مما هو غلط منهم (وكذلك يجتبيك ربك) أي وكأراك هذه الرؤيا العظيمة فإذا كتبتها (يجتبيك ربك) أي يخلصك بأشواع اللطف والرحمة (ويملك من تأويل الأحاديث) أي يفهمك من معاني الكلام وتبصير المنام مالا يفهمه غيرك (ويتم فستة عليك) أي يلوحي اليك (وعلى أكل يعقوب) أي يبيك ويحصل لهم بك خير الدنيا والآخرة (كما أنما على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) أي ينعم عليك ويحسن اليك بالنبوة كما أعطاهما أبك يعقوب وجك اسحق ووالد جلك ابراهيم الخليل (إن ربك عليم حكيم) كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) *

لهذا قال رسول الله ﷺ لما سئل أي الناس أكرم قال (يوسف بنى الله ابن نبي الله بنى الله ابن خليل الله) وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما وأبو يعلى والبزار في مسنديهما من حديث الحكم بن ظهير وقد ضعفه الأئمة عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال (أتى النبي ﷺ رجل من اليهود يقال له بستانة اليهودي فقال يلحد أخيرني عن النكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة لما أسأها. قال فسكت النبي ﷺ فلم يجبه بشئ وتزل جبريل عليه السلام بلسانها قال فبث اليه رسول الله ﷺ قال هل أنت مؤمن إن أخبرتك بلسانها قال نعم قال هي جريان (١) والطارق. والليل وقو الكتفان. وقابس. ووثب. وعردان (٢) والقيلق. والمعصب. والضروح. وذو النرع.

(١) في نسخة حرمان (٢) وفي نسخة عمودان



والضياء . والنور) قال اليهودى أى والله إنها لاسلواها . وعند أبى يعلى فلما قصها على أبيه قال هذا أمر مشئت بجمعه الله والشمس أبوه والشمس أمه . (لقد كنن فى يوسف وإخوته آيات للسائلين . اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبنا منا ونحن عصبة إن أبانا لى ضلال مبين . اتكلوا يوسف أو اطروه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بده قوما صالحين . قال قائل منهم لا تفتلوا يوسف وأخوته فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)

فيه تعالى على معنى هذه القصة من الآيات والحكم والدلالات والمواعظ والبيّنات . ثم ذكر حسد إخوة يوسف له على محبة أبيه له ولأخيه يئنون شقيقه لأئمه بيايين أكثر منهم وهم عصبة أى جماعة يقولون فكنا نحن أحق بالمحبة من هذين (إن أبانا لى ضلال مبين) أى بتدبيره جهماعليناه ثم اشتدوا فبها يئهم فى قتل يوسف أو إبعاده الى أرض لا يرجع منها ليخلو لهم وجه أبيهم أى لتتمحض محبته لهم وتتوفر عليهم وأضروا التوبة بد ذلك فلما تمالؤا على ذلك وتوافقوا عليه (قال قائل منهم) قال مجاهد هو شمعون • وقال السدى هو يهوذا • وقال قتادة ومحمد بن اسحق هو أكبرهم روييل (لا تفتلوا يوسف وأخوته فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) أى المارة من المسافرين (ان كنتم فاعلين) ما تفتلون لاحالة فليكن هذا الذى أقول لكم فهو أقرب حالا من قتله أو غيبه وتقريره فاجموا رأيهم على هذا فعند ذلك (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون . قال إني ليعزنى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا اذا لخاسرون) طلبوا من أبيهم أن يرسل معهم أخاهم يوسف وأظهروا له أنهم يريدون أن يرعى معهم وأن يلعب وينشط وقد أضروا له ما الله به عليم فاجابهم الشيخ عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم . يابنى يشق على أن أظرفه ساعة من النهار ومع هذا أخشى أن تشتتوا فى لبكم وما أنتم فيه فياى الذئب فيا كلة ولا يقدر على دفعه عنه لصتره وغشاكم عنه . (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا اذا لخاسرون) أى لئن عدا عليه الذئب فأ كلة من يئتنا أو اشتغلنا عنه حتى وقع هذا ونحن جماعة إنا اذا لخاسرون أى عاجزون هالكون .

وعند أهل الكتاب أنه أرسله وراهم يقيمهم فضل عن الطريق حتى أرشده رجل اليهم . وهذا أيضا من غلظهم وخطئهم فى التعريب فان يعقوب عليه السلام كن أحرص عليه من أن ييمته معهم فكيف ييمته وحده (فلما ذهبوا به واجموا ان يجلوه فى غيابة الجب وأوحيا اليه لنبتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاهوا أبيهم حياء يكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأ كلة الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاهوا على قبضه بهم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل . والله المستعان على ما تصفون) لم يزالوا بأبيهم حتى يئنه معهم فاككن الآن غابوا عن

عينه فجعلوا يشتمونه ويهتفون بالفضال والمقاتل واجمرا على القائه في غياث الجب أى في قعره على راعوفه
وحى الصخرة التى تتكون في وسطه يقف عليها المائح وهو الذى ينزل ليلى الدلاء إذا قل الماء والذى
يرضها بالجليل يسمى المائح فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه أنه لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة
التي أنت فيها ولتخبرن أخوتك بصنيعهم هذا في حال أنت فيها عزيزهم محتاجون إليك خائفون منك
وهم لا يشرون .

قال مجاهد وقتادة وهم لا يشرون بإيحاء الله إليه ذلك * وعن ابن عباس وهم لا يشرون أى لتخبرنهم
بأمرهم هذا في حال لا يعرفونك فيها * رواه ابن جرير عنه * فلما وضوه فيه ورجعوا عنه أخذوا قيصه
فطخلوه بشئ من دم ورجعوا إلى أبيهم عشاء وهم يكونون أى على أخيمهم . ولهذا قال بعض السلف لا يترك
بكاء المتظلم قرب ظالم وهو باك وذكر بكاء إخوة يوسف وقد جاءوا إليهم عشاء فيكونون أى في ظلمة الليل
ليكون أمشي لغيرهم لا لمفرم (قلوا يا أبانا إنا ذهبنا نستيق وتركنا يوسف عند متاعنا) أى ثيابنا (فأكله
الذئب) أى في غيبتنا عنه في استباقنا وقولهم (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) أى وما أنت بمصدق
لنا في الذى أخبرتك من أكل الذئب له ولو كنا غير متهمين عندك فكيف وأنت تتهمتنا في هذا فانك
خشيت أن يأكله الذئب وضمانك أن لا يأكله لكثرتنا حوله فصرنا غير مصدقين عندك فمذخور
أنت في عدم تصديقك لنا والحالة هذه . (وجازوا على قيصه بدم كذب) أى مكذوب مقتل لأهم
عدوا إلى سخله ذبحوها فخذوا من دمه فوضوه على قيصه ليومروا أنه أكل الذئب قالوا ونسوا أن
يخزقوه وآفة الكذب النسيان * ولما ظهرت عليهم علام الريلم يرج صنيعهم على أبيهم فانه كان بينهم
عداوتهم له وحسداه إياه على محبته له من بينهم أكثر منهم لما كان يتوسم فيه من الجلالة والمهابة التى
كانت عليه في صفره لما يريد الله أن ينصه به من نبوته * ولما راودوه عن أخذه فبمجرد ما أخذوه أهدموه
وغيبوه عن عينه جازا وهم يتباكون وعلى ما تمالوا عليه يتواطئون ولهذا (قال بل سولت لكم أنفسهم
أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

وعند أهل الكتاب أن دويل أشار بوضعه في الجب ليأخذه من حيث لا يشرون ويرده إلى أبيه
فخافوه وباعوه لتلك القافلة . فلما جاء دويل من آخر النار ليخرج يوسف لم يجدده فصاح وشق ثيابه
وعند أولئك إلى جلى قلبه وعللوا من دمه جية يوسف . فلما علم يعقوب شق ثيابه ولبس مئزرا
أسود وحزن على إبنه أيلما كثيرة . وهذه الزكاة جاءت من خبطهم في التعبير والتصوير . (وجاءت
سيارة فارسوا واردهم فلقى دلو . قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون .
وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكأوا فيه من الزاهدين . وقال الذى اشتراه من مصر لاسرائه
أكرهى مثواه عسى أن ينضنا أو نخذه ولما . وكذلك مكث ليوسف في الأرض ولعله من تأويل

الاحاديث . والله غاب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتياه حكما وعلمًا وكذلك يخبر تعالى عن قصة يوسف حين وضع في الجب أنه جلس ينتظر فرج الله ولطفه به فجاءت سيادة أي مسافرون *

قال أهل الكتاب كانت بضاعتهم من القسق والصنوبر والبطم قاصدين ديار مصر من الشام فأسلوا بعضهم ليستقوا من ذلك البئر فلما أدلى أحدهم دلوه تعلق فيه يوسف فلما رآه ذلك الرجل (قال يا بشرى) أي يا بشرى (هذا غلام واسروه بضاعة) أي أوهموا أنه معهم غلام من جملة متجرهم (والله عليم بما يعملون) أي هو عالم بما تمالأ عليه أخوته وبما يسره وإجدوه من أنه بضاعة لهم ومع هذا لا يزيده تعالى لئلا في ذلك من الحكمة العظيمة والقدر السابق والرحمة بأهل مصر بما يجرى الله على يدي هذا الغلام الذي يدخلها في صورة أسير رقيق ثم يبد هذا بملك أئمة الأمور ويتنعم الله به في دنياه وأخراهم بما لا يحد ولا يوصف . ولما استشر إخوة يوسف بأخذ السيارة له لحقوهم وقالوا هذا غلامنا أتى منا فاشتروه منهم * بشئ يخص أي قليل نزر وقيل هو الزيف (دراهم مدودة وكثاوا فيه من الزاهدن) . قال ابن مسعود وابن عباس ونوف البكالى والسدى وقادة وعطية العوفى باعوه بشرين درهما اقتسموها درهمين درهمين . وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما . وقال عكرمة ومحمد ابن اسحق أربعمائة درهما فله أعلم (وقال الذي اشتراه من مصر لاسرائة اكرى مثواه) أي أحسن اليه (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) وهذا من لطف الله به ورحمته وإحسانه اليه بما يريد أن يؤهله له ويعطيه من خيرى الدنيا والآخرة . قالوا وكان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو الوزير بها الذي انخرأ من مسلة اليه * قال ابن اسحق واسمه الطفي (١) بن روح بن قحطيل قال وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد رجل من المالقي قال واسم امرأة العزيز راعيل بنت رعايل (٢) . وقال غيره كان اسمها زليخا والظاهر أنه لقبها . وقيل فسكا بنت ينوس رواه الثعلبي عن ابى هشام (٣) الرافعي . وقال محمد بن اسحق عن محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس كان اسم الذي باعه بمصر يعنى الذي جلبه اليها مالك بن ذعر بن نوب بن عتقا (٤) بن مديان بن ابراهيم فله أعلم .

وقال ابن اسحق عن أبى عبيدة عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر حين قال لاسرائة اكرى مثواه والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

ثم قيل اشتراه العزيز بشرين دينار . وقيل بوزنه مسكا ووزنه حبرا ووزنه ورقا . فله أعلم وقوله (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أي وكأقيضنا هذا العزيز واسرائة يحسانان اليه ويمتنيان

(١) في نسخة قطير (٢) في نسخة رعايل (٣) في نسخة ابن هشام (٤) في نسخة بن عتقا

به مكنه له في أرض مصر (ولتلمه من تأويل الاحاديث) أى قهها . وتغير الزمان ذلك (والله غالب على أمره) أى اذا أراد شيئا قاته يقض له أسبابا وامورا لا يستند اليها العباد ولهذا قال تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيته حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) . فدل على أن هذا كله كان وهو قبل بلوغ الأشد . وهو حد الأربعين الذى يوحى الله فيه الى عبادہ البتة عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين .

وقد اختلفوا في مدة العمر الذى هو بلوغ الأشد فقال مالك وريمة وزيد بن أسلم والشعبي هو الحلم . وقال سعيد بن جبير ثمانى عشرة سنة . وقال الضحاك عشرون سنة وقال عكرمة خمس وعشرون سنة . وقال السدى ثلاثون سنة . وقال ابن عباس ومجاهد وقادة ثلاث وثلاثون سنة . وقال الحسن أربعون سنة . ويشهد له قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة . (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب . وقالت هيت لك قال ماذا الله إله ربى أحسن ثوابا إله لا يخلق الظالمون . ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إله من عبادنا الخالصين واستبقا الباب وقتت قميصه من دبر وألغيا سيدها لئلا يلبس الباب قالت ما جزاء من أراد بهلك سوا إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال إله من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين) . يذكر تعالى ما كان من مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه مالا يلقى بحاله ومقامه وهى فى غاية الجمال والمال والمنصب والشباب وكيف غلقت الابواب عليها وعليه وتهايت له وتصنعت وليست أحسن ثيابها وأخف لباسها وهى مع هذا كله امرأة الوزير * قال ابن اسحق وبنت أخت الملك (١) الرمان بن الوليد صاحب مصر . وهذا كله مع أن يوسف عليه السلام شاب بديع الجمال والبهاء إلا أنه نبى من سلاله الانبياء فصصه ربه عن الفحشاء . وحماه عن مكر النساء . فهو سيد السادة النجباء السبعة الاحياء . المذكورين فى الصحيحين عن خاتم الانبياء . فى قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماء (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . ورجل معلق قلبه بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا فى الله إجمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل تصدق بصدقة فأخضاها حتى لا تقبل شاله ماتتفق بينه وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) والمقصود أنها دعه اليها وحرصت على ذلك أشد الحرص فقال (ماذا الله إله ربى) معنى زوجها

صاحب المنزل سيدى (أحسن مشواى) أى أحسن الى وأكرم مقامى عنده (إنه لا يطلع الظالمون) وقد تكلمنا على قوله (وقد حمت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) بما فيه كفاية ومقنع فى التصير وأكثر أقوال المفسرين ههنا متلقى من كتب أهل الكتاب فالاعراض عنه أولى بنا * والذى يجب أن يقتد أن الله تعالى عصمه وبرأه وتزهره عن الفاحشة وحماه عنها وصاته منها * ولهذا قال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين . واستبقا الباب) أى هرب منها طالباً الى الباب ليخرج منه فراحاً منها فاقبته فى أثره (والفيا) أى وجداً (سيدها) أى زوجها لدى الباب فبدرته بالكلام وحرضته عليه (قالت ملجأ من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب اليم) . أهتته وهى المثمة وبرأت عرضها وتزهرت ساحها فلهذا قال يوسف عليه السلام (هى راودتنى عن نفسى) إحتاج الى أن يقول الحق عند الحاجة (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان صغيراً فى المهد قاله ابن عباس * وروى عن أبى هريرة وهلال بن يساف والحسن البصرى وسعيد بن جبير والضحاك واختاره ابن جرير . وروى فيه حديثاً صرفوا عن ابن عباس ووقفه غيره عنه * وقيل كان رجلاً قريباً الى أنفجر بملها . وقيل قريباً اليها * ومن قال إنه كان رجلاً ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقادة والسدى ومحمد بن اسحاق وزيد بن أسلم قال (إن كان قبيصة قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) أى لأنه يكون قد راودها فادفنته حتى قتلت مقدم قبيصة (وإن كان قبيصة قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) أى لأنه يكون قد هرب منها فاقبته وتملقت فيه فأنشيت قبيصة لذلك وكذلك كان . ولهذا قال تعالى (فلما رأى قبيصة قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) أى هذا الذى جرى من مكركن أنت راودته عن نفسه * ثم أهتته بإبطل ثم ضرب بملها عن هذا صفحاً قال (يوسف أعرض عن هذا) أى لا تذكره لأحد لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن وأمرها بالاستغفار لذنبها الذى صدر منها والثبوت الى ربها فإن البعد اذا قلب الى الله قلب الله عليه . وأهل مصر وإن كانوا يبدون الأصنام إلا أنهم يملكون أن الذى يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له فى ذلك * ولهذا قال لما بملها وعندها من بضع الوجه لأنها رأت ما لا يصبر لها على مثله إلا أنه عفيف تز به برى العرض سليم الناحية قال (استغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين . وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها فى ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتلت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن . فلما رأينه أكبرهن وقطعن أيديهن وقأن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . قالت فقلن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يقل ما أمره ليمسجن وليكونن من الصاغرين . قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه إلا أن تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين . فاستجاب

له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) * يذكر تعالى ما كان من قبل فناء المدينة من فناء
الأمراء وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز وعيها والتشجيع عليها في مراودتها فاعاها وجها
الشديد له تعين وهو لا يساوى هذا لأنه مولى من الموالى وليس مثله أهلا لهذا ولهذا قلن (إننا لغراها في
ضلال مبين) أى في وضعها الشيء في غير محله (فلما سمعت بمكرهن) أى بتشجيعهن عليها والتقصص لها والاشارة
إليها باليبس والمنفعة يحب مولاهما وعشق فاعاها فظهرن ذما وهى مذدورة في نفس الامر فلهذا أحببت
أن تبسط عندها عندهن وتبين أن هذا الفتى ليس كما حسين ولا من قبيل مالهين . فوسلت اليهن
فجسمتهن في منزلها . واعتدت لمن ضيافة مثلهن وأحضرت في جملة ذلك شيئا مما يقطع بالسكاكين
كالأترج ونحوه وأتت كل واحدة منهن سكيناً وكانت قد هيأت يوسف عليه السلام وألبسته أحسن الثياب
وهو في غاية طراوة الشباب وأمرته بالخروج عليهن بهذه الحالة . فخرج وهو أحسن من البدر لآعالة
(فلما رأيته أكبره) أى اعظمته وأجلته وهبته وملكته أن يكون مثل هذا في بنى آدم وبهرهن حسنة
حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يحوزن في إيهين ذلك السكاكين ولا يشرن بلجراح (وقلن حاش
لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) . وقد جاء في حديث الاسراء (فررت يوسف وإذا هو قد
أعطى شطر الحسن)

قال السهيلي وغيره من الائمة مناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام لأن الله تعالى
خلق آدم بيده وفتح فيه من روحه فكان في غاية نهايات الحسن البشرى ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة
على طول آدم وحسنه ويوسف كان على النصف من حسن آدم ولم يكن بينهما أحسن منهما كما أنه لم تكن
أنى بمد حواء أشبه بها من سارة امرأة الخليل عليه السلام .

قال ابن مسعود وكان وجه يوسف مثل البرق وكان إذا أمته امرأة ملحة غطى وجهه * وقال غيره
كان في الذائب مبرقاً تظايراه الناس ولهذا لما قام عند امرأة العزيز في محبتها لهذا الفتى المذكور
وجرى لمن وعليهن ماجرى من قطع ليهين بجراح السكاكين وما ركبن من المهابة والهش عند
رويته ومما يته (قالت فذلك الذى لمتنى فيه) ثم مدحته بالصبغة التامة قالت (ولقد راودته عن نفسه
فاستمصم) أى امتنع (ولئن لم يضل ما أمره ليهين وليكونن من الصاغرين) وكان بقية النساء حرصه
على السمع والطاعة لسيده فابى أشد الإباء . وتأتى لاه من سلامة الأبناء ودعا فقال في دعائه لرب العالمين
(رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين)
يعنى إن وكلتنى الى نفسى فليس لى من نفسى إلا العجز والضعف ولا أملك لنفسى قضاء ولا ضراً إلا
ما شاء الله فانا ضعيف الا ما توقتى وعصمتنى وحفظتنى وحطتنى بمحلك وقوتك ولهذا قال تعالى
(فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) ثم بدأهم من بد ما رأوا الآيات ليسجننه

حتى حين . ودخل معه السجن فيان . قال أحدهما إنى أراى أعصر خرا . وقال الآخر إنى أراى أحل
فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبشنا بتأويله إنا نراك من المحسنين . قال لا يأتىك طعام ترزقه إلا
بأتىك بتأويله قبل أن يأتىك ذلك كما علفى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم
كافرون . وابتعت ملة آباى إبراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من
فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . ياصاحى السجن أأرلب متفرقون
خير أم الله الواحد القهار . ما يقبلون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان
إن الحكم إلا لله أسرأن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ياصاحى
السجن أما أحذكما فيسقى ربه خرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه
تستغنيان .) . يذكر تعالى عن العزيز وإسرأته أنهم يدا لهم أى ظهر لهم من الرأى بعد ما علموا براة
يوسف أن يسجنوه الى وقت ليكون ذلك أقل لكلام الناس فى تلك القضية وأخذ لأمرها وليظروا
أنه راودها عن نفسها فجبن بسببها فسجنوه ظلمة وعدوانا . وكان هذا مما قدر الله له ومن جملة ما عاصه
به فانه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم * ومن ههنا استنبط بعض الصوفية ما حكاه عنهم الشافعى
أن من العصة أن لا تعبد قال الله (ودخل معه السجن فيان) قيل كان أحدهما ساقى الملك واسمه فيا
قيل بنو . والآخر خيازه معنى الذى يلى طعامه وهو الذى يقول له الترك (الجاشنكير) واسمه فيا قيل
بجئت كان الملك قد اتهمهما فى بعض الأمور فسجنهما . فلما رأيا يوسف فى السجن أعجبا سمته وهديه
ودله وطريقته وقوله وفضله وكثرة عبادته ربه واحسانه الى خلقه فرأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه *
قال أهل التفسير رأيا فى ليلة واحدة * أما الساقى فرأى كأن ثلاث قصبان من حبلته وقد أورقت
وأبنت عناقيد النعب فاخصرها فى كأس الملك وسقاه * ورأى الخباز على رأسه ثلاث سلال
من خبز وضراى الطيور تأكل من السلال الاعلى قصصاها عليه وطلبا منه أن يبرها لما وقال (إنا
نراك من المحسنين) فخيرها أنه علم بصبرها خير بلورها (قال لا يأتىك طعام ترزقه إلا بأتىك بتأويله
قبل أن يأتىك) . قيل معناه معارفا من حلم قالى عبره لك قبل وقوعه فيكون كما أقول . وقيل معناه
إنى أخبركما بما يأتىكما من الطعام قبل مجيئه حلوا أو حامضا كما قال عيسى (وانبيكم بما تأكلون وما
تدخرون فى بيوتكم) وقال لما إن هذا من تعليم الله إلهى لآتى مؤمن به موحد له متبع ملة آباى الكرام إبراهيم
للليل واسحاق ويعقوب (ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا) أى بأن هداانا
لهذا (وعلى الناس) أى بأن أسرنا أن ندعوم اليه ونرشدهم ونعلمهم عليه وهو فى فطرهم مركز وفى
جبلهم مفروز (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) * ثم دعاهم الى التوحيد . وضم عبادة ما سوى الله عز
وجل وصغر أمر الآلات وحقرها وضمف أمرها فقال (ياصاحى السجن أأرلب متفرقون خير أم الله

الواحد القهار ما يقبلون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله) أي هو المتصرف في خلقه فقال لما يريد الذي يهلى من يشاء ويضل من يشاء (أمر أن لا تعبدوا إلا إياه) أي وحده لا شريك له و (ذلك الدين القيم) أي المستقيم والصراط القويم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فهم لا يهتدون اليه مع وضوحه وظهوره وكانت دعوته لها في هذه الحال في غية السكال لأن نفوسها مظلمة له منبهة على تلقى ما يقول بالقبول فناسب أن يدعوها إلى ما هو الأعلى لها مما سألا عنه وطلبا منه * ثم لما قام بما وجب عليه وارشده إلى ما أرشده إليه قال (يا صاحبي السجن أما أحدك فيسقى ربه خرا) قالوا وهو الساقى (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) قالوا وهو الخلباز (قضى الأمر الذي فيه تستثيان) أي وقع هذا لعمالة ووجب كونه على حالة ولهذا جاء في الحديث (الرؤيا على رجل طائر ما لم تغير فلذا عبرت وقت).

وقد روى عن بن مسعود ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (أنهما قالما نر شيئا) فقال لها (قضى الأمر الذي فيه تستثيان). وقال للذي علم أنه ناج منها اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين). يخبر تعالى أن يوسف عليه السلام قال للذي علم أنه ناج منها (وهو الساقى) (أذكرني عند ربك) يعني اذكر أمرى وما أنا فيه من السجن بخبر جرم عند الملك * وفي هذا دليل على جواز السعى في الأسباب * ولا ينافى ذلك التوكل على رب الأرباب. وقوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أي فأنسى الناجى منها الشيطان أن يذكر ما وصاه به يوسف عليه السلام * قاله مجاهد ومحمد بن اسحق وغير واحد وهو الصواب وهو منصوص أهل الكتاب (فلبث يوسف في السجن بضع سنين) (البضع ما بين الثلاث إلى التسع * وقيل إلى السبع * وقيل إلى الخمس * وقيل مائة من المشرة. حكاهما الثعلبي * ويقال بضع نسوة وبضعة رجال * ومنع الفراء استعمال البضع فيما دون المشر قال وإنما يقال نصف. وقال الله تعالى (فلبث في السجن بضع سنين) (وقال تعالى في بضع سنين) وهذا رد لقوله * قال الفراء ويقال بضعة عشر وبضعة وعشرون إلى التسعين ولا يقال بضع ومائة وبضع والف وخائف الجوهري فيما زاد على بضعة عشر ففتح أن يقال بضعة وعشرون إلى تسعين * وفي الصحيح (الايان بضع وستون) وفي رواية وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ومن قال إن الضير في قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائدا على يوسف فقد ضيف ما قاله وإن كان قد روى عن ابن عباس وعكرمة والحديث الذي رواه ابن جرير في هذا الموضع ضيف من كل وجه * فخره بإسناده إبراهيم بن يزيد الخولزي (١) المكي وهو متروك. ومرسل الحسن وقتادة لا يقبل ولا ههنا بطريق الأولى والأخرى والله أعلم.

فلما قول ابن حبان في صحيحه ذكر السبب الذي من أجله لبث يوسف في السجن مائتة أخبرنا الفضل بن الحباب الجمعي ثنا سعد بن مسرعة ثنا خالد بن عبد الله ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ رحم الله يوسف لولا السكسة التي قالوا اذ كرتي عند ربك مائتة في السجن مائتة ورحم الله لوطا أن كان ليأوى الى ركن شديد إذ قال قوموه لو أن لي بكم قوة أو لؤى الى ركن شديد قال فما بث الله نيا يده إلا في ثروة من قومه . فانه حديث منك من هذا الوجه ومحمد بن عمرو بن علقمة له اشياء يتفرد بها وفيها نكارة وهذه الغفلة من أنكرها وأشدها . والذي في الصحيحين يشهد بطلها والله أعلم . (وقال الملك إني أرى سبع قرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات . يا أيها الملأ أفرئني في رؤي إني كنتم للرؤيا مقبرون . قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين . وقال الذي نجا منها وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بأوليه فأرسلون . يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع قرات عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعل أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون . قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قطفتم لمن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يثاث الناس وفيه يمضون) هذا كان من جملة اسباب خروج يوسف عليه السلام من السجن على وجه الاحترام والاكرام وذلك أن ملك مصر وهو الزين بن الوليد بن ثروان بن اراشه (١) بن ثوران بن عمرو بن علقا بن لاوذ بن سام بن نوح رأى هذه الرؤيا . قال أهل الكتاب رأى كأنه على حافة نهر وكأنه قد خرج منه سبع قرات سمان فجعل يرمي في روضة هناك فخرجت سبع هزال ضفاف من ذلك التهر فرمى منهن ثم ملأن عطين فأكلتهن فاستيقظ مذعورا . ثم لم فرأى سبع سنبلات خضر في قصبة واحدة واذا سبع أخر دقات يابسات فأكلتهن فاستيقظ مذعورا . فلما قصها على ملته وقومه لم يكن فيهم من يحسن تفسيرها بل (قالوا أضغاث أحلام) أي أخطأ أحلام من الليل لعلها لتفسير لما ومع هذا فلا خيرة لنا بذلك ولهذا قالوا (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) فندد ذلك تذكر التاجي منها الذي وصاه يوسف بأن يذكره عند ربه نفسه الى حينه هذا . وذلك عن تقدير الله عز وجل وله الحكمة في ذلك فلما سمع رؤيا الملك ورأى عجز الناس عن تفسيرها تذكر أمر يوسف وما كان أوصاه به من التذكر . ولهذا قال تعالى (وقال الذي نجا منها وادكر) أي تذكر (بعد أمة) أي بعد مدة من الزمان وهو بضع سنين وقرأ بعضهم كما حكى عن ابن عباس وعكرمة والضحاك (وادكر بعد أمة) أي بعد نسيان وقرأها مجاهد (بعد أمة) بسكان الميم وهو النسيان أيضا يقال أمة الرجل يأمة أمها وأما إذا نسي قال الشاعر .

امهت وكنت لا أنسى حديثاً كذلك الشعر يزرى بالقول

قال لقومه والملك (أنا أنبئكم بأويله فأرسلون) أي فأرسلوني إلى يوسف فجاهه فقال (يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سنان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى بابسات لعل أرجع إلى الناس لعلهم يملكون) وعند أهل الكتاب أن الملك لما ذكره له السابق إستدعاه إلى حضرته وقص عليه ما رآه ففسره له وهذا غلط والصواب ما قصه الله في كتابه القرآن لا ما عربه هؤلاء الجهلة الذين من قراى وديان . فبذل يوسف عليه السلام ما عهده من العلم بلا تأخر ولا شرط ولا طلب انخروج سريعاً بل أجابهم إلى مسألتها وعبر لهم ما كان من مقام الملك الدال على وقوع سبع سنين من الخصب ويعقبها سبع جنب . (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه ينفث الناس) يعنى يأتيهم الفيض والخصب والرفاهية (وفيه يصرون) يعنى ما كانوا يصرونه من الاقصاب والاعتاب والزيتون والسهم وغيرها ضيرونهم . وعلى الخيل دلمهم وأرشدتهم إلى ما يمتدونه في حالتهم خصبهم وجدبهم وما يضلونهم من ادخار حبوب سقى الخصب في السبع الأول في سنبله الا ما يرصد ببب الأكل ومن تحليل البذر في سقى الجنب في السبع الثانية اذ الغالب على الفطن أنه لا يرد البذر من الحقل . وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأي والفهم .

(وقال الملك اثبتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطنن أيدين ان ربي يكيدهن علي . قال ما خطبك إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغييب وأن الله لا يهدي الكيد الخائنين * وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) . لما أحاط الملك علماً بكمال علم يوسف عليه الصلاة والسلام وتمام عقله ورأيه السديد وفهمه أمر بإحضاره إلى حضرته ليكون من جملة خاصته فلما جاءه الرسول بذلك أحب أن لا يخرج حتى يتبين لكل أحد أنه حبس ظلماً وعدواناً وأنه برئ الساحة مما نسبوه إليه بهتاناً (قال ارجع إلى ربك يعنى الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطنن أيدين ان ربي يكيدهن علي) قيل مناه إن سيدى العزيز يعلم برأى مما نسب إلى أى فر الملك فليأمن كيف كان امتناعاً الشديداً عند مرادتهن إلى وحسن لى على الأمر الذى ليس برشيد ولا سديد . فلما سئل عن ذلك أعرف بما وقع من الأمر وما كان منه من الأمر الحميد (وقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) فبذل ذلك (قالت امرأة العزيز) وهى زليخا (الآن حصحص الحق) أى ظهر وتبين ووضح والحق أحق أن يتبع (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) أى فيما يقوله من أنه برئ وأنه لم يراودنى وأنه حبس ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً . وقوله (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغييب وأن الله لا يهدي الكيد الخائنين) قيل إنه من كلام يوسف أى اتما

طلبت تحقيق هذا ليعلم العزيز أني لم أخنه بظهر الغيب . وقيل إنه من تمام كلام زليخا أي إنما اعترفت بهذا ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الامر وإنما كان مراده لم يقع معها فعل فحشة وهذا القول هو الذي نصره طائفة كثيرة من أئمة المتأخرين وغيرهم ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم سوى الاول . (وما أبري نفسي ان النفس لأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) قيل إنه من كلام يوسف وقيل من كلام زليخا وهو مفرع على القولين الاولين . وكونه من تمام كلام زليخا أظهر وأنسب وأقوى والله أعلم (وقال الملك اثتوني به أستخلصه لنفسي فلما كله قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلني على خزان الأرض أني حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين . ولأنجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) . لما ظهر للملك براءة عرضه وتزاهة ساحته عما كانوا أظهروا عنه مما نسبوه إليه (قال اثتوني به أستخلصه لنفسي) أي أجعله من خاصتي ومن أكابر دولتي ومن أعيان حاشيتي فلما كله وسمع مقالته وتبين حاله (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أي ذو مكانة وأمانة (قال اجعلني على خزان الأرض أني حفيظ عليم) طلب أن يوليه النظر فيما يتعلق بالأهراء لما يتوقع من حصول الخلل فيها بعد مضي سبع سنين انحصب لينظر فيها بما يرضى الله في خلقه من الاحياط لهم والرفق بهم وأخبر الملك إنه حفيظ أي قوى على حفظ ما لديه أمين عليه عليم بضبط الاشياء ومصالح الاهراء وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم من فضله الأمانة والكفاءة * وعند أهل الكتاب أن فرعون عظم يوسف عليه السلام جدا وسلطه على جميع أرض مصر وألبسه خاتمه وألبسه الحرير وطوقه الذهب وحمله على مركبة الثاقي ونوتى بين يديه أنت رب وسلط وقال له لست أعظم منك إلا بالكرسي . قالوا وكان يوسف إذ ذاك ابن ثلاثين سنة وزوجه امرأة عظيمة الشأن .

وحكى التلمبي أنه عزل قطيفي عن وظيفته وولاهها يوسف . وقيل إنه لما ماتت زوجته إمرأته زليخا فوجدتها عذراء لأن زوجها كان لا يأتي النساء فولت ليوسف عليه السلام رجلين وهما أفرام ومنشا قال واستوتق ليوسف ملك مصر وعمل فيهم بالعدل فأحببه الرجال والنساء .

وحكى أن يوسف كان يوم دخل على الملك عمره ثلاثين سنة وأن الملك خاطبه بسبعين لغة وكل ذلك يجاوبه بكل لغة منها فأحببه ذلك مع حداثة سنه فله أعلم * قال الله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء) أي بسد السجن والضيق والحصار صار مطلق الركاب بديار مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) أي أين شاء حل منها مكرماً محسوداً مظلماً (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) أي هذا كله من جزاء الله وثوابه للمؤمن مع ما يدخر له في آخرته من انفير الجزيل والثواب الجليل . ولهذا قال (ولأنجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) ويقال إن أخفري زوج

زليخا كان قد مات قولاه الملك مكله وزوجه إسرائيل زليخا فكان وزير صدق .

وذكر محمد بن اسحق أن صاحب مصر الوليد بن الربيع أسلم على يد يوسف عليه السلام فله
أعلم . وقد قال بعضهم

وراء مضيق الخوف مقع الأمن وأول مفروح به غاية الحزن
فلا تأسن بالله ملك يوسف خزانته بعد اخلاص من السجن

(وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فرغمهم وهم له منكرون . ولما جهزهم بمبازم قال امثوني بأخ
لكم من أيكم ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المتزين . فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تحربون . قالوا سغراود عنه أباه وإنا لناعلون . وقال لفتياته إجلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها
إذا اقبلوا الى أهلهم لعلهم يرجون) يخبر تعالى عن قدوم إخوة يوسف عليه السلام الى الديار المصرية
يتتارون طعنا وذلك بعد إتيان سقى الجلب وعموما على سائر البلاد والبلاد . وكان يوسف عليه السلام
اذ ذلك الحاكم في أمور الديار المصرية دينا ودنيا . فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه لأنهم لم يخطر
بألبهم ما صار اليه يوسف عليه السلام من المكانة والعظمة فلما عرفهم وهم له منكرون

وعند أهل الكتاب أنهم لما قدموا عليه سجدوا له فرغمهم وأراد أن لا يعرفوه فأغلق لهمي القول
وقال أقم جوايس جشم لتأخذوا خير بلادى . قالوا معاذ الله إنما جئنا بختار لقومنا من الجهد والجلوع
الذى أصابنا ونحن بنو أبواحمن كتمان ونحن اثنا عشر رجلا ذهب منا واحد وصغير فلعن أبونا فقال
لا بد أن أسلم أسركم * وعندهم أنه حبسهم ثلاثة أيام ثم أخرجهم وأحبس شمعون عنده ليأتوه بالأخ
الأخر . وفي بعض هذا اضطر . قال الله تعالى (فلما جهزهم بمبازم) أى أعطاهم من الميرة ما جرت به
عادته في إعطاء كل انسان حل بغير لا يزيد عليه (قال امثوني بأخ لكم من أيكم) وكان قد سلمهم عن
حالمهم وكهم قالوا كنا اثني عشر رجلا فذهب منا واحد وبقي شقيقه عند أبونا فقال اذا قلتم من
العام المقبل تأتوني به معكم (ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المتزين) أى قد أحسنت تركم
وقرا كم فرغمهم ليأتوه به ثم رهم إن لم يأتوه به قل (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا
تحربون) أى فلتس أعطيكم ميرة ولا أقربكم بالكلي عكس ما أسدى إليهم أولا فلتجهد في إحضاره معهم
ليل شوق منه بالترغيب والترهيب (قالوا سغراود عنه أباه) أى سنجهد في بحببته منا وإتيانه اليك
بكل ممكن (وإنا لناعلون) أى وإنا لنقدر على تحصيله . ثم أمر فتياه أن يضوا بضاعتهم وهم ماجازوا
به يتعوضون به عن الميرة في أمتعتهم من حيث لا يشعرون بها (لعلهم يعرفونها اذا اقبلوا الى أهلهم
لعلهم يرجون) قيل أراد أن يردوها اذا وجدوها في بلادهم . وقيل خشى أن لا يكون عندهم ما يرجون
به مرة ثانية . وقيل تمنع أن يأخذ منهم عوضا عن الميرة .

وقد اختلف المفسرون في بضاعتهم على أقوال سبأ ذكرها * وعند أهل الكتاب أنها كانت صررا من ورق وهو أشبه والله أعلم . (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكنل وإنا له حافظون . قال هل آمنكم عليه إلا كما أمتكم على أخيه من قبل فله خير حافظا وهو أرحم الراحمين . ولما ضحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم . قالوا يا أبانا ما نبني هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا وتزداد كيل بئر ذلك كيل يسير . قال لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم . فلما أتوه موثقتهم قال الله على ما قول وكيل . وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكمل المتكلمون . ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يفنى عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لقو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

يذكر تعالى ما كان من أمرهم بعد رجوعهم إلى أبيهم * وقولهم له (منع منا الكيل) أي بعد عامنا هذا أن لم ترسل معنا أخانا فلن أرسلته معنا لم يمنع منا (ولما ضحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبني) أي أي شيء نريد وقد ردت إلينا بضاعتنا (ونمير أهلنا) أي نتتار لهم ونأتيهم بما يصلحهم في ستمهم ومحلمهم (ونحفظ أخانا وتزداد) بسببه (كيل يسير) قال الله تعالى (ذلك كيل يسير) أي في مقابلة ضباب ولله الآخر وكان يعقوب عليه السلام أضن شيء بولده بنيامين لأنه كان يشم فيه رائحة أخيه ويتسل به عنه ويتعوض بيبه منه فلذا قال (لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم) أي إلا أن تطلبوا كلكم عن الاتيان به (فلما أتوه موثقتهم قال الله على ما قول وكيل) أكد المواقف وقرر المهود واحتاط لنفسه في ولده ولن يفنى حذر من قدر . ولولا حاجته وحاجة قومه إلى الميرة لما بث الولد العزيز ولكن الأقدار لما أحكام والرب تعالى يقدر ما يشاء ويختار ما يريد ويحكم ما يشاء وهو الحكيم العليم . ثم أمرهم أن لا يدخلوا المدينة من باب واحد ولكن ليدخلوا من أبواب متفرقة . قيل أراد أن لا يصيبهم أحد بالعين وذلك لأنهم كانوا أشكالا حسنة وصورا بديعة قاله ابن عباس وبجاده ومحمد بن كعب وقادة والسدى والضحاك * وقيل أراد أن يتفرقوا لعلهم يجلدون خيرا ليوسف أو يحدثون عنه بائرا . قاله إبراهيم النخعي . والأول أظهر ولهذا قال (وما أغنى عنكم من الله من شيء) وقال تعالى (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يفنى عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لقو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وعند أهل الكتاب أنه بث معهم هدية إلى العزيز من الفستق واللوز والصنوبر والبطم والصل وأخذوا الدرام الأولى وعوضا آخر (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتسح بما آتواكم يصلون . فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذون أبيها العبر إنكم

لسارقون. قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تتقدمون. قالوا تقدم صواع الملك ولن جاء به حل بغير وأنا بزعيم.
قالوا والله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين. قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا
جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين. فبدأ بأوصيتهم قبل وعاء أخيه ثم
استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نزع
درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم. قالوا إن يسرق قد سرق أخ له من قبل فأمرها يوسف
في نفسه ولم يدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون. قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا
فخذنا مكانه إنا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون
يذكر تعالى ما كان من أمرهم حين دخلوا بأخيهم بنيامين على شقيقه يوسف وأبرأه إليه وإخباره له
سرا عنهم بأنه أخوه وأمره بكنم ذلك عنهم وسلاهما كان منهم من الاساءة إليه ثم احتال على
أخذه منهم وتركه إياه عنده دونهم فأمر فتياه بوضع سقايته. وهي التي كان يشرب بها ويكيل بها الناس
الطعام عن غرة في متاع بنيامين. ثم أعلمهم بأنهم قد سرقوا صواع الملك وهدم جلالته على رده حل
بغير وضمنه المنادى لهم فقبلوا على من اتهمهم بذلك فأنبوه وهجنوه فبدأ الله لهم (قالوا والله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) يقولون أنتم تعلمون منا خلاف ما رمتونا به من السرقة
(قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين. قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين). وهذه
كانت شريرتهم أن السارق يدفع إلى المسروق منه ولهذا قالوا (كذلك نجزي الظالمين). قال الله تعالى
(فبدأ بأوصيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليكون ذلك أبعد لئلا يبلغ في الحيلة
ثم قال الله تعالى (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي لولا اعترافهم بأن
جزاءه من وجد في رحله فهو جزاؤه لما كان يقدر يوسف على أخذه منهم في سياسة ملك مصر (إلا أن
يشاء الله نزع درجات من نشاء) أي في العلم (وفوق كل ذي علم عليم) وذلك لأن يوسف كان أعلم
منهم وأتم رأيا وأقوى عزما وحزما وإنما فضل ما فضل عن أمر الله له في ذلك لأنه يترتب على هذا الأمر
مصلحة عظيمة بعد ذلك من قدوم أبيه وقومه عليه ووفودهم إليه فلما عاينوا استخراج الصواع من حل
بنيامين (قالوا إن يسرق قد سرق أخ له من قبل) يمتنون يوسف قيل كان قد سرق صنم جده أبي أمه
فكسره. وقيل كانت عنه قد عقلت عليه بين ثيابه وهو صغير منطقة كانت لاسحق ثم استخرجوها
من بين ثيابه وهو لا يشعر بما صنعت وإنما أردت أن يكون عندها وفي حضانتها لحيثها له. وقيل كان
يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء. وقيل غير ذلك فلهذا (قالوا إن يسرق قد سرق أخ له من
قبل فأمرها يوسف في نفسه) وهي كلمته يدها وقوله (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) أجابهم
سرا لاجرا حلما وكروما وصفوا وعنوا فدخلوا معه في الترقق والتلطف فقالوا (يا أيها العزيز إن له أبا

شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين قال ماذا الله أن تأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون) أي إن أطلقنا المهمل وأخذنا البري. هذا مالا غصه ولا نسمح به وإنما تأخذ من وجدنا متاعنا عنده .

وعند أهل الكتاب أن يوسف عرف اليهم حينئذ وهذا مما غلطوا فيه ولم يفهموه جدا (قلما استياسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . إرجعوا إلى أبيكم قولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا لنفتب حافظين . واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون . قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم . وتولى عنهم وقال يا أسنى على يوسف وأيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا لله تنؤن ذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون . يا بني إذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

يقول قتالي غيرا عنهم أنهم لما استياسوا من أخذه منه خلصوا يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم وهو روييل (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم) لقد أغلظتم عهده وفرطتم فيه كما فرطتم في أخيه يوسف من قبله فلم يبق لي وجه أقابله به (فلن أبرح الأرض) أي لا أزال مقبلا ههنا (حتى يأذن لي أبي) في القيد عليه (أو يحكم الله لي) بأن يقدرني على رد أخي إلى أبي (وهو خير الحاكمين . إرجعوا إلى أبيكم قولوا يا أبانا إن ابنك سرق) أي أخبروه بما رأيتم من الأمر في ظاهر المشاهدة (وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا لنفتب حافظين . واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) أي قلنا هذا الذي أخبرناك به من أخذهم أخانا لأنه سرق أمر اشهر بمصر وعلمه العير التي كنا نحن وهم هناك (وإنا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) أي ليس الأمر كما ذكرتم لم يسرق قاتل ليس سجيبة له ولا خقه وإنما سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل قال ابن اسحق وغيره لما كان التصريح منهم في بنيامين مترقبا على صميمهم في يوسف قال لهم ما قال وهذا كما قال بعض السلف إن من جزاء السيئة السيئة بدهائم قال (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) يعني يوسف وبنيامين وروييل (إنه هو العليم) أي بحالي وما أنا فيمن فراق الأحبة (الحكيم) فيما يقدره ويضله وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة (وتولى عنهم) أي أعرض عن بنيهم (وقال يا أسنى على يوسف) ذكره حزنه الجديد بلحزن القديم وحرك ما كان كلنا كما قال بعضهم .

قل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

وقال آخر

قد لافى عند القبور على البكا رفيق لتذراف السموع السواك
 قتال أتبكي كل قبر رأيت قبر ثوى بين الولى فالكلكل
 قتلت له إن الأسى يمت الأسى فدعنى فهذا كله قبر مالك

وقوله (وايضا عيناه من الحزن) أى من كثرة البكاء (فهو كظيم) أى مكظم من كثرة
 حزنه وأسفه وشوقه الى يوسف فلما رأى بنوه ما يقاسيه من الوجد وألم القراق (قالوا) له على وجه الرحمة
 له والرافة به والحرص عليه (قلته فتتو تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين)
 يقولون لا تزال تذكره حتى تحل جسدك وتضف قوتك فلو رقت بنفسك كان أولى بك (قال
 إنما أشكو بى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) يقول لبيه لست أشكو اليكم ولا الى أحد
 من الناس ما أنا فيه إنما أشكو الى الله عز وجل وأعلم أن الله سيحل لى ما أنا فيه فرجا ومخرجا وأعلم
 أن رؤيا يوسف لا بد أن تقع ولا بد أن أسجد له أنا وأنتم حسب ما رأى ولهذا قال (واعلم من الله مالا
 تعلمون) ثم قال لهم محرضا على طلب يوسف وأخيه وأن يبحثوا عن أمرهما. (يا بني اذهبوا فاحسبوا
 من يوسف وأخيه ولا تياسوا من روح الله أنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) أى لا
 تياسوا من الفرج بعد الشدة فانه لا يأس من روح الله وفرجه وما يقدره من المخرج فى الصايق إلا القوم
 الكافرون (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل
 وتصدق علينا إن الله يعجزى المتصدقين. قال هل علمتم ما قلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون. قالوا
 أنئك لآنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
 أجر المحسنين. قالوا قلته لقد آترك الله علينا وإن كنا لخاطئين. قال لا تعريب عليكم اليوم يغفر الله
 لكم وهو أرحم الراحمين. لذهبوا فميمضى هذا فأتوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوا بهلكم أجمعين)
 يغفر تعالى عن رجوع إخوة يوسف إليه وقدمهم عليه ورجبتهم فيا ليه من الميرة والصدقة عليهم
 برد أخيهم بيامين اليهم (فلما دخلوا عليه قتلوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) أى من الجلب وضيق
 الحال وكثرة اليسال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ضعيفة لا يقبل مثلها منا إلا أن يتجاوز عنا. قيل
 كانت دراهم رديئة. وقيل قليلة وقيل حب الصنوبر وحب البطم ونحو ذلك. وعن ابن عباس كانت
 خلق النرائر والحبال ونحو ذلك (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يعجزى المتصدقين) قيل
 قبولها قاله السدى. وقيل برد أخينا النينا قاله ابن جريج. وقال سفيان بن عيينة إنما حرمت الصدقة على
 نينا محمد صلى الله عليه وسلم وتزع بهذه الآية رواه ابن جرير. فلما رأى ما هم فيه من الحال وما جاؤا
 به بما لم يبق عندهم سواه من ضعيف المال عطف اليهم وعطف عليهم قائلا لهم عن أمر دبه وبرهم.

وقد حسر لهم عن جبينه الشريف وما يحويه من انزال فيه الذى يعرفون (هل علمت ما ضلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون . قالوا) وتجبوا كل العجب وقد ترددوا اليه صهارا عديدة وهم لا يعرفون أنه هو) أنك لا ت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) يعنى أنا يوسف الذى صنعت مع ما صنعتهم وسلفهم أسرهم فيه ما فرطتم وقوله (وهذا أخى) تأكيد لما قلنا وتنبه على ما كانوا أضروا لهم من الحسد وعملوا فى أسرهم من الاحتيال ولهذا قال (قد من الله علينا) أى بلحائه اليها وصدقته علينا وإيوائه لنا وشده معاقده عزنا وذلك بما أسلفنا من طاعة ربنا وصبرنا على ما كنتمكم اليها وطاعتنا وبرنا لأننا ومحبتنا الشديدة لنا وشقته علينا) لأنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا قلله لقد أترك الله علينا) أى فضلك وأعطاك ما لم نعطنا (وإن كنا غلامطين) . أى فى أسدينا اليك وهما نحن بين يديك (قال لا تثريب عليكم اليوم) أى لست أعاقبكم على ما كنتمكم بعد يومكم هذا ثم زادهم على ذلك فقال (اليوم ينفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .

ومن زعم أن الوقف على قوله لا تثريب عليكم وابتداء بقوله اليوم ينفر الله لكم قوله ضعيف والصحيح الاول . ثم أسرهم بأن يذهبوا بقميصه وهو الذى على جسده فيضوه على عيني أبيه فانه يرجع اليه بصره بعد ما كان ذهب بلن الله وهذا من خوارق العادات ودلائل النبوات وأكبر المعجزات * ثم أسرهم أن يتحولوا بأهلهم أجمعين الى ديار مصر الى انلير والهة وجمع الشلل بسد الفرة على أكل الوجوه وأعلى الأمور (فلما فصلت المير قال أبوم الى لأجد ريح يوسف لولا أن ننتنون . قالوا قلله إلك لنى ضلالك القديم . فلما أن جاء البشير القاه على وجهه فترد بصيرا . قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون . قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . قال سوف استغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم)

قال عبد الرزاق أنبأنا اسرائيل عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل سمعت ابن عباس يقول فلما فصلت المير قال لما خرجت المير حاجت ريح نجاة يعقوب بريح قيس يوسف (فقال لنى لأجد ريح يوسف لولا أن ننتنون) قال فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام . وكذا رواه الثورى وشعبة وغيرهم عن أبى سنان به . وقال الحسن البصرى وابن جرير المسكى كل منهما مسيرة ثمانية فرسا وكان له منذ فتره ثمانون سنة وقوله (لولا أن ننتنون) أى تحولون إنما قلت هذا من الفند وهو انلير وكبر السن . قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقادة ننتنون نمنون . وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون (قالوا قلله إلك لنى ضلالك القديم) قال قادة والسدى قالوا له كلمة غليظة . قال الله تعالى (فلما أن جاء البشير أقام على وجهه فترد بصيرا) أى بمجرد ما جاء أننى التميم على وجه يعقوب فرجع من فوره بصيرا بعد ما كان ضيرا وقال لنى عند ذلك (ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا

تلمون) أى أعلم أن الله سيجمع شملى يوسف وستقر عيني به وسيريقى فيه ومنه ما يسرى فند ذلك
 (قلوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين). طلبوا منه أن يستغفر لهم الله عز وجل عما كانوا فعلوا
 ونالوا منه ومن ابنه وما كانوا عزموا عليه. ولما كان من بينهم التوبة قبل الفضل وقهم الله للاستغفار عند
 وقوع ذلك منهم فأجابهم أبوم إلى ما سألوا ومأطيه عولوا قائلا (سوف استغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم).
 قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمر بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم إلى وقت السحر
 قال ابن جرير حدثنى أبو السائب حدثنا ابن إدريس سمعت عبد الرحمن بن سحوق يذكرك عن محارب
 ابن دثار قال كان عمر يأتى المسجد فسمع أناسا يقول (اللهم دعوتى فأجبت وأمرتنى فأطعت وهذا
 السحر فاغفر لى) قال فاستمع الصوت فلذا هو من دار عبد الله بن مسعود فقال عبد الله عن ذلك قال
 إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله (سوف أستغفر لكم ربى) وقد قال الله تعالى (والمستغفرين
 بالأسحار) وثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ قال (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول
 هل من تائب فأتوب عليه هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له) وقد ورد فى حديث (أن
 يعقوب أرجأ بنيه إلى ليلة الجمعة) قال ابن جرير حدثنى المنق. ثنا سليمان بن عبد الرحمن بن أيوب
 الششقي حدثنا الوليد أن أبا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ (سوف
 أستغفر لكم ربى) يقول حتى تأت ليلة الجمعة وهو قول أخى يعقوب لبنيه. وهذا غريب من هذا الوجه.
 وفى رده نظر والأشبه أن يكون موقوفا على ابن عباس رضى الله عنه. (فلما دخلوا على يوسف آوى
 إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين ورفض أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت
 هذا تأويل رؤيى من قبل قد جعلنا ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو
 من بد أن نزع الشيطان بينى وبين أخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم. رب قد آتيتنى
 من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفى
 مسلما والحقى بالصالحين)

هذا إخبار عن حال إجماع المتحايين بعد الفرة الطويلة التى قبل أنها ثمانون سنة وقيل ثلاث
 وثمانون سنة وهما روايتان عن الحسن. وقيل خمس وثلاثون سنة قاله قتادة. وقال محمد ابن اسحاق
 ذكروا أنه غاب عنه ثمانى عشرة سنة * قال وأهل الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة وظاهر
 سياق القصة يرشد إلى تحديد المدة تحريفاً لأن المرأة راودته وهو شاب ابن سبع عشرة سنة فيما قاله غير
 واحد فامتنع فكان فى السجن بضع سنين وحى سبع عند عكرمة وغيره. ثم أخرج فكانت سنوات
 انحبس السبع ثم لما عمل الناس فى السبع البواقي جاء إخوتهم يبتارون فى السنة الأولى وحدهم وفى
 الثانية ومعهم أخوه يقيامين. وفى الثالثة تعرف إليهم وأمرهم بإحضار أهلهم أجمعين فجاءوا كلهم (فلما دخلوا

عليه آوى اليه ابويه) اجتمع بهما خصوصا وحدهما دون إخوته (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين)
 قيل هذا من المقدم والمؤخر تقديره ادخلوا مصر وآوى اليه ابويه . وضفه ابن جرير وهو مذكور *
 قيل تقامها وآواها في منزل الخيام . ثم لما اقتربوا من بلب مصر (قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين)
 قاله السدى . ولو قيل ان الأمر لا يحتاج الى هذا ايضا وانه ضمن قوله ادخلوا معنى اسكنوا مصر
 أو اقيموا بها (ان شاء الله آمين) لكان محييا مليحا أيضا

وعند أهل الكتاب أن يعقوب لما وصل الى أرض جاشر وهي أرض بليس خرج يوسف لتلقيه
 وكان يعقوب قد بث ابنه يهوذا بين يديه مبشرا بقدومه وعندهم أن الملك أطلق لهم أرض جاشر يكونون
 فيها ويقيمون بها بنعمهم ومواسيهم * وقد ذكر جماعة من المفسرين أنه لما أوفى قدوم نبي الله يعقوب
 وهو اسرائيل أراد يوسف أن يخرج لتلقيه فركب معه الملك وجنوده خدمة ليوسف وتظفيا لنبي الله
 اسرائيل وأنه دعا للملك وأن الله رفع عن أهل مصر بقية سنى الجلب بيركة قدومه اليهم فأنه أعلم
 وكان جملة من قدم مع يعقوب من بنيه وأولادهم فيها قاله أبو اسحاق السبيعي عن ابى عبيدة عن ابن
 مسعود ثلاثة وستين انسا * وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد كانوا ثلاثة
 وثمانين انسا . وقال أبو اسحاق عن مسروق دخلوا وهم ثلثة وتسعون انسا . قالوا وخرجوا
 مع موسى وهم أزيد من سائة الف مقاتل * وفي نص أهل الكتاب أنهم كانوا سبعين نسا وسبعين *
 قال الله تعالى (ورضع أبوه على العرش) قيل كانت أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة . وقال بعض
 المفسرين فأحيها الله تعالى وقال آخرون بل كانت خالته ليا والخاله بمنزلة الأم . وقال ابن جرير وآخرون
 بل ظاهر القرآن يقتضى بقاء حياة أمه الى يومئذ فلا يمول على قتل أهل الكتاب فيها خالته وهذا أقوى والله
 أعلم . ورضعها على العرش أى اجلسها معه على سريرته (وخرأوا له سجدا) أى سجدوا له الابواب
 والاخوة الأحد عشر تظفيا وتكريما وكان هذا مشروعا لهم ولم يزل ذلك معمولاً به في سائر الشرائع
 حتى حرم في ملتنا . (وقال يا أبت هذا تأويل رؤيى من قبل) أى هذا تفسير ما كنت قصصته عليك
 من رؤيى الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر حين رأيهم لى ساجدين وأمرتنى بكنيتها ووعدتنى
 ما وعدتنى عند ذلك (قد جعلها لى حقا وقد أحسن لى إذ أخرجنى من السجن) أى بدأهم
 والضيق جعلنى حيا كما نفذ الكلمة فى الديار المصرية حيث شئت (وجاء بك من البدو) أى البادية
 وكانوا يسكنون أرض العرب من بلاد الخليل (من بعد أن ترغ الشيطان بينى وبين إخوتى) أى فيما
 كان منهم الى من الأمر الذى تقدم سبق ذكره * ثم قال (إن ربي لطيف لما يشاء) أى إذا أراد
 شيئا هيا أسبابه ويسرها وسهلها من وجوه لا يهتدى اليها العباد بل يقدرها ويسرها بلطيف صنعه وعظيم
 قدرته (إنه هو العليم) أى بجميع الأمور (الحكيم) فى خلقه وشرعه وقدره .

وعند أهل الكتاب أن يوسف باع أهل مصر وغيرهم من الطعام الذي كان تحت يده - بأموالهم كلها من الذهب والفضة والبقار والأثاث وما يملكونه كله حتى باعهم بأنفسهم فصاروا أرقاء * ثم أطلق لهم أراضهم وأعتق رقابهم على أن يملأوا ويكون خمس ما يشترون من زرعهم وثمارهم للملك فصارت سنة أهل مصر يده .

وحكى الثعلبي أنه كان لا يشيع في تلك السنين حتى لا ينسى الجيمان وأنه إنما كان يأكل أكلة واحدة فصيف النهار قال فن ثم اقتدى به الملوك في ذلك * قلت وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يشيع بطنه عام الرمادة حتى ذهب الجلب وأنى الخصب .

قال الشافعي قال رجل من الأعراب لسر بعد ما ذهب عام الرمادة (قد أنجيت عنك وإنك لابن حرة) . ثم لما رأى يوسف عليه السلام فمته قد تمت وشمله قد اجتمع عرف أن هذه الدار لا يقربها قرار وأن كل شيء فيها ومن عليها فان . وما بعد التمام إلا التقصان فشد ذلك أمتى على ربه بما هو أهله واعتزله بظلم إحسانه وفضله . وسأل منه وهو خير المسؤولين أن يتوفاه أى حين يتوفاه على الاسلام . وأن يلحقه بعباده الصالحين . وهكذا كما يقال في الدعاء (اللهم احبنا مسلمين وتوفنا مسلمين) أى حين تتوفانا ويحتمل أنه سأل ذلك عند احتضاره عليه السلام كما سأل النبي ﷺ عند احتضاره أن يرفع روحه الى الملا الأعلى والرفقاء الصالحين من النبيين والمرسلين كما قال (اللهم في الرفيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى)

ويحتمل أن يوسف عليه السلام سأل الوفاة على الاسلام منجراً في صحة يده وسلامته وأن ذلك كان سائفاً في ملتهم وشرعتهم كما روى عن ابن عباس أنه قال ماتني نبي قط الموت قبل يوسف . فأما في شريعتنا فقد نهى عن الدعاء بالموت إلا عند الفتن كما في حديث معاذ في الدعاء الذي رواه أحمد (وإذا أردت يقوم فته خوفنا اليك غير مقننين) وفي الحديث الآخر (ابن آدم الموت خير لك من الفتنة) وقالت مريم عليها السلام (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) وتوفي الموت على بن أبي طالب لما تناقضت الأمور وعظمت الفتن واشتد القتال وكثر القيل والقال وتوفي ذلك البخاري أبو عبد الله صاحب الصحيح لما اشتد عليه الحال ولقي من مخالفته الأهل .

فأما في حال الرضا فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (لا يتنقى أحدكم الموت لضر نزل به إما حسناً فيزداد وإما سيئاً فله يستتب ولكن ليقل اللهم احبني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي) والمراد بالضر ههنا ما يخص المبدأ في يده من مرض ونحوه لاقى دينه * والظاهر أن نبي الله يوسف عليه السلام سأل ذلك إما عند احتضاره أو إذا كان ذلك أن يكون كذلك .

وقد ذكر ابن اسحق عن أهل الكتاب أن يعقوب أقام بديل مصر عند يوسف سبع عشرة سنة ثم توفي عليه السلام وكان قد أوصى إلى يوسف عليه السلام أن يدفن عند أبويه إبراهيم واسحق . قال السدي ضبر وسيره إلى بلاد الشام فدفنه بالنارة عند أبيه اسحق وجده الخليل عليهم السلام .

وعند أهل الكتاب أن عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة . وعندهم أنه أقام بأرض مصر سبع عشرة سنة ومع هذا قالوا فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة * هذا نص كتابهم وهو غلط إما في النسخة أو منهم أو قد اسقطوا الكسر وليس بآدمهم فيما هو أكثر من هذا فكيف يستعملون هذه الطريقة هنا وقد قال تعالى في كتابه العزيز (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا فبعلبك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) يوصى بنيه بالإخلاص وهو دين الإسلام الذي بعث الله به الأنبياء عليهم السلام .

وقد ذكر أهل الكتاب أنه أوصى بنيه واحداً واحداً وأخيرهم بما يكون من أمرهم وبشر يهودا بخروج نبي عظيم من نسله فطعمه الشعوب وهو عيسى بن مريم والله أعلم .

وذكروا أنه لما مات يعقوب بكى عليه أهل مصر سبعين يوماً وأمر يوسف الأطباء فطبيوه بطيب ومكث فيه أربعين يوماً ثم استأذن يوسف ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له وخرج معه أكبر مصر وشيوخها فلما وصلوا حبرون دفنوه في المقبرة التي كان اشتراها إبراهيم الخليل من عفرون بن صخر الحثي وعلموا له عزاء سبعة أيام قالوا ثم رجعوا إلى بلادهم وعزى إخوة يوسف ليوسف في أبيهم وترفعوا له فأكرمهم وأحسن منقلبهم فأقاموا ببلاد مصر . ثم حضرت يوسف عليه السلام الوفاة فأوصى أن يحمل معهم إذا خرجوا من مصر فيدفن عند أبيه فخطبوه ووضعوه في تابوت فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدفنه عند أبيه كما سيأتي . قالوا فمات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين * هذا نصهم فيما رأيته وفيما حكاه ابن جرير أيضاً . وقال مبارك بن فضالة عن الحسن ألقى يوسف في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة . ومات وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة * وقال غيره أوصى إلى أخيه يهودا صلوات الله عليه وسلامه .

قصة أيوب عليه السلام

قال ابن اسحق كانت رجلاً من الروم وهو أيوب بن موسى بن ذراح بن الميس بن اسحق ابن إبراهيم الخليل . وقال غيره هو أيوب بن موسى بن دعويل بن الميس بن اسحق بن يعقوب وقيل غير ذلك في نسبه . وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام . وقيل كان أبوه من آمن إبراهيم

عليه السلام يوم ألقى في النار فلم تحرقه والمشهور الأول لأنه من ذرية إبراهيم كما قررنا عند قوله تعالى (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) ألا يلت من أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليها السلام. وهو من الأفياء المنصوص على الإيحاء بهم في سورة النساء في قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والتين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب) الآية فالصحيح أنه من سلاله البص بن إسحق وإسمائيل قبل اسمها ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت أفرائيم. وقيل منشا بن يوسف بن يعقوب. وهذا أشهر فلهذا ذكرناه هاهنا. ثم فطف بذكر أفياء بني إسرائيل بعد ذكر قصته إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. قال الله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه آتى منى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وقال تعالى في سورة ص (وإذ كرم عبداً أيوب إذ نادى ربه آتى منى الشيطان بنصب وعذاب. أركض برجلك هذا مقتل يارد وشراب. ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب. وخذ يدك ضغفاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) وروى ابن عساكر من طريق الكلبي أنه قال أول نبي بث لإدريس. ثم نوح. ثم إبراهيم. ثم إسماعيل. ثم إسحق. ثم يعقوب. ثم يوسف. ثم لوط. ثم هود. ثم صالح. ثم شعيب. ثم موسى وهرون. ثم إلياس. ثم اليسع. ثم عوف (١) بن سوليف بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب. ثم يونس بن متى بن يعقوب. ثم أيوب بن زراح (٢) بن آموس بن ليفز بن البص بن إسحق بن إبراهيم. وفي بعض هذا الترتيب فطر فان هوداً وصالحاً المشهور أنهما بعد نوح وقبل إبراهيم والله أعلم.

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعييد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البثينة من أرض حوران.

وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير فسلب من ذلك جميعه وإبطل في جسده بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولثامه. يذكر الله عز وجل بها وهو في ذلك كله صابر محتسب ذا كرم لله عز وجل في ليله ونهاره وصباحه ومساءه. وطال مرضه حتى عاقه الجليس وأوحش منه الأنيس وأخرج من بلده وألقى على مزيله خارجها واضطجع عته الناس ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته كانت ترمي له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشقته عليها فكانت تردد إليه فحصل من شأنه وقته على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته. وضمف حالها وقل ملها حتى كانت تخضم الناس بالأنجر لتطعمه وتقوم بأوده رضى الله عنها وأرضاها وهي صابرة معه على ما حل بها من فراق

المال والولد وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخلة الناس بعد السادة والنسمة والخلعة والحرمة فأنه وإن إليه راجعون . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال (أشد الناس بلاء الأنبياء . ثم الصالحون . ثم الأمتل فالأمتل يحتل الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلاءه) . ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام الاصبوا واحقادا وحداً وشكراً حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام ويضرب المثل أيضاً بما حصل له من أنواع البلاء * وقد روى عن وهب ابن منبه وغيره من علماء بني اسرائيل في قصة أيوب خير طويل في كيفية ذهاب ماله وولده وبلاءه في جسده والله أعلم بصحته * وعن مجاهد أنه قال كان أيوب عليه السلام أول من أصابه الجلدري وقد اختلّفوا في مدة بلواه على أقوال فزعم وهب أنه ابتلى ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص . وقال أنس ابتلى سبع سنين وأشهر وأتقى على منزلة لبني اسرائيل تختلف الدواب في جسده حتى فرج الله عنه وعظم له الاجر وأحسن الثناء عليه .

وقال حميد مكث في بلواه ثمانية عشرة سنة . وقال السدي تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والصعب فكانت امرأته تأتيه بالرماد تغرشه تحته فلما طال عليها قالت (يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة) فجزعت من هذا الكلام وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام

ثم إن الناس لم يكرهوا يستخدمونها لهمم أنها امرأة أيوب خوفاً أن يتألم من بلاءه أو تصديهم بمخالفته فلما لم يجد أحداً يستخدمها عملت فباعته لبعض بنات الاشراف احطى صغيرتها بطعام طيب كثير فأنت به أيوب قال من أين لك هذا وانكره فقالت خدمت به أئماً فلما كان الند لم يجد أحداً فباعته الصغيرة الأخرى بطعام فأنت به فانكره أيضاً وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لما هذا الطعام فكشفت عن رأسها خافها فلما رأى رأسها محلوفاً قال في دعائه (انى منى الضر وأنت أرحم الراحمين)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب اخوان غداة يوماً فلم يستطيعوا ان يدنوا منه من ريحه فقاما من بيده فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا الجزع أيوب من قولهما جزعاً لم يجزع من شيء قط قال (اللهم ان كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط شبهاً وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمان ثم قال (اللهم ان كنت تعلم أنى لم يكن لي قيصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمان) ثم قال اللهم بمرتك وخر ساجداً فقال اللهم بمرتك لا أرفع رأسي أبداً حتى تكشف عني فأرفع رأسه حتى كشف عنه .

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى ان ابن وهب أخبرني

نفع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال (إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من اخواته كانا من أخص اخواته له كانا يقدوان اليه وروحان قال أحدهما لصاحبه يعلم الله لقد أذنب أيوب ذنبا ما ذنبه أحد من العالمين . قال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثمانى عشر سنة لم يرهم ربه فيكشف ما به . فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له قال أيوب لا أدرى ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فارجع الى يقي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا فى حق . قال وكان يخرج فى حاجته فلذا قضاهما أسكت امرأته يده حتى يرجع فلما كان ذات يوم أبصت عليه فأوحى الله الى أيوب فى مكانه (أن أرخص برحلك هذا مقتل بارد وشراب) فاستبطأته فقلته تنتظر وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رآته قالت أى برك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبلى فوالله على ذلك لم رأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فأنى أنا هو . قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعت الله سجاين فلما كانت أحدهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الأخرى فى اندر الشعير الورق حتى فاض . هذا لفظ ابن جرير وهكذا رواه بقامه ابن حبان فى صحيحه عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن حملة عن ابن وهب به . وهذا غريب رضى جدا . والأشبه أن يكون موقوفا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى ثمامة موسى بن اسميل حدثنا حماد ابن عيسى على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبه الله حلة من الجنة فتحنى أيوب وجلس فى ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله هذا المبلى الذى كان ههنا لمل الكلاب ذهبت به أو الذئاب وجلت تكلمه ساعة قال ولعل أنا أيوب قالت أتسخر منى يا عبد الله فقال ويحك أنا أيوب قد رد الله على جلى .

قال ابن عباس ورد الله عليه ماله وولده بأعيانهم ومثلهم معهم . وقال وهب بن منبه . أوحى الله اليه قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاعتسل بهذا الماء فان فيه شفاك وقرب عن صحابك قربانا واستغفر لهم فاتهم قد عصوني فيك رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال (لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يأخذ يده ويحمل فى ثوبه قال قيل له يا أيوب أما تنزع . قال يارب ومن يشع من رحمتك . وهكذا رواه الامام أحمد عن أبى داود الطيالسى وعبد الصمد عن همام عن قتادة به . ورواه ابن حبان فى صحيحه عن عبد الله بن محمد الأزدى عن اسحق بن راهويه عن عبد الصمد به ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب وهو على شرط الصحيح فله الله أعلم .

وقال الامام أحمد ثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أرسل على أيوب رجل من جراد من ذهب فجعل يقبضها في ثوبه قليل يا أيوب ألم يكفك ما أعطيتك قال أي رب ومن يستغنى عن فضلك . هذا موقوف . وقد روى عن أبي هريرة من وجه آخر مرفوعا .

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ (بنا أيوب يقتل عريانا آخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحشي في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى) قال بلى يارب ولكن لا غنى لى عن بركتك . رواه البخارى من حديث عبد الرزاق به وقوله (أر كض برجتك) أى اضرب الأرض برجتك فلتتل ما أسرى به فانبع الله له حياً باردة الماء وأمر أن يقتل فيها ويشرب منها فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض الذى كان في جسده ظاهراً وباطناً وأبدل الله به ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة وجالاً قلما ومالا كثيراً حتى صب له من المال صبا مطراً عطفاً جراداً من ذهب واخلف الله له أهله كما قال تعالى (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قليل أحيام الله بعلينهم . وقيل آجره فيمن سلف وعرضه عنهم في الدنيا بدلهم وجع له شمله بكلهم في الدار الآخرة . وقوله (رحمة من عندنا) أى رضنا عنه شدته (وكشفنا ما به من ضر) رحمة منا به ورأفة واحساناً (وذكرى للعابدين) أى تذكرة لمن ابتلى في جسده أو ماله أو ولده فله أسوة بنى الله أيوب حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك نصبر واحتسب حتى فرج الله عنه .

ومن فهم من هذا اسم امرأته قال هى رحمة من هذه الآية قد أبد النجاة واغرق الزرع . وقال الضحاك عن ابن عباس رد الله إليها شياها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرون ولداً ذكراً .

وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بارض الروم على دين الخيفية ثم غيروا بسله دين ابراهيم . وقوله (خذ يدك ضغثاً واضرب به ولا تبحث) إنا وجدناه صابراً نعم البعد إنه أوأب) هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط قليل حلفه ذلك ليعمى ضغائرها . وقيل لأنه عرضها الشيطان في صورة طيب يصف لها دواء لا يرب فائته فاختاره فرف أنه الشيطان خلف ليضربها مائة سوط . فلما عاقله الله عز وجل أفاده أن يأخذ ضغثاً وهو كالشكال الذى يجمع الشارب فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلاً منزلة الضرب بمائة سوط وير ولا يبحث . وهذا من الفرج والخروج لمن اتقى الله وأطاعه ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحسنة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضى الله عنها . ولهذا عتب الله هذه الرخصة وعليها بقوله (إنا وجدناه صابراً نعم البعد إنه أوأب) وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة في بلب الايمان والتنوير وتوسع آخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحليل في الخلاص من الايمان وصدروه بهذه الآية الكريمة

وأثوا فيه بشياء من المجائب والثرائب • وسندكر طرقا من ذلك في كتاب الاحكام عند الوصول اليه ان شاء الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثا وتسعين سنة . وقيل إنه عاش أكثر من ذلك . وقد روى ليث عن مجاهد مامنه أن الله يمتحن يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء ويوسف عليه السلام على الأرقاء . وأيوب عليه السلام على أهل البلاء . رواه ابن عساکر بمناه وأمه أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل فله أعلم . ومات ابنه هذا وكان نبيا فبا يزعمون وكان عمره من الستين خمسا وسبعين • ولندكر هنا قصة ذي الكفل إذ قال بعضهم إنه ابن أيوب عليهما السلام • وهذه

قصة ذي الكفل

الذي زعم قوم أنه ابن أيوب • قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء (واسماعيل واحدس وذا الكفل كل من الصابرين . وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) وقال تعالى بعد قصة أيوب أيضا في سورة ص (واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكري الدار . وانهم عندنا من المصطفين الأخيار . واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم للثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبى عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور . وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبيا وإنما كان رجلا صالحا وحكما مقسطا عادلا • وتوقف ابن جرير في ذلك فله أعلم •

ودرى ابن جرير وابن أبي نجيح عن مجاهد أنه لم يكن نبيا وإنما كان رجلا صالحا وكان قد تكفل لبني قومه ان يكتفيه أمرهم ويقضى بينهم بالمعدل فسي ذا الكفل . ودرى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق داود بن أبي هند عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال لو أني استخفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أظفر كيف يعمل فنجح الناس قال من يقبل لي ثلاث استخلفه . يصوم النهار ويقوم الليل ولا يفتضب . قال قام رجل تزديه العين قال أنا قال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تفتضب قال نعم . قال فردد ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل قال أنا . فاستخلفه قال فجعل المجلس يقول للشياطين عليكم بطلان فلعياهم ذلك قال دعوني وإياه فإنه في سورة شيخ كبير فقير وأنه حين أخذ مضجعه لقائه وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة فتق الباب قال من هذا قال شيخ كبير مظلوم • قال قام ففتح الباب فجعل يقص عليه قال إن بني وبن قومي خصومة واتهم ظلموني وضلوا بي وفلوا حتى حضر الروح وذهبت القاتلة وقال اذا رحمت فأتني أخذ

لك بمحك فانطلق وراح . فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتيمه فلما كان الند
جبل يقضى بين الناس ويتنظر فلا يراه . فلما رجع الى القائفة فأخذ مضجعه أتته فدق الباب فقال من
هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قدمت فأنتى فقال لهم أنجث قوم اذا
عرفوا أنك قاعد قالوا نحن فضلك حثك واذا قت جعدوني قال فانطلق فلذا رحنا فأنتى قال فقامته
القائفة فراح فجعل ينتظر فلا يراه وشق عليه الناس قال لبعض أهله لاندعن أحدا يقرب هذا الباب
حتى أئلم فأتى قد شق على النوم . فلما كان تلك الساعة جاءه قال له الرجل وراك وراك فقال إني قد
أتيتك أمس قد كنت له أمرى قال لا والله قد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياء فطر فرأى كوة
في البيت فتسور منها فلما هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل قال فاستيقظ الرجل فقال يا فلان
ألم أمرك قال أما من قبل والله قد توت فانظر من اين أتيت قال قام الى الباب فلما هو مطلق كما أغلقه
واذا الرجل منه في البيت فرفه قال أعدوا الله قال نعم أعيتنى في كل شئ فقلت ما ترى لأغضبنيك
فصماه الله ذا الكفل لانه تكفل بأمر قوما به .

وقد روى ابن أبي حاتم أيضا عن ابن عباس قريبا من هذا السياق . وهكذا روى عن عبد الله
ابن الحارث ومحمد بن قيس وابن حبيزة الأكبر وغيرهم من السلف نحو هذا . وقال ابن أبي حاتم
حدثنا أبي حدثنا أبو الجاهر أنبأنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الاخس قال سمعت الاشعري
يقضى أبا موسى رضى الله عنه وهو على هذا المنبر يقول ما كان ذو الكفل نيا ولكن كان رجلا
صالحا يصلى كل يوم مائة صلاة فكفعل له ذو الكفل من بعده يصلى كل يوم مائة صلاة فسمى ذا الكفل
ورواه ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن مسر عن قتادة . قال قال أبو موسى الاشعري قد كره
مقتلها . فلما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الاعشى عن عبد الله بن
عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال سمعت من رسول الله ﷺ حديثا فلو لم أسمعه الا مرة
أو مرتين حتى عد سبع مرار ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال كلن الكفل من بنى اسرائيل لا
يتورع من ذنب عمله فأنته امرأة فاعطاهما ستين دينارا على أن يطأها فلما قصد منها مقعد الرجل من
اسرائته ارجعت وبكت فقال لها ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وانما حدثنى
عليه الحاجة قال فضللين هذا ولم فضليه قط . ثم نزل قال انهى بالذناير لك . ثم قال والله لا يصح
الله الكفل أبدا فأت من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله لكفل . ورواه الترمذى من حديث
الاعشى به وقال حسن . وذكر ان بعضهم رواه فوقه على ابن عمر فهو حديث غريب جدا . وفي استاده
فقط فان سمدا هذا قال أبو حاتم لا أعرفه الا بمحدث واحد ووجه ابن حبان ولم يرو عنه سوى عبد
الله بن عبد الله الرازى هذا فله أعلم . وان كلن محفوفا فليس هو ذا الكفل وانما لفظ الحديث الكفل

من غير اضافة فهو دجل آخر غير المذكور في القرآن فله أعلم .

باب ذكر امر اهلكوا بعامة

وذلك قبل نزول التوراة بدليل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية) . كادواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبزار من حديث عوف الاعرابي عن أبي فضرة عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بذئاب من السماء أو من الارض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الارض غير القرية التي مسحوا قرعة . ألم تر أن الله تعالى يقول (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) ورفعه البزار في رواية له . والاشبه والله أعلم وقته قتل على أن كل أمة اهلكت بامة قبل موسى عليه السلام . فنههم أصحاب الرس قال الله تعالى في سورة الفرقان (وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرؤنا بين ذلك كثيرا . وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تقيرا) . وقال تعالى في سورة ق (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمروا وتبروا وهو الهلاك . وهذا يرد اختيار ابن جرير من أنهم أصحاب الاخدود الذين ذكروا في سورة البروج لان أولئك عند ابن اسحق وجاعة كانوا بعد المسيح عليه السلام وفيه نظر أيضا . وروى ابن جرير قال قال ابن عباس أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود وقد ذكر الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول تلويحه عند ذكر بناء دمشق عن تلميذ أبي القاسم عبد الله بن عبد الله بن جرداد (١) وغيره أن أصحاب الرس كانوا بمحضور فبث الله اليهم نيا يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فسار عاد ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح بولده من الرس قتل الاحقاف وأهلك الله أصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها ونشوا مع ذلك في الارض كلها حتى نزل جبرون بن سعد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح دمشق وبني مدينتها وسماها جبرون وهي ارم ذات العمد وليس أعمدة الجحارة في موضع أكثر منها بدمشق فبث الله هود بن عبد الله بن رياح بن خالد بن الملوذ بن عاد الى عاد يبنى أولاد عاد بالاحقاف فكذبوه وأهلكهم الله عز وجل فهذا يقتضي أن أصحاب الرس قبل عاد يدهور متطاولة فله أعلم . وروى ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي عاصم عن أبيه عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الرس بئر بآدويجان . وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة قال الرس بئر رسوا فيها تبسم أي دفنوه فيها . وقال ابن جريح قال عكرمة أصحاب الرس بئج وهم أصحاب ياسين . وقال

(١) قوله عبد الله بن جرداد كذا في النسخ والمرفوع ابن جرداد

قادة فليج من قرى اليمامة قلت فلان كانوا أصحاب ياسين كما زعمه عكرمة فقد أهلكوا بإمارة قال الله تعالى في قصصهم (إن كانت الاصيحة واحدة فلذا هم خاملون) وستأتي قصصهم بعد هؤلاء وان كانوا غيرهم وهو الظاهر فقد أهلكوا أيضا وتبروا * وعلى كل تقدير فيناقي ما ذكره ابن جرير وقد ذكر أبو بكر محمد ابن الحسن النقاش أن أصحاب الرس كانت لهم بئر ترويه وتكني أرضهم جميعها وكان لهم ملك عادل حسن السيرة فلما مات وجئوا عليه وجدا عظيما فلما كان بعد أيام تصور لهم الشيطان في صورته وقال إني لم أمت ولكن تقيت عنكم حتى أرى صنعكم ففرحوا أشد الفرح وأمر بضرب حجاب بينهم وبينه وأخبرهم أنه لا يموت أبدا فصدق به أكثرهم واقتنوا به وعبدوه فبعث الله فيهم نبيا وأخبرهم أن هذا شيطان يخاطبهم من وراء الحجاب ونهاهم عن عبادته وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له *

قال السهيلي وكان يوحى اليه في النوم وكان اسمه حنظلة بن صفوان فصدوا عليه فقتلوه والقوه في البئر فصار ملؤها وعطشوا بدريهم ويست أشجارهم واقطعت ثمارهم وخرت ديارهم وتبدلوا بد الأنس بالوحشة وبعد الاجتماع بالقرية وهلكوا عن آخرهم وسكن في مساكنهم الجبن والوحوش فلا يسمع يقاعهم إلا عريف الجبن وزفير الاسد وصوت الضباع . فلما ملأواه اعني ابن جرير عن محمد بن حديد عن سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله ﷺ (إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود) وذلك أن الله تعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك الاسود . ثم إن أهل القرية عدوا على النبي فغزوا له بئرا فالتقه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك البئر ينهب فيحتطب على ظهره ثم يأتي بحطب فيبيعه ويشتري به طعاما وشرابا ثم يأتي به إلى ذلك البئر فيرفض تلك الصخرة ويمتد الله عليها ويدل إلى طعامه وشرابه ثم يرد بها كما كانت قال فكان كذلك ماشاء الله أن يكون * ثم إنه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتطبها وجد ستة فاضطجع بنام فاضرب الله على أذنه سبع سنين فانما ثم إنه هب فتمطى وتحول لشقة الآخر فاضطجع فاضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب أنه تلم الا ساعة من نهار فجاء إلى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع * ثم إنه ذهب إلى الحفرة إلى موضعها التي كانت فيه فلقمه فلم يجده وقد كان بدا قومه فيه بداء فقتلهم وجمعهم وأمنوا به وصدقوه * قال فكان بينهم يسألهم عن ذلك الاسود ما ضل فيقولون له ما ندرى حتى قبض الله النبي عليه السلام وأهب الاسود من نومه بعد ذلك فقال رسول الله ﷺ إن ذلك الاسود لأول من يدخل الجنة . فانه حديث مرسل ومثله فيه نظر . ولعل بسط قصته من كلام محمد ابن كعب القرظي والله أعلم .

ثم قد رده ابن جرير عنه وقال لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس المذكورون في القرآن

قال لأن الله أخبر عن أصحاب الرس أنه أهلكهم وهؤلاء قد بدالهم قَامُوا فِيهِمْ . اللهم إلا أن يكون حدث لهم أحداث آمنوا بالله بعد هلاك آبائهم والله أعلم . ثم اختار أنهم أصحاب الأخدود وهو ضيف لما تقدم ولما ذكر في قصة أصحاب الأخدود حيث توعدوا بالعذاب في الآخرة إن لم يتوبوا ولم يذكر هلاكهم وقد صرح بهلاك أصحاب الرس والله أعلم

قصة قوم يس وهي (١) أصحاب القرية أصحاب ياسين

قال الله تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فوزنا بالثالث قالوا إنا إليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين . قالوا إنا نطيرنا بكم لأن لم تنهوا لئلا نرجنكم ولتيسنكم منا عذاب اليم . قالوا طائركم معكم أين ذكركم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا ما لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ومالي لا أبعد التي فطرني وإليه ترجعون . أتأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعهم شيئا ولا يفتنون . إني إذا لفي ضلال مبين . إني آمنت بربكم فاصبرون . قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غر لي ربى وجعلني من المكرمين . وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . إني كنت الأصيبة واحدة فلذا هم خاملون)

اشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية افلاكية . رواه ابن اسحق فيا بلته عن ابن عباس وكب الاحبار ووهب بن منبه وكذا روى عن بريدة بن الحبيب وعكرمة وقادة والزهري وغيرهم قال ابن اسحق فيا بلته عن ابن عباس وكب ووهب أنهم قالوا وكان لها ملك اسمه انطليخ بن انطليخ وكان يبعد الاصنام فيحث الله اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق (٢) وشلوم فكذبهم *

وهذا ظاهر أنهم رسل من الله عز وجل وزعم قادة أنهم كانوا رسلا من المسيح . وكذا قال ابن جرير عن وهب عن بن سليمان عن شبيب الجبالي كان اسم المرسلين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية افلاكية .

وهذا القول ضعيف جدا لان أهل افلاكية لا يثبت لهم المسيح ثلاثة من الحوارين كانوا أول

مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت ولهذا احدى كانت المدن الاربع التي تكون فيها جارة النصراني ومن
أطفاكية والقدس واسكندرية ورومية ثم بعدها الى القسطنطينية ولم يهلكوا وأهل هذه القرية المذكورة
في القرآن أهلكوا كما قال في آخر قصتها بعد قتلهم صديق المرسلين (إن كانت إلا صيحة واحدة
فأذا هم خامدون) لكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القرآن بشوا الى أهل أطفاكية قديما
فكذبوهم وأهلكهم الله ثم عمرت بعد ذلك . فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله اليهم فلا يمنع
هذا والله أعلم .

فاما القول بأن هذه القصة المذكورة في القرآن هي قصة أصحاب المسيح فضعيف لما قدم ولأن
ظاهر سياق القرآن يقتضى أن هؤلاء الرسل من عند الله . قال الله تعالى (وأضرب لهم مثلا) يعني قولك
يا محمد (أصحاب القرية) يعنى المدينة (اذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فوزنا
بثالث) أى أيدناهما بثالث في الرسالة (قالوا إنا اليكم مرسلون) فردوا عليهم بأنهم بشر مثلهم كما قالت الأمم
الكافرة لرسلهم يستبدون أن يميت الله نبياً بشرياً فلجأ بهم بأن الله يعلم أنا رسله اليكم ولو كنا كذبتنا
عليه لما قبلنا وأنتقم منا أشد الانتقام (وما علينا إلا البلاغ المبين) أى إنما علينا أى نبلغكم ما أرسلنا به
اليكم والله هو الذى يهدي من يشاء ويضل من يشاء (قالوا إنا نطيرنا بكم) أى تشاغلنا بما جئونا به
(لنن لم تنهوا لرجعتكم) للقتال وقيل بالفساد ويؤيد الأول قوله (وليمسكنكم منا عذاب اليم) فوعدهم
بالقتل والاهانة . (قالوا طائركم معكم) أى مردود عليكم (أن ذكركم) أى يبسبب أنا ذكركم
بالمضى ودعونا كم اليه توعدهموا بالقتل والاهانة (بل أنتم قوم مسرفون) أى لا تقبلون الحق ولا تريدونه .
وقوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) يعنى لنصرة الرسل وأظهار الايمان بهم (قال يا قوم
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهيئون) أى يدعوكم الى الحق المحض بلا أجرة
ولا جالة . ثم دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة ماسواه مما لا ينفع شيئا لاق الدنيا
ولا في الآخرة (إني إذا فني ضلال مبين) أى إن تركت عبادة الله وعبدت معه ماسواه * ثم قال
مخاطبا للرسل (إني آمنت بربكم فاسمعون) قيل فاستمعوا مقاتلي واشهدوا لي بها عند ربكم . وقيل معناه
فاسمعوا يا قومي إياي يرسل الله جهرة . فشد ذلك قلوبهم . قيل رجاء . وقيل عضا وقيل اليه وثبة
رجل واحد قتلوه . وحكى ابن اسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود قال ومثلوه بلجلهم حتى
أخرجوا قصبتها .

وقد روى الثوري عن عاصم الاحول عن أبي مجلز كل اسم هذا الرجل حبيب بن مرى * ثم
قيل كل نجار وقيل جبالا . وقيل إسكافا . وقيل قصارا وقيل كل يتمد في غار هناك فله أعلم
وعن ابن عباس كل حبيب النجار قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة قتلوه . ولهذا قال تعالى

(إداخل الجنة) معنى لما قتله قومه أدخله الله الجنة فلما رأى فيها من النضرة والسرور (قال يابيت قومي يملون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) معنى ليؤمنوا بما آمنت به فيحصل لهم ما حصل لي قال ابن عباس فصاح قومه في حياته (يا قوم اتبعوا المرسلين) وبعد عماه (يابيت قومي يملون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) رواه ابن أبي حاتم وكذلك قال قتادة لا يلقى المؤمن إلا بها لا يلقى غاشا لما عين ملأين من كرامة الله (يابيت قومي يملون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) تنقى والله أن يعلم قومه بما عين من كرامة الله وما هو عليه قال قتادة فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله (إن كانت الأصيبة واحدة فإدام خامدون) وقوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) أى ما احتجنا في الانتقام منهم إلى إزالة جندهم السماء عليهم . هذا معنى ما رواه ابن اسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود * قال مجاهد و قتادة وما أنزل عليهم جندا أى رسالة أخرى قال ابن جرير والأول أولى قلت وأقوى ولهذا قال (وما كنا منزلين) أى وما كنا نحتاج في الانتقام إلى هذا حين كذبوا رسلنا وقتلوا ولينا (إن كانت الأصيبة واحدة فإدام خامدون)

قال المفسرون بث الله إليهم جبريل عليه السلام فأخذ بضادى الباب الذى للهدم ثم صاح بهم صيحة واحدة فإدام خامدون أى قد أخذت أصواتهم وسكنت حركاتهم ولم يبق منهم عين تطرف . وهذا كله مما يدل على أن هذه القرية ليست أظلمة لأن هؤلاء أهلها يكذبونهم رسل الله إليهم وأهل أظلمة آمنوا واتبوا رسل المسيح من الحواريين إليهم فلماذا قيل إن أظلمة كية أول مدينة آمنت بالمسيح * فأما الحديث الذى رواه الطبرانى من حديث حسين الأشقرى عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نعيم عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (سبق ثلاثة قسايق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد على ابن أبي طالب) فانه حديث لا يثبت لأن حينما هذا متروك وشيى من الثلاثة وتفرده بهذا مما يدل على ضعفه بالكلية والله أعلم *

قصه يونس عليه السلام

قال الله تعالى في سورة يونس (فلولا كنت قرية آمنت فنفسها إيمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) وقال تعالى في سورة الأنبياء (وذات النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين) وقال تعالى في سورة الصافات (وإن يونس لمن المرسلين إذ أتى إلى القلعة المشحون . فساهم فكان من المدحضين فالتصم الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالبراء وهو سقيم وانبثنا عليه شجرة من قطيعين

وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فتنصم الى حين . وقال تعالى في سورة تون (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) لولا أن تداركه قصة من ربه لبند بالمرء وهو مذموم فليجابه ربه فجعله من الصالحين . قال أهل التفسير يث الله يونس عليه السلام الى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم يد ثلاث

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقادة وغير واحد من السلف والخلف فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والالفة وندموا على ما كان منهم الى نبئهم فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم مجوا الى الله عز وجل وصرخوا وقصرعوا اليه وتمسكوا اليه وبكى الرجال والنساء والبنوت والبنات والأمهات وجارت الأنعام والدواب والمواشي فرغت الأنبل وفصلانها وخارت البقر وأولادها ونفت الفم وحلها وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه ودار على رؤسهم كقطع الليل المظلم ولهذا قال تعالى (قلولا كانت قرية آمنت فنضها ايمانها) أى هلا وجئت فيها سلف من القرون آمنت بكاملها فدل على أنه لم يقع ذلك بل كما قال تعالى (وأرسلنا في قرية من نهي الاقال مقرها انا بما أرسلهم به كافرون) . وقوله (الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) أى آمنوا بكلمهم .

وقد اختلف المفسرون هل ينضم هذا الايمان في العار الآخرة فينضم من العذاب الأخرى كما أعذب من العذاب الدينوى على قولين الأولين الأظهر من السياق نعم والله أعلم كما قال تعالى (لما آمنوا) وقال تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فتنصم الى حين) . وهذا المتاع الى حين لا ينقضي أن يكون معه غيره من دفع العذاب الأخرى والله أعلم .

وقد كانوا مائة ألف لاجل الاختفوا في الزيادة فمن مكحول عشرة آلاف • وروى الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير عن سمع أبا العالية حدثني أبي بن كعب أنه سال رسول الله ﷺ عن قوله (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) قال يزيدون عشرين ألفا فلولا هذا الرجل المبهم لكان هذا الحديث فصلا في هذا الباب • وعن ابن عباس كانوا مائة الف وثلاثين ألفا وعنه وبضعة وثلاثين ألفا . وعنه وبضعة وأربعين ألفا وقال سعيد بن جبير كانوا مائة ألف وسبعين ألفا .

واختفوا هل كان أرسله اليهم قبل الحوت أو بعده أوهما أمانان على ثلاثة أقوال هي مبسطة في التفسير • والمقصود أنه عليه السلام لما ذهب متاخبا بسبب قومه ركب سفينة في البحر فليجت بهم واضطربت وملجت بهم وهلت بما فيها وكلدوا يفرقون على ما ذكره المفسرون • قالوا فاشتدوا فيها

فيا ينهم على أن يقتعروا فن وقت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليحفظوا منه . فلما اقتعروا وقت القرعة على نبي الله يوسف فلم يسجوا به فاعادوها ثانية فوقعت عليه أيضا فشر ليخلع ثيابه ويلقى بضه فأبوا عليه ذلك . ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه أيضا لما يريد الله به من الأمر العظيم . قال الله تعالى (ولئن يوسف لمن المرسلين . إذ أتى إلى الفلك المشحون . فسام فمكان من المدحضين . فلقمته الحوت وهو مليم) . وذلك أنه لما وقت عليه القرعة التي في البحر وبث الله عز وجل حوتا عظيما من البحر الأخضر فلقمته وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحما ولا يشم له عظما فليس لك برزق فأخذ عطفاف به البحار كلها وقيل إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه * قالوا ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فحرك فذا هو حي فخر الله ساجدا وقال يارب أنجنتك مسجدا لم يهلك أحد في مثله

وقد اختلفوا في مقدار ليله في بطنه . فقال مجاهد عن الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية * وقال قتادة مكث فيه ثلاثا وقال جعفر الصادق سبعة أيام ويشهد له شعر أمية بن أبي الصلت .

وأنت بفضل منك نجيت يوسفنا وقدلت في أضفاف حوت لياليا

وقال سعيد بن أبي الحسن وأبو مالك مكث في جوفه أربعين يوما والله أعلم كم مقدار ما لبث فيه والمتصور أنه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللحية ويتحم به بلج الموج الأجاجي فسمع تسييح الحيتان للرحمن وحتى سمع تسييح الحمقى لفتاك الحب والنوى ورب السواول السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى * فند ذلك وهناك قال مقال بلان المال والمقال كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى سامع الأصوات وإن ضعفت وعالم الخفيات وإن دقت ومجيب الدعوات وإن عظمت حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين وهو أصدق القائلين ورب العالمين وإله المرسلين (وذاللون إذ ذهب) إلى أهله (مضاضا فظن أن لن قدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيته من الغم وكذلك تنجي المؤمنين . فظن أن لن قدر عليه) أن قضيق * وقيل معناه قدر من التقدير وهي لغة مشهورة قدر وقدر كما قال الشاعر .

فلا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما يقدر يكن فلك الامر

(فنادى في الظلمات) قال ابن مسعود وابن عباس وعمر بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقاتدة والضحاك غلظة الحوت وغلظة البحر وغلظة الليل وقتل سالم بن أبي الجعد ابتلع الحوت حوت آخر فصار غلظة الحوتين مع غلظة البحر . وقوله تعالى (قولا أنه كان من المسبحين لبث في بطنه إلى يوم يبعثون) قيل معناه لولا أنه سبى الله هناك وقال ما قال من التهليل والتسبيح

والاعتراف لله بالخضوع والتوبة اليه والرجوع اليه للبث هناك الى يوم القيامة . ولبث من جوف ذلك الحوت . هذا معنى ما روى عن سميد بن جبير في إحدى الروايتين عنه . وقيل مناه (قلوا انه كان) من قبل أخذ الحوت له (من المسيحين) أى المطيعين المصلين الذين اكره الله كثيرا قاله الضحاك بن قيس وابن عباس وأبو المالية وهوب بن منه وسميد بن جبير والضحاك والسدى وعطاء بن السائب والحسن البصرى وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد وبعض أهل السنن عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لى (يا غلام إني مملك كالت إحتفظ الله بحفظك إحتفظ الله بحجده نجاهك ثم رقى الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة) وروى ابن جرير فى تفسيره والبرزاقى مسنده من حديث محمد بن اسحاق عن حماد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « لا أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذ ولا تمخض لحما ولا تكسر عظما » فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حيا فقال فى غصه ما لعننا فأوحى الله اليه وهو فى بطن الحوت إن هذا تسييح دواب البحر • قال فسبح وهو فى بطن الحوت فسبحت الملائكة تسيحه قالوا (ياربنا إنا نسمع صوتا بأرض غريبة) قال ذلك عبدى يونس عصافى غيبته فى بطن الحوت فى البحر • قالوا البعد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم • قال فشنفوا له عند ذلك فامر الحوت فذهبه فى الساحل كما قال الله (وهو سقيم) هذا لفظ ابن جرير إستادا ومتنا • ثم قال البرزاقى لافضله يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الاستناد كذا قال . وقد قال ابن أبى حاتم فى تفسيره حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشى حدثه سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث الى رسول الله ﷺ ان يونس النبي عليه السلام حين بذله أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت قال (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فقبلت الدعوة فتح بطن الحوت وقالت الملائكة يارب صوت ضيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذلك . قالوا يارب ومن هو قال عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له علامات مقبلا ودعوة بحاجته قالوا ياربنا أولا ترحم ما كان يصنعه فى الرخاء فنجيه من البلاد قال بلى فامر الحوت فخرجه فى الرءاء • ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به زاد ابن أبى حاتم • قال أبو صخر حميد بن زيد فأنخري ابن قسيط وأنا احده هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة يقول طرح بالراء وأبنت الله عليه القبطية فلما بأبا هريرة وما القبطية قال شجرة الدباء قال أبو هريرة وهما الله له أدوية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو قال حشاش الأرض . قال فخنشخ عليه قهرويه من لبنها كل غشية ونكرة حتى بقت وقال أمية ابن أبى الصلت فى ذلك بيتا من شعره .

فأبنت يقطينا عليه برحة من الله لولا الله أصبح ضاوبا

وهذا غريب أيضا من من هذا الوجه ويزيد الزقاني ضعيف ولكن يتقوى بحديث أبي هريرة المتقدم كما يتقوى ذلك بهذا والله أعلم . وقد قال الله تعالى (فتبذله) أي التقيته (بالمرأ) وهو المكان التفر الذي ليس فيه شيء من الاشجار بل هو عار منها (وهو سقيم) أي ضعيف البدن * قال ابن مسعود كهيئة الفرخ ليس عليه ريش * وقال ابن عباس والسدي وابن زيد كهيئة الضبي حين يولد وهو المنفرش ليس عليه شيء واجتنا عليه شجرة من يقطلين * قال ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ووهب ابن منبه وحلال بن يساف وعبد الله بن طلوس والسدي وقادة والضحاك وعطاء الخرساني وغير واحد هو القرع *

قال بعض العلماء في انبات القرع عليه حكم جنة . منها أن دوره في غاية النعمة وكثير وظليل ولا يقربه ذئب ويؤكل ثمره من أول طلوعه الى آخره نيا ومطبوخا وقشره وبزره أيضا وفيه فتح كثير وقوية للدماغ وغير ذلك وتقدم كلام أبي هريرة في تسخير الله تعالى له تلك الاودية التي كانت ترضه لبنها وترعى في البرية وتأتيه بكرة وعشية . وهذا من رحمة الله به ونعمته عليه وإحسانه اليه ولهذا قال تعالى (فاستجبنا له فنجيانه من النهم) أي الكرب والضيق الذي كان فيه (وكذلك نجى المؤمنين) أي وهذا صيننا بكل من دعانا واستجار بنا * قال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا يحيى ابن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك وهو ابن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال قلت يا رسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها . ألم تسمع قول الله تعالى (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيانه من النهم وكذلك نجى المؤمنين) فهو شرط من الله لمن دعاه به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب * قال أبو خالد أحسبه عن مصعب بن أبي سمد عن سمد . قال قال رسول الله ﷺ (من دعا بدعاء يونس أستجيب له) قال أبو سعيد الأشج يريد به (وكذلك نجى المؤمنين) وهذان طريقان عن سمد . وثلك أحسن منهما .

قال الامام أحمد حدثنا اساميل بن عمر حدثنا يونس بن أبي اسحق الهذلي حدثنا ابراهيم بن محمد ابن سمد حدثني والدي محمد عن أبيه سمد وهو ابن أبي وقاص قال مررت بميثان بن عثان في المسجد فسلمت عليه فلأ عني مني ثم لم يرد علي السلام فأتيته عربن الخطاب قلت يا أمير المؤمنين هل حدث في السلام شيء قال لا وماذا قلت لا إلا أتى مررت بميثان آثما في المسجد فسلمت عليه فلأ عني مني ثم لم يرد علي السلام . قال فرسل عمر الى عثان فدعاه فقال ما منك أن لا تكون رددت

على أخيك السلام . قال ما قلت . قال سعد قلت لي حتى حلف وحلفت . قال ثم إن عثمان ذكر قال لي وأستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بي وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ لا والله ما ذكرتها قط إلا تمشي بصري وقلبي غشاوة . قال سعد فانا أنفك بها إن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشق حتى قام رسول الله ﷺ فاقبته فلما اشتقت أن يسبقني إلى منزله ضربت قدمي الأرض فالتفت إلى رسول الله ﷺ قال من هذا أبو اسحق قال قلت نعم يا رسول الله قال فقه قلت لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة . ثم جاء هذا الأعرابي فشقك . قال نعم دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين) فانه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له ورواه الترمذي والنسائي من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد به .

ذكر فضل يونس عليه السلام

قال الله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين) وذكره تعالى في جملة الأنبياء الكرام في سورة النساء والآنم عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام • وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ (لا يبنى لبيد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري به • وقال البخاري أيضا حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال ما يبنى لبيد أن يقول إني خير من يونس بن متى ونسبه إلى أبيه . ورواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث شعبة به قال شعبة فيها حكاه أبو داود عنه لم يسمع قتادة من أبي العالية سوى أربعة أحاديث هذا أحدها • وقد رواه الامام أحمد عن عثمان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (وما يبنى لبيد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) فترده أحمد ورواه الحافظ أبو القاسم الطبراني • حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا اسرائيل عن أبي يحيى الصواب عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال (لا يبنى لأحد أن يقول أنا عند الله خير من يونس بن متى) إسناده جيد ولم يخرجوه •

وقال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم سمعت حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (لا يبنى لبيد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) وكذا رواه مسلم من حديث شعبة • وفي البخاري . ومسلم من حديث عبد الله بن الفضل عن عبد الرحمن بن هرم عن الأعرج عن أبي هريرة في قصة المسلم الذي لطم وجه اليهودي حين قال لا والذى اصطفى موسى على

العالمين . قال البخاري في آخره (ولا أقول إن أحداً خير من يونس بن متى) أى ليس لاحد أن يفضل نفسه على يونس * والقول الآخر لا يفتنى لاحد أن يفضلنى على يونس بن متى كما قد ورد في بعض الأحاديث لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى * وهذا من باب المضم والتواضع منه صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله والمرسلين

ذكر قصة موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم

وهو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام قال تعالى (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً . ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) وقد ذكره تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن * وذكر قصته في مواضع متعددة مبسطة مطولة وغير مطولة وقد تكلمنا على ذلك كله في مواضع من التفسير وسنورد سيرته ههنا من ابتدائها إلى آخرها من الكتاب والسنة وما ورد في الآثار المنقولة من الأسراثيليات التي ذكرها السلف وغيرهم إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان * قال الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين تنزل عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضيف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين . وزيد أن يمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجلمهم أنعمة ونجلمهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) يذكر تعالى ملخص القصة ثم يسطرها بعد هذا فذكر أنه يتلو على نبيه خبر موسى وفرعون بالحق أى بالصدق الذي كان سامعه شاهداً للامر مابين له (ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً) أى تيجير وعتا وطنى وبني وآثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الرب الأعلى وجعل أهلها شيعاً أى قسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع يستضيف طائفة منهم وهم شعب بنى إسرائيل الذين هم من سلاله نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض * وقد سلب عليهم هذا الملك الظالم الفاسد الكافر الفاجر يستعبدونهم ويستظفونهم في أخس الصنائع والحرف وأرداها وأذلها ومع هذا يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين) وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح أن بنى إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأمرونه عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك والله أعلم حين كان جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر من إرادته إياها على السوء وعصاة الله لها * وكانت هذه البشارة مشهورة في بنى إسرائيل

فتحدث بها القبط فيما بينهم ووصلت الى فرعون فذكرها له بمضى اسرائيل واساورته وم يسرون عنده
فامر عند ذلك بقتل أبناء بني اسرائيل حذرا من وجود هذا النعام ولن يتبقى حذر من قدر .

وذكر السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أنس من
الصحابه أن فرعون رأى في منامه كأن نورا قد أقبلت من نحو بيت المقدس فخرقت دور مصر وجيع
القبط ولم تضر بني اسرائيل • فلما استيقظ حاله ذلك فجمع الكهنة والحزاة والسحرة وسألهم عن ذلك
فقالوا هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه فلهدأ أمر بقتل الفلنان وترك
النسوان ولهذا قال الله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) وهم بنو اسرائيل
(ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) أى الذين يؤل ملك مصر ويلاها اليهم (ونمكن لهم في الأرض
وَرُئِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أى سنبجل الضعيف قويا والمقهور قادرا
والقليل عزيزا وقد جرى هذا كله لبني اسرائيل كما قال تعالى (وأوردنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارك الأرض ومغاربا التي باركنا فيها ونمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا الآية)
وقال تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأوردناها بني اسرائيل) وسيأتى
تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله .

والمقصود أن فرعون احتز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى حتى جبل رجلا وقوايل يدورون
على الجبال ويصلون ميقات وضمن فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحه أولئك الذابحون من ساعته • وعند
أهل الكتاب أنه إنما كان يأمر بقتل الفلنان لضعف شوكة بني اسرائيل فلا يقاومونهم إذا غالبهم أو
قاتلهم . وهذا فيه نظر بل هو باطل وإنما هذا في الأمر بقتل الولدان بعد مئة موسى كما قال تعالى
(فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقبلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا فسادهم) ولهذا قالت بنو
اسرائيل لموسى (أودعنا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الفلنان
أولا حذرا من وجود موسى . هذا والتقدير يقول يا أيها ذا الملك الجبار المفرور بكثرة جنوده وسلطة
بأسه واتساع سلطانه قد حكم العظيم الذى لا يقابل ولا يمانع ولا يخالف أقداره ان هذا المولود الذى
تتمرر منه وقد قلت بنيه من النفوس مالا يمد ولا يحمى لا يكون مرهبا إلا في دارك وعلى فراشك
ولا يندى إلا بطامك وشرابك في منزلك وأنت الذى يتناه وتريه وتضده ولا تطلع على سر مناه
ثم يكون هلاكك في ديناك وأخراك على يديه تخافتك ملجأك به من الحق المبين وتكذبتك ما أوحى
إليه تمل أنت وسائر النطق أن رب السموات والأرض هو الغالب لما يريد وأنه هو القوى الشديد
قوى البأس العظيم والحول والقوة والمشية التى لا مرد لها .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن القبط شكوا الى فرعون قلة بني اسرائيل بسبب قتل

ولدتهم الذكور وخشى أن يمتلأ الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يملكونهم فرعون يقتل الأبناء عاما وأن يتركوا عاما قد كروا أن هرون عليه السلام ولد في عام المساعدة عن قتل الأبناء وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم فضاعت أمه به ذوعاً واحترزت من أول ملجأت ولم يكن يظهر عليها غمائل الجبل. فلما وضعت الممت أن اتخذت له تلجأ فربطته في جبل وكانت دارها متاخمة للتل فكانت ترضعه فلذا خشيت من أحد وضعت في ذلك التلوت فأرسلته في البحر وأمسكت طرف الجبل عندها فلذا ذهبوا استرجعته إليها به . قال الله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فلذا خفت عليه قالته في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تؤكلوه عسى أن ينصنا أو نتخذهم ولدا وهم لا يشعرون) هذا الوحى وحى الهام وإرشاد كما قال تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فسلكى سبيل ربك ذللاً الآية) وليس هو وحى نبوة كما زعمه ابن حزم وغير واحد من المتكلمين بل الصحيح الأول كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة .

قال السهيلي واسم أم موسى أيلخا . وقيل أيلنخت ^(١) * والمقصود أنها أرشدت إلى هذا الذى ذكرته والى في خلاها وروعا أن لا تخافى ولا تحزنى فله ان ذهب فان الله سيرده إليك وان الله سيجعل لى نبياً مرسلأ يلى كلمته في الدنيا والاخرة فكانت تصنع ما أمرت به فلعلته ذات يوم وذهلت أن تربط طرف الجبل عندها فذهب مع النيل فرعى دار فرعون (فالتقطه آل فرعون) قال الله تعالى (ليكون لهم عدواً وحزناً) قال بعضهم هذه لام العاقبة وهو ظاهر ان كان متلقا بقوله فالتقطه * وأما ان جعل متلقا بمضمون الكلام وهو أن آل فرعون قيصوا لالتقاطه ليكون لهم عدواً وحزناً صارت اللام معلقة كثيرا والله أعلم * وقوى هذا التقدير الثانى قوله (لى فرعون وهامان) وهو الوزير السوء (وجنودهما) المتابعين لها (كانوا خاطئين) أى كانوا على خلاف الصواب فاستحقوا هذه العقوبة والحسرة .

وذكر المفسرون أن الجوارى التقطته من البحر في تلوت مطلق عليه فلم يتجاسرن على خضه حتى وضعت بين يدى امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الزيان بن الوليد الذى كان فرعون مصر في زمن يوسف * وقيل انها كانت من بنى اسرائيل من سبط موسى * وقيل بل كانت عمة حكاة السهيلي فله أعلم

وسأنى مدحها والثناء عليها في قصة مريم بنت عمران وأنها يكونن يوم القيامة من أزواج رسول

(١) والذى في تفسير القرطبي عن الثعلبي لوخا بنت هانئ بن لاوا بن يعقوب . وفي بعض التفاسير

اسمها (يوحاندا) .

صلى الله عليه وسلم في الجنة • فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأت وجهه يتلأأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية فلما رآته ووقع قلبها عليه أحبهت حباً شديداً جداً • فلما جاء فرعون قال ما هذا وأمر بذيجه فاسترهبته منه ودفعت عنه (وقالت قرة عين لي ولك) قال لما فرعون أُمأ لك فعم وأُمأ لي فلا أي لاحاجة لي به (والبلاء موكل بالمنطق) . وقولها (عسى أن يفتننا) وقد أنظما الله ما رجعت من النفع أُمأ في الدنيا فهداها الله به وأُمأ في الآخرة فأسكنها جنة بيبه (أو تتخذنا وُلداً) وذلك أنها تنبئناه لأنه لم يكن يولد لها ولد . قال الله تعالى (وم لا يشرون) أي لا يدرون ماذا يريد الله بهم أن يقضهم لانقضاء من القيمة العظيمة بفرعون وجنوده . (وأصبح فرود أم موسى فارغاً لئن كذبت لبسدى به فولأ أن ربنا على قلبها لتكون من المؤمنين) وقالت لاخته قصية فصرت به عن جنب وم لا يشرون وحرمتا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وم له تلصحن فرددته الى أمه كي تتر عينها ولا تحزن وتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبیر وأبو عبيدة والحسن وقادة والضحاك وغيرهم وأصبح فرود أم موسى فارغاً أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى إن كذبت لبسدى به أي تظهر أمره وتسل عنه جبرة (ولوأ أن ربنا على قلبها) أي صبرناها وفتنناها (لتكون من المؤمنين) وقالت لاخته وهي ابنتها الكبيرة قصية أي ابنتي أثره واطلبي له خبره فيصرت به عن جنب • قال مجاهد عن يمد • وقال قتادة جلست تنظر اليه وكأنها لا تريد • ولهذا قال (وم لا يشرون) وذلك لأن موسى عليه السلام لما استقر بدار فرعون أرادوا أن ينضوه برضاعة فلم يقبل ثدياً ولا أخذ طعاماً فثاروا في أمره واجتهدوا على تنقيته بكل ممكن فلم يفلح . كما قال تعالى (وحرمتا عليه المراضع من قبل) فترسلوه مع القوايل والنساء الى السوق لعل يجدون من يوافق رضاعته فينضم وقوف به والناس عكوف عليه اذ بصرت به اخته فلم تظهر أنها تفرقه بل قالت (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وم له تلصحن) • قال ابن عباس لما قالت ذلك قالوا لما ما يدريك بنصهم وشقتهم عليه فقالت رغبة في صهر الملك ورجاء منفعة فاطفوها ونهبوا معها الى منزلهم فلأخذته أمه فلما أرضعته التقم ثديها وأخذ يتيمه ويرتضه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير الى آسية يلها بذلك فاستدعها الى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها وأن تحسن اليها فأبى عليها وقالت لئن لي بلاء وأولاداً ولست أقدر على هذا إلا أن ترسله معي فترسلته معها ورتبت لها رواتب وأجرت عليها التفقات والكساوى والمبايات فرجست به فحوزه الى رحلها وقد جمع الله شمله بشلها . قال الله تعالى (فرددته الى أمه كي تتر عينها ولا تحزن) . تعلم أن وعد الله حق) أي كما وعدنا بردة ورسالة فهذا رده وهو دليل على صدق البشارة برسائه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقد آمن الله على موسى بهذا ليلة قال له فيا قال له (وقد مننا عليك مرة أخرى اذ

أوجنا الى أمك ماوحى أن اقدنيه في التابوت فلقنيه في اليم فليقه اليم بالساحل يأخذه عدولى وعدوه له وأقيمت عليك حجة منى ولتصنع على عيني) اذ قال قتادة وغير واحد من السلف أى تطعم وترفه وتغذى بطيب المأكول وتلبس أحسن الملابس برأى منى وذلك كله يحفظى ولا يلقى لك فيها صمت بك لك وقدرة من الأمور التي لا يقدر عليها غيرى (إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرددك الى أمك كي تمر عليها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من النعم وقتلك قوماً) وسنورد حديث الثورون في موضعه بعد هذا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

(ولما بلغ أشده واستوى آتيته حكماً وعلماً وكذلك نجيزى المحسنين . ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أظمت على فلان أكون ظهيراً للمجرمين) لما ذكر تعالى أنه أظم على أمه برده لها وإحسانه بذلك وإماتته عليها شرع في ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى وهو إحكام المطلق والخلق وهو سن الأربعين في قول الأكرمين آتاه الله حكماً وعلماً وهو النبوة والرسالة التي كان بشر بها أمه حين قال (إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) ثم شرع في ذكر سبب خروجه من بلاد مصر وذهابه الى أرض مدين وإقامته هناك حتى كمل الأجل واهتمى الأمد وكان ما كان من كلام الله له وإكرامه بما أكرمه به كسياتى . قال تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدى وذلك نصف النهار * وعن ابن عباس بين السائين (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يتضاربان ويتهاوشان (هذا من شيعته) أى إسرائيلى (وهذا من عدوه) أى قبلى قاله ابن عباس وقتادة والسدى ومحمد بن اسحاق (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) وذلك أن موسى عليه السلام كانت له بديلار مصر صولة بسبب نسيته الى بقى فرعون له وتربيته في بيته وكانت بنو إسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاعة وارتفعت رؤوسهم بسبب أنهم أرضوه وهم أخواله أى من الرضاة فلما استأثرت ذلك الاسرائيلى موسى عليه السلام على ذلك القبطى أقبل اليه موسى (فوكزه) * قال مجاهد أى طمنه بجميع كنه * وقال قتادة بصا كانت معه (فقضى عليه) أى فأت منها * وقد كان ذلك القبطى كافراً مشركاً بالله العظيم ولم يرد موسى قتله بالكليّة وإما أراد زجره وردعه ومع هذا (قال موسى) هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أظمت على) أى من الزم والجاء (فلان أكون ظهيراً للمجرمين . فاصبح في المدينة خائفاً يترقب فلما الذى استنصره بالأرض يستمرخه قال له موسى إنك لتوى مبين . فلما أراد ان يبطش بالذى هو عدو لها قال لموسى

أريد أن تختلفي كما قلت غساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجل من أقصى المدينة يسمى قال ياموسى إن الملا يأثمرون بك ليقتلوك فخرج إلى لك من الناصحين فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين)

ينجيهم تعالى أن موسى أصبح بمدينة مصر خائفاً أى من فرعون وملأه أن يملأوا أن هذا القاتل الذى رفع إليه أمره إما قتله موسى في نصره رجل من بنى إسرائيل فتقوى ظنونهم أن موسى منهم ويترتب على ذلك أمر عظيم فصار يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم (خائفاً يترقب) أى يلتفت فينا هو كذلك إذا ذلك الرجل الاسرائيلى الذى استنصره بالأمس يستمرخه أى يصرخ به ويستغيثه على آخر قد قاتله فنهض موسى ولامه على كثرة شره وغناصته قال له إنك لتقوى مبین • ثم أراد أن يعطش بذلك القبطى الذى هو عدو لموسى والاسرائيلى فيردعه عنه ويخلصه منه فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطى (قال ياموسى أريد أن تختلفي كما قلت غساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين) قال بعضهم إما قال هذا الكلام الاسرائيلى الذى إطلع على ما كان صنع موسى بالأمس وكان لا رأى موسى مقبلاً الى القبطى إعتقد أنه جاء إليه لما عنده قبل ذلك بقوله إنك لتقوى مبین فقال مقاتل لموسى وأظهر الأمر الذى كلف وقم بالأمس فذهب القبطى فاستمدى موسى إلى فرعون . وهذا الذى لم يذكر كثير من الناس سواء . ويحتمل أن قاتل هذا هو القبطى وأنه لما رآه مقبلاً إليه خافه ورأى من سجيته إكتصاراً جيداً للاسرائيلى فقال مقاتل من باب الفتن والغرسة إن هذا له قاتل ذاك القاتل بالأمس أوله فهم من كلام الاسرائيلى حين أستمرخه عليه ماله على هذا والله أعلم .

والمقصود أن فرعون بلغه أن موسى هو قاتل ذلك المختول بالأمس فمرسل في طلبه وسبقهم رجل ناصح عن طريق أقرب (وجاء من أقصى المدينة) ساعياً إليه مشقاً عليه (قال ياموسى إن الملا يأثمرون بك ليقتلوك فخرج) أى من هذه البلدة (أى لك من الناصحين) أى فيها أقوله لك قال الله تعالى (فخرج منها خائفاً يترقب) أى فخرج من مدينة مصر من فوره على وجهه لا يهتدى إلى طريق ولا يمره قالوا (رب نجني من القوم الظالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يصفون ووجد من دونهم امرأة ثنتين تظودان قال ما خطبك قالتا لانسق حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسق لهما ثم تولى إلى الظل قال رب إلى ما أتيتك من خير قير) . ينجيهم تعالى عن خروج عبده ورسوله وكيهه من مصر خائفاً يترقب أى يلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري أين يتوجه ولا إلى أين يذهب وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها (ولما توجه تلقاء مدين) أى أتجه له طريق يذهب فيه (قال عسى ربى أن يهدينى

سواء السيل) . أى عسى أن تكون هذه الطريق موصلة الى المقصود * وكذا وقع أو صلت الى مقصود
وأى مقصود (ولما ورد ماء مدين) وكانت يثرا يستقون منها * ومدين هى المدينة التى أهلك الله فيها
أصحاب الأيكة * وم قوم شيب عليه السلام * وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام فى أحد
قوى البلاد * (ولما ورد الماء) المذكور (وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراةين
تزدوران) أى تكفكفان غنهما أن تختلط بضم الناس * وعند أهل الكتاب أنهن كن سبيع بنات .
وهذا أيضاً من النلط وكلمه كن سبما ولكن إنما كن نسق إختان منهن . وهذا الجمع ممكن ان كان ذاك
محفوظا والا فلتظاهر أنه لم يكن له سوى بنتان (قال ما خبطكما قالتا لا نسق حتى يصدر الرعاء وأبونا
شيخ كبير) أى لا تقدر على ورود الماء إلا بعد صدور الرعاء لضغنا وسبب مباشرتنا هذه الرعية
ضغف أبينا وكبره قال الله تعالى (فسقى لها) .

قال المفسرون وذلك أن الرعاء كانوا اذا فرغوا من وردهم وضروا على فم البئر صخرة عظيمة
تحتجى هاتان المرأتان فيشرعان غنهما فى فضل أغنام للناس فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك
الصخرة وحده . ثم استقى لها وسقى غنهما ثم رد الحجر . كما كان * قال أمير المؤمنين عر وكان لا يرضه
إلا عشرة وإنما استقى ذنوبا واحدا فكفاهما . ثم تولى الى الظل قالوا وكان ظل شجرة من السمر * روى
ابن جرير عن ابن مسعود أنه رآها خضراء ترف (قال رب إني لما أنزلت الى من خير قدير) قال ابن
عباس سار من مصر الى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر وكان حافيا فسقط فلاقاه من
الحفاة وجلس فى الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطه لاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل
لترى من داخل جوفه وأنه محتاج الى شق ثمرة * قال عطاء بن السائب لما (قال رب إني لما أنزلت الى
من خير قدير) اسم المرأة (فجاءه احداها تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما
سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف فنجوت من القوم الظالمين . قالت احداها يا أبت
إستأجره إن خير من إستأجرت القوى الامين . قال إني أريد أن انكحك إحدى ابنتي هاتين على
أن تأجرى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من
الصالحين . قال ذلك يعق ويترك أبا الاجلين قضيت فلا عدوان على الله على ما هول وكيل) لما
جلس موسى عليه السلام فى الظل و (قال رب إني لما أنزلت الى من خير قدير) سمعته المرأتان فباقيل
فذهبتا الى أبيهما فيقال إنه استنكر سرعة وجوعهما فلخبرته ما كان من أمر موسى عليه السلام فأمر
احداها أن تذهب اليه فتدعوه فجاءته احداها تمشى على استحياء أى مشى الخراير قالت إن أبى يدعوك
ليجزيك أجر ما سقيت لنا * صرحت بهذا الكلام روية . وهذا من تمام حيايتها وصيانتها
فلما جاءه وقص عليه القصص وأخبره خبره وما كان من أمره فى خروجه من بلاد مصر فرارا من

فرعونها (قال له) ذلك الشيخ (لانخف نجوت من التوم الظالمين) أى خرجت من سلطانهم قلت في دولهم .

وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو قليل هو شبيب عليه السلام . وهذا هو المشهور عند كثيرين ومن نص عليه الحسن البصرى ومالك بن أنس . وجاء مصرحاً به في حديث ولكن في إسناده فطر وصرح طائفة بأن شيبا عليه السلام عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أذكره موسى عليه السلام وتزوج بابنته . وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصرى أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شبيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين * وقيل إنه ابن أخى شبيب * وقيل ابن عمه * وقيل رجل مؤمن من قوم شبيب * وقيل رجل اسمه يثرون هكذا هو في كتب أهل الكتاب يثرون كفن مدين أى كبيرها وعالمها * قال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله اسمه يثرون . زاد أبو عبيدة وهو ابن أخى شبيب . زاد ابن عباس صاحب مدين .

والمقصود أنه لما أضافه وأكرم مثواه وقص عليه ما كان من أمره بشره بأنه قد نجى فند ذلك قالت إحدى البتتين لايبها يا أبت إستأجره أى لرحى غنمك فم مدحه بانه قوى أمين قال عرو ابن عباس وشرح القاضي وأبو مالك وقادة ومحمد بن اسحق وغير واحد لما قالت ذلك قال لها أبوها وما عليك بهذا فقالت إنه رغب صخرة لا يطيق رفضا إلا عشرة . وأنه لما جئت منه خدمت أماله قال كوني من ورائى فاذا اختلف الطريق فاخذى لى بمحصة أعلم بها كيف الطريق .

قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة * صاحب يوسف حين قال لامرأته أكرهى مثواه * وصاحبة موسى حين قالت يا أبت إستأجره لأن خير من إستأجرت القوى الأمين * وأبو بكر حين أستخلف عمر بن الخطاب (قال لى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) استدل بهذا جماعة من أصحاب أبى حنيفة رحمه الله على صحة ما اذا باعه أحد هذين المبدئين أو الثوين ونحو ذلك أنه يصح لقوله إحدى ابنتى هاتين * وفى هذا فطر لأن هذه مروضة لاساقفة والله أعلم .

واستدل أصحاب احمد على صحة الايجار بالطمعة والكسوة كما جرت به العادة وأستانسوا بالحدث الذى رواه ابن ملجه في سننه مترجماً في كتابه (بلب إستبجار الاجير) على طام بطنه حدثنا محمد ابن الصنى الحمصى حدثنا بقة بن الوليد عن مسلمة بن على عن سعيد بن أبى أيوب عن الحارث بن يزيد عن على بن رباح قال سمعت عتبة بن النذر يقول كنا عند رسول الله ﷺ فقرأ طس حتى اذا بلغ قصه موسى قال ان موسى عليه السلام أجزه ثمانى سنين أو عشرة على عفة فرجه وطام بطنه وهذا من هذا الوجه لا يصح لأن مسلمة بن على الحمصى المسمى البلاطى ضعيف عند الأئمة لا يحتاج بغيره ولكن

قد روى من وجه آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكر حدثني
ابن لهيعة (ح) وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن
يزيد الحضرمي عن علي بن رباح الأنصبي قال سمعت عتبة بن النضر السلمي صاحب رسول الله ﷺ
يحدث أن رسول الله قال إن موسى عليه السلام آجر نفسه لعة فرجه وطعمة بطنه * ثم قال تعالى (ذلك
يثق وبنك أيا الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ) والله على ما هاتول وكيل) يقول إن موسى قال لصهره
الأمر على ما قلت فليهما قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما قلنا سامع ومشاهد ووكيل عليّ وعليك ومع
هذا فلم يقض موسى إلا أكل الأجلين وأنهما وهو الشر ستين كواحل قله .

قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن
سالم الأفلس عن سعيد بن جبير قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى قلت
لا أدرى حتى أقدم على خبر العرب فسلته فقلت فسلت ابن عباس قال قضى أكرهما وأطهما
إن رسول الله إذا قال فل . فزده البخاري من هذا الوجه وقد رواه النسائي في حديث الثورن كما
سأني من طريق القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن محمد
الطوسي وابن أبي حاتم عن أبيه كلاهما عن الحميدي عن سفيان بن عيينة حدثني إبراهيم بن يحيى بن
أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال سألت جبريل
أي الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأكلهما * وإبراهيم هذا غير معروف إلا بهذا الحديث . وقد
رواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن أدهم عن الحكم بن أبان عن
عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره . وقد رواه سيفيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
مرسلا أن رسول الله سأل عن ذلك جبريل فقال جبريل إسرائيل فسأل إسرائيل الرب عز وجل
قال أبرهما وأوطهما . وينحوه رواه ابن أبي حاتم من حديث يوسف بن سرح مرسلا ورواه ابن جرير
من طريق محمد بن كعب أن رسول الله ﷺ سأل أي الأجلين قضى موسى قال أوطهما وأتمهما . وقد
رواه البزار وابن أبي حاتم من حديث عزميد بن أبي عمران الجوفى وهو ضعيف عن أبيه عن عبد الله
ابن الصامت عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ سأل أي الأجلين قضى موسى قال أوطهما وأبرهما قال
وإن سئلت أي المرأتين تزوج قل الصغرى منهما . وقد رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق عبد
الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح عن عتبة بن النضر أن رسول الله قال إن
موسى آجر نفسه بعة فرجه وطعام بطنه * فلما وفي الأجل قيل يا رسول الله أي الأجلين قال أبرهما
وأوطهما * فلما أراد فراق شيب سأل إمرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فاعطاها
ما ولدت من غنمه من قالبون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سودا حسانا فاضلق موسى عليه السلام

الى عصا قسمها من طرفها * ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أوردھا فشقھا ووقف موسى عليه السلام
بجوار الحوض فلم يصد منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة قال فالتفت وأثنت (١) ووضعت كلها قوالب الوان
إلا شاة أو شاتين ليس فيها فضوش ولا ضبوب ولا عزوز ولا شمول ولا كوش فتوت الكف قال
النبي ﷺ لو أقسمت الشام وجدتم بقايا تلك الضم وهي السامرية . قال ابن طيمية الفضوش واسعة السخب
والضبوب طويلة الضرع فحمره والمزوز ضيقة السخب والشمول الصغيرة الضرع كالمطبتين والكوش التي
لا يحكم الكف على ضرعها لضره وفي حمة رفع هذا الحديث نظر * وقد يكون موقوفا كما قال ابن
جرير حدثنا محمد بن المثني حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال لما دعا
نبي الله موسى صاحبه الى الأجل القى كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على لونها فك ولها
فصد فوضع خيالا على الماء فلما رأته انخيل فرغت فجالت جولة فولدت كلهن بقعا الا شاة واحدة فذهب
بولادهن ذلك العام وهذا إسناد رجاله ثقات والله أعلم .

وقد تقدم عن قل أهل الكتاب عن يعقوب عليه السلام حين طلق خاله لابن أنه أطلق له ما
يولد من غنمه بقا فضل نحو ما ذكر عن موسى عليه السلام ﷺ . (فلما قضى موسى الأجل وسار
بأهله آفس من جانب الطور ثورا قال لأهله أمكثوا إلى آفتس ثورا لعل آتيكم منها بخبر أو جذوة من
النار لعلكم تصطلون . فلما أكلها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن
يأموس إلى أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يقب يلأموس
أقبل ولا تخف إنك من الآمنين . أسلك يدك في جيبك تخرج يضاء من غير سوء واضمم إليك
جناحك من الريب فذاك برهان من ربك الى فرعون وملائه إنهم كانوا ظالمين) . ثم أن
موسى قضى أتم الأجلين وأكملها وقد يؤخذ هذا من قوله (فلما قضى موسى الأجل) وعن مجاهد
أنه أكل حشرا وعشرا بعدها . وقوله (وسار بأهله) أي من عند صهره ذاهبا فيها ذكره غير واحد
من المفسرين وغيرهم أنه اشتاق الى أهله قصد زيارتهم ببلاد مصر في صورة مخف فسا سار بأهله ومعه
ولدان منهم وغنم قد استفادها مدة مقامه قالوا واعتق ذلك في ليلة مظلمة بلردة وتلوا في طريقهم فلم
يهتدوا الى السلوك في الغرب المألوف وجعل يورى زلذه فلا يورى شيئا واشتد الظلام والبرد فبينما هو
كذلك اذ أبصر عن بعد ثورا تآجج في جانب الطور وهو الجبل النري منه عن يمينه قال لأهله أمكثوا
إلى آفتس ثورا وكأنه والله أعلم رآه دونهم لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا يصلح رؤيتها لكل أحد
(لعل آتيكم منها بخبر) أي لعل أستعلم من عندها عن الطريق (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون)
فدل على أنهم كانوا قد تلوا عن الطريق في ليلة بلردة ومظلمة قوله في الآية الأخرى (وهل ألك

(١) هكذا بالنسخة الخليلية . وفي النسخة المصرية فالتفت وأثنت فليحذر

حديث موسى إذ رأى نارا قال لأهله امكثوا إني آتيت نارا لعل آتيكم منها قيس أو أجد على النار هدى (فدل على وجود الظلام وكونهم تاهوا عن الطريق • وجع الكل في سورة النمل في قوله (إذ قال موسى لأهله إني آتيت نارا سأتيكم منها بخير أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) . وقد أتاهم منها بخير وأى خير ووجد عندها هدى وأى هدى واتبع منها نورا وأى نور . قال الله تعالى (فلما أتاهم نوري من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يلومى إلى أنا الله رب العالمين) . وقال في النمل (فلما جاء هاتودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) أى سبحان الله الذى يصل ما يشاء ويحكم ما يريد (يلومى له أنا الله العزيز الحكيم) وقال في سورة طه (فلما أتاهم نوري يلومى إلى أنا ربك فخلق فليك إنك بالوادي المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكده أخينا لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) . قال غير واحد من المفسرين من السلف واختلف لما قصد موسى إلى تلك النار التي رآها فأنهى إليها وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسج وكل ما تلك النار في اضطرام وكل ملتحضة تلك الشجرة في ازدياد فوق متجبا وكانت تلك الشجرة في لطف جبل غربي منه عن يمينه كما قال تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) وكان موسى في واد اسمه طوى فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناداه رب بلوادي المقدس طوى فأمر أولا بخلق عليه تمظيلا وتكريما وتوقيرا لتلك البقعة المباركة ولاسيا في تلك القبة المباركة .

وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور مهابة له وخوفا على بصره ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلا له (إني أنا الله رب العالمين • إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري) أى أنا رب العالمين الذى لا إله إلا هو الذى لا تصلح العبادة وأقامة الصلاة إلا له . ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية يوم القيامة التى لا بد من كونها ووجودها (لتجزى كل نفس بما تسعى) أى من خير وشر . وحسه وحش على العمل لها وبجانبة من لا يؤمن بها من عصي مولاه واتبع هواه ثم قال له مخاطبا ومؤانسا وميننا له أنه القادر على كل شئ الذى يقول للشئ كن فيكون . (وما تلك بينك يلموسى) أى أما هذه عصاك التى عرفها منذ صحبتها (قال هى عصاى أتوكؤ عليها وأهش بها على غنى ولي فيها ما رب أخرى) . أى بل هذه عصاى التى أعرفها وأتصقها (قال اتها يلموسى فالتقاها فلذا هى حية تسعى) . وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذى يكله يقول للشئ كن فيكون وأنه النزال بالاختيار •

وعند أهل الكتاب أنه سأل برهانا على صدقه عند من يكذب من أهل مصر فقال له الرب

عز وجل ماهذه التي في يدك قال عصاى قال القها الى الارض (فاقطعها فاذا هى حية تسعى) فهرب موسى من قدامها فصره الرب عز وجل أن يسط يده ويأخذها بذنبها فلما استمكن منها ارتدت عصا في يده وقد قال الله تعالى فى الآية الاخرى (وأن ألقى عصاك فلما رآها تهتز كلما جان ولى مدبراً ولم يعقب) أى قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وأنياب تصك وهى مع ذك فى سرعة حركة الجبان وهو ضرب من الحيات * يقال الجبان والجبان وهو لطيف ولكن سريع الاضطراب والحركة جداً فهذه جمعت الضخامة والسرعة الشديدة فلما عاينها موسى عليه السلام (ولى مدبراً) أى هارباً منها لان طبيعته البشرية تقتضى ذلك (ولم يعقب) أى ولم يلتفت (فتداه به) قائلاً له (يلموسى أقبل ولا تخف إنك من الامتئين فلما رجع أمره الله تعالى أن يمسكها . قال خذها ولا تخف ستعيدها سيرتها الاولى) . فيقال إنه هابها شديداً فوضع يده فى كم مدرعته ثم وضع يده فى وسط فمها * وعند أهل الكتاب بذنبها فلما استمكن منها اذا هى قد عادت كما كانت عصا ذات شمتين فسبحان القدير العظيم رب المشرقين والمغربين ثم أمره تعالى بإدخال يده فى جيبه . ثم أمره بزعها فلما هى تتلألاً كالقمر يابضاً من غير سوء أى من غير برص ولا بهق . ولهذا قال اسلك يديك فى جيبك فخرج يضاء من غير سوء واضمح اليك جناحك من الريح) قيل مستاه اذا خفت فضع يديك على فؤادك يسكن جأشك . وهذا وإن كان خاصاً به الا أن بركة الايمان به حق بأن ينفع من استعمال ذلك على وجه الاعتداء بالانبياء وقال فى سورة النمل (وأدخل يديك فى جيبك فخرج يضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين) أى هاتان الآيتان وهما العصا واليد وهما البرهانان المشار اليهما فى قوله (فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملأه إنهم كانوا قوماً فاسقين) ومع ذلك سبع آيات أخر فذلك تسع آيات وبنات وهى المذكورة فى آخر سورة سبحان حيث يقول تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسلأ بنى إسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يلموسى مسحوراً . قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يفرعون مشبورا) وهى المبسوطة فى سورة الاحراف فى قوله (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وقصص من الثمرات لعلهم يذكرون فلما جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طأرهم عند الله ولكن أكرهم لا يعلمون . وقالوا مهبا تأتانا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) كما سيأتى الكلام على ذك فى موضعه وهذه التسع آيات غير الشر الكلمات فلن التسع من كلمات الله التندرية والشر من كلماته الشرعية وانما نهينا على هذا لأنه قد شبه أمرها على بعض الرواة فقلن أن هذه هى هذه كما قرأنا ذلك فى تفسير آخر سورة نعى إسرائيل .

والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى عليه السلام بالتهاب إلى فرعون (قال رب إني قتلت منهم
 نفسا فأخاف أن يقتلون. وأخى هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردأ يصدقني إني أخاف أن
 يكذبون. قال سند عضدك بأخيك ونجبل لك سلطانا فلا يصلون اليك بآياتنا أنا ومن اتبعك
 الغالبون). يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكتبه موسى عليه السلام في جواب لربه عز وجل حين
 أمره بالتهاب إلى عدوه الذي خرج من ديار مصر فرارا من سطوته وظلمه حين كان من أمره ما كان
 في قتل ذلك القبطي ولهذا (قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون. وأخى هرون هو أفصح مني
 لسانا فأرسله معي ردأ يصدقني إني أخاف أن يكذبون). أي أجعله معي ميتا وردأ ووزيرا يساعدي
 ويسمعي على أداء رسالتك إليهم فانه أفصح مني لسانا وأبلغ بآياته قال الله تعالى بجيبا له إلى سؤاله (سند
 عضدك بأخيك ونجبل لك سلطانا) أي برهانا (فلا يصلون اليك) أي فلا يتناولون منك مكرها
 بسبب قيامك بآياتنا. وقيل بركة آياتنا (أنا ومن اتبعك الغالبون) وقال في سورة طه (اذهب إلى
 فرعون انه طغى. قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني فيقولوا قولي)
 قيل إنه أصابه في لسانه لثمة بسبب تلك الحجرة التي وضعها على لسانه التي كان فرعون أراد إختبار عقله
 حين أخذ بلحيته وهو صغير فهم بقتله فخافت عليه آسية وقالت إنه طفل فاختبره بوضع حمرة وجمرة بين
 يديه فهم بلخذ الحمرة فصرف الملك يده إلى الجمرة فلخفها فوضعها على لسانه فصابه لثمة بسببها فسأل زوال
 بسببها بمقدار ما يهيمون قوله ولم يسأل زوالها بالكلية.

قال الحسن البصري والرسول إنما يسألون بحسب الحاجة ولهذا بقيت في لسانه بقية ولهذا قال فرعون
 قبحه الله فيما زعم إنه يصيب به الكلم (ولا يكاد يبين) أي يفصح عن مراده ويمر عما في ضميره
 وفؤاده ثم قال موسى عليه السلام (واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخى أشد به أزدى وأشركه
 في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا. قال قد أوتيت سؤالك يا موسى)
 أي قد أجبتك إلى جميع مسألت وأعطيتك التي طلبت وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل حين شفع
 أن يوحى الله إلى أخيه فأوحى إليه وهذا جاه عظيم قال الله تعالى (وكان عند الله وجيها) وقال تعالى
 (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وقد سمعت أم المؤمنين عائشة رجلا يقول لآئس وهم سارون
 طريق الحج (أي أخ آمن على أخيه) فسكت القوم فقالت عائشة لمن حول هودجها هو موسى بن عمران
 حين شفع في أخيه هرون فأوحى إليه قال الله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) قال
 تعالى في سورة الشعراء (وإذ نكح ربك موسى أن اتت القوم الظالمين قوم فرعون الايتقون. قال
 رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا يتنطق لساني فأرسل إلى هرون ولهم على ذنب أخاف
 أن يقتلون. قال كلا فانها بآياتنا إنما مكم مستمعون. فأتيا فرعون قولا إنما رسول رب العالمين أن أرسل

منا بنى إسرائيل . قال ألم نربك فينا ولدا ولبثت فينا من عرك سنين وفلت فلتك التي فلت وأنت من الكافرين) تحدير الكلام فانيه قال له ذلك وبلغاه ما أرسل به من دعوة الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأن يكفرك أسارى بنى إسرائيل من قبضته وقهره وسلطوته وتركهم يعبدون دينهم حيث شاؤوا ويترغون لتوحيدهم ودمائه والتضرع اليه فكيف فرعون في نفسه وعنا وطني ونظر الى موسى بين الازدراء والتقص قال له (ألم نربك فينا ولدا ولبثت فينا من عرك سنين) أى اما أنت الذى ربيناه في منزلنا وأحسننا اليه وأمننا عليه مدة من الدهر وهذا يدل على أن فرعون الذى بث اليه هو الذى فر منه خلافا لما عند أهل الكتاب من أن فرعون الذى فر منه ملت في مدة مقامه بمدين وأن الذى بث اليه فرعون آخر . وقوله (وفلت فلتك التي فلت وأنت من الكافرين) أى وقتلت الرجل القبطى وفرت منا وجعلت فمتنا (قال فطها اذا وأنا من الضالين) أى قبل أن يوحى الى ويفزل على (ففردت منكم لما اختكم فوهب لى ربي حكما وجعلنى من المرسلين) ثم قال حجيا لفرعون عما امتن به من القرية والاحسان اليه وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل أى وهذه النعمة التى ذكرت من أنك أحسنت الى وأنا رجل واحد من بنى إسرائيل قتيل ما استخدمت هذا الشعب العظيم بكهله واستعبدتهم فى أعمالك وخدمتك وأشغاك (قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم قتلون)

يذكر تعالى ما كان بين فرعون وموسى من المناظرة والمناظرة وما أقامه الكلام على فرعون القبيح من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية . وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى . وزعم أنه الاله (فخر فنادى قال أنا ربكم الأعلى) وقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) . وهو فى هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مهربوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الاله الحق كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كانت عاقبة المفسدين) ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرسالة والاظهار أنه مأمم رب ارسله (وما رب العالمين) لانهما قاله (إنا رسول رب العالمين) فكأنه يقول لهما ومن رب العالمين الذى ترعان أنه أرسلكما وابتعثكما فاجابه موسى قائلا (رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) يعنى رب العالمين خالق هذه السموات والأرض المشاهدة وما بينهما من المخلوقات المتجذبة من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات التى يعلم كل موقن انها لم تحدث بانفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق وهو الله الذى لا إله الا هو رب العالمين . (قال) أى فرعون لمن حوله من امرائه ومرازمته ووزرائه

على سبيل التهمك والتقص لما قرره موسى عليه السلام ألا تسعون يميني كلامه هنا قال موسى مخاطباً له ولهم (ربكم ورب آبائكم الاولين) أى هو الذى خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والاجداد والقرن السالفة فى الأبد لأن كل احد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث وإنما أوجده وخلق رب العالمين . وهذان المقامان هما المذكوران فى قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ومع هذا كله لم يستغنى فرعون من ردفته ولا تزعج عن ضلالتة بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه (قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تفلحون) أى هو المسخر لهذه الكواكب الزاهرة . السيرة للأفلاك الدائرة . خالق الظلام والضياء . ورب الأرض والسماء رب الأولين والآخرين خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثواب الحائرة خالق الليل بنظلامه والنهار بضياءه وبشكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سائر وفلك يسبحون يتعاقبون فى سائر الأوقات ويدورون فهو تعالى الخالق المالك المتصرف فى خلقه بما يشاء . فلما قامت الحجج على فرعون وانقضت شبهه ولم يبق له قول سوى العناد عدل الى استعمال سلطانه وجا به وسطوته (قال لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجلنك من المسجونين . قال أولو جئتكم بشئ مبين . قال فأت به ان كنت من الصادقين) فأتى عصاه فإذا هى ثمان ميين وترع يده فإذا هى بضياء للناظرين (وهذان هما البرهانتان القديتان أيده الله بهما وهما المصا واليد . وذلك مقام أظهر فيه انوار العظيم الذى يهر به القول والآبصار حين أتى عصاه فإذا هى ثمان ميين . أى عظيم الشكل بديع فى الضخامة والمول والمنظر العظيم النظيف الباهر حتى قيل إن فرعون لما شاهد ذلك وعانيه أخذه رعب شديد وخوف عظيم بحيث أنه حصل له إسهال عظيم أكثر من أربعين مرة فى يوم وكان قبل ذلك لا يتبرز فى كل أربعين يوماً إلا مرة واحدة فافسكس عليه الحال * وهكذا لما أدخل موسى عليه السلام يده فى جيبه واستخرجها أخرجها وهى كفلق القمر تتلألأ نوراً يهر الأبصار فإذا أعادها إلى جيبه رجعت الى صفها الاولى ومع هذا كله لم ينفع فرعون لعنه الله بشئ من ذلك بل استمر على ما هو عليه وأظهر أن هذا كله سحر وأراد مراضته بالسحرة فارسل يجمعهم من سائر مملكته ومن فى رعيته وتحت قهره ودولته كما سأتى بسطه وبيانه فى موضعه من اظهار الله الحق المبين والحجة الباهرة القاطعة على فرعون وملائه وأهل دولته وملكته والله الحمد والمنه . وقال تعالى فى سورة طه (فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطغنتك لنفسى إذهب أنت وأخوك بآتى ولا تنيا فى ذكرى إذهبنا الى فرعون إنه طغى قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قال ربنا إنما نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنا معك أسمع وأرى)

يقول تعالى مخاطباً لموسى فيما كله به ليلة أوحى إليه وأقم بالنبوة عليه وكله منه اليه قد كنت مشاهداً

لك وأنت في دار فرعون وأنت تحت كنفى وحفظى ولطنى ثم أخرجتك من أرض مصر الى أرض
مدين بميثقى وقدرتى وتديرى قلبت فيها ستين (ثم جئت على قدر) أى متى لكلك فوافق ذلك
تقديرى وتسيرى (واصطمتك لنفسى) أى اصطفتك لنفسى برسالى وبكلامى (اذهب أنت وأخوك
بآبائى ولا تنيا فى ذكرى) يعنى ولا تخفرا فى ذكرى اذ قديمتا عليه ووقدتا اليه فان ذلك عون لكما
على مخاطبته ومجاوبته وإهداء النصيحة اليه وإقامة الحجة عليه . وقد جاء فى بعض الأحاديث يقول الله
تعالى (إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملائ قرنه) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم
فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا الآية) ثم قال تعالى (اذهبوا الى فرعون إنه طغى قولا له قولا لينا لعله
يتذكر أو يخشى) وهذا من حلمه تعالى وكرمه ورأفته ورحمته بخلقه مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجبيره
وهو اذ ذلك أردى خلقه وقد بحث اليه صفوته من خلقه فى ذلك الزمان ومع هذا يقول لما وأسرهما أن
يدعوا اليه بالتي هي أحسن برفق ولين ومعاملة من يرجو أن يتذكر أو يخشى كما قال لرسوله « ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » وقال تعالى (ولا تجادلوا أهل
الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم الآية) قال الحسن البصرى (قولا له قولا لينا)
أعذرا اليه قولا له ان لك رباً ولك معاداً وإن بين يديك جنة ونارا . وقال وهب بن منبه قولا له إني
الى العفو والمنفرة أقرب منى الى التئيب والعقوبة . قال يزيد الرقائى عند هذه الآية يامن يجبى الى
من يمايه فكيف بمن يتولاه ويناديه (قالوا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) وذلك أن فرعون
كان جباراً عنيداً وشيطانياً مردياً له سلطان فى بلاد مصر طويل عريض وجاه وجنود وعسا كرسوطة
فهاياه من حيث البشرية وخافا أن يسطوا عليهما فى يدي الأمر فثبتهما تعالى وهو العلى الأعلى قال
(لا تخفا إني ممكأ أسمع وأرى) كما قال فى الآية الأخرى (إنا معكم مستمعون . فاثياه قولا إنا
رسولا ربك فارسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئتكم بأية من ربك والسلام على من اتبع
الحدى . إنا قد أوحى الينا أن المذاب على من كذب وتولى) يذكر تعالى أنه أسرها أن يذهب الى فرعون
فيدعوا الى الله تعالى أن يعيده وحده لاشريك له وأن يرسل معهم بنى إسرائيل ويطلقهم من أسره
وقهره ولا يعذبهم (قد جئتكم بأية من ربك) وهو البراهمان العظيم فى الصوى واليد (والسلام على من
اتبع الهدى) تهد مفيد بليغ عظيم . ثم تهداه وتوعدها على التكذيب قالوا (إنا قد أوحى الينا أن
العذاب على من كذب وتولى) أى كذب بلحق قلبه وتولى عن العمل بقلبه .

وقد ذكر السدى وغيره أنه لما قدم من بلاد مدين دخل على أمه وأخيه هرون وهما يتشيان
من طعام فيه الطفيل وهو الفتيل فأكل منها * ثم قال ياهرون إن الله أسرنى وأسرك أن ندعو
فرعون الى عبادته فقم مى قاما يقصدان بلب فرعون فلذا هو متعلق قال موسى للبوياين والحجة

أعلموه أن رسول الله بالباب فجعلوا يسخرون منه ويستهزئون به .

وقد زعم بعضهم أنه لم يؤذن لها عليه إلا بعد حين طويل . وقال محمد بن اسحق أذن لها بعد سنين لأنه لم يك أحد يتجاسر على الاستئذان لها فله أعلم * ويقال إن موسى تقدم إلى الباب فطره بمصاة فترجع فرعون وأسر باحضارهما فوقتا بين يديه فدعوا إلى الله عز وجل كما أمرها .

وعند أهل الكتاب أن الله قال لموسى عليه السلام إن هرون اللاوى يقبى من نسل لاوى بن يعقوب سيخرج ويتفك وأمره أن يأخذ معه مشايخ بني إسرائيل إلى عند فرعون وأمره أن يظهر ما أتاه من الآيات * وقال له سأقضى قلبه فلا يرسل الشعب وأكثر آياتي وأعاجيبى أرض مصر * وأوحى الله إلى هرون أن يخرج إلى أخيه يتفقه بالبرية عند جبل حوريب فلما تفقه أخيره موسى بما أمره به ربه * فلما دخل مصر جما شيوخ بني إسرائيل وذهبوا إلى فرعون فلما بلغاه رسالة الله قال من هو الله لا أعرفه ولا أرسل بنى إسرائيل . وقال الله مخبراً عن فرعون (قال فن ربكما يامونى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال عليها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وادعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى منها خفناكم وفيها فيديكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون إنه أنكر آيات الصانع تعالى قائلا (فن ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أى هو الذى خلق الخلق وقدر لهم أعمالاً وأرزاقاً وأجالات * وكتب ذلك عنده فى كتابه اللوح المحفوظ ثم هدى كل مخلوق إلى ما قدره له فطابق عمله فيهم على الوجه الذى قدره وعلمه لكل عمل وقدرته وهذه الآية كقولها تعالى (سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) أى قدر قدراً وهدى انطلائق إليه (قال فما بال القرون الأولى) يقول فرعون لموسى فإذا كان ربك هو الخالق المتقدر المادى انطلائق لما قدره وهو بهذه المثابة من أنه لا يستحق العبادة سواه فلم عبد الأولون غيره وأشركوا به من الكواكب والانداد ما قد علمت فهذا هتدى إلى ما ذكره القرون الأولى (قال عليها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) أى هم وإن عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك ولا يدل على خلاف ما أقول لأنهم جهلة مثلك كل شئ فهو مستطر عليهم فى الزمر من صغير وكبير وسيجزهم على ذلك ربى عز وجل ولا ينظرون أحدًا مثقال ذرة لأن جميع أفضل العباد مكتوبة عنده فى كتاب لا يضل عنه شئ ولا ينسى ربى شيئاً . ثم ذكر له عظمة الرب وقدرته على خلق الأشياء وجعله الأرض مهداً والسماء سقفاً محفوظاً وتسخير السحاب والأمطار لرزق العباد ودوابهم وأنعامهم كما قال (كلوا وادعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) أى لقوى العقول

الصحيحة المستقيمة والفطر القويمة غير السقيمة فهو تعالى الخالق الرازق . وكما قال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فلخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) ولما ذكر أحياء الأرض بالمطر واعتزازها بإخراج نباتها فيه نه به على المماد فقال (منها) أى من الأرض خلقناكم (وقها فبيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) كما قال تعالى (كما بدأكم تعودون) وقال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) ثم قال تعالى (ولقد آريناه آياتنا كلها فكذب وبأنى قال أجبنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى قلنا زينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى . قال موعدكم يوم الزينة وإن يحشر الناس نحى)

ينحصر تعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله وقلة عقله في تكذيبه بآيات الله واستكباره عن إتباعها وقوله لموسى إن هذا الذى جئت به سحر ونحن نعارضك بمثله ثم طلب من موسى أن يوعده الى وقت معلوم ومكان معلوم وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهره بمحضرة الناس ولهذا قال (موعدكم يوم الزينة) وكان يوم عيد من أعيادهم واجتمع لهم (وأن يحشر الناس نحى) أى من أول النهار في وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق أظهر وأجلى ولم يطلب أن يكون ذلك ليلا في غلام كما يروج عليهم محالا وباطلا بل طلب أن يكون نهارا جهره لانه على بصيرة من ربه ويعين أن الله سيظهر كلمته ودينه وإن رغبت أنوف القبط . قال الله تعالى (هولى فرعون فجمع كيدهم ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تقفروا على الله كذبا فيسحقكم بهذا وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرؤا النجوى . قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبوا بطريقكم المثل فأتبعوا كيدكم ثم أتوا صفا وقد أطلع اليوم من استبلى)

ينحصر تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان يولده من السحرة وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوءة سحرة فضلاء في قههم غاية فجمعوا له من كل بلد ومن كل مكان فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير قيل كانوا ثمانين ألفا قاله محمد بن كعب * وقيل سبعين ألفا قاله القاسم بن أبي بردة . وقال السدى بضعة وثلاثين ألفا . وعن أبي أمامة ثمة عشر ألفا وقال محمد بن اسحاق خمسة عشر ألفا . وقال كعب الأجباز كانوا اثني عشر ألفا * وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس كانوا سبعين رجلا وروى عنه أيضا أنهم كانوا أربعين غلاما من بنى إسرائيل أمرهم فرعون أن ينهبوا الى الرقافة فيقتلوا السحر ولهذا قالوا وما أكرهتنا عليه من السحر وفي هذا نظر .

وحضر فرعون وأمرأؤه وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم . وذلك أن فرعون نلدى فبههم أن

يحضروا هذا الموقف العظيم فخرجوا وهم يقولون لئنا قنع السحرة إن كانوا التاليين . وخدم موسى عليه السلام الى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تماطى السحر الباطل الذى فيه مازعة لا يأت الله وحججه قال (ويلكم لا تعتروا على الله كذبا فيسحقكم بذاب وقد خاب من افترى فتنزعوا أمرهم منهم) قيل منه أنهم اخفوا فيا ينهم قائل يقول هذا كلام نبى وليس بساحر وقائل منهم يقول بل هو ساحر قلله أعلم * وأسروا التناجى بهذا وغيره (قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم يسحرهما) يقولون إن هذا وأخاه هرون عليان مطبقان متقنان لهذه الصناعة ومرادهم أن يجمع الناس عليهما ويصولا على الملك وحاشيته ويستأصلاكم عن آخركم ويستأصرا عليكم بهذه الصناعة (فأجسوا كيدكم ثم اتوا صفاً وقد أفلح اليوم من أستمل) * وإنما قالوا الكلام الأول ليتدبروا ويتواصوا ويأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والتلوية والسحر والبهتان . وهيات كذبت والله الظنون واخطأت الآراء . أتى يمارض البهتان . والسحر والمهذبان . خوارق العادات التى أجزاها الديان . على يدى عبده الكريم . ورسوله الكريم المؤيد بالبرهان الذى يهر الا بصار وتماز فيه القول والأذهان وقولهم (فأجسوا كيدكم) أى جميع ما عندهم (ثم اتوا صفاً) أى جملة واحدة ثم حضوا بعضهم بعضاً على التقدم فى هذا المقام لأن فرعون كان قد وعدهم ومنام وما يهدم الشيطان إلا غرورا (قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى قال بل اتقوا فلذا جابههم وعصيم يحيل اليه من سحرهم أنها تسمى فأوجس فى نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إناك أنت الأعلى والى ملقى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) .

لما اصطف السحرة ووقف موسى وهرون عليهما السلام فجاههم فقالوا له إما أن تلقى قبلنا وإما أن تلقى قبلك (قال بل اتقوا) أنهم وكاتوا قد عدوا الى حبال وعصى فأودعوا الزئبق وغيره من الآلات التى تضطرب بسببها تلك الحبال والمعنى اضطرابا يحيل للرائى أنها تسمى بلخييارها * وإنما تتحرك بسبب ذلك . ففند ذلك سحروا أعين للناس واسترهبهم وألقوا جابههم وعصيم وهم يقولون بزة فرعون إنما لنحن التاليون . قال الله تعالى (قلنا ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبهم وجاهوا بسحر عظيم) . وقال تعالى (فلذا جابههم وعصيم يحيل اليه من سحرهم أنها تسمى . فأوجس فى نفسه خيفة موسى) أى خاف على الناس أن يقتنوا بسحرهم ومحالهم قبل أن يلقى ملقى يده فانه لا يوضع شيئا قبل أن يؤمر فأوحى الله اليه فى الساعة الراحة (لا تخف إناك أنت الأعلى وألقى ملقى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) ففند ذلك أتى موسى عصاه وقال ملجهم به السحران الله سيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين (ويحيى الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) . وقال تعالى (فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون) *

فطلبوا هناك واهلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون)
 وذلك أن موسى عليه السلام لما اتقاها صارت حية عظيمة ذات قوائم (فيا ذكره غير واحد من علماء
 السلف) وعنت عظيم وشكل هائل مزعج بحيث أن الناس انحازوا منها وهربوا سراعا وتأخروا عن
 مكنتها وأقبلت هي على مآلقوه من الجبال والمعى فجلت تلقفه واحدا واحدا في أسرع ما يكون من
 الحركة والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها . وأما السحرة فاتهم رأوا ما لهمم وحيرهم في أمرهم
 واطلوعوا على أمر لم يكن في خلدوم ولا يهلم ولا يدخل تحت صناعاتهم وأشغالهم . فعند ذلك وهناك تمحقوا
 بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شحنة ولا محال ولا خيال ولا زور ولا بهتان ولا ضلال بل
 حق لا يقدر عليه إلا الحق الذي أبقت هذا المؤيد به بلحق وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة وانارها بما
 خلق فيها من الهدى وازاح عنها القسوة وانابوا الى ربهم وغروا له ساجدين وقالوا جبهة للحاضرين ولم
 يخشوا عقوبة ولا يهوى (آمنا برب موسى وهرون) كما قال تعالى (فلقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب
 هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا تطعن أيديكم وأرجلكم
 من خلاف ولا مملينكم في جنوع النخل وتلعن أينا أشد عذاباً وأبقى . قالوا لم نؤثرك على ملابنا من
 البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تحضي هذه الحياة الدنيا إنما آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما
 أكرهنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى .
 ومن يأت مؤمناً فاد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار
 خالدين فيها وذلك جزاء من ترك)

قال سعيد بن جبير وعكرمة والقاسم بن أبي بردة والاوزاعي وغيرهم لما سجد السحرة رأوا منازلهم
 وقصورهم في الجنة ثياباً لهم وترخف قدومهم ولهذا لم يلتفتوا الى تهويل فرعون وتهديده ووعيده
 وذلك لأن فرعون لما رأى هؤلاء السحرة قد أسلموا واشهروا ذكروا موسى وهرون في الناس على هذه
 الصفة الجليلة أفزع ذلك ورأى أمرا بهراً وأعلى بصيرته وبصره وكان فيه كيد ومكر وخداع وصنعة
 بليغة في الصد عن سبيل الله قال مخاطباً للسحرة بمحضرة الناس (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي هلا
 شاورتموني فيما صنعت من الأمر الفظيع بمحضرة دعيتي ثم تهد وتوعد وابقر وارعد وكذب فأبد قالوا
 (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقال في الآية الأخرى (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة
 لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) . وهذا الذي قاله من البهتان يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر
 والكذب والمذهبان بل لا يروج مثله على الصبيان قلن الناس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أن
 موسى لم يره هؤلاء يوماً من الدهر فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر ؟ ثم هو لم يجمعهم ولا علم
 باجتاعهم حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم واجتاعهم من كل فج عريق وواد سحيق ومن حواضر بلاد

مصر والاطراف ومن المدن والأديان . قال الله تعالى في سورة الأعراف (ثم بشنا من يدم موسى
بآياتنا الى فرعون وملأه ظملا بها فاطر كيف كان عاقبة المفسدين . وقال موسى لفرعون إني رسول من
رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل موسى بنى إسرائيل
قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فأتى عصاه فلذا هي ثمان ميين . وترع يده
فلذا هي يضاء للتناظرين . قال الملأ من قوم فرعون إن هذا ساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم
فاذا تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدن حاشرين . يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة
فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا يا موسى إما أن تأتي
وإما أن نكون نحن الملقين . قال اتقوا فلما اتقوا سحروا أعين الناس وأسروهموم وجاءوا بسحر عظيم
وأوحيا الى موسى أن اتق عصاك فلذا هي تنقف ما يأفكون فوق الحق ويطل ما كانوا يصلون . فقلبوا
هناك واقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون قال فرعون
آمنتم به قبل أن أذن لكم إن هذا لكم مكر مكره في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون . لا تعلم
أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا صلبكم أجمعين . قالوا إما الى ربنا متقلبون . وما نقيمنا إلا أن آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وقال تعالى في سورة يونس (ثم بشنا من يدم
موسى وهرون الى فرعون وملأه بآياتنا فليستكبروا وكانوا قوما مجرمين . فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا إن هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون . قالوا
أجئتنا لنظفنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكنا الكبراء في الأرض وما نحن لكنا بمؤمنين . وقال
فرعون إئتوني بكل ساحر عليم . فلما جاء السحرة قال لهم موسى اتقوا ما أنتم مقرون فلما اتقوا قال موسى
ما جئكم به السحر إن الله سيظهر إن الله لا يصلح عمل المفسدين . ويحق الله للحق بكلماته ولو كره المجرمون)
وقال تعالى في سورة الشعراء (قال لئن أنضفت إلها غيري لأجلنك من المسجونين . قال أولو جئتكم
بشيء مبين . قال فأت بها إن كنت من الصادقين . فأتى عصاه فلذا هي ثمان ميين . وترع يده فلذا
هي يضاء للتناظرين قال الملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فاذا
تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأبش في المدن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم . فجع السحرة ليقات
يوم معلوم . وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا قبيح السخرة إن كنوا هم الغالبين . فلما جاء السخرة
قالوا لفرعون إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذا من المقربين قال لهم موسى
اتقوا ما أنتم مقرون . فأتوا جالهم وعصمهم وقالوا بمزة فرعون إننا نحن الغالبون . فأتى موسى عصاه
فلذا هي تنقف ما يأفكون . فأتى السخرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون . قال آمنتم
له قبل أن أذن لكم إنه لكبيركم ألقى عليكم السحر فظنوا قلوبهم . لا تعلم أيديكم وأرجلكم من

خلاف ولا صلبكم أجمعين . قلوا لاضير إنا الى ربنا مقبلون إنا قطعنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين)

والمقصود أن فرعون كذب واقتدى وكفر غاية الكفر في قوله إنا لكبيركم الذي علمكم السحر وأتى بهتنا يله المألون بل المألون في قوله (إن هذا المكركم معوه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) وقوله (لا تقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يعني يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه (ولا صلبكم أجمعين) أي يجلهم مثلة ونكالا لتلاقتهم بهم أحسن رعيته وأهل ملكه ولهذا قال (ولا صلبكم في جنوع النخل) أي على جنوع النخل لأنها أعلى وأشهر (ولتعلن أينا أشد عذابا وأتقى) يعني في الدنيا (قلوا لن نترك على ما جاءنا من البينات) أي لن نطيعك وترك ما وقر في قلوبنا من البينات والهمائل القاطحات (والقي ضرنا) قيل معطوف . وقيل قسم (فاقض ما أنت قاض) أي فاضل ما قدرت عليه (إنا تقضى هذه الحياة الدنيا) أي إنا حكمت علينا في هذه الحياة الدنيا فلذا أنقذنا منها إلى الدار الآخرة صرنا إلى حكم الذي أسلفنا له وابتعنا رسله (إنا آمننا ربنا ليعزنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأتقى) أي وثابه خير مما وعدتنا به من التكريب والترغيب وأتقى أي وأدوم من هذه الدار الغاية وفي الآية الأخرى (قلوا لاضير إنا الى ربنا مقبلون إنا قطعنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) أي من القبط بموسى وهرون عليهما السلام • وقالوا له أيضاً (وما نقيم منا إلا أن آمننا بملك ربنا لما جاءتنا) أي ليس لنا عندك ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا واتباعنا آيأت ربنا لما جاءتنا (ربنا أفرغ علينا صبراً) أي ثبتنا على ما أبتينا به من عقوبة هذا الجبار المتعدي والسلطان الشديد بل الشيطان المريد (وتوفنا مسلمين) وقالوا أيضاً يظفونه ويخوفونه يمس به العظيم (إله من يأت به مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) يقولون له فإياك أن تكون منهم فكان منهم (ومن يأتهم مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات العلى) أي المنازل العالية (جنت عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من ترك) فحرص أن تكون منهم فحلت به وبين ذلك الأقدار التي لا تقالب ولا تمنع وحكم إلى العظيم بل فرعون لئله الله من أهل الجحيم ليأثر العذاب الأليم يصب من فوق رأسه الحميم • ويقال له على وجه التقرير والتوبيخ وهو المقبوح المنبوح . والقديم القديم (ذق إنك أنت العزيز الكريم) والظاهر من هذه السياقات أن فرعون لئله الله صلبهم وعذبهم رضى الله عنهم . قال عبد الله بن عباس وعبيد بن عير كانوا من أول التها سخرة فصاروا من آخره شهداء برة • ويؤيد هذا قولهم (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين .)

فصل

ولما وقع ما وقع من الأمر العظيم وهو الغلب اتقى غلبته التبط في ذلك الموقف المائل وأسلم
 السحرة الذين استنصروا ربهم لم يزدكم ذلك إلا كفرًا وعنادًا وبدا عن الحق. قال الله تعالى بد قصص
 ما تجد في سورة الأعراف. (وقال الملأ من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض
 وبذكرك وأهلكك. قال سقتل أبناءهم. فاستحي فناداهم وإنا فوقهم قاهرون. قال موسى قومه استمعوا
 بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. قالوا أؤذينا من قبل أن
 تأتينا ومن بعد ما جئنا. قال عسى أن يهلك عدوك ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تصلون)
 يخبر تعالى عن الملأ من قوم فرعون وهم الأمراء والكبراء أنهم حرضوا ملكهم فرعون على
 أذية نبي الله موسى عليه السلام ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والبدعي قالوا (أنذر
 موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وبذكرك وأهلكك) يمتنع قبيحهم الله أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده
 لا شريك له والتمس من عبادة ما سواه فنادى بالنسبة إلى اعتقاد التبط لنهم الله. وقرأ بعضهم (وبذكرك
 وأهلكك) أي وعبادتك ويحتمل شيئين أحدهما وبذكرك وحموه القراءة الأخرى. الثاني وبذر أن
 يسبك الله كان يزعم أنه إله لسته الله (قال سقتل أبناءهم فاستحي فناداهم) أي تلا يكثر مقاتلتهم (وإنا
 فوقهم قاهرون) أي غالبون (وقال موسى قومه استمعوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من
 يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) أي إذا هوام بأذيكم والفك بكم فاستمعوا أنهم بركم واصبروا
 على بليتهم (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) أي فكفوا أنتم المتقين لتكون
 لكم العاقبة كما قال في الآية الأخرى (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فليبه توكلاوا إن كنتم
 مسلمين. قالوا على الله توكلاوا ربنا لا تبطلنا فتنة للقوم الظالمين. ونجينا برحمتك من القوم الكافرين)
 وقولهم (قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا) أي قد كانت الأبناء تقتل قبل مجيئك وبعد
 مجيئك البنا (قال عسى أن يهلك عدوك ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تصلون) وقال الله
 تعالى في سورة حم المؤمن (وقد أرسلنا موسى بإياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون قالوا
 ساحر كذاب) وكان فرعون الملك وهامان الوزير. وكان قارون إسرائيليًا من قوم موسى إلا أنه كان
 على دين فرعون وملاحه وكان ذاملاً جزيل جدا كاستأى قصته فيما بعد إن شاء الله تعالى. (فلما
 جاءهم الحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستباحوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في
 ضلال) وهذا القتل لثلمان من يد بنة موسى إنما كان على وجه الإهانة والاذلال والتقليل للآب
 إسرائيل لئلا يكون لهم شوكه يمتنعون بها ويصولون على التبط بسببها وكانت التبط منهم يحدون فلم

ينضمم ذلك ولم يرد عنهم قدر القى يقول لشيء كن فيكون (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه
إلى أخاف أن يدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) . ولهذا يقول الناس على سبيل التهكم
(صار فرعون مذكرا) وهذا منه قلن فرعون في زعمه يخاف على الناس أن يضلهم موسى عليه السلام .
(وقال موسى إني عفت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن يوم الحساب) أي عفت بالله ولجأت إليه
بجنته من أن يسطو فرعون وغيره على بسوء وقوله (من كل متكبر) أي جبار عنيد لا يعرعى ولا
يتنهى ولا يخاف عذاب الله وعقابه لأنه لا يستقد ملاحاً ولا جزاء . ولهذا قال (من كل متكبر لا يؤمن
يوم الحساب) . وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتفتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فليبه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا
قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) وهذا الرجل هو ابن عم فرعون وكان
يكتم إيمانه من قومه خوفاً منهم على نفسه . وزعم بعض الناس أنه كان اسراييليا وهو بيد ومخالف لسياق
السلام لفتنا وسقى والله أعلم •

قال ابن جريج قال ابن عباس لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا والقي جاء من أقصى المدينة
واسم امرأة فرعون . رواه ابن أبي حاتم • قال الدارقطني لا يعرف من اسمه شمعان بلشين المسجبة إلا مؤمن
آل فرعون • حكاة السهيلي • وفي تلخيص الطبراني أن اسمه خير فله أعلم . والمقصود أن هذا الرجل
كان يكتم إيمانه فلما هم فرعون لعنه الله بقتل موسى عليه السلام وعزم على ذلك وشاور ملاء فيه خاف
هذا المؤمن على موسى فخلط في رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب والترهيب فقال على وجه
المشورة والرأى وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان
جائر . وهذا من أعلى مراتب هذا المقام قلن فرعون لا شد جوراً منه وهذا الكلام لا أعدل منه لأن
فيه عصية نبي • ويحتمل أنه كثيرون يظهر إيمانه وصرح لهم بما كان يكتمه والأول أظهر والله أعلم
قال (أتفتلون رجلاً أن يقول ربي الله) أي من أجل أنه قال ربي الله فقل هذا لا يقابل بهذا إلا بالكرام
والاحترام والمواذمة وترك الاتهام معنى لأنه (قد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بالخواص التي دلت
على صدقه فيا جاء به عن أرسله فهذا إن وادعوه كنتم في سلامة لأنه (إن يك كاذبا فليبه كذبه)
ولا يضركم ذلك (وإن يك صادقا) وقد تعرضتم له (يصبكم بعض الذي يعدكم) أي وأنتم تشقون أن
يتالكم أيسر جزاء مما يتوعدكم به فكيف بكم إن حل جميعه عليكم .

وهذا الكلام في هذا المقام من أعلى مقامات التلطف والاحتراز والقل التام . وقوله (يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض) يحذرهم أن يطلبوا هذا الملك المزينة ما تعرض النول للدين

الا سلبوا ملكهم وذلوا بد عزم وكذا وقع لآل فرعون لما زالوا في شك وريب وغفلة ومعاينة لما
جاءهم موسى به حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والأموال والصور والنساء والمجور
ثم حولوا الى البحر مهاجرين وقتل أرواحهم بدلالو والرضة الى أسفل السافلين . ولهذا قال هذا الرجل
المؤمن المصدق البار الأشد للتابع الحق الناصح قومه الكامل العقل (يقوم لكم الملك اليوم ظاهرين
في الارض) أى عالين على الناس حاكين عليهم (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى لو كنتم
أضفاف ما أنتم فيه من العدد والعدة والقوة والشدة لما ضغنا ذلك ولارد عنا بأس ملك الممالك . (قال
فرعون) أى في جواب هذا كله (ما أرىكم إلا ما أرى) أى ما أقول لكم إلا ما عندي (وما أهدىكم إلا
سبيل الرشاد) وكتب في كل من هذين القولين وهاتين المقدمتين أنه قد كان يتحقق في بلطه وفي نفسه
أن هذا الذى جاء به موسى من عند الله لا محالة وإنما كان يظهر خلافه بئياً وعدواناً وحقراً وكفراً
قال الله تعالى اخبراً عن موسى (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الأرب السوات والأرض بصائر وإنى
لا أنطق يا فرعون مبوراً فأراد أن يستعزم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً . وقتلنا من بعده لبقى
اسرائيل اسكنوا الأرض فلما جاء وعد الآخرة جثنا بكم لغياً) وقال تعالى (فلما جاءهم آياتنا مبصرة
قالوا هذا سحر مبين . وجعلوا بها واستيقظها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين)
وأما قوله (وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد) . فقد كذب أيضاً أنه لم يكن على رشاد من الأمر بل كان
على سفه وضلال وخبل وخيال فكان أولاً ممن يبعد الاعتصام والامثال . ثم دعا قومه لجهالة الضلال
الى أن اتبعوه وطاعوه وصدقوه فيما زعم من السكر المبال في دهواه أنه رب تعالى الله ذو الجلال .
قال الله تعالى (ولدى فرعون في قومه قل يا قوم أليس لى ملك مصر . وهذه الأنهار تجري من تحتي
أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولاً أتى عليه أسورة من ذهب أو
جاء معه الملائكة مقترنين فلستخف قومه فأطاعوه أنهم كانوا قوماً فاسقين . فلما أسفونا اقتضنا منهم
فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفاً ومثالاً للآخرين) وقال تعالى فأراه الآلة الكبرى فكذب وعصى ثم
أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذ الله نكال الآخرة والأولى . ان في ذلك لعبرة لمن
يخشى) وقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وملأه قابضوا أمر فرعون
وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود . وأتبعوا في هذه لعنة
ويوم القيمة بئس الرعد المرفود)

والمقصود بان كذب في قوله (ما أرىكم إلا ما أرى) وفي قوله (وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد .
وقال الذى آمن يقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل حذب قوم نوح وعاد وثمود والقرين من
بدعهم وما الله يريد ظلماً للعباد . ويقوم انى أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من

الله من عاصم ومن يضل الله فانه من هاد. ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فاذنتم في شك مما جاءكم
 به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتب . الذين
 يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتام كبير مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل
 قلب متكبر جبار) يخدمون ولى الله إن كذبوا برسول الله موسى أن يحل بهم ما حل بالأمم من قبلهم
 من النقمات والمثالث مما تواتر عندهم وعند غيرهم ما حل بقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم الى زمنهم
 ذلك مما أقام به الحجج على أهل الارض قاطبة في صدق ما جاءت به الانبياء لما انزل من النعمة بمكذبيهم
 من الاعداء وما آتت من اتينهم من الاولياء وخوفهم يوم القيامة وهو يوم التناد أى حين يتنادى
 الناس بعضهم بعضاً حين يولون ان قدروا على ذلك ولالى ذلك سبيل (يقول الانسان يؤمّن ان المفر
 كلا لاوزر اليديك يومئذ المستقر) وقال تعالى (يمسح الجبن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار
 السموات والارض فانفذوا لاتنفذوا الا بسلطان . فىأى آلاء ربكاتكنذيرين يرسل عليكم أسواقاً من نور
 ونحاس فلا تنصرفان فىأى آلاء ربكاتكنذيران) وقرأ بعضهم (يوم التناد) بتشديد الدال أى يوم الفرار
 ويحتمل أن يكون يوم القيامة ويحتمل ان يكون يوم يحل الله بهم البأس فيودون الفرار ولات حين مناص
 (فلما أحسوا بأسنا اذام منها ركضون) لارتكضوا وارجعوا الى ما اترقم فيه وما كنتم لحكم لتأولون) ثم
 اخبرهم عن نبوة يوسف في بلاد مصر ما كان منه من الاحسان الى الخلق في ديارهم وأخراهم وهذا من
 سلطته وذريته ويدعو الناس الى توحيد الله وعبادته وأن لا يشركوا به أحداً من بريته وأخبر عن أهل الديار
 المصرية في ذلك الزمان أى من سجيتهم التكذيب بالحق ومخالفة الرسل ولهذا قال (فازنتم في شك مما
 جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أى وكذبتم في هذا ولهذا قال (كذلك يضل
 الله من هو مسرف مرتب . الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتام) أى يريدون حجج الله
 وبراهينه ودلائل توجيده بلا حجة ولا دليل عندهم من الله فان هذا أمر يحته الله غاية المقت أى
 يفض من تلبس به من الناس ومن اتصف به من الخلق (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)
 قرئ بلاضافة وتلصقت وكلاماً متلازم أى هكذا اذا خالفت القلوب الحق ولا تخالفه الا بالبرهان فان
 الله يطبع عليها أى يثبت عليها . (وقال فرعون ليعلماني ابنى صرحا لى أبلغ الاسباب أسباب السموات
 فاطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون
 إلا في تباب) كذب فرعون موسى عليه السلام في دعواه أن الله أرسله وزعم فرعون قومه ما كذبه
 واقتراده في قوله لهم (ما علمت لكم من إله غيرى فأوقننى ليعلماني على العلين فليصل لى صرحا لى
 أطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا) وقال ههنا (لى أبلغ الاسباب أسباب السموات) أى
 طرقها ومسالكها (فاطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا) ويحتمل هذا معنىين أحدهما وإني لأظنه

كاذبا في قوله إن العالم ربا غيري والثاني في دعواه أن الله أرسله . والاول أشبه بظاهر حال فرعون فانه كان ينكر ظاهر اثبات الصانع والثاني أقرب الى القنط حيث قال (طالع الى إله موسى) أى فسأله هل أرسله أم لا (وإني لأظنه كاذبا) أى في دعواه ذلك . وإنما كان مقصود فرعون أن يصد الناس عن تصديق موسى عليه السلام وإن يمتهم على تكذيبه قال الله تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) وقرئ (وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في ثياب) قال ابن عباس ومجاهد يقول الا في خسارة أى باطل لا يحصل له شئ من مقصوده الذى رامه فانه لا سبيل للبشر أن يتوصلوا بقوام الى نيل السماء أبداً أعنى السماء الدنيا فكيف بما بعدها من السموات البلى وما فوق ذلك من الارتفاع الذى لا يملئه إلا الله عز وجل . وذكر غير واحد من المفسرين أن هذا السرح وهو القصر الذى بناه وزيره هامان لم يبرئاه أعلى منه وإن كان مبنياً من الآجر المشوى بالنار ولهذا قال (طوقدلى يا هامان على الخيل فاجعل لى صرحا) .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل كانوا يسفرون في ضرب اللبن وكان مما حلوا من التكالييف الفرعونية أنهم لا يساعدون على شئ مما يحتاجون اليه فيه بل كانوا الذين يجمعون ترابه وتبته وماءه ويصلب منهم كل يوم قسط معين إن لم يخلوه والا ضربوا وأهينوا غاية الاهانة وأوذوا غاية الاذية . ولهذا قالوا لموسى (أوديتنا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون) فوعدهم بأن العاقبة لهم على القبط وكذلك وقع وهذا من دلائل النبوة • وترجع الى نصيحة المؤمن وموعظته وأحجابه قال الله تعالى (وقال الذى آمن يا قوم اتبعونى أهدم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثله ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدعوم رضى الله عنه الى طريق الرشاد والحق وهى متابعة نبي الله موسى وتصديقه فيما جاء به من ربه ثم زهدهم فى الدنيا الدينية الثانية المتقضية لاحالة ورغبهم فى طلب الثواب عند الله الذى لا يضيع عمل عامل فيه . التقدير الذى ملكوت كل شئ بيده الذى يعطى على القليل كثيرا ومن عدله لا يجازى على السيئة الا بمثله . وأخيرهم أن الآخرة هى دار القرار التى من وافها مؤمنا قد عمل الصالحات ظلم الجنات العاليات والفرد الامتات والخيرات الكثيرة الفائحات والارزاق الدائمة التى لا تنفد . وأخير الذى كل ملهم منه فى مزيد .

ثم شرع فى إيصال مام عليه وتغويهم مما يصيرون اليه فقال (ويقوم مالى أدعوك الى النجاة وتدعونى الى النار تدعوننى لا كثر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوك الى العزيز الغفار . لاجرم أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب

النار فتذكرون ما أقول لكم وأفوض أسمى إلى الله إن الله بصير بالعباد . فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يمرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) كان يدعوهم إلى عبادة رب السموات والأرض الذي يقول للشئ كن فيكون وهم يدعونهم إلى عبادة فرعون الجاهل الضال الملعون ولهذا قال لهم على سبيل الإنكار (ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعوني إلى النار تدعوني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) ثم بين لهم بطلان ما هم عليه من عبادة ما سوى الله من الأنداد والأوثان وأنها لا تملك من نفع ولا ضرر فقال (لا جرم أنما تدعوني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار) أي لا تملك تصرفا ولا حكا في هذه القار فكيف تملك يوم القرار * وأما الله عز وجل فانه الخالق الرازق للإبرار والقيار وهو الذي أحيا المباد ويميتهم فيدخل طائفتهم الجنة وعاصيتهم إلى النار .

ثم توعدهم إن هم استبرأوا على العناد بقوله (فتذكرون ما أقول لكم وأفوض أسمى إلى الله إن الله بصير بالعباد) قال الله (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أي بإنكاره سلم عما أصابهم من العقوبة على كفرهم بالله ومكرهم في صدم عن سبيل الله مما أظهرها للعامة من الخيالات والحالات التي أنبأوا بها على عوامهم وطغاهم ولهذا قال (وحاق) أي أحاط (بآل فرعون سوء العذاب . النار يمرضون عليها غدوا وعشيا) أي تمرض أرواحهم في برزخهم صباحا ومساء على النار (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وقد تكلمنا على دلالة هذه الآية على عذاب القبر في التفسير وفقه الحمد

والمقصود أن الله تعالى لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجج عليهم وإرسال الرسول إليهم وإزاحة الشبه عنهم وأخذ الحجة عليهم منهم في الترهيب قارة والترغيب أخرى كما قال تعالى . (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وقصص من الثمرات لعلهم يذكرون . فلذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مما نأْتينا به من آية تسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)

يخبر تعالى أنه ابتلى آل فرعون وهم قومه من القبط بالسنين وهي أعوام الجلب التي لا يستل فيها زرع ولا ينتفع بضرع وقوله (وقصص من الثمرات) وهي قلة الثمار من الأشجار (لعلهم يذكرون) أي فلم ينتصروا ولم يرحوا بل تمردوا واستبرأوا على كفرهم وهتادهم (فلذا جاءتهم الحسنة) والخصب ونحوه (قالوا لنا هذه) أي هذا الذي نستحقه وهذا الذي يليق بنا (وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) أي يقولون هذا بشؤمهم أصابنا هذا ولا يقولون في الأول أنه بركهم وحسن مجاوبتهم ولكن

قلوبهم منكورة مستكبرة فافرة عن الحق اذا جاء الشر استبدوا اليه ولين رأوا خيرا ادعوه لأفهمهم . قال
الله تعالى (ألا إنما طأرهم عند الله) أى الله يميزهم على هذا أوفر الجزاء . ولكن أكرمهم لا يملون .
وقالوا مهما تأنتابه من آية لتسخرنا بها فأنحن لك يؤمنين) أى مهما جئتنا به من الآيات وهى لتلوارق
للمدات قلنا تؤمن بك ولا تبتك ولا نطيعك ولو جئتنا بكل آية . وهكذا أخبر الله عنهم فى قوله (إن
الذين حق عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) قال الله تعالى
(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)
أما الطوفان فمن ابن عباس هو كثرة الأمطار المتلفة للزروع والثمار . وبه قال سعيد بن جبير وقاعدة
والسدى والضحاك . وعن ابن عباس وعطاء هو كثرة الموت . وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون
على كل حال . وعن ابن عباس أمرطاف بهم . وقد روى بن جرير وابن مردويه عن طريق يحيى بن
يمان عن المهال بن خليفة عن الججاج عن الحكم بن مينا عن عائشة عن النبي ﷺ الطوفان الموت
وهو غريب . وأما الجراد فمرفوف . وقد روى أبو داود عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال سئل
رسول الله عن الجراد قال أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرمه وترك النبي ﷺ أكله إنما هو
على وجه التقدير كما ترك أكل الضب ونزّه عن أكل البصل والثوم والكراث لما ثبت فى
الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى قال غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات فأكل الجراد .
وقد تكلمنا على ماورد فيه من الاحاديث والآثار فى التفسير . والمقصود أنه استاق خضراهم فلم
يترك لهم زرعها ولا ثمارا ولا سبدا ولا لبداء . وأما القمل فمن بن عباس هو السوس الذى يخرج من
الحلقة وعنه أنه الجراد الضار الذى لا أجنة له . وبه قال مجاهد وعكرمة وقاعدة . وقال سعيد بن
جبير والحسن هو دواب سود ضار . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن البراءة . وحكى ابن
جرير عن أهل الرمية أنها الجنان وهو ضار القردان (فرق القمل) فدخل معهم البيوت والفرش فلم
يقر لهم قرار ولم يمكنهم منه القضاء ولا العيش . وفسره عطاء بن السائب بهذا القمل المعروف
وقرأها الحسن البصرى كذلك بفتح الخفيف . وأما الضفادع فمرفوفة لبسهم حتى كانت تسقط فى أفطهم
وأوانهم حتى إن أحدهم اذا فزع فيه طعام أو شراب سقطت فى فيه ضفدعة من تلك الضفادع . وأما
الدم فكان قد مزج ماؤهم كله به فلا يستقون من النيل شيئا إلا وجدوه دما عيطا ولا من نهر
ولا بئر ولا شئ إلا كان دما فى الساعة الراحة . هذا كله لم يزل بنى إسرائيل من ذلك شئ بالكلية .
وهذا من تمام المعجزة الباهرة والحجة القاطنة أن هذا كله يحصل لهم من فعل موسى عليه السلام
فينا لهم عن آخرهم ولا يحصل هذا لاحد من بنى إسرائيل وفى هذا أدل دليل . قال محمد بن اسحق
فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مغلوبا ثم أبى إلا الاقامة على الكفر والتكفى فى الشر

يتابع الله عليه بلا يات فآخذه بالسجين فارسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم
آيات مفصلات فارسل الطوفان وهو الماء قفاض على وجه الارض ثم ركذ . لا يقدرّون على أن يفرجوا
ولا أن يملوا شيئا حتى جهدوا جوما فلما بلّغهم ذلك (قالوا يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن بك ولترسلننا ملكا) فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلما لم
يقوا له بشئ فارسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيا بلقى حتى أن كان ليا كل مسامير الابواب من
الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يقوا له بشئ مما قالوا
فارسل الله عليهم القمل فذكر لى أن موسى عليه السلام أمر أن يمضى الى كتيب حتى يضربه بمصاه فمضى
الى كتيب أميل عظيم فضره بها فأتال عليهم فلاحى غلب على البيوت والاطمة ومنهم النوم
والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلما لم يقوا له بشئ مما قالوا أرسل
الله عليهم الضفادع فلأت البيوت والاطمة والآنية فلم يكشف أحد ثوبا ولا لحاما إلا وجد فيه الضفادع
قد غلب عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يقوا له بشئ مما قالوا فارسل
الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من يتر ولا نهري يفترون من إله الاعاد دما عيطا
وقال زيد بن أسلم المراد بالدم الأعاف رواء ابن أبي حاتم . قال الله تعالى (ولما وقع عليهم الرجز قالوا
يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن بك ولترسلننا ملكا) فقال
كشفتنا عنهم الرجز الى أجل هم يلفونه اذا هم ينكثون . فاستقمنا منهم ففرقتهم في اليم بلّغهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين)

يخبر تعالى عن كفرهم وعتورهم واستمرارهم على الضلال والجهل والاستكبار عن إتباع آيات الله
وتصديق رسوله مع ما أيده من الآيات العظيمة الباهرة والحجج البليغة القاهرة التي أراهم الله إياها عيانا
وجعلها عليهم دليلا وبرهانا وكما شاهدوا آية وعانيتها وجهدهم وأضنكهم حلفوا وعاهدوا موسى لئن
كشفت عنهم هذه لؤمّنن به وليرسلننا معه من هو من حزبه فكلما ردت عنهم تلك الآية عادوا الى
شر مما كانوا عليه وأعرضوا عما جاءهم به من الحق ولم يلتفتوا اليه فيرسل الله عليهم آية أخرى هي أشد
مما كانت قبلها وأقوى فيقولون فيكذبون . ويمدون ولا يقون لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن بك ولترسلننا
ملكا فقالوا لى إسرائيل فيكشف عنهم ذلك الذباب الويل . ثم يمددون الى جهنم المريض الطويل . هذا
والعظيم العظيم التقدير ينظرهم ولا يسجل عليهم ويؤخرهم ويتقدم بالوعيد اليهم ثم أخذهم بعد إقامة الحجة
عليهم والانذار اليهم أخذ عزيز مقتدر فجعلهم عبرة ونكالا وسقلا لمن أشبههم من الكافرين ومثلا
لمن اتقوا بهم من عباده المؤمنين كما قال تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين في سورة حم والكتاب
البلين (وقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملأه فقال إني رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا اذا

هم منها يضحكون . وماربهم من آية إلهي أكبر من أختها وأخذناهم بالذاب لهم يرجون . وقالوا
يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهدتلك إننا لمهتدون . فلما كشفنا عنهم الذباب إذا هم ينكتون . وتلقى
فرعون في قومه قال يقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير
من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب وأجاء معه الملائكة مقترنين
فاستخف قومه فطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين . فلما أسفونا انقمنا منهم فغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفاً
ومثلاً للآخرين)

يذكر تعالى لرساله عبده الكريم الكرم الى فرعون الخسيس التميم وأنه تعالى أيد رسوله بآيات
بينات وانصحت تستحق أن تقابل بالتعظيم والتصديق وأن يردعوا عمام فيه من الكفر ويرجعوا الى
الحق والصراط المستقيم فاذم منها يضحكون وبها يستهزئون وعن سبيل الله يصدون وعن الحق يصدون
فأرسل الله عليهم الابل تترى يتبع بعضها بعضا وكل آية أكبر من التي تبطلها لأن التوكيد أبلغ مما
قبله (وأخذناهم بالذاب لهم يرجون . وقالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهدتلك إننا لمهتدون)
لم يكن لفظ الساحر في زمنهم قصا ولا عيا لأن علمهم في ذلك الوقت هم السحرة ولهذا خاطبوه به
في حال احتياجهم اليه وضراعتهم اليه قال الله تعالى . (فلما كشفنا عنهم الذباب إذا هم ينكتون) ثم
أخبر تعالى عن تبيح فرعون بملكه وعظمة يده وحسنها ونفوق الأنهار فيها . وهي الخيل التي
يكسرونها أمام زيادة النيل ثم تبيح بنفسه وحليته وأخذ يتقص رسول الله موسى عليه السلام وزدريه
بكونه (لا يكاد يبين) يبقى كلامه بسبب ما كان في لسانه من قبيحة تلك الائمة التي هي شرف له وكال
وجال ولم تكن مافه له أن كله الله تعالى وأوحى اليه وأنزل به ذلك التوراة عليه ونقصه فرعون
لعه الله بكونه لأساور في بدنه ولا زينة عليه وإنما ذلك من حلية النساء لا يليق بشهامة الرجال فكيف
بالرسل الذين هم أكمل مثالا وأتم معرفة وأعلى مقاماً زهد في الدنيا وأعلم بما أعد الله لأوليائه في الآخرة
وقوله (أوجاء معه الملائكة مقترنين) لا يحتاج الأمر الى ذلك إن كان المراد أن تظهر الملائكة
فالملائكة يظهرون ويتواضعون لمن هو دون موسى عليه السلام بكثير كما جاء في الحديث إن الملائكة
لتضع أجنتها لمالاب العلم رضى بما يصنع فكيف يكون تواضعهم وقطيعهم لموسى الكريم عليه الصلاة
والتسليم والتسليم . وابت كان المراد شهادتهم له برسالة قد أيد من المعجزات بما يدل قطعا لقوى
الأنبياء ولمن قصد الى الحق والصواب ومضى عما جاء به من البينات والحجج الواضحات من نظر الى
التشور وترك لب الباب وطبع على قلبه رب الأرباب وختم عليه بما فيه من الشك والارتباب كما هو
حال فرعون القبطي المسمى الكذاب قال الله تعالى (فاستخف قومه فطاعوه) أى استخفهم فطاعوه
وخرجهم من حال الى حال الى أن صدقوه في دعواه الربوبية لعنه الله وقبحهم (إنهم كانوا قوما فاسقين

فلما آسفونا أي أغضبونا (اتقمنا منهم) أي بالفرق والاحاة وسلب المز واتبدل بالقل وبالمذاب
 بعد النعمة والمهوان بعد الرضاية والنار بعد طيب العيش عياناً بالله العظيم وسلطانه القديم من ذلك
 (فجلبناهم سلفاً) أي لمن اتبعهم في الصفات (ومثلاً) أي لمن اتقوا بهم وخاف من ويل مصرهم
 من بله جلية خبرهم وما كان من أمرهم كما قال الله تعالى . (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما
 هذا إلا سحر مشرقى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين . وقال موسى ربى اعطى من جاء بلهذى من عنده
 ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يخلع الظالمون . وقال فرعون يا هامان ابن لى صرنا لى أطلع الى الله
 موسى واتى لاهله من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض فيضل الحق وغلوا أنهم آتينا لايبرجون
 فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجلبناهم أئمة يدعوون الى النار ويوم
 القية لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لئلا يمتنعوا من القية هم من القبيحون) يخبر تعالى أنهم لما
 استكبروا عن اتباع الحق وادعى ملكهم الباطل وواقوه عليه واطاعوه فيه اشتد
 غضب الرب القدير العزيز الذى لا ينال ولا يمانع عليهم فاقسم منهم أشد الاقسام
 وأغرقه هو وجنوده في صيحة واحدة فلم يفلت منهم أحد ولم يبق منهم دينار
 بل كل قد غرق فدخل النار وأتبعوا في هذه الدار لئلا يمتنعوا بين العالمين
 ويوم القية يس الرعد المرفود ويوم القية هم من القبيحين .

ذكر هلاك فرعون وجنوده

لما تمادى قبط مصر على كفرهم وعتوهم وعنادهم متابعة للمكهم فرعون ومخالفة لنهى الله ورسوله
 وكيهه موسى بن عمران عليه السلام وأقام الله على أهل مصر المحج العظيمة القاهرة وأراهم من
 خوارق العادات ملبه الا بصار وحير القول وم مع ذلك لا يرحون ولا يتهون ولا يفرحون ولا يبرجون
 ولم يؤمن منهم إلا القليل . قيل ثلاثة وهم امرأة فرعون ولا علم لأهل الكتاب بغيرها ومؤمن آل
 فرعون الذى تقدم حكاية مواعظه ومشوره وحجته عليهم والرجل الناصح الذى جاء يسى من أقصى
 المدينة فقال يلموسى إن الملا يأمرون بك ليتسلوك فلنخرج إلى لك من الناصحين قال ابن عباس فبا
 رواه ابن أبى حاتم عنه ومراده غير السررة قائم كانوا من القبط * وقيل بل آمن طائفة من القبط من
 قوم فرعون والسررة كلهم وجميع شب بنى إسرائيل . ويدل على هذا قوله تعالى (فآمن لموسى إلا
 ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأه أن يقتلهم) وإن فرعون لمسال فى الأرض ولأه لمن
 المسرفين) فالضمير فى قوله (إلا ذرية من قومه) عائد على فرعون لأن السياق يدل عليه . وقيل على
 موسى لقربه والأول أظهر كما هو مقرر فى التفسير وإعانتهم كان خفية لشاقتهم من فرعون وسلطوته

وجبروته وسلطته ومن ملائمتهم أن ينسوا عليهم إليه فيقتنهم عن دينهم قال الله تعالى غفيرا عن فرعون
وكفى بالله شهيدا (وإن فرعون لعال في الارض) أي جبار عنيد مستل بغير الحق (وإنه لمن المشرفين)
أي في جميع أموره وشئونه واحواله ولكنه جرثومة قد حان إنبساطها وعمرة خيشة قد آن تطايفها
ومهجة ملوثة قد حتم اغلافيها . وعند ذلك قال موسى (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فليكن عليه توكلا إن كنتم
مسلمين . فقالوا على الله توكنا ربنا لا تبخلنا فتنه لقوم الظالمين . ونحننا برحمتك من القوم الكافرين)
بأمرهم بالتوكل على الله والاستقامة به والابتغاء إليه فآثموا بذلك فجعل الله لهم مما كانوا فيه فرجا
ومخرجا . (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ قومكما بمصر يوتأ واجلوا يوتكم قبله وأقيموا الصلاة
وبشر المؤمنين) أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يدخلوا قومهما يوتأ
متميزة فيا ينهم عن يوت القبط ليكونوا على أهبة في الرحيل إذا أمرأوا به ليرف بعضهم يوت
بعض وقوله (واجلوا يوتكم قبله) قيل مساجد وقيل معناه كثرة الصلاة فيها قاله مجاهد وابوماك
وابراهيم النخعي والريعي والضحاك وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وغيرهم . ومعناه على هذا الاستقامة
على ما هم فيمن الضر والشدة والضيق بكثرة الصلاة كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى . وقيل معناه أنهم لم يكونوا يحفظ مقدرون على إظهار
عبادتهم في مجتمعاتهم ومسابهم فأمرأوا أن يصلوا في يوتهم عرضا عما قلهم من إظهار شعار الدين الحق
في ذلك الزمان الذي اقتضى حالهم اختفاء خوفا من فرعون وملائته . والمعنى الاول أقوى قوله (وبشر
المؤمنين) وإن كان لا يتأني الثاني أيضا والله أعلم . وقال سيد بن جبير (واجلوا يوتكم قبله) أي متقابلة
وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأمولا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا
أطعس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم . قال قد أجيبت دعوتكما
فاستقيا ولا تتبعان سبيل الذين لا يملكون) هذه دعوة عظيمة دعاها عليهم الله موسى على عدو الله فرعون
غضبا لله عليه لشكبه عن اتباع الحق وصده عن سبيل الله ومعادته وحقه وتمرد واستمراده على
الباطل ومكابرة الحق الواضح الجلي المحسوس والمنزوي والبرهان القاطع فقال (ربنا إنك آتيت فرعون
وملائه) يعني قومه من القبط ومن كان على ملته ودان بدينه (زينة وأمولا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن
سبيلك) أي وهذا يفتريه من يظلم أمر الدنيا فيحسب الجاهل أنهم على شيء ليكون هذه الاموال وهذه
الزينة من البأس والمرآب الحسنة الحنية والودر الأنيقة والقصور المبنية والمآكل الشهيية والمناظر البهية
والملك المزب والتمكين والجلاء المريض في الدنيا لا الدين (ربنا أطعس على أموالهم) قال ابن عباس
ومجاهد أي أهلكتها وقال أبو النباله والريعي بن أفس والضحاك أجعلها حجارة مقروشة كهيئة ما كانت
وقال قتادة بلغنا أن زروعهم صارت حجارة . وقال محمد بن كعب جل سكرهم حجارة وقال أيضا صارت

أموالهم كلها حجارة . ذكر ذلك لسرين عبد العزيز قال عمر بن عبد العزيز لئلا يلهيكم قهركم بكيكس فجاءه بكيكس فلذا فيه حمص ويض قد حول حجارة هرواه ابن أبي حاتم . وقوله (واشد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب العظيم) قال ابن عباس أي أطبع عليها وهذه دعوة غضب الله تعالى ولبده وبليها به فاستجاب الله تعالى لما وحقها وتقبلها كما استجاب لنوح في قومه حيث قال (رب لا تدرك على الأرض من الكافرين ديارا. إنك إن تدرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) ولهذا قال تعالى غطابا لموسى حين دعا على فرعون وملأه وأمن أخوه هارون على دعائه قتل ذلك منزلة الداعي أيضا) قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تيمان سبل الذين لا يملعون) قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب استأذن بنو إسرائيل فرعون في الخروج إلى عبيد لهم فاذن لهم وهو كراهة ولكنهم تجهزوا للخروج وتأهبوا له وإنما كان في ضل الأمر مكنة فرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرجوا عنهم وأمرهم الله تعالى فيا ذكروا أهل الكتاب أن يستمروا حليا منهم فاعادهم شيئا كثيرا فخرجوا ببليل فصاروا مستترين ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام فلما علم بذهابهم فرعون حلق عليهم كل الحلق واشتد غضبه عليهم وشرع في استئثار جيشه وجمع جنوده ليحرقهم ويحرقهم قال الله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن أسر ببداي أنفكم متنبون. فأسر فرعون في المدائن حاشرين. إن هؤلاء لشرفقة قليلون. وإنهم لنا لناقطون وإنما جميع حاذرون فخرجناهم من جنات وعبود وكنوز ومقام كريم كذلك وأودناها بني إسرائيل فاتبهم مشرقين. فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون. قال كلا إن منى ربى سيدين. فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فافتق فكان كل فرق كالطود العظيم. وأزلفناهم للآخرين. وأحيينا موسى ومن معه أجمعين. ثم أغرقنا الآخرين. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك هو العزيز الرحيم) قال علماء التفسير لما ركب فرعون في جنوده طالبا بني إسرائيل يقتلهم كان في جيش كثيف عرسم حتى قيل كان في خيوله مائة ألف غل آدم وكانت حدة جنوده تزيد على ألف ألف وستائة ألف فله أعلم. وقيل إن بني إسرائيل كانوا نحو ثمان مائة ألف مقاتل غير الذرية وكان بين خروجهم من مصر محبة موسى عليه السلام ودخولهم إليها محبة أيهم إسرائيل أربابا سنة وستا وعشرين سنة شمسية .

والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود فلدركهم عند شروق الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ركب ولا لبس وعان كل من الفريقين صاحبه وتحصه ورأه ولم يبق إلا المقاتلة والمجاهدة والمعاملة فشدتها قال أصحاب موسى وهم خائفون إنا لمدركون وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا عهد الأسلوكة وخوضه. وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه والرجال عن يسرهم وعن أيمانهم وهي شائعة منية وفرعون قد غلبهم وواجههم وعانيناه في جنوده وجيوشه وعدده وعدده وهم منه في غاية

الطوف والفتح لما قسوا في سلطانه من الاهاة والمنكر فشكوا الى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعانوه
قال لهم الرسول الصادق المصدق (كلا إن معي ربي سيهدين) وكان في الساعة فقدم الى المقدمة وظهر
الى البحر وهو يتلطم بلواجه ويتزايد زبد اجلجه وهو يقول ههنا أمرت ومه أخوه هرون وبشع بن
نون وهو يومئذ من سادات بني إسرائيل وعظمتهم وعبادهم الكبار وقد أوحى الله اليه وجهه نيا
بعد موسى وهرون عليها السلام كما سذكروه فيما بعد إن شاء الله ومعه أيضا مؤمن آل فرعون وهم
وقوف وبنيو إسرائيل يكلمهم عليهم عكوف ويقال إن مؤمن آل فرعون جبل يقتحم بفرسه مراراً في
البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن ويقول ماوسى عليه السلام يا بني الله أهنا أمرت . فيقول نعم . فلما خافهم
الأمر وضاق الحال واشتد الأمر واقرب فرعون وجنوده في جدم وحدم وحديد وغضبهم
وحقهم وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر فمد ذلك أوحى الخليم العظيم التقدير رب الرش
الكرم الى موسى الكليم (أن اضرب بصاك البحر) فلما ضربه يقال إنه قال له اخلق بلذن الله
ويقال إنه كناه بابي خلد فخلق أعلم (قال الله تعالى فلوحي الى موسى أن اضرب بصاك البحر فخلق
فكان كل فرق كالطود العظيم) ويقال إنه اخلق اثنتي عشرة طريقا لكل سبط طريق يسرون فيه
حتى قيل إنه صار أيضا شبايك يرى بعضهم بعضا وفي هذا نظر لأن الماء جرم شفاف اذا كان من
ورائه ضياء حكا . وهكذا كان ماء البحر قائما مثل الجبال مكثوفا بالقدره العظيمة الصادرة من القوى
يقول لشيء كن فيكون وأمر الله ريح البود ففتحت حال البحر فذهبت حتى صار يابسا لا يعلق في
سنايك الخيل والنباب . قال الله تعالى (وقد أوحينا الى موسى أن أسر ببداي فاضرب لهم طريقا
في البحر يسا لا تخاف دركا ولا تخشى . فاتبهم فرعون بمجنوده فتشبههم من اليم ما تشبههم وأضل فرعون
قومه وما هدى) والمقصود أنه لما أكل أسر البحر الى هذه الحال بلذن الرب العظيم الشديد الحال أمر موسى
عليه السلام أن يجوز به بني إسرائيل فاصدروا فيه مسرعين مستبشرين مبشرين وقد شاهدوا من الأمر
العظيم ما يغير الناظرين ويهدى قلوب المؤمنين فلما جاوزوه وجاوزوه وخرج آخرهم منه وانفصلوا عنه كان
ذلك عند قدوم أول جيش فرعون اليه ووفودهم عليه فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بصاه
ليرجع كما كان عليه لتلا يكون لفرعون وجنوده وصول اليه . ولا سبل عليه فامر القدير ذو الجلال أن يترك
البحر على هذه الحال كما قال وهو الصادق في المقال (ولقد فتنا قلوبهم قوم فرعون وجاهم رسول كريم أن
أدوا الى عباد الله الى لكم رسول أمين . وإن لا تملوا على الله إلى آتيكم سلطانا مبين . وإنى علمت برى
وربكم أن ترجون . وإن لم تؤمنوا لي طعنزون . فدما ربه أن هو لا يقوم مجرمون . فأسر ببداي ليلا إنكم
متبعون وأترك البحر رهوا إهم جند مفرقون . كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا
فيها قاهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين . فابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين . ولقد

فحينئذ ينفى إسرائيل من العذاب المهين . من فرعون إنه كان عالماً بالمرسفين . وقد اخترعهم على علم على
السالين وأتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين (قوله تعالى (وأترك البحر رهواً) أى ساكناً على هيئة
لا يتغيره عن هذه الصفة . قال عبدالله بن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع والضحاك وقادة وكب
الاجبار وسماك بن حرب وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم : فلما تركه على هيئة وحالته واتضح
فرعون فرأى ما رأى وعان ما عان حاله هذا المنظر العظيم وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك من أن هذا
من فعل رب العرش الكريم فاحجم ولم يتقدم وتسلم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه حيث
لا يفتنه التمس لكنه أظهر لجنوده نجداً وعاملهم معاملة العدا وحملته النفس الكافرة والسجدة الفاجرة
على أنف قال لمن استخفهم فأطاعوه وعلى بطله تأمبوه أنظروا كيف اتحصر البحر لى لأدرك عبيدى
الآبقين من يدى الظالمين عن طاعتي وبلدى وجبل يورى في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو
وهيأت ويقدم ثلثة ويصيح ثرات . قد كروا أن جبريل عليه السلام يندى في صودة فارس راكب على
دمكة حایل فرين يدى غل فرعون لئنه الله فحسم اليها وأقبل عليها وأسرع جبريل بين يديه فالتحم
البحر واستبق الجواد وقد أجاد فبادر مسرعاً هذا وفرعون لا يملك من نفسه ضراً ولا نفعاً فلما رأى
الجنود قد سلك البحر اتصموا وراءه مسرعين فخصلوا فى البحر أجمعين أكتنن أبصمين حتى هم
أولهم بالخروج منه فند ذلك أمر الله تعالى كليمه فبأ أوامره إلى أن يضرب البحر بصاع فضربه فارتطم
عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم انسان قال الله تعالى (وأوحينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا
الآخرين لأن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لطوفالمرزحيم) أى فى انجاء أوليائه
فلم يفرق منهم أحد وأغرقه أعداءه فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة
وصدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمنافع المستقيمة وقال تعالى (وجاوزنا بينى
إسرائيل البحر فأتيتهم فرعون وجنوده بنياء وعدوا حتى إذا أدركه الفرق قال آمئت أنه لا إله إلا الذى
آمئت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فليوم نتجلك
يدك لتكون لمن خلقت آية وأن كثيراً من الناس عن آياتنا لناظرون) يخبر تعالى عن كيفية غرق فرعون
زعم كثرة القبط وأنه لما جلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه أخرى وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى
جنوده ماذا أسل الله به وبهم من البأس العظيم ولتطلب الجسيم ليكون أقر لآعين بنى إسرائيل وأشقى
لنفوسهم فلما عان فرعون الملكة وأحيط به ويثر مكرات الموت أغاب حيفاً وتاب وآمن حين لا يفتن
نفساً ليمسها كما قال تعالى (إن الذين هتفت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية حتى يروا
العذاب الأليم) وقال تعالى (قلنا راؤا بأسنا قلوا آمنا بالله وحده وكفرت بما كنا به مشركين . فلم يك
يخضعهم ليمانهم لما راؤا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون) وهكذا صا

موسى على فرعون وملائه أن يجلس على أموالهم ويشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
 الآليم) أى حين لا ينضمهم ذلك ويكون حسرة عليهم وقد قال تعالى لما أوى لموسى وهرون حين دعوا
 بهذا (قد أجيبت دعوتكما) فهذا من إجابة الله تعالى دعوة كليهما وأخيه هرون عليهما السلام . ومن
 ذلك الحديث الذى رواه الأمام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن
 يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ لما قال فرعون (آمنت أنه لا إله إلا الذى
 آمنت به بنو إسرائيل) قال قال لى جبريل لورأيتى وقد أخذت من حال البحر قدسسته فى فيه مخافة
 أن تناله الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم عند هذه الآية من حديث حماد بن سلمة
 وقال الترمذى حديث حسن . وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن عدى بن ثابت وهشام بن
 السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ قال لى جبريل لورأيتى وأنا أخذ
 من حال البحر فلدسه فى فم فرعون مخافة أن يناله الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير من حديث شعبة
 وقال الترمذى حسن غريب صحيح وأشار ابن جرير فى رواية الى وقته . وقال ابن أبي حاتم حدثنا
 أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن مولى التقي عن سعيد بن جبير عن ابن
 عباس قال لما أغرق الله فرعون أشار بيمينه ورفع صوته (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو
 إسرائيل) قال تخلف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحلال بمحتاجه فيضرب به وجهه
 فيمرسه • ورواه ابن جرير من حديث أبي خالد . وقد رواه ابن جرير من طريق كثير بن زاذان
 وليس بمعروف وعن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال لى جبريل يا محمد لو
 رأيتى وأنا أضطه وأدس من الحلال فى فيه مخافة أن تذكره رحمة الله فيغفر له . معنى فرعون . وقد أرسله
 غير واحد من السلف كإبراهيم التيمي وقائدة وميمون بن مهران ويقال إن الضحاك بن قيس خطب
 به الناس . وفى بعض الروايات لمن جبريل قال ما بنضت احدا ينفى لفرعون حين قال أنا ربكم الأعلى
 ولقد جبلت أدس فى فيه الطعن حين قال ما قال . وقوله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من
 المفسدين) إستفهام إنكار ونص على عدم قبوله تعالى منه ذلك لأنه والله أعلم لو رد الى الدنيا كما كان
 لماد الى ما كان عليه كما أخبر تعالى عن الكفار اذا عابوا النار وشاهدوها أنهم يقولون (يا ليتنا زد
 ولا نكنكب يا ليت ربنا ونكون من المؤمنين) قال الله (بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ولو
 ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقوله (ظليوم تنجيك يدك لتكون لمن خلقت آية)
 قال ابن عباس وغير واحد شك بعض بنى إسرائيل فى موت فرعون حتى قال بعضهم إنه لا يموت فامر
 الله البحر فرفعه على مرتفع . قيل على وجه الماء وقيل على فجيرة من الأرض وعليه دحرجه حتى يرفوئها
 من ملابسه ليتحقوا بذلك هلاكه وصلوا قدرة الله عليه . ولهذا قال (ظليوم تنجيك يدك) أى

مصاحباً درعك المروفة بك (تكون) أى أنت آية (لمن خلفك) أى من بنى إسرائيل دليلاً على قدرة الله الذى أهلكه . ولهذا قرأ بعض السلف لتكون لمن خلفك آية (١) . ويحتمل أن يكون المراد تنجيك مصاحباً لتكون درعك علامة لمن وراءك من بنى إسرائيل على معرفتك وإنك هلكت والله أعلم . وقد كان هلاكه وجنوده فى يوم عاشوراء . كما قال الامام البخارى فى صحيحه حدثنا محمد بن بشر حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبي صلى الله عليه وسلم (أنتم أحق بموسى منهم فصوموا) وأصل هذا الحديث فى الصحيحين وغيرها والله أعلم

فصل فيما كان من أمر بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون

قال الله تعالى (فاقضينا منهم فقرهم فما فى آياتنا لعلهم يغفلون . وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى بوركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يمشون . وجاوزنا بنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يمكنون على أصنام لهم . قالوا يلموسى اجل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وبطل ما كانوا يصلون . قال أغير الله أفيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين . وإذ أجبناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلك لعلهم يلهو . وإذ أقمناكم على قوم عظيم) يذكر تعالى ما كان من أمر فرعون وجنوده فى غرقهم وكيف سلمهم عزم وملهم وأغصم وأورث بنى إسرائيل جميع أموالهم وأملأهم كمال (كذلك وأورثناها بنى إسرائيل) وقال (وزيد أن نحن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقال ههنا (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى بوركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يمشون) أى أهلك ذلك جميعه وسلمهم عزم العزى الرىض فى الدنيا وهلك الملك وحاشيته وأمرأؤه وجنوده ولم يبق بيله مصر سوى العامة والراعى . فذكر ابن عبد الحكم فى تلخيص مصر أنه من ذلك الزمان تملك مصر على رجالها بسبب أن نساء الامراء والكبراء تزوجن بمن دونهن من العامة فكانت هن السطوة عليهم واستمرت هذه سنة نساء مصر الى يومك هذا .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل لما أسروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر أول سنتهم وأسروا أن يذبح كل أهل بيت حلالاً من النعم فإن كانوا لا يحتاجون الى حل فليشترك الجار وجاره فيه

(١) باتفاق أى ولتكون خلفك آية كسائر آياته

فاذا ذبحوه فليضحوا من دمه على اعقاب ابراهيم ليكون علامة لهم على يوتهم ولا يأكلونه مطبوخا
 ولكن مشوا برأسه وأكلوه وبطنه ولا يقروا منه شيئا ولا يكتفروا له عظام ولا يخرجوا منه شيئا الى
 خارج يوتهم وليكن خبزهم فطيرا سبعة أيام اجدواها من الرابع عشر من الشهر الأول من ستمهم
 وكان ذلك في فصل الربيع فاذا أكلوا فلتكن أوساطهم مشدودة وخفافهم في أرجلهم وعصيمهم في
 أيديهم وليأكلوا بسرعة قياما . ومهما فضل عن عشايمهم فإني الى الله فليحرقوه بلنار وشرع لهم
 هذا عيدا لاعتابهم مادامت التوراة معمولا بها فاذا فسخت بطل شرعها وقد وقع . قالوا وقتل الله عز
 وجل في تلك الليلة أبكار القبط وأبكار دوايمهم ليشغلوا عنهم وخرج بنو إسرائيل حين اتصف النهار
 وأهل مصر في مناعة عظيمة على أبكار أولادهم وأبكار أموالهم ليس من بيت الاوفيه عويل . وحين
 جاء الوحي الى موسى خرجوا مسرعين فخلوا الصجين قبل اختاره وحملا الازواد في الأردية والقواها
 على عواقبهم . وكانوا قد استداروا من أهل مصر حليا كثيرا فخرجوا وهم سائة ألف رجل سوى
 الفراري بما معهم من الاغنام وكانت مدة مقامهم بمصر أربعة مائة سنة وثلاثين سنة . هذا فص كتابهم .
 وهذه السنة عندهم تسمى سنة الفسخ وهذا العيد العيد الفسخ . ولهم عيد الفطير وعيد الخبز وهو أول السنة .
 وهذه الاعياد الثلاثة أكد أعيادهم متصوص عليها في كتابهم . ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم يافوت
 يوسف عليه السلام وخرجوا على طريق بحر سوف . وكانوا في النهار يسرون والسحاب بين أيديهم
 يسر أمامهم فيه عامود نور ولليل أمامهم عامود نورا فأتى بهم الطريق الى ساحل البحر فزلوا هناك
 وادركهم فرعون وجنوده من المصريين وهم هناك حول على شاطئ اليم فهاك كثير من بني إسرائيل
 حتى قال قائلهم كان هؤلاء بمصر احب البنا من الموت بهذه البرية . وقال موسى عليه السلام لمن قال
 هذه المقالة لا تخشوا فأن فرعون وجنوده لا يرجعون الى بلدهم بعد هذا . قالوا واسم الله موسى عليه السلام
 أن يضرب البحر بمصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل في البحر واليأس . وصار الماء من ههنا وههنا
 كليلين وصار وسطه يسا لان الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم فجاز بنو إسرائيل البحر واتبهم
 فرعون وجنوده فلما توسطوه أمر الله موسى فضرب البحر بمصاه فخرج الماء كما كان عليهم . لكن
 عند أهل الكتاب أن هذا كان في الليل وأن البحر ارتطم عليهم عند الصبح وهذا من غلظهم وعدم
 فهمهم في ترميمهم والله أعلم . قالوا ولما أغرق الله فرعون وجنوده حيثكذ سبح موسى وبني إسرائيل
 بهذا التسبيح لرب وقالوا (فسيح الرب الهى الذى قهر الجنود ونفذ فرسانها في البحر المتنجس المحمود) وهو
 تسبيح طويل . قالوا وأخذت مريم للثنية أخت هارون دفا يدها وخرج النساء في أثرها كلهن بدفوف
 وطبول وجلت مريم ترتل لمن وتقول سبحان الرب القهار الذى قهر الجنود وركبتها إلهاء في البحر
 هكذا رأيته في كتابهم . ولعل هذا هو من الذى حل محمد بن كعب القرظي على زعمه أن مريم بنت

عمران أم عيسى هي أخت هرون وموسى مع قوله يا أخت هرون * وقد بنا غلطة في ذلك وإن هذا
 لا يمكن أن يقال ولم يتابع أحد عليه بل كل واحد خالفه فيه ولو قدر أن هذا محفوظ فلهذا مريم بنت
 عمران أخت موسى وهرون عليها السلام وأم عيسى عليها السلام واقتضا في الأسم واسم الأب واسم
 الأخ لأنهم كما قال رسول الله ﷺ للغيرة بن شعبة لما سأله أهل نجران عن قوله يا أخت هرون فلم يدر
 ما يقول لهم حتى سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال أما علمت أنهم كانوا يسبون بسماة أنبياءهم هرواه
 مسلم . وقوله النبي كما يقال للمرأة من بيت الملك ملكة ومن بيت الأميرة أميرة وإن لم تكن مباشرة
 شيئاً من ذلك فكذلك هذه استارة لما لا أنها نية حقيقة يوحى إليها وضربها باللف في مثل هذا اليوم
 الذي هو أعظم الأعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب السف في اليد * وهذا
 مشروع لنا أيضاً في حق النساء لحديث الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة يضربان باللف في أيام منى
 ورسول الله ﷺ مضطجع مولى ظهره إليهم ووجهه إلى الحائط فلما دخل أبو بكر زجرهن وقال
 ابزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ قال دعني يا أبا بكر فإن لكل قوم عيلاً وهذا عيدنا .
 وهكذا يشرع عندنا في الأعراس ولقدوم النياب كما هو مقرر في موضعه والله أعلم . وذكروا أنهم لما
 جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء فشكوا من تسكهم منهم
 بسبب ذلك فوجدوا ماء زعاقاً اجاباً لم يستطيعوا شربه فامر الله موسى فاخذ خشبة فوضها فيه فخلا
 وساغ شربه وجلبه الرب هناك فرائض وسفنا ووصاه وصايا كثيرة . وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز
 الميمن على ما عاهدنا من الكتب (وجاوزنا بين إسرائيل البحر فأتوا على قوم يكفون على أصنام لهم
 قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه بلطال ما كانوا
 يسلون) . قالوا هذا الجبل والضلال وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما جاءهم به
 رسول ذي الجلال والاكرام وذلك أنهم مروا على قوم يبشرون أصناماً قيل كانت على صور البقر
 فكلمهم سألوهم لم يبشرونها فزعوا لهم أنها تضرهم ويستزقون بها عند الضرورات فكان
 بعض الجهال منهم صدقهم في ذلك فسألوا نبيهم الكريم العظيم أن يجعل لهم آلهة كما لا وتلك
 آلهة قتال لهم ميتة لهم أنهم لا يفتنون ولا يهتدون إن هؤلاء متبر ما هم فيه بلطال ما كانوا يسلون . ثم
 ذكرهم بمعة الله عليهم في تخفيفه إياهم على عالي زلمتهم بالعلم والشرع والرسول الذي بين أظهرهم وما
 أحسن به إليهم وما امتن به عليهم من أنجائهم من قبضة فرعون الجبار العنيد وإهلاكه إلههم وهم ينتظرون
 ونوريته إياهم ما كان فرعون وملاؤه يمجسونه من الأموال والسحادة وما كانوا يمشون وبين لهم أنه لا
 تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك له لانه انطلق الرازق القهار وليس كل بني إسرائيل سأل هذا
 السؤال بل هذا الضمير عائد على الجنس في قوله (وجاوزنا بين إسرائيل البحر فأتوا على قوم يكفون

على أصنامهم فلم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة (أى قال بعضهم كافي قوله (وحشرناهم فلم نقادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاتك جئتمونا كأنهناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) فالتفتين زعموا هذا بعض الناس لا كلهم وقد قال الأمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان السلمي عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حين فررنا بسدة قتلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لكفار ذات أنواط وكان الكفار يتوطون سلاحهم بسدة ويمكنون حولها قال النبي الله ﷺ أكره هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة أنكم تركبون سنن الذين من قبلكم . ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به . ورواه الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفيان بن عيينة عن الزهري به . ثم قال حسن صحيح . وقد روى ابن جرير من حديث محمد بن اسحق ومعمر وعقيل عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى خيبر قال وكان لكفار سدة يمكنون عندها ويقفون بها أسلحتهم يقال لما ذات أنواط قال فررنا بسدة خضراء عظيمة قال قتلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال قلم والقي فني يده كما قال قوم موسى لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه ولعل ما كانوا يعملون) . والمقصود أن موسى عليه السلام لما أغضل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قوماً من الجبارين من الحبثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم فأسرهم موسى عليه السلام بالسخول عليهم ومقاتلتهم واجلاهم إياهم عن بيت المقدس فلما الله كذبهم ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل إوموسى الكبير الجليل فلبوا ونكروا عن الجهاد فسلط الله عليهم الخوف والقاهم في آتية يسيرون ويحلون ويرحلون ويذهبون ويجمعون في مدة من السنين طويقة هي من المدد اربون كقاتل الله تعالى (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى . إن فيها قوماً جبارين وإننا لندخلها حتى يفرجوا عننا فنخرجوا منها فأنفذناهم قال رجلان من الذين يخافون أفع الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فلذا دخلتموه فأنكسركم غالبون وعلى الله حوكموا إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إننا لندخلها أبداً ماداموا فيها فذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . قال رب إني لأملك إلا نفسي وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فلما حرمة عليهم أربعين سنة يتهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) . يذكرهم نبي الله نعمة الله عليهم أحصاه عليهم بالنعم الدنيوية والدنيوية ويأسرهم بالجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعدائه قال (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم) أى تنكسوا على أعقابكم وتنكسوا على قتال أعدائكم

(فقتلوا خاسرين) أى فخسروا بد الرمح وتقصوا بد السكالب (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين) أى عتاة كفرة متبردين (وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا فانا داخلون) خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عاينوا هلاك فرعون وهو أجبر من هؤلاء وأشد بأساً وأكثر جماً وأعظم جنداً وهذا يدل على أنهم ملومون في هذه المقالة ومنمومون على هذه الحالة من القلة عن مصالحة الأعداء ومقاومة المردة الأشقياء .

وقد ذكر كثير من المفسرين هنا آثراً فيها عجزت كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها من أنهم كانوا أشكالا هائلة ضخاما جفأ حتى إنهم ذكروا أن رسل بني اسرائيل لما قدموا عليهم تقامهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلفهم في أكلمه وحجرة سراويله وهم اثنا عشر رجلاً فجاء بهم فنثرهم بين يدي ملك الجبارين فقال ما هؤلاء ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه وكل هذه هذيان وخرافات لا حقيقة لها وأن الملك بث منهم عتياً كل عتية تكفى الرجل وشيئاً من ثمارهم لعلوا ضخامة اشكالهم وهذا ليس بصحيح . وذكروا هنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين الى بني اسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثة أمتار وذراعاً وثلاث ذراعاً هكذا ذكره البغوي وغيره وليس بصحيح كما قلنا بيانه عند قوله ﷺ (إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً) ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن قالوا فسد عوج الى قة جبل فاقطعها ثم أخذها يديه ليقيها على جيش موسى فجاء طائر ففتر تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقاً في عنق عوج بن عنق . ثم عمد موسى الى فؤوب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع ويده عصاه وطولها عشرة أذرع فوصل الى كب قدمه فقتله . يروى هذا عن عرف البكالي وقوله ابن جرير عن ابن عباس وفي اسناده اليه نظر . ثم هو مع هذا كله من الاسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بني اسرائيل فإن الاخبار الكذبة قد كثرت عندهم ولا يميز لهم بين محتها وطلها . ثم لو كان هذا صحيحاً لكان بنو اسرائيل مذودين في النكول عن قتالهم وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بآتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم وقد أشار عليهم رجلان صلحان منهم بالأقدام ونهبهم عن الاحجام . ويقال إنها يوشع بن نون وكاتب بن يوقنا قاله ابن عباس وبجاءه وعكرمة وعطية والسدي والريعي بن اقس وغير واحد (قال رجلان من الذين يخافون) أى يخافون الله وقرأ بعضهم يخافون أى يهابون (أقسم الله عليهما) أى بالاسلام والايمان والطاعة والشجاعة (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم غالبون . وعلى الله فتوكوا إن كنتم مؤمنين) أى إذا توكلتم على الله واستعتم به وجاهتم اليه نصركم على عدوكم وأيدكم عليهم وأظفركم بهم . (قالوا يا موسى إننا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فلذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) فصمم ملاؤهم على النكول عن الجهاد ووقع أمر عظيم ووهن كبير . فيقال إن يوشع وكاتب لما سمعا هذا

فصل في دخول بني اسرائيل التيه وما جرى لهم فيه من الامور العجيبة

قد ذكرنا نكول بني اسرائيل عن قتال الجبارين وأن الله تعالى عاقبهم بالتيه وحكم بهم لايخرجون منه الى اربعين سنة ولم ار في كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين ولكن فيها أن يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفار وأن موسى وهرون وخور جلسوا على رأس أكمة ورفع موسى عصاه فكلما رفضا اتصر يوشع عليهم وكلامت يده بها من ثعب أو نحوه عليهم أولئك وجعل هرون وخور يدعمان يده عن يمينه وشماله ذلك اليوم الى غروب الشمس فاتصر حزب يوشع عليه السلام وعندهم أن يثرون كهن مدين وختن موسى عليه السلام بلته ما كان من أسر موسى وكيف أغفره الله ببدوه فرعون قتلهم على موسى مسلما ومه ابنته صفورا زوجة موسى وابناهما منه جرشون وعازر فلقاه موسى وأكرمته واجتمع به شيوخ بني اسرائيل وعظموه وأجلوه . وذكروا أنه رأى كثرة اجتماع بني اسرائيل على موسى في الخصومات التي تقع بينهم فثار على موسى أن يجعل على الناس رجالا أمناء أتهباء أعضاء يفضون الرشاء ولنيلاة فيجسلهم على الناس رؤوس ألف ورؤوس مئتين ورؤوس خمسين ورؤوس عشرة فيقتضوا بين الناس فلذا أشكل عليهم أمر جاؤك ففصلت بينهم ما أشكل عليهم فقل ذلك موسى عليه السلام . قالوا ودخل بنو اسرائيل البرية عند سيناء في الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم في أول السنة التي شرعت لهم وهي أول فصل الربيع فكلتهم دخلوا التيه في أول فصل الصيف والله أعلم . قالوا ونزل بنو اسرائيل حول طور سيناء وصعد موسى الجبل فكلمه ربه وأمره أن يذكر بني اسرائيل ما أقسم الله به عليهم من انجاء إياهم من فرعون وقومه وكيف حملهم على مثل جناحي نسر من يده وقبضته وأمره أن يأمر بني اسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا ويقتلوا ويضربوا ما بهم وليسعدوا الى اليوم الثالث فلذا كان في اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل ولا يقتربن أحد منهم اليه فمن دأمنه قتل حتى ولا شئ من البهائم ماداموا يسمعون صوت القرون فلذا سكن القرون فقد حل لكم أن ترهقوه فسمع بنو اسرائيل ذلك وأطاعوا واغتسلوا وتنظفوا وغطوا فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة وفيها أصوات وبروق وصوت الصور شديد جدا فخرج بنو اسرائيل من ذلك فرعا شديداً وخرجوا هماموا في سفح الجبل وغشى الجبل دخان عظيم في وسطه عود نودو ترتزل الجبل كله زلزلة شديدة واستمر صوت الصور وهو البوق واشتد وموسى عليه السلام فوق الجبل والله يكلمه ويناجيه وأمر الرب عز وجل موسى أن ينزل فأمر بني اسرائيل أن يقتربوا من الجبل ليسخروا وصية الله ويأمر الاجبار وهم علمتهم أن يدنوا فيصعدوا الجبل ليتقدموا بالقرب وهذا نص في كتابهم على وقوع

النسخ لا محالة قال موسى يارب إني لا أستطيعون أن يصعدوه وقد نهيتهم عن ذلك ظمره الله تعالى أن يذهب فيأتي منه بلخيه هرون وليكن الكهنة وهم العلماء والشعب وهم بقية بني إسرائيل غير بيد فضل موسى وكله ربه عز وجل ظمره حينئذ بلمشركلات .

وعندهم أن بني إسرائيل سمعوا كلام الله ولكن لم يفهموا حتى فهمهم موسى وجعلوا يقولون لموسى بلننا أنت عن الرب عز وجل قانا نخاف أن نموت فيلتم عنه قال هذه العشر الكليات وهي الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والنهي عن الحلف بالله كاذباً . والأمر بالمحافظة على السبت . ومنهاته فرغ يوم من الأسبوع للعبادة * وهذا حاصل يوم الجمعة الذي فسخ الله به السبت . أكرم أبك وأمك ليطول حرك في الأرض الذي يطيك الله ربك . لا تهمل . لا تزن لا تسرق . لا تشهد على صاحبك شهادة زور لا تمد عينك إلى بيت صاحبك . ولا تشته امرأة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً من الذي لصاحبك . ومنهاته النهي عن الحسد . وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم مضمون هذه العشر الكليات في آيتين من القرآن وهما قوله تعالى في سورة الأنعام (قل تعالوا أنبل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إبلان نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالحقى هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قمم قاعدلوا ولو كان ذا قربى وهدى الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيماً فابعوه الآية) وذكروا بعد العشر الكليات وصايا كثيرة وأحكاماً متفرقة عزيزة كانت فزالت وعملت بها حيناً من الدهر * ثم طرأ عليها عصيان من المكلفين بها ثم عمدوا إليها فبدلوها وحرفوها وأولوها . ثم يمد ذلك كله سلبيها فصارت منسوخة بمبدلة بعد ما كانت مشروعة مكللة فله الأمر من قبل ومن بعد وهو الذي يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الإله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . وقد قال الله تعالى (يا بني إسرائيل قد آتيناكم من عبادكم وواحدكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تنظروا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى . وإني لننزل من تلب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) يذكر تعالى متتوا إحسانه إلى بني إسرائيل بما آتاهم من أعدائهم وخلصهم من الضيق والهرج وأنه وعدم محبة نبيهم إلى جانب الطور الايمن أي منهم لينزل عليه أحكاماً عظيمة فيها مصلحة لهم في دنياهم وأخرام وأنه تعالى أنزل عليهم في حال شدتهم وضرورتهم في سفرهم في الأرض التي ليس فيها زرع ولا خضر من ماء من السماء يصبحون فيجدونه خلال يوتهم فيأخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم إلى مثله من القند ومن ادخر منه لا أكثر من ذلك فسد . ومن أخذ منه قليلاً كناه أو كثيراً لم يفضل عنه فيصنون منه مثل الخبز وهو

في غاية البياض والحلاوة فلذا كان من آخر النهار غشيم طير السحرة فيقتنصون منه بلا كلفة ما يحتاجون
 اليه حسب كفايتهم لشامهم. واذ كان فصل الصيف ظل الله عليهم الغمام وهو السحاب الذي يستر عنهم
 حر الشمس وضوؤها الباهر . كما قال تعالى في سورة البقرة (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت
 عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإليي فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول
 كافرين ولا تشقروا بآياتي ثمنا قليلا وإليي فاتقون) الى أن قال (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم
 سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم . واذ فرقنا بكم البحر
 فأنجيناكم وأفرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون . واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم أخذتم السبل من يده
 وأنتم ظالمون . ثم عرفناكم عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون . واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم
 تهتدون . واذ قال موسى لقومه إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم السبل فربوا الى بلوتكم فاقتلوا أنفسكم
 ذلكم خير لكم عند بلوتكم عليكم إني هو التواب الرحيم . واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى
 نرى الله جهره فآخذتكم العصا وأنتم تنظرون . ثم بشناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . وظلنا عليكم
 الغمام وأنزلنا عليكم المن والسحرة كلاً من طيات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفُسهم يظلمون)
 الى أن قال (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانحدرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم
 كل أناس مشربهم كلاً واشربوا من رزق الله ولا تمشوا في الأرض مفسدين . واذ قلتم يا موسى لن
 نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك فخرج لنا ما تثبت الأرض من قبلها وقلائها وفومها وعدسها وبصلها
 قال أئتيبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم القلة
 والمسكة وبأذا يفض من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما
 عصوا وكانوا يعتدون) فذكر تعالى إقامه عليهم وإحسانه اليهم بما يسر لهم من المن والسحرة طامعين
 شهيئين بلا كلفة ولا سعى لهم فيه بل ينزل الله المن باكراً ويرسل عليهم طير السحرة عشياً وأنبع الماء لهم
 بضرب موسى عليه السلام حجراً كانوا يحملونه معهم بالعصا فخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين
 منه تفيض . ثم تنبأ ما زالوا يغيثون ويصقون قلوبهم ويدخرون كفايتهم . وظلل عليهم الغمام من
 الحر . وهذه نعم من الله عظيمة وعطيات جسيمة فارعوها حق رعايتها ولا قالوا بشكركم وحق
 عبادتها ثم ضجر كثير منها وتبرموا بها وسألوا أن يستبدلوا منها يدلاً ما تثبت الأرض من قبلها وقلائها
 وفومها وعدسها وبصلها . قرعهم السكيب ويخضمهم وأنهم على هذه المقتلة وعنتهم قائلاً (أئتيبدلون
 الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم) أي هذا الذي تطلبونه وتريدونه بدل
 هذه النعم التي أنعم فيها حاصل لأهل الأمصار الضغار والكبار موجود بها واذما جعلتم اليها أي وزلتهم
 من هذه المرتبة التي لا تصلحون لنصبها فجدوا بها ما تشتهون وما ترومون فما ذكرتم من المأكلة الدنية

والاغنية الردية ولكفى لست أجيبكم الى سؤال ذلك ههنا ولا ألبتكم ما تفتنم به من المني وكل هذه الصفات المذكورة عنهم الصادرة منهم تدل على أنهم لم يتنوها عما نهوا عنه كما قال تعالى (ولا تظنوا فيه فيحل عليكم غضيبي ومن يحل عليه غضيبي فقد هوى) أى قد هلك وحق له والله الهلاك والعلم وقد حل عليه غضب الملك الجبار ولكنه تعالى مزج هذا الوعيد الشديد بالرجاء لمن أئلب وتاب ولم يستمر على متابعة الشيطان المرید فقال (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)

سؤال الرؤية

قال تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممتها بأربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين . ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أكثر إنيك قال لن تراني ولكن أقطر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صقعا . فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين . قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوها بأحسنا سأريكم دار الفاسقين . سأصرف من آياتي الذين يكذبون في الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا . ذلك بهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يميزون إلا ما كانوا يعملون) . قال جماعة من السلف منهم ابن عباس ومسروق ومجاهد الثلاثون ليلة هي شهر ذى القعدة بكلمة وأتمت أربعين ليلة بشر ذى الحجة فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر وفي مثله أكل الله عز وجل لحمد عليه السلام دينه وأقام حجه وبرايته . والمقصود أن موسى عليه السلام لما استكمل الميقات وكان فيه صاعقا يقال إنه لم يستطع الطعام فلما كمل الشهر أخذ لحما شجرة فضنه لطيب ربح فنه فصر الله أن يمسك عسرا أخرى فصارت أربعين ليلة . ولهذا ثبت في الحديث أن خلوف المائم أطيب نحمد الله من ربح المسك فلما عزم على القحط استخلف على شعب بنى اسرائيل أخاه هرون المحبوب المبجل الجليل وهو ابن أمه وأبيه ووزيره في الدعوة الى مصطفية فوصاه وأمره وليس في هذا لعل منزلته في نبوة مناقاة قال الله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا) أى في الوقت الذى أمر بالحيى فيه (وكلمه ربه) أى كلمه الله من وراء حجاب إلا أنه أحسنه الخطاب فتداه وتلجأه وقربه وأذنه وهذا مقام رفيع ومقل منيع ومنصب شريف ومنزل متيف فصلاوات الله عليه بقرى وسلامه عليه في الدنيا والآخرة * ولما أعطى هذه الميزة

العلية والمرتبة السنية وسمع الخطاب سأل رفع الجبل قال للعظيم الذي لا تدركه الابصار اتقوى البرهان
(ربى أرى أظن اليك قال لى ترى) . ثم بين تعالى أنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى
لأن الجبل الذى هو أقوى وأكبر ذاتاً وأشد ثباتاً من الانسان لا يثبت عند التجلى من الرحان
ولهذا قال (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه ففرف ترى)

وفى الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال له يا موسى إنه لا يرى حتى إلأملت ولا يابس إلا تدعه
وفى الصحيحين عن أبى موسى عن رسول الله ﷺ أنه قال حجاب النور . وفى رواية النار لو كشفه
لا حرق سبطات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه . وقال ابن عباس فى قوله تعالى (لا تدركه
الابصار) ذاك نوره الذى هو نوره اذا تجلى لشيء لا يقوم له شيء ولهذا قال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) . قال مجاهد (ولكن
أظن الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترى) فانه أكبر منك وأشد خلقاً فلما تجلى ربه للجبل فنظر
الى الجبل لا يتألم وأقبل الجبل فذكر على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا * وقد ذكرنا فى
التفسير ما رواه الامام احمد والترمذى وصححه ابن جرير والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت .
زاد ابن جرير وليفث عن أنس أن رسول الله ﷺ قرأ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال هكذا بسببه
ووضع النهى ﷺ الابهام على الفصل الأعلى من المختصر فساخ الجبل لفظ ابن جرير . وقال السدى
عن عكرمة وعن ابن عباس ما تجلى يصفى من العظة الا قدر المختصر فجعل الجبل دكا قال تبارك (وخر
موسى صعقا) أى مشطاً عليه وقال قتادة ميتا . والصحيح الأول لقوله (فلما أفاق) فان الاقافة انما
تكون عن غشى قال (سبحانك) تنزيه وتظيم وإجلال أن يراه بظلمته أحد (تبت إليك) أى فلتست
أسأل بيد هذا الرؤية (وأنا أول المؤمنين) أنه لا يراك حتى إلأملت ولا يابس إلا تدعه . وقد ثبت فى
الصحيحين من طريق عمرو بن يحيى بن حمزة بن أبى حسن المازنى الأضرارى عن أبيه عن أبى سعيد
الخلدى قال قال رسول الله ﷺ (لا تخيرونى من بين الانبياء فان الناس يصقون يوم القيامة فأكون
أول من يفتق فلذا أنا بموسى أخذ جماعة من قوائم العرش فلا أدري أفتق قبلى أو جوزى بصمة الطور)
لفظ البخارى وفى أوله قصة اليهودى الذى لطم وجهه الاضرارى حين قال لا واللهى اصطفى موسى
على البشر قال رسول الله (لا تخيرونى من بين الانبياء) . وفى الصحيحين من طريق الزهري عن
أبى سلمة وعبد الرحمن الاعرج عن أبى هريرة عن النهى صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه (لا تخيرونى
على موسى) وذكر تكماله . وهذا من باب المضم والتواضع أو نهى عن التفضيل بين الانبياء على وجه
التنزيب والصية أو ليس هذا إليكم بل الله هو الذى رضى بعضهم فوق بعض درجات وليس ينال هذا
بمجرد الرأى بل بالتوقيف . ومن قال ان هذا قاله قبل أن يعلم أنه أفضل ثم فسخ بإطلاعه على فضيلته

عليهم كلهم ففي قوله نظر لأن هذا من رواية أبي سعيد وأبي هريرة وما هاجر أبو هريرة إلا عام حين متأخرا فيبعد أنه لم يعلم بهذا إلا بعد هذا والله أعلم ولا شك أنه صلوات الله وسلامه عليه أفضل البشر بل الخليفة . قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وما كلفوا إلا بشرف بينهم وبجبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولاخبر) ثم ذكر اختصاصه بلقائم المحمود الذي يضبط به الأولون والآخرون الذي تحبذ عنه الأعياء والمرسلون حتى أولو العزم إلا كلون نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم . وقوله ﷺ (فأكون أول من يفيق فأجد موسى بلطاشا بقائمة الرمش) أي أخذها بها (فلا أدري ألق قبلي أم جوزي بصفة الطور) دليل على أن هذا الصعق الذي يحصل للعلائق في عرصات القيامة حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين عباده فيصعقون من شدة الهيبة والظلمة والجلال فيكون أولهم إفاقة محمد خاتم الأعياء ومصطفى رب الأرض والسما على سائر الأعياء فيجد موسى بلطاشا بقائمة الرمش قال الصادق المصدوق (لأدري أسقى فافلق قبلي) أي كانت صفته خفية لأنه قد تله بهذا السبب في الدنيا صعق أو جوزى بصفة الطور يعنى فلم يصعق بالكلية وهذا فيه شرف كبير لموسى عليه السلام من هذه الحيثية . ولا يلزم تفضيله بها مطلقا من كل وجه . ولهذا به رسول الله ﷺ على شرفه وتفضيله بهذه الصفة لأن المسلم لما ضرب وجه اليهودي حين قال (لا والقي اصطفى موسى على البشر) قد يحصل في نفوس المشاهدين قلق هضم بجانب موسى عليه السلام فينبئ النبي ﷺ تفضيله وشرفه . وقوله تعالى (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) أي في ذلك الزمان لما قبله لأن إبراهيم الخليل أفضل منه كما تقدم بيان ذلك في قصة إبراهيم ولا ما بعده لأن محمدا ﷺ أفضل منها كما ظهر شرفه ليلة الاسراء على جميع المرسلين والأعياء وكما ثبت أنه قال (سأقوم مقام إبراهيم إلى الله حتى إبراهيم) وقوله تعالى فخذنا آيتك وكن من الشاكرين (أي فخذ ما أعطيتك من الرسالة والكلام ولا تمأس زيادة عليه وكن من الشاكرين على ذلك . قال الله تعالى (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء) وكانت الألواح من جوهر نفيس ففي الصحيح أن الله كتب له التوراة بيده وفيها مواضع عن الآثم وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام (فخذها بقوة) أي بزم ونية صادقة قوية (وأمر قومك بآخذوا بأحسنها) أي يضموها على أحسن وجوها وأجمل محاملها (ساركم دار الفاسقين) أي ستروا عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمرى المكذبين لرسل . (سأصرف عن آياتي) عن فهمها وتدبرها وتقل معناها الذي أريد منها ودل عليه مقتضاها (الذين يشكرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي ولو شاهدوا معها شاهدوا من الخوارق والمعجزات لا يتقاضوا لا يتابعوا (وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا) أي لا يسلكوه ولا يتبعوه (وإن يروا سبيل الله لا يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) أي صرفناهم

من ذلك لشكذبهم بآياتنا وتناقلهم عنها واعراضهم عن التصديق بها والتفكر في مناساتها وترك العمل بمقتضاها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجوزون إلا ما كانوا يصلون) .

قصة عبادتهم العجل في غيبة كلهم

قال الله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار لم يروا أنه لا يكلهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين . ولا سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجعنا ربنا ويفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولا رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بشعباً خلفتموني من بعدى أعلم أمر ربكم والقي الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال يا ابن أم إن القوم استغنوني وكلدوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لي وأدخلني رحمك وأنت أرحم الراحمين . إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المقترنين . والذين علوا السيطات ثم تابوا من بعدهم وأمنوا إن ربك من بعدها لنغفور رحيم ولا سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي فسحتها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال تعالى (وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى قال فإنا قد فطنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يدرككم وعدنا حسناً أفضال عليكم المهد أم أردتم أن يمل عليكم غضب من ربكم خلفتم موعدى قالوا ما أخفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم قد فتنناها فكذلك ألقى السامري فأخرجهم من عجل جسداً له خوار قالوا هذا الحكم وإله موسى قسى أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا فناءً * وقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال يا هرون لمنملك إذ رأيتم ضلوا أن لا تتبعن أنصبت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى قال فأتخبطك يا سامري قال بصرت بما لم يصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي . قال فاذنب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن نخلفه واختر إلى الملك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقه ثم لنفشفه في اليم فسفنا إنما الحكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علماً) يذكر تعالى ما كان من أمر بنى إسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فكشك على الطور يتاجبه ربه ويأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة وهو تعالى يحميه عنها فسد رجل منهم يقال له هرون السامري فآخذ ما كان استعاره من الخلق فصاعاً منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه فلما ألقاها فيه خار كما

ينحدر السجل الحقيقي . ويقال إنه استحبال مجلا جسدا أى لما ودما حيا ينحدر . قاله قتادة وغيره
وقيل بل كانت الريح اذا دخلت من دبره خرجت من فيه فينحدر كما تنحدر البقرة فيرقصون حوله
ويعرجون (قالوا هذا الحكم وإله موسى قنسى) أى قنسى موسى ربه عندنا وذهب بطلبه وهو هنا
تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وتهدمت أسماؤه وصفاته وقضاغته آلاؤه وعداته . قال الله تعالى
مينا بطلان مذهبوا اليه وما عولوا عليه من الهية هذا القى قصاده أن يكون حيوانا بهيا وشيطانا
رجيا (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) وقال (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا
يديهم شيئا اتخذوه وكتابوا ظالمين) قد ذكر أن هذا الحيوان لا يتكلم ولا يرد جوابا ولا يملك ضرا
ولا نفعاً ولا يهدى الى رشد اتخذوه وهم ظالمون لأنفسهم عالمون فى أنفسهم بطلان مام عليه من الجهل
والضلال (ولما سقط فى أيديهم) أى ندعوا على ما صنعوا (ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجعنا ربنا
وضفر لنا لنكونن من الخاسرين) . ولما رجع موسى عليه السلام اليهم ورأى مام عليه من عبادة
السجل وممه الاطواح المتضمنة التوراة اتفاهها فيقال إنه كسرها . وهكذا هو عند أهل الكتاب وإن الله
أبدله غيرها وليس فى اللفظ القرآنى ما يدل على ذلك إلا أنه اتفاه حين عابن ما بين . وعند أهل الكتاب
أنهما كالاوحين وظاهر القرآن أنها الواح متعددة ولم يتأثر بمجرد الخبر من الله تعالى عن عبادة السجل
فأمره بمجانبة ذلك . ولهذا جاد فى الحديث القى رواه الامام أحمد وابن جبان عن ابن عباس قال قال
رسول الله ﷺ (ليس الخبر كالمائة) ثم أقبل عليهم فضمهم ووجههم وصحبهم فى صنيعهم هذا التبيح
فاعتدوا اليه بما ليس بصحيح (قالوا إنا حملنا أوزارا من زينة التوراة فتذفناها فكذلك أننى السامرى)
فخرجوا من تملك على آل فرعون وهم أهل حرب وقد أسرمهم الله بأخذه وأبأه لهم ولم يخرجوا إيجيهم
وقلة عليهم وعقلهم من عبادة السجل الجسد الذى له خوار مع الواحد الاحد الفرد الصمد القهار . ثم
أقبل على أخيه هرون عليها السلام قائلا (يلغرون مامتك اذ رأيتم ضلوا أن لاتعبدن) أى هلا لا
رأيت ما صنعوا ابتغى فاعلمتى بما ضلوا فقال (إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) أى
تركهم وجعيت وأنت قد استخلفت فىهم (قال رب اغفرلى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم
الراحمين) وقد كان هرون عليه السلام نهام عن هذا الصنيع الفظيع أشد النعي وزجرهم عنه أتم الزجر
قال الله تعالى (ولقد قل لم هرون من قبل يا قوم إنا قمم به) أى إنا قدر الله أمر هذا السجل وجعله
ينحدر خسة واختبارا لكم (وإن يدركم الرحمن) أى لا هذا (فاتبوني) أى فإنا أقول لكم (وأطيعوا
أمرى . قالوا ان نبرح عليه ما كفى حتى يرجع الينا موسى) يشهد الله هرون عليه السلام (وكفى بالله
شهيدا) أنه نهام وزجرهم عن ذلك فلم يعطوه ولم يتبعوه ثم أقبل موسى على السامرى (قال ما خطبك
إلى سامرى) أى ما حلك على ما صنعت (قال بصرت بما لم يصروا به) أى رأيت جبرائيل وهو راكب

فرساً (قبضت قبضة من أثر الرسول) أى من أثر فرس جبريل . وقد ذكر بعضهم أنه رآه وكلا وطئت
 بمخايفها على موضع اخضر وأعشب فأخذ من أثر حافرهما فلما التفتا في هذا العجل المصنوع من الذهب
 كان من أمره ما كان ولهذا قال (فبينتها وكفك سولت لى غنى. قال فذهب فانك في الحياة أن
 تقول لا مساس) وهذا دعاء عليه بأن لا يمس أحداً مماقية له على مسه مالم يكن له مسه . هذا مماقية له في
 الدنيا ثم توعده في الأخرى قال (وإن لك موعداً لن نخلفه) وقرئ لن نخلفه (واطلر الى إهلك الذى
 ظلت عليها كفاً لنحرقه ثم لنفسه في اليم فساً) قال فسلموسى عليه السلام الى هذا العجل فخره فأنار
 كما قاله قتادة وغيره . وقيل للبارد كما قاله على وابن عباس وغيرهما وهو نص أهل الكتاب ثم ذراه في
 البحر وأمر بنى اسرائيل فشرخوا فن كان من عابديه على شفاهم من ذلك الرماد منه ما يدل عليه
 وقيل بل اصرفت أولانهم ثم قال تعالى اخبراً عن موسى أنه قال لهم (إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا
 هو وسع كل شئ علماً) وقال تعالى (إن الذين آمنوا بالعجل سينالهم غضب من ربهم وخلة في الحياة الدنيا
 وكذلك نجزي المفسرين) وهكذا وقع وقد قال بعض السلف (وكذلك نجزي المفسرين) مسجلة لكل
 صاحب بدعة الى يوم القيمة . ثم أخبر تعالى عن حله ورحمته بخلقه وإحسانه على عبده في قبوله توبة
 من تلب اليه بتوبته عليه قال (والذين علوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور
 رحيم) لكن لم يقبل الله توبة عابدى العجل إلا بالقتل كما قال تعالى (وإذا قال موسى لقومه يا قوم إنكم
 ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقبلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فاب عليكم
 إنه هو التواب الرحيم) فيقال إنهم أصبحوا يوماً وقد أخذ من لم يبد العجل في أيديهم السيوف والى
 الله عليهم ضياعاً حتى لا يرفض القريب قريه ولا النسيب نسيه . ثم مالوا على عابديه قتلهم وحسودهم
 فيقال إنهم قتلوا في صيحة واحدة سبعين ألفاً . ثم قال تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح
 وفي نسختها هدى وبرحة للذين هم لربهم يرهبون) إستدل بعضهم بقوله وفي نسختها على أنها تكسرت
 وفي هذا الاستدلال نظر وليس في اللفظ ما يدل على أنها تكسرت والله أعلم . وقد ذكر ابن عباس
 في حديث الثورن كما سيأتى أن عبادتهم العجل كانت على أثر خروجهم من البحر وما هو بعيد لأنهم
 حين خرجوا (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) .

وهكذا عند أهل الكتاب فان عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس وذلك أنهم
 لما أسروا بقتل من عبد العجل قتلوا في أول يوم ثلاثة آلاف . ثم ذهب موسى يستغفرهم فغفر لهم بشرط
 أن يدخلوا الأرض المقدسة . (واختار موسى قوم ميسين رجلاً ليقائنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو
 شئت أهلكتهم من قبل وإلئى أهلكنا بما فضل السفاء متا إن هي إلا فتنتك ففضل بها من تشاء وتهدى
 من تشاء أنت ولينا فاعزر لنا وارحمنا وأنت خير التافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة

إنا هذا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتقون الرسول الذي يأتيهم بكلامه عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) ذكر السدي وابن عباس وغيرهما أن هؤلاء السبعين كانوا علماء بني إسرائيل ومهم موسى وهرون ووشع وداود وابيهو ذهبوا مع موسى عليه السلام ليبتدئوا عن بني إسرائيل في عبادة من عبد منهم المجل وكثروا قد أسروا أن يتطهروا ويصطوبوا فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل وعليه النعام وعوداتنور ساطع وصعد موسى الجبل فذكر بني إسرائيل أنهم سمعوا كلام الله وهذا قد واقهم عليه طائفة من المنسرين وحلوا عليه قوله تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما سمعوه وهم يعلمون) وليس هذا بلازم قوله تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) أي مبلتاً وهكذا هؤلاء سمعوه مبلتاً من موسى عليه السلام وزعموا أيضاً أن السبعين رأوا الله وهذا غلط منهم لأنهم لما سألو الرؤية أخذتهم الرجعة كما قال تعالى (واذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فلخذلكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بشناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) وقال ههنا (فلما أخذتهم الرجعة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإليّ الآءة) قال محمد بن اسحق اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً نظير فلنير . وقال انطلقوا إلى الله فقولوا إليه ما صنتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وطهروا وطيّبوا فخرج بهم إلى طور سيناء لملاقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا بأذن منه وعلم فطلب منه السبعون أن يسموا كلام الله فقال أفضل فلما دعا موسى من الجبل وقع عليه عود النعام حتى قنسى الجبل كله ودنا موسى فدخل في النعام وقال لقوم أدنوا وكان موسى إذا كمل الله وقع على جنبه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فغضب دونه بلجباب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في النعام وقوا سجوداً فسمعه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه أفضل ولا تغفل . فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى النعام أقبل إليهم فقالوا لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فلخذلكم الرجعة وهي الصاعقة فالتفت أرواحهم فأتوا جميعاً فقام موسى فيناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإليّ أهلكتنا بما فعل السفهاء منا) أي لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا السبل منا فابراء بما علوا . وقال ابن عباس وبجاهد وقادة وابن جريج إنما أخذتهم الرجعة لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة السبل وقوله (إن هي إلا فتنك) أي اخبارك وإبلاكك وامتنانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية والريّ بن أنس وغير واحد من علماء السلف واختلف . يعني أنت الذي قدرت هذا وخلقته ما كان من أمر السبل إختياراً تختبرهم

به (قال لهم هرون من قبل يقوم إنما ختمتم به) أى اختبرتم ولهذا قال (فضل بها من ثناءه وتهدي من ثناءه) أى من ثنيت أضفته باختبارك إليه ومن ثنيت هديته * لك الحكم والمشيئة ولا مانع ولاراد لما حكمت وقضيت (أنت ولينا غفر لنا وارحمنا وأنت خير التافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنما هذا إليك) أى قينا إليك ورجعنا وأتينا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو العالية وإبراهيم التيمي والضحاك والسدى وقادة وغير واحد وهو كذلك في الآية . (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء) أى أنا أعطي من ثنيت بما أشاء من الأمور التي أخلقها وأقدرها (ورحمتي وسعت كل شيء) كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال (ان الله لما فرغ من خلق السموات والأرض كتب كتابا فهو موضع عنده فوق العرش ان رحمتي قلوب غصبي) فساكتها للذين يثقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى فساوها حتى آمن بها تصف بهذه الصفات (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية) وهذا فيه تنويه بذكر محمد ﷺ وامته من الله موسى عليه السلام في جملة ما توجه به وأعلمه وأطلعه عليه * وقد تكلمنا على هذه الآية وما بعدها في التفسير بما فيه كفاية ومقتنع وفيه الحمد والمنة . وقال قادة قال موسى يا رب أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأسرون بالمروف ويهون عن المنكر رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب إلى أجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال رب إلى أجد في الألواح أمة أنجيلهم في صدورهم يقرأونها وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظراً حتى اذا رضوا لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه وان الله اعطاكم أيها الامة من الحفظ شيئا لم يصله أحداً عن الامم قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إلى أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاطون فصول الضلالة حتى يقاطروا الاعور الكذاب فاجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال رب إلى أجد في الألواح أمة صدقتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم اذا تصدق بصدقة قبلت منه بث الله عليها ثراً فاكلتها وان ردت عليه تركت خا كلها السباع والطيور وان الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب اجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال رب إلى أجد في الألواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يصلها كتبت له حسنة قلن عليها كتبت له عشر امثالها الى سبعة ضعف قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إلى أجد في الألواح أمة هم المشغون المشغوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال قادة قد كنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال اللهم اجعلني من أمة أحمد . وقد ذكر كثير من الناس ما كان من مناجاة موسى عليه السلام وأوردوا أشياء كثيرة لأصل لما ونحن نذكر ما يميز ذكره من الاحاديث والآثار بمون الله وتوفيقه وحسن هدايته وموسمه وتأويله .

قال الحافظ أبو حاتم محمد بن حاتم بن حبان في صحيحه ذكر سؤال كليم الله ربه عز وجل عن ادنى أهل الجنة وأرفعهم منزلة أخبرنا عمر بن سعيد الطائي يمتنع حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا سفیان حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن أبيير شيخنا صالحان سمعا الشامي يقول سمعت المنيرة بن شعبة يقول على المنبر عن النبي ﷺ إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أي أهل الجنة أدنى منزلة قال رجل يحيى بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال أدخل الجنة فيقول كيف أدخل الجنة وقد نزل الناس منازلهم واخذوا بإخاذتهم فيقال له ترضى أن يكون لك من الجنة مثل ما كان لك من ملوك الدنيا . فيقول نعم أي رب فيقال لك هذا ومثله فيقال أي رب رضيت فيقال له لك مع هذا ما اشتيت نفسك ولت عينك وسأل ربه أي أهل الجنة أرفع منزلة قال ساعدك عنهم غرست كرامتهم يدي وخمت عليها فلا عين رأيت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو مصداق ذلك في كتاب الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية) وهكذا رواه مسلم والترمذي كلاهما عن ابن أبي عمر عن سفیان وهو ابن عيينة به ونلفظ مسلم (فيقال له اترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله في الخامسة رضيت رب فيقال هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتيت نفسك ولت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلام منزلة قال أولئك الذين اودت غرس كرامتهم يدي وخمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصاداته من كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال الترمذي حسن صحيح . قال ودواه بعضهم عن الشامي عن المنيرة فلم يرضه والمرفوع أصح . وقال ابن حبان (ذكر سؤال الكليم ربه عن خصال سبع) حدثنا عبد الله بن محمد بن مسلم بيت المقدس حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا السرح حدثه عن ابن حنبل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال (سألت موسى ربه عز وجل عن ست خصال كلن يظن أنها له خالصة والسابعة لم يكن موسى بها . قال يلرب أي عبادك اتقي . قال الذي يذكر ولا ينسى قال فأى عبادك أهدى قال الذي يتبع الهدى قال فأى عبادك أحكم قال الذي يحكم الناس كما يحكم نفسه . قال فأى عبادك أعلم قال عالم لا يشيع من العلم يجمع علم الناس إلى علمه . قال فأى عبادك أعز . قال الذي اذا قدر غفر قال فأى عبادك أغنى قال الذي يرضى بما يؤتى قال فأى عبادك أقر قال صاحب مقوص . قال رسول الله ﷺ (ليس النقي عن ظهر إمام النقي غنى النفس) وإذا أراد الله بعبده خيرا أجل غناه في نفسه وقناه في قلبه . وإذا أراد بعبده شرا أجل قره بين عينيه . قال ابن حبان قوله صاحب مقوص يريد به مقوص حاله يستقل مأوى ويطلب الفضل . وقد رواه ابن جرير في تكميحه عن ابن حميد عن يعقوب التميمي عن هرون بن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه عز وجل قد كرّمه وفيه قال (أي رب فأى عبادك أعلم قال الذي يشي علم الناس

الى عليه عسى أن يجد كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى . قال أى رب فهل فى الارض أحد أعلم
منى قال نعم انظر فإل السبيل الى قية فكان ماسنذكره بعد إن شاء الله وبه الثقة

ذكر حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد
الخدري عن النبی ﷺ أنه قال إن موسى قال أى رب عبدك المؤمن مقتر عليه فى الدنيا . قال فتش له
يلب من الجنة فنظر اليها قال يلموسى هذا ما أعدت له . قال موسى يارب وعزتك وجلالك لو كان مقطع
البدن والرجلين يسحب على وجهه منذ يوم خلقته الى يوم القيامة وكان هذا مصيره لم ير يوماً قط قال
ثم قال أى رب عبدك الكافر موسع عليه فى الدنيا . قال فتش له يلب الى النار فيقول يلموسى هذا
ما أعدت له قال أى رب وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا منذ يوم خلقته الى يوم القيامة وكان هذا
مصيره لم ير خيراً قط . فخر به احد من هذا الوجه . وفى صحته نظر والله أعلم . وقال ابن حبان (ذكر
سؤال كليم الله به جل وعلا أن يملئه شيئاً يذكره به) حدثنا ابن سلمة حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن
وهب أخبرنى عمرو بن الحارث إن دراجاً حدث عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبی ﷺ أنه قال قال
موسى (يارب علنى شيئاً أذكرك به وأدعوك به) قال قل يلموسى (لا إله إلا الله) قال يارب كل
عبادك يقول هذا . قال قل لا إله إلا الله . قال إنما أريد شيئاً يخصنى به . قال يلموسى لو أن أهل السموات
السبع والأرضين السبع فى كلمة ولا إله إلا الله فى كلمة ملئت بهم لا إله إلا الله . ويشهد لهذا الحديث
حديث البطائفة . وأقرب شئ الى مناه الحديث المروى فى السنن عن النبی ﷺ أنه قال أفضل الدعاء
دعاء عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شئ قدير) وقال ابن أبى حاتم عند تفسير آية الكرسي حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية . حدثنا
أحمد بن عبد الرحمن الدسكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المغيرة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بنى إسرائيل قالوا لموسى هل ينال ربك قال أتخو الله فتاداه ربه
يلموسى سألوكم هل ينال ربك فخذ زجاجين فى يديك قم الليل فضل موسى فلما ذهب من الليل ثلث
فمس فوقه لركبته ثم ألتص فضبطهما حتى اذا كان آخر الليل فمس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا .
قال يلموسى لو كنت أعلم تسقط السموات والأرض فهلكن كما هلكت الزجاجتان فى يديك . قال
وأنزل الله على رسوله آية الكرسي . وقال ابن جرير حدثنا اسحق بن أبى إسرائيل حدثنا هشام بن
يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن إيل عن عكرمة عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ
يمسك عن موسى عليه السلام على المنبر قال وقع فى نفس موسى عليه السلام هل ينال الله عز وجل فمرسل

الله اليه ملكا غلته ثلاثا ثم أعطاه قارورتي في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجل يتام
وكانت يدها تلحقان فيستيقظ فيجس إحداها على الأخرى حتى قام نومة فاصطقت يدها فانكسرت
القارورتان قال ضرب الله له مثلا أن لو كان يتام لم يستسك السماء والأرض . وهذا حديث غريب
رفعه . والأشبه أن يكون موقوفا . وأن يكون أصله إسرائيليا . وقال الله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم
ورفضنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليتهم من بعد ذلك قولا
فضل الله عليكم ورحمته لكنكم من الخاسرين) وقال تعالى (واذ ثقتنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه
واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) قال ابن عباس وغير واحد من السلف
لما جاءهم موسى بالالواح فيها التوراة أمرهم بقبولها والاخذ بها بقوة وعزم فقالوا أنشرها علينا فإن كانت
أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها قال بل اقبلوها بما فيها فراجعوه مرارا فأمر الله الملائكة فرفضوا الجبل
على رؤسهم حتى صار كانه ظلة أي غمامة على رؤسهم وقيل لهم إن لم قبلوها بما فيها وإلا سقط هذا
الجبل عليكم فقبلوا ذلك وأمروا بالسجود فسجدوا فجلوا ينظرون الى الجبل بشق وجوههم فصارت
سنة لليهود الى اليوم يقولون لاسجدة أعظم من سجدة رفضت عنا العذاب . وقال سديد بن داود عن
حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال لما أنشرا لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر
إلا اهتز فليس على وجه الأرض يهودي صغير ولا كبير قرأ عليه التوراة إلا اهتز ورفض
لها رأسه . قال الله تعالى (ثم توليتهم من بعد ذلك) أي ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق
العظيم والامر الجسيم نكثتم عهودكم ومواثيقكم (قولا فضل الله عليكم ورحمته)
بن تدارككم بالارسال اليكم واتزال الكتب عليكم (لكنكم من الخاسرين)

قصة بقرة بني إسرائيل

قال الله تعالى (واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . قالوا اتخذنا هزا قال أموذ
بقله إن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا قرص ولا بكر
عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة صفراء
فاتع لونها تسمى النازن . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا لئن شاء الله لمهندون
قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تمسق الحرث مسلة لاشية فيها . قالوا الآن جئت بالحق
فدبحوها وما كلدوا يفعلون . واذ قلتم ضأ فادار أثم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . قلنا اضربوه
بعضها ككفك يحيى الله الموتى ويريك آياته لعلكم تتقون) قال ابن عباس وعبيدة السلماني وأبو العالية
وبعاهد والسدي وغير واحد من السلف كان رجل في بني إسرائيل كثير المال وكان شيخا كبيرا وله

بنوا أخ وكاثروا يمتنون موته ليرثوه فسد أحدهم قتله في الليل وطرحه في جمع الطرق ويقال على باب رجل منهم فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم فقالوا مالكم تختصمون ولا تأتون بني الله فجاء ابن أخيه فشكى أمره إلى رسول الله موسى عليه السلام فقال موسى عليه السلام أئتد الله رجلا عنده علم من أمر هذا القتل إلا أعلنابه فليكن عند أحد منهم علم منه وسأله أن يسأل في هذه القضية ربه عز وجل فسأل ربه عز وجل في ذلك فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة فقال (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أأخذنا لبراً) يمتنون نحن فسألك عن أمر هذا القتل وأنت تقول هذا (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أي أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلى. وهذا هو الذي أجابني حين سأله عما سألتموني عنه أن أسأله فيه. قال ابن عباس وعبيدة ومجاهد وعكرمة والسدي وأبو العالية وغير واحد فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها ولكمهم شددوا فتد عليهم وقد ورد فيه حديث مرفوع. وفي إسناده ضعف فآلوا عن صفاتها ثم من لونها ثم عن سننها فاجبوا بما عز وجوده عليهم وقد ذكرنا في تفسير ذلك كله في التفسير. والمقصود أنهم أسروا بذبح بقرة عوان وهي الوسط بين النصف الفارض وهي الكبيرة والبر وهي الصغيرة قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والحسن وقائدة وجماعة. ثم شددوا وضيقوا على أنفسهم فآلوا عن لونها فأمروا بصفراء فاتح لونها أي مشرب بمحرة قمر النازنين * وهذا اللون عزيز. ثم شددوا أيضا (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) ففي الحديث المرفوع الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه فوالا أن بقى إسرائيل إستسوا لما أصطوا وفي صحته نظر والله أعلم (قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلة لاشية فيها. قالوا ألا آن جئت بلحق فذبحوها وما كادوا يضلون) وهذه الصفات أضيق مما تقدم حيث أسروا بذبح بقرة ليست بالذلول وهي المنقطة بالحرارة وسقى الأرض بالسانية مسلة وهي الصحيحة التي لا يهيب فيها قاله أبو العالية وقائدة. وقوله (لاشية فيها) أي ليس فيها لون يخالف لونها بل هي مسلة من السيوب ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها فلما حدها بهذه الصفات وحصرها بهذه النصوص والأوصاف (قالوا الآن جئت بلحق) ويقال لهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجل منهم كان بلواً بأبيه فطلبوها منه فأبى عليهم فأرغوه في ثمنها حتى أعطوه فيها ذكره السدي بوزنها ذهباً فأبى عليهم حتى أعطوه بوزنها عشر مرات فباعها منهم فأمرهم بنى الله موسى بذبحها (فذبحوها وما كادوا يضلون) أي وهم يقردون في أسرها. ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القتل يضربها. قيل بلحم فخذها. وقيل بالنظم الذي على النضروف. وقيل بالفضة التي بين الكتفين فلما ضربوه يضربها أحياء الله تعالى تمام وهو يشخب أوداجه فسأله بنى الله من تلك قال قتلني ابن أخى. ثم عاد ميتاً كما كان قال الله تعالى

(كنك يحيى الله الموتى ويريمك آياته لستم تقولون) أى كما شاهدتم إحياء هذا
القتيل عن أمر الله له كنك أسره فى سائر الموتى اذا شاء إحياءهم أحيام فى
ساعة واحدة كما قال (ما خفكم ولا بشكم إلا كفص واحدة الآية)

قصة موسى والخضر عليهما السلام

قال الله تعالى (وإذ قال موسى لفته لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع
بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا . فلما جاوزا قال لفته آتنا غداءنا لقد قمينا من سفرنا هذا
نعبا . قال أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة فأنى نسيت الخوت وما أنصانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ
سبيله فى البحر عجبا . قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آكروهما قصصا . فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناه
رحمة من عندنا وعليناه من لدنا علما . قال له موسى هل اتيتك على أن تلقى بما علمت رشداً . قال إنك
لن تستطيع معى صبراً . وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً . قال استعجنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى
لك أمراً . قال فلان اتبعنى فلا تمأئق عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً . فاطلقتا حتى اذراكبا فى السفينة
خرقا . قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً . قال
لا تؤأخذننى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى امرا . فاطلقتا حتى إذا قيا غلاما قتله قال أقتلت نفسا
زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً قال إن سألتك
عن شئ بعد هذا فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عزا فاطلقتا حتى إذا أنيا أهل قرية استطاعا أهلها فأبوا
أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن يقضى فاقامه قال لو شئت لأقتلن عليه أجراً . قال هذا فراق
بينى وبينك سأبئك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة فكأنت لما كين يصلون فى البحر فأردت
أن أحياها وكان وراهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما
طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً . وأما الجدار فكان لفلانين يبيعان فى
المدينة وكان تحه كثرهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلتا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من
ربك وما قلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً)

قال بعض أهل الكتاب إن موسى هذا الذى رحل الى الخضر هو موسى بن ميثا بن يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل وتأبهم على ذلك بعض من يأخذمن مصنفهم ويقول عن كتبهم منهم
نوف بن فضالة الحيرى الشافى البكالى . ويقال إنه دمشق وكانت أمه زوجة كعب الأجاره والصحيح
الذى دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران
صاحب بنى إسرائيل . قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفیان حدثنا عمر بن دينار أخبرنى سعيد بن

جبر قال قلت لابن عباس إن نوحاً بالكلى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل . قال ابن عباس كذب عدو الله . حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إن موسى قام خطيباً في بنى إسرائيل فقلل إلى الناس أعلم قال أنا فكتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى يارب وكيف لي به . قال تأخذ منك حوتاً فخبله بمكمل فخبلاً قلدت الحوت فهو ثم . فأخذ حوتاً فخبله بمكمل ثم أطلق وأطلق معه فراه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضما رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر وأخذ سيده في البحر سراً . وامسك الله عن الحوت جرة الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بلحوت فاضلعا بقية يومها وليتهما حتى إذا كان من الندى (قال موسى لفتاه أتنا غداً فأتنا قد قتبنا من سفرنا هذ انصبا) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به (قال) له فراه (أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فاني نبيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سيده في البحر عجياً) قال فكان للحوت سراً وللموسى ولفتاه عجياً (قال ذلك ما كنا نبغ فلوئذا على آثارهما قصصا قال فرجبا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فلذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى قال الخضر واني بلوحك السلام قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمي مما علمت رشداً (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) يا موسى إني على علم من علم الله عليه الله لا تلهه أنت وأنت على علم من علم الله عليه الله لا أعلمه قال (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) قال له الخضر فان اتبعني فلا تأسئني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً فاضلعا) يمشان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلهم ان يحملهم فمروا بالخضر فخلعهم بنير نول . فلما ركبوا في السفينة لم يبق إلا والخضر قد قطع لوحاً من الواح السفينة بالقدم فقال له موسى قوم حملوا بنير نول عمدت إلى سفينهم فخرقها (لتترق أهلها قد جث شيكاً أسراً . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا . قال لا تأخذني بمانيت ولا ترفعني من أسرى صبرا قال وقال رسول الله ﷺ وكانت الأولى من موسى فنياً قال وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فترقى البحر فترق قال له الخضر ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما قص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة فينهاهما يمشان على الساحل إذ يمر الخضر غلاماً يلعب مع الثمان فأخذ الخضر رأسه بيده فقلعه بيده فقلعه قال له موسى (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جث شيكاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) قال وهذه أشد من الأولى (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عزراً فاضلعا حتى إذا أتيا أهل قرية استطاعوا أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض (قال مائل قال الخضر بيده (فأقامه) قال موسى قوم أنيتهم فلم يطمروا ولم يضيفوهما (لو شئت لأنقضت عليه أجراً . قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل

ما لم تستطع عليه صبرا) قال رسول الله ﷺ ودنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرها
 قال سعيد بن جبيرة فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما
 الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين . ثم رواه البخاري أيضا عن قتيبة عن سفيان بن عيينة بإسناده
 نحوه . وفيه فخرج موسى ومعه فناء يوشع بن نون ومعهما الموت حتى انتهيا إلى الصخرة فزالا عندها
 قال فوضع موسى رأسه فنام قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة
 لا يصيب من ملها شيء إلا حي فأصاب الموت من ماء تلك العين قال فحرك وانسل من المكمل ودخل
 البحر فلما استيقظ (قال موسى لفناء أتنا غدا نأخذ لقينا) وساق الحديث وقال وقع عصفور على حرف
 السفينة فنفس مقاره في البحر فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غس
 هذا العصفور مقاره وذكر تمام الحديث . وقال البخاري حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن
 يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يولي بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبيرة يزيد أحدهما
 على صاحبه . وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبيرة قال إن لعند ابن عباس في يده إذ قال سلوى
 قلت أي أبا عباس جلني الله فذلك بالكوفة رجل قاص قال له فوف زعم أنه ليس بموسى بنى
 إسرائيل فأمره فقال لي قال قد كذب عدو الله وأما يولي قال لي قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب
 قال قال رسول الله ﷺ موسى رسول الله قال ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون ودرت القلوب
 ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله أقبل في الأرض أحد أعلم منك قال لا فشب الله عليه إذ لم يرد العلم
 إلى الله * قيل لي قال أي رب فأين قال بمجمع البحر قال أي رب اجعل لي علما أعلم ذلك به قال لي
 عمرو قال حيث يقارئك الموت وقال لي يولي قال فخذ حوتا ميتا حيث يفتح فيه الروح فخذ حوتا فجعله في
 مكمل قال لفناء لا أكلفك إلا أن تضرني بمحيط يقارئك الموت قال ما كنت كبيراً فذلك قوله (وإذ قال
 موسى لفناء) يوشع بن نون . ليست عن سعيد بن جبيرة قال ففينا هو في غل صخرة في مكان ثريين إذ
 تضرب الموت وموسى ثم قال ففاه لأوقظه حتى إذا استيقظ فسي أن يخبره وتضرب الموت حتى
 دخل البحر فأسك الله عنه جرة البحر حتى كأن أثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان أثره في حجر
 وحلق بين إبهاميه والذين تليان (لقد بقيتا من سفر لعلنا نصيا) قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه
 عن سعيد أخبره فرجاء فوجد خضرا قال لي حيان بن أبي سليمان على طرفة خضراء على كبد البحر قال
 سعيد مسجى بثره قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فلم عليه موسى فكشف عن وجهه
 وقال هل يلزمن سلام من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال فاشأك قال جئت
 (لتلقى معاملة رشداً) قال أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك يا موسى إن لي علما لا ينبغي
 لك أن تعلمه وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه فلنخطأ بمقاره من البحر قال والله ما علمي وعلمك

في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا المأثر بمقارنه من البحر (حتى إذا ركبنا في السفينة) وجدا مبار صفاراً
 تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر عرفوه قالوا عبد الله الصالح. قال قلنا لسيد (خضر)
 قال نعم. لا نعلمه بأجر (غرقها) وودت فيها وندا (قال) موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إسرائاً)
 قال بجاهد منكراً (قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً) كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة
 عدماً (قال لا تؤاخذني بما فسيت ولا ترهق من آمري عسراً. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) قال يلى
 قال سيد وجد غلاماً يلعبون فآخذ غلاماً كافراً غرقاً فاضججه ثم ذبحه بالسكين (قال أقلت خساً زكية)
 لم فعل يخلبث * ابن عباس قرأها زكية زكية مسلمة كقولك غلاماً زكياً (فانطلقا فوجدا فيها جداراً
 يريد أن ينقض فأقامه) قال يده هكذا ورفع يده فاستقام قال يلى حسب أن سيداً قال فسه يده
 فاستقام (قال لو شئت لا تفخت عليه أجراً) قال سيد أجراً أنا كله (وكان وراءهم) وكان أمامهم قرأها ابن
 عباس أمامهم. ملك يزعمون عن غير سيد أنه هدد بن بدد والتمم المقتول يزعمون جيسور (ملك يأخذ
 كل سفينة غصباً) فإذا همى سرت به يدها بيها فإذا جاوزوا أصلحوها فافتقروا بها. منهم من يقول
 سدوها بثارورة ومنهم من يقول بالقتار (كلن أبواباً مؤمنين) وكان كافراً (فخشينا أن يرهقها طغياناً
 وكفراً) أى يخلصها حبه على أن يتابعه على دينه (فأردنا أن يدلها ربها خيراً منه زكاة) قوله أقلت
 خساً زكية (وأقرب رحماً) ما به أرحم منها بالأول التى قتل خضر * وزعم سيد بن جبير أنه ابن
 لا جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد أنها جارية * وقد رواه عبدالرزاق عن معمر عن أبي
 اسحق عن سيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى بنى اسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وأمره
 متى فأمر أن يلقى هذا الرجل. فذكر نحوه ما تقدم وهكذا رواه محمد بن اسحق عن الحسن بن عمار عن
 الحكم بن عيينة عن سيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ كنحو ما تقدم
 أيضاً ورواه السوفى عنه موقوفاً وقال الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه تبارى
 هو والحريين قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فربها أبي بن كعب
 فدعاه ابن عباس فقال إني تباريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذى سأل السليل إلى قبه فهل
 سمعت من رسول الله فيه شيئاً قال نعم وذكر الحديث وقد تضمننا طرق هذا الحديث والناظرة في تفسير
 سورة الكهف والله الحد. وقوله (وأما الجدار فكان لنملين يقيمين في المدينة) قال السهيلي وهما
 أسرم وصريم ابنا كاشح. (وكان تحته كنز لها) قيل كان ذهباً قاله عكرمة وقيل علماً قاله ابن عباس
 والاشبه أنه كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه علم قال البزار حدثنا ابراهيم بن سيد الجوهري حدثنا بشر
 ابن المنذر حدثنا الحرث بن عبد الله اليمصى عن عياش بن عباس الساسى عن بن حجرية عن أبي ذر ربه
 قال إن الكنز الذى ذكر الله في كتابه لوح من الذهب مصبت. عجت لمن أيقن بالقدرة كيف نصب وعجبت

لمن ذكر النار لم تحك وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل لإله إلا الله . وهكذا روى عن الحسن البصري
وعمر مولى عفرة وجعفر الصادق نحو هذا وقوله (وكان أبوها صالحا) وقد قيل إنه كان الأب السابع
وقيل العاشر . وعلى كل تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته قلته المستان . وقوله (رحمة
من ربك) دليل على أنه كان نبيا وأنه ما فعل شيئا من تقواه نفسه بل بأمر ربه فهو نبى وقيل رسول
وقيل ولي واغرب من هذا من قال كان ملكا قلت وقد أغرب جدا من قال هو ابن فرعون وقيل
إنه ابن عمك الذى ملك الدنيا ألف سنة . قال ابن جرير والذى عليه جمهور أهل الكتاب أنه كان فى
زمن أفريديون ويقال إنه كان على مقدمة ذى القرنين الذى قيل إنه كان أفريديون وذو الفرس هو الذى
كان فى زمن الخليل . وزعموا أنه شرب من ماء الحياة فخلد وهو يلق إلى الآن . وقيل إنه من ولد
بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه من أرض بابل وقيل اسمه ملكان وقيل أرميا بن حقيا وقيل كان
نبيا فى زمن سباسب بن طراسب قال ابن جرير وقد كان بين أفريديون وبين سباسب دهور طويلة لا يجتمعها
أحد من أهل العلم إلا أنساب قال ابن جرير والصحيح أنه كان فى زمن أفريديون واستمر حيا إلى أن أدركه
موسى عليه السلام وكانت نبوة موسى فى زمن منوشهر الذى هو من ولد ابرج بن أفريديون أحد ملوك
الفرس وكان اليه الملك مدجده أفريديون لهده وكان عادلا وهو أول من خلق الخنادق وأول من جبل
فى كل قرية دحقاتا وكانت مدة ملكه قريبا من مائة وخمسين سنة ويقال أنه كان من سلالة اسحاق بن إبراهيم
وقد ذكر عنه من الخطب الحسان والكليم البليغ للتأفيع الفصيح ما يهر العقل ويحير السامع وهذا يدل
على أنه من سلالة الخليل . والله أعلم . وقد قال الله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقرؤم الآية)

فأخذ الله ميثاق كل نبى على أن يؤمن بمن يبعث بعده من الانبياء وينصره فلو كان الخضر حيا فى
زمانه لما وسعه إلا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره ولكن من جملة من تمت لولاه يوم بدر كما كان
نصها جبريل وسادات من الملائكة وقصارى الخضر عليه السلام أن يكون نبيا وهو الحق
أورسولا كإيل أولمكافيا ذكر وأيلما كان غيبريل رئيس الملائكة وموسى أشرف
من الخضر ولو كان حيا لوجب عليه الايمان بمحمد ونصرة فكيف ان كان
الخضر وليا كما يقوله طوائف كثيرون فأولى أن يدخل فى عموم البعثة وأخرى
ولم يتقل فى حديث حسن بل ولا ضيف يمتد أنه جاء يوما واحدا
الى رسول الله ﷺ ولا اجتمع به وما ذكر من حديث التعزية
فيه وان كان لما قد رواه قاسم بن سليمان ضعيف والله أعلم
وسفرد الخضر ترجمة على حدة بد هذا

ذكر الحديث الملقب بحديث الفتون المتضمن قصة موسى مبسوطة من اولها الى آخرها

قال الامام ابو عبد الرحمن النسائي في كتاب التفسير من سننه عند قوله تعالى في سورة طه (وقلت
فسا فتجيبك من النعم وقتاك فتونا) (حديث الفتون) حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون
أبنا اصبح بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب اخبرني سعيد بن جبيرة قال سألت عبد الله بن عباس
عن قول الله تعالى (وقتاك فتونا) فسأله عن الفتون ما هو قال استأف النهار يا ابن جبيرة فان
لها حديثا طويلا فلما أصبحت غدوت الى ابن عباس لا تتجر منه ما وعدني من حديث الفتون
فقال تذكر فرعون وجساؤه ما كان الله وعد ابراهيم عليه السلام أن يبطل في ذريته أنبياء وملوكا
فقال بعضهم إن بني اسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه وكافوا يظنون انه يوسف بن يعقوب
فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون فأتهموا وأجمعوا أمرهم على
أن يمت رجلا معهم الشغار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه فقتلوا ذلك
فلما رأوا أن الكبار من بني اسرائيل يموتون بأجلهم والصغار يذبحون قالوا توشكون أن تقتلوا بني
اسرائيل فتصيروا الى أن تباشروا من الاعمال والنسب التي كانوا يكتونكم فاقبلوا عاملا كل مولود
ذكر قتل بناتهم ودعوا عاملا فلا تهلوا منهم أحدا فشب الصغار مكان من يموت من الكبار فاتهم
لن يكتروا بمن تستحيون منهم فخافوا مكائرتهم اياكم ولن تقتلوا بمن تهلون وتحتجون اليهم
فاجمروا أمرهم على ذلك فحلت أم موسى بهارون في المم التي لا تهل فيه النملان فولته حلانية
آمنة . فلما كان من قابل حلت بموسى عليه السلام فوق في قلبها المم والحزن وذلك من الفتون
يا ابن جبيرة ما دخل عليه في بطن أمه مما يراد فلوحي الله اليها أن لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك
وجاءوه من المرسلين فلما راها اذا ولدت أن تجلسه في تابوت وتلقيه في اليم فلما ولدت فملت ذلك
فلما توارى عنها ابنا ألقا الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت يا بني لو ذبح عندى فواريته وكفته كان
أحب الى من أن ألقيه الى دواب البحر وحياته فأنهى الماء به حتى أوفى عند فرصة تستقي منها
جوارى امرأة فرعون فلما رأيته أخذه فهمس أن يتحن التابوت فقال بعضهم ان في هذا مالا وإنا
إن ضحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحمله كهيئة لم يخرج منه شيئا حتى دفنه اليها فلما
ضجته رأت فيه غلاما فلقى عليه منها محبة لم تلق منها على أحد قط وأصبح فواد أم موسى قرضا من
ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى . فلما سمع القبلحون بأمره أقبلوا يشغارم الى امرأة فرعون ليذبحوه
وذلك من الفتون يا ابن جبيرة فقالت لهم أقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بني اسرائيل حتى آتى فرعون

فاستوبه منه فان وهبه منى كنتم قد أحسنت وأجلم وإن أمر بذيجه لم ألكم فأتت فرعون فقالت (قرة عين لي ولك) قال فرعون يكون لك فأما لي فلاحاجة لي فيه قال رسول الله ﷺ (والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأة لهدها الله كما هدها ولكن حرمه ذلك) فأرسلت الى من حولها الى كل امرأة لها لأن تختار غلثا فجعل كلأخذته امرأة منهن لترضه لم يقبل على ثديها حتى أشقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيبوت فأخزنها ذلك فامسرت به فأخرج الى السوق وجمع الناس ترجو أن نجد له ضئاً يأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والمها فقالت لاخته قصى أثره وأطليه هل تسمين له ذكراً أم أنثى أم قد أكلته القواب وقبئت ما كان الله وعدها فيه فبصرت به أخته عن جنب وم لايشرون والجنب أن يسو بصر الانسان الى شئ بيد وهو الى جنبه لايشرب به فقالت من الفرح حين أعيام الفلوات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصرون قالوا مايدريك ما فصحهم هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك . وذلك من الثنن يا ابن جبير فقالت فصحبهم له وشققهم عليه ورغبهم في صهر الملك ورجاء منعة الملك فأرسلوها فاضلقت الى أمها فأخبرتها انظير فجاءت أمها فلما وضعت في حجرها نزا الى ثديها فصه حتى امتلأ جنباه ديا واطلق البشير الى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابلثك غلثا فأرسلت اليها فأتت بها وبه . فلما رأت ما يصنع بها قالت أ منكئى مرضى ابني هذا فاقى لم أحب شيئاً به قط قالت أم موسى لاستطيع أن أترك يتي وولدى فيضيع فان طابت نفسك أن تطيئيه فأذهب به الى يتي فيكون منى لا آؤه خيراً قلت فاقى غير تركة يتي وولدى وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فصامرت على امرأة فرعون وايقنت أن الله منجز مووعده فرجت الى بيتها من يومها وأبنته الله نأنا حسنا وحفظنا ما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وم في ناحية القرية ممتنين من السخرة والعظم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لام موسى أرى ابني فوعدها بما تربها اياهيه وقالت امرأة فرعون غلثانها وثقلورها وقهارمتها لا يقيين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لاارى ذلك فيه وأنا باهضة أميتا يمحى كل ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والتحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون . فلما دخل عليها نخلته وأكرمته فرحت به ونخلت أمه بحسن أثرها عليه . ثم قالت لاثنين به فرعون فليخلطه وليكرمه فلما دخلت به وعليه جله في حجره فتناول موسى لمية فرعون فدها الى الارض فقال الفتوة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ماوعده الله ابراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويملك ويصورك فأرسل الى التلمحين ليذبحوه . وذلك من الثنن يا ابن جبير بمد كل بلاد ايتلى به وأريد به فجاءت امرأة فرعون تسى الى فرعون فقالت ما بذاك في هذا الغلام الذى وهبته لي فقال ألا ترى به زعم أنه يصرعنى ويملونى فقالت اجعل يتي وبنك أمرا تعرف فيه الحق أثمت بجبرتين ولؤلؤتين قهرين اليه قلن بلى بالؤلؤتين

واجنب الجريتين عرفت أنه يقتل وإن تناول الجريتين ولم يرد القولتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجريتين على القولتين وهو يقتل قرب إليه فتناول الجريتين فأنزعهما منه مخافة أن يحرقا يده قالت المرأة ألا ترى فصره الله عنه بعد ما كان مبهوكا وكان الله بقلابه أمره . فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع . فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يتتلمان أحدهما فرعونى والأخر إسرائيلى فاستقاهما الاسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزله من بني إسرائيل وحفظه لهم ما لم يطلع عليه غيره فوكر موسى الفرعونى قتلته وليس يراها أحد إلا الله عز وجل والاسرائيلى قال موسى حين قتل الرجل (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) ثم قال (رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أقصت على قلبي أكون ظهيرا للساجدين فاصبح في المدينة خائفا يترقب) الأخبار تأتي فرعون قتيلا إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بمقتنا ولا ترخص لهم قال ابنتي قاتله من يشهد عليه فإن الملك وإن كان صفوه مع قومه لا يدينني له أن يقتل بشير بيته ولا يثبت فاطلبوا لي علم ذلك أخذ لكم بمحكم فينا هم يطوفون بيته إذا موسى من القندق رأى ذلك الاسرائيلى يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستقاه الاسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذى رأى فغضب الاسرائيلى وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما ضل بالأمس واليوم (إنك لتؤذى مبين) فنظر الاسرائيلى إلى موسى بعد ما قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له إنك لتؤذى مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أراداه إنما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيلى * وقال موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت غسا بالأمس وإنما قال له مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليعتله خناركا وانطلق الفرعونى فأنذره بما سمع من الاسرائيلى من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلنى كما قتلت غسا بالأمس فمرسل فرعون التابعين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون الطريق الاظم يمشون على هيتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفتوهم فجاء رجل من شعبة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا حتى سبقهم إلى موسى فأنذره . وذلك من الفتون بالبن جبر فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فاته قال (عسى ربى أن يهيننى سواء السبيل . ولما ورد مائة مدين وجد عليه أمة من الناس يقولون ووجد من دونهم إسرائيل بنودان) يعنى بذلك حابستين عنهما فقال لهما (ما خطبكما) متزئتين لامتقيان مع الناس قائما ليس لنا قوة تراحم القوم وإنما تنظر فضول حياضهم فسقى لهما فجعل ينفرد من اللوماء كثيرا حتى كان أول الرماد وانصرفا فجنهما إلى أبيهما وانصرف موسى فاستظل بشجرة (وقال ربى إني لما أنزلت إلى من خير فقير) واستنكر أبوها سرعة صدورهما جنهما فجلا بطلا قال إن لكما اليوم لشأنا فأنذره بما

صنع موسى فلما احدهما أن تدعوه قامت موسى فدعته فلما كلفه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس
 لفرعون ولا قومه علينا من سلطان ولست في ملكك (هاتك احدهما يابأت استأجره إن خير من استأجرت
 القوي الأمين) فاحتله النيرة على أن قال لما ما يدريك ما قوته وما أماته قالت أما قوته فما رأيت منه
 في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه . وأما الامانة فانه نظر الى حين أقبلت اليه
 وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلته رسالتك . ثم قال لي امشي خلفي وانصت لي
 الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وغلن به التي قالت فقال له هل لك (ان
 أنكحك احدي ابنتي هاتين على أن تأجرتي ثمانى حجج فان اتهمت عشرا فن غنيتك وما أريد ان اشق
 عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين) فضل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت
 الستان حدة منه قضى الله عنه عديماتها عشرا . قال سعيد هو ابن جبير فقتني رجل من أهل النصرانية
 من علمائهم قال هل تدري أى الأجلين قضى موسى قلت لا وأنا يومئذ لا أدري فقتيت ابن عباس فذكرت
 ذلك له فقال أما علمت أن ثمانية كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله يقتص منها شيئا وقلم أن الله
 كان قاضيا عن موسى عنه التي وعده فانه قضى عشر سنين فقتيت النصراني فخيرته ذلك فقال الذي
 سأته فخيرك أعلم منك بذلك قلت أجل وأول فلما سار موسى بأهله كان من أسر النار والصهي ويده
 ما قص الله عليك في القرآن فشكا الى الله تعالى ما يخوف من آل فرعون في القتل وعقده لسانه فانه
 كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يسهل بليته هرون يكون له رداً ويتكلم عنه
 بكثير بما لا يفسح به لسانه فانه عز وجل وحل عقدة من لسانه وأوحى الله الى هرون فانه أن يقامه
 فاندفع موسى بصاحه حتى لقي هرون فاضلعا جيا الى فرعون فاقاما على باب حينا لا يؤذن لهما . ثم أذن
 لهما بعد حجاب شديد فقالا إنا رسولك قال فن ركبما فاحسبه بلتي قص الله عليك في القرآن قال
 فاتريدان وذكره القتل فاعتذر بما قد سمعت قال أريدان تؤمن بالله وترسل معي بنى إسرائيل فاني
 عليه وقال أنت بآية إن كنت من الصادقين فائق عصاه فاذا هي ثمان عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى
 فرعون فلما رأى فرعون قاصدة اليه خافها وأقتحم عن سريره وأستاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم
 أخرج يده من جيبه فأراها يضاء من غير سوء يعنى من غير برص . ثم ردعا فاضدت الى لونها الأول
 فاستشار الملا حوله فيا رأى فقالوا له (هذان ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضكم بسحرهما وينبها
 بطريقتكم المثلى) يعنى ملكهم القى ثم فيه واليش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له اجمع
 السحرة فانهم يلونك كثير حتى قلب بسحرهما فادرس الى المذات فغش له كل ساحر متعالم فلما
 أتوا فرعون قالوا اجمع السحرة قالوا يمل بالحيات قالوا فلا والله ما احد من الارض يمل السحر
 بالحيات والجبال والصهي القى فمل وما أجرانا إن نحن غلبنا قال لهم أنتم أقاربى وخاضتى وأنا صانع

اليكم كل شيء أحببتهم فراعدهوا يوم الزينة وأن يحضر الناس ضحى) قال سعيد الخدثي ابن عباس أن
 يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد
 قال الناس بعضهم لبعض اطلقوا فلنحضر هذا الامر لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم التاليين يمتنون
 موسى وهرون استهزاء بها قالوا يا موسى بد ترثيمهم بسحرم (إنا أن تلقى ولما أن ننكون نحن
 الملقين . قال بل أقروا قواحيالهم وعصمهم وقالوا بركة فرعون إنا لنحن التاليون فرأى موسى من سحرم
 ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن تلق عصاك فلما القاه صارت ثعبانا عظيمة فافرة فاها فجعلت
 المعى تلتبس بالجلال حتى صارت جرزاً على الثبان أن تدخل فيه حتى ما أقمت عصا ولا جلا إلا
 ابتلته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحرا لم تبلع من سحرنا كل هذا ولكنه أمر من الله
 تعالى آمنا بالله وبما جاء به موسى وتوب الى الله مما كنا عليه ففكر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن
 وأشياعه وظهر الحق وطل ما كانوا يسلون فتلوا هناك واقلبوا صاغرين واسرأة فرعون بركة
 مبتلة تدعوا له بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتلت
 للشقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهما لموسى فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة
 كما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بنى إسرائيل فلما مضت أخلف من غده وقال هل يستطيع ربك
 أن يصنع غير هذا فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والهم أبت منصات كل ذلك
 يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه وبواقة على أن يرسل معه بنى إسرائيل فإذا كف ذلك عنه
 أخلف بوعده ونسك عهده حتى أمر موسى بالخروج بقومه ليلا فلما أصبح فرعون ورأى
 أنهم قد مضوا أرسل في المداين حاشرين قبضه بمجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك
 موسى عبيد بمصاه فاخلق اثنتي عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه همم التقي على من بقى بد من
 فرعون وأشياعه فقتل موسى أن يضرب البحر بالمصى واتمى إلى البحر وله قصيف عفاة أن يضربه
 موسى بمصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله عز وجل فلما ترائى الجمعان وتمازى قال أصحاب موسى إنا
 لندركون إضل ما أمرك به ربك فانه لم يكن ولم تكن قال وعدى ربى إذا أتيت البحر افترق اثنتي
 عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك المصى فضرب البحر بمصاه حين ذأ أوائل جند فرعون
 من أواخر جند موسى فافترق البحر كما أمره به وكما وعد موسى فلما جاوز موسى وأصحابه كلمهم البحر
 ودخل فرعون وأصحابه التقي عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون
 فرعون غرق ولا توتمن بهلاكه فدعا به فأخرجه له يده حتى استقيقوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على
 قوم يمشكون على أصنام لهم (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء
 متبر ما هم فيه ولطل ما كانوا يسلون قد رأيتم من العير وسمتم ما يكفيكم ومضى فارتطم موسى منزلا

وقال أطيعوا هارون فان الله قد استخلفه عليكم فأتى هارون اليه ورجع اليهم فيها فلما أتى بهمز وجل وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوما وقد صامهن الليل ونهارهن وكره أن يكلم به ورجع فيه رجع فم الصائم فتناول موسى شيئا من نبات الارض ففضضه فقال له ربه حين أتاه لم أنزلت وهو أعلم بقلتي كان قال يلوب إلى كرهت أن أكلمك الا وفي طيب الرج. قال او ما علمت يا موسى ان رجع فم الصائم أطيب من رجع المسك لإرج فصم عشرين اثم ائتني فصل موسى ما أمره به ربه فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع اليهم في الاجل ساءم ذلك وكان هارون قد خطبهم فقال إنكم خرجتم من مصر وقيم فرعون عندكم عواري وودائع ولكم فيها مثل ذلك وانا أرى ان تعصبوا ملككم عندهم ولا أهل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين اليهم شيئا من ذلك ولا مسكية لا غنا فخر خيرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك متاع أولحيه أن يغنفوه في ذلك الحفير. ثم أوقد عليه النار فحرقه فقال لا يكون لنا ولا لهم • وكان السامري من قوم يبدون البقرجيران لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتدل مع موسى وبني اسرائيل حين احتلوا قضي له أن رأى اثرا قبض منه قبضة فر بهارون فقال له هارون يا سامري الا تلقى ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول التي جاوز بك البحر ولا اتبها لشي إلا أن تدعو الله اذا أقيمتها أن يكون ما أريد فالتفتا ودعا هارون فقال أريد أن تكون مجلا فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أولحيه أو نحاس أو حديد فصار عجلا أجوف ليس فيه روح له خوار قال ابن عباس لا والله ما كان فيه صوت قط إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك فخرق بنو اسرائيل فرقا قالت فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم به قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق وقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع البنا موسى فان كان ربنا لم نكن ضيما وعجزنا فيه حتى رأينا وان لم يكن ربنا فانا تتبع قول موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس ربنا ولا تؤمن به ولا تصدق واشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في السبل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هارون عليه السلام يا قوم انما خدعتم به وان ربكم الرحمن ليس هذا قالوا فابا بل موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم اخفنا. هذه أربون يوما قد مضت قال سفهاؤم اخطأ ربه فهو يطلبه ويختبه فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقي قومه من بعده فرجع الي قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم ما في القرآن (وأخذ برأس أخيه يجره) اليه وألقى الاوتار من الغضب ثم إنه عذر أخاه بنذره واستغفر له فانصرف الى السامري فقال له ما علمت على ما صنعت (قال قبضت قبضة من أثر الرسول) وفطنت لها وعيت عليكم فتعقها (وكذلك سولت لي نفسي قال فذهب فان لك في الحياة أن تقول لا ماس وإن لك موعدا لن يخلفه الله) وانظر الى الملك الذي ظلت عليه ما كنا لنحرقه ثم لنفسه في اليوم فسقا) ولو كان إلها لم يخلص الى ذلك منه فليست بنو اسرائيل بالفتنة واعتبط

الذين كان رأيهم فيه مثل رأى هرون قالوا لجامعهم يلموسى سل لنا أن يتخ لنا باب توبة فصنعها فحفر
عنا ما علمنا فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألوا الخير خيار بنى إسرائيل ومن لم يشرك في الحق
فاضلق بهم يأساً لهم التوبة فرجت بهم الأرض فاستجبا نبي الله عليه السلام من قومه ومن وفده حين
فعل بهم ما فعل قال لوشئت لاهلككم من قبل وإلحى أهلكتنا بما فعل السفهاء منا وفيهم من كان الله
أطلعته على ما أشرب قلبه من حب السبل ولما كان به فقلت رجفت بهم الأرض قال (وحق وسعت كل
شئ فساكتها الذين يفتون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
الذي يجيئونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) قال يارب سألتك التوبة تقوى قلت إن رحتي كتبها
لقوم غير قومي فليتك أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحوم قال له إن توبتهم أن يقتل كل
رجل من لقي من والده وولد فيقتله بالسيف لا يبالى من قتل في ذلك الوطن . وقل أولئك الذين كان
خفي على موسى وهرون وأطلع الله من ذنوبهم فاعتقروا بها وضلوا ما أمروا وغر الله للقاتل والمقتول
ثم غار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بسد ماسكت عنه الغضب
فصرهم بالتي أسره من الوثائق قتل ذلك عليهم وأبوا أن يقرروا بها ومتى الله عليهم الجبل كانه غللة
ودعا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم وأخذوا الكتاب بأيامهم وهم مصفون ينظرون الى الجبل والكتاب
بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها
قوم يجادون خقيم خلق منكر وذكر من ثمارهم أمراً عجيباً من عظمها قالوا يلموسى إن فيها قوماً يجادون
لا طاعة لنا بهم ولا تدخلها مداموا فيها فان يخرجوا منها قاتلوا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون
قيل ليزيد هكذا قراء قال نعم من الجبارين آمننا بموسى وخرجنا اليه قالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما
تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم قاتم لا قلوب لهم ولا منة عندهم فدخلوا عليهم الباب فإذا
دخلوه فأنكم غاليون ويقول أهل إهم من قوم موسى قال الذين يخافون من بنى إسرائيل (قالوا
يلموسى إننا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فذهب أنت وريك قاتلا إنا ههنا قاعدون) فاضفروا موسى فدعا
عليهم وسام فستين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المصيبة وإسائتهم حتى كان يوم غد فاستجاب
الله لهم وسامهم كاسام فستين غرما عليهم أربعين سنة يقيمون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس
لهم قرار ثم ظل عليهم الغمام في الليله وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ
وجعل بين ظهرانيهم حجراً عربياً وأمر موسى فضربه بمصاه فاضفرت منه اثنتا عشرة عينا في كل
نحية ثلاثة أميين وأعلم كل سبط عنهم التي يشربون منها فلا يرثعون من عطش إلا وجدوا ذلك الحبر
بالمكان الذي كان فيه بالاسم . رضى ابن عباس هذا الحديث الى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي أن
معاوية سمع ابن عباس هذا الحديث فأنكر عليه أن يكون القرع في القى أمشى على موسى أمر القتل الذي

قل قال كيف ينشئ عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الاسرائيلي الذي حضر ذلك غضب ابن عباس فاخذ يد معاوية فاطلق به الى سعد بن مالك الزهري قال له يا أبا إسحق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون. الاسرائيلي الذي أفنى عليه ام الفرعوني قال إنما أفنى عليه الفرعوني بما سمع الاسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره هكذا ساق هذا الحديث الامام النسائي وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تخييرهما من حديث يزيد بن هرون والاشبه والله أعلم أنه موقوف وكونه مرفوعا فيه نظر وغالبه متلق من الاسرائيليات وفيه شيء يسير مصرح برفعه في أثناء الكلام وفي بعض ما فيه نظر ونسكارة والأغلب أنه كلام كعب الاحبار وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك والله أعلم

ذكر بناء قبة الزمان

قال أهل الكتاب وقد أمر الله موسى عليه السلام بصل قبة من خشب الششار وجلود الانعام وشعر الاغنام وأمر بزيتها بالحرير المصبغ والذهب والنفضة على كيفيات مفصلة عند أهل الكتاب ولما عشر سادات طول كل واحد ثمانية وعشرون ذراعا وعرضه أربعة أذرع ولما أربعة أبواب وأطراب من حرير ودمقس مصبغ وفيها ردوف وصفائح من ذهب وفضة ولكل زاوية بيلن وأبواب أخرى كبيرة وستور من حرير مصبغ وغير ذلك مما يطول ذكره وبصل تابوت من خشب الششار يكون طوله ذراعين ونصفا وعرضه ذراعين وأرقاته ذواعا ونصفا ويكون مضيقا بذهب خالص من داخله وخارجه وله أربع حلق في أربع زواياه ويكون على حافته كرويان من ذهب يمتون صفة ملكين باجنحة وهما متقابلان صفة رجل اسمه بصليال وأمره أن يصل مائة من خشب الششار طولها ذراعا وعرضها ذراع ونصف لها ضباب ذهب واكيل ذهب بثقة مربعة باكيل من ذهب وأربع حلق من نواحيها من ذهب مزودة في مثل الزمان من خشب ملبس ذهبيا واعل صحاقا ومصاقي وقصاعا على المائة واصنع منارة من الذهب دلى فيها ست قصبات من ذهب من كل جانب ثلاثة على كل قصبة ثلاث سرج وليكن في المنارة أربع فتاديل ولتكن هي وجميع هذه الآيات من قطار من ذهب صنع ذلك بصليال أيضا وهو النبي عمل المذبح أيضا ونصب هذه القبة أول يوم من ستم وهو أول يوم من الربيع ونصب تابوت الشهادة وهو والله أعلم المذكور في قوله تعالى (ان آية ملكه أن ياتيكم التابوت فيه سكونة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) وقد بسط هذا الفصل في كتابهم مطولا جلا وفيه شرائع لهم وأحكام وصفة قريتهم وكيفيته وفيه ان قبة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم الجبل الذي هو متقدم على مجيئ القدس وانها كانت لهم كالكعبة

يصلون فيها واليهما يقتربون عندها وأن موسى عليه السلام كان إذا دخلها يقفون عندها وينزل
 عود النعام على بابها فيخرون عند ذلك سجدا لله عز وجل ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العود
 النعام التي هو نور ويخاطبه ويناجيه ويأسره وينهاه وهو واقف عند الثابت صامدا إلى ما بين الكرويين
 فإذا فصل الخطاب يخبر بني إسرائيل بما أوحاه الله عز وجل إليه من الأوامر والنواهي وإذا نحا كوا إليه
 في شيء ليس عند من الله فيه شيء يبيى إلى قبة الزمان ويقف عند الثابت ويصعد لما بين ذينك الكرويين
 فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة وقد كان هذا مشروعا لهم في زمانهم أعني استعمال الذهب
 والحرير المصنوع والآتي في مصدوم وعند مصلام فلما في شريقتنا فلا بل قد نهينا عن زخرفة المساجد وترتيبها
 لئلا تشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسع في مسجد رسول الله ﷺ للذي وكاه
 على عمارته ابن لناس ما يكتمهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتصق الناس وقال ابن عباس لتزخرقها كما
 زخرقت اليهود والنصارى كئناسهم وهذا من باب التشريف والتكريم والتزينة فهذه الأمانة غير مشابهة
 من كان قبلهم من الأمم إذ جمع الله همهم في صلاحهم على التوجه إليه والاقبال عليه وصان إصبارهم
 وخوارطهم عن الاشتغال والتفكر في غير مأم يصدده من العبادة العظيمة لله الحمد والمنة وقد كانت قبة
 الزمان هذه مع بني إسرائيل في التي يصلون إليها وهي قبلتهم وكتبهم وإمامهم كليم الله موسى عليه
 السلام ومقدم القربان أخوه هارون عليه السلام فلما مات هارون ثم موسى عليهما السلام استمرت بنو
 هارون في التي كان يليه أبومهم من أمر القربان وهو فيهم إلى الآن وقام بأعباء النبوة بعد موسى وتدير
 الأمر بعده فاه يوشع بن نون عليه السلام وهو الذي دخل بهم بيت المقدس كما سيأتي بيانه والمقصود هنا
 أنه لما استقرت يده على البيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون إليها فلما باتت
 صلوا إلى محلها وهي الصخرة فلذلك كانت قبة الأينياء بعده إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
 صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة وكان يجمل الكعبة بين يديه فلما هاجر أمر
 بالعبادة إلى بيت المقدس فعلى إليها ستة عشر وقيل سبعة عشر شهرا ثم تحولت
 القبة إلى الكعبة وهي قبة إبراهيم في شبان ستة فتمتين في وقت صلاة الصبح
 وقيل الظهر كما بطننا ذلك في التفسير عند قوله تعالى سيقول السفهاء
 من الناس ما ولاءهم عن قبلتهم التي كانوا عليها إلى قوله قد نرى
 قلب وجهك في السماء قلنوليتك قبة ترضاها فول
 وجهك شطر المسجد الحرام . الآيات

قصة قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وإيج فيما آتاك الله الثمار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما لوى قارون إنه قد عظم غنمنا وقال الذين أتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا المصابرون . فحسنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يسقط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يخلص الكافرون تلك الثمار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) قال الاعشى عن المهال بن عمرو ابن سويد بن جبير عن ابن عباس قال كان قارون بن عم موسى وكذا قال إبراهيم التيمي وعبد الله ابن الحرث بن نوفل وسماك بن حرب وقادة ومالك ابن دينار وابن جريج وزاد قال هو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى بن عمران بن هاشم . قال ابن جريج وهذا قول أكثر أهل العلم أنه كان ابن عم موسى . ورد قول ابن اسحاق إنه كان عم موسى قال قادة وكان يسمى النور لحسن صوته بالثوراة ولكن عدو الله تلقى كما تلقى السامري فهلكه البغي لكثرة ماله . وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبرا طولا ترضا على قومه . وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى أن مفاتيحه كان يقل حملها على القيام من الرجال الشداد وقد قيل إنها كانت من الجلود وإنها كانت تحمل على ستين بئلا فله أعلم وقد وعظه النصحاء من قومه قائمين لا تفرح أى لا تبطل بما أعطيت وتفرح على غيرك (إن الله لا يحب الفرحين وإيج فيما آتاك الله الثمار الآخرة) يقولون لكن همتك مسروقة لتحصيل ثواب الله في الثمار الآخرة فانه خير وأبقى ومع هذا (لا تنس نصيبك من الدنيا) أى وتناول منها مالك ما أحل الله لك خضع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال (واحسن كما أحسن الله إليك) أى واحسن الى خلق الله كما أحسن الله خلقهم وولئهم اليك (ولا تبغ الفساد في الأرض) أى ولا تسعى اليهم ولا تحسد فيهم فخالجهم ضد ما أمرت فيهم فيما قبك ويسلك ما وجهك (إن الله لا يحب المفسدين) فما كان جواب قومه . لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة إلا أن (قال إنما أوتيته على علم عندى) يعنى أنا لا أحتاج الى استعمال ماذ كرم ولا الى ما اليه أشرتم فان الله إنما أعطاني هذا ليله أى أستحقه وأنى أهل له ولولا أنى حيب اليه وحظى عنده لما

أعطاني ما أعطاني قال الله تعالى ردا عليه ما ذهب اليه (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جما ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) أي قد أهلكنا من الأمم الماضية بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قرون قوة وأكثر أموالا وأولادا هو كان مقال صحيحا لم نقاب أحدا ممن كان أكثر مالا منه ولم يكن ماله دليلا على محبته له واعتناؤه به كما قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تحربكم عند ظننني إلا من آمن وعمل صالحا) وقال تعالى (أيمسبون أنما نمدم به من مال وبين . فسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وهذا الرد عليه يدل على صحة ما ذهبنا إليه من معنى قوله (إنما أوتيته على علم عندى) وأما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يرفضه الكيمياء أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم فاستسهل في جمع الأموال فليس صحيح لان الكيمياء تخيل وصحة لأنجيل الحقائق ولا تشابه صفة الخالق والاسم الأعظم لا يصعد السماء به من كفر به وقارون كان كفرا في الباطن مناقضا في الظاهر . ثم لا يصح جوابه لهم بهذا على هذا التقدير ولا يبق بين الكلامين تلازم وقد ونحن هذا في كتابنا التفسير والله الحمد . قال الله تعالى (نخرج على قومه في زينته) ذكر كثير من المفسرين أنه خرج في تجمل عظيم من ملابس ومراكب وخم وحشم فلما رآه من ينظم زهرة الحياة الدنيا امتنوا أن لو كانوا مثله وغطوه بما عليه وله فلما سمع مقاتلهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الالباء قولوا لهم (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) أي ثواب الله في الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى قال الله تعالى ولا يقامها إلا الصابرون أي وما يلحق هذه النصيحة وهذه المثابة وهذه الهبة السامية إلى الدار الآخرة العلية عند النظر إلى زهرة هذه الدنيا الدنية إلا من هدى الله قلبه وبعت فؤاده وأيد له وحقق مراده وما أحسن مقال بعض السلف إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات . قال الله تعالى تخسفتا به وبداره الأرض فما كان له من قوة ينصرونه من دون الله وما كان من المتصرين . لما ذكر تعالى خروجه في زينته واختياله فيها وغره على قومه بها قال تخسفتا به وبداره الأرض كما روى البخاري من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال ينزل رجل يجر ازراه إذ خسف به فهو يتجبل في الأرض إلى يوم القيامة . ثم روى البخاري من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه . وقد ذكر ابن عباس والسدي أن قارون أعطى امرأة بيا مالا على أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملا من الناس إنك فلت في كذا وكذا فيقال إنها قالت له ذلك فلرعد من الفرق وصلى ركعتين . ثم أقبل عليها فاستطفاها من ذلك على ذلك وما حلك عليه قد كرت أن قارون هو الذي حملها على ذلك واستغرت الله وثابت إليه فسد ذلك خر موسى لله ساجدا ودعا الله على قارون فأوحى الله إليه اني قد أمرت الأرض أن تلعينك فيه فلموسى الأرض أن تجله وداره . فكان ذلك لله أعلم وقد قيل إن قارون لما خرج على قوم في زينته مر

بجفله وبثاله وملابسه على مجلس موسى عليه السلام وهو يذكر قومه بإلهم الله قلنا وآله الناس انصرف
وجوه كثير من الناس ينظرون اليه فدعا موسى عليه السلام قال له ما حملك على هذا قال يا موسى أما
لئن كنت فضلت على النبوة فقد فضلت عليك بالمال ولئن شئت لتخرجن فتدعون على ولا تدعون
عليك فخرج وخرج قارون في قومه فقال له موسى تدعو أو أدعو قال ادع أو أضعي قارون فلم يجب في
موسى قال موسى أدعو قال نعم قال موسى اللهم مر الأرض فخططني اليوم فوحى الله اليه إني قد ضلت
قال موسى يا أرض خفيهم فاختفيهم إلى أقدامهم ثم قال خفيهم فاختفيهم إلى ركبهم ثم إلى مناكبهم ثم
قال أقبلي بكنوزهم وأموالهم فأقبلت بها حتى قفروا إليها ثم أشار موسى بيده قال انزعوا بني لاوى
فاستوت بهم الأرض . وقد روى عن قتادة أنه قال يخسف بهم كل يوم قامة إلى يوم القيامة . وعن ابن
عباس أنه قال خسف بهم إلى الأرض السابعة . وقد ذكر كثير من المفسرين هنا إسرائيليات كثيرة
أضر بنا عنها صفحاً وتركناها قصداً . وقوله تعالى (فإكان له من قته ينصرونه من دون الله وما كان
من المنتصرين) لم يكن له ناصر من ضده ولا من غيره كما قال (قاله من قوة ولا ناصر) ولما حل به محل
من الخسف وذهاب الأموال وخراب الدار وإهلاك النفس والأهل والمعارندم من كان يحمي مثل
مأوى وشكروا الله تعالى الذي يدبر عياده بما يشاء من حسن التدبير المخزون ولهذا قالوا (لولا أن
من الله علينا لخسف بنا ويك أنه لا يطلع الكافرون) وقد تكلمنا على لفظ ويك في التفسير وقد قال
قتادة ويكأن بمعنى ألم تر أن وهذا قول حسن من حيث المعنى والله أعلم . ثم أخبر تعالى (أن الدار
الآخرة) وهي دار القرار وهي الدار التي يقبض من أهلها ويمزى من حرما إنما هي معدة للذين
لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً . فالله هو التكبر والفخر والاشرف والبطر والفساد هو عمل
المعاصي اللازمة والمتتمية من أخذ أموال الناس وإفساد ما يشبههم والإساءة إليهم وعدم النصيح لهم ثم
قال تعالى (والعاقبة للمتقين) وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر قوله تخفنا به
وبدأوه الأرض فإن الدار ظاهرة في البيان وقد تكون بعد ذلك في التيسر وتكون الدار عبارة عن
الحلة التي تضرب فيها الأنبياء كما قال عترة .

يُدار علة بلجواء تكللى ••• وعنى صبا حادار علة واسلى

والله أعلم . وقد ذكر الله تعالى منة قارون في غير ما آية من القرآن . قال الله (ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) وقال تعالى في سورة العنكبوت
بعد ذكر عاد وثمود . وقارون وفرعون وهامان (ولقد جاءتهم ربنا بالبينات فاستكبروا في الأرض
وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه غاصبا منهم من أخذته الصيحة ومنهم من
ضغفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فالتى خسف به

الارض قارون كما تقدم والقي أغرق فرعون وهامان وجنودهما أنهم كانوا خاطئين . وقد قال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا كعب بن عتبة عن عيسى بن هلال الصدقي عن عبد الله بن عروة عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما قال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وإبي بن خلف . أخرجه احمد رحمه الله .

باب ذكر فضائل موسى عليه السلام وشأئله وصفاته ووفاته

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب موسى إنه كان عظيما وكان رسولا نبيا وتديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) . وقال تعالى قال ياموسى ابنى اصططكت على الناس برسالاتي وبكلامي) . وتقدم في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تفضلونى على موسى فإن الناس يصفون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاجد موسى بطنا قائما العرش فلا أدري أصق فائق قبلى أم جوزى بصفة الطور . وتقدمنا أنه من رسول الله ﷺ من باب المضم والتواضع وإلا فهو صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم في الدنيا والاخرة قطعا جزما لا يمتثل النقيض . وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والذين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأنبياء) الى أن قال (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم قصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها) قال الامام أبو عبد الله البخارى حدثنا اسحق بن ابراهيم بن روح بن عبادة عن عوف بن الحسن وعبد وخلص عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن موسى كان رجلا حيا سيرا لا يرى جلده شيء استعيامته فأذاه من آذاه من بني اسرائيل قتالوا ما يستتر هذا التستر الامن عيب بجلده إما برص أو أودرة وإما آفة وأن الله عز وجل أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل على ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فأراه عريانا احسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسها وطلق بالحجر ضربا بصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خسا قال فلذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها) . وقد رواه الامام احمد من حديث عبد الله بن شقيق وهلم بن منه عن أبي هريرة به وهو في الصحيحين من حديث حبيب الزرقاء عن مسر عن هلم عنه به ورواه مسلم من حديث عبد الله بن شقيق القبلى عنه .

قال بعض السلف كان من وجاهته أنه شفع في أخيه عند الله وطلب منه أن يكون معه وزيراً فأجاباه الله إلى سؤاله وأعطاه طلبته وجهه نياً كما قال (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نياً) ثم قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة حدثنا الأعمش سألت أبا وائل قال سمعت عبد الله قال قال قسم رسول الله ﷺ قسماً قال رجل إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فاتيت النبي ﷺ فنضب حتى رأيت الغضب في وجهه * ثم قال رحمه الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر . وكذا رواه مسلم من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش به . وقال الأمام أحمد حدثنا أحمد بن حنبل سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى لهندان عن زيد بن أبي زائدة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ لا صحابي لا يلفني أحد عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر قال واتي رسول الله ﷺ مال قسمه قال فردت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أريد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة فثبت حتى سمعت ما قال . ثم اتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إنك قلت لنا لا يلفني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً واتي سرور بعلان وعلان وهما يقولان كذا وكذا فظهر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه . ثم قال دعنا منك قد أودى موسى أكثر من ذلك فصبر . وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث إسرائيل عن الوليد بن أبي هاشم به وفي رواية للترمذي ولأبي داود من طريق ابن عدي عن إسرائيل عن السدي عن الوليد به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه . وقد ثبت في الصحيحين في أحاديث الاسراء أن رسول الله ﷺ مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره . ورواه مسلم عن أنس . وفي الصحيحين من رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صمصة عن النبي ﷺ أنه مر ليلة أسرى به بموسى في السماء السادسة فقال له جبريل هذا موسى فسلم عليه قال فسلمت عليه فقال مرحبا بلهني الصالح والاخ الصالح فلما تجاوزت بكى قبل له ما يبكيك قال أبكى لأن غلاماً بيثني يمدني يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمي . وذكر إبراهيم في السماء السابعة . وهذا هو المحفوظ وما وقع في حديث شريك ابن أبي نمر عن أنس من أن إبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله ﷻ ذكر غير واحد من الحفاظ أن الذي عليه الجادة أن موسى في السادسة وإبراهيم في السابعة وأنه مستند ظهروه إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يمردون إليه آخر ما عليهم . وأهتت الروايت كلها على أن الله تعالى لما فرض على محمد ﷺ وأمه خنيس صلاة في اليوم واليلة فرمى موسى قال أرجع إلى ربك فله التخفيف لأنك فاني قد عابيت بني إسرائيل قبلك أشد المأجلة وإن انتك اضف أسباعاً وإبصاراً واقتد فلما يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل ويخفف عنه في كل مرة حتى صارت إلى خمس صلوات في اليوم واليلة وقال الله تعالى هي خمس وهي خسون أي بالمضاعفة فخرى الله عنا محمداً ﷺ خيراً وجزى الله عنا موسى عليه السلام خيراً . وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا حصين

ابن نمير عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال عرضت على الأمم ورأيت سواداً كثيراً سد الاقبح قيل هذا موسى في قومه . هكذا روى البخاري هذا الحديث منها مختصراً وقد رواه الامام أحمد مطولاً قال حدثنا شرح حدثنا هشام حدثنا حصين بن عبد الرحمن . قال كنت عند سعيد بن جبير قال أياكم رأى الكوكب اتقى اتقى الباردة قلت أنا ثم قلت إلى لم أكن في صلاة ولكن لفت . قال وكيف قلت قلت استرقت . قال وما حاكك على ذلك قال قلت حديث حدثناه الشيء عن بريدة الاسلمى أنه قال لا رقية الا من عين أوجه قال سعيد يعني ابن جبير قد أحسن من اتقى الى ما سمع ثم قال حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي معه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد انزعج لي سواد عظيم قلت هذه أمي قيل هذا موسى وقوموه ولكن انظر الى الاقبح فذا سواد عظيم ثم قيل انظر الى هذا الجانب فذا سواد عظيم قيل هذه أمك ومهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بنير حساب ولا عذاب ثم نهض رسول الله ﷺ فدخل ففاض القوم في ذلك قالوا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بنير حساب ولا عذاب قال بعضهم لهم الذين حصوا النبي ﷺ . وقال بعضهم لهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركو بالله شيئاً قط وذكروا أشياء فخرج بهم رسول الله ﷺ قال ما هذا الذي كنتم تفوضون فيه فأنهبوه بمثلهم فقال هم الذين لا يكتفون ولا يسترقون ولا يطغرون وعلى ربهم يتوكلون قام عكاشة بن محيصة الاسلمى قال أنا منهم يارسول الله قال أنت منهم ثم قام آخر قال أنا منهم يارسول الله قال سبقك بها عكاشة . وهذا الحديث له طرق كثيرة جداً وهو في الصحيح والحسان وغيرهما وسنوردها إن شاء الله تعالى في باب صفة الجنة عند ذكر احوال القيامة وأهوالها . وقد ذكر الله تعالى موسى عليه السلام في القرآن كثيراً واتفق عليه واورد قصته في كتابه العزيز مراراً وكردها كثيراً مطولة ومبسطة ومختصرة واتفق عليه بلينا . وكثيراً ما قرنه الله ويذكره ويذكر كتابه مع محمد ﷺ وكتابه كما قال في سورة البقرة (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم بذي فرقة من الذين أوتوا الكتاب) كتاب الله وراه ظهورهم كلهم لا يعلون) وقال تعالى (ألم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بلحن مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) وقال تعالى في سورة الانعام (وما قلنوا الله حق قلنوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس فجعلوه قراطيس تبسونها وتخفون كثيراً وعظم ما لم تعلموا أنهم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يطبون . وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه وتثبت ام القري ومن حولها والذين يؤمنون بآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) فاتفق تعالى على التوراة ثم مدح

القرآن العظيم مدحاً عظيماً وقال تعالى في آخرها (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لهم بقاء بهم يؤمنون . وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وقال تعالى في سورة المائدة (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والرابانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تتخشوا الناس وأخشون ولا تشتروا بآتيئنا قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) إلى أن قال (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا إليك الكتاب بلحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه الآية) فجعل القرآن حاكماً على سائر الكتب غيره وجعله مصداقاً لما وميناً ما وقع فيها من التحريف والتبديل فإن أهل الكتاب استحفظوا على ما بأيديهم من الكتب فلم يقدروا على حفظها ولا على ضبطها وصونها فلذا دخلها ما دخلها من تغيير وتبديلهم لسوء فهمهم وقصورهم في علومهم ورداة قصودهم وخيائهم لمبودم عليهم لئان الله المتعبد له إلى يوم القيامة ولهذا يوجد في كتبهم من الخطأ البين على الله وعلى رسوله ما لا يبعد ولا يوصف وما لا يوجد مثله ولا يعرف . وقال تعالى في سورة الأنبياء (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياءً وذكرى للعتيقين . الذين يمشون بهم بالنيب وهم من الساعة مشفقون . وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) وقال الله تعالى في سورة القصص . (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران متظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه إن كنتم صادقين) . فأتى الله على الكتابين وعلى الرسولين عليهما السلام . وقالت الجبن قومهم إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى . وقال ورقة بن نوفل لما قص عليه رسول الله ﷺ خبر ما رأى من الأول الوحي وتلا عليه (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) قال سبوح سبوح هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران . وبالجملة فشرعة موسى عليه السلام كانت عظيمة وامته كانت أمة كثيرة ووجد فيها أنبياء وعلما وعباد وزهاد وأباً وملوك وأمرام وسادات وكبراء . لكنهم كانوا فيادوا وتبلوا كما بدلت شريعتهم ومسوخوا فردقوا خنازيرهم فسخت بعد كل حساب ملتهم وجرت عليهم خلوب وأمر يطول ذكرها ولكن سنورد ما فيه مقتع لمن أراد أن يئلته خيراً ما إن شاء الله هو المنة وعليه التمسك

ذكر حجه عليه السلام الى البيت العتيق

قال الامام احمد حدثنا هشام حدثنا داود بن أبي هند عن أبي العالية عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق قال أي واد هذا . قالوا وادي الأزرق . قال كفى أنظر الى موسى وهو هابط من الثنية وله جوار الى الله عز وجل بالثنية حتى أتى على ثنية هرشاء . قال أي ثنية هذه قالوا هذه ثنية هرشاء قال كافي أنظر الى يونس بن متى على ثنية حمراء عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة . قال هشيم يعني ليلاً وهو يلبي . أخرجه مسلم من حديث داود بن أبي هند به . وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً إن موسى حج على ثور أحر وهذا غريب جداً . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن حنون عن مجاهد قال كنا عند ابن عباس فذكروا السجال قال إنه مكتوب بين عينيه (ك ف ر) قال ما يقولون قال يقولون مكتوب بين عينيه (ك ف ر) قال ابن عباس لم أسمعه قال ذلك ولكن . قال أما ابراهيم فأنظروا الى صاحبكم . وأما موسى فرجل آدم جد الشر على جبل أحر مخطوم بخلبة كافي أنظر اليوقد المنذر من الوادي يلبي قال هشيم الخليفة ثم رواه الامام احمد عن أسود عن إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ رأيت عيسى بن مريم وموسى و ابراهيم فلما عيسى قايض جد عريض الصدر . وأما موسى فآدم جسيم . قالوا ف ابراهيم قال أنظروا الى صاحبكم . وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا شيان قال حدث قتادة عن أبي العالية حدثنا ابن عم نبيكم ابن عباس قال قال نبي الله ﷺ رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جسداً كأنه من رجال شنؤة ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس وأخرجاه من حديث قتادة به . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال الزهري وأخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ حين أسرى به لقيت موسى فنته فقال رجل قال حجه قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنؤة . ولقيت عيسى . فنته رسول الله ﷺ قال ربيعة أحر كأنما خرج من ديماس يعني حملاً قال ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولد . به الحديث . وقد تقدم هذه الاحاديث في ترجمة الخليل

ذكر وفاته عليه السلام

قال البخاري في صحيحه (وفاة موسى عليه السلام) حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أنباء معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه

صكه فرجع الى ربه عز وجل قال أرسلني الى عبد لا يريد الموت قال ارجع اليه قل له يضع يده على
 من ثور فله بما غطت يده بكل شجرة سنة . قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فلأن قال فأنال
 الله عز وجل أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ ظو
 كنت سمعكم لا تريدكم قبوره الى جانب الطريق عند الكتيب الاحمر . قالوا نأنا مصر عن هلم عن أبي هريرة
 عن النبي ﷺ نحوه . وقد روى مسلم الطريق الاول من حديث عبد الرزاق به ورواه الامام أحمد
 من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة مرفوعاً وسيأتي . وقال الامام أحمد
 حدثنا الحسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يوسف يعني سليم بن جبيرة عن أبي هريرة قال الامام أحمد لم
 يرفعه . قال جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام قال أجب ربك فظلم موسى عين ملك الموت
 فقأها . فرجع الملك الى الله قال إنك مبتلي الى عبدك لا يريد الموت . قال وقد قأنا عيني قال فرد
 الله عينه وقال ارجع الى عبدك قل له الحياة تريد قل كنت تريد الحياة فضع يدك على من ثور فإ
 وارت يدك من شجرة فالتك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم الموت قال فلأن يارب من قريب . فخر
 به احمد وهو موقوف بهذا القفظ . وقد رواه ابن جبان في صحيحه من طريق مسر عن ابن طاووس
 عن أبيه عن أبي هريرة قال مسر وأخبرني من سمع الحسن عن رسول الله ﷺ ذكره ثم استشكله ابن
 جبان وأجاب عنه بما حاصله أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لمحيه له على غير صورة يعرفها موسى
 عليه السلام كما جاء جبريل في صورة أمراي وكما وردت الملائكة على ابراهيم ولوط في صورة شباب
 فلم يعرفهم ابراهيم ولا لوط أولاً وكذلك موسى لله لم يعرفه فلك ولعله فقأ عينه لانه دخل داره فغير
 أذنه وهذا موافق لشرعتنا في جواز فق معين من نظر اليك في دارك فغير اذن . ثم أورد الحديث من
 طريق عبد الرزاق عن مسر عن هلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ جاء ملك الموت الى
 موسى ليقبض روحه قال له أجب ربك فظلم موسى عين ملك الموت فقأ عينه وذكر تمام الحديث كما
 أشار اليه البخاري ثم تأوله على أنه لما رفع يده ليطلمه قال له أجب ربك وهذا التأويل لا يتشبه على
 ماورد به القفظ من تعيق قوله أجب ربك بلطمه ولو استمر على الجواب الاول لتشبه له وكأنه لم يعرفه
 في تلك الصورة ولم يحمل قوله هذا على أنه مطابق اذ لم يتحقق في الساعة الراحة أنه ملك كريم لانه كان
 يرجو أموراً كثيرة كان يجب وقوعها في حياته من خروجه من التيه ودخولهم الأرض المقدسة وكان قد
 سبق في قدرة الله أنه عليه السلام يموت في التيه بد هرون أخيه كما سفيته إن شاء الله تعالى . وقد زعم
 بعضهم أن موسى عليه السلام هو الذي خرج بهم من التيه ودخل بهم الأرض المقدسة . وهذا خلاف
 ما عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين . وما يدل على ذلك قوله لا اختار الموت رب أدتني الى الأرض
 المقدسة رمية حجر . ولو كان قد دخلها لم يسأل ذلك ولكن لما كان مع قومه بالتيه وحانت وقته عليه

السلام أحب أن يتقرب الى الارض التي هاجر اليها وحث قومه عليها ولكن حال بينهم وبينها التدرج رمية بحجر ولهذا قال سيد البشر . ورسول الله الى أهل الوبر والمدر . فلو كنت ثم لاريتكم قبره عند الكتيب الاحمر . وقال الامام حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت وسليمان التيمي عن أنس بن مالك بن رسول الله ﷺ قال لما أمرى بي مريد بموسى وهو قائم يصلى فى قبره عند الكتيب الاحمر ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وقال السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا ثم إن الله تعالى أوحى الى موسى إنى متوف هرون فأتى به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فلذا هم بشجرة لم تر شجرة مثلهما وإذا هم بيت مبنى وإذا هم بسرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال يا موسى إنى أحب أن أألم على هذا السرير قال له موسى قم عليه قال إنى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال له لا تهرب أنا أكنيك رب هذا البيت قم . قال يا موسى ثم مى فان جاء رب هذا البيت غضب على وعلى جميعاً . فلما أخذ هرون الموت فلما وجد حبه قال يا موسى خذنى فلما قبض رفع ذلك البيت وزهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى الى قومه وليس معه هرون قالوا فان موسى قتل هرون وحده حب بنى إسرائيل له وكان هرون أكف عنهم والذين لهم من موسى وكان فى موسى بعض النظفة عليهم فلما بلغه ذلك قال لهم وبمحكم كان أخى أفقرنى أخته . فلما أكنثوا عليه قام فضلى ركبتين ثم دعا الله فزل السرير حتى فطروا اليه بين السماء والأرض . ثم إن موسى عليه السلام بنا هو يمشى ويوشع فناه اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع علم أنها الساعة فالتزم موسى وقال هموم الساعة وأنا ملتزم موسى فبى الله فاستل موسى عليه السلام من تحت القميص وترك القميص فى يدي يوشع . فلما جاء يوشع بالقميص آخذه بنو إسرائيل وقالوا قتلت نبي الله . فقال لا والله ما قتله ولكننى أسئل منى فلم يصدقوه وأرادوا قتله . قال فلذا لم تصدقونى فلخرونى ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل من كل يجرسه فى المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى وإنما قد رفضناه لينا فتركوه ولم يبق احد ممن أبى أن يدخل قرية الجبابرة مع موسى الامات ولم يشهد الفتح وفى بعض هذا السياق نكارة وغرابة والله أعلم . وقد قلنا أنه لم يخرج احد من التيه من كان مع موسى سوى يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو زوج مريم أخت موسى وهرون وهما الرجلان المذكوران فيما قلنا اللذان أشارا على ملأ بنى إسرائيل بالتحول عليهم وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مر بملأ من الملائكة يحفرون قبراً فلم يرا حسن منه ولا أنضر ولا أبهج فقال يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا لئبد من عباد الله كريم فان كنت تحب أن تكون هذا البعد فادخل هذا القبر وتمدد فيه وتوجه الى ربك وتغنى أسهل تغنى فقل ذلك فأتى صلوات الله

وسلامه عليه فصلت عليه الملائكة ودفنوه وذكروا أهل الكتاب وغيرهم أنه مات وعمره مائة وعشرون سنة وقد قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد ويونس قال حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يونس رفع هذا الحديث الى النبي ﷺ قال كان ملك الموت يأتي الناس عيانا قال فأتى موسى عليه السلام فطمعه فقأ عينه فأتى ربه فقال يلرب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لتبنت علي . وقال يونس لتبنت علي . قال له اذهب الى عبدي . قال له فليضع يده على جلد (أو) منك ثور فله بكل شرة وارث يده سنة فاقام فقال له قال ما بهد هذا قال الموت قال فلان قال فشمه شمة فقبض روحه . قال يونس فرد الله عليه عينه وكان يأتي الناس خفية * وكذا رواه ابن جرير عن أبي كرب عن مصعب بن المقدام عن حماد بن سلمة به فرفه أيضا

ذكر نبوة يوشع وقيامه بأعباء بني اسرائيل بعد موسى وهرون عليهما السلام

هو يوشع بن نون بن أفرايم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم انطليل عليهم السلام واهل الكتاب يقولون يوشع بن عم هود وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر كما تقدم من قوله (وإذ قال موسى لنساءه * فلما جاوزا قال لنساءه) وقدمنا ما ثبت في الصحيح من رواية أبي ابن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ من أنه يوشع بن نون وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب فان طائفة منهم وهم السامرة لا يقولون بنبوة أحد بعد موسى الا يوشع بن نون لانه مصرح به في التوراة ويكفرون بما وراه وهو الحق من دينهم فليعلم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة .

واما ملحكه ابن جرير وغيره من المفسرين عن محمد بن اسحق من أن النبوة حوت من موسى الى يوشع في آخر عمر موسى فكان موسى يلقي يوشع فيأله ما أحدث الله من الاوامر والنواهي حتى قال له يا كلم الله إني كنت لا أسألك عما يوحى الله اليك حتى تخبرني انت ابتداء من تقاء خشك فبعد ذلك كره موسى الحياة واحب الموت ففي هذا نظر لأن موسى عليه السلام لم يزل الأمر والوحى والتشريع والكلام من الله اليه من جميع أحواله حتى توفاه الله عز وجل ولم يزل معزاً مكرماً مدلاً وجهاً عند الله كما قدمنا في الصحيح من قصة قتله عين ملك الموت ثم بنه الله اليه ان كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور فله بكل شرة وارث يده سنة يمشيها قال ثم ماذا قال الموت قال فلان يلرب وسأل الله أن يدينه الى بيت المقدس دمية بمجر وقد اوجب الى ذلك صلوات الله وسلامه عليه

فهذا الذي ذكره محمد بن اسحق إن كان إنما يقوله من كتب أهل الكتاب ففي كتابهم الذي يسمونه التوراة أن الوحي لم يزل ينزل على موسى في كل حين يحتاجون اليه الى آخر مدة موسى كما هو المعلوم من سياق كتابهم عند تبوت الشهادة في قبة الزمان . وقد ذكروا في السفر الثالث أن الله أمر موسى وهاورون أن يمدوا يدي اسرائيل على اسباطهم وان يحملوا على كل سبط من الاثني عشر أميراً وهو التصيب وما ذاك الا ليتأهبوا للقتال قتال الجبابرة عند الخروج من التيه وكان هذا عند اقتراب اقضاء الاربعين سنة . ولهذا قال بعضهم إنما قام موسى عليه السلام حين ملك الموت لانه لم يعرفه في صورته تلك ولأنه كان قد أمر بأمر كان يرتجى وقوعه في زمانه ولم يكن في قدر الله أن يقع ذلك في زمانه بل في زمان قام يوشع بن نون عليه السلام كما أن رسول الله ﷺ كان قد أراد غزو الروم بلشام فوصل إلى تبوك ثم رجع عامه ذلك في سنة تسع . ثم حج في سنة عشر ثم رجع فجهز جيش أسامة إلى الشام طليعة بين يديه ثم كان على عزم الخروج اليهم امتثالاً لقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدعون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يطعنوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ولا جهز رسول الله جيش أسامة توفي عليه الصلاة والسلام واسامة تخيم بالجرف ففتنه صديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم لما لم أشعث جزيرة العرب وما كان دعي من أمر أهلها وعاد الحق إلى نصابه جهز الجيوش بمنه وميرة إلى العراق أصحاب كسرى ملك الفرس وإلى الشام أصحاب قيسر ملك الروم ففتح الله لهم ومكن لهم وبهم وملكمهم نواصي أعدائهم كما ستورده عليك في موضعه اذا انتهينا إليه مفصلاً إن شاء الله بونه وتوفيقه وحسن إرشاده * وهكذا موسى عليه السلام كان الله قد أمره أن يجمع بني إسرائيل وأن يحمل عليهم قتيلاً كما قال تعالى (وقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبشأنهم اثني عشر شهيداً) وقال الله (إني معكم لن أقسم الصلاة وآتيت الزكاة وآمنت برسلي وعز دعوهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفرن عنكم سياستكم ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فن كفر بد ذلك منكم قد ضل سواء السبيل) يقول لهم لنن قتم بما أوجبت عليكم ولم تتكلموا عن القتال كما نكلم أول مرة لاجل ثواب هذه مكفراً لما وقع عليكم من عتابك كما قال تعالى لمن تخلف من الاعراب عن رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية « قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان طلقوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تولوا كما توليتم من قبل يؤذيك عذاباً أليماً » وهكذا قال تعالى لبني إسرائيل (فن كفر بد ذلك منكم قد ضل سواء السبيل) ثم ذمهم تعالى على سوء صنيعهم وقهضم مواثيقهم كما ذم من بدم من التماري على اختلافهم في دينهم وأديبتهم . وقد ذكرنا ذلك في التفسير مستقصى والله الحمد .

والقصد أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يكتب أسماء القاطنة من بني إسرائيل ممن يحمل

السلح ويقاقل من بلغ عشرين سنة فصاعدا وأن يحمل على كل سبط هيا منهم . السبط الاول سبط
 روبيل لانه بكر يعقوب كلن عدة المقاتلة منهم ستة وأربعين الفا وخمسة . وقيهم منهم وهو البصور
 ابن شديثورا . السبط الثاني سبط شمعون وكثروا قسة وخسين الفا وثلاثمائة . وقيهم شلوميئيل بن
 هورديشداى . السبط الثالث سبط يهوذا وكثروا أربعة وسبعين الفا وستائة . وقيهم نمشون بن عيناداب .
 السبط الرابع سبط ايساخر وكثروا أربعة وخسين الفا وأربعمائة وقيهم نشائيل بن صوغر . السبط الخامس
 سبط يوسف عليه السلام وكثروا أربعين الفا وخمسة وقيهم يوشع بن نون . السبط السادس سبط ميثا
 وكثروا أحدا وثلاثين الفا ومائتين وقيهم جليئيل بن خهصور . السبط السابع سبط بنيامين وكثروا خمسة
 وثلاثين الفا وأربعمائة وقيهم أيدين بن جدعون . السبط الثامن سبط حاد وكثروا خمسة وأربعة الفا وستائة
 وخسين رجلا وقيهم الياساف بن دعويل . السبط التاسع سبط أشير وكثروا أحدا وأربعين الفا وخمسة
 وقيهم غبيئيل بن عكرن . السبط العاشر سبط دان وكثروا إثنين وستين الفا وسبعمئة وقيهم أخيمرز
 ابن عشدلى . السبط الحادى عشر سبط نفتالى وكثروا ثلاثة وخسين الفا وأربعمائة . وقيهم أخيرع بن عين
 السبط الثانى عشر سبط زبولون وكثروا سبعة وخسين الفا وأربعمائة وقيهم الباب بن حيلون . هذا نص
 كتابهم الذى يديهم والله أعلم . وليس منهم بنو لاوى فلهذا الله موسى أن لا يدمم معهم لانهم موكلون
 بحمل قبة الشهادة وضربها وقصبا وحلها اذا ارتحلوا وم سبط موسى وهرون عليها السلام وكثروا
 اثنين وعشرين الفا من ابن شهر فافوق ذلك * وم فى أنفسهم قبائل الى كل قبيلة طائفة من قبة
 الزمان يمرسونها ويحفظونها ويقومون بمصالحها وقصبا وحلها وم كلهم حولها ينزلون ويرتحلون أماكنها
 ويعنتها وشالها ووراءها . وحلة ما ذكر من المقاتلة غير بنى لاوى خمسة ألف وأحد وسبعون الفا وستائة
 وستة وخمسون لكن قتلوا فكان عدد بنى إسرائيل من عمره عشرون سنة فما فوق ذلك ممن حمل
 السلاح ستائة ألف وثلاثة آلاف وخمسة وخمسة وخسين رجلا سوى بنى لاوى وفى هذا نظر فلن
 جميع الجبل المتقدمة إن كانت كما وجدنا فى كتابهم لا تطابق الجملة التى ذكروها والله أعلم . فكان
 بنو لاوى الموكلون بحفظ قبة الزمان يسرون فى وسط بنى إسرائيل وم القلب ورأس المينة بنو روبيل
 ورأس الميرة بنودان وبنو نفتالى يكونون ساقه ووقر موسى عليه السلام بأمر الله تعالى له الكهانة فى
 بنى هرون كما كانت لا يهيم من قبلهم وم نذاب وهو بكره وأبيهو والنارز ويشر . والمقصود أن بنى
 إسرائيل لم يبق منهم أحد ممن كان نكل عن دخول مدينة الجبارين الذين قالوا (فذهب أنت وريك
 فاعلا إنا هنا قاصدون) قاله التورى عن أبى سيد عن عكرمة عن ابن عباس وقاله قتادة وعكرمة ورواه
 السدى عن ابن عباس وابن مسعود وثمس من الصحابة حتى قال ابن عباس وغيره من علماء السلف
 وانطلق وملت موسى وهرون قبه كلاما فى اليه جيما وقد زعم ابن اسحق أن الذى ضح يث المقدس

هو موسى وإنما كان يوشع على مقدمته وذكر في سروده إليها قصة بلعام بن بعور الذي قال تعالى فيه (وأتل عليهم بآياتنا آياتنا فأنفلخ منها قابضه الشيطان فكلن من النافرين • ولو شئنا لرضناه بها ولكنه أخذل إلى الأرض واتبع هواه فله كل الكلب ان يحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فقصص القصص لهم يتفكرون . ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) وقد ذكرنا قصته في التفسير وأنه كان فيما قاله ابن عباس وغيره يعلم الاسم الأعظم وأن قومه سأوه أن يدعو على موسى وقومه فتمنع عليهم ولما الحوا عليه ركب حماره له . ثم سار نحو مسكر بنى إسرائيل فلما أشرف عليهم ربضت به حماره فضربها حتى قامت فسارت غير بيد وربضت فضربها ضرباً أشد من الأول قامت ثم ربضت فضربها فقال له يا بلعام أين تذهب أما ترى الملائكة أمامي تردى عن وجهي هذا أنذهب إلى نبي الله والمؤمنين يدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسيان . ونظر إلى مسكر موسى وبنى إسرائيل فاخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيق إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم ضمه قلاموه على ذلك فاعتذر إليهم بأنه لا يجزى على لسانه إلا هذا وأندلع لسانه حتى وقع على صدره وقال لقومه ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المسكر والحلية . ثم أمر قومه أن يزينوا النساء ويصنوهن بالامتنع يمن عليهم ويصنهن لهم حتى لهم يقيمون في الزنا فله متى زفد رجل منهم كفتيموم فضلوا وزينوا فسامهم ويصنهن إلى المسكر فمرت امرأة منهم معها كتي برجل من عظامه بنى إسرائيل وهو زمرى بن شلوم . يقال إنه كان رأس سبط بنى شمعون بن يعقوب فدخل بها فقتلها خلاها أرسل الله الطاعون على بنى إسرائيل فجعل يحوس قيمهم فلما بلغ الخبر إلى فنحاس بن الزار بن هرون أخذ حربه وكانت من حديد فدخل عليها القبة فاقطمها جميعاً فيها ثم خرج بهما على الناس والحربة في يده وقد اعتد على خاضعته وأستدها إلى حليته ورفضها نحو النساء وجعل يقول اللهم هكذا فعل بمن عصيك ورفض الطاعون فكان جلة من مات في تلك الساعة سبعين ألفاً والمقتل يقول عشرين ألفاً وكان فنحاس يكرأه الزار ابن هرون فلها يجل بنو إسرائيل لولد فنحاس من القديحة الآلية والدراع والحي ولم البكر من كل أموالهم وأنفسهم . وهذا الذي ذكره ابن اسحق من قصة بلعام صحيح قد ذكره غير واحد من علماء السلف لكن لعله لما أراد موسى دخول بيت المقدس أول مقدمته من البطار المصرية ولعله مراد ابن اسحاق ولكنه ما فهمه بعض التأملين عنه وقد قدمنا عن نص التوراة ما يشهد لبعض هذا والله أعلم . ولعل هذه قصة أخرى كانت في خلال سيرهم في التيه فان في هذا السياق ذكر حسيان وهي بريدة عن أرض بيت المقدس أو لعله كان هذا الجبل موسى الذين عليهم يوشع بن نون حين خرج بهم من التيه قاصداً بيت المقدس كما مرص به السدى . والله أعلم . وعلى كل تقدير فالتى عليه الجمود أن هرون توفى بالتية

قبل موسى أخيه بنحو من ستين . وبعده موسى في التيه أيضا كما قلنا وأنه سأل ربه أن يقرب إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك فكان القى خرج بهم من التيه وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ أنه قطع بنى اسرائيل نهر الاردن واتبع الى أريحا وكانت من أحسن المدائن سوراً واعلاها قصوراً وأكثرها أهلاً فغاصرها ستة أشهر . ثم إلهم أحاطوا بها يوما وضربوا بالقرون يمين الابواب وكبروا تكبيرة رجل واحد فضخ سورها وسقط وجبة واحدة فدخلوها وأخذوا ما وجدوا فيها من الثنائيم وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء وحاربوا ملوكاً كثيرة . ويقال إن يوشع ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام . وذكروا أنه انتهى محاصرتها لها إلى يوم جمعة بعد العصر . فلما غربت الشمس أو كادت قرب ويدخل عليهم السبت القى جبل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان قال لما إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على غيبها الله عليه حتى تمكن من فتح البلد وأمر القمر فوقف عند الطلوع وهذا يقتضى أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر والاول وهو قصة الشمس المذكورة في الحديث القى سأذكره . وأما قصة القمر فن عند أهل الكتاب ولايتنا في الحديث بل فيه زيادة تستند فلا تصدق ولا تكتنب ولكن ذكرهم أن هذا في فتح اريحا فيه نظر والاشبه والله أعلم أن هذا كان في فتح بيت المقدس القى هو المقصود الأعظم وفتح اريحا كان وسيلة اليه والله أعلم .

قال الامام احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس . أغرد به أحد من هذا الوجه وهو على شرط البخارى . وفيه دلالة على أن القى فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام لا موسى وإن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا اريحا كما قلنا . وفيه أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام فيدل على ضعف الحديث القى رويانه أن الشمس رجعت حتى صلى على بن أبي طالب صلاة العصر بعد ما قامته بسبب نوم النبي ﷺ على ركبته فقال رسول الله أن يردّها عليه حتى يصلى العصر فرجعت . وقد صحه على بن صالح المصرى ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسن وهو مما تتوفر الدواعى على قتله وفترت بقله امرأة من أهل البيت بمجوعة لا يعرف حالها والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ غزا نبي من الانبياء قال يقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين . ولا آخر قد بنى فينا ولم يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غناً أو خلفات وهو ينظر أولادها فزادنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك قال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على شيطان غيبت عليه حتى فتح الله عليه فجمعوا ما غنموا فأتت النار لئلا تكله فأت أن تخلصه

قال فيكم غول فليأمن من كل قبيلة رجل فيأمنه فقصت يد رجل يده قال فيكم النول ولتأمن
 قبيلتك فبأمنه قبيلته فلق يد رجلين أو ثلاثة قال فيكم النول أنتم غظم فأخرجوا له مثل رأس بقرة
 من ذهب قال فوضوه بلال وهو بالصعيد فأقبل النار فأكلته فلم يحمل الفأتم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله
 رأى ضغنا وعجزنا فظليها لنا . اغرد به مسلم من هذا الوجه . وقد روى البزار من طريق مبارك بن فضالة
 عن عبيد الله عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه . قال ورواه محمد بن عجلان عن
 سعيد المقبري قال ورواه قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . والمقصود أنه لا
 دخل بهم بلب المدينة أمروا أن يدخلوها سجدا أي ركعا متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما من به
 عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدم إليه وإن يقولوا حال دخولهم حلة أي حط عنا خطايانا التي
 سلفت من نكولنا الذي تقدم منا . ولهذا لا دخل رسول الله ﷺ مكة يوم فتحها دخلها وهو
 راكب ناقته وهو متواضع حامد شاكر حتى أن عثونه وهو طرف لحية ليس مودك رحله بما يطأه
 رأسه خضعا لله عز وجل ومنه الجنود والجيوش عن لا يرى منه إلا الخلق ولا سيما الكتيبة الخضراء
 التي فيها رسول الله ﷺ ثم لا دخلها اغتسل وصلى ثمانى ركعات وهي صلاة الشكر على النصر على
 المنصور من قولى العلماء . وقيل إنها صلاة الضحى وما حل هذا القاتل على قوله هذا إلا لأنها وقت
 وقت الضحى . وأما بنو إسرائيل فاتهم خالفوا ما أمروا به قولا وفعلوا دخلوا الباب يزحفون على
 استاهم يقولون حبة في شجرة وفي رواية حنطة في شجرة . وحاصله أنهم بدلوا ما أمروا به واستهزؤا به
 كما قال تعالى حاكيا عنهم في سورة الاعراف وهي مكية (وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها
 حيث شئتم وقولوا حلة وادخلوا الباب سجدا فنفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبذل الذين ظلموا
 منهم قولا غير الذي قيل لهم فأسلطنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) وقال في سورة البقرة
 وهي مدنية مخاطب لهم (وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا
 وقولوا حلة فنفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبذل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على
 الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) . وقال الثوري عن الاعشى عن التمهال بن عمرو عن
 سعيد بن جبير عن ابن عباس وادخلوا الباب سجدا قال ركعا من بلب صغير . رواه الحاكم وابن جرير
 وابن أبي حاتم وكذا روى السوفى عن ابن عباس وكذا روى الثوري عن ابن اسحاق عن البراء . قال
 مجاهد والسدى والضحاك والباب هو بلب حلة من بيت إيلياء بيت المقدس . قال ابن مسعود فدخلوا
 مقننى رؤوسهم ضد ما أمروا به وهذا لا يتأق قول ابن عباس أنهم دخلوا يزحفون على استاهم . وهكذا
 في الحديث الذى سنورده بعد قلمهم دخلوا يزحفون وهم مقننوا رؤوسهم . وقوله وقولوا حلة الواو هنا
 حالية لا عاطفة أى ادخلوا سجدا فى حال قولكم حلة . قال ابن عباس وعطاء والحسن وقتادة والربيع

أمرها أن يستغفروا * قال البخارى حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن مصر
عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة
فدخلوا يزحفون على استعابهم فبدلوا وقالوا حطة في شجرة . وكذا رواه الترمذي عن حديث ابن المبارك
يمضيه ورواه عن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم عن ابن مهدي به موقوفا . وقد قال عبد الرزاق أنيأنا مصر
عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ قال الله لبنى اسرائيل ادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة ففعل كما خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استعابهم فقالوا حطة في شجرة .
ورواه البخارى ومسلم والترمذي من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي حسن صحيح . وقال محمد بن
اسحاق كان يبدلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مول التوأمة عن أبي هريرة وعن لا اثم عن
ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال دخلوا الباب التيأمرها أن يدخلوا فيه سجدا يزحفون على استعابهم
وهم يقولون حطة في شجرة . وقال اسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود قال في قوله (فبدل الذين
ظلموا قولا غير التي قيل لهم) قال قالوا (همل سقا ازمة مزيا) فهي في الرية (حطة حطوا مقوبة
فيها شجرة سوداء) وقد ذكر الله تعالى أنه عاقبهم على هذه الخلة بإرسال الرجز الذي أنزله عليهم وهو
الطاعون كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن عاصم بن سعد ومن حديث مالك عن محمد
ابن المنكسر وسالم أبي النضر عن عاصم بن سعد عن أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال إن هذا
الوجع (أو) السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم وروى الترمذي وابن أبي حاتم وهذا لفظه من حديث
الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن ابراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه وأسامة بن زيد وخزيمة
بن ثابت قالوا قال رسول الله ﷺ الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم وقال
الضحاك عن ابن عباس الرجز العذاب . وكذا قال مجاهد وابو مالك والسدي والحسن
وقادة وقال أبو البالية هو النضب . وقال الشعبي الرجز إما الطاعون وإما اليرد .

وقال سيد بن جبير هو الطاعون . ولما استقرت يد بني اسرائيل على بيت
القدس أستمر فيه وحين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب
الله التوراة حتى قبضه الله اليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين
سنة فكان مدة حياته بعد موسى سبعا وعشرين سنة

ذكر قصتي الخضر والياس عليهما السلام

أما الخضر فقد خدم أن موسى عليه السلام رحل اليه في طلب ماعنه من العلم القدسي وقص الله
من خبرها في كتاب الرجز في سورة الكهف وذكرنا في تفسير ذلك هناك وأوردنا هنا ذكر الحديث

المصرح بذكر الخضر عليه السلام وأن الذي رحل اليه هو موسى بن عمران بنى إسرائيل عليه السلام الذي أُنزلت عليه التوراة .

وقد اختلف في الخضر في اسمه ونسبه ونبوته وحياته الى الآن على أقوال ساذ كرها لك هنا إن شاء الله وبوجه وقوة * قال الحافظ ابن عساكر يقال إنه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه ثم روى من طريق الدار قطنى حدثنا محمد بن الفتح القلانسي حدثنا العباس بن عبد الله الروعي حدثنا رواد بن الجراح حدثنا مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس قال الخضر ابن آدم لصلبه ونسبه له في أجله حتى يكذب الجبال وهذا منقطع وغريب . وقال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثان السجستاني سمعت شيخنا منهم أبو عبيدة وغيره قالوا إن أطول بنى آدم عمراً الخضر واسمه خضرون بن قاييل بن آدم قال وذكر ابن اسحق أن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة أخبر به أن الطوفان سيقبطناس وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسد معهم في السفينة وأن يدفنوه في مكان عينه لهم . فلما كان الطوفان حملوه معهم فلما هبطوا الى الأرض أمر نوح به أن يذهبوا يدفنوه فيدفنوه حيث أوصى فقالوا إن الأرض ليس بها أنيس وعليها وحشة فرفضهم وحشهم على ذلك . وقال ابن آدم دعائلي دفتنه بطول العمر فهاجوا المسير الى ذلك الموضع في ذلك الوقت فلم يزل جسد عندهم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه وأتمم الله ما وعده فهو يحيى الى ما شاء الله له أن يحيى . وذكر ابن قتيبة في المعارف عن وهب بن منبه أن اسم الخضر بلهيا ويقال ايليا بن ملكان بن فلق بن عابر بن شالخ بن أرغشت بن سام بن نوح عليه السلام . وقال اسماعيل بن أبي أويس اسم الخضر فيا بلهيا والله أعلم بالمعبر بن ملك بن عيدان بن نضر بن لاذد . وقال غيره هو خضرون بن عيايل بن اليزيد بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل . ويقال هو أوريا بن طبقا فله أعلم . وقيل له كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر وهذا غريب جدا . قال ابن الجوزي رواه محمد بن أيوب عن ابن لهيعة وهما ضعيفان . وقيل إنه ابن مالك وهو آخر الياس قاله السدي كما ساقى . وقيل انه كان على مقدمة فتي القرنين . وقيل كان ابن بعض من آمن إبراهيم الخليل وهاجر معه وقيل كان غيا في زمن بشتاسب بن هراسب

قال ابن جرير والصحيح أنه كان متقدما في زمن أفرديون ابن اخيان حتى أدركه موسى عليهما السلام . وروى الحافظ ابن عساكر عن سديد بن المسيب أنه قال الخضر أمه رومية وأبوه فارسي

وقد ورد ما يدل على أنه كان من بنى إسرائيل في زمان فرعون أيضا . قال أبو زرعة في دلائل النبوة حدثنا صفوان بن صالح القمشي حدثنا الوليد حدثنا سديد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه ليلة أسري به وجد رائحة طيبة قال بلجبريل ما هذه الرائحة طيبة قال هذه ريح قبر الماشطة وأبنتها وزوجها وقال وكان بدء ذلك أن الخضر كان من

أشراف بني إسرائيل وكان عمره براهب في صومته فقطع عليه الراهب فلهذا الاسلام فلما بلغ الخضر
 زوجه أبوه امرأة فلهذا الاسلام وأخذ عليها أن لا تلم أحدا وكان لا يقرب النساء ثم طلقها ثم زوجه
 أبوه بأخرى فلهذا الاسلام وأخذ عليها أن لا تلم أحدا ثم طلقها فكنمت إحداهما وأفنت عليه
 الأخرى فاطلقها هاربا حتى أتى جزيرة في البحر فاقبل رجلان يحيطان فرأياه فكنم أحدهما وأفنت
 عليه الآخر قال قد رأيت الزقيل ومن رآه ملك قال فلان فقتل فكنم وكان من دينهم أنه من
 كذب قتل فقتل وكان قد تزوج الكاهن المرأة الكاهنة قال فينهاى تمشطت فرعون اذ سقط المشط
 من يدها قالت نس فرعون فخيرت ألبها وكان للمرأة ابنتان وزوج فارسل إليهم فرأوا المرأة وزوجها
 أن يرجعا عن دينهما فأيا قال إني قاتلكما قتالا أحسان منك البنا إن أنت قتلتنا أن نجعلنا في قبر
 واحد فجلبها في قبر واحد قتال وما وجدت رجلا أطيّب منها وقد دخلت الجنة وقد خدمت قصة
 مائة بنت فرعون وهذا المشط في أمر الخضر قد يكون مدرجا من كلام أبي بن كعب أو عبد الله بن
 عباس والله أعلم . وقال بعضهم كنيته أبو العباس والأشبه والله أعلم أن الحضرة لقب عليه . قال
 البخاري رحمه الله حدثنا محمد بن سعيد الأصماني حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام عن أبي هريرة
 عن النبي ﷺ قال إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة يضاء فلذا هي تهتز من خلفه خضراء تهتز به
 البخاري وكذلك روى عبد الرزاق عن معمر به . ثم قال عبد الرزاق الفروة الحشيش الأبيض وما أشبهه
 يعني المشيم اليابس . وقال الخطابي وقال أبو عمر الفروة الأرض البيضاء التي لا نبات فيها وقال غيره هو
 المشيم اليابس شبه بالفروة ومنه قيل فروة الرأس وهي جلدة بما عليها من الشعر كما قال الراعي .

وقد ترى الحبشى حول يوتنا جذلا اذا مائل يوما ما كلا

جدا أصك كلن فروة رأسه بمرت فانت جانيه طفلا

قال الخطابي إنما سمي الخضر خضرا لحسنه وأشراق وجهه . قلت هذا لا يتفق ما ثبت في الصحيح
 فان كان ولا بد من التحليل بإحدهما فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى بل لا يلتفت الى ما عدها وقد
 روى الحفاظ ابن عساكر هذا الحديث أيضاً من طريق اسماعيل بن حفص بن عمر الأيلي حدثنا عثمان
 وأبو جزي وهمام بن يحيى عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن ابن عباس عن النبي ﷺ
 قال إنما سمي الخضر خضرا لأنه صلى على فروة يضاء فلهتزت خضراء . وهذا غريب من هذا الوجه
 وقال قبيصة عن الثوري عن منصور عن مجاهد قال إنما سمي الخضر لأنه كان اذا صلى اخضر ماحونه
 وتهم أن موسى وروح عليهما السلام لما رجعا يقصان الأمر وجداه على طنفة خضراء على كبد البحر
 وهو مسجى بشوب قد جبل طرقة من تحت رأسه وقدميه فلم عليه السلام فكشف عن وجهه فردوا قال
 أنى بلزك السلام من أنت قال أنا موسى قال موسى بن إسرائيل قال قم فكان من أمرها ما قصه

الله في كتابه عنهما .

وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه . أحدها قوله تعالى (فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلما من من لنا علما) الثاني قول موسى له (هل أتيتك على أن تلقى عما علمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال مستجدي إن شاء الله صابرا ولا أعمى لك أمرا . قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد بل موسى إنما سأل محبة لئلا يال معنده من العلم التي اختصه الله به دونه فهو كان غير نبي لم يكن معصوما ولم تكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبه في علم ولي غير واجب العصمة ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه ولو أنه يخفى حقا من الزمان قيل ثمانين سنة ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه واتبعه في صورة مستغفد منه دل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه وقد خص من العلوم الدنية والاسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الحكيم نبي بني إسرائيل الكريم وقد احتج بهذا المسلك بيته الزماني (١) على نبوة الخضر عليه السلام . الثالث أن الخضر أقدم على قتل ذلك النمل وما ذاك إلا للوحى إليه من الملك العلام • وهذا دليل مستقل على نبوته . وبرهان ظاهر على عصمته لأن الولي لا يجوز له الاقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقي في قلبه لأن خاطره ليس بواجب العصمة إذ يجوز عليه الخطأ بالاعتق . ولما أقدم الخضر على قتل ذلك النمل الذي لم يبلغ الحلم علما منه بأنه إذا بلغ يكفر ويحصل أبوه عن الكفر لشدة محبتها له فيتأباه عليه في قلبه مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته صيانة لأبوه عن الوقوع في الكفر وعقوبه دل ذلك على نبوته وأنه مؤيد من الله بمصمته . وقد رأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بيته في الاحتجاج على نبوة الخضر وصحة . وحتى الاحتجاج عليه الزماني أيضا . الرابع أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الأقاويل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلى قال بعد ذلك كله (رحمة من ربك وماضته من أمرى) يعني ما مضته من تقواه فني بل أمرت به وأوحى إلى فيه فقلت هذه الوجوه على نبوته • ولا يتناق ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قاله آخرون . وأما كونه ملكا من الملائكة فغريب جدا . وإذا ثبت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أدب الشرع الظاهر مستند يستندون إليه ولا معتمد يستندون عليه .

وأما الخلاف في وجوده إلى زماننا هذا فلهجور على أنه بقى إلى اليوم . قيل لانه دفن آدم بعد خروجهم من الطوفان فثابه دعوة أبيه آدم بطول الحياة . وقيل لانه شرب من عين الحياة فحي .

وذكروا أخباراً استشهدوا بها على قائمه الى الآن وستوردها إن شاء الله تعالى وبه الثقة وهذه وصيته لموسى حين (قال هذا فراق بيني وبينك سأبقيكم بأويل ما لم تستطع عليه صبراً) روى في ذلك آثار متقطعة كثيرة . قال البيهقي أنبأنا أبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو عبد الله الصغار حدثنا أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا جرير حدثني أبو عبد الله الملقب قال لما أراد موسى أن يفارق الخضر قال له موسى أوصني قال كن فاعلاً ولا تكن ضاراً . كن بشاشاً ولا تكن غضباناً . ارجع عن العباجة ولا تمش في غير حاجة . وفي رواية من طريق أخرى زيادة (ولا تضحك إلا من عجب) . وقال وهب بن منبه قال الخضر يلموسى أن الناس مذبولون في الدنيا على قدر همومهم بها وقال بشر بن الحارث الحافى قال موسى للخضر أوصني فقال يسر الله عليك طاعته . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه ابن عساكر من طريق ذكره ابن أبي الوفاة إلا أنه من الكذابين الكبار . قال قرى على عبد الله بن وهب وأنا أسمع قال الثوري قال بحاله قال أبو الوداك قال أبو سعيد الحنفي قال عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ قال أخى موسى يلرب ذكر كلمته قاله الخضر وهو قى طيب الريح حسن يابض الثياب مشرهما قال السلام عليك ورحمة الله يلموسى بن عمران إن ربك يقرأ عليك السلام . قال موسى هو السلام واليه السلام والحمد لله رب العالمين الذى لا أحصى فضله ولا أقدر على أداء شكره إلا بمحرمته ثم قال موسى أريد أن توصى بوصية ينفعنى الله بها بذلك . قال الخضر ياطالب الصلح إن القاتل أقل ملامة (١) من المستمع فلا تمل جسامك إذا حدثتهم واعلم أن قلبك وعاء فانظر ماذا تحشو به وعاءك . واغرف من الدنيا وابنها وراعيك . قلها ليستاك بدار ولا لك فيها عمل قرار . وإنا جلت بركة العباد والتزود منها ليوم الماد . ورض نفسك على الصبر تخلص من الهمم . يلموسى تفرغ العلم أن كنت تريد قائماً للعلم لم تفرغ له . ولا تكن مكتئباً للعلم مهذاراً فإن كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوى السفهاء . ولكن عليك بالاعتقاد فإن ذلك من التوفيق والسداد . وأعرض عن الجهال وما ملهم وأحلم عن السفهاء فإن ذلك فعل الحكماء . وزين العلماء إذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلماً . وجانبه حزماً . فإن ما بقى من جهل عليك وسبه إليك أكثر وأعظم . يابن عمران ولا ترى أنك أوتيت من العلم إلا قليلاً . فإن الابدالات والتصرف من الاتهام والتكساف . يابن عمران لا تفتن بلاء لاندري ما غفقه ولا تنقص بلاء لاندري ما فقهه . يابن عمران من لا يفتنى من الدنيا نهته ولا تنقص منها رغبته ومن يفرح حاله ويهم الله فاقضى له كيف يكون زاهداً . هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه . أو ينفض طلب العلم والجهل قد حواه لأن سعيه الى آخرته وهو مقبل على دنياه . يلموسى تعلم ما قلعت لتسل به ولا قلعه لتحش به فيكون عليك بواره ولنترك نوره . يلموسى بن عمران اجعل الزهد والتقوى لباسك والعلم والذكر كلامك واستكثر من الحسنات فانك مصيب السبلات وزرع بطرف قلبك فإن ذلك يرضى ربك واعمل خيراً فانك لا بد

عامل سوء . قد وعظت أن حفظت * قال فتولى الخضر وبقى موسى محزوناً مكروباً يكي .
لا يصح هذا الحديث وأغلته من صنعة ذكريا بن يحيى الوقاد المصري كذبه غير واحد من الأئمة
والعجب أن الحافظ بن عساكر سكت عنه * وقال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني حدثنا سليمان بن أحمد بن
أيوب الطبراني ثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي حدثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندي
حدثنا بقة بن الوليد عن محمد بن زياد عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لا صحابه ألا أحدثكم عن
الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينا هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل ابصره رجل مكاتب قال
تصدق على برك الله فيك فقال الخضر آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ما عندي من شيء أعطيك
قال المسكين أسألك بوجه الله لا تصدقت على فاني نظرت الى السماء في وجهك ورجوت البركة عندك
قال الخضر آمنت بالله ما عندي من شيء أعطيك إلا أن تأخذني ضيعتي قال المسكين وهل يستقيم
هذا قال نعم الحق أقول لك قد سألتني بامر عظيم أما أني لا أخيبك بوجه ربي يعني قال قد قدمه الى السوق
فباعه بأربعمائة درهم فكث عند المشتري زماناً لا يستمله في شيء قال له انك اجبتني القاس خير عندي
فأوصني بصل قال أكره أن أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف . قال ليس يشق علي . قال فاعل هذه
الحجارة وكان لا يبقها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف وقد قل الحجارة في
ساعة . قال أحسنت وأجملت وأملت ما لم أرك تطيقه . ثم عرض للرجل سفر فقال إني أصيبك أينما
فلخفتي في أهل خلافة حسنة قال فأوصني بصل قال إني أكره أن أشق عليك قال ليس تشق علي قال
فأضرب من البني ليني حتى أقدم عليك ففضي الرجل لسفره فرجع وقد شيد بناؤه قال أسألك بوجه الله
ما سيبك وما أمرك قال سألتني بوجه الله والسؤال بوجه الله أوفى في اليهودية سأخبرك من أنا أنا الخضر
الذي سمعت به سألتني مسكين صدقة فلم يكن عندي من شيء أعطيه فسألتني بوجه الله فلمكنته من رقبتي
فباعني وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو بقدر وقف يوم القيامة جلده لالحم له ولا عظم
يتنقع . قال الرجل آمنت بالله شققت عليك يا بني الله ولم أعلم قال لا بأس أحسنت وأجبت . قال الرجل
يا بني وأمر يا بني الله أحكم في أهل ومالي بما أراك الله أو أخبرك فخلني سبيلك قال أحب أن تخلني سبيلي
فأعبد ربي فخلني سبيله قال الخضر الحمد لله الذي أوفى في اليهودية ثم نجاني منها . وهذا حديث رفه
خطأ والأشبه أن يكون موقوفاً وقد جاله من لا يعرف الله أعلم .

وقد رواه ابن الجوزي في كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر من طريق عبد الوهاب بن
الضحاك وهو متروك عن بقة . وقد روى الحافظ بن عساكر بإسناده الى السدي أن الخضر والياس كانا
آخرين وكان أبوهما ملكاً قال اليايس لا يسه إن أخى الخضر لا رغبة له في الملك فله أنك زوجته لعله
يحيى منه ولد يكون الملك له فزوجه أبوه بمرأة حسنة بكر قال لها الخضر إنه لاحاجة لي في النساء فان

شئت اطلقت سراحك وان شئت آفقت مئى تمديدن الله عز وجل وتكئين على سرى قتالت نعم
 وأقامت معه ستة . فلما مضت السنة دماها الملك قال إنك شابة وابنى شاب فابن الولد قتالت إنما الولد
 من عند الله ان شاء كان وان لم يشأ لم يكن ظنره أبوه فطلقها وزوجه بأخرى ثيبا قد ولد لها فلما زفت
 إليه قال لها كما قال لتي قبلها فاجابت الى الاقامة عنده . فلما مضت السنة سأها الملك عن الولد قتالت إن
 ابنتك لاحاجة له بالنساء فطلبه أبوه فهرب فلرسل وراءه فلم يقدروا عليه . فيقال إنه قتل المرأة الثانية
 لكونها أفشت سره فهرب من أجل ذلك وأطلق سراح الأخرى فقامت تعبد الله فى بعض نواحى
 تلك المدينة فمر بها رجل يوما فسمعه يقول بسم الله قتالت له أنى لك هذا الاسم قتالت لى من أصحاب
 الخضر فتزوجه فولدت له أولاداً ثم صار من أمرها أن صارت ماشطة بنت فرعون فيبناهم يوماً بمشطها
 إذ وقع المشط من يدها قتالت بسم الله قتالت ابنة فرعون أبى قتالت لا رنى وربك ورب أيك الله
 فأعلنت أباهما فامر بقتله من نحاس فاجتحت ثم أمر بها فالتقت فيه فلما عاينت ذلك تناعت أن تقع
 فيها قتالت لما ابن مسيا صنيديا أمه أصبرى فانك على الحق فالتقت نفسها فى النار فامت رحما الله وقد
 روى ابن عساكر عن أبى داود الأهمى ضعيف وهو كذاب وضاع عن أنس بن مالك ومن طريق كثير
 ابن عبد الله بن عمرو بن عوف وهو كذاب أيضا عن أبيه عن جده أن الخضر جاء ليلة فسمع النبي
 ﷺ وهو يدعو ويقول اللهم أعنى على ما ينبجى عما خوفنى وارزقنى شوق الصالحين الى ماشوقهم
 اليه فيمت اليه رسول الله أنس بن مالك فلم عليه فرد عليه السلام وقال قل له ان الله فضلك على الالياء
 كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على غيره الحديث
 وهو مكذوب لا يصح سنداً ولا متناً كيف لا يمثل بين يدى رسول الله ﷺ ويحجى بنفسه مسلماً
 ومتعلماً وهم يذكرون فى حكاياتهم وما يستندونه عن بعض مشايخهم أن الخضر يأبى اليهم ويسلم عليهم
 ويعرف أسماءهم ومنازلهم وعالمهم وهو مع هذا لا يعرف موسى بن عمران كليم الله الذى اصطفاه الله فى
 ذلك الزمان على من سواه حتى يتعرف اليه بأنه موسى بن اسرائيل . وقد قال الحافظ أبو الحسين بن
 المنادى بعد ابراهه حديث أنس هذا وأهل الحديث متفقون على أنه حديث منكر الاستاد سقيم المتن
 ويتبين فيه أثر الصنعة . فلما الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى قالاً أخبرنا أبو عبد الله الحافظ
 أخبرنا أبو بكر بن بالويه حدثنا محمد بن بشر بن مطر حدثنا كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبد الصمد
 عن أنس بن مالك قال لما قبض رسول الله ﷺ أحرق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل
 أشهب اللحية جسيم صبيح فتمخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى أصحاب رسول الله ﷺ فقال ان فى الله
 عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فاقمة وخلفا من كل حالك قالى الله فانيروا اليه فارغبوا ونظر اليكم
 فى البلاد فانظروا فان المصابين لم يغير وانصرف قال بعضهم لبعض تفرقون الرجل قتال أبو بكر وعلى

فهم هو آخر رسول الله ﷺ الخضر عليه السلام . وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن كلث بن طلحة به وفي
متنه مخالفة لسياق البيهقي ثم قال البيهقي عباد بن عبد الصمد ضعيف وهذا منكر بكرة قلت عباد بن عبد
الصمد هذا هو بن معمر البصري . روى عن أنس نسخة قال ابن حبان والقبيلي أكثرها موضوع *
وقال البخاري منكر الحديث . وقال أبو حاتم ضعيف الحديث جداً منكره . وقال بن عدي عامة ما يرويه
في فضائل علي وهو ضعيف غال في التشيع . وقال الشافعي في مسنده أخيراً القاسم بن عبد الله بن
عمر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين قال لما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التزنية
سموا قائلاً يقول إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل قائت فباثله فثقوا
وبإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب . قال علي بن الحسين أئدرون من هذا . هذا الخضر * شيخ
الشافعي القاسم العمري متروك . قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يكذب . زاد أحمد ووضع الحديث
ثم هو مرسل ومثله لا يعتمد عليه ههنا والله أعلم . وقد روى من وجه آخر ضعيف عن جعفر بن محمد
عن أبيه عن جده عن أبيه عن علي . ولا يصح . وقد روى عبد الله بن وهب عن حذثه عن محمد بن
عجلان عن محمد بن النكدر أن عمر بن الخطاب يئنا هو يصلي على جنازة أذ سمع هاتفا وهو يقول لا
نسبنا برحلك الله فانتظره حتى لحق بالصف فذكر دعاءه للبيت إن تعذب فكثيراً عصاك وإن تغفر له فقير
إلى رحمتك * ولما دفن قال طوي لك يا صاحب القبر إن لم تكن عرباً أو جالياً أو خازناً أو كاتباً أو
شرطياً قال عرفخوا الرجل فسأله عن صلاته وكلامه عن هو . قال فوارى عنهم فنظروا فلذا أثر قدمه
ذراع . قال عمر هذا والله الخضر الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ . وهذا الأثر فيه مبهم وفيه اختطاع
ولا يصح مثله .

وروى الحفاظ بن صاكر عن الثوري عن عبد الله بن محرز عن يزيد بن الاصم عن علي بن
أبي طالب قال دخلت الطواف في بعض الليل فإذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يئمنه
سمع من سمع ويا من لا تخطئه المسائل ويا من لا يبرمه الحاح الملحون ولا مسألة السائلين أرزقني برد عنوك
وحلاوة رحمتك قال قلت أعد علي ما قلت فقال لي أو سمعت قلت نعم فقال لي والقي نفس الخضر يده
قال وكان هو الخضر لا يقولها عبد خلف صلاة مكتوبة إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل ذبذبة البحر
وورق الشجر وعدد النجوم لتغرها الله له . وهذا ضعيف من جهة عبد الله بن محرز فاته متروك
الحديث وزيد بن الاصم لم يدرك علياً ومثل هذا لا يصح والله أعلم . وقد رواه أبو اسحاق الترمذي
حدثنا مالك بن اسحاق حدثنا صالح بن أبي الأسود عن محفوظ بن عبد الله الحضرمي عن محمد بن يحيى
قال يئنا علي بن أبي طالب يطوف بالكعبة إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يئمنه
سمع من سمع ويا من لا تخطئه المسائل ويا من لا يبرمه الحاح الملحون أرزقني برد عنوك وحلاوة رحمتك

قال قال له علي يا عبد الله أعد دما لك هذا قال وقد سمعته قال نعم قال قاعد به في دير كل صلاة فوالذي
ففس الخضر يده لو كان عليك من القنوب عدد نجوم السماء ومطرها وحصباء الأرض وتراها لغفر
لك أسرع من طرقة عين . وهذا أيضا منقطع وفي اسناده من لا يعرف والله أعلم .

وقد أورد ابن الجوزي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن يوسف حدثنا مالك بن
إسماعيل فذكر نحوه . ثم قال وهذا إسناد مجهول منقطع وليس فيه ما يدل على أن الرجل الخضر . وقال
الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أنبأنا أبو القاسم بن الحصين أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد أنبأنا أبو اسحق
المزكي حدثنا محمد بن إسحق بن خزيمة حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد أملاء علينا ببيادان أنبأنا عمرو بن
عاصم حدثنا الحسن بن زريق عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى
النبي ﷺ قال يلتقي الخضر والياس كل عام في الموسم فيطوق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان
عن هؤلاء السككيات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخضر إلا الله ماشاء الله لا يصرف الشر إلا الله ماشاء الله
ما كان من نعمة فمن الله ماشاء الله لآحول ولا قوة إلا بالله . قال وقال ابن عباس من قلن حين يصبح
وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من الترق والحرق والسرقة وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان
والحياة والمقرب .

قال الدار القاطن في الأفراد هذا حديث غريب من حديث ابن جريج لم يثبت به غير هذا
الشيخ عنه يعني الحسن بن زريق هذا * وقد روى عنه محمد بن كثير البدي أيضا ومع هذا قال فيه
الحافظ أبو أحمد بن عدي ليس بالمرووف * وقال الحافظ أبو جعفر الثعلبي مجهول وحديثه غير محفوظ .
وقال أبو الحسن بن المناذي هو حديث واه بالحسن بن زريق . وقد روى ابن عساكر نحوه من طريق
علي بن الحسن الجهمضي وهو كذاب عن ضرة بن حبيب المقدسي عن أبيه عن الملا بن زياد القشيري
عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعا قال يجتمع كل يوم عرفة برقت
جبريل وميكائيل وإسرافيل * والخضر وذكر حديثا طويلا موضوعا تركنا إيراد قصدا والله الحمد .
وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيى النخعي عن ابن أبي رواد قال الياس
والخضر يصومان شهر رمضان بيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من ماء زمزم شرية واحدة
تكفيهما إلى مثلها من قابل . وروى ابن عساكر أن الوليد بن عبد الملك بن مروان يأتي جامع دمشق
أحب أن يتعب ليلة في المسجد فامر القومة أن يخلوه له ففعلوا فلما كان من الليل جاء من باب الساعات
فدخل الجامع فإذا رجلا قائم يصلي فإياه وبين باب الخضر . قال القومة ألم أمركم أن تظفوه قالوا
يا أمير المؤمنين هذا الخضر يحيى كل ليلة يصلي ههنا . وقال ابن عساكر أيضا أنبأنا أبو القاسم بن إسماعيل
ابن أحمد أنبأنا أبو بكر بن الطبري أنبأنا أبو الحسين بن الفضل أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن

ابن سفيان القسوي حدثني محمد بن عبد العزيز حدثنا حمزة عن السري بن يحيى عن رباح بن عبيدة قال رأيت رجلاً يمشي عمر بن عبد العزيز متعباً على يديه قلت في غشي إن هذا الرجل حافي قال قلنا انصرف من الصلاة قلت من الرجل الذي كان متعباً على يدك آنفاً قال وهل رأيته يارباح قلت نعم قال ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً ذاك أخي الخضر بشرى أتى سألني وأعدل . قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي الرمي بجروح عند العلماء * وقد قدح أبو الحسين بن المنادي في ضربة والسري ورباح . ثم أورد من طرق آخر من عمر بن عبد العزيز أنه اجتمع بالخضر وضفها كلها . وروى ابن عساكر أيضاً أنه اجتمع بإبراهيم التيمي وبسفيان بن عيينة وجماعة يطول ذكرهم . وهذه الروايات والحكايات هي عدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم وكل من الاحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثله حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الاسناد * وقصاها أنها محيطة إلى من ليس بمصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم . وقال عبد الرزاق أنا ما مصر عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا سعيد قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الجبال وقال فيها يحدثنا يأتي الجبال وهو محرم عليه أن يدخل قباب المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خيرهم فيقول أشهد أنك أنت الجبال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ يحدثني فيقول الجبال أرايتم إن قلت هذا ثم أحيتهم أفتشكون في الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحيه فيقول حين يحيي والله ما كنت أشد بصيرة فيك مني الآن قال فريد قتله الثانية فلا يسلط عليه قال مبر بلقي أنه يحمل على حقه صحيفة من نحاس وبلقي أنه الخضر الذي يقتله الجبال ثم يحيه وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري به وقال أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن سفيان التميمي الراوي عن مسلم الصحيح أن يقال إن هذا الرجل الخضر وقول مبر وغيره بلقي ليس فيه حجة وقد ورد في بعض الفاظ الحديث فيأتي شاب ممثلي شاباً فيقتله وقوله الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ لا يقتضي المشافهة بل يكفي التواتر . وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه عمالة المنتظر في شرح حالة الخضر للاحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فيبين أنها موضوعات ومن الأكثر عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فيبين ضعف أسانيدنا بيان أحوالها وجهات رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الاعتماد * وأما الذين ذهبوا إلى أنه قد مات ومنهم البخاري وإبراهيم الحارثي وأبو الحسين بن المنادي والشيخ أبو الفرج بن الجوزي وقد اتصروا لذلك ولف فيه كتاباً سماه عمالة المنتظر في شرح حالة الخضر فيحتج لهم بأشياء كثيرة * منها قوله (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فلنضر إن كان بشراً قد دخل في هذا العموم لعمالة ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح انتهى والاصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن مصوم يجب قبوله . ومنها أن الله تعالى قال (وإذا أخذ الله ميتات النبيين لما آتيتكم من كتاب

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أفرأيتم على ذلك إصرى قالوا
أفرأيتنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قال ابن عباس ما بئس الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لتن
بئس محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه. وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لتن بئس محمد وهم أحياء ليؤمنن
به وينصرنه. ذكره البخارى عنه فلتظن إن كان نبياً أو ولياً قد دخل في هذا الميثاق فهو كان حياً في زمن
رسول الله ﷺ لكن أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره أن يصل
احد من الاعداء اليه لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه وإن كان نبياً فوسى أفضل منه وقد روى
الامام أحمد في مسنده حدثنا شرح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجاهد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله
أن رسول الله ﷺ قال والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حياً ما وسه إلا أن يقبضى . وهذا الذى
يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة . وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة أن الانبياء كلهم لو فرض
أنهم أحياء مكلفون في زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلهم أتباعاً له وتحت أوامره وفى عموم شرعه
كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع معهم ليلة الاسراء رفع فوقهم كلهم ولما هبطوا معه الى
بيت المقدس وحانت الصلاة أمره جبريل عن أمر الله أن يؤمهم فصلى بهم فى محل ولايتهم ودار
اقامتهم فدل على أنه الامام الاعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم
أجمعين . فاذا علم هذا وهو معلوم عند كل مؤمن علم أنه لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد
ﷺ ومن يقتدى بشرعه لا يسه إلا ذلك * هذا عيسى بن مريم عليه السلام اذا نزل فى آخر الزمان
يحكم بهذه الشريعة المطهرة لا يخرج منها ولا يبدلها وهو أحد أولى العزم الخمسة المرسلين وخاتم أنبياء
بنى إسرائيل والمعلوم أن الخضر لم ينزل بسند صحيح ولا حسن فسكن النفس اليه أنه أجمع يرسل الله
ﷺ فى يوم واحد ولم يشهد معه قتالا فى مشهد من المشاهد وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق
فيما دعا يلهى عز وجل واستنصره وأستغنى على من كفره اللهم إن تهلك هذه العصابة لأتبعها فيها
الارض وتلك العصابة كان فيها سادة المسلمين يومئذ وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام كما قال
حسان بن ثابت فى قصيدته له فى بيت يقال إنه أنكر بيت قتله العرب

وثبير بدر أنزرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

فلا تكن الخضر حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته . قال القاضي
أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات فقال نعم قال وبلى
مثل هذا عن أبي طاهر بن التبارى قال وكان يحتج بأنه لو كان حياً لجاء الى رسول الله ﷺ . فله ابن
الجززى فى السبابة فان قيل فهل يقال إنه كان حاضراً فى هذه المواطن كلها ولكن لم يكن أحد يراه .
فالجواب أن الاصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذى يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات .

ثم ما الحاصل له على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لاجره وأعلى في مرتبته وأظهر لمجزئه . ثم لو كان باقيا
بلده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الاحاديث النبوية والآيات القرآنية وانكلاؤه لما وقع من
الاحاديث المكذوبة والروايات الخلوقة والآراء البهيمية والاهواء الصببية وقائه مع المسلمين في
غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم ونهه إياهم ودفعه الضرر عنهم عن سوامم وتبديده العناء والحكام
وتحريره الامة والاحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الامصار وجوبه الباقى والاقطار . وإجتماعه
ببباد لا يعرف أحوال كثير منهم وجعله لهم كالتيقب المترجم عنهم . وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف احد
فيه بعد التوفيق والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ صلى ليلة المشاء
ثم قال أرأيتم ليحكم هذه قلة الى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الارض اليوم أحد . وفرواية عين
تطرف . قال ابن عمر قَوْلُ هَلْ النَّاسُ فِي مَقَاتِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْخَرَامَ قُرْنِهِ . قال
الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله وأبو بكر بن سليمان
ابن أبي خيثمة أن عبد الله بن عمر قال صلى رسول الله ﷺ ذات ليلة المشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال
أرأيتم ليحكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن على ظهر الارض أحد وأخرجه البخاري ومسلم من
حديث الزهري * وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن
جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ قبل موته بقليل أو بشهر ما من نفس متفوسة أو مامنكم من نفس
اليوم متفوسة يأتى عليها مائة سنة وهي يومئذ حية وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا بن أبي خيثمة عن
أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال قبل أن يموت بشهر يسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله
أقسم بالله ما على الارض نفس متفوسة اليوم يأتى عليها مائة سنة . وهكذا رواه مسلم عن طريق أبي نضرة
وأبي الزبير كل منهما عن جابر بن عبد الله به نحوه . وقال الترمذي حدثنا عباد حدثنا أبو معاوية عن الاعشى
عن أبي سفیان عن جابر قال قال رسول الله ﷺ ما على الارض من نفس متفوسة يأتى عليها مائة سنة . وهذا
أيضا على شرط مسلم . قال ابن الجوزي فهذه الاحايت الصماح تقطع دابر دعوى حياة الخضر . قالوا
فالخضر لمن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ كالمؤمن المظنون الذي يترقى في القوة الى القطع فلا إشكال
وإن كان قد أدرك زمانه فهذا الحديث يقتضى أنه لم يشهد مائة سنة فيكون الآن معقودا لا موجودا
لانه داخل في هذا السوم والاصل عدم المحصل له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله والله أعلم .
وقد حكى الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والاحكام عن البخاري وشيخه أبي بكر بن
الربيع أنه أدرك حياة النبي ﷺ ولكن مات بعد هذا الحديث وفيكون البخاري رحمه الله يقول بهذا
وأنه بقي الى زمان النبي ﷺ نظر * ورجح السهيلي قتاده وحكاه عن الاكثرين . قل وأما إجتماعهم

مع النبي ﷺ وتمزيقه لاهل البيت بده قروى من طرق صحاح ثم ذكر ما قدمه بما ضفاه ولم يورد
أسانيدها والله أعلم

واما الياس عليه السلام

قال الله تعالى بعد قصة موسى وهرون من سورة الصافات (وإن الياس لمن المرسلين . إذ قال لقومه
ألا تتقون . أتدعون بللا وتذرون أحسن الخلاقين . الله ربكم أباهم الأولين . فكذبوه قتلهم
لخضرور . إلا عباد الله المخلصين . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على الياسين . إنا كذلك نجزي
الحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين) قال علماء النسب هو الياس التتشي * ويقال ابن ياسين بن فضاح
ابن العيزار بن هرون * وقيل الياس بن العازر بن البزار بن هارون بن عمران . قالوا وكان إرساله إلى
أهل بيليك غربي دمشق فضاها إلى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بللا . وقيل
كانت امرأة أسماها بل والأول أصح . ولهذا قال لهم (ألا تتقون .) أتدعون بللا وتذرون أحسن
الخالقين . الله ربكم أباهم الأولين) فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله فيقال إنه هرب منهم واختفى
عنهم * قال أبو يعقوب الأذهرى عن يزيد بن عبد الصمد عن هشام بن عمار قال سمعت من يذكر عن
كعب الاحبار أنه قال إن الياس اختفى من ملك قومه في النار التي تحت السم حشر ستين حتى أهلك
الله الملك وولى غيره فاته الياس فرض عليه الاسلام فسلم وأسلم من قومه خلق عظيم غير عشرة آلاف
منهم ظن بهم قتلوا عن آخرهم . وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو محمد التميمي بن هاشم حدثنا عمر بن
سعيد المشقي حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال أقام الياس عليه السلام هاربا من
قومه في كهف جبل عشرين ليلة أو قال أربعين ليلة تأتيه الثريدان برزقه . وقال محمد بن سعد كاتب
الواقدي أنباء هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال أول نبي بعث إندريس ثم نوح ثم ابراهيم
ثم اسحاق ثم يعقوب ثم يوسف ثم لوط ثم هود ثم صالح ثم شيب ثم موسى وهارون إنا
عمران ثم الياس التتشي بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق
ابن ابراهيم عليهم السلام هكذا قال وفي هذا الترتيب نظر * وقال مكحول عن كعب أربعة أنبياء أحياء
اثنتان في الأرض الياس والخضر واثنتان في السماء إندريس وعيسى . وقد قدمنا قول من ذكر أن
الياس والخضر يجتمعان في كل عام في شهر رمضان بيت المقدس وأنها يجبان كل سنة ويشريان
من زهرهم شربة تسكنهما إلى مثلها من العام المقبل * وأوردنا الحديث الذي فيه أنها يجتمعان بهرقت
كل سنة ويبتا أنه لم يصح شيء من ذلك وأن الذي يقوم عليه القليل أن الخضر ملك وكذلك الياس
عليهما السلام . وما ذكره وهب بن منبه وغيره أنه لا دماره عز وجل أن يقبضه إليه لا كذبوه وآخوه

بجفاته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله له ريشا وألبسه النور وقطع عنه لثة الطعام والمشرب وصار ملكيا بشرا سابوتا أرضيا وأوصى الى اليسع بن أخطوب ففى هذا نظر وهو من الاسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بيّنة والله أعلم .

فلما الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنى أبو العباس أحمد ابن سعيد المدائنى يخبرنا حدثنا عبد الله بن محمود حدثنا عبدان بن ستان حدثنى أحمد بن عبد الله البرقى حدثنا يزيد بن يزيد البلوى حدثنا أبو اسحاق الفزارى عن الاوزاعى عن مكحول عن أنس بن مالك قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فزلنا منزلا فاذا رجل فى الوادى يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد ﷺ المرحومة المغفورة الخائب لما قال فأشرفت على الوادى فاذا رجل طوله أ كثر من ثلاثمائة ذراع قال لى من أنت قلت أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال فأين هو قلت هوذا يسمع كلامك قال فانه فأقره السلام وقل له أخوك الياس يقرئك السلام قل فانيت النبي ﷺ فأخبرته بخبره فجاء حتى تقيه فهاهنا وسلم هم قداما يتحاذيان فقال له يا رسول الله إلى ما آكل كل فى سنة إلا يوما وهذا يوم فطرى فأكل أنا وأنت قال فزلت عليهما مائة من السماء عليها خبز وحب وكرفس فأكلا وأطعمنا وصلينا العصر ثم ودعنا ورايت سرى السحاب فهو السماء . فقد كنا فى البيهقى أمره وقال هذا حديث ضعيف بمره والسبب أن الحاكم أبى عبد الله النيسابورى أخرجه فى مستدركه على الصحيحين وهذا مما يستدرك به على المستدرك فانه حديث موضوع مخالف للأحاديث الصحيح من وجوه . ومعناه لا يصح أيضا فقد تقدم فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لى أن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى السماء أنى قال ثم لم يزل انطلق ينقص حتى الآن وفيه أنه لم يأت الى رسول الله ﷺ حتى كان هو الذى ذهب اليه . وهذا لا يصح لأنه كان أحق بالرسى الى بين يدى خاتم الانبياء . وفيه أنه يأكل فى السنة مرة وقد تقدم عن وهب أنه سلبه الله لثة الطعام والمشرب وفيما تقدم عن بعضهم أنه يشرب من زهره كل سنة شربة تكفيه الى مماتها من الخول الآخر . وهذه أشياء متعارضة وكلها باطلة لا يصح شئ منها . وقد ساق ابن عساکر هذا الحديث من طريق أخرى واعترف بضعها وهذا عجيب منه كيف تكلم عليه قاله أوردته من طريق حسين بن عرقه عن هاشم بن الحسن عن بقة عن الاوزاعى عن مكحول عن واثقه عن ابن الاسقع قد ذكر نحو هذا مطولا وفيه أن فلك كان فى غزوة تبوك وأنه بعث اليه رسول الله ﷺ أنس ابن مالك وحذيفة بن اليمان قالا فاذا هو أعلى جبا بذراعين أو ثلاثة واعتذر بعدم قدرته فلا تنفر الا بل وفيه أنه لما اجتمع به رسول الله ﷺ أكل من طعام الجنة وقال لى فى كل أربعين يوما أكلة وفى المائة خبز ورمز وحنطب وموز ودرطب وقل ماعدا السكرات وفيما أن رسول الله ﷺ سأل عن الخضر قال عهدى به عام أول وقال لى إنك ستقاه قبل فأقره منى السلام . وهذا يدل على أن الخضر

والياس بتقدير وجودهما وصحة هذا الحديث لم يجتمعا به إلى ستة تسع من الهجرة وهذا لا يسوغ شرعاً
وهذا موضوع أيضاً . وقد أورد ابن عساكر طرقاً فيمن اجتمع بالياس من البعاد وكما لا يفرح بها
لضيف إسنادها أو لجهالة المستداليه فيها * ومن احسنها ما قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني بشر بن ماذ
حدثنا حماد بن واقد عن ثابت قال كنا مع مصعب بن الزبير بسواد السكوة فدخلت حائطاً أصلى فيه
ركعتين فالتفت (حم تزيل الكتاب من الله العزيز العظيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذی الطول) . فإذا رجل من خلفي على بئله شبهاء عليه مقطعات يمينه فقال لي إذا قلت غافر الذنب قل
يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي * وإذا قلت قابل التوب قل يا قابل التوب قبل توبتي . وإذا قلت شديد
العقاب قل يا شديد العقاب لا تمأقني . وإذا قلت ذی الطول قل إذا الطول تطول علي برحة فالتفت
فإذا لأحد وخرجت فالتفت مر بك رجل على بئله شبهاء عليه مقطعات يمينه قالوا ما مر بنا أحد فكأوا
لا يرون إلا أنه الياس . وقوله تعالى . (فكذبوه قلمهم لمخضرون) أي للمذاب إمامي الدنيا والآخرة
أو في الآخرة والأول أظهر على ما ذكره المفسرون والمؤرخون . (وقوله إلا عباد الله المخلصين) أي
إلا من آمن منهم وقوله (وتركنا عليه في الآخرين) أي إبقينا بعده ذكرًا حسنًا في العالمين فلا
يذكر إلا بخير ولهذا قال (سلام على الياسين) أي سلام على الياس . العرب تلحق النون في أسماء كثيرة
وتبدلها من غيرها كما قالوا اسماعيل واسماعيل واسرائيل واسرائين والياس والياسين . ومن قرأ سلام
على آل ياسين أي على آل محمد وقرأ ابن مسعود وغيره سلام على ادراسين . وهل عنه من طريق
اسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال الياس هو ادريس واليه ذهب الضحاك بن
مزاحم وحكاة قتادة ومحمد بن اسحاق والصحيح أنه غيره كما تقدم والله أعلم . *
بحمد الله تعالى قد تم الجزء الأول من كتاب البداية والنهاية ويليها الجزء الثاني وأوله
(بل ذكر جماعة من أنبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام)

وقد بذلنا الجهد في تصحيحه وتقحيحه مع الاستاذ السلامه والمحقق الفهامة الشيخ محمود الامام
المنصوري من كبار المدرسين بالأزهر الشريف فصار الكتاب مصححاً تصحيحاً جيداً إلا ما سبق عنه
النظر وزاغ عنه البصر * (هذا) ولعل أيضاً أنه طبع على ثلاث نسخ قديمة مهمة ما هذا الثمانية ملازم
الاول فلها طبع على النسختين الموجودتين بملكية المكتبة المصرية قبل أن تصلنا النسخة الحالية . وقد
تمهد الاستاذ العلامة الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي بمقابلة الملائم المذكورة بالنسخة الحالية العظيمة وبأن
الاختلاف لنقله بآخر الكتاب . بمون الملك الوهاب مع ما يمرض في أثناء الطبع من الملاحظات
فترجو من قراء هذا الجزء أن ينهتوا على ما يقع فترم عليه من انطباع والصواب لتستدركه
في آخر الكتاب ولهم الأجر والثواب * حرره الفقير اليه فرج الله ذكي السكودي .

فهرست الجزء الاول

﴿من البداية والنهاية﴾

صفحة	صفحة
٥٤ فصل في تفصيل الملائكة على البشر	٤ خطبة الكتاب
٥٥ بلب ذكر خلق الجن وقصة الشيطان	٦ سبب تأليف الكتاب والطريقة التي اتبناها المؤلف فيه
٦٨ بلب ذكر ماورد في خلق آدم عليه السلام	٨ فصل في بيان خلق السموات والأرض
٧٣ ذكر الملائكة المأمورين بالسجود لآدم	٩ فصل فيها ورد في صفة خلق العرش والكرسي
٧٥ ذكر الجنة التي دخلها آدم هل هي في السماء أو في الأرض .	١٤ ذكر اللوح المحفوظ
٨١ ذكر احتجاج آدم وموسى عليهما السلام	١٥ بلب ماورد في خلق السموات والأرض وما بينهما مفصلاً .
٨٥ ذكر الاحاديث الواردة في خلق آدم عليه السلام .	١٨ بلب ما جاء في سبع أرضين
٩٢ ذكر قصة ابني آدم قابيل وهابيل	٢٢ فصل في البطار والأنهار
٩٨ ذكر وفاة آدم ووصيته إلى ابنه شيث عليه السلام .	٢٦ الآثار التي وردت ذكرها في الحديث
٩٩ ذكر ادريس عليه السلام	٢٨ فصل في بيان سائر الخلق . في البراري والبحار .
١٠٠ قصة نوح عليه السلام	٢٩ بلب ذكر ما يتعلق بخلق السموات وما فيها من الآيات والنباتات
١١١ ذكر معنى التنوير في آية الطوفان	٣١ ذكر الاجماع على أن السموات كرة مستديرة
١١٥ ذكر أولاد نوح الثلاثة	٣٣ ذكر حديث سبب النهر
١١٨ ذكر شيء من اخبار نوح ضمه عليه السلام	٣٤ ذكر ان اليونانيين بنوا دمشق قبل المسيح
١١٨ ذكر صومه عليه السلام	٣٧ ذكر ان قصة هاروت وماروت من الاسرائيليات .
١١٩ ذكر حجه عليه السلام	٣٨ الكلام على الهجرة وقوس قزح
١١٩ ذكر وصيته لولده عليه السلام	٤٠ بلب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم عليهم السلام
١٢٠ قصته عليه السلام	٤٣ ذكر ماورد في صفة جبريل عليه السلام
١٢١ ذكر ان عاداً والأولى أول الامم عبدوا الاصنام بعد الطوفان .	٤٥ ذكر ماورد في صفة اسرافيل عليه السلام
١٣٠ قصة صالح عليه السلام نبي عمود	٤٧ ذكر ماورد في صفة ميكائيل الموت
١٣٧ ذكر أبي رغال من بني عمود	٤٩ فصل في اقسام الملائكة
١٣٨ ذكر مهرون النبي صلى الله عليه وآله بوادي	

صفحة .

صفحة .

- ١٣٩ قصة ابراهيم الخليل عليه السلام
١٤٧ ذكر مناظرة ابراهيم الخليل مع من أراد
أن يتنازع الرب الخليل في النطفة والكبرياء
١٤٩ ذكر هجرة الخليل عليه السلام الى بلاد
الشام . ودخوله القبط المصرية واستقراره
في الارض المقدسة
١٥٣ ذكر مولد اسماعيل عليه السلام من هاجر
١٥٤ ذكر مهاجرة ابراهيم بابنه اسماعيل وامه هاجر
الى جبال فلران وهي ارض مكة
١٥٧ قصة الذبيح
١٦٠ ذكر مولد اسحاق عليه السلام
١٦٣ ذكر بناء البيت الثيق
١٦٦ ذكر قضاء الله ورسوله الكريم على عبده
وخليفه ابراهيم .
١٧٢ ذكر قصره في الجنة
١٧٣ ذكر صفة ابراهيم عليه السلام
١٧٣ ذكر وفاته وما قيل في عمره
١٧٥ ذكر أولاده عليه السلام
١٨٣ قصة مدين قوم شيب عليه السلام
١٩١ باب ذكر ذرية ابراهيم عليه السلام
١٩١ ذكر اسماعيل عليه السلام
١٩٣ ذكر اسحاق بن ابراهيم الكريم عليهما
السلام .
١٩٧ ذكر ما وقع من الامور العجيبة في حياة
اسرائيل .
٢٢٠ قصة أيوب عليه السلام
٢٢٥ قصة نوح الكفل
٢٢٧ باب ذكر أمم اهلكوا بامه
- ٢٢٩ قصة قوم يس وهم اصحاب القرية
٢٣١ قصة يونس عليه السلام
٢٣٦ ذكر فضل يونس عليه السلام
٢٣٧ ذكر قصة موسى الكليم عليه السلام
٢٥٩ فصل في تحريض كبراء القبط فرعون على
اذية موسى عليه السلام بعد اسلام السحرة
٢٦٨ ذكر هلاك فرعون وجنوده
٢٧٤ فصل فيما كان من امر بني اسرائيل
بعد هلاك فرعون
٢٨٠ فصل في دخول بني اسرائيل التيه
٢٨٣ سؤال الرؤية
٢٨٦ قصة عبادتهم العجل في غيبة كليم الله عنهم
٢٩٢ ذكر حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان
٢٩٣ قصة بقرة بني اسرائيل
٢٩٥ قصة موسى والخضر عليهما السلام
٣٠٠ ذكر الحديث المقتب بمحدث الثنون
المتضمن قصة موسى مفعلا من اوله الى آخره
٣٠٧ ذكر بناء قبة الزمان
٣٠٩ قصة قارون مع موسى عليه السلام وشيائمه
وصفاته ووقته
٣١٢ باب ذكر فضائل موسى عليه السلام
٣١٦ ذكر حجته عليه السلام الى البيت الثيق
٣١٦ ذكر وفاته عليه السلام
٣١٩ ذكر نبوة يوشم وقيامه باعباء بني اسرائيل
بعد موسى وهارون .
٣٢١ ذكر أسباط بني اسرائيل وهما بهم ومقدار
جيوشهم
٣٢٢ ذكر قصة بلعام وأنه كان يعلم الاسم الاعظم
وأن قومه كانوا أن يدعوا على موسى وقومه

- وأنه حل قومه على لإرسال فاتهم إلى
المسكر الخ الخ ٣٢٦
- ذكر وقت هارون وموسى وخروج جيش
بنى إسرائيل من التيه وقطيع نهر الاردن
ومحاصرة أريحا وأن التى فتحها هو
يوشع بن نون وأن الشمس لم تحبس
إلا له الخ الخ ٣٢٧
- ذكر أنه لما دخل بهم لب المدينة أمروا
أن يدخلوها سجدا شاكرين لله عز وجل
على هذا الفتح العظيم وأن يقولوا حال
دخولهم حلة . . ومخالفتهم ذلك وأن الله
عاقبهم على هذه المخالفة بارسال الرجز
عليهم وتفسير ذلك ٣٢٨
- ذكر قصى الخضر والياس عليهما السلام
٣٢٩
- ذكر الاختلاف في اسم الخضر ونسبه وزمن
وجوده ونبوته وحياته الى الان مفصلا
٣٣٠
- ذكر أن الخضر والياس كانا أخوين وكان
أبوهما ملكا وطلب الياس من أبيه أن
يزوج الخضر فزوجه وليس له حاجة في
النساء الخ الخ ٣٣١
- ذكر قصة ماشطة بنت فرعون وما كان من
أمرها معها ٣٣٢
- ذكر الاحاديث الواردة في شأن الخضر
وأحواله وأنه لو كان في زمن رسول الله
لاجتمع به وساعده في غزواته ٣٣٣
- ذكر الياس ويان نسب ودعوة قومه الى
الايان وتكفيرهم له وتعذيبهم إياه وسائر
أحواله واجتماعه برسول الله ﷺ مفصلا
٣٣٤

الْبَيْدَلِيَّةُ وَالنِّهَايَةُ

﴿ في التاريخ ﴾

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

﴿ الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ سنة ١٩٣٢ م ﴾

بنفقة مطبعة السعادة والمطبعة السلفية ومكتبة الخانجي

المجمع العلمي

بنفقة النخاعة بحرا محافظة بصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب في ذكر جماعة من انبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام

ثم تقبصهم بذكر داود وسليمان عليهما السلام . قال ابن جرير في تاريخه لاخلاف بين أهل العلم
بأخبار الماضين وأموال الذين من أمتنا وغيرهم أن القام بأمر بني اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا
يعني أحد أصحاب موسى عليه السلام وهو زوج أخته مريم وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله
وهما يوشع وكالب وهما اللذان لبني اسرائيل حين فكلوا من الجهاد (أدخلوا عليهم الباب فإذا
دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) قال ابن جرير ثم من بعده كلن القام بأمر
بني اسرائيل حزقيل بن بوذي وهو الذي دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

قصة حزقيل

قال الله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم
أحيام إن الله لتوفض على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) . قال محمد بن اسحاق عن

وهب بن منه إن كالب بن يوفيا لما قبضه الله إليه بسد يوشع خلف في بني إسرائيل حزقيل بن بوذي
وهو ابن العجوز وهو الذي دعا لقوم الذين ذكرهم الله في كتابه فبنا (ألم تر إلى الذين خرجوا من
ديارهم وهم ألوف حذر الموت) قال ابن إسحاق فروا من الولد قتلوا بضيد من الأرض قال لهم الله
موتوا فأتوا جميعا فخطروا عليهم خطيرة دون السباع فضبت عليهم دهور طويلة فربهم حزقيل عليه
السلام فوقف عليهم منعكرا قيل له أحب أن يمشهم الله وأنت تنظر فقال نعم فأمر أن يدعوا تلك
الظلام أن تكتسى لها وأن يحصل المصب بمضه بعض فناداهم عن أمر الله له بذلك قام القوم أجمعون
وكبروا تكبيرة رجل واحد . وقال أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس
وعن مرة عن ابن مسعود وعن أنس من الصحابة في قوله . (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم
ألوف حذر الموت قال لهم الله موتوا ثم أحيام) قالوا كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع
بها الطاعون فهرب عامة أهلها فقتلوا ثلثية منها فبقيت من بقي في القرية وسلم الآخرون فلم يمت منهم
كثير فلما ارتفع الطاعون رجوا سالمين قال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صفتنا كما صفتوا
بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن منهم فوق في قايل فهربوا وهم بضعة وثلثون ألفا حتى تزلوا
ذلك المكان وهو واد أبيض فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن يموتوا فأتوا حتى إذا
هلكوا وبقيت أجسادهم سر بهم نبي يقال له حزقيل فلما رآهم وقف عليهم فجعل يفكر فيهم ويلجى
شديقه وأسأله فوحي الله إليه تريد أن أريك كيف أحبيهم قال نعم وإنما كان منكزه أنه تعجب من
قدرة الله عليهم قيل له ناد فتادى يا أيها الظلام ان الله يأمرك أن تجمعي فجمعت الظلام بطير بعضها
إلى بعض حتى كانت أجسادهم عظام ثم أوحى الله إليه ان ناد يا أيها الظلام ان الله يأمرك أن تكتسى
لها فاكست لها ودما وثيابها التي ماتت فيها . ثم قيل له ناد فتادى أيها الأجساد ان الله يأمرك أن
تقوى فقاموا . قال أسباط فزعهم منصور عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا (سبحانك اللهم وبحمدك
لا إله إلا أنت) فوجوا إلى قومهم أحياء يمزفون أنهم كانوا موفى سحنة الموت على وجوههم لا
يلبسون ثوبا إلا عاد رنبا حتى ماتوا لا يجالهم التي كتبت لهم . وعن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف
وعنه ثمانية آلاف وعن أبي صالح تسعة آلاف وعن ابن عباس أيضا كانوا أربعين ألفا . وعن سعيد
ابن عبد العزيز كانوا من أهل أندلس . وقال ابن جرير عن عطاء هذا مثل يعني أنه سبق مثلا ميتا
أنه لن ينفى حذر من قدر وقول الجمهور أقوى أن هذا وقع . وقد روى الإمام أحمد وصاحب الصحيح
من طريق الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل
عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان يسرغ لقيه أمراء الاجناد
أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فخبروه أن الولد وقع بالثام فذكر الحديث يعني في مشاورته المهاجرين

والأفصار فاختطفوا عليه فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متعباً يرض حاجته فقال إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه فحمد الله عزهم أنصرف . وقال الامام حدثنا حجاج ويزيد المفتي (١) قال حدثنا ابن أبي ذؤيب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عاصم بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبره عن عمر وهو في الشام عن النبي ﷺ أن هذا السقم غلب به الأمم قبلكم فلذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه قال فرجع عمر من الشام . وأخرجاه من حديث مالك عن الزهري به نحوه *

قال محمد بن إسحاق ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل في بني إسرائيل * ثم إن الله قبضه إليه * فلما قبض نسي بنو إسرائيل عهد الله إليهم وعظمت فيهم الأحداث وعبدوا الأوثان وكان في جملة ما يعبدهون من الأصنام صنم يقال له بل فبعث الله إليهم الياس بن يساين بن فنحاص بن اليزار بن هارون ابن عمران * قلت وقد قمنا قصة الياس تباً لقصة الخضر لأنهما يقرآن في الذكر غالباً ولأنجل أنها بد قصة موسى في سورة الصافات فنتجلبنا قصته لتلك والله أعلم . قال محمد بن إسحاق فيما ذكره عن وهب ابن منبه قال ثم أتينا فيهم بسد الياس وصيه اليسع بن أخطوب عليه السلام وهذه *

قصة اليسع عليه السلام

وقد ذكره الله تعالى مع الأنبياء في سورة الأنعام في قوله (وإسماعيل وإلياس ويونس ولوطاً وكلاً فضلاً على العالمين) وقال تعالى في سورة ص (واذكر إسماعيل وإلياس وذا الكفل وكل من الأخيار) قال إسحاق بن بشر أبو حذيفة أبناً سمي من قتادة من الحسن قال كان بسد الياس اليسع عليهما السلام فكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستسكاً بمنهاج الياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل إليه ثم خلف فيهم الخلف وعظمت فيهم الأحداث وانططبا وكثرت الجبابرة وقتلوا الأنبياء وكان فيهم ملك عنيد طاغ * ويقال إنه الذي تكفل له ذو الكفل إن هو ثلب ورجع فدخل الجنة فسعى ذا الكفل *

قال محمد بن إسحاق هو اليسع بن أخطوب . وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في حرف الياء من تاريخه اليسع وهو الأسباط بن عدي بن شولم بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل * ويقال هو ابن عم الياس النبي عليهما السلام . ويقال كان مستغنياً به بجبل قاسيون من ملك بابل ثم ذهب معه إليها فلما دفع الياس خلفه اليسع في قومه ونباه الله بسده . ذكر ذلك عبد المنعم بن

(١) هو يزيد بن أبي حبيب قال ابن سعد كان مفتي أهل مصر في زمانه وكان حلياً عاقلًا وكان أول

من أظهر العلم بمصر والكلام في الحلال والحرام ومساائل أم محمود الامام

أندريس عن أبيه عن وهب بن منبه . قال وقال غيره وكلان يائياس . ثم ذكر ابن صاكر قراءة من قرأ
 اليسع بالتحفيف والتشديد ومن قرأ واليسع وهو اسم واحد لهما من الأنبياء * قلت قد قسمنا قصة
 ذا الكفل بدعوة أيوب عليها السلام لأنه قد قيل إنه ابن أيوب فله أعلم

فصل

قال ابن جرير وغيره ثم مرجع أسرى بني إسرائيل وعظمت منهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا
 من الأنبياء وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله عليهم
 الأعداء من غيرهم أيضاً وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم بآيات الميثاق الذي كان في قبة
 الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ويركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية بما ترك آل موسى
 وآل هارون فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبهم وقهرهم على أخذه فأنزعه من
 أيديهم فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان ملك عتقه فأتى كنعاناً وبنى بني إسرائيل كالتنم
 بلاراع حتى بث الله فيهم نيكاً من الأنبياء يقال له شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا به
 الأعداء فكان من أمرهم ما سئد ذكره بما قص الله في كتابه . قال ابن جرير فكان من وفاة يوشع بن
 نون إلى أن بث الله عز وجل شمويل بن بلي أربعاً وستون سنة * ثم ذكر تفصيلها بمجد الملوك
 الذين ملكوا عليهم وسام واحداً واحداً تركنا ذكرهم قصداً *

قصة شمويل عليه السلام

﴿ وفيها بدأ أمر داود عليه السلام ﴾

هو شمويل ويقال له أشمويل بن بلي بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهور بن صوف بن علقمة
 ابن مائش بن عوصابن عزرا * قال مقاتل وهو من ورثة هارون وقال مجاهد هو أشمويل بن هلفا
 ولم يرفع في نفسه أكثر من هذا فله أعلم *

حكى السدي بإسناده عن ابن عباس وابن مسعود وأنس من الصحابة والثعلبي وغيرهم أنه لما غلبت
 العمالة من أرض غزة وعسقلان على بني إسرائيل وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا من ابتلهم جداً كثيراً
 واقتطعت النبوة من سبط لاوي ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلى فجعلت تدعو الله عز وجل أن يرزقها
 ولما ذكرها فولدت غلاماً فسمته أشمويل وسمته بالعبرانية إسماعيل أي سمع الله دعائي فلما تعرض بنيه
 إلى المسجد وأسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته فكان عنده فلما بلغ أشده
 وبنا هو ذات ليلة فسمع إذا صوت يأتيه من ناحية المسجد فقبه مذعوراً فظنه الشيخ يدعو فأنه أذعرتني

فكره أن يفزع قال نعم ثم فنام . ثم ناداه الثانية فكذلك ثم الثالثة فلذا جبريل يدعوه فجاءه فقال إن ربك قد بشك إلى قومك فكان من أمره معهم ما قص الله في كتابه قال الله تعالى في كتابه العزيز (ألم تر إلى اللأمن بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابث لنا ملكا فأتاه في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين . وقال لهم نبيهم إن الله قد بش لك طالوت ملكا قالوا أي يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن ياتيكم التابوت فيه سبينة من ربكم وبقية مما ترك آك موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فله مني إلا من اغترف غرفة بيده فشرب منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاعة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بذن الله والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزمهم بذن الله وقتل داود جالوت وأكله الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

قال أكثر المفسرين كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو شمویل . وقيل شموون وقيل هما واحد وقيل يوشع وهذا بيد ما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير في توفيقه أن بين موت يوشع وبنة شمویل أربع مائة سنة وستين سنة والله أعلم *

والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكهم الحروب وقهرهم الأعداء سألوا نبي الله في ذلك الزمان وطلبوا منه أن ينصب لهم ملكا يكونون تحت طاعته ليقاوموا من ورائه ومنه وبين يديه الأعداء فقال لهم (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله) أي وأي شيء يمننا من القتال وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) يقولون نحن محروبون موتورون نحقق لنا أن هاتل عن أبنائنا المهورين المستضعفين فيهم الأسودين في قبضتهم . قال تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) كما ذكر في آخر القصة أنه لم يجاوز النهر مع الملك إلا القليل والباقيون رجسوا ونكلوا عن القتال (وقال لهم نبيهم إن الله قد بش لك طالوت ملكا) قال الأنبيى وهو طالوت بن قيش بن أفيل بن صارون بن حورث بن أقيح بن أئيس بن ييامين بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل .

قال عكرمة والسدي كان سقما وقال وهب بن منبه كان جبلا. وقيل غير ذلك فلهذا علم ولهذا (قالوا)
 (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) وقد ذكروا أن النبوة كانت في
 سبط لاوى وأن الملك كان في سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين فزروا منه وطعنوا في إمارته
 عليهم وقالوا نحن أحق بالملك منه وذكروا أنه قدير لاسعة من المال مه فكيف يكون مثل هذا ملكا .
 (قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) . قيل كان الله قد أوحى إلى شمويل أن أى
 بنى إسرائيل كان طوله على طول هذه العصا وإذا حضر عندك يفور هذا القرن الذى فيه من دهن
 القدس فهو ملككم فجاءوا يدخلون ويقسمون أنفسهم ذلك العصا فلم يكن أحد منهم على طولها سوى
 طالوت ولما حضر عند شمويل غر ذلك القرن فدعته منه وعينه الملك عليهم وقال لهم (إن الله اصطفاه
 عليكم وزاده بسطة في العلم) قيل في أسرار الحروب وقيل بل مطلقا (والجسم) قيل الطول وقيل الجمال
 والظاهر من السياق أنه كان أجملهم وأعظمهم بدنيهم عليه السلام (والله يؤتى ملكه من يشاء) فله الحكم
 وله الخلق والأمر (والله واسع عليم وقال لهم فيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينتان من ذهب
 وبقية ما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لکم إن كنتم مؤمنين) وهذا
 أيضا من بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم وبمعه عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذى كان سلب منهم
 وقهرهم الأعداء عليه وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسببه (فيه سكينتان من ذهب) قيل طلعت من
 ذهب كان يضل فيه صدور الأنبياء . وقيل السكينة مثل الريح الخجوج . وقيل صورتها مثل المرأة إذا
 صرخت في حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر (وبقية ما ترك آل موسى وآل هارون) قيل كان
 فيه روضات الأنواع وشئ من المن الذى كان نزل عليهم بالنبوة (تحمله الملائكة) أى يأتكم به الملائكة
 يحملونه وأنتم ترون ذلك حيًا ليكون آية لله عليكم وحجة بالبر على صدق ما أقوله لكم وعلى صحة ولاية
 هذا الملك الصالح عليكم ولهذا قل (إن في ذلك لآية لکم إن كنتم مؤمنين) وقيل أنه لما غلب المعالجة
 على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر من السكينة والبقية المباركة . وقيل كان فيه التوراة أيضا فلما استقر في
 أيديهم وضوء تحت صنم لهم بأرضهم فلما أصبحوها إذا التابوت على رأس الصنم فوضوه تحت فلما كان
 اليوم الثانى إذا التابوت فوق الصنم فلما تكرر هذا علموا أن هذا أمر من الله تعالى فأخرجوه من بلادهم
 وجعلوه في قرية من قرىهم فأنفذهم داء في رقابهم فلما طال عليهم هذا جلوه في عجلة ودر بطونهم في بقرتين
 وأرسلوهما فيقال إن الملائكة ساقتهما حتى جازا بهما ملائكة بنى إسرائيل وهم ينتظرون كما أنجزهم فيهم
 بذلك فلهذا علم على أى صحة جاءت به الملائكة والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفسر بل بنود
 من الآية والله أعلم . وإن كان الأول قد ذكره كثير من المفسرين أو أكثرهم (فلما فصل طالوت قال
 إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فقه منى إلا من اغترف غرفة يده) .

قال ابن عباس وكثير من المفسرين هذا النهر هو نهر الاردن وهو المسمى بالشرقة فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبي الله له عن أمر الله له إختباراً وامتحاناً أن من شرب من هذا النهر فلا يصحبني في هذه النزوة ولا يصحبني إلا من لم يلمسه إلا غرة في يده . قال الله تعالى (فشرّبوا منه إلا قليلاً منهم) .

قال السدي كان الجيش ثمانين ألفاً فشرب منه ستة وسبعون ألفاً بقي معه أربعة آلاف كذا قال .
وقد روى البخاري في صحيحه من حديث إسرائيل وزهير والثوري عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تحدث أن عبدة أصحاب بدر على عبدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثة مؤمن . وقول السدي أن عبدة الجيش كانوا ثمانين ألفاً فيه نظر لأن أرض بيت المقدس لا تحتل أن يجتمع فيها جيش مقاتلة يبلغون ثمانين ألفاً والله أعلم . قال الله تعالى (فلما جاوزوه والذين آمنوا معه قالوا لا طاعة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي استقلوا أنفسهم واستضعفوها عن مقاومة أعدائهم بالنسبة إلى قتلهم وكثرة عدد عدوهم (قال الذين يظنون أنهم ملأوا الله كمن قلة قليلة غلبت قوة كثيرة بلذن الله والله مع الصابرين) يعني بها الفرسان منهم . والفرسان أهل الايمان والايقان الصابرون على الجلال والجلد والبطان . (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) طلبوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر أي يضرهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تعلق وأن يثبت أقدامهم في مجال الحرب ومترك الأبطال وحومة الوعى والدعاء إلى التزال فألوا التثبت الظاهر والباطن وأن يزل عليهم النصر على أعدائهم وأعدائهم من الكافرين للملحدين بآياته وآلائه فلباهم العظيم التقدير السميع البصير الحكيم الخبير إلى ما سألوا وأما لهم ما إليه فيه رغبوا ولهذا قال (فهزموهم بلذن الله) أي يحول الله لا يحولهم بقوة الله ونصره لا يقوهم وعددهم مع كثرة أعدائهم وكال عدوهم كما قال تعالى (وقد نصركم الله يسر وأتم أذلة فاتوا الله لعلكم تشكرون) وقوله تعالى (وقيل داود جالوت وأكله الله الملك والحكمة وعله مما يشاء) فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وأنه قتل قهلاً أكلة جنته وكسره ولا أعظم من غزوة يقتل فيها ملك عدوه فيمنع بسبب ذلك الأموال الجزية ويأسر الأبطال والشجعان والأقران وتلوكة الايمان على الأوثان ويدال لأولياء الله على أعدائه . ويظهر الدين الحق على الباطل وأوليائه . وقد ذكر السدي فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه وكانوا ثلاثة عشر ذكراً كان سمع طالوت ملك بني إسرائيل وهو يحرض بني إسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول من قتل جالوت زوجته بانيق وأشركه في ملكي وكان داود عليه السلام يرى بالقتادة وهو القتلاع رماً عظيماً فينا هو سائر مع بني إسرائيل إذ ناداه جبر أن خذني فاني قتل جالوت فخذته ثم

حجر آخر كنفك ثم آخر كنفك فأخذ الثلاثة في غلته فلما تواج الصغار برز جالوت ودعا الى نفسه فقدم اليه داود فقال له ارجع فاني اكره قتلك فقال لكفى أحب قتلك وأخذ تلك الأنهار الثلاثة فوضها في القذاعة ثم أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحداً. ثم رمى بها جالوت فعلق رأسه وفريخته منهزماً فوق له طالوت بما وعده فزوجه ابنته وأجرى حكمه في ملكه وعظم داود عليه السلام عند بني إسرائيل وأحبوه ومالوا اليه أكثر من طالوت فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله واحتال على ذلك فلم يصل اليه وجعل العلماء يهون طالوت عن قتل داود فسلط عليهم فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا القليل. ثم حصل له توبة وتدم واقلاع عما سلف منه وجعل يكثر من البكاء ويخرج الى الجبابة فيبكي حتى يسيل الدمع بدموعه فنودي ذات يوم من الجبابة أن يا طالوت قتلنا ونحن أحياء وآذيتنا ونحن أموات فلزددنا لك بكاء وخوفه واشتد وجهه ثم جعل يأل عن عالم يسأله عن أسرته وهل له من توبة قبل له وهل أجبت حالاً؟ حتى دل على امرأة من العابدات فأخذته فذهب به الى قبر يوشع عليه السلام قالوا فدعت الله فقام يوشع من قبره فقال أقامت القيامة فهاك لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال نعم يتنخل من الملك ويذهب فيقاتل في سبيل الله حتى يقتل. ثم عاد ميتاً فترك الملك لداود عليه السلام وذهب ومعه ثلاثة عشر من أولاده فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا قالوا فذلك قوله (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه بما يشاء) هكذا ذكره ابن جرير في تزيينه من طريق السدي بسنده. وفي بعض هذا نظر ونكارة والله أعلم.

وقال محمد بن اسحق النبي الذي بث فخير طالوت بوجهه هو اليسع بن أخطوب حكاه ابن جرير أيضاً. وذكر الثعلبي أنها أتت به الى قبر اشعويل فأتته على ماصع يده من الأمور وهذا أنسب. ولله انما رآه في النوم لا أنه قام من القبر حياً فلن هذا انما يكون معجزة لنبي وتلك المرأة لم تكن نبيه والله أعلم. وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت الى أن قتل مع أولاده أربعون سنة فله أعلم.

قصة داود عليه السلام وما كان في أيامه وذكرك

فضائله وشماله ودلائل نبوته واعلامه

هو داود بن ايشا (١) بن عويد بن عابر بن سلون بن نحشون بن عوفناذب بن دارم بن حصرون بن قارص ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس. قال

(١) هكذا بالتسعة والقي في ابن جرير داود بن ايشي بن عويد بن عابر بن سلون بن نحشون

ابن عمي نادب بن دام الخ وفي الراس خلفها فراجعه (عمود الامام)

محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيرا أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب وهيب . تهم أنه لما قتل جالوت وكان قتله في ذكر ابن عسار عند قصر أم حكيم بقرب مرج الصفر فأحجته بنو إسرائيل ومالوا اليه وإلى ملكه عليهم فكان من أمر طالوت ما كان وصار الملك إلى داود عليه السلام وجمع الله له بين الملك والنبوة بين خير الدنيا والآخرة وكان الملك يكون في سبط والنبوة في آخر فاجتمع في داود هذا وهذا كما قال تعالى (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) أي لولا إقامة الملوك حكما على الناس لأكل قوى الناس ضعيفهم . ولهذا جاء في بعض الآثار (السلطان ظل الله في أرضه) . وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) . وقد ذكر ابن جرير في تكميذه أن جالوت لما برز طالوت قتاله له أخرج إلى وأخرج إليك فغضب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت . قال وهب بن منبه قال الناس إلى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر وخلفوا طالوت وولوا عليهم داود * وقيل إن ذلك عن أمر شمويل حتى قال بعضهم إنه ولاء قبل الوقعة . قال ابن جرير وألقى عليه الجمهور أنه إنما ولي ذلك بعد قتل جالوت والله أعلم * وروى ابن عسار عن سعيد بن جندب أن قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم وإن التهر الذي هناك هو المذكور في الآية قاله أعلم * وقال تعالى (وقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل ساجات وقدر في السرد واعملوا صلحا إلى بما تعملون بصير) وقال تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعدناه صنعة لبوس لكم لنحصبكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) . أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن القناتة من الأعداء وأرشدته إلى صنعها وكيفيتها فقال (وقدر في السرد) أي لا تدق المسار فيفلق ولا تظلمه فيفصم قاله مجاهد وقنادة والحكم وعكرمة .

قال الحسن البصري وقنادة والأعشى كان الله قد ألان له الحديد حتى كان ينثله يده لا يحتاج إلى نقر ولا مطرقة . قال قنادة فكان أول من عمل الدروع من زرد وأما كانت قبل ذلك من صنانج قال ابن شوق كان يحمل كل يوم درعا يبيعها بستانة آلاف درهم وقد ثبت في الحديث أن أطيح ما أكل الرجل من كسبه وإن نهي الله داود كان يأكل من كسبه يده وقال تعالى (واذ كر عبدا داود ذا الأيد إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالنشى والأشراق والطير محشورة كل له أواب وشهدنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) قال ابن عباس ومجاهد الأيد القوة في الطاعة يعني ذا قوة في العبادة والسلم الصالح قال قنادة أعطى قوة في العبادة وهما في الإسلام قال وقد ذكر لنا أنه كان يقوم الليل ويصوم نصف النحر . وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال (أحب الصلوة إلى الله صلاة داود

وأحب الصيام إلى الله صيام داود) كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويغفل يوماً ولا يفر إذا لاقى . وقوله (أنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالشئ والاشراق والطير محشورة كل له أواب) كما قال (يا جبال أوبى معه والطير) أى سبحى معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد فى تفسير هذه الآية) أنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالشئ والاشراق) أى عند آخر النهار وأوله وذلك انه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً بحيث انه كان اذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير فى الهواء يرجع بترجمه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تهيج وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا صلوات الله وسلامه عليه . وقال الاوزاعى حدثنى عبد الله بن عامر قال اعطى داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط حتى أن كان الطير والوحش يتمكف حوله حتى يموت عطشاً وجوعاً وحتى ان الانهار لتقف . وقال وهب بن منبه كان لا يسمعه احد الا جعل كهيئة الرقص وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الاذان بمثله فيمكنك الجن والانس والطير والنواب على صوته حتى يهلك بعضها جزعاً وقال أبو عروة الاسفرايينى حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا محمد بن منصور الطوسى سمعت صبيحاً أبقثنا برادح^(١) قال ابو عروة وحدثنى أبو العباس المدنى حدثنا محمد بن صالح البدوى حدثنا سيار هو ابن خاتم عن جعفر عن مالك قال كان داود عليه السلام اذا أخذ فى قراءة الزبور فتنت المنيارى وهذا غريب . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على الفناء قال وما بأس بذلك سمعت عبيد بن عمر يقول كان داود عليه السلام يأخذ العزقة فيضرب بها فقرا عليها فتزد عليه صوته يريد بذلك أن يبكى ويبكى . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت سمع رسول الله ﷺ صوت أبى موسى الاشعرى وهو يقرأ قال لقد أوتى أبو موسى من مزامير آل داود وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه وقال احمد حدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود على شرط مسلم وقد رويناه عن أبى عثمان الترمذى أنه قال لقد سمعت البربط والمزامير ما سمعت صوتاً أحسن من صوت أبى موسى الاشعرى . وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتابة الزبور كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ خفف على داود القراءة فكان يأمر بداجة فتسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يديه وكذلك رواه البخارى

(١) قوله ابقثنا برادح . كذا بالنسخة الحلبية وبلدى النسخين المصريين (أيا تراب رح) وفى

الثانية (أيا تراب ح) فليحروا محمود الامام

منفرداً به عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق به ولفظه خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوا به فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوا به ولا يأكل إلا من على يديه . ثم قال البخاري ورواه موسى ابن عقبة عن صفوان هو ابن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وقد أسنده ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام في تلويذه من طرق عن إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة ومن طريق أبي عاصم عن أبي بكر السبكي عن صفوان بن سليم به .

والمراد بالقرآن هنا الزبور الذي أنزله عليه وأوحاه إليه وذ كر رواية أشبه أن يكون مخفوطاً فانه كان ملكاً له اتباع فكان يقرأ الزبور بمقتدر ما تسرج الدواب وهذا أمر سريع مع التدبر والتدبر والتفني به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه وقد قال الله تعالى (وآتيناه داود زبوراً) والزبور كتاب مشهور وذكرنا في التفسير الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه أنزل في شهر رمضان وفيه من المواعظ والحكم ما هو معروف لمن نظرفه . وقوله (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) أي أعطيناه ملكاً عظيماً وحكماً نافذاً . روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلين تداعيا إلى داود عليه السلام في قر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه فانكر المدعى عليه فادجأ أمرهما إلى الليل فلما كان الليل أوحى الله إليهم أن يقتل المدعى فلما أصبح قال له داود أن الله قد أوحى إلى أن أهلك فانا قاتلك لا محالة فا خبرك فيما ادعيت على هذا قال والله يا بني الله أتى لحق فيما ادعيت عليه ولكنني كنت اغتلت أبه قبل هذا فأمر به داود فقتل فظلم أمر داود في بني اسرائيل جدا وخضعوا له خضوعاً عظيماً . قال ابن عباس وهو قوله تعالى (وشددنا ملكه) وقوله تعالى (وآتيناه الحكمة) أي النبوة (وفصل الخطاب) قال شريح والشعي وقنادة وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم فصل الخطاب الشهود والأيمان ينون بذلك البيئة على المدعى واليمين على من أنكر . وقال مجاهد والسدي هو إصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد هو الفصل في الكلام وفي الحكم واختاره ابن جرير وهذا لا ينافي ما روى عن أبي موسى أنه قول (أما بعد) . وقال وهب بن منبه لما كثر الشر وشهادات الزور في بني اسرائيل أهمل داود سلسلة لفصل القضاء فكانت معدودة من الساء إلى صخرة بيت المقدس وكانت من ذهب فلذا تملجرجرج الجبلان في حق قاتلها كان محملاً فاما والآخرة لا يصل إليها فلم تزل كذلك حتى أودع رجل رجلاً لؤلؤة فنجدها منه وأخذ عكازاً وأودعها فيه فلما حضرا عند الصخرة تناولوا المدعى فلما قبل للآخر خنفاً يدهك عند إلى المكاز فأعطاه المدعى وفيه تلك اللؤلؤة وقال اللهم انك تعلم أني دفعتها إليه ثم تناول السلسلة فتلما فأشكلك أمرها على بني اسرائيل . ثم دفست سرهما من بينهم . ذكره بمناه غير واحد من المفسرين . وقد رواه اسحق بن بشر عن ادريس ابن سنان عن وهب به بمناه (وهل أهلك نبؤا لخصم اذ تمردوا المهراب اذ دخلوا على داود فزعزعه منهم

قالوا لا تخف خيمان بنى بضنا على بعض فاحكم بيننا بلحق ولا تشلط واحدا الى سواء الصراط إن هذا أخى له سمع وتسوم نجة ولى نجة واحدة قال أكفلنيها وعزنى فى الطلب قال لقد ظلمك بسؤال فسبك الى ضاحجه وإن كثيرا من الظلماء ليبنى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ما هم وظن داود أنما قتله فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزنى وحسن مآب) .

وقد ذكر كثير من المفسرين من اللفظ والظف ههنا قصصا وأخبارا أكثرها اسرائيليات ومنها ما هو مكتوب لا محالة تركنا إيرادها فى كتابنا قصدا اكتفاء واختصارا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ..

وقد اختلف الأئمة فى سجدة من هل هى من عزائم السجود أو أنها هى سجدة شكر ليست من عزائم السجود على قولين • قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة من قال سأل ابن عباس من أين سجدت قال أو ما قرأ (ومن ذرية داود وسليمان) (أولئك الذين هدى الله فبهدام اقتده) فكان داود من أمر نبيكم ﷺ أن يقتدى به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله ﷺ وقد قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل هو ابن علية عن أبوب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال فى السجود فى من ليست من عزائم السجود . وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها . وكذا رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث أبوب وقال الترمذى حسن صحيح وقال النسائى أخبرنى إبراهيم بن الحسن المسمى حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد فى من وقال سجدها داود توبة فسجدها شكرا فخره به أحمد ورجاله ثمات وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن أبى سعيد الخدرى قال قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر من قلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد معه الناس قلما كان يوم آخر قرأها قلما بلغ السجدة تشرف الناس للسجود قال إنما هى توبة نبي ولكن رأيكم تشترقتم قول وسجد . فخره به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا حنان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حيد حدثنا بكر هو ابن عمر وأبو الصديق التاجى أنه أخبره أن أباسيد الخدرى رأى رؤيا أنه يكتب من قلما بلغ الى التالى يسجد بها رأى الدعوة والقلم وكل شئ يحضره اغلب ساجدا قال قصصها على النبي ﷺ فلم يزل يسجد بها بعد • فخره به أحمد وروى الترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبى يزيد قال قال لى ابن جريج حدثنى جديك عبيد الله بن أبى يزيد عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي ﷺ قال يا رسول الله انى

وأيت فيها يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة قرأت السبعة فسجبت الشجرة بسجودى فسمعتها تقول
 وهى ساجدة (اللهم اكتب لى بها عندك أجراً واجعلها لى عندك ذخراً وضع عني بها وزراً واقبلها منى
 كما قبلت من عبدك داود) وقال ابن عباس فرأيت النبي ﷺ قام قرأ السبعة ثم سجد فسمعت يقول
 وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة . ثم قال الترمذى غريب لا نرفه الا من هذا الوجه .

وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً وقاله مجاهد والحسن وغيرهما
 وورد فى ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشى وهو ضعيف مقروك الرواية • قال الله تعالى
 (فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) . أى ان له يوم القيامة لزلفى وهى التربة التى يقربها الله
 بها ويدينه من حظيرة قدسه بسببها كما ثبت فى حديث (المسطلون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلنا
 يديه يمين الذين يسقطون فى أهلهم وحكمهم وماولوا) . وقال الامام أحمد فى مسنده حدثنا يحيى بن
 آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبى سعيد انطلى قال قال رسول الله ﷺ ان أحب الناس الى الله
 يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وإن أبض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر
 وهكذا رواه الترمذى من حديث فضيل بن مرزوق الاخر به وقال لا نرفه مرفوعا الا من هذا
 الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبدالله بن أبى زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان
 سمعت مالك بن دينار فى قوله (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقوم داود عليه السلام يوم القيامة
 عند ساق العرش فيقول الله يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدينى فى
 الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته فيقول انى أردته عليك اليوم قال فيرفع داود بصوت يستفرغ فيه
 أهل الجنان (يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
 سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا خطاب من الله
 تعالى مع داود والمراد ولاية الامور وحكام الناس وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لاما سواه
 من الآراء والاهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك وقد كان داود عليه السلام هو المختار
 به فى ذلك الوقت فى العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات حتى إنه كان لا يمضى ساعة من آله الليل
 وأطراف النهار إلا وأهل بيته فى عبادة ليلا ونهاراً كما قال تعالى (اعلموا آل داود شكراً وقليل من
 عبادى الشكور) قال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن يسام حدثنا صالح المزى عن
 أبى عمران الجوفى عن أبى الجبل قال قرأت فى مسألة داود عليه السلام أنه قال يا رب كيف لى أن
 أشكرك وأنا لا أصل الى شكرك إلا بصمتك قال فأنه الوحي « أن يا داود ألت تلم أن الذى بك
 من النعم منى قال لى يارب قال فأتى أرضى بذلك منك » وقال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو
 بكر بن بريدة حدثنا محمد بن يونس القرشى حدثنا روح بن عباد حدثنى عبد الله بن لاحق عن ابن

شهاب قال قال داود الحمد لله ذا يغني لكرم وجهه وعز جلاله قالوا لله اليك أقميت الحظفة يا داود » ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن علي بن الجعد عن الثوري مثله وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد أنبأنا سفيان الثوري عن رجل عن وهب بن منبه قال إن في حكمة آل داود حق على الماقل أن لا يغفل عن أربع ساعات ساعة يتأجج فيها ربه ساعة يحاسب فيها نفسه ساعة يغض فيها إلى إخوانه الذين يجربونه بميوه ويصدقونه عن غبه ساعة يتخلى بين نفسه وبين لذاتها فيأجل ويحجل فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجماع القلوب وحق على الماقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه * وحق على الماقل أن لا يظن إلا في إحدى ثلاث زاد لمصاده ومرة لمعاشه ولتة في غير محرم وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي بكر بن أبي خثيمة عن ابن مهدي عن سفيان عن أبي الأغر عن وهب بن منبه قد ذكره . ورواه أيضا عن علي بن الجعد عن عمر بن الهيثم الرقاشي عن أبي الأغر عن وهب بن منبه قد ذكره وأبو الأغر هذا هو القتي أبيه ابن المبارك في روايته . قاله ابن عساكر وقال عبد الرزاق أنبأنا بشر بن رافع حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له أبو عبد الله قال سمعت وهب بن منبه قد ذكر مثله . وقد روى الحفاظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام أشياء كثيرة مليحة منها قوله كن لقيم كلاب الرحيم * واعلم أنك كاترزع كذلك تحصد . وروى بسند غريب مرفوعا قال داود يلزاع البسات أنت تحصد شوكما وحسكها وعن داود عليه السلام أنه قال مثل الخطيب اللاحق في نكح القوم كمثل المغني عند رأس الميت وقال أيضا ما أقبح القر بعد النكح وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى وقال انظر ماتمكرو أن يذكرك عنك في نكح القوم فلا تخلص إذا خلوت . وقال لا تمدن أخاك بما لا تنجزه له فإن ذلك عداوة ما بينك وبينه . وقال محمد بن سعد أنبأنا محمد بن عمر الواقدي حدثني هشام بن سعد عن عمر مولى حفرة قال قالت يهود لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج النساء انظروا إلى هذا الذي لا يشبع من الطعام ولا والله ما له حمة إلا إلى النساء حسدهن لكثرة نسائه وعابوه بذلك فقالوا لو كان نبيا ما رغب في النساء وكان أشد هم في ذلك حتى ين أخطب فأكذبهم الله وأخيرهم بفضل الله وسعته على نبيه صلوات الله عليه وسلامه قال (أم يصدون الناس على ما أكلم الله من فضله) يعني بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) يعني ما أتى الله سليمان ابن داود كانت له ألف امرأة سبعة مهيبة وثلاثة سرية وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة منهن امرأة أوريا أم سليمان بن داود التي تزوجها بعد الفتنة هذا أكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الكلبي نحو هذا وأنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة وسليمان ألف امرأة منهن ثلثة سرية (١) وروى الحفاظ في تلخيصه في ترجمة صدقة القمشي التي يروى عن ابن عباس من طريق الفرج

(١) من هنا لآخر القصة لم يوجد في النسخين الموجودين بالمكتبة المصرية

ابن فضالة الحمصي عن أبي هريرة الحمصي عن صدقة التمشقي أن رجلا سأل ابن عباس عن الصيام فقال لأحدئك بمحدث كان عندي في البحث (١) غزونا إن شئت أنبأتك بصوم داود فانه كان صوما قراما وكان شطعا لا يفر اذا لاق وكان يصوم يوما ويفطر يوما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا يكون فيها وكانت له ركة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي بكائه كل شيء ويصرف بصوته الموم والمصوم * وان شئت أنبأتك بصوم ابيه سليمان فانه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام ومن وسطه ثلاثة أيام ومن آخره ثلاثة أيام يستفتح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويغتمه بصيام . وان شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم فانه كان يصوم الدهر ويأكل الثمير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ولا يسأل عما قد ليس له ولده يموت ولا يت يغرب وكان أينما أدركه الليل صنف بين قدميه وقام يصلي حتى يصبح وكان راميا لا يفوته ميد يريد به وكان يمر بمجالس بني اسرائيل فيقضي لهم حوائجهم .

وان شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران فانه كانت تصوم يوما وتخط يومين .

وان شئت أنبأتك بصوم النبي العربي الامي محمد ﷺ فانه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول إن ذلك صوم الدهر . وقد روى (٢) الامام احمد عن أبي النصر عن فرج بن فضالة عن أبي هريرة عن صدقة عن ابن عباس مرفوعا في صوم داود *

ذكر كمية حياته وكيفية وفاته عليه السلام

قد تقدم في ذكر الاحاديث الواردة في خلق آدم أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى فيهم الانبياء عليهم السلام ورأى فيهم رجلا يزرع فقال أي رب من هذا قال هذا ابنيك داود قال أي رب كم عمره قال ستون عاما قال أي رب زد في عمره قال لا الا أن أزيده من عرك وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاما فلما اخفى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال في من عمرى أربعون سنة ونفس آدم ما كان وجهه لوجه داود قائما فقامها الله لأدم الف سنة ولداود مائة سنة رواه احمد عن ابن عباس والترمذي وصححه عن أبي هريرة وابن خزيمة وابن حبان . وقال الحاكم على شرط مسلم . وقد تقدم ذكر طرقة والنائغة في قصة آدم * قال ابن جرير وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر داود كان سبعا وسبعين سنة . قلت هذا غلط مردود عليهم قالوا وكان مدة ملكه أربعين سنة وهذا قد يقبل فله لانه ليس عندنا ما ينفيه ولا ما يقتضيه

وأما وقته عليه السلام قال الامام احمد في مسنده حدثنا قبيصة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلق الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وغلقت الدار فاقبلت امرأته تطلع الى الدار فلذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل والدار منقطة والله لتفحصن بياود فجاء داود فلذا الرجل قائم في وسط الدار فقال له داود من أنت قال أنا الذي لا أحب الملوك ولا أمتع من الحجاب فقال داود أنت والله إذن ملك الموت مرجا بأمر الله ثم مكث حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن وقرغ من شائه طلت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلي على داود فأظلته الطير حتى اغطت عليه الأرض قال سليمان للطير اقبضي جناحا قال قال أبو هريرة فطلق رسول الله ﷺ يرينا كيف ضلت الطير وقبض رسول الله ﷺ بيده وغلبت عليه يومئذ المضرحة . افرد باخر اجه الامام احمد واسناده جيد قوى رجاله كانت ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضرحة أى وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الاجنحة واحدها مضرحة . قال الجوهري وهو الصقر الطويل الجناح وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال مات داود عليه السلام فجأة وكان ببث وكانت الطير تظله . وقال السدي أيضاً عن أبي مالك وعن سيد بن جبير قال مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة . وقال اسحاق بن بشر عن سيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الاربعاء فجأة . وقال أبو الحسن المجبى مات ابراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليمان فجأة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين رواه ابن عساکر وروى عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه قال له دعني أنزل أو اصعد قال يا بني الله قد غلبت السنون والشهور والآثر والارزاق . قال فخر ساجداً على مرقفتين تلك المراق قبضه وهو ساجد . وقال اسحاق بن بشر (١) ايأنا وافر بن سليمان عن أبي سليمان الفسطي عن وهب بن منبه قال إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صائف قال وكان قد شيع جنازته يومئذ اربعمائة الف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ولم يمت في بني اسرائيل بعد موسى وهرون أحد كانت بنو اسرائيل أشد جزا عليه منهم على داود قال فأدام الحر فتادوا سليمان عليه السلام أن يسل لهم وقاية لما اصابهم من الحر فخرج سليمان فتأدى الطير فاجابت فامرها أن تظل الناس فتراض بضها الى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غماً فصاحوا

(١) هو اسحاق بن بشر بن حذفة البخاري صاحب كتاب المبتدا والفتح وتركوه وكذبه علي بن المديني وقال ابن حبان لا يحمل حديثه الا على جهة التعميم وقال الدارقطني متروك وقوله وافر بن سليمان كذا بالنسخة الخلبية وفي النسختين المصريتين (رافد) والكل ليس بمعروف فليحرق انتهى محمود الامام

الى سليمان عليه السلام من النمل فخرج سليمان فنادى الطير أن أغلظ الناس من ناحية الشمس وتحنى عن ناحية الريح فمكثت فكان الناس في ظل وتهب عليهم الريح فكان ذلك أول ما رآوه من ملك سليمان . وقال الحافظ أبو يسى حدثنا أبو حماد الوليد بن شجاع حدثني الوليد بن مسلم عن الميثم بن حديد عن الرضين بن عطاء عن نصر بن عقبة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ لقد قبض الله داود من بين أصحابه ما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهدية مائتي سنة هذا حديث غريب وفي رصفه نظر والوضين بن عطاء كان ضعيفا في الحديث والله أعلم •

قصة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الحافظ بن عاكر هو سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلون بن نحشون بن عينا داب بن ارم بن حصرون بن قارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم أبي الريع نبي الله بن يهي الله . جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق . قال ابن ماكولا قارص بالصاد المهملة وذكر نفسه قريبا مما ذكره ابن عاكر قال الله تعالى (وورث سليمان داود) وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا هو الفضل المبين) أي ورثه في النبوة والملك وليس المراد ورثه في المال لانه قد كان له بنون غيره فما كان لينص للمال دونهم ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة وفي لفظ نحن معشر الأنبياء لا نورث فخير الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل يكون أموالهم صدقة من يهدم على القراء والمهاجرين لا يخصص بها اقربائهم لان الدنيا كانت أهون عليهم وأحر عندهم من ذلك كما هي عند النبي أرسلهم واصطفاهم وقضاهم وقال (يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية) يسمى أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغتها ويميز للناس عن مقاصدها وادارتها . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ (١) أنبأنا علي بن حشاد (٢) حدثنا اسمعيل بن حنيفة حدثنا علي بن قدامة حدثنا أبو جعفر الاسواني (٣) يعني محمد بن عبد الرحمن عن أبي

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه بن فميم بن الحكم الضعيف الطهماني الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع . وانما عرف بالحاكم لتقلده القضاء وهو صاحب المستدرک وغيره (٢) كذا في الحلية وحشاذ في المصريتين وكلاما حاشا والصواب حشاذ اه محمود الامام (٣) كذا في الفسخ بنون بعد الالف وواو بعد السين وهو خطأ والصواب الاستواني يلزم بعد الالف وبناء مشقة بين السين والواو نسبة الى استواء بضم الهززة ثم السكون وضم التاء المثناة وواو وألف . وهي كورة من نواحي نيسابور ومناحها

يقرب المي (١) حدثني أبو مالك قال مر سليمان بن داود بمصفور يدور حول مصفورة فقال لاصحابه
أندرون ما يقول قالوا وما يقول يا بني الله : قال يضطربها الى فيه ويقول زوجتي أسكنتك أى غرف
دمشق شئت. قال سليمان عليه السلام لان غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن
كل خاطب كذاب . رواه ابن عساكر عن أبي القاسم زاهر بن طاهر (٢) عن البيهقي به وكذلك ما
عدها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات والفيل على هذا قوله بعد هذا من الآيات (وأوتينا
من كل شئ) أى من كل ما يحتاج الملك اليه من العدد والآلات والجنود والجيش والجماعات من الجن
والانس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهم والتبصير عن ضائر المخلوقات من
الناطقات والصامتات ثم قال (إن هذا هو الفضل المبين) أى من برى البريات وخالق الأرض
والسموات كما قال تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطيور فهم يزعمون حتى اذا أتوا
على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنصت على وعلى والى وأن أعمل
صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك فى عبادك الصالحين) .

يخبر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليها الصلاة والسلام أنه ركب يوما فى جيشه
جميع من الجن والانس والطيور فلبن والانس والطيور سائرة معه فظله باجتماعها من الحروف وغيره
وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة أى قباه يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذى
يسير فيه ولا يتأخر عنه قال الله تعالى (حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا
مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان
وجنوده بعدم الشعور . وقد ذكر وهب أنه مر وهو على البساط بوادى بالظائف وأن هذه النملة كان اسمها
جرسا وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيبان وكانت عرجاء وكانت بقدر القتب . وفى هذا كله فطر
بل فى هذا السياق دليل على أنه كان فى مركبها كبا فى خيوله وفرسانه لا كما زعم بعضهم من أنه كان
اذ ذاك على البساط لانه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شئ ولا وطه لان البساط كان عليه جميع ما
يحتاجون اليه من الجيوش والخيول والجمال والاقفال والانيام والاعنام والطيور من فوق ذلك كله كما سنبينه
بعد ذلك إن شاء الله تعالى

بسلامتهم المضطحة والمشرقة محمود الامام (١) كذا بالاصول بالعين المهمة والصواب القى بضم التانف
وتشديد الميم . وهو يعقوب بن عبد الله بن سعد بن مالك بن هاني بن عامر بن أبى عامر الاشعري
أبو الحسن القى اه محمود الامام (٢) هو زاهر بن طاهر أبو القاسم الشحامى مسند بيسانور صحيح السباع
لكنه يخل بالصلاة فترك الروايعته غير واحد من الحفاظ تورعا وقيله آخرون اه محمود الامام

والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لانتها من الرأي السديد والأمر
الحكيم وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره وليس كما
يقوله بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان وتخطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن
داود الهدى وألجأ فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون ولو كان هذا
هكذا لم يكن لسليمان في فهم لغتها مزية على غيره إذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ولو كان قد أخذ
عليها الهدى أن لا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها لم يكن في هذا أيضاً فائدة يعول عليها ولهذا قال
(رب أوزعني) أي ألهمني وأرشدني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً
ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه
وعلى ما خصه به من المزية على غيره وإن يسر عليه العمل الصالح وإن يمحسه إذا تورع مع عباده الصالحين
وقد استجاب الله تعالى له * والمراد بالهدى داود عليه السلام وأمه وكانت من العابدات الصالحات
كما قال سفيان بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر عن النبي ﷺ قال قالت
أم سليمان بن داود يا بني لا تتكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع البهيم قتيلاً يوم القيامة . رواه
ابن ماجه عن أرومة بن مشايخه عنه به نحوه . (١) وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أن سليمان
ابن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستقون فرأى نملة قائمة رافعة إحدى قوائمها تستقي فقال
لأصحابه ارجعوا قد سقيتم إن هذه النملة استقت فاستجب لها . قال ابن عساكر وقد روى مرفوعاً
ولم يذكر فيه سليمان ثم ساقه من طريق محمد بن عزيز عن سلامة بن روح بن خالد عن عقيل عن ابن شهاب
حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول خرج نبي من الأنبياء بالناس يستقون
الله فإذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء قال النبي ارجعوا قد استجب لكم من أجل هذه النملة
وقال السدي أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام فأمر الناس فخرجوا فإذا بنملة قائمة على
رجليها باسطة يديها وهي تقول « اللهم انا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك » قال فصب الله عليهم
المطر . قال تعالى (وتقعد الطير قال مالي لا أرى المدهد أم كن من التائبين لا أعذبه عذاباً شديداً أو
لأذبحته أو لأتبعن سلطان ميين فكثفهم بيد قال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ بنبأ يقين
إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجئتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدم من السبيل فهم لا يهتدون إلا يسجدوا لله الذي يخرج
الغلب في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . قال سننظر
أصدقت أم كنت من الكاذبين . إنهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون .
(١) من هنا لقائه قوله فصب الله عليهم المطر لم يوجد بالتسعين الموجودتين بالمكتبة المصرية .

قالت يا أيها الملأ أني التي الى كتاب كريم اته من سليمان واته بسم الله الرحمن الرحيم ألا تملوا على وأتوني مسلمين قالت يا أيها الملأ أتوني في أسرى ما كنت قاطئة أسراً حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون واتى مرسله اليهم بهيمة فناظرة بما يرجع المرسلون فلما جاءه سليمان قال أئتموني بحال فما أتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . أرجع اليهم فلأنتم بهم يجنون ولا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون (يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والمهدد وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون يقدمون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالثوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك وكانت وظيفة المهدد على ما ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا اذا امرزوا الماء في القفار في حال الاسفار يجيئ فينظر لهم هل بهذه القاع من ماء وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر الى الماء تحت نخوم الأرض فإذا حلهم عليه خروا عنه واستنبطوه واخرجوه واستملوه لاجلهم فلما قلبه سليمان عليه السلام ذات يوم قتله ولم يجده في موضعه من عمل خدمته (قال تعالى لا أرى المهدد أم كان من الثائنين) أي ماله مقدود من ههنا أو قد غاب عن بصري فلا أراه بمحضري (لأعذبه عذاباً شديداً) توعد به نوع من العذاب * اختلف المفسرون فيه والمقصود حاصل على كل تقدير (أولاً ذبحته أو ليأتي سلطان مدين) أي بهيمة تنجيه من هذه الورطة . قال الله تعالى (فكذلك غير بيد) أي فخاب المهدد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها (قال) لسليان (اسلمت بالم قطعه) أي اسلمت على ما لم تطلع عليه (وجشك من سبأ نبأ يقين) أي بخبر صادق (اني وجدت امرأة تملككم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والثباينة المتوجين وكان الملك قد آل في ذلك الزمان الى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم .

وذكر الثعلبي وغيره أن قومها ملكوا عليهم بعد ايها رجلا ضم به الضاد فترسنت اليه فخطبه فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خرا ثم حزت رأسه وضبته على بلها فقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهي بقيس بنت السريح وهو المهدد . وقيل شر اصيل بن ذي جند بن السريح بن الحرث بن قيس ابن صفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبوها من اكابر الملوك وكان يأتي أن يتزوج من أهل اليمن فيقال له تزوج بمرأة من الجن اسمها ديمحاة بنت السكن فولدت له هذه المرأة واسمها تقمة ويقال لها بقيس . وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن افس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال كان أحد أبوي بقيس جنياً . وهذا حديث غريب وفي سننه ضعف . وقال الثعلبي اخبرني أبو عبد الله بن قبحوة حدثنا أبو بكر بن جريرة حدثنا ابن أبي الليث حدثنا أبو كريم حدثنا أبو مالاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أبي بكره قال ذكرت بقيس

عند رسول الله ﷺ قال لا يفتح قوم ولوا أمرهم امرأة . اسماعيل بن مسلم هذا هو المكي ضيف .
وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عوف عن الحسن عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ لما بلغته أن
أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال لن يفتح قوم ولوا أمرهم امرأة . ودواه القرمزي والتسائي
من حديث حميد عن الحسن عن أبي بكرة عن النبي ﷺ وقال القرمزي حسن صحيح وقوله (واوتيت
من كل شيء) أي مما من شأنه أن تؤتاه الملوك (ولها عرش عظيم) يعني سبزر مملكتها كان مزخرفا بأقواس
الجواهر والآلات والنهب والخطى الباهر . ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم للشمس من دون الله واضلال
الشیطان لهم وصده إياهم عن عبادة الله وحده لا شريك له التي يخرج الخب في السموات والأرض
ويعلم ما يخفون وما يعلنون أي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات (الله لا إله إلا هو
رب العرش العظيم) أي له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات . فبعد ذلك بث منه سليمان
عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والآفة والأمان إلى الدخول في الخضوع
لملكه وسلطانه ولهذا قال لهم (ألا تعلموا على) أي لا تستكبروا عن طاعتي وامثال أوامر (واتوا
مسلمين) أي وأقدموا على سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة فلما جاءها الكتاب مع الطير ومن
ثم أخذ الناس البلاط والكنز أين الثريا من الثرى تلك البطاقة كانت مع طائر سماع مطيع قائم عالم بما يقول
ويقال له فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن المهدم حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فلقاه إليها
وحى في خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها فجمعت أمرها ووزارها
واكبرت دولتها المشورتها (قالت يا أيها الملك أي التي إلى كتاب كريم) ثم قرأت عليهم عنوانه أولا (أنه
من سليمان) ثم قرأته (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا على واتوا مسلمين) ثم شاورته في أمرها
وما قد حل بها وتحدثت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون (قالت يا أيها الملك أختي في أمري ما كنت قاطنة
أمرأ حتى تشهدون) قفى ما كنت لأبث أمرأ إلا وأنت حاضرون (قلوا نحن أولوا قوة وأولو بأس
شديد) يمتنون لنا قوة وقعدة على الجلال والقتال ومقلومة الأبطال فلن أردت منا ذلك فاعلم من القادرين
(ومع هذا) (الامر إليك فاعظي ماذا تأمرين) فيقولوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة
وفوضوا إليها في ذلك الامر لقرى فيه ما هو الارشد لها ولم فكلن رأيها أنهم وأسد من رأيهم وعلت
أن صاحب هذا الكتاب لا يبالغ ولا يبالغ ولا يخالف ولا يتخادع (قالت إن الملك إذا دخلوا قرية
أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) تحول رأيها السيد إن هذا الملك لو قد غلب على
هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم الا إلى ولم تكن الحدة والشدّة والطوة البليغة الا على (وإني
مرسلة إليهم بهدية فاعظيهم يرجع المرسلون) أرادت أن تصانع عن نفسها وأهل مملكتها بهدية ترسلها
وتخفف تبسها ولم تعلم ان سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفا ولا عدلا لاهم كفرون وهو

وجنوده عليهم قاعدون ولهذا (لما جاء سليمان قال اعدون ليال فأتى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة كاذكره المفسرون ثم قال لرسولها اليه ووافعها القى قدم عليه والناس حاضرون يسمعون (ارجع اليهم فلنأتيهم بمجنود لاقبل لهم بها ولنخرجهم منها أذنة وهم صاغرون) يقول ارجع بهديتك التي قدمت بها الي من قدم بها فان عتدي مما قد أنعم الله علي وأسدها الي من الاموال والتحف والرجال ما هو اضعاف هذا وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفرحون على أبناء جفك ببيته (فلنأتيهم بمجنود لاقبل لهم بها) أي فلا يثن اليهم بمجنود لا يستطيعون دفعهم ولا تراهم ولا مما فتهم ولا قتالهم ولا يخرجهم من بلادهم وحوزتهم وممالكهم ودولهم أذنة (وهم صاغرون) عليهم الصغار والمال والاموال فلما بلغتهم ذك عن نبى الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة فيأدروا الي اجابته في تلك الساعة وأقبلوا صلبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين فلما سمع بقومهم عليه ووفودهم اليه قال لمن بين يديه من هو مسخر له من الجنان ما قصه الله عنه في القرآن . (قال يا أيها الملأ أياكم يأتي برشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفریت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واتى عليه قوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستعراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلونى أشكر أم أكفر ومن شكر فأتا يشكر لنصفه ومن كفر فأن ربي غنى كريم قال فسكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تتكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كاه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصداها ما كانت قبده من دون الله إنها كانت من قوم كافرين قيل . لما ادخل الصرح فلما رآه حبيته بلة وكشفت عن ساقها قال انه صرح مجرد من قوارير قالت رب انى ظلت نسى وأسلت مع سليمان لله رب العالمين) .

لما طلب سليمان من الجنان أن يحضروا له عرش يقين وهو سرير مملكته التي تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه (قال عفریت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) يعنى قبل أن يتقاضى مجلس حكمك وكان فيما يقال من أول النهار الى قريب الزوال يتصدى لمهمات بنى اسرائيل ومالهم من الاشغال (واتى عليه قوى أمين) أى واتى قو قدره على احضارى اليك وامانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك (قال الذى عنده علم من الكتاب) المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خاتمة سليمان . وقيل هو رجل من مؤمنى الجنان كان فيما يقال يحفظ الاسم الاعظم . وقيل رجل من بنى اسرائيل من علمائهم وقيل لانه سليمان وهذا غريب جداً . وضعه السهيلي بانه لا يصح فى سياق الكلام قال وقد قيل فيه قول رابع وهو جبريل (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قيل مستاء قبل أن تبعث رسولا الى أقصى ما يتهى اليه طرفك من الارض ثم يعود اليك . وقيل قبل أن يصل اليك أبداً من تراه من

الناس وقيل قبل أن يكل طرطك اذا أمت النظر به قبل أن تطبق جنك . وقيل قبل أن يرجع اليك طرطك اذا نظرت به الى أبد غاية منك ثم أغضضته وهذا أقرب ما قيل . (فلما رآه مستقراً عنده)
 أى فلما رأى عرش بقليس مستقراً عنده فى هذه المدة القريبة من بلاد اليمن الى بيت المقدس فى طرفة عين
 (قال هذا من فضل ربى ليولنى أشكر أم أكره) أى هذا من فضل الله على وفضله على عبده ليختبره
 على الشكر أو خلافه (ومن شكر فأتاهم بركته) أى انما يهود فتح ذلك عليه (ومن كفر فإن ربى غنى
 كريم) أى غنى عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير
 حلى هذا العرش ويتكر لما ليختبر فيها وعقلها ولهذا قال (فنظر أنهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون
 فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) وهذا من فطنها وغزارة فهمها لأنها استبعدت أن
 يكون عرشها لها خلقته وادعاه بأرض اليمن ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب
 الغريب قال الله تعالى اخباراً عن سليمان وقومه (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت
 تبعث من دون الله إنها كانت من قوم كافرين) أى ومنمها عبادة الشمس التى كانت تسجد لها هى
 وقومها من دون الله أتباعاً لدين آبائهم واسلافهم لا لليل قادم الى ذلك ولا حادام على ذلك وكان
 سليمان قد أمر بيته صرح من زجاج وعمل فى عمره ماء وجعل عليه سقفاً من زجاج جعل قيسن السك
 وغيرها من حواب الماء وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه (فلما رآه حسبت لجة
 وكشفت عن ساقها) قال إنه صرح بمرد من قوادير قالت ربى إني ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله
 رب العالمين (وقد قيل إن الجن أراحوا أن يشعروا منظرها عند سليمان وأن تبدى عن ساقها ليرى
 ما عليها من الشر فينفره ذلك منها وخشوا أن يتزوجها لأن أمها من الجن فتسلط عليهم مه . وذكر
 بعضهم أن حافرها كان كحافر الدابة وهذا ضيف وفى الاول أيضاً نظر والله أعلم الا أن سليمان قيل
 إنه لما أراد ازالته حين عزم على تزوجها سأل الأنس عن زواله فذكروا له موسى فلم تنتع من ذلك
 فسأل الجن فصنعوا له التوراة ووضعوا له الحمام فكان أول من دخل الحمام فلما وجد مه قال أوه من
 عذاب أوه أوه قبل أن لا يفتح أوه . رواه الطبراني مرفوعاً وفيه نظر •

وقد ذكر التلمبى وغيره أن سليمان لما تزوجها اقراها على مملكة اليمن ووردها اليه وكان يزورها فى
 كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط وأمر الجن أن ينوا له ثلاثة قصور باليمن غندان
 وسلمين ويثرون لله أعلم . وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم
 يتزوجها بل تزوجها بمكة ومدان وأقراها على ملك اليمن وسخر زويزة ملك جن اليمن فبنى لها القصور
 الثلاثة التى ذكرناها باليمن والأول أشهر وأظهر والله أعلم •

وقال تعالى في سورة ص (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب اذ عرض عليه بالشئ الصافات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردهوا على فطلق مسحا بالسوق والاعتناق . وقد هتنا سليمان والقيتا على كرسيه جسدًا ثم ألب . قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرئين في الأصفاذ . هذا عطاؤنا فمتنن أو أمسك بصير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) . يذكر تعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام ثم أنقى الله عليه تعالى فقال (نعم العبد إنه أواب) أي رجاء مطيع لله . ثم ذكر تعالى ما كان من أمره في الخليل الصافات وهي التي تفت على ثلاث وطرف حافر الرابعة . الجياد وهي المضرة السراع (قال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس . وقيل الخليل على ما سئذ كره من القولين . (ردهوا على فطلق مسحا بالسوق والاعتناق) قيل مسح عراقيها وأعناقها بالسيف . وقيل مسح عنها الرق لما أجزاها وسابق ينها وبين يديه على القول الآخر * والذي عليه أكثر السلف الاول قالوا اشتغل برض تلك الخيل حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس روى هذا عن علي بن أبي طالب وغيره والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمداً من غير عذر اللهم إلا أن يقال إنه كان سائناً في شريعتهم فأخر الصلاة لأجل أسباب الجهاد وعرض الخليل من ذلك * وقد ادعى طائفة من العلماء في تأخير النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروعا اذ ذاك حتى فسخ صلاة الخوف قاله الشافعي وغيره . وقال مكحول والاوزاعي بل هو حكم محكم إلى اليوم أنه يجوز تأخيرها بغير اقتال الشديد كما ذكرنا تقرير ذلك في سورة النساء عند صلاة الخوف . وقال آخرون بل كان تأخير النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق نسيانا وعلى هذا فيحمل فعل سليمان عليه السلام على هذا والله أعلم . وأما من قال الضمير في قوله حتى توارت بالحجاب حائد على الخليل وأنه لم تنته وقت صلاة وإن المراد بقوله (ردهوا على فطلق مسحا بالسوق والاعتناق) يعني مسح الرق عن عراقيها وأعناقها فهذا القول اختاره ابن جرير ورواه الواهلي عن ابن عباس في مسح الرق * ووجه هذا القول ابن جرير بأنه ما كان ليغيب الحيوان بالقرية وبهلك ما لا بلا سبب ولا ذنب لها وهذا الذي قاله فيه نظر لانه قد يكون هذا سائناً في ملهم وقد ذهب بعض علمائنا إلى أنه اذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شيء من الحيوان من أفتام ونحوها جاز ذبحها وأهلا كلها ثلاثا يتقوا بها وعليه حل صنيع جعفر بن أبي طالب يوم عقر فرسه بمكة وقد قيل إنها كانت خيلا عظيمة . قيل كانت عشرة آلاف فرس . وقيل عشرين ألف فرس . وقيل كان فيها عشرون فرسا من ذوات الاجنحة . وقد روى أبو داود في سننه حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد ابن أبي مسريم أبا ناسم يحيى بن أيوب حدثني حمارة بن عزية أن محمد بن ابراهيم حدثه عن محمد بن أبي سلمة

ابن عبد الرحمن عن عائشة قالت قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فبهت الريح فكشفت ناحية السحر عن بنات لثائمة تلب قال ما هذا يا عائشة قالت بناتي ورأى يهنن فرسا له جناحان من رفاع قال ما هذا القى أرى وسطين قالت فرس قال وما القى عليه هذا قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أما سمعت أن سليمان خيلا لها أجنحة قالت فضحك حتى رأيت نواجذه ﷺ . وقال بعض العلماء لما ترك الخيل لله عرضه الله فيها بما هو خير له منها وهو الريح التي كانت غدوها شهرا ورواحها شهرا كما سيأتي الكلام عليها كما قال الامام احمد حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن حلال عن أبي قتادة وأبي الدماء وكانا يكثران السفر نحو البيت فلا آتينا على رجل من أهل البادية قال البدوي أخذ يدري رسول الله ﷺ فجعل يلمس مما على الله عز وجل وقال انك لاتدع شيئا انما الله عز وجل الا أعطاك الله خيرا منه . وقوله تعالى (وقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) . ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارا كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متفقة من الاسرائيليات وفي كثير منها نكارة شديدة وقد نهينا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة ومضمون ما ذكره أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوما ثم عاد اليه ولما عاد أمر يثاء بيت المقدس فبناء محكما . وقد قدمنا أنه جده وأن أول من جعله مسجداً اسرائيل عليه السلام كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال مسجد بيت المقدس قلت كم بينهما قال أربعون سنة ومعلوم أن بين ابراهيم القى بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليها السلام أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة وكان سؤاله الملك القى لا يبنى لاحد من بعده بعدا كاله البيت المقدس كما قال الامام احمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم لمسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله ﷺ إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلافا خلافا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه اياه وسأله ملكا لا يبنى لاحد من بعده فأعطاه اياه وسأله ايا رجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطبته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا اياها . فلما الحكم القى يوافق حكم الله تعالى قد أنهى الله تعالى عليه وعلى آية في قوله (وداود وسليمان اذ يحكما في الحرف اذ فتنس فيه قوم التورم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمتا سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فتنس فيه قوم آخرين أي رعت بلبل فاكلت شجرة بالكلية فحما كوا الى داود عليه السلام فحكم لأصحاب الكرم قيمته فلما خرجوا على سليمان قال بما حكم لكم بنى الله قالوا بكذا وكذا فقال أما لو كنت أنا لما حكمت الا بقليل النعم الى أصحاب الكرم فيستولونها تاجا ودرعا حتى

يصلح أصحاب الغنم كرم أولئك ويردوه الى ماكن عليه ثم يتسلوا غنهم فبلغ داود عليه السلام ذلك
فحك به وقرىب من هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال
قال رسول الله ﷺ **يَا إِسْرَأِيلُ** مِمَّا ابْتِغَاهَا أَذْهَابُ الْقَذْبِ فَأَخَذَ ابْنُ أَحَدَاهَا فَنَازَعْتَا فِي الْآخِرِ
قَالَتِ الْكَبْرَى إِنَّمَا ذَهَبُ بَابِكَ وَقَالَتِ الصَّغْرَى بَلْ إِنَّمَا ذَهَبُ بَابِكَ فَمَا كُنَّا إِلَى دَاوُدَ فَحُكِمَ بِهِ
لِلْكَبْرَى فَخَرَجْنَا عَلَى سُلَيْمَانَ قَالَ ائْتُونِي بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ فَصَنَعَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا نَصْفَهُ قَالَتِ الصَّغْرَى
لَا تَحْضِلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ هُوَ ابْنُهَا فَهَضَمْتُ بِهِ لَهَا وَلِلَّهِ كَلَامٌ مِنَ الْحَكِيمِينَ كَانَا سَائِفًا فِي شَرِيهِمْ وَلَكِنْ مَقَالَهُ سُلَيْمَانُ
أَرْجِعْ وَلِهَذَا أَمَنَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَا أَلْهَى إِيَّاهُ وَمَدَحَ بِهِ ذَلِكَ أَبَاهُ قَالَ (وَكَلَّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ
الْجِبَالَ يَسْبِغْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْصِنَكُمْ مِنْ أَسْكَمَ قَهْلَ أَتَمَّ شَأْنُ كَرُونِ) .
ثم قال (وَسُلَيْمَانُ الرِّيحَ عَاصِفَةً أَيُّ سَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ . وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَتُوسُّونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عِلَادُونَ ذَلِكَ وَكَنَالَهُمْ حَافِظِينَ) .
وقال في سورة ص (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينِ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ
وَأَخْرَجْنَا مَقَرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ . هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزَنٌ وَحِشْنٌ
مَأْتٍ) . لما ترك الخليل ابتغاء وجه الله حوَّضَهُ اللَّهُ مِنْهَا الرِّيحَ الَّتِي هِيَ أَمْرٌ عَرِيسٌ وَأَقْوَى وَأَعْظَمُ وَلَا كَافَّةً
عَلَيْهِ لَهَا تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً (حَيْثُ أَصَابَ) أَيُّ حَيْثُ أَرَادَ مِنْ أَيُّ الْبِلَادِ . كَانَ لَهُ بَاسٌ مَرَكَبٍ مِنْ أَشْجَابِ
بَحْرِثُ إِيَّاهُ يَسْمَعُ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْفُورِ الْمُبْنِيَةِ وَالْقَصُورِ وَالنِّجَامِ وَالْأَمْنَةِ وَالْخِيُولِ وَالْجَمَالِ وَالْأَهْثَالِ
وَالرِّجَالِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالطَّيُورِ فَذَا أَرَادَ سَفَرًا أَوْ مَسْتَنْزَهَا أَوْ قَتَالَ مَلِكًا
أَوْ أَعْدَاءَ مِنْ أَيُّ بِلَادٍ اللَّهُ شَاءَ فَذَا جَمَلَ هَذِهِ الْأُمُورَ الْمَذْكُورَةَ عَلَى الْبَاسِطِ أَمْرَ الرِّيحِ فَدَخَلَتْ تَحْتَهُ
فَرَضَتْ فَذَا اسْتَقَالَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْرُ الرِّخَاءِ فَصَارَتْ بِهِ فَنَ أَرَادَ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ أَمْرَ الْعَاصِفَةِ
فَخَفِضَتْهُ أَسْرَعَ مَا يَكُونُ فَوْضَعَتْهُ فِي أَيُّ مَكَانٍ شَاءَ بِحَيْثُ إِيَّاهُ كُنَّ يَرْحَلُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ
فَضَعْدُوهُ بِهِ الرِّيحَ فَخَضَعَهُ بِاصْطِخْرٍ مَسِيرَةِ شَهْرٍ فَبَقِيَ هُنَاكَ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ * ثُمَّ رُوحَ مِنْ آخِرِهِ فَتَرَدَّ إِلَى
بَيْتِ الْمُقَدَّسِ كَمَا قَالَ تَمِيمُ (وَسُلَيْمَانُ الرِّيحَ غَدَوْهَا شَهْرَ وَرَوَّاحَهَا شَهْرَ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنْ الْجِبْنِ
مَنْ يَمْلِكُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَنْفَثُ بِهِ وَمَنْ يَرْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَمْلِكُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ
مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَنَانٍ كَلْبُلُوبٍ وَقُفُورٍ رَاسِيَاتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ) .
قال الحسن البصري كان يندو من دمشق فينزل باصطخر فيفتدى بها وينهب رُحْمًا مِنْهَا فَيَبِيتُ بِكَابِلِ
وَبَيْنَ دِمَشْقَ وَبَيْنَ اصْطِخْرٍ مَسِيرَةِ شَهْرٍ وَبَيْنَ اصْطِخْرٍ وَكَابِلِ مَسِيرَةِ شَهْرٍ قُلْتُ قَدْ ذَكَرَ التَّسْكُونُ عَلَى
الْعِمْرَانِ وَالْبِلْدَانِ أَنَّ اصْطِخْرَ بَيْتَهَا الْجَانُّ لِسُلَيْمَانَ وَكَانَ فِيهَا قَرَارُ مَمْلُوكَةٍ أَلْتَرَكْتُ قَدِيمًا وَكَذَلِكَ غَيْرُهَا مِنْ
بِلْدَانٍ شَتَّى كَنَدَسَرُ وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ وَبَلْبُ جَبْرُونَ وَبَلْبُ الْبَرِيدِ الْفَدَانُ بِدِمَشْقَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ .

وأما القطر قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد هو النحاس قال قتادة وكانت
 باليمن أنبها الله له قال السدي ثلاثة أيام قط أخذ منها جميع ما يحتاج اليه للبنات وغيرها وقوله (ومن
 الجن من يملئين يديه بلذن ربه ومن يرزق منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أى وسخر الله له
 من الجن عمالا يصلون له ما يشاء لا يقترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الامر عذبه
 ونكل به (يصلون له ما يشاء من محاريب) وهى الاماكن الحسنة وصدور المجالس (ومماثل) وهى
 الصور فى الجدران وكان هذا سائفا فى شريعتهم وملتهم (وجنان كليلوب) . قال ابن عباس الجفنة
 كالجوبة من الارض وعنه كليااض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وعلى هذا الرواية
 يكون الجواب جمع جاية وهى الحوض الذى يجي فيه الماء فا قال الاعشى .

تروح على آل الحلق جفنة كجاية الشيخ العراقى ينفق

وأما التقدور الراسيات قال عكرمة أنها فيها معنى أنهم ثوابت لا يزلن عن أما كنهن وهكذا قال
 مجاهد وغير واحد ولما كان هذا بصدد اطعام الطعام والاحسان الى الخلق من انسان وجان قال تعالى
 (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور) وقال تعالى (والشیاطین کل بناء وغواص
 وآخرن مفرین فی الاصفاد) معنى أن منهم من قد سخره فى البناء ومنهم من يأمره بالتموص فى الماء
 لاستخراج ما هناك من الجواهر والالآئ وغير ذلك مما لا يوجد الا هناك وقوله (وآخرین مفرین فى
 الاصفاد) أى قد عصوا فقيدوا مفرین اثنين اثنين فى الاصفاد وهى القيود . هذا كله من جملة ماهايا
 الله وسخره له من الاشياء التى هى من تمام الملك الذى لا ينفى لاحد من عبده ولم يكن أيضا لمن كان قبله
 وقد قال البخارى ثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن
 النبى ﷺ قال إن عفرينا من الجن تملت على الباردة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه فاخذته فأردت
 أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم قد كرت دعوة أخى سليمان (رب اغفر
 لى وهب لى ملكا لا ينفى لاحد من بدى فردته خاسئا) . وكذا رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة
 وقل مسلم حدثنا محمد بن سلمة المراءى حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثنى ربيعة بن يزيد
 عن أبى ادريس انطولا عن أبى الدرداء قال قام رسول الله ﷺ فسلمنا فقال يا رسول الله سمعناك تقول فى
 الصلوة شيئا لم نسمعك تنهله قبل ذلك ورأيناك بطلت يدك قال إن عدو الله الجلس جاء بشهاب من
 نار ليحمله فى وجهى قلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألتك بمنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث
 مرات . ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلبس به ولدان أهل المدينة .
 وكذا رواه النسائى عن محمد بن سلمة به . وقال احمد حدثنا أبو احمد حدثنا مرة بن مبدئ أبو عبيد

حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد البجلي قائماً يصلي فذهبت أمرين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قلم فصل صلاة الصبح وهو خلفه قرأ فالتبست عليه القراءة . فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتموني وأبليس فأهويت يدي فاذلت أخته حتى وجلت برد لما به بين أصبى هاتين الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل . روى أبو داود منه فمن استطاع إلى آخره عن أحمد بن مريح عن أحمد الزيري به *

وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة سبعة مائة بمهمل وثلاثة مائة مائة وقيل بالمكس ثلثمائة حرار وسبعة مائة من الإماء . وقد كان يطبق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً قال البخاري حدثنا خالد بن مخلد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فلماً يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه قال النبي ﷺ لو قالوا لجاهدوا في سبيل الله . وقال شبيب وابن أبي الزناد تسعين وهو أصح فخره به البخاري من هذا الوجه وقال أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا يزيد أنبأ هشام بن حسان عن محمد بن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهم ثلث غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله . ولم يقل إن شاء الله فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهم امرأة إلا امرأة ولدت نصف إنسان قال رسول الله ﷺ لو قال إن شاء الله ولدت كل امرأة منهم غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل . إسناده على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم ثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهم غلاماً يقاتل في سبيل الله . ولم يستثن فها ولدت إلا واحدة منهم بشق إنسان قال قال رسول الله ﷺ لو استثنى لولد له مائة غلام كلهم يقاتل في سبيل الله عز وجل فخره به أحمد أيضاً . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأ مضر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهم غلاماً يقاتل في سبيل الله قالوا نسي أن يقول إن شاء الله فطاف بهن قال فلم تلد منهم امرأة إلا واحدة نصف إنسان قال رسول الله ﷺ لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان ذلك حاجته وهكذا أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به مثله . وقال اسحاق بن بشر أنبأنا مقاتل عن أبي الزناد وابن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن سليمان بن داود كان له أربعمائة امرأة وسبعة مائة امرأة قال يوماً لأطوفن الليلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهم بنتاً يقاتل في سبيل الله ولم يستثن فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن

الا امرأة واحدة منهم جاءت بشق إنسان قال النبي ﷺ والقي ضعى يده لو استثنى فقال إن شاء الله لود له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل . وهذا استناد ضعيف لحال اسحاق بن بشر فانه منكر الحديث ولا سيما وقد خالف الروايات الصحاح . وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتوسعها ما لم يكن لاحد قبله ولا يعطيه الله أحدا بعده كما قال (وأوتينا من كل شيء) وقال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بنى ائمتك أنت الوهاب) وقد اعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق . ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه واسداه من النعم السكاملة العظيمة اليه قال (هذا عطاؤنا فابن أو أمسك خير حساب) أى أعط من شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك أى تصرف في المال كيف شئت فان الله قدسوغ لك كما فعله من ذلك ولا يحاسبك على ذلك وهذا شأن النبي الملك بخلاف البعد الرسول فان من شأنه أن لا يعطى أحدا ولا يمنع أحدا إلا بإذن الله له في ذلك وقد خير نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين المقامين فاختار أن يكون عبداً رسولاً . وفي بعض الروايات أنه استشار جبريل في ذلك فإشار اليه أن تواضع فاختار أن يكون عبداً رسولاً صلوات الله وسلامه عليه وقد جعل الله الخلافة والملك من بعده في أمته الى يوم القيامة فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة فله الحمد والمنة .

ولما ذكر تعالى ماوجه لنبية سليمان عليه السلام من خير الدنيا به على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والاجر الجليل والقرية التي تحربه اليه والنور العظيم والاكرام بين يديه وذلك يوم الماد والحساب حيث يقول تعالى (وان له عندنا زلفى وحسن مآب) .

ذكر وفاته وكم كانت مدة ملكه وحياته

قال الله تبارك وتعالى (فلما قضينا عليه الموت ما علم على موته الا دابة الارض تأكل منأه فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون النيب ما لبثوا في العذاب المهين) . روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث ابراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال كان سليمان نبي الله عليه السلام اذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شيء أنت فان كانت اعرس غرست وان كانت لهواه أقيمت فينبأ هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت انغروب قال لاي شيء أنت قالت انخراب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون النيب فتنبها عصا فوقاً عليها حولاً والجن قمل فاكلتها الارضة فتبنت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون النيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين . قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيا بللاء .

لفظ ابن جرير وعطاء الخراساني في حديثه نكارة * وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سلمة ابن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً وهو أشبه بالصواب والله أعلم . وقال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أنس من الصحابة كان سليمان عليه السلام يجرد في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المردالتى توفى فيها فكان يده ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتها فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فلن كانت لغرس غرسها وان كانت نبتت دواء قالت نبت دواء لكذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولاى شئ نبتت قالت نبتت غراب هذا المسجد قتال سليمان ما كان الله ليخر به وأنا حتى أنت التى على وجهك هلاكى وغراب بيت المقدس قرعها وغرسها فى حائط له . ثم دخل الحراب فقام يصلى متكئاً على عصاه فات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول الحراب وكان الحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذى يريد أن يطلع يقول الست جليلاً أن دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من اولئك فر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام وهو فى الحراب الاحترق ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق وقطر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فخرج فاخبر الناس أن سليمان قد مات فقتلوا عنه فلخرجوه ووجدوا منأته وهى العصا بلسان الحبشة قد اكثتها الارضة ولم يملوا منذ كملت فوضوا الارضة على المصافا كلت منها يوماً وليلة . ثم حسبوا على ذلك النحر فوجدوه قد مات منذ سنة وهى قراءة ابن مسعود فكثروا بدأ بوزله من بدموته حولا كاملاً فآيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو أنهم علموا النيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل (ما لهم على موته الا دابة الارض تاكل منأته فما خر تعينت الجن أن لو كانوا يعلمون النيب ما لبثوا فى العذاب المهيّن) يقول تعين أمرهم فلناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم إن الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكننا سنقتل اليك الماء والطين قال قاتهم يقتلون اليها ذلك حيث كانت قال ألم ترالى الطين الذى يكون فى جوف الخشب فهو ما يأتها به الشيطان تشكر آكلها . وهذا فيه من الاسرائيلات التى لا تصدق ولا تكذب .

وقال أبو داود فى كتاب القدر حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الاعشى عن خيثة قال قال سليمان بن داود عليها السلام ملك الموت اذا أردت أن تهبى روحى فأعلمنى قال ما أنا أعلم بذلك منك انما هى كتب يلقى الى فيها تسمية من يموت . وقال اصبح بن الفرج وعبد الله بن وهب عن

عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال قال سليمان ملك الموت اذا أمرت في قاعلني فقل له قال سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سوية فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قواير ليس له باب فقام يصل قائماً على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوك على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت قال والجن قمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حي قال فبث الله دابة الارض يعني الى منسأه فاكلتها حتى اذا أكلت جوف المصاضفت وهزل عليها خر فلما رأت الجن ذلك اغضوا وذهبوا قال فذلك قوله (مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأه فلما خربت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ماثبوا في المذاب المهن) . قال اصيغ وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل في منسأه حتى خر وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم والله أعلم .

قال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهري وغيره ان سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة وقال اسحاق أنبأنا أبو روق عن عكرمة عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة والله أعلم وقال ابن جرير فكان جميع عمر سليمان بن داود عليها السلام نيفاً وخمسين سنة وفي سنة أربع من ملكه ابتدأ بناء بيت المقدس فيا ذكر ثم ملك بعده ابنه رجمام مدة سبع عشرة سنة فيا ذكره ابن جرير وقال ثم تفرقت بعده مملكة بني إسرائيل .

باب في ذكر جماعة من انبياء بني اسرائيل عليهم السلام من لا يعلم وقت زمانهم على التعيين الا أنهم بعد داود وسليان عليهما السلام وقبل ذكريا ويحيى عليهما السلام

فهم شعيا بن امصيا قال محمد بن اسحاق وكان قبل ذكريا ويحيى وهو من بني يسيى ومحمد عليهما السلام وكان في زمانه ملك اسمه حزقيا على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس وكان سامعاً مطيعاً لشعيا فيا يأمره به وينهاه عنه من المصالح وكانت الاحداث قد عظمت في بني إسرائيل ففرض الملك وخرجت في رجله قرحه . وقصد بيت المقدس ملك بابل في ذلك الزمان وهو سنحاريب قال ابن اسحاق في سبائة الف راية وفرغ الناس فرحاً عظيماً شديداً وقال الملك لثني شعيا ماذا أوحى الله اليك في أمر سنحاريب وجنوده فقال لم يوح اليهم شيء . ثم نزل عليه الوحي بالامر للملك حزقيا بان يوصي ويستخلف على ملكه من يشاء فانه قد اقترب أجله فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبة فضلى وسبح ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله عز وجل قلب غلص وتوكل وصير (اللهم رب الأرباب وإله الأئمة بارحمن

يارحمهم لمن لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بملئى وفلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك فانت أعلم به من نضى سرى واعلاى لك) قال فاستجلب الله له روحه واوحى الله الى شيئا أن يشره به قد رحم بكاءه وقد أخر فى أجله خمس عشر سنة وأتياه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك ذهب منه الوجع واقطع عنه الشر والحزن وخر ساجداً وقال فى سجوده (اللهم أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع من تشاء وتمرز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والاخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين) فلما رفع رأسه أوحى الله الى شيئا أن يأمره أن يأخذ ماء التين فيجعله على قرحة فيشفى ويصبح قد برئ . ففعل ذلك فشفى وارسل الله على جيش سنحاريب الموت فاصبحوا وقد هلكوا كلهم سوى سنحاريب وخمسة من أصحابه منهم نخت نصر فارس ملك بنى اسرائيل فجاء بهم فجلهم فى الأعلال وطاف بهم فى البلاد على وجه التنكيل بهم والاهاة لهم سبعين يوما ويضرم كل واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير ثم أودعهم السجن واوحى الله تعالى الى شيئا أن يأمر الملك بارسالهم الى بلادهم لينتدروا قومهم مقلدحل بهم فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه واخبرهم بما قد كان من امرهم قال له السحرة والسحنة انا اخبرتك عن شأن ربهم واغياهم فلم تعلمنا وهى أمة لا يستطيع احد من ربهم فكأن أمر سنحاريب مما خوفهم الله به . ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين . قال ابن اسحاق ثم امامات حزقيا ملك بنى اسرائيل مرح امرهم واخطط احداهم وكثر شرهم فلوحي الله تعالى الى شيئا قام فيهم فوعظهم وذكرهم واخبرهم عن الله بملوه امله وانذرهم بأسه وعقابه ان خالفوه وكذبوه . فلما فرغ من مقالته عدوا عليه وطلبوه ليقطوه فهرب منهم فرب شجرة فاخلفت له فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فبرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالقتل فوضوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها فأتاه وإنا اليه راجعون

ومنها ارميا بن حلقيا من سبط لاوى بن يعقوب

وقد قيل إنه انخضر رواء الضحاك عن ابن عباس وهو غريب وليس بصحيح . قال ابن عساکر جاء فى بعض الاسانيد أنه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو يقول بدمشق قال أيها المم فنت الناس فاسكن فسكن ورسب حتى غلب . وقال أبو بكر بن ابى الدنيا حدثنى على بن أبى مريم عن احمد بن حنبل عن عبد الله بن عبد الرحمن قال قال أرميا أى رب أى عبادك احب اليك قال اكثرهم لى ذكر آ الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر الخلاق . الذين لا تمرض لهم وسادس الفناء ولا يحدثون انفسهم بالبقاء . الذين اذا عرض لهم عيش الدنيا قوه واذا زوى عنهم سروا بذلك . اولئك انحلهم محبى واعطهم فوق غايهم .

ذكر خراب بيت المقدس

وقوله تعالى (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من جعلنا مع نوح أنه كان عبداً شكورا . وقضينا الى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين وتملن علواً كبيراً . فاذا جاء وعد أولاهما نبثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفضولاً . ثم رددنا لكم الكثرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما عملوا فتيبروا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عديم عددنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) وقال وهب بن منبه أوحى الله الى نبي من أنبياء بنى إسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم المعاصي أن قم بين ظهراني قومك فاعبدهم أن لهم قلوباً ولا يفقهون وأعيناً ولا يبصرون وأذاناً ولا يسمعون وإني تذكرت صلاح آبائهم فصفقتي ذلك على أبنائهم فسلمهم كيف وجدوا غب طاعتي وهل سعد أحد من عصاني بمصيتي وهل شقي أحد من أطاعني بطاعتي إن الثواب تذكر أوطانها فتزع البها وإن هولاء القوم تركوا الأمر القبيح أكرمت عليه آبائهم والتسوا الكرامة من غير وجهها أما أحبارهم فانكروا حق وأما قراؤهم فصيدوا غيري وأما نساكم فلم يقتضوا بما علموا وأما ولاتهم فكذبوا على وعلى رسل . خزنوا المكرب في قلوبهم وعودوا الكذب أنفسهم . وإني أقسم بجلالي وعزتي لا هيجن عليهم جيولاً لا يفقهون أنفسهم ولا يعرفون وجوههم ولا يرجعون بكاهم ولا يثبت فيهم ملكاً جباراً قاسياً له عاكر كقطع السحاب ومواب كمثل النجاج كل خفجان رايته طيران النسور وكل حمل فرسانه كز القبان يمدون الممران خراباً ويتركون القرى وحشة فيأويل أيليا وسكنها كيف أظلم للقتل وأسلط عليهم السبا وعيد بسد لجب الأعراس صراخاً وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب وبعد شرافات القصور مساكن السباع وبعد ضوء السرج وهج السجاج وبانزع دلا والنصة البوقية وأبدان نساءهم بعد الطيب التراب . وبالشئ على الزرابي الخليب ولاجلن أجسادهم زبلاً للأرض وعظامهن ضاحجة للشمس ولأودسهم يلوآن العذاب ثم لا تمرن السبا فتكون طيقاً من حديد والأرض سيكة من نحاس فلن أمطرت لم تنبت الأرض وإن أنبت شيئا في خلال ذلك فيرحقني الهائم . ثم أحبه في زمان الزرع وأرسله في زمان الحصاد فلن زرعوا في خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة فلن خلص منه شئ تزعت منه البركة فان دعوني لم أنجبهم وإن سألوكم أعطهم وإن بكوا لم أرهمهم وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم . رواه ابن عساكر بهذا اللفظ .

وقال اسحاق بن بشر أنبثنا لإدريس عن وهب بن منبه قال إن الله تعالى لما نبث أرميا الى بنى إسرائيل وذلك حين عظمت الأحداث فيهم فملوا بالمعاصي وقتلوا الأنبياء طبع بخت نصر فيهم وقذف

الله في قلبه وحديث فبه بالمسير اليهم لما أراد الله أن ينتقم به منهم فأوحى الله إلى أرميا إني مهلك بني إسرائيل ومتنعم منهم فقم على صخرة بيت المقدس ياتيك أمرى ووحى هام أرميا فتق ثيابه وجل الرماد على رأسه وخر ساجداً وقال يارب وددت أمي لم تلدني حين جعلني آخر أنبياء بني إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبنو بني إسرائيل من أجل قال له ارفع رأسك فرفع رأسه فبكى ثم قال يارب من تسلط عليهم قال عبدة النيران لا يخافون عقابي ولا يرجون ثوابي قم يا أرميا فاستمع وحي أخبرك خبرك وخبر بني إسرائيل من قبل أن أخلقك اخترتك . ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قسستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ نباتك ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ولا مر عظيم أجيتك فقم مع الملك تسدده وترشده فساكن مع الملك يسدده ويأتيه الوحي من الله حتى عظمت الأحداث ونسوا ما نجام الله به من علوم سنحار وب وجنوده فأوحى الله إلى أرميا قم فاقصص عليهم ما أمرك به وذكركم فسمي عليهم وعرفهم أحداثهم فقال أرميا (يارب إني ضيف إن لم تقو عجز إن لم تبغني خطي إن لم تسدني غدول إن لم تنصرني ذليل إن لم تعزني) فقال الله تعالى (أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيقي وأن الخلق والأمر كله لي وأن القلوب والألسنة كلها بيدي فألقها كيف شئت فخطيقي فإنا الله الذي ليس شيء مثلي . قامت السموات والأرض وما فيهن بكلتي . وإنه لا يخلص التوحيد ولم تم القدرة إلاي ولا يعلم ما عندي غيري وأنا الذي كنت البحار فقهمت قولي وأمرتها ففعلت أمرى وحددت عليها حدوداً فلا قدس وحدي وتأتي بأمواج كالجبال فإذا بلغت حدى ألبستها مذلة طاعتي وخوفاً واعترافاً لأمرى وإني معك ولن يصل اليك شيء مني وإنني بشتك إلى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي فتستوجب لذلك أجر من أتبعك ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً انطلق إلى قومك فقم ففهم وقل لهم ان الله قد ذكركم بصلاح آباءكم فذلك استبقاكم بامعش أبناء الأنبياء وكيف وجد آباؤكم منية طاعتي وكيف وجدتم منية معصيتي وهل وجدوا أحداً عصاني فمعد بمعصيتي وهل عدوا أحداً أنطاعني فتق طاعتي ان السواب اذا ذكرت أو طاعتها الصالحة نزهت إليها وان هؤلاء القوم رموا في مروج الملكة وتركوا الأمر الذي به أكرمت آباءهم واخبروا الكرامة من غير وجهها أما أخبارهم وديانهم فأتخذوا عبادي خوفاً يتعبدونهم ويسلون فهم بغير كتابي حتى أجهرهم امرى وأنسهم ذكرى وسنتي وعزوم عن فدان لم عبادي بالطاعة التي لا تنبني إلاي فهم يطيعونهم في معصيتي *

وأما ملوكهم وأمرائهم فبطروا فسحق وآمنوا مكرى وغرهم الدنيا حتى نبذوا كتابي ونسوا عهدى فهم يحرفون كتابي ويقترنون على رسل جرأة منهم على وغرة في فسبحان جلالى وعلو مكاني وعظمة شأنى هل ينبنى أن يكون لي شريك في ملكي وهل ينبنى ليشتر أن يطاع في معصيتي وهل ينبنى لي

أن أخلق عبداً أجعلهم أرباباً من دوني أو آذن لأحد بالطاعة لأحد وهي لا ينبغي إلا لي •
وأما قراؤهم وقهاؤهم فيد رسون ما يتخيرون فيقتادون الملوك فيتأبسونهم على البدع التي يتبعون
في دفين ويطعمونهم في مصبيتي ويوفون لهم بالسود النافضة لمهدي فهم جهلة بما يملكون لا ينتفضون بشئ
عما علموا من كتابي •

وأما أولاد التبين فقهورون ومقتونون يخوضون مع الخائضين يتمنون مثل نصري أيامهم والكرامة
التي أكرمهم بها ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم بغير صدق منهم ولا شكر ولا يذكرون كيف
كأن صبر آبائهم وكيف كان جهدهم في أمري حين اغتر المقترون وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا
وصدقوا حتى عز أمرى وظهر ديني فأبقت هؤلاء القوم لهم يستحبون مني ويرجعون فخطوت عليهم
وصفحت عنهم فأكثرمت ومددت لهم في السر وأعدت لهم لهم يتذكرون • وكل ذلك أمطر عليهم
السماء وأبنت لهم الأرض وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو ولا يزدادون إلا طغياناً وبداء مني غنى
منى هذا . أبني يسخرون أم بي يحرشون أم أبني يخذعون أم على يمحترثون فاني أقسم بزمي لا تبحن
عليهم فتنة يتحير فيها الحكيم ويضل فيها رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم ثم لا سلطان عليهم جباراً
قاسياً عاقباً ألبسه الهية وأنزع من قلبه الرأفة والرحمة وآليت أن يجمعه عدد وسواد مثل الليل المظلم . له
فيه عساكر مثل قطع انمحاب ومواكب مثل السحاج وكأن حنيف وإياه طيران النور وحل فرسانه
كسرب العقبان يمدون السران خراباً واقتري وحشاً ومشون في الأرض فساداً ويتبرون ماعلوا قديراً
قاسية قلوبهم لا يكثرثون ولا يرقبون ولا يرجعون ولا يصيرون ولا يسمعون يمحولون في الاسواق
بأصوات مرتفعة مثل زئير الأسد تهمر من هيتها الجلود وقطيش من سمها الاحلام بالسنة لا يقهونها
ووجوه ظاهرها عليها المنكر لا يعرفونها . فوعزتي لأعطين يوتهم من كتي وقنسى ولا تخين مجالسهم
من حديثها ودروسها ولا وحش من ساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بملابسها لغيري
وينهبون فيها ويتبدون لكسب الدنيا بالدين ويتقهون فيها لنير الدين ويحلمون فيها لنير العمل
لا بدلن ملوكها بالزقل ولا بدلن الخوف وبالنقى الفقر وبالنسة الجوع وبطول الدافية والرخاء أنواع
البلاء وبليس الديباج والحريز مدافع الور والنباء وبالارواح الطيبة والادهان جيف القتل وبليس
التيجان أطواق الحديد والسلاسل والاغلال . ثم لا عيدين فهم بعد القصور الواسعة والمحصون المحصنة
انحراب وبعد البروج المشيدة مساكن السباع وبعد صهيل الخيل عواء القناب وبعد ضوء السراج دخان
الحريق وبعد الانس الوحشة والقفار • ثم لا بدلن فامها بالاسورة الاغلال وبقلاند الدر والياقوت
سلاسل الحديد وبوان الطيب والادهان النقع والنبار وبلمشى على الزرابي عبور الاسواق والانهار
والخيل الى الليل في بطون الاسواق وبالحذور والستور المحسود عن الوجوه والسوق والاسفار

والأرواح السوم . ثم لادوسهم بقواع الضباب حتى لو كان السكان منهم في حلقى لوصل ذلك اليه
اى إنما أكرم من أكرمنى وإنما أعيى من هان عليه أمرى . ثم لآمرين السماء خلال ذلك فلكون
عليهم طبقا من حديد ولآمرن الأرض فلكون سبيكة من نحاس فلا ساء تعطر ولا أرض تنبت . فان
أمطرت خلال ذلك شيئا سلطت عليهم الآفة فان خلص منه شئ نزعته منه البركة وان دعوى لم أجبه
وان سألونى لم أعطهم وان يكوا لم أرحمهم وان قضرعوا الى صرف وجهى عنهم . وان قالوا اللهم أنت
الذى ابتدأتنا وآباءنا من قبلنا برحمتك وكرامتك وذلك بانك اخترتنا لنفسك وجعلت فينا نبوتك
وكتابتك ومساجدك ثم مكنت لنا فى البلاد واستخففتنا فيها وريثنا وآباءنا من قبلنا بنسبتك صنادرا
وحفنتنا وإياهم برحمتك كبراً فانت أوفى المصين وان غيرنا . ولا تبدل . وان بدلنا وان تم فضلك ومنك
وطولك واحسانك فان قالوا ذلك قلت لهم إلى اجدى عبادى برحتى ونسقى * فان قبلوا اتمت وان
استزادوا زدت وان شكر واضاعفت وان غيروا غيرت واذا غصبت هواذا غصبت هذبت وليس
يقوم شئ بنفسى .

قال كعب قال أرميا برحمتك أصبحت أعلم بين يديك وهل يبنى ذلك لى وأنا أذل وأضعف
من أن يبنى لى أن أتكم بين يديك ولكن برحمتك أيقنى لهذا اليوم وليس أحد أحق أن يخاف
هذا المذاب وهذا الوعيد منى بما وضيت به منى طولاً والاقامة فى دار الخاطئين وم يصونك حولى
بغير نكر ولا تقيير منى فان تمذبنى فبذبنى وان ترحنى فلك على بك * ثم قال يارب سبىك وبصحك
وتباركت ربنا وتعاليت أهلك هذه القرية ولاحولها وهى مساكن أقبالك ومنزل وحيك يارب سبىك
وبصحك وتباركت ربنا وتعاليت لحرب هذا المسجون ماحوله من المساجد ومن البيوت التى رقت لذكرك
يارب سبىك وبصحك وتباركت وتعاليت لقتل هذه الامة وعذابك إياهم وم من ولد ابراهيم
خليفك وأمة موسى نبيك وقوم داود صفيك يارب أى القرى تأمن عقوقك بد وأى العباد يأمنون
سلطوك بد ولخليفك ابراهيم وأمة نبيك موسى وقوم خليفك داود تسلط عليهم عبدة النيران قال
الله تعالى (يا أرميان عصاى فلا يستنكر حتى فاقى إنما أكرمت هؤلاء القوم على طاعتى ولو أنهم عصونى
لازمتهم دار العاصين الا أن أندأزكم برحتى .

قال أرميا يارب اتخفت ابراهيم خليلاً وحفنتنا به . وموسى قريته نجياً فسالك أن تحفظنا ولا تتخلفنا
ولا تسلط علينا عدونا فاقوى الله اليه (يا أرميا إلى قدستك فى بطن أمك وأخرتك الى هذا اليوم فلو
أن قومك حفظو اليتامى والأرامل والمساكين وابن السبيل لمكنت إياهم لهم وكانوا عندى بمنزلة جنة
ناهم شجرها ظاهر مأواها ولا يور مؤاها ولا تبور ثمارها ولا تنقطع ولكن سأشكوك اليك فى اسرائيل إلى
كنت لهم بمنزلة الداعى الشفيق أجنبهم كل قسط وكل عسرة واتبعهم الخصب حتى صاروا كباشا ينطرح

بعضها بضاً فباو عليهم ثم ياويلهم انما اكرم من اكرمني وأهين من هان عليه اسرى ان من كان قبل هؤلاء القوم من القرون يستخفون بمصيقى وان هؤلاء القوم يشبرعون بمصيقى تبرعا فيظهرونها فى المساجد والاسواق وعلى رؤس الجبال وظلال الاشجار حتى عجت السماء الى منهم وعجت الارض: الجبال وغرت منها الوحوش باطراف الارض وأقاصيها وفى كل ذلك لا يتهنون ولا يتنصتون بما علوا من الكتاب) . قال فلما بلغهم أرميا رسالة ربهم وسعوا ما فيها من الوعيد والمذاب عصوه وكذبوه وأتهموه وقالوا (كذبت وأعظمت على الله الفرية فزعم أن الله مطل أرضه ومساجده من كتابه وعادته وتوحيده فمن يعبده حين لا يبقى له فى الارض عابد ولا مسجد ولا كتاب لقد أعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون) فأخذوه وقيدوه وسجنوه فشد ذلك بث الله عليهم بخت نصر فقبل يسير بجنوده حتى نزل باسحهم ثم حاصرهم فكان كحال قتال (فغاسوا خلال النيل) قال فلما طال بهم الحصر نزلوا على حكمه ففتحوا الابواب وتخلوا الازقة وذلك قوله (فغاسوا خلال النيل) وحكم فيهم حكم الجاهلية وبلط الجبارين قتل منهم الثلث وسبى الثلث وترك الزمنى والشيوخ والعجائز ثم وطهم بالنيل وهدم بيت المقدس وساق الصبيان وأوقف النساء فى الاسواق حاسرات وقتل المقاومة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق التوراة وسأل عن دانيال الذى كان قد كتب له الكتاب فوجدوه قد مات وأخرج أهل بيته الكتاب اليه وكان فيهم دانيال بن حزقيال الاصفر وميثائيل وعزرائيل وميخائيل فأمنى لهم ذلك الكتاب وكان دانيال بن حزقيال خلفا من دانيال الاكبر ودخل بخت نصر بجنوده بيت المقدس ووطئ الشام كلها وقتل بنى اسرائيل حتى أفنهم * فلما فرغ منها انصرف راجعا وحمل الأموال التى كانت بها وساق السبايا فبلغ معه عدة صبياتهم من أبناء الاحبار والملوك تسعين ألف غلام وقنف الكنساسات فى بيت المقدس وذبح فيه الخنازير وكان الثلثان سبعة آلاف غلام من بيت داود واحد عشر الفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط ايشى بن يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط زبولن وثمانى ائني يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط يسناسخر بن يعقوب والفتين من سبط زبولن بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى واثنى عشر الفا من سائر بنى اسرائيل وانطلق حتى قدم أرض بابل .

قال اسحق بن بشر قال وهب بن منبه فلما فعل ما فعل قيل له كان لهم صاحب يخذلهم ما أصابهم ويصنعك وخبرك لهم ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم وتبني ذراريهم وتهدم مساجدهم وتحرق كتابهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيدوه وحسوه فأمر بخت نصر فلخرج أرميا من السجن فقال له أ كنت تخدع هؤلاء القوم ما أصابهم قال نعم قال فاني علمت ذلك قال أرسلنى الله اليهم فكذبونى قال كذبوك وضربوك وسجنوك قال نعم قال (يس القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربهم فهل لك أن تلحق

بنى فأكرمك وأواسيك وإن أحببت أن تقيم في بلادك قد أمتك) قال له أرميا إني لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ساعة قط ولو أن بنى إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان فلما سمع بخت نصر هذا القول منه تركه فقام أرميا مكاته بأرض أيليا . وهذا سياق غريب . وفيه حكم ومواعظ وأشياء مليحة وفيه من جهة التعريب غرابة .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلابي كان بخت نصر أصفهنا لما بين الاهواز الى الروم للملك على القرس وهو لمراسب وكان قد بنى مدينة بلخ التي تقب بلخساف وقاتل الترك والجأهم الى أضيق الاماكن وبث بخت نصر قتال بنى إسرائيل بالشام فلما قدم الشام صالحه أهل دمشق وقديل إن الذي بث بخت نصر إنما هو يهمن ملك القرس بعد بشتاسب بن لمراسب وذلك لتدنى بنى إسرائيل على رسله اليهم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن بن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب أن بخت نصر لما قدم دمشق وجد بها دما على كبا يعني التهمة فأنهم ما هذا الدم فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكما ظهر عليه الكبا ظهر قال قتل على ذلك سبعين الفاً من المسلمين وغيرهم فسكن . وهذا إسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وقد تقدم من كلام المحافظ بن عساكر ما يدل على أن هذا دم يحيى بن ذكريا وهذا لا يصح لأن يحيى بن ذكريا يد بخت نصر بدمه والظاهر أن هذا دم نبي متقدم أو دم لبعض الصالحين أو لمن شاء الله من أهل به . قال هشام بن الكلابي ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصاحبه عن بنى إسرائيل وأخذته بخت نصر رهائن ورجع . فلما بلغ طبرية بلغه أن بنى إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لاجل أنه صالحه فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع اليهم فآخذ المدينة عنوة . وقتل المقاتلة وسبي القرية . قال وبلغنا أنه وجد في السجن أرميا النبي فخرجه وقص عليه ما كان من أمره أيامه وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه قال بخت نصر بمس القوم قوم عصوا رسول الله وخلى سيده وأحسن اليه واجتمع اليه من بني من ضغناه بنى إسرائيل فقالوا إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب الى الله عز وجل مما صنعنا فادع الله أن يقبل توبتنا فصار به فأوحى الله اليه أنه غير فاعل فان كانوا صادقين فليقيموا ملك بهذه البلدة فآخروهم ما أمره الله تعالى به قالوا كيف قيم بهذه البلدة وقد خربت وغضب الله على أهلها فآووا ان يقيموا .

قال ابن الكلابي ومن ذلك الزمان فرق بنى إسرائيل في البلاد فزلت طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة وادى القرى وذعبت شريعة منهم الى مصر فكتب بخت نصر الى ملكها يطلب منه من شرد منهم اليه فأبى عليه فركب في جيشه فآتاه وقهره وغلبه وسبي ذرايعهم . ثم ركب الى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية . قال ثم انصرف بسبي كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت

القدس وأرض فلسطين والأردن وفي السبي دانيال • قلت والظاهر أنه دانيال بن حزقيال الأصغر لا الأكبر على ما ذكره وهب بن منبه والله أعلم •

ذكر شئ من خبر دانيال عليه السلام

قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني قال إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان غدتني بعض أصحابنا عنه عن الأجلح الكندي عن عبد الله بن أبي الهذيل قال ضرا بخت نصر أسدين فالتقاهما في جب وجاء دانيال فالتقه عليهما فلم يهتجا فبكث ملشاه الله ثم اشتهى مايشهى الآدميون من الطعام والشراب فوحى الله إلى أرميا وهو بالثام أن اعدد طعاما وشرابا لدانيال فقال يلوب أنا بالارض المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فوحى الله إليه أن اعدد ماأمرتك به فانا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت فضل وأرسل إليه من حله وحمل ما أعله حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال من هذا قل أنا أرميا فقال ما جاء بك فقال أرسلني إليك ربك . قال وقد ذكرني ربى قال نعم فقال دانيال الحمد لله الذى لا يفتنى من ذكره . والحمد لله الذى يجيب من رجاه . والحمد لله الذى من وفق به لم يكله إلى غيره . والحمد لله الذى يجرى بالأحسان أحسانا . والحمد لله الذى يجرى بالصبر نصبة . والحمد لله الذى هو يكشف ضرنا بعد كربنا . والحمد لله الذى يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين ينقطع الحيل عنا

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن أبي خلد بن دينار حدثنا أبو العالية قال لما افتتحنا نستر وجدنا في مال بيت المرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فلخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعباً فنسخه بالمرية . فانا أول رجل من العرب قرأه قرأته مثل ماقرأ القرآن هذا فقلت لأبى العالية ما كان فيه قال سيركم وأموركم ولحون كلامكم وماهو كالن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بانهار ثلثة عشر قبراً منفردة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لتسوية على الناس فلا يتشوه . قلت فأبرجون منه قال كانت السماء اذا جئت عنهم برزوا بسريره فيمطرون قلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال قلت منذ كم وجدتموه قد مات قال منذ ثلثة سنة قلت ماقتير منه شئ قال لا الاشرات من قناه إن لحم الاغنياء لا تبليها الارض ولا تأكلها السباع . وهذا استناد صحيح إلى أبى العالية ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلثة سنة فليس ينبغي بل هو رجل صالح لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبى بنص الحديث الذى فى البخارى والفترة التى كانت بينهما أربعةة سنة • وقيل سبعة وقيل سبعة وعشرون سنة وقد يكون تلويح وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال لأن كونه دانيال هو المطلق لما فى نفس الامر فانه قد يكون رجلاً آخر

إما من الإنبياء أو الصالحين ولكن قريت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذ ملك الفرس فأقام عنده مسجوراً كما تقدم . وقد روى بسند صحيح إلى أبي المالية أن طول اخيه شير . وعن أنس ابن مالك بأسناد جيد أن طول اخيه ذراع فيحتمل على هذا أن يكون رجلاً من الأنبياء الاثني عشر قبل هذه المدد والله أعلم .

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب احكام القبور حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله ابن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله عن أبي الاشعث الاخرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دانيال دعا ربه عز وجل ان يدفنه امة محمد فلما اختبأ أبو موسى الاشعري تستر وجهه في تابوت فضرب عروقه ووريدته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دل على دانيال فبشره بلجنة فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر أن ادفنه وابث الى حرقوص فان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بلجنة وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظاً نظر والله أعلم .

ثم قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو بلال حدثنا قاسم بن عبد الله عن عتبة بن سعيد وكان عالماً قال وجد أبو موسى مع دانيال مصطفاً وجرة فيها ذلك ودرهم وخاتمه فكتب أبو موسى بذلك الى عمر فكتب اليه عمر أما المصحف فابث به اليها وأما الدرهم فابث اليها منه وسر من قبلك من المسلمين يستشرون به واقسم الدرهم بينهم وأما الخاتم فقد غلناكه . وروى عن ابن أبي الدنيا من غير وجه ان أبا موسى لما وجدته وذكروا له انه دانيال التزمه وعاقبه وقبله . وكتب الى عمر يذكر له امره وأنه وجد عنده مثلاً موضوعاً قريباً من عشرة آلاف درهم وكان من جاء اقترض منها فان ردها والامرض وان عنده ربة فامر عمر بن يسلم بماء وسدر ويكن ويغفن ويخفي قبره فلا يعلم به احد واسر بالماء أن يرد الى بيت المال وبربعة فحمل اليه وغله خاتمه . وروى عن أبي موسى انه أمر اربعة من الاسراء فسكروا نورا وحرقوا في وسطه قبراً فدفنه فيه ثم قدم الاربعة الاسراء فضرب اعناقهم فلم يعلم موضع قبره غير أبي موسى الاشعري رضي الله عنه . وقال ابن أبي الدنيا حدثني ابراهيم بن عبد الله حدثنا احمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن ابيه قال رأيت في يد ابن بردة بن أبي موسى الاشعري خاتماً خش فيه اسنان ينهما رجل يلحسان ذلك الرجل قل أبو بردة هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم اهل هذه البلدة انه دانيال اخذ أبو موسى يوم دفنه . قال أبو بردة فسال أبو موسى علماء تلك القرية عن خش ذلك الخاتم قالوا ان الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجبون واصحاب السلم قالوا له انه يولد لية كذا وكذا غلام يمور ملكك ويضده قال الملك والله لا يبق تلك الية غلام الا قلته الا أنهم أخذوا دانيال فلقوه في اجرة الاسد فبات

الاسد ولبوته يلحاهه ولم يضراء فجاءت أمه فوجدتها يلحاهه فنجاه الله بذلك حتى بلغ مايلغ
قال أبو بردة قال أبو موسى قال علماء تلك القرية ففتش دانيال صورته وصورة الاسدين يلحاهه
في فص خاتمه فللا ينسى نعمة الله عليه في ذلك . اسناد حسن .

وهذا ذكر عمارة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع الملا من بني اسرائيل بعد تفرقهم في بقاع الارض وشعابها

قال الله تعالى في كتابه المبين (وأوحى الله تعالى الى سليمان) أو كما القى سر على قرية وهى خاوية على
عروشها . قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاما الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض
يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طمالك وشرايك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنبطك آية للناس
وانظر الى النظام كيف نشزها ثم نكسوها فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير (قال
هشام بن الكلبي ثم أوحى الله تعالى الى ارميا عليه السلام فيما يلقى انى عامر بيت المقدس فانخرج
اليها فاتزها فخرج حتى قدمها وهى خراب فقال في نفسه سبحان الله أمرنى الله أن أتزل هذه البلدة
واخبرنى انه عامرها فتى يصرها ومتى يحييها الله بعد موتها ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلة من
طعام ففكت في نومه سبعين سنة حتى هلك بخت نصر والملك القى فوقه وهو لمراسب وكان ملكه
مائة وعشرين سنة وقام بعده ولده بشتاسب بن لمراسب وكان موت بخت نصر في دولته قبله عن بلاد
الشام انها خراب وان السباع قد كثرت في ارض فلسطين فلم يبق بها من الانس احد فنادى في ارض
بابل في بنى اسرائيل ان من شاء ان يرجع الى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود واسمه ان
يسر بيت المقدس ويبنى مسجدها فرجعوا فصرخوا وفتح الله لارميا عينيه فنظر الى المدينة كيف تبني
وكيف تصر ومكث في نومه ذلك حتى تمت له مائة سنة ثم بعثه الله وهو لا يظن انه تلم اكثر من ساعة وقد
عهد المدينة خرابا فلما نظر اليها عامرة أهله قال أعلم ان الله على كل شئ قدير . قال فاقام بنو اسرائيل
بها ورد الله عليهم اسرهم فكنوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف . ثم لم يكن
لهم جماعة ولا سلطان يعنى بعد ظهور النصارى عليهم . هكذا حكاه ابن جرير في تاريخه عنه . وذكر ابن
جرير ان لمراسب كان ملكا عادلا سائسا لمملكته قد دانت له البلاد والبلدان والملوك والقواد وانه كان
ذا رأى جيد في عمارة الامصار والاهوار والمعقل . ثم لما ضعف عن تدبير المملكة بعد مائة سنة ونيف
تزل عن الملك لولده بشتاسب فكان في زمانه ظهور دين المجوسية^(١) وذلك ان رجلا كان اسمه زردشت

(١) (قوله وذلك أن رجلا كان اسمه زردشت الخ) هذه الملكية خلاف الواقع . بل الواقع أن

زردشت هو ابراهيم الزردشت احد الانبياء الذين ظهوروا في وادي نهر الأرض بمشازيا المشار اليهم في

كان قد حبب ارميا عليه السلام فاغضبه فدعا عليه ارميا فبرس زردشت فذهب فلقق يلوش
 آذريجان وحسب بشتاسب فلقته دين المجوسية القى اخترعه من لقاء نفسه قبله منه بشتاسب وحمل
 الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ممن ابله منهم * ثم كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب
 وهو من ملوك الفرس المشهورين والاعطال المذكورين وقد نلب بخت نصر لكل واحد من هؤلاء
 الثلاثة وعمر دهرأ طويلاً قبحه الله * والمقصود ان هذا القى ذكره ابن جرير من أن هذا المار على
 هذه القرية هو ارميا عليه السلام * قال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عير وغيرهما وهو قوى من
 حيث السباق المتقدم وقد روى عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسن وقتادة والسدي وسليمان
 ابن بريدة وغيرهم أنه عزيز . وهذا أشهر عند كثير من السلف والخلف والله أعلم .

وهذه قصة العزيز

قال المحافظ أبو القاسم بن عساكر هو عزيز بن جروة ويقال بن سوريق بن عديا بن أيوب بن
 درزبان عري بن تقي بن اسبوع بن فتاح بن العازر بن هارون بن عمران * ويقال عزيز بن سروخا
 جاء في بعض الآثار ان قبره بدمشق . ثم ساق من طريق أبي القاسم البغوي عن داود بن عمرو عن
 حبان بن علي عن محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً لا أدري البين بيع أم لا ولا أدري
 أكان عزيز نبياً أم لا ثم رواه من حديث مؤمل بن الحسن عن محمد بن اسحاق السجزي عن عبد الرزاق
 عن معمر عن ابن أبي زؤيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه . ثم روى من طريق
 اسحاق بن بشر وهو معروك عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس ان عزيزاً كان من سباه
 بخت نصر وهو غلام حدث فلما بلغ اربعين سنة اعطاه الله الحكمة قال ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم
 بالثورة منه قال وكان يذ كرمع الانبياء حتى يحى الله اسمه من ذلك حين سأله عن القدر وهذا ضيف

قوله قتال (وأصحاب الرس) فان الرس تخفيف ارس . وله الى الآن اتباع تعد بالملايين في الهند ويران
 وله كتاب بالغة الفارسية القديمة مشتمل على المباحي والتعاليم والإحكام والبشارات بالأمور الآتية على
 نوح سائر الكتب . منها بشاراته بظهور الرسول عليه السلام بقوله سيظهر في العرب نبي عظيم . وبعد
 أن يمضي من ظهور شريعته ألف سنة وكسور اذا جاء ثانيا لا يعرف أن هذه كانت شريعته اه ترجمته
 بالملقى . ويقصد بذلك أن شريعته عليه السلام بمضى الزمان يدخل فيها من البدع والاهواء ما لم يكن منها
 بحيث اذا رآها بعد ألف سنة لا يعرفها لكثرة ما دخل فيها من البدع . فانظر أعمى يكف بالبشارة بظهوره
 بل أخبر ايضا بما يقع في المستقبل في شريعته فهذا من جملة الأدلة على صدق نبوة كالا يخفى على من
 تتبع تواريخ الأديان والمذاهب (فخرج الله ذكي الكرى)

ومتعلق ومنكر والله أعلم .

وقال اسحاق بن بشر عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عبد الله بن سلام ان عزيراً هو البدر الذي أماته الله مائة عام ثم بشه . وقال اسحاق بن بشر أيضاً سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب وسعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن ومقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس وعبد الله بن اسماعيل السدي عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس وأدريس عن جده وهب بن منبه قال اسحق كل هؤلاء حديثي عن حديث عزير وزاد بعضهم على بعض قالوا بسلام ان عزيراً كان عبداً صالحاً حكيماً خرج ذات يوم الى ضيعة له يتاعدها فلما انصرف آتى الى خربة حين قامت الظهيرة واصابه الحر ودخل الخربة وهو على حماره فترك في حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب فترك في ظل تلك الخربة واخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة ثم أخرج خبزاً يابساً معه فلقاه في تلك القصعة في العصور ليعتل ليا كاه ثم استلقى على قنائه واستند رجله الى الحائط فنظر سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها ورأى عظاماً بالية فقال (أني يحى هذه الله بدموتها) فلم يشك أن الله يحياها ولكن قالها تعجباً فبث الله ملك الموت فقبض روحه فلما الله مائة عام . فلما انت عليه مائة عام وكانت فيما بين ذلك في بني اسرائيل أمور واحداث قال فبث الله الى عزير ملكاً فخلق قلبه ليعتل قلبه وعينه لينظر بهما فيقتل كيف يحيا الله الموتى . ثم ركب خقه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ثم فزع فيه الروح كل ذلك وهو يرى ويمتلق استوى جالساً فقال له الملك كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبث في آخر النهار والشمس لم تقب فقال أو بعض يوم ولم يتم لي يوم فقال له الملك بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك يعني الطعام الخبز والباقى وشرابه العصور التي كان اعتصره في القصعة فلذاها على حالها لم يتغير العصور وانجز يابس فذلك قوله (لم يقته) يعني لم يتغير وكذلك التين والعنب غرض لم يتغير شيء من حالها فكأنه انكر في قلبه فقال له الملك انكرت ما قلت لك انظر الى حمارك فنظر الى حماره قد بليت عظامه وصارت فخرة فتلقى الملك عظام الحمار فاجابت واقبلت من كل ناحية حتى ركبها الملك وعزير ينظر اليه ثم البسها العروق والنصب ثم كساها اللحم ثم ابنت عليها الجلد والشعر ثم فزع فيه الملك قام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه الى السماء تلحظان القيامة قد قامت فذلك قوله (وانظر الى حمارك ولنحك آية فلتاس وانظر الى العظام كيف تشزها ثم نكسوها لحماً) يعني وانظر الى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضاً في أوصالها حتى اذا صارت عظاماً مصوراً حماراً بلا لحم ثم انظر كيف نكسوها لحماً فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره . قال فركب حماره حتى آتى محله فأنكره الناس وانكر الناس وانكر منزله فانطلق على وهم منه حتى آتى منزله فاذا هو

بمجرد عيائه مقعدة قد آتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمه لهم فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت غرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابها الزمالة . فقال لها عزير يا هذه احذنا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير فبكت وقالت ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً وقد نسبته للناس قال فأتى أنا عزير كان الله أماني مائة سنة ثم بعني قالت سمعنا أن الله فأن عزيراً قد قدّمه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذلك قال فأتى أنا عزير قالت فأن عزيراً رجل مستجاب الدعوة يدعو للريض ولصاحب البلاء بالمعافاة والشفاء فادع الله أن يرد على بصرى حتى أراك فأن كنت عزيراً عرفت ذلك . قال فدعاه به ومسح يده على عينها فصحت وأخذ يدها وقال قومي ياخذ الله فأطلق الله رجلها قامت صحبة كاملة شلت من عقال فظنرت وقالت اشهد أنك عزير واضلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم في انديتهم وبجالسهم وابن لمزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشر سنة وبني بنيه شيوخ في المجلس فنادتهم وقالت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا قلامة مولاتكم دعالي به فرد على بصرى واطلق رجله وزعم أن الله أمه مائة سنة ثم بشه قال قمض الناس فأقبلوا اليه فنظروا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كفتيه فكشف عن كفتيه فاذا هو عزير قالت بنو اسرائيل قائم لم يكن فينا أحد حفظ التوراة فيها حدثنا غير عزير وقد حرق بخت نصر التوراة ولم يبق منها شيء الا ما حفظت الرجال فاكتبها لنا وكان أبوه سروخا وقد دفن التوراة أيام بخت نصر في موضع لم يمر به أحد غير عزير فاطلق بهم الى ذلك الموضع فخره فاستخرج التوراة وكان قد عنق الورق ودرس الكتاب قال وجلس في ظل شجرة وبنو اسرائيل حوله فجدد لهم التوراة ونزل من السماء شهابين حتى دخل جوفه فذكر التوراة فجدها لبنى اسرائيل . فمن ثم قالت اليهود عزير بن الله الذي كان من أسر الشهابين وتحميده التوراة وقيامه بأمر بنى اسرائيل ولكن جدد لهم التوراة بلرض السواد بدير حزقييل . والقرية التي مات فيها يقال لها سايرايا . قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى (ولننبئك آية للناس) يعني لبنى اسرائيل . وذلك انه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لاه مات وهو ابن اربعين سنة فبعثه الله شاباً كريهة يوم مات قال ابن عباس بمش بعد بخت نصر وكذلك قال الحسن وقد أنشد أبو حاتم الجستانی في معنى ما قاله

ابن عباس .	واسود رأس شلب من قبله ابنه	ومن قبله ابن ابنه فهو أكبر
يرى ابنه شيخاً يذهب على عصا	ولحيته سوداء والرأس اشقر	
ومالابته حيل ولا فضل قوة	يقوم كما يمشى الصبي فيمتر	
يمد ابته في الناس تسعين حجة	وعشرين لا يجري ولا يبتخر	
وعمر ابيه اربعون أمراً	ولأن ابنه تسعون في الناس عبر	
فما هو في المقول ان كنت داريا	وان كنت لا تدري فالجمل تمدر	

فصل

المشهور ان عزيراً نبى من أنبياء بني اسرائيل وانه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى وانه لما لم يبق في بني اسرائيل من يحفظ التوراة الهه الله حفظها فسردها على بني اسرائيل كما قال وهب بن منبه أسر الله ملكاً قزلاً بمنزلة من نور قسطنطين في عزير قسطنطين التوراة حرفاً بحرف حتى فرغ منها . وروى ابن عساكر عن ابن عباس انه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله لم قالوا ذلك فذكر له ابن سلام ما كان من كتبه لبني اسرائيل التوراة من حفظه وقول بني اسرائيل لم يستطع موسى أن يأتيها بالتوراة الا في كتاب وان عزيراً قد جاءها بها من غير كتاب فرماه طوائف منهم وقالوا عزير ابن الله . ولهذا يقول كثير من العلماء ان تواتر التوراة انقطع في زمن العزير . وهذا متجه جدا اذا كان العزير غير نبى كما قاله عطاء بن أبى رباح والحسن البصرى وفيما رواه اسحاق بن بشر عن مقاتل بن سليمان عن عطاء وعن عثمان بن عطاء ان عطاء عن أبيه ومقاتل عن عطاء بن أبى رباح قال كل في الفترة تسعة اشياء بخت نصر وجنة صنماء وجنة سبأ واصحاب الانحدود واسرا حصوراً^(١) واصحاب الكهف واصحاب الفيل ومدينة اظلاكية واسر تبع . وقال اسحاق بن بشر انبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان اسر عزير وبخت نصر في الفترة . وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال ان أولى الناس بدمى لانا انه ليس بيني وبينه نبى) . وقال وهب بن منبه كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام . وقد روى ابن عساكر عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزيراً كان في زمن موسى بن عمران وانه استأذن عليه فلم يأذن له معنى لما كان من سوء له عن القدر وانه انصرف وهو يقول مائة مائة أهون من ذل ساعة وفي معنى قول عزير مائة مائة أهون من ذل ساعة قول بعض الشعراء

قد يصير المحر على السيف ويألف الصبر على الحيف
ويؤثر الموت على حلة يميز فيها عن قري الضيف

فلما ملأوى ابن عساكر وغيره من ابن عباس ونوف البكال وسفيان الثوري وغيرهم من أنه سأل عن القدر فحى اسمه من ذكر الانبياء فهو منكروى محبة نظر وكأنه مأخوذ عن الاسرائيليات وقد روى عبد الرزاق وحقبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن نوف البكال قال قال عزير فيما يتاجى دبه (يارب تخلق خلقاً أفضل من نشاء وتمهى من نشاء) قيل له أترض عن هذا فساد قيل له لترض عن هذا أولاً محون اسمك من الانبياء إلى لأسأل عما افضل وهم يسألون وهذا لا يقتضى وقوع ما توعد عليه لو عاد فاعيا اسمه والله أعلم .

وقد روى الجماعة سوى الترمذى من حديث يونس بن يزيد عن الزهري عن سعيد وابى سلمة

(١) هكذا في النسخة الحلبية . وفي النسخة المصرية (وأمر جاسور)

عن أبي هريرة وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ تزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فلم يعبأه فأنخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه مهلا نملة واحدة . فروى اسحاق بن بشر عن ابن جريج عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه أنه عزير . وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري أنه عزير الله أعلم .

قصة زكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله تعالى في كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم (كهيمس . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفياً . قال رب انى وهن العظم منى واشتمل الرأس شيئاً ولم أكن بدعاك رب شقياً . وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهبلى من لدنك ولياً ربنى ويرث من آل يعقوب واجله رب رضىا . يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً . قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً . قال رب اجعل لى آية . قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سوا . فخرج على قومته من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا . يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صيياً . وحناناً من لدنا وزكوة وكان تحيياً . وبراً بالديه ولم يكن جباراً عصياً . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) وقال تعالى (وكنهنا زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا يريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع العطاء . فتنادى الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يشرك يحيى مصداقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين . قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقراً قال كذلك الله فىل ما يشاء . قال رب اجعل لى آية . قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام إلا رمزاً واذا ذكر ربك كثيراً وسبح بالمشى والابكار) وقال تعالى فى سورة الانبياء (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تغدرنى فرداً وامت خيرا الرايين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحناه له زوجة اتهم كانوا يمارهون فى الخبيرات وهدو قلوبنا وزكينا وكنوا لنا خاشعين . وقال تعالى وزكريا ويحيى وعيسى واليس كل من الصالحين) . قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى كتابه التاريخ المشهور الحافظ . زكريا بن برخيا ويقال زكريا بن دان يقال زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن دودان بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلطاعة بن ناحور بن شلوم بن بهاشاش بن ايتان بن رحبام بن سليمان بن داود أبو يحيى النبى عليه السلام من نبي اسرائيل . دخل البليظة من أعمال دمشق فى طلب ابنه يحيى . وقيل انه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى والله أعلم . وقد قيل غير ذلك فى نبيه

ويقال فيه زكريا بالمد والقصر ويقال زكري ايضاً .

والقصد ان الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر وكانت امرأته عاقراً في حال شيخيتها وقد استت ايضا حتى لا يئس احد من فضل الله ورحمته ولا يقتط من فضله تعالى وتقدس قال تعالى (ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفياً) . قال قتادة عند تفسيرها ان الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي . وقال بعض السلف قام من الليل فنادى ربه مناداة امرأها عن كان حاضراً عنده مخافته فقال (يارب يارب يارب قال الله ليبيك ليبيك ليبيك) قال رب اني وهن العظم مني (أي ضعف وخار من الكبر واشتعل الرأس شيباً) استعارة من اشتعال النار في الحطب أي غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن جرير في مقصوده .

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجا
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جمر النضا
وأض عود اللهو يسا ذوايا من بد ماقد كان مجاج الثرى

بذكر ان الضعف قد استحوذ عليه بلطنا وظاهراً وهكذا قال زكريا عليه السلام (اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً) وقوله (لم أكن بمحاكك رب شقياً) أي ما عودتي فيا أسألك الا الاجابة وكان الباحث له على هذه المسئلة أنه لا كفل مررم بنت عمران بن مائث وكل من كاد دخل عليها محرماًها وجد عندها فكة في غير إوائها ولا في آوائها وهذه من كرامات الاولياء فلم أن الرائق للشئ في غير أوائها قادر على أن يرزقه ولداً وان كان قد طعن في سنه (هناك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع العطاء) . وقوله (واني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقراً) قيل المراد بالموالى العصبية وكافة خاف من تصرفهم بعده في بني اسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون برأ تحيا مرضيا ولهذا قال (فهب لي من لدنك) أي من عندك بمحواك وقوتك (وليا يرثني) أي في النبوة والحكم في بني اسرائيل (ويرث من آل يعقوب واجله رب رضا) يعني كما كان آبؤه واسلافه من ذرية يعقوب ابناءا فجله مثلهم في الكرامة التي أكرمهم بها من النبوة والوحى وليس المراد ههنا وراثته المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة وواقهم ابن جرير ههنا وحكاها عن ابي صالح من السلف لوجه . احدها ما قدمنا عند قوله تعالى (وورث سليمان داود) أي في النبوة والملك كذا ذكرنا في الحديث المتفق عليه بين العلماء المروى في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة ان رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة فهذا نص على أن رسول الله ﷺ لا يورث ولهذا منع الصديق ان يصرف ما كان يختص به في حياته الى احد من وراثته الذين لا هذا

النس لصرف إليهم وم ابنته فاطمة وأزواجه التسع وعه العباس رضى الله عنهم واحتج عليهم الصديق في منته أيام بهذا الحديث وقد وافقه على روايته عن رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأبو هريرة وآخرون رضى الله عنهم . الثاني أن الترمذي رواه بلفظهم سائر الانبياء فمن مآشرا الانبياء لا تورث وصحبه . الثالث ان الدنيا كانت احقر عند الانبياء من أن يكتزوا لها أو يلقثوا اليها أو يهيمهم أمرها حتى يسألوا الاولاد ليحوزوها بدمهم قلن من لا يصل الى قريب من منازلهم في الزهدة لايهمهم بهذا المقدار أن يسأل ولدا يكون وارثا له فيها . الرابع أن زكريا عليه السلام كان نجاراً يصل يده ويأكل من كسبها كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده والثالب ولا سيما من مثل حال الانبياء أنه لا يجهد نفسه في العمل اجتهاداً يستغنى منه ما لا يكون ذخيرة له يخلفه من بعده وهذا أمر بين واضح لكل من تأمله وتدبره وتفهيم ان شاء الله .

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن ميني ابن هرون أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال كان زكريا نجاراً . وهكذا رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن حماد بن سلمة به . وقوله (يا زكريا انا نبشرك بسلام اسمه يحيى لم نجعل لمن قبل سمياً) . وهذا مفسر بقوله (فناداه الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يشرك يحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوفاً ونبياً من الصالحين) فلما بشر بلوذه وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد والحالة هذه له (قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) أى كيف يوجد ولد من شيخ كبير قيل كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة والاشبه والله أعلم أنه كان أسن من ذلك (وكانت امرأتى عاقراً) يعنى وقد كانت امرأتى في حال شيبتها عاقراً لا تلد والله أعلم . كما قال الخليل (أبشركم على أن منى الكبرفم تيشرون) وقالت سارة (يلوطفى آله وأنا عجوز وهذا بلى شيخنا ان هذا لشيء عجيب قالوا أنصحين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) وهكذا أوجب زكريا عليه السلام قال له الملك الذى يوحى اليه بالسر به (كنك قال ربك هو على هين) أى هذا سهل يسير عليه (وقد خفتك من قبل ولم تكن شيئا) أى قدرته أوجدتك بعد ان لم تكن شيئا مذكورا أفلا يوجد منك ولداً وان كنت شيخنا . وقال تعالى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلاحنا له وزوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ووهبا وكانوا لنا خاشعين) ومعنى اصلاح زوجته انها كانت لا تحيض غاضت . وقيل كان في لسانها شيء أى بذاعة (قال رب اجعل لى آية) أى علامة على وقت تلقى منى المرأة بهذا الولد المبشر به (قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سوياً) يقول علامة ذلك أن يتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام الارمزا وانت في ذلك سوى انطلق صحيح المزاج مستدل بالبينة وأمر

بكثره الذكري هذه الحلال بالقلب واستحضار ذلك يؤاذه بالشيء والابكار قلما بشر بهذه البشارة خرج
 مسروراً بها على قومه من محرابه (فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا) * والوحى ههنا هو الامر انطلق
 اما بكتابه كما قاله مجاهد والسدى أو إشارة كما قاله مجاهد أيضاً وهوبقادة . قال مجاهد وعكرمة وهوب
 والسدى وقادة اعتقل لسانه من غير مرض . وقال ابن زيد كان يقرأ ويسبح ولكن لا يستطيع
 كلام أحد . وقوله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً) ، يخبر تعالى عن وجود الولد وفق
 البشارة الإلهية لأنه ذكرها عليه السلام وأن الله عليه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه قال
 عبد الله بن المبارك قال مسروق قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نطلب قال ما طلب خلقنا قال وذلك
 قوله (وآتيناه الحكم صبياً) وأما قوله (وحناناً من لدنا) فروى ابن جرير عن عمرو بن دينار عن عكرمة
 عن ابن عباس أنه قال لأدري ما الحنان . وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقادة والضحاك (وحناناً
 من لدنا) أى رحمة من عندنا رحمتنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد . وعن عكرمة (وحناناً) أى عجة عليه
 ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس ولا سيما على أبويه وهو عجبتهما والشقة عليهما وبره
 بهما . وأما الزكاة فهو طهارة انطلق وسلامته من النقائص والذائل . والتقوى طاعة الله بأستل أو أسره
 وترك زواجه ، ثم ذكر بره بالديه وطلعتما أسراً ونهياً وترك حقوقهما قولاً وفلاً قال (وبراً بآلديه
 ولم يكن جباراً عصياً) ثم قال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) هذه الأوقات الثلاثة
 أشد ماتكون على الانسان فانه يقتل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيقتل الأول بعد ما كان الله وعرفه
 ويصير إلى الآخر ولا يدري ما بين يديه ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الاحشاء وفارق لبنها
 وخسبها ويقتل إلى هذه الدار ليكايد همومها وغمها وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ
 فيها وبين دار القرار وصار بعد الدور . والقصور إلى عرصة الاموات سكان القبور . ويظهر هناك النفقة
 في الصور ليوم البعث والنشور فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومشبور وما بين جنين وكبير
 وفريق في الجنة وفريق في السمر . ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول :

ولذلك أمك يا كيا مستعرجاً والناس حولك يضحكون مسروراً

فحرص نفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة اشق ماتكون على ابن آدم سلم الله على يحيى في كل موطن منها
 قال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) وقال سيد ابن أبي عروبة عن قادة أبي
 الحسن قال إن يحيى وعيسى النضيا قال له عيسى استغفر لى أنت خير منى فقال له الآخر استغفر لى أنت
 خير منى فقال له عيسى أنت خير منى سلت على نضى وسلم الله عليك فرفق الله فضلهما ، وأما قوله
 في الآية الأخرى (وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) فليل المراد بالحضور الذى لا يأتى التشاء

وقيل غير ذلك وهو أشبه لقوله (هب لي من ذلك ذرية طيبة) وقد قال الامام احد حدثنا عثان
حدثنا حماد أنبأنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال مامن
أحد من ولد آدم إلا وقد اخطأ أو لم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لأحد يقول أنا خير
من يوسف بن مقي. علي بن زيد بن جهمان تكلم فيه غير واحد من الأئمة وهو منكر الحديث
وقد رواه ابن خزيمة والدارقطني من طريق أبي عاصم العباداني عن علي بن زيد بن جهمان به مطولا
ثم قال ابن خزيمة وليس على شربنا. وقال ابن وهب حدثني ابن طيبة عن عتبيل عن ابن شهاب قال
خرج رسول الله ﷺ على أصحابه يوما وهم يتذكرون فضل الانبياء قال قاتل (موسى) كليم الله وقال
قاتل عيسى روح الله وكلته وقال قاتل ابراهيم خليل الله قال ابن الشهيد يلبس الوبر وياكل
الشجر عذابة الذنب قال ابن وهب يريد يحيى بن زكريا. وقد رواه محمد بن اسحاق وهو مدلس عن
يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول كل
ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا. فهنا من رواية ابن اسحاق وهو من
المدلسين وقد عثنت ههنا. ثم قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسل. ثم رأيت
ابن عساكر ساقه من طريق أبي أسامة عن يحيى بن سعيد الانصاري ثم قد رواه ابن عساكر من طريق
ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني خليف دمشق حدثنا محمد بن الأصهباني حدثنا أبو خالد الآخر عن يحيى
ابن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو قال ما أحد الا يلقي الله بذنوب الا يحيى بن زكريا. ثم
تلا (وسيدا وحصورا) ثم رفع شيئا من الارض فقال ما كان معه الا مثل هذا. ثم ذبح ذبجا وهذا موقوف
من هذه الطريق وكونه موقوفا اصح من رفعه والله أعلم. واورده ابن عساكر من طرق عن معمر من
ذلك ما اورده من حديث اسحاق بن بشر وهو ضعيف عن عثمان بن سباح عن ثور بن يزيد عن خالد
ابن مدنان عن معاذ عن النبي ﷺ بنحوه. وروى من طريق أبي داود الطيالسي وغيره عن الحكم بن
عبد الرحمن بن أبي نعيم عن ابيه عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ الحسن والحسين سيدا شباب أهل
الجنة الا ابني اخطأ يحيى وعيسى عليهما السلام. وقال أبو نعيم المافظ الاصبهاني حدثنا اسحاق بن احمد
حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا احمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول خرج عيسى بن مريم ويحيى
ابن زكريا يتأشيان فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى يا ابن خالة قد أصبت اليوم خطيئة ما اظن أنه يفرك
ابدا قال وما هي يا ابن خالة قال امرأة صدمتها. قال والله ما شرت بها. قال سبحان الله بذلك متى فأن
روحك قال ملق بالمرش ولوان قلبي اطمئن الى جبريل لظننت أني ما عرفت الله طرفة عين. فيه غرامة
وهو من الاسرائيليات. وقال اسرائيل عن ابي حصين عن خزيمة قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف وكان يحيى يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا

عبد ولا أمة ولا مأوى يؤولان إليه أين ملجنها الليل أوبا فلما اراد أن يترقا قاله يحيى اوصنى قال لا تنضب قال لا استطع إلا أن اغضب قال لا تحقن مالا قال أما هذه فضى .

وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه هل ملت زكراً عليه السلام موتاً أو قتل قتلاً على روايتين فروى عبدالمتم بن ادریس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال هرب من قومه فدخل شجرة فجأوا فوضوا المشائر عليهما فلما وصل المشائر إلى أضلاعه أن فأوحى الله إليه لئن لم يكن أئنيك لا قلبين الأرض ومن عليها فسنكن أغنيته حتى قطع بالهتين . وقد روى هذا في حديث مرفوع سنورده بعد أن شاء الله . وروى اسحق بن بشر عن ادریس بن سنان عن وهب أنه قال ألقى انصبعت له الشجرة هو شيئا غاماً زكريا فأت موتاً فله اعلم . وقال الامام احمد حدثنا عفان أبا ثاباً بوخلف موسى بن خلف وكان يمد من البلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده مملوع عن الحارث الاشعري أن النبي ﷺ قال ان الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وان يأمر بني اسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يعلى فقال له عيسى عليه السلام إنك قد أسرمت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني اسرائيل أن يعملوا بهن . فلما أن بلغن وإما أن بلغن فقال يأخى إلى أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخفض بي قال فجع يحيى بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد قعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قل إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمرهم أن يعملوا بهن . واولهن أن تمبدوا الله لا تشرکوا به شيئا فان مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بوردى أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غته الى غير سيده فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشرکوا به شيئا وأمرکم بالصلاة فان الله ينصب وجهه قبل عبده مالم يطلع فلذا صليتم فلا تلتفتوا • وأمرکم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مأك في عصاة كلهم يمدريج المسك وان خلف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك • وأمرکم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا يده الى عنقه وقدموه لبيروا عنقه فقال هل لكم أن أأخذى غنى منكم فجعل يفتدى نفسه منهم بالليل والكنثير حتى فك نفسه • وأمرکم بذكر الله عز وجل كثيرا فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في اثره فآتي حصناً حصيناً فحصن فيه وأن البعد احسن ما يكون من الشيطان اذا كن في ذكر الله عز وجل قال وقال رسول ﷺ وأنا أمرکم بخمس الله أمرني بهن بالجماعة والسمع والطاعة والمهجرة والجهاد في سبيل الله فان من خرج عن الجماعة قيد شبر قد خلع ريق الاسلام من عنقه الا أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من حثا جهنم قل يلرسول الله وان صام وصلى قال وان صام وصلى وزعم أنه مسلم ادعوا المسلمين باسمهم بما صامهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل .

وهكذا رواه أبو يعلى عن هدية بن خالد عن ابن بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير به . وكذلك رواه

الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى وموسى بن اسماعيل كلاهما عن أبان بن يزيد الطائرى • ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن محمد بن شبيب بن سابور عن معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن أبى سلام عن الحارث الاشعري • ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطائرى عن معاوية بن سلام عن أخيه • ثم قال فورد به مروان الطائرى عن معاوية بن سلام . قلت وليس كما قال ورواه الطبرانى عن محمد بن عبدة عن أبى نوبة الريح بن يافع عن معاوية بن سلام عن أبى سلام عن الحارث الاشعري فذكر نحوه فحذف ذكر زيد بن سلام عن أبى سلام عن الحارث الاشعري فذكر نحوه هذه الرواية ثم روى الحافظ بن عساكر من طريق جسد الله بن أبى جعفر الرازى عن أبيه عن الريح بن انس قال ذكر لنا عن اصحاب رسول الله ﷺ فيما سمعوا من طلاء بنى اسرائيل أن يحيى بن زكريا أرسل بنفسه ثلاث و ذكر نحوه ما تقدم . وقد ذكرنا أن يحيى عليه السلام كان كثير الاغراد من الناس انما كان يأنس الى البرارى وماكل من ورق الاشجار ويرد ماء الانهار ويتنزه بالجراد فى بعض الاحيان ويقول من اضم منك يا يحيى • وروى ابن عساكر أن أبوه خرجا فى قطبه فوجداه عند بحيرة الاردن فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل . وقال ابن وهب عن مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان طلاء يحيى بن زكريا الشب وانه كان ليكنى من خشية الله حتى لو كان القار على عينه غرقه

وقال محمد بن يحيى التلعلى حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال جلست يوما الى أبى ادریس اخولانى وهو يقص قال الا أخبركم بمن كان أطيب الناس طمعا فلما رأى الناس قد فظروا اليه قال إن يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طمعا انما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يتألف الناس فى ما يشبههم • وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال قد زكريا ابنه يحيى ثلاثة أيام فخرج يشتمه فى البرية فلما هو قد احترق قبرا وأقام فيه يسكن على ضه قال يا بنى أنا أطيبك من ثلاثة أيام وانت فى قبر قد احترق قائم تبكى فيه قال يا أبت السأفت أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطع الا بمسوح البكتين فقال له ابك يا بنى فبكيا جعيا . وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد بنجوه وروى ابن عساكر عنه أنه قال لأن أهل الجنة لا ينامون لئلا ينام فيه من النسيم فكذا يبنى للصديقين أن لا يناموا لما فى قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل • ثم قال كم بين النسيمين ولم بينهما وذكروا أنه كان كثير البكاء حتى أثر البكاء فى خديهم من كثرة دموعه •

بيان سبب قتل يحيى عليه السلام

وذكروا فى قتله أسبابا من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه او من لا يحل له تزويجا فتهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقى فى نفسها منه . فلما كان فيها وبين الملك

ما يجب منها استوهبت منه دم يحيى فوجه لها فيثت اليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طشت الى عندها
فيقال انها هلكت من فورها وساعتها وقيل بل أحبت امرأة ذلك الملك ورأسه فابى عليها فلما يئست
منه تمحلت في أن استوهبت من الملك تمنع عليها الملك ثم أجابها الى ذلك فيثت من قتله وأحضر اليها
رأسه ودمه في طشت . وقد ورد معناه في حديث رواه اسحاق بن بشر في كتابه المبتدا حيث قال أنبأنا
يعقوب الكوفي عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به رأى
زكريا في السماء فلم عليه وقال يا أبا يحيى خبرني عن ذلك كيف كان ولم تترك بنو اسرائيل . قال يا محمد
أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه وكان أجملهم وأصبحهم وجها وكان كما قال الله تعالى (سيداً محصوراً)
وكان لا يحتاج الى النساء فهوته امرأة ملك بني اسرائيل وكانت بنية فأرسلت اليه وعصمه الله واحتج
يحيى وأبى عليها فاجتعت على قتل يحيى ولهم عيد يجتمعون في كل عام وكانت سنة الملك أن يبعد ولا
يخلف ولا يكتب . قال فخرج الملك الى اليد فقامت امرأته فثبته وكان بها مبيجا ولم تمكن نفسه فيها
مضى فلما أن شيعته قال الملك سلفي فاسألتني شيئا الا أعطيتك قالت أريد دم يحيى بن زكريا قال لها
سلفي غيره قالت هو ذلك قال هو لك قال فبعثت جلاوزتها الى يحيى وهو في محرابه يصلي وأما الى
جانبه أسلى قال فذبح في طشت وحمل رأسه ودمه اليها . قال قال رسول الله ﷺ فا بلغ من صبرك
قال ما أضلت من صلاتي قال فلما حمل رأسه اليها فوضع بين يديها فلما أسرا خف الله بالملك وأهل
بيته وحشيه فلما أصبحوا قالت بنو اسرائيل قد غضب الله زكريا زكريا فلما لحق غضب للملكنا
فقتل زكريا قال فخرجوا في طلبه ليتلوه وجاءني النذير فهربت منهم وابليس أُمهمم يلهم على فلما
تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني وقالت الى الى وانصدمت لي ودخلت فيها . قال
وجاء ابليس حتى أخذ بطرف ردائي والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجا من الشجرة وجاءت
بنو اسرائيل قال ابليس أما رأيتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف ردائه دخلها بحره قالوا نحرق
هذه الشجرة قال ابليس شقوه بالنشار شقا . قال فشققت مع الشجرة بالنشار قال له النبي ﷺ هل وجدت
له ما أو وجا قال لا إنما وجدت ذلك الشجرة التي جعل الله روحى فيها . هذا سياق غريب جدا
وحديث عجيب ورفعه منك وفيه ما يشكر على كل حال ولم يرف في شيء من أحاديث الاسراء ذكر
زكريا عليه السلام الا في هذا الحديث وإنما المحفوظ في بعض النفاذ الصحيح في حديث الاسراء
فررت بابني الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث فان أم يحيى أشياع
بنت عمران أخت مريم بنت عمران . وقيل بل أشياع وهى امرأة زكريا أم يحيى هي أخت حنة امرأة عمران
أم مريم فيكون يحيى ابن خالة مريم ﷺ أعلم *

ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا هل كان في المسجد الاقصى أم غيره على قولين قال الثوري

عن الاعمش عن شمر بن عطية قال قتل على الصخرة التي بيت المقدس سبعون نبيا منهم يحيى بن زكريا عليه السلام وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال قدم بخت نصر دمشق فاذا هو بدم يحيى بن زكريا يفل فأنه فلقه فقتله فقتل على دمه سبعين الفا فسكن. وهذا استاد صحيح الى سعيد بن المسيب وهو يقتضى أنه قتل بدمشق وان قصة بخت نصر كانت يد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصري فله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد ابن مسلم عن زيد بن واقد قال رأيت رأس يحيى ابن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة التي على الممراب مما على الشرق فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير وفي رواية كأنما قتل الساعة. وذكر في بناء مسجد دمشق أنه جل تحت العمود المعروف بسود السكاسك فله أعلم.

(١) وقد روى الحافظ ابن عساكر في المستقصى في فضائل الاقصى من طريق الباس بن صبيح عن مروان عن سعيد بن عبد العزيز عن قاسم مولى معاوية قال كان ملك هذه المدينة يسمى دمشق هداد ابن هدار وكان قد تزوج ابنة أخته بأخته أخيه أريل ملكة صيدا وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوكة بدمشق وهو الصاغة الثينة قال وكان قد حلف بطلائها ثلاثا. ثم أنه أراد مراجعتها فاستغنى يحيى بن زكريا فقال لا تحمل لك حتى تنكح زوجا غيرك فخذت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا وذلك بإشارة أمها فأتى عليها ثم أحياها الى ذلك وبث اليه وهو قائم يصلي بمسجد حيرون من أنه يرأسه في صينية فجعل الرأس يقول له لا تحمل له حتى تنكح زوجا غيره فخلعت المرأة الطبق فخلته على رأسها وأنت به أمها وهو يقول كذلك فلما تمتل بين يدي أمها خف بها الى قعسيها ثم الى حقيرها وجعلت أمها تولول والجوارى يصرخن ويلطن وجوههن ثم خف بها الى منكبها فارت أمها السياف أن يضرب عنقها لتقتل برأسها ففعلت الارض جثها عند ذلك ووقوا في الليل وألقوا ولم يزل دم يحيى يفيض حتى قدم بخت نصر فقتل عليه خة وسبعين الفا • قال سعيد بن عبد العزيز وهي دم كل نبي ولم يزل يفيض حتى وقف عنده أرما عليه السلام قال أيها الله أفنيت بني اسرائيل فليسكن بلذن الله فسكن فرفع السياف وهرب من هرب من أهل دمشق الى بيت المقدس فبهم اليها قتل خلقا كثيرا لا يحصون كثرة وسبا منهم ثم رجع عنهم.

(١) من هنالى قصة عيسى لم يوجد في النسخين الموجودتين بالمكتبة الملكية المصرية

قصة عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وابن أتم عليه من الله أفضل الصلاة والسلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران التي أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الرد على النصارى عليهم لعائن الله الذين زعموا أن الله ولدنا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وكان قد قدم وقد نجران منهم على رسول الله ﷺ فجعلوا يذكرون مام عليه من الباطل من التثليث في الاقايم ويدعون بزعمهم ان الله ثلث ثلاثة وهم القات المقتسمه وعيسى ومريم على اختلاف فرقهم قاتل الله عز وجل صدر هذه السورة بين فيها ان عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وانه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وقال له كن فكان سبحانه وتعالى . وبين أصل ميلاد أمه مريم وكيف كان من امرها وكيف حملت بولدها عيسى وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما ستكمل على ذلك كله بون الله وحسن توفيقه وهذاية قال تعالى وهو اصدق القائلين (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . إذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم . فتلقاها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأثى وانى سميتها مريم واتى اعيذها بك ووزيتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجدها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)

يذكر تعالى انه اصطفى آدم عليه السلام واخلف من ذريته المتبعين شرعه الملائمين طاعته ثم خصص فقال وآل ابراهيم فدخل فهم بنو اسماعيل وبنو اسحاق . ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران والمراد بمران هذا ولد مريم عليها السلام وقال محمد ابن اسحاق وهو عمران بن بئش بن أمون ابن ميثا بن حزقيا بن ابراهيم بن مومم بن عزازيا بن امصيا بن يوش بن ابراهيم بن يازم بن يهناشاط بن ايشا بن ايان بن رجمام بن سليمان بن داود وقال ابو القاسم بن عساكر مريم بنت عمران بن مائا بن العازر بن اليرودين اخنوخ بن صادق بن عيازوز بن الياقيم بن ايود بن زوايل بن شافا بن يوحنا بن يوشا بن امون بن ميثا بن حزقا بن احاز بن مومم بن عزرا بن يودام بن يوشافاط ابن ايشا بن ايا بن رجمام ابن سليمان بن داود عليه السلام وفيه خلافة كما ذكره محمد بن اسحاق ولا خلاف انها من سلالة داود عليه السلام وكان ابوها عمران صاحب صلاة بنى اسرائيل في زمانه وكانت أمها وهي حنة بنت قافود بن قبيل من العابدات وكان زكريا بنى ذلك الزمان زوج أخت مريم اشياغ في قول الجمهور وقيل زوج خالتها اشياغ فانه أعلم وقد ذكر محمد بن اسحاق وغيره ان ام مريم كانت لا تحبل فرأت يوما طائرا يزق فرخا له فاشتته

الولد فنذرت لله ان حملت لتجملن ولها محرراً أى حيساً فى خدمة بيت المقدس قالوا فحاضت من
 فورها فلما طهرت واقبها بلها فحلت بحريم عليها السلام (قلنا وضتها قالت رب ائى وضتها ائى
 والله اعلم بما وضعت) وقرى بضم التاء وليس الذكر كالأئى أى فى خدمة بيت المقدس وكانوا
 فى ذلك الزمان ينتفدون لبيت المقدس خداماً من أولادهم . وقولها (وائى سميتها مريم) استدل به
 على تسمية المولود يوم يولد وكما ثبت فى الصحيحين عن أنس فى ذهابه بلنيه الى رسول الله ﷺ
 فحك أخاه وسماه عبد الله . وجاء فى حديث الحسن عن سيرة مرفوعاً : كل غلام رهينة بقيقته نذبح
 عنه يوم سابعه ويسى ويطلق رأسه . رواه احمد وأهل السنن وصححه الترمذى وجاء فى بعض ألفاظه
 ويدعى بذكر ويسى وصححه بعضهم والله أعلم . وقولها (وائى أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)
 قد استجيب لها فى هذا كما تجل منها نذرها قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا مسعر عن الزهري
 عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لمن مولود إلا والشيطان يمه حين يولد
 فيستهل صارخاً من مس الشيطان ايله إلا مريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة واقرؤا ان شئتم (وائى أعينها
 بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أخرجه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن احمد بن الفرج عن
 بقية عن عبد الله بن الزيدى عن الزهري عن أبي سلة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه . وقال احمد
 أيضاً حدثنا الساجل بن عمر حدثنا ابن أبي ذؤيب عن عجلان مولى المشعل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ
 قال (كل مولود من بنى آدم يمه الشيطان بإصبعه إلا مريم وبنت عمران وابنها عيسى) . فترد به من هذا
 الوجه ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي يوسف عن أبي هريرة عن
 النبي ﷺ بنحوه . وقال احمد حدثنا هشيم حدثنا حص بن ميسرة عن البلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن
 النبي ﷺ قال (كل انسان قلده أمه يلكزه الشيطان فى حضينه إلا ما كان من مريم وابنها ألم تر إلى
 الصبي حين يسقط كيف يصرخ قالوا بلى يا رسول الله قال ذلك حين يلكزه الشيطان بحضينه وهذا على
 شرط مسلم ولم يخرججه من هذا الوجه ورواه قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله ﷺ (ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم)
 ثم قرأ رسول الله ﷺ (وائى أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) وكذا رواه محمد بن اسحاق عن
 يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بإصل الحديث . وقال الامام احمد حدثنا
 عبد الملك حدثنا المغيرة هرا بن عبد الله الخزاعي عن ابى الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ
 قال (كل بنى آدم يملن الشيطان فى جنبه حين يولد إلا عيسى بن مريم يملن فقلن فى الحجاب) .
 وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقوله (فقبلها ربها بقبول حسن وابنتها
 نبأاً حسناً وكنها ذكراً) ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضتها لفها فى خروقها ثم خرجت بها

الى المسجد فسلطها الى البياد القين ثم مقبون به وكانت ابة امامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها . والظاهر انها اتما رستها اليهم بد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها . ثم لا دفتها اليهم تنازعوا في أيهم يكفلها وكان زكريا فيهم في ذلك الزمان وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل أن زوجة اختها أوخالتها على القولين فتشاوره في ذلك وطلبوا أن يقترح معهم فاعطته القادير فخرجت قرعته غالبة لهم وذلك أن انطاة بمنزلة الأم . قال الله تعالى (وكفلها زكريا) أي بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال تعالى (ذلك من أنباء النبي نوحه اليك وما كنت لديهم اذ يقولون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) . قالوا وذلك أن كلا منهم أتى قلبه معروف به ثم حللوا ووضعوها في موضع وأمسوا غلاما لم يبلغ الخنث فخرج واحدا منها وظهر قلم زكريا عليه السلام فطلبوا أن يقترحوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن يقولوا أقلامهم في التهر فأقيم جرى قلبه على خلاف جريه في الماء فهو الطالب فقلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جريه الماء وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقترحوا ثالثة فأقيم جرى قلبه مع الماء ويكون بقية الاقلام قد انعكس سيرها صمدا فهو الطالب فقلوا فكان زكريا هو الطالب لهم فكفلها اذ كان احق بها شرما وقدراً لوجوه عديدة . قال الله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أتى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) قال المفسرون اتخذها زكريا مكانا شريفاً من المسجد لا يدخله سواها فكانت قعيد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سداة البيت اذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني اسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال السكرية والصفات الشريفة حتى انه كان في الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا غريباً في غير أوانه فكان يجد عندها قاكهة الصيف في الشتاء وقاكهة الشتاء في الصيف فيأكلها (أتى لك هذا فتقول هو من عند الله) أي رزق رزقيه الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فتد ذلك وهناك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وان كان قد اسن وكبر (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع العطاء) . قال بعضهم قال يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه هب لي يولداً وان كان في غير أوانه فكان من خيره وقصيته ما قلنا ذكره في قصته . (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اتقي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . ذلك من أنباء النبي نوحه اليك وما كنت لديهم اذ يقولون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون .) إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلمك الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسس بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون . ويصلى الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد

جنتكم بآية من ربكم أنى اخلق لكم من الطين كنية الطير فانفق فيه فيكون طيراً بلذن الله وأبى .
 الآية والأبرص وأبى المولى بلذن الله وأبىكم بما تأكلون وما تدخرون في يوتكم ان في ذلك لآية
 لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجنتكم
 بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها بأن اختارها
 لايجاد ولد منها من غير أب وبشرت بأن يكون نبياً شريعياً (يكلم الناس في المهد) أى فى صغره يدعوهم
 الى عبادة الله وحده لا شريك له وكذلك فى حال كونه قديراً على أنه يبلغ الكهولة ويدعو الى الله فيها
 وأمرت بكثرة العبادة والتقوى والسجود والركوع لتكون أهل هذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة فيقال
 إنها كانت تقوم فى الصلاة حتى قطرت قدمها رضى الله عنها ورحمها وأبىها يقول الملائكة
 (يا مريم ان الله اصطفاك) أى اختارك واجتاك (وطهرتك) أى من الاخلاق الرذيلة واصطفاك الصفات الجميلة
 (واصطفاك على نساء العالمين) . يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى انى اصطفيتك على
 الناس وكقوله عن بنى اسرائيل (ولقد اخترناكم على علم على العالمين) ومعلوم أن ابراهيم عليه السلام افضل
 من موسى وان محمداً ﷺ افضل منها وكذلك هذه الامة افضل من سائر الامم قبلها وأكثر
 عدداً وافضل علماً واذكى علماً من بنى اسرائيل وغيرهم . ويحتمل أن يكون قوله (واصطفاك على نساء
 العالمين) محفوظ المصوم فتكون افضل نساء الدنيا من كان قبلها ووجد بعدها لانها لم تكن نية على
 قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة أم اسحاق ونبوة أم موسى محتجاً بكلام الملائكة والوحى الى أم
 موسى كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره فلا يمتنع على هذا أن يكون مريم افضل من سارة وأم موسى
 لمصوم قوله (واصطفاك على نساء العالمين) إذ لم يارضه غيره والله أعلم هوأما قول الجمهور كما قد حكاه أبو
 الحسن الاشعري وغيره من أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال وليس فى النساء نية فيكون
 أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وانه صدقة)
 فكل هذا لا يمتنع أن تكون افضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها ومن يكون بعدها والله أعلم .
 وقد جاء ذكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وطلحة بنت محمد رضى الله عنهم
 وأزواجهن .

وقد روى الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عديدة عن هشام بن عروة
 عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ خير نسائها
 مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أن أبا ثامر عن
 حمادة عن انس قال قال رسول الله ﷺ (حبك من نساء العالمين يربع مريم بنت عمران وآسية

امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (ورواه الترمذى عن ابى بكر بن زائجويه عن عبد الرزاق به وصححه ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن ابى جعفر الرازى وابن عساكر من طريق تميم بن زياد كلالا عن أبى جعفر الرازى عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ خير نساء العالمين أربع (مریم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رسول الله) وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قال كان أبو هريرة يحدث أن النبي ﷺ قال خير نساء ركن الابل صالح نساء قريش احناء على ولده في صفوه وارباعه لزوج في ذات يده قال أبو هريرة ولم تترك مریم ميرا قط . وقد رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن رافع وعبد بن حيد كلالا عن عبد الرزاق به . وقال احمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني موسى بن علي سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ خير نساء ركن الابل نساء قريش احناء على ولده في صفوه وأرأف به بزوجه على قلة ذات يده قال أبو هريرة وقد علم رسول الله ﷺ أن ابنة عمران لم تترك الابل فترده وهو على شرط الصحيح . ولهذا الحديث طرق اخر عن أبي هريرة وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن ابى الفرات عن عطاء بن احر عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله ﷺ في الارض أربع خطوط قال امدون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال رسول الله ﷺ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومریم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ورواه النسائي من طرق عن داود أبي هند . وقد رواه ابن عساكر من طريق أبى بكر عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث حدثنا يحيى بن حاتم السكري بأنا بشر بن مهران بن حمدان حدثنا محمد بن دينار عن داود بن ابى هند عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ حسبك من أربع سيدات نساء العالمين فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم ومریم بنت عمران . وقال أبو القاسم البغوي حدثنا وهب بن منبه حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة انها قالت لفاطمة أرأيت حين اكبت على رسول الله ﷺ فبكيت ثم ضحكت قالت اخبرني انه ميت من وجهه هذا فبكيت ثم اكبت عليه فظننت اني أسرع أهله لحوقه واني سيدة نساء أهل الجنة إلا مریم بنت عمران فضحكت واصل هذا الحديث في الصحيح . وهذا اسناد على شرط مسلم وفيه اتها بأفضل الاربعة المذكورات . وهكذا الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن يزيد هروان ابى زياد عن عبد الرحمن بن أبى نعيم عن ابى سعيد قال قال رسول الله ﷺ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا ما كان من مریم بنت عمران اسناد حسن وصححه الترمذى ولم يخرجوه وقد روى نحوه من حديث علي بن ابى طالب ولكن في اسناده ضعف . والمقصود أن هذا يدل على ان مریم وفاطمة أفضل هذه الاربعة . ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مریم أفضل من فاطمة ويحتمل أن يكون علي السواء

في الفضيلة . لكن ورد حديث أن صح عین الاحتمال الأول قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر أنباء
ابو الحسن بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابننا قالوا أنباء أبو جعفر بن المسلمة أنباء أبو طاهر المخلص
حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن موسى
بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم
فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون فإن كان هذا المقطع محمولاً بهم التي للترتيب فهو مبين لاحد
الاحتمالين الذين دل عليهما الاستثناء وتقدم على ما تقدم من الألفاظ التي وردت بواو المطف التي
لا تقتضي الترتيب ولا تنفيه والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي عن داود الجعفي عن عبد العزيز بن محمد وهو المروزي
عن إبراهيم بن عقبة عن كريب عن ابن عباس مرفوعاً ذكره أبو المطف لاثم الترمذي تخالفه أسناداً
ومتناً والله أعلم . فلما الحديث الذي رواه ابن مردويه من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال
قال رسول الله ﷺ كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة
فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائنة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وهكذا الحديث
الذي رواه الجماعة الا أبو داود من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة المحدثي عن أبي موسى
الاشعري قال قال رسول الله ﷺ كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون
ومريم بنت عمران وإن فضل عائنة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . فله حديث صحيح كما ترى
اتفق الشيخان على اخراجه ونقله يقتضي حصر السكال في النساء في مريم وآسية ولعل المراد بذلك في
زمنها فان كلا منهما كملت نبياً في حال صفه فآسية كملت موسى السكالم ومريم كملت ولدها عبد الله
ورسوله فلا ينفى كمال غيرها في هذه الأمة كخديجة وفاطمة فخديجة خدمت رسول الله ﷺ قبل البعثة
خمس عشرة سنة وبدها ازيد من عشرين وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها رضى الله عنها وارضاهها
وأما فاطمة بنت رسول الله ﷺ فلهما خصت بمزيد فضيلة على اخواتها لانها اصبحت برسول الله ﷺ
وبيعة اخواتها متنى في حيات النبي ﷺ وأما عائشة فلهما كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ اليه ولم يتزوج
بكر غيرها ولا يعرف سائر النساء في هذه الأمة بل ولا في غيرها أعلم منها ولا أنهم وقد غار الله لها حين
قال لها أهل الانك ما قالوا فانزل برائتها من فوق سبع سموات وقد عرت بعد رسول الله ﷺ قريباً
من خمسين سنة تبلغ عنه القرآن والسنة واتفق المديين وتصلح بين المختلفين وهي أشرف أمهات المؤمنين
حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين والاحسن الوقف
فيها رضى الله عنها وما ذاك الا لأن قوله ﷺ وفضل عائنة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام يحمل
إن يكون عاماً بالنسبة الى المذكورات وغيرهن ويحمل أن يكون عاماً بالنسبة الى ما عدى المذكورات والله أعلم

والمقصود منها ذكر ما يعلق بحريم بنت عمران عليها السلام فإن الله طهرها واصطفاهما على سائر عالمي زمانها ويميز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا . وقد ورد في حديث أنها تكون من أزواج النبي ﷺ في الجنة هي وآسية بنت مزاحم . وقد ذكرنا في التفسير عن بعض السلف أنه قال ذلك واستأنس بقوله عبيات وابكارا قال فلتب أسية ومن الابكار حريم بنت عمران . وقد ذكرناه في آخر سورة التحریم قاله أعلم .

قال الطبراني حدثنا عبد الله بن نجبة حدثنا محمد بن سعد الوقي حدثنا أبي أن أبا عمي الحسين حدثنا يونس بن قتيح عن سعد بن جندب هو الوقي قال قال رسول الله ﷺ إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن مرة حدثنا عبد النور بن عبد الله حدثنا يونس بن شبيب عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ أشرت أن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلم أخت موسى رواه ابن جعفر الثعلبي من حديث عبد النور به وزاد قلت هنياً لك يا رسول الله . ثم قال الثعلبي وليس بمحفوظ . وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن يعلى بن المنيرة عن ابن أبي داود قال دخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها بالكروه مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلم أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بلطفه والبتين * وروى ابن عساكر من حديث محمد بن زكريا التلبي حدثنا العباس بن بكار حدثنا أبو بكر المزني عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة وهي في مرض الموت فقال يا خديجة إذا قبضت ضرا فترك فافترهن مني السلام قالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلم أخت موسى وروى ابن عساكر من طريق سويد بن سعيد حدثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال نزل جبريل إلى رسول الله ﷺ بما أرسل به وجلس يحدث رسول الله ﷺ إذ مورت خديجة فقال جبريل من هذه يا محمد قال هذه صدقة أمتي قال جبريل معي إليها رسالة من الرب عز وجل يقرتها السلام ويشرها بيت في الجنة من قصب يمد من اللهب لا تصب فيه ولا صخب قالت الله السلام ومنه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على رسول الله ما ذلك البيت الذي من قصب قال لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم وهما من أزواج يوم القيامة . وأصل السلام على خديجة من الله وبشارتها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا وضرب في الصحيح ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جداً . وكل من هذه الأحاديث في أسانيدنا نظر . وروى ابن عساكر من حديث أبي زرعة الدمشقي حدثنا عبد الله بن صالح

حدثني معاوية عن صفوان بن عمرو عن خالد بن مدان عن كعب الاحبار أن معاوية سأله عن الصخرة
 في صخرة بيت المقدس قال الصخرة على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة مريم
 بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة. ثم رواه من طريق اسماعيل
 عن عياش عن ثعلبة بن مسلم عن مسعود عن عبد الرحمن عن خالد بن مدان عن عبادة بن الصامت عن
 النبي ﷺ بمثله وهذا منكسر من هذا الوجه بل هو موضوع قد رواه أبو زرعة عن عبد الله بن صالح
 عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن عن ابن عابد أن معاوية سأل كعبا عن صخرة بيت المقدس
 فذكره قال الحافظ بن عساكر وكونه من كلام كعب الاحبار أشبه. قلت وكلام كعب الاحبار هذا إنما
 تلقاه من الاسرائيليات التي منها ما هو مكذوب ومقتل وضه بعض زنادقهم أو جهالهم وهذا منه والله أعلم

ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم البتول

قال الله تعالى (واذ كرم في الكتاب مريم إذ قبضت من أهلها مكانا شرقيا فانخلت من دونهم
 حجابا فارسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا. قالت أتى أعوز بالرحمن منك إن كنت تبيا. قال إنما أنا
 رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا. قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال
 ربك هو على هين ولنجهله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا. فخلطه فأتته به مكنا قصيا فاجامها
 الخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها أن انخرنى قد
 جبل ربك تحتك سرى. وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فلما
 ترين من البشر أحداً قولى ائى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا. فانت به قوماً تعمله قالوا
 يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يا أخت هرون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت أمك بغيا فلما نارت اليه قالو
 كيف نسلك من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا. وجعلنى مباركا أينما كنت
 وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ويرا بوالدى ولم يصفانى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم
 أموت ويوم أبعث حيا. ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون. ما كان الله أن يتخذ من ولد سبحانه
 اذا قضى أمرا ما ياتى يقول له كن فيكون وإن الله بربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. فاختلف الأحزاب
 من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم.)

ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي هي كالقدمة لها والتوطئة قبلها كما ذكر في سورة آل عمران
 قرن بينهما في سياق واحد وكما قال في سورة الانبياء (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدنى فرداوات خير
 الوارئين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا
 ورهبا وكانوا لنا خاشعين. ولاتى أحسنت فرجها ففضحنا منها وروحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)

وقد تقدم أن سرهم لما جلسوا أمها محبرة تخدم بيت المقدس وانه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام وانه اتخذ لها عرابا وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواء وانما لما بلغت اجتهت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات وظهر عليها من الاحوال ما غلبها به زكريا عليه السلام وانما خاطبتها الملائكة بالشارة لما باصفاه الله لما وانه سبب لها ولداً زكيا يكون نبيا كرما طاهراً مكرماً مؤيداً بالاميزات فصجبت من وجود ولد من غير والداتها لا زوج لها ولا هي ممن تزوج فاختيرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون فلتسكنا ذلك واتاب وسلت لامر الله وعلت أن هذا فيه محنة عظيمة لما فان الناس يتسكمون فيها بسببه لانهم لا يملكون حقيقة الامر وانما ينظرون الى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تقبل وكانت انما تخرج من المسجد في زمن حوضها أو حلجة ضرورة لا بد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء فينبأ هي يوماً قد خرجت لبعض شؤونها (واقبنت) أي اغردت وحدها شرق المسجد الاقصى اذ بث الله اليها الروح الامين جبريل عليه السلام (فقبل لها بشراً سوياً) فلما رآته (قالت اني أعوذ بالرحمن منك إن كنت حقاً) . قال أبوالمعالية علت أن التقي ذونمية وهذا يرد قوله من زعم انه كان في بني اسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقي فان هذا قول باطل بلا دليل وهو من أسخف الاقوال (قال انما أنا رسول ربك) أي خاطبها الملك قائلاً انما أنا رسول ربك لست يشر ولكني ملك يشق الله اليك (ليهلك غلاماً زكياً) أي ولداً زكياً (قالت اني يكون لي غلام) أي كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد (ولم يمسني بشر ولم أك بضياً) أي ولست ذات زوج وما أنا ممن يفضل الفاحشة (قال كذلك قال ربك هو على هين) أي فاجابها الملك عن قصبتها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلاً (كذلك قال ربك) أي وعده أنه سيخلق منك غلاماً ولست بذات بل ولا تسكونين عن تبين (هو على هين) أي وهذا سهل عليه ويسر له فانه على ما يشاء قدير . وقوله (ولنجعله اية للناس) أي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كل قدرتنا على أنواع الخلق فانه تعالى خلق ادم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى . وقوله (ورحمه مني) أي رحم به المبادي يدعوهم الى الله في صفوه وكبره في طفولته وكهولته بأن يفرحوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والاولاد والشركاء والنظراء والاضداد والاعداد . وقوله (وكان أمراً مقضياً) . يحتمل أن يكون هذا من كلام جبريل مها يعني ان هذا أمر قد قضاه الله وحمه وقدره وقرره وهذا معنى قول محمد بن اسحاق واختاره ابن جرير ولم يحك سواه والله أعلم . ويحتمل أن يكون قوله (وكان أمراً مقضياً) كناية عن فسخ جبريل فيها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصفت فرجها فنحننا فيمن روحنا) . قد ذكر غير واحد من السلف ان جبريل فسخ في جيب درعها فترأت

التفحة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها. ومن قال أنه فضع في فيها أو أن الذي كان يخالطها هو الروح التي ولج فيها من فيها قوله خلاف ما يهضم من سرائق هذه القصة في محالها من القرآن لأن هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام وأنه إنما فضع فيها ولم يواجهه الملك الفرج بل فضع في جيبها فنزلت التفحة إلى فرجها فانسلكت فيه كما قال تعالى (فضعنا فيه من روحنا) يدل على أن التفحة ولجت فيه لاني فيها كما روى عن أبي بن كعب ولا في صدرها كما رواه السدي بإسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى (فخلته) أي حلت ولدها (فأقبلت به مكاناً قصياً) وذلك لأن مريم عليها السلام لما حلت ضاقت به ذراعاً وعلمت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام في حقها فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه أنها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بني إسرائيل يقال له يوسف بن يقوب النجار وكان ابن خالها فجعل يمتجب من ذلك عجباً شديداً وذلك لما يعلم من ديارها وزاهاها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حلياً وليس لها زوج ففرض لما ذات يوم في الكلام فقال يا مريم هل يكون زرع من غير بندر قالت نعم فمن خلق الزرع الأول. ثم قال فهل يكون شجر من غير ماء ولا مطر قالت نعم فمن خلق الشجر الأول ثم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى قال لها فأخبريني خبرك قالت إن الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويحكم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين) ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سأله فأجابته بمثل هذا والله أعلم *

وذكر السدي بإسناده عن الصحابة أن مريم دخلت يوماً على أختها قالت لها أختها اشعرت أفي حلي قالت مريم وشعرت أيضاً أفي حلي فاعتنتها وقالت لها أم يحيى أفي أرى ماني بطني يسجد لما في بطنك وذلك قوله (مصدقاً بكلمة من الله) ومعنى السجود هنا الخضوع والتظيم كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع من قبلنا وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم * وقيل أو التماس قال مالك بطني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خلة وكان حملها جميعاً معاً فبطنى أن أم يحيى قالت لمريم أفي أرى ماني بطني يسجد لما في بطنك قل مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله تعالى جلله بمحيى الموتي ويبرئ الأكمه والابرص. رواه ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد قل قالت مريم كنت إذا خلوت حدثني وكلمني وإذا كنت بين الناس سبحت في بطني *

ثم الظاهر أنها حلت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضمن لميقات حملهن ووضعهن إذ لو كان خلاف ذلك لذكر. وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضته قل بعضهم حملت به تسع ساعات واستأنسوا لذلك قوله (فخلته فأقبلت به مكاناً قصياً فأجابها

الحاض الى جذع النخلة) والصحيح أن تعقب كل شيء بحبه لقوله (تصبح الأرض مخضرة) وكثيره (لخلقنا النخلة علة لخلقنا العلة مضرة لخلقنا المضرة عظماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فبارك الله أحسن البركات) • ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه . قال محمد بن اسحاق شاع واشتهر في بني اسرائيل أنها حامل فادخل على أهل بيت مادل على آل بيت ذكريا . قال واتهما بعض الزنادقة يوسف القتي كان يتبذرها في المسجد وتوارت عنهم سرهم واعتزلتهم وانتبخت مكا قصبيا وقوله (فأجاءها الحاض الى جذع النخلة) أي فاجأها واضطرها الطلق الى جذع النخلة وهو بنس الحديث الذي رواه النسائي بإسناد لا بأس به عن أنس مرفوعاً والبيهقي بإسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضاً بيت لحم القتي بنى عليه بعض ملوك الروم فيا بعد على ما سنده هذه البناء المشاهد المائل (قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فيه دليل على جواز تحي الموت عند الفتن وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتهم بسلام على يدها مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات اليه المستكنات فيه ومن بيت النبوة والديانة غفلت بسبب ذلك من المهم ما تمت ان لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت (نسياً منسياً) أي لم تخلق بالكلية . وقوله (فناداها من تحتها) وقرىء من تحتها على الخفض وفي المصنف قولان أحدهما أنه جبريل قاله العوفي عن ابن عباس قال ولم يتكلم عيسى إلا بمحضرة القوم وهكذا قل سعيد بن جبير وعمر بن ميمون والضحاك والسدي وقادة . وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير في رواية هو ابنها عيسى واختاره ابن جرير . وقوله (أن لا تخزني قد جعل ربك تخلك سرياً) قبل التهر واليه ذهب الجمهور . وجاء فيه حديث رواه الطبراني لكنه ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن الحسن والريسم بن أنس وابن اسلم وغيرهم أنه ابنها والصحيح الأول لقوله (وهزى اليك بمجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) فذكر الطعام والشراب ولهذا قال (فكلى واشربى وقرى عينا) . ثم قيل كان جذع النخلة ياباً وقيل كانت نخلة مشرة فأنه أعلم . ويحتمل أنها كانت نخلة لكنهما لم تكن مشرة إذ ذاك لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذلك وقت ثمر وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتثال (تساقط عليك رطباً جنياً) . قال عمرو بن ميمون ليس شيء أجود للنساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيان حدثنا مسروق بن سعيد التيمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الانصاري عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ (أكرموا عتكم النخلة فلها خلق من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يفتح غيرها وقال رسول الله ﷺ (أطسوا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فخر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها

سرم بنت عمران . وكذا رواه أبو يعلى في مستدركه عن شيان بن فروخ عن مسروق بن سعيد وفي رواية مسروق بن سعد . والصحيح مسروق بن سعيد التميمي أورد له ابن عدى هذا الحديث عن الأوزاعي به ثم قال وهو منكر الحديث ولم يصح بذكره إلا في هذا الحديث . وقال ابن جبان يروى عن الأوزاعي المناكير الكثير قال لا يجوز الاحتجاج بمن يرويه . وقوله (فلما ترين من البشر أحداً تقولى إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) . وهذا من تمام كلام الذي نلناها من تحتها قال (كلنى واشترى وقرى عينا فلما ترين من البشر أحداً) أى فلن رأيت أحداً من الناس (قولى) له أى بلسان الحال والاشارة (لنى نذرت للرحمن صوماً) أى صمتاً وكان من صومهم فى شريعتهم ترك الكلام والطعام قاله قتادة والسدى وابن اسلم ويدل على ذلك قوله (فلن أكلم اليوم إنسياً) فلما فى شريعتنا فكره لصائم صمت يوم إلى الليل . وقوله تعالى (فانت به قومها تحملهوا) يأسرهم لقد جئت شيئاً فرياً . يأخت هرون ما كان أبوك اسراً سوء . وما كانت أمك نبياً) ذكر كثير من السلف بمن يقتل عن أهل الكتاب أنهم لما اقتصدوها من بين أظهرهم ذهبوا فى طلبها فروا على محلها والأتوار حولها فلما واجهوها وجدوا معها ولدها قالوا لها (يأسرهم لقد جئت شيئاً فرياً) أى اسراً عظيماً منكراً . وفى هذا الذى قالوه نظر مع أنه كلام ينقض أوله آخره وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملت بنفسها وابت به قومها وهى تحمله . قال ابن عباس وذلك بعد ما تملت من فحاشا بعد أربعين يوماً *

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها (قلوا يأسرهم لقد جئت شيئاً فرياً) والفرية هى القلة المنكرة العظيمة من الضال والقاتل ثم قلوا لما (يأخت هرون) قبل شهبوها بما يد من عباد زمانهم كانت قسامية فى العبادة وكان اسمه هرون وقيل شهبوها برجل فاجر فى زمانهم اسمه هرون . قاله سعيد بن جبير وقيل أرادوا بهرون أخا موسى شهبوها به فى العبادة . واخطأ محمد بن كعب القرظى فزعه أنها أخت موسى وهرون نسباً قلن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يحصى على أدنى من عنده من العلم ما برده عن هذا القول العظيم وكأنه غره أن فى التوراة أن مريم أخت موسى وهرون ضربت بالدف يوم نجا الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملائه فاعتقد أن هذه هى هذه وهذا فى غاية البطالان والخرافة للحديث الصحيح مع نص القرآن : قوله فى التفسير مطولاً والله الحمد والمنة . وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لما أخ اسمه هرون وليس فى ذكر قصة ولاحتها وتحرير أنها لما مايدل على أنها ليس لها أخ سواها والله أعلم . قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن ادريس سمعت أبى يذكره عن سهاك عن عقبة ابن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بشى رسول الله ﷺ الى نجران قالوا أرأيت ما نجرؤن (يأخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك رسول الله ﷺ قال (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم) وكذا رواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث

عبد الله بن إدريس وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديثه وفي رواية (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون أبناءه صالحهم وأبيائهم) وذكر ثلاثة وغيره أنهم كانوا يكثر من التسمية بهرون حتى قيل إنه حضر بعض جنازتهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهرون أو بهون ألفاً فلفه أطم *

والمقصود أنهم قالوا (يا أخت هرون) ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ فسمى اسمه هرون وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير ولهذا قالوا (ما كان أبوك امرأة سوء وما كانت أمك جيداً) أي لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لأنحوك ولا أمك ولا أبوك فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالدهاية الدهية فذكر ابن جرير في تاريخه أنهم اتهموا بها زكريا وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انتثقت له الشجرة فدخلها وأمسك أليس بطرف رذاته فقتلوه فيها كما تقدمت، ومن المناقذين من اتهمها بن خالسا يوسف بن يعقوب النجار فلما ضاق الحلال وانحصر المجال وانتمت المقال عظم التوكل على ذي الجلال ولم يبق إلا الاخلاص والاكتمال (فاشارت اليه) أي خاطبوه وكلموه فان جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه . ففندها (قلوا) من كان منهم جباراً شقياً (كيف نكلم من كان في المهد صبياً) أي كيف نحملنا في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك دضيع في مهده ولا يميز بين محض وزبده وما هذا منك إلا على سبيل التهمك بنا والاستهزاء والتقص لنا والازدراء إذ لا تردن علينا قولاً نقضاً بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبياً ففندها (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرأ بالحق ولم يجعلني جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) . هذا أول كلام تنزه به عيسى بن مريم فكان أول ما تكلم به أن (قال إني عبد الله) اعترف لربه تعالى بعبودية وأن الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم انه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته ثم برأ أمه عما نسبها اليه الجاهلون وقد فوها به ورموها بسببه بقوله (آتاني الكتاب وجعلني نبياً) فلن الله لا يعطى النبوة من هو كما زعموا لنهم الله وقبحهم كما قال تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بنتنا عظيماً) وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا إنها حملت به من زنا في زمن الخبيث لنهم الله فغير أمها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صدقة واتخذ ولدها نبياً مرسلأ أحد أولى الرزم الحجة الكبار ولهذا قال (وجعلني مباركا أينما كنت) وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونزه جنابه عن التقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق الرمز الحميد بالصلاة والاحسان إلى الخليفة بركة وهي تشتمل على طهارة النفوس من الاخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزية العظيمة للمساويج على اختلاف الاصناف وقرى الاضاف والعتقات على الزوجات والارقاء والقراب وتساثر وجوه الطامعات وأنواع الترتيب . ثم قال (وبرأ بالحق

ولم يجعلني جباراً شقياً) أى وجعلني برّاً بالحق وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها إذ لا والله له سواها فصبحت من خلق الخليفة وبرأها وأعطى كل نفس هداها . (ولم يجعلني جباراً شقياً) أى لست بفظ ولا غليظ ولا يصدر مني قول ولا فعل يناق أمر الله وطاعته • (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أميت حياً) . وهذه الاماكن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليها السلام . ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضعه وشرحه قال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمراً فاتماً بقوله له كن فيكون) كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران (ذلك كله عليك من الآيات والذكر الحكيم • إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون • الحق من ربك فلا تكن من المترين • فن حاجك فيه من بعد ما جادك من الصلح قل تناولوا نساءنا وبناتنا وبناتنا ونساءكم وأغصنا وأغصكم ثم ينهل فنبهل لئنه الله على الكاذبين • إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم • فن تولوا قلن الله عليم بالفسدين) • ولهذا لما قدم وفد نجران وكانوا ستين راكباً يرجع أسرم إلى أربعة عشر منهم ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرفهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن عقبة فجعلوا يناظرون في أمر المسيح فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك وبين أمر المسيح وخلق أمه من قبله وأمر رسوله بأن يباهلهم أن لم يستجيبوا له ويتبعوه فلما رأوا عينيها وأذنيها نكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسألة والمواذعة وقال قائلهم وهو العاقب عبد المسيح بالمعشر النصارى لقد علمتم أن محمداً لنبي مرسل ولقد جادكم بالفضل من خير صاحبكم ولقد علمتم أنه مالا عن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانها للاستئصال منكم أن فلعنتم فان كنتم قد أوتيت الألف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلاً أميناً فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد يتنا ذلك في تضيير آل عمران وسبباً يسط هذه القضية في السيرة النبوية إن شاء الله تعالى وبه الثقة •

والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح قال رسوله (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) يعنى من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ولهذا قال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمراً فاتماً بقوله له كن فيكون) أى لا يجزئ شئ ولا يكثره ولا يؤوده بل هو القدير الفاعل لما يشاء . (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقوله (إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا سراط مستقيم) هو من تمام كلام عيسى لهم في المنهد أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلههم والمهم وأن هذا هو السراط المستقيم . قال الله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

أى فاختلف أهل ذلك الزمان ومن يمدح فيه فن قاتل من اليهود إله ولد زينة واستمروا على كفرهم وعنادهم وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا هو الله وقال آخرون هو ابن الله وقال المؤمنون هو عبد الله ورسوله وابن أمته وكلته ألقاها إلى مريم ، وروح منه هؤلاء هم الناجون المتأبون المؤيدون المنصرون ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون وقد توعدهم على العظيم الحكيم العليم بقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

قال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل أنبأنا أوليد حدثنا الأوزاعي حدثني عمير بن هاني، حدثني جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال (من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) قال الوليد فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير عن جنادة وزاد من أبواب الجنة الباقية أيها شاء . وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن جابر به ومن طريق أخرى عن الأوزاعي به *

باب بيان أن الله تعالى منزله عن الولد تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

قال تعالى في آخر هذه السورة (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا أداً) أى شيئاً عظيماً ومنكراً من القول وزوراً (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال خداً . أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدم عدأ * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) . فينبى أنه تعالى لا ينبغي له الولد لانه خالق كل شيء ، ومالكة وكل شيء فقير اليه ، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والأرض عبيده وهو ربهم لا إله الا هو ولا رب سواه كما قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * يدعي السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء . وهو بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيء . فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) * فينبى أنه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين والله تعالى لا نظير له ولا شبيه له ولا عدل له فلا صاحبة له فلا يكون له ولد كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) تقرر أنه الواحد الذى لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله (الصمد) وهو السيد الذى كل في علمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته (لم يلد) أى لم يوجد منه ولد

(ولم يولد) أي ولم يتولد عن شيء قبله (ولم يكن له كفواً أحد) أي وليس له عدل ولا مكافئ. ولا مساو قطع النظر للمداني الأعلى والمساوي فاتفق أن يكون له ولد إذ لا يكون الولد إلا متولداً بين شيئين متادلين أو متقاربين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً * وقال تبارك وتعالى وتهدس (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته آلهاماً إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً * لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادة ويستكبر فيحشرهم إليه جميعاً * أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فينفيهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً).

ينهي تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والاطراء في الدين وهو مجاوزة الحد فالنصارى لهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد فكان الواجب عليهم أن يستقدوا أنه عبداً لله ورسوله وابن أمته الصديق البتول التي أحصنت فرجها فبث الله الملك جبريل إليها ففتح فيها عن أمر الله فخرقة حملت منها فولدها عيسى عليه السلام وألقى اتصال بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله إضافة تشريف وتكريم وهي مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقال بيت الله وثاقه الله وعبده الله وكذا روح الله أضيفت إليه تشريفاً لها وتكريماً. وسمى عيسى بها لانه كان بها من غير أب وهي للكلمة أيضاً التي عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قل له كن فيكون). وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بدين السموات والأرض وإذا قضى أمراً ما يقول له كن فيكون). وقال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم ينفواهم يضاؤون قول الذين كفروا من قبل قلنا لهم الله أنى يؤفكون). فأنبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله كل من التريتين ادعوا على الله شططاً وزعوا أن له ولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما انتصروه إلا مجرد القول ومثالية من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم وذلك أن الغلافة عليهم لعنة الله زعموا أن القتل الأول صدر عن واجب الوجود الذي يهرون عنه بطل اللول والمبدأ الأول وأنه صدر عن القتل الأول قتل ثلث ونفس وذلك ثم صدر عن الثاني كنتك حتى تناهت القول إلى عشرة والثمنوس إلى تسعة والافلاك إلى تسعة بأعبارات فاسدة ذكروها واختيارات باردة أوردوها وليست بالكلام معهم ويان جهلهم وقلة عقولهم موضع آخر. وهكذا طوائف من مشركي العرب زعموا لجهلهم أن الملائكة بنات الله وأنه صاهر سروات الجن فولد منها الملائكة تعالى الله عما

يقولون ونزعه عما يشركون كما قل تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انما أشهدوا خلقهم
 مستكتبين شهادتهم ويسألون) وقال تعالى (فاستقمهم الربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إنانا
 وهم شاهدون الا لهم من أفكمهم ليقولون ولدا لله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم
 كيف تحكمون أفلا تدكرون أم لكم سلطان مبین . فأتوا بكتابتكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين
 الجنة نسيا ولقد علمت الجنة لهم لحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) . وقال تعالى
 (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم
 وما خلفهم ولا يشعرون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك
 نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) . وقال تعالى في أول سورة الكهف وهي مكية (الحمد لله الذي
 أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قويا لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون
 الصالحات أن لهم أجرا حسنا ما كئین فيه أبدا . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا
 لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) . وقال تعالى (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
 هو التقى له ما في السموات وما في الارض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل
 إن الذين يقولون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم ألبنا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد
 بما كانوا يكفرون) فهذه الايات السكيات السكيمات تشمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسنة
 ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن الله ولدا سبحانه وتعالى عما يقول
 الظالمون المستبدون علوا كبيرا .

ولما كانت النصارى عليهم لسة الله المتتابعة الى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكروا
 في القرآن كثيرا لرد عليهم وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم وقد تنوعت اقوالهم في كفرهم
 وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض « وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب . قال الله
 تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) . فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل
 يختلف ويضطرب . فطائفة من ضلالهم وجهلهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى وطائفة قالوا هو ابن الله
 عز الله وطائفة قالوا هو ثالث ثلاثة جل الله . قال الله تعالى في سورة المائدة (لقد كفر الذين قالوا إن
 الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في
 الارض جميعا والله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) . فخير
 تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه انما خلق القادر على كل شيء المتصرف في كل شيء وأنه رب كل شيء
 ومليكه واليه . وقال في أواخرها (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح
 يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين

من أنصار . قد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد وان لم يشعروا عما يقولون ليعسن
الذين كفروا منهم عذاب اليم . ألا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . مالم يسجدوا لله
رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدقة . كانا يا كلان الطلم انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أفى
يؤفكون (حكى تعالى بكفرهم شرعا وقدراً فأخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول إليهم هو عيسى بن
مريم قد بين لهم أنه عبد مروب مخلوق مصروف في الرحم دافع الى عبادة الله وحده لا شريك له وتوعدهم
على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والخرى في الدار الآخرة والموان والنار ولهذا قل (إله
من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ثم قال (قد كفر الذين
قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد) قال ابن جرير وغيره المراد بذلك قولهم بلاقايم
الثلاثة . أقنوم الابو أقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الاب الى الابن على اختلافهم في ذلك
ما بين الملية واليعقوبية والنسطورية عليهم لعن الله كما سنبين كيفية اختلافهم في ذلك وبما قسمهم الثلاثة
في زمن قسطنطين بن قلس وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البسة المهدية بثلاثمائة سنة ولهذا
قال تعالى (وما من إله الا إله واحد) أى وما من إله الا الله وحده لا شريك له ولا نظير له ولا كفو
له ولا صاحبه له ولا ولد ثم توعدهم وتهديم فقال (وان لم يشعروا عما يقولون ليعسن الذين كفروا منهم
عذاب اليم) ثم حصار برحته ولطفه الى التوبة والاستغفار من هذه الامور الكبار والظالم التي توجب
النار فقال (ألا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم بين حال المسيح وامومه عيسى رسول وأمه
صدقة أى ليست بانجرا كما يقوله اليهود لئسهم الله وفيه دليل على أنها ليست بنبية كما زعم طائفة من ملاتنا
وقوله (كانا يا كلان الطلم) كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهماى ومن كان بهذه المثابة كيف
يكون لما تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوا كبيرا . وقال السدى وغيره المراد بقوله قد كفر الذين قالوا إن
الله ثالث ثلاثة زعمهم في عيسى وأمه أنها الالهان مع الله يعنى كما بين تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر
هذه السورة السكرية (وإذا قال الله يا عيسى بن مريم آئت قلت للناس اتخذونى وأنى المين من دون
الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما قىضى ولا أعلم ما قى
ضك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله دى وربكم وكنت عليهم شهيدا
ما كنت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد . لمن تنصبتهم قتلهم عبادك
وان تنصرت لهم فإني أنت العزيز الحكيم) . يخبر تعالى أنه يسأل عيسى بن مريم يوم القيامة على سبيل
الاکرام له والقرع والتوبيخ لاجديه فن كذب عليه واقتضى وزعم أنه ابن الله أو أنه الله أو أنه شريكه
تعالى الله عما يقولون قيساً وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يباهى به عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له
(آئت قلت للناس اتخذونى وأنى المين من دون الله قل سبحانك) أى فإني لئن يكون منك شريك

(ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي ليس هذا يستحقه أحد سواك (وإن كنت فته قد علمته قلم ما غشى ولا أعلم ما في ضحكك أنت علام النبوء) . وهذا تأدب عظيم في الخطاب والجواب (ما قلت لهم إلا ما أمرني به) حين أرسلني إليهم وأتزلت على الكتاب الذي كان بيدهم ثم ضرب ناقول لهم قوله (أن أعبدوا الله ربهم وديك) أي خالقهم وخالقكم ورازقهم ورازقكم (وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم فلما توفيتني) أي رزقتني اليك حين أوداوا قتل وصلبي فرحتني وخلصتني منهم والقيت شهيبي على أحدم حتى امتصوا منه فلما كن ذلك (كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) . ثم قال على وجه التفضيل إلى الرب عز وجل والتبري من أهل النصرانية (إن تذهبهم قاتهم عبادك) أي وهم يستحقون ذلك (وان تنفر لهم قاتك أنت العزيز الحكيم) . وهذا التفضيل والاعتماد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوع ذلك ولهذا قال (فاتك أنت العزيز الحكيم) ولم يقل تنفروا الرحيم وقد ذكرنا في التفسير ما رواه الامام احمد عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ قال بهذه الآية الكريمة ليلة حتى أصبح (إن تذهبهم قاتهم عبادك وان تنفر لهم قاتك أنت العزيز الحكيم) وقال إلى سالت ربي عز وجل الشفاعة لاتي فأعطينا وهي ثالثة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئا . وقال (وما خلقنا السنة والارض وما بينهما لاعين. لو أردنا أن نتخذ لهم آياتنا من دنا إن كنا فاعلين بل خفف بلحق على الباطل فيدعته فلذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون. وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وقال تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بلحق بذكر الليل على النهار ويذكر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) . وقال تعالى قل إن كان للرحمن ولد فقد أقا أول العابدین سبحانه رب السموات والارض رب العرش عاصيون) وقال تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا بعده تكبيرا) وقال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وميت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال يقول الله تعالى (شتني ابن آدم ولم يكن له ذلك يزعم أن لي ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد) وفي الصحيح أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال لا أحد أصبر على اني سمع من الله يتم بجلون له ولدا وهو يرزقهم ويغنيهم ولكن ثبت في الصحيح أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال ان الله ليل للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه اليه شديد) وهكذا قوله تعالى (وكان من قرية أميت لها وهي ظالمة ثم أخذتها ولى العير) وقال تعالى (نعتهم قليلا ثم ضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون

مناع في الدنيا ثم اليها مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (وقال تعالى) فهل الكافرين مهلكهم رويدا *

في ذكر منشأ عيسى بن مريم عليهما السلام ومر بآله في صغره وصباه وبيان بدء الوحي اليه من الله تعالى

قد تقدم أنه ولد بيت لحم قريبا من بيت المقدس وزعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وان مريم سافرت هي ويوسف بن يعقوب النجار وهي راكية على حمار ليس بينهما وبين الاكثف شيء وهذا لا يصح والحديث الذي تقدم ذكره دليل على أن مولده كان بيت لحم كما ذكرنا ومهما عارضه فباطل وذكر وهب بن منبه أنه لما ولد خرت الاصنام يومئذ في مشارق الارض ومغربها وان الشياطين حازت في سبب ذلك حتى كشف لهم ايليس الكبير أمر عيسى فوجدوه في حجرته واللائكة محدة به وانه ظهر نجم عظيم في السماء وأن ملك الفرس اشفق من ظهوره فقال الكهنة عن ذلك قالوا هذا مولد عظيم في الارض فيمت رسله ومهم ذهب وروبلان هدية الى عيسى فلما قدموا الشام سلمهم ملكها عما تقدمهم فذكروا له ذلك فقال من ذلك الوقت فاذا قد ولد قه عيسى بن مريم بيت المقدس واشتهر أمره بسبب كلامه في المهد فارسلهم اليه بما معهم وأرسل منهم من يعرفه فليتوصل اليه قتله اذا اقمروا عنه فلما وصلوا الى مريم بالمهدايا ورجعوا قبل لها ان رسل ملك الشام اتوا ليقولوا ولك فاحتملت فذهبت به الى مصر فاقامت به حتى بلغ عمره اثنتي عشرة سنة وظهرت عليه كرامات ومعجزات في حال صغره فذكر منها أن الدهقان الذي تزول اعنقه افتقد مالا من داره وكانت داره لا يسكنها الا الفقراء والضعفاء والمهاجيج فلم يدر من أخذ وعز ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعيام أسرهما فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عد الى رجل اعمى وآخر مقعد من جهة من هو مقطوع اليه فقال للاعي إحمل هذا القعد واتهض به فقال إني لأستطيع ذلك فقال لي كما فلت أنت وهو حين أخذ تما هذا المال من تلك السكوة من الدار فلما قال ذلك صدقهما قائل وأتيا بلال فطمع عيسى في أعين الناس وهو صغير جدا

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة لثلاث بيوت طهور أو لاداة فلما اجتمع الناس وأطعمهم ثم أراد أن يقيم شرابا يعني خمرًا كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان لم يجد في جواره شيئا فنقذ ذلك عليه فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ويمر يده على أنوفها فلا يضل بجرة منها ذلك إلا ابتلات شرابا من خيار الشراب فصبغ الناس من ذلك جدا وعظموه وعرضوا عليه

وعلى أمه مالا جزيلاً فلم يجيله وارثاً قاصدين يت المقدس والله أعلم •

وقال اسحاق بن بشر أنبأنا عثمان بن ساج وغيره عن موسى بن وردان عن أبي فضرة عن أبي سعيد وعن مكحول عن أبي هريرة قال إن عيسى بن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام القبيح تكلم به وهو طفل فجد الله تمجيداً لم تسمع الأذان بمثله لم يدع شتماً ولا قرا ولا جيلاً ولا شهراً ولا عينا إلا ذكره في تمجيدهِ فقال (اللهم أنت القريب في علوك المتعال في دنوك الرفيع على كل شيء من خلقك . أنت الذي خلقت سبباً في الهواء بكلماتك مستويات طباقاً اجبين وهن دخان من فرقك قاتين طائفات لا شريك فيهن ملائكتك يسبحون قدسك لتقديسك وجعلت فيهن نوراً على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالهار وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد فيضرتك يجلو ضوء ظلمتك وجعلت فيهن مصابيح تهدي بهن في الظلمات الخيران فباركك اللهم في مفعول سمواتك وفيها دحوت من أرضك دحوتها على الماء فسمكتها على تيار الموج الغامر فلذقتها اذلال الظاهر فذل لطاعتك صعباً واستحي لا شريك أمرها وخضعت لمرتك أمواجاً فقبرت فيها بعد البحور الانهار ومن بعد الانهار الجداول الصغار ومن بعد الجداول ينابيع السيون النزار . ثم أخرجت منها الانهار والاشجار والغار ثم جعلت على ظهرها الجبال فوثقتها أولاداً على ظهر الماء فطاعت أطواحها وجمودها فباركك اللهم فمن يبلغ بنته فنتك آمن يبلغ بصفته فنتك تشتر السحاب وتكسر الرقاب وتحمي الحق وأنت خير القاصمين لإله إلا أنت سبحانك أشرت أن تستفرك من كل ذنب لا إله إلا أنت سبحانك سرت السموات عن الناس لا إله إلا أنت سبحانك إنما يشاك من عبادك إلا كائس تشهد أنك لست بالله استحدثك ولا وب يبيد ذكره ولا كان معك شريك فندعهم ونذكرك ولا أحاطك على خلقنا أحد فتشك فيك تشهد أنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفواً أحد) .

وقال اسحاق بن بشر عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس إن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد أن تكلم طفاً حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم انطقه الله بعد ذلك بالحكمة والبيان فأكثر اليهود فيه وفي أمه من القول وكانوا يسمونه ابن البنية وذلك قوله تعالى (ويكفرهم وقولهم على مريم جنتنا عظيماً) قال فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب فجعل لا يملكه الملم شيئا إلا يردّه إليه فملكه أباجاد قال عيسى ما أبوجاد قال الملم لأدري قال عيسى كيف تملني ملا تدري قال الملم إذا ضلقت قاله عيسى قم من مجلسك قام فجلس عيسى مجلسه قال سألني قال الملم ما أبوجاد قال عيسى (آلاف آلا . الله . والباء بهاء الله والجيم بهجة الله وجماله) فحبب الملم من ذلك فكان أول من فسر أباجاد . ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فاجابه على كل كلمة بمحدث طويل موضوع

لا يسأل ولا يتأذى (١) وهكذا روى بن عدى من حديث اسماعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن
أبي مليكة عن حدثه عن ابن مسعود وعن مسدد بن كدام عن عطية عن أبي سعيد رفع الحديث في
دخول عيسى الى الكتاب وقلبه الملم معنى حروف أبي جاد وهو مطول لا يفرضه * ثم قال ابن
عدى وهذا الحديث باطل بهذا الاستناد لا يرويه غير اسمعيل وروى ابن لمية عن عبد الله بن هبيرة قتل
كلن عبد الله بن عمر يقول (كلن عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لاحدم
تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك فيقول نعم فيقول خبأت لك كذا وكذا فيذهب الغلام منهم الى أمه
فيقول لها أطعيني ما خبأت لي فتقول ولئى شئ خبأت لك فيقول كذا وكذا فتقول له من أخبرك فيقول
عيسى بن مريم فقالوا والله لئن تركهم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدهم فنجسهم فى بيت وأغلقوا
عليهم فخرج عيسى يشتمهم فلم يجدهم فسمع ضوضاءم فى بيت فسأل عنهم فقالوا إنما هؤلاء قرود وخنازير
قال اللهم كذلك فكانوا كذلك رواه ابن عسار.

وقد اسحق بن بشر بن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال وكان عيسى يرى العجائب
فى صباه الملهما من الله فتنا ذلك فى اليهود وترعى عيسى فهمت به بنو اسرائيل فخافت أمه عليه فأتته
الله الى أمه أن تنطلق به الى أرض مصر فذلك قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما إلى ربوة
ذات قرار ومعين) *

وقد اختلف السلف والمفسرون فى المراد بهذه الرواية التى ذكر الله من مصتها أنها ذات قرار ومعين
وهذه صفة غريبة الشكل وهى أنها ربوة وهو المكان المرتفع من الأرض التى أعلاه مستوى يقر عليه
وارتفاعه متع ومع علوه فيه عيون السماء مبهين وهو الجبل الذى السارح على وجه الأرض قبيل المراد
المكان التى ولدت فيه المسيح وهو نقطة بيت المقدس ولهذا (ناداها من تحتها الأنتمزى قد جعل ربك
تحتك سريا) وهو النهر الصغير فى قول جمهور السلف * وعن ابن عباس يستلاد جيد أنها أنهار دمشق
فعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق * وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن
تلقاه عنهم والله أعلم . وقيل هى الرملة . وقد اسحق بن بشر قال لنا اندريس عن جده وهب بن منبه
قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أسراه الله أن يرجع من بلاد مصر الى بيت ايليا قال قدم عليه
يوسف بن خال أمه فحملها على حمار حتى جاء بهما إلى ايليا وأقام بها حتى أحطت الله له الانجيل وعلمه
التوراة وأعطاه احياء الموتى وإبراء الأستقام والعلم بالفتيوب مما يدخرون فى يومهم وتحدث للناس بقدمه
وفزعوا لما كان يأتى من العجائب فجلوا يسحبون منه فدعاهم الى الله فتنا فهم أسره .

(١) قوله يتأذى كذا بالنسخة الخليلية وفى النسخة المصرية (ولا يتأذى)

بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها

قال أبو زرعة الدمشقي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن حنيفة قال (أنزلت التوراة على موسى في ست ليل خلون من شهر رمضان * ونزل الزبور على داود في اثنتي عشر ليلة خلت من شهر رمضان . وذلك بعد التوراة بأربع مائة سنة واثنين وعشرين سنة . وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم في ثمانية عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عاماً وأنزل الفرقان على محمد ﷺ في أربع وعشرين من شهر رمضان وقد ذكرنا في التفسير عند قوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الأحاديث الواردة في ذلك وفيها أن الإنجيل أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام في ثمانية عشرة ليلة خلت من شهر رمضان * .

وذكر بن جرير في تأريجه أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رجع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما سيأتي بانه إن شاء الله تعالى . وقال اسحاق بن بشر وأبناؤا سعيد بن أبي عروبة عن ثعلبة ومقاتل عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم (يا عيسى جئني في أمري ولا تخن وبسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول أنك من غير غل وأنا خلقتك آية للعالمين إياي فأعبد وعلى هو كل خذ الكتاب بقوة فسر لاهل السراية بلغ من بين يديك إلى انا الحق إلى انقام الذي لا نزول صدقوا النبي الامي العربي صاحب الجبل والتاج (وهي العلامة) والمدبرة والنملين والمرارة (وهي القضب) الإنجيل البين الصلت الجبين الواضح الخلدن الجمد الرأسن الكث الحية المقرون الحاجبين الاتقي الأنف المفلج الثنايا البادى الصنعة التي كان عنه ابريق فضة وكان الذهب يجري في تراقيه له شمرات من لبته إلى سرة تبحرى كلقضب ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره شئ الكف واتقدم إذا التفت التفت جيناً وإذا مشى كأنما يقطع من صخر وينحدر من صنب مركة في وجهه كالؤلؤ وريح المسك تنفخ منه ولم ير قبله ولا بعده مثله ، الحسن القائمة الطيب الريح نكاح النساء ذا النذل القليل إنما فله من مباركة لما يت يمنى في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صنب تكفه يعيسى في آخر الزمن كما كفل ذكر يا أمك له منها فرخان مستشهدان وله عندى منزلة ليست لأحد من البشر . كلامه القرآن ودينه الاسلام وانا السلام طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه * .

بيان شجرة طوبى ماهي

قال عيسى يارب وما طوبى قال (غرس شجرة أنا غرسها يدي فعي الجنة كلها أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها برد الكافور ووطنها طعم الزمجيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم

يظناً بسدها أبداً) قال عيسى يارب اسقني منها قال (حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب
ذلك النبي وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى يشرب منها أمة ذلك النبي) قال يا عيسى ارضك
إلى قال رب ولم ترضني قال (أرضك ثم أهيئك في آخر الزمان لتري من أمة ذلك النبي المجائب
ولتبينهم على قتال الذين الدجال أهيئك في وقت صلاة ثم لا تقصلي بهم لأنها مرحونة ولا بني بسد
نبيهم) وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه أن عيسى قال يارب انشني
عن هذه الأمة المرحومة قال أمة أحمد هم علماء حكماء كأنهم أنبياء يرضون من القليل من المطاء وأرضي
منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله . يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تزل السن قوم
قط بلا إله إلا الله كاذلت الستمهم ولم تزل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم) رواه ابن عساكر
ودروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن بديل الثقلي عن عبد الله بن عوسجة قال أوحى الله إلى عيسى
ابن مريم (أنزلي من غمك كهك واجلني ذخراً لك في معادك وهرب إلى بالنوافل أحبك ولا تول
غيري فأخذك اصبر على البلاء وأرض بالقضاء وكن لسرق فيك فان مسرقاً أن اطاع فلا أصعب وكن
منى قريباً وأحى ذكرى بلانك ولكن مودني في صدرك يقط من ساعات الفضلة وأحكم في لطيف
اللفظة وكن لي راعياً راعياً وأمت قلبك في الخشية لي وراع الليل لحق مسرق وانظم نهارك ليوم
الزى عندي نفس في الخيرات جهك واعترف بالخير حيث توجهت وقم في الخلالق بتصيحتي واحكم
في عبادي ببدلي قد أنزلت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان وجلاء الابصار من غشاء
الكلال ولا تكن حلساً كأنك مقبوض وأنت حي تنفس • يا عيسى بن مريم ما آمنت بي خليفة إلا
خشت ولا خشت لي إلا رجيت ثوابي فشهدك أنها أمة من عبادي ما لم تقصير أو تبدل سنتي • يا عيسى
ابن مريم البكر البتول ابك على غمك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وطلا الدنيا وترك اللذات لاهلها
وارقت رغبته فيها عند إلهه وكن في ذلك تليق الكلام وقضى السلام وكن يظان إذا نمت عيون
الابرار حذار ما هو ات من أمر الماء وزلازل شدايد الاحوال قبل أن لا ينفع أهل ولا مال واكمل
عينك بحلول الحزن إذا غمك البطالون وكن في ذلك صابراً محتسباً وطوي لك ان تلك ما وعدت الصابرين .
رج من الدنيا بالله يوم يوم وفق مذاقته ما قد حرب منك أين طسه ومالم يأفك كيف لذته فرح من
الدينا بليلة وليكنفك منها الخشن الجليب قد رأيت الى ما يضير اعمل على جلب فانك منزل لورأت
عينك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك •

وقال أبو داود في كتاب القدر حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر
عن الزهري عن ابن طاووس عن أبيه قال لقي عيسى بن مريم ابليس قال أما علمت أنه لن يصيبك
إلا ما كتب لك قال ابليس فارق بذروة هذا الجبل فتدري منه فاقطر هل قميش أم لا قال ابن طاووس

عن أبيه . قال عيسى أما علمت أن الله قال (لا يجربني عبدي فاني أفضل ماشئت) وقال الزهري إن
المبدل يبتلى به ولكن الله يتلى عبده . قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله أناسيان عن عمرو بن
طاروس قال أتى الشيطان عيسى بن مريم قال أليس تزعم أنك صادق فأتى حرة غسك قال وغسك
أليس قال يا ابن آدم لا تأتني هلاك غسك فأتى أفضل ما أشاء * وحدثنا أبو نوبة الريح بن نفع حدثنا
حسين بن طلحة سمعت خالد بن يزيد قال قعد الشيطان مع عيسى عشرين أومسنتين أقام يوماً على شفير
جبل فقال الشيطان أرايت أن ألقيت فضي حل يه يفي إلا ما كتب لي قال أتى لست بلقى ابتلى ربى
ولكن ربى إذا شاء اجتازى وعرفه أنه الشيطان ففارقته . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا شريح بن
يونس حدثنا علي بن ثابت عن الخطاب بن القاسم عن أبي عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصل على
رأس جبل قائم الجبل فقال أنت الذى تزعم أن كل شيء بقضاءه وقد قال نعم قال أتى غسك من هذا
الجبل وقل قدر على فقال يا لعين الله يختبر البعاد وليس البعاد يختبرون الله عز وجل . وقال أبو بكر بن
أبي الدنيا حدثنا الفضل بن موسى البصرى حدثنا إبراهيم بن بشار سمعت سفیان بن عينة يقول لقي
عيسى بن مريم الجبل فقال له الجبل يا عيسى بن مريم الذى بلغ من عظم ربوبتك أنك تكلمت فى
المهد صيماً . ولم يتكلم فيه أحد قبلك قال بل الربوبية لله الذى انطقى ثم يميت ثم يحيى ثم يميت ثم يحيى
الذى بلغ من عظم ربوبتك أنك نعى الموتى قال بل الربوبية لله الذى يحيى ويميت من أحببت ثم
يحييه قال والله إنك لآله فى السماء والآه فى الأرض قال فضك جبريل صكة بمحتاجه فما بناها دون
قرون الشمس ثم صكة أخرى بمحتاجه فما بناها دون المين الحامية ثم صكة أخرى فدخله بحار السابعة
فأساخه وفى رواية فأسلكه فيها حتى وجد طعم الحياة فخرج منها وهو يقول ما لى أحد من أحد ملائكت
منك يا ابن مريم * وقد روى نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر قال الحافظ أبو بكر الخطيب أخبرنى
أبو الحسن بن رزقويه أن أبا بكر أحمد بن سبدي حدثنا أبو محمد الحسن بن علي القطان حدثنا اسماعيل
ابن عيسى الطلائى أن أبا علي بن حاتم حدثنى أبو سلمة سويد عن بعض أصحابه قال صلى عيسى بيت
القدس فانصرف فلما كان يحض القبة عرض له الجبل فاحبسه فجعل يمرض عليه ويمكله ويقول له
إني لا ينبغي لك أن تكون عبداً فأكثر عليه وجعل عيسى يمرض على أن يتخلص منه فجعل لا يتخلص
منه فقال له فيما يقول لا ينبغي لك يا عيسى أن تكون عبداً قال فاستغاث عيسى بربه فاقبل جبريل وميكائيل
فلما رأهما الجبل كف فلما استمر معه على القبة أكتنفا عيسى وضرب جبريل الجبل بجمحة فذهفق
بطن الوادى قال فساد الجبل معه وعلم أهلها لم يبق إلا عيسى فبشر ذلك فقال ليسى قد أخبرتك إني لا ينبغي أن
تكون عبداً إن غضبك ليس بغضب عبد وقد رأيت ملائكتك حين غضبت ولكن ادعوك لأمر هو
لك أمر الشياطين فليطعموك فإذا رأى البشر أن الشياطين اطاعوك عبدوك لما أتى لا أقول أن تكون

إلها ليس معه إله ولكن الله يكون إلها في السماء وتكون أنت إلها في الأرض فلما سمع عيسى ذلك منه استنكف بره وصرخ صرخة شديدة فلذا اسرافيل قد هبط فنظر إليه جبريل وميكائيل فكف إليس فلما استقر معهم ضرب اسرافيل إليس بجناحه فصف به عين الشمس ثم ضربه ضربة أخرى فقبل إليس يهوى ومر عيسى وهو يمكته قال يا عيسى لقد قتيت فيك اليوم قتيماً شديداً فرمى به في عين الشمس فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية قال فظفوه فجعل كل واحد صرخ غظه في تلك الحامة قال والله ما عاد إليه بعد . قال وحدثنا اسحاق بن بطريركنا أبو حذيفة قال واجتمع إليه شياطينه فقالوا سيدنا قد قتيت قتيماً قال إن هذا عبد مصوم ليس لي عليه من سيول وسأصل به بشراً كثيراً وأبث فيهم أهواء مختلفة واجعلهم شيعاً ويمضونه وأمه الهين من دون الله قال وأنزل الله فينا أيده عيسى وعصمه من إليس قرآناً نلحقاً يذكر فتمته على عيسى فقال (يا عيسى بن مريم اذ كر فمض على وعلى والدتك اذ أيدتك روح القدس) يعني اذ قويتك روح القدس يعني جبريل (تكلم الناس في المهد وكلما واذا علمت الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل واذا خلق من الطين كهيئة الطير) الآية كلها واذا جعلت المساكين لك بطانة وصحابة وأهواناً ترضى بهم وصحابة وأهواناً يرضون بك هادياً وقائداً إلى الجنة فذلك فاعلم خلقان عظيمان قتيباً بهما قد قتيباً إلى كى انخللق وارضاها عندي وسيقول لك بنو اسرائيل صننا فلم يتقبل صيانتنا وصلينا فلم يقبل صلاتنا وقصدنا فلم يقبل صدقاتنا وبكينا يمثل حينئذ الجبال فلم يرحم بكأوتنا قتل لهم ولم ذلك وما ألقى بمنى إن ذات يدي قلت أوليس خزائن السموات والأرض يدي أغنى منها كيف أشامون البخل لا يمتريق أولست أجود من سأل ولوسع من أعطى أو أزيد حتى ضاقت وأتانا يقرأهم المتراحمون بفضل رحمتي ولولا أن هؤلاء القوم يا عيسى بن مريم عدوا أنفسهم للحكمة التي تورث في قلوبهم ما استأثروا به الدنيا أثره على الآخرة لمرغوا من أين أوتوا وإذا لا يقتنوا أن أنفسهم هي أعدى الأعداء لهم وكيف أقبل صيامهم وهم يتقنون عليه بالأطعمة الحرام وكيف أقبل صلاتهم وقلوبهم تركن إلى الدين يجارون ويستحلون محارمي وكيف أقبل صدقاتهم وهم ينصبون الناس عليها فيأخذونها من غير حلها يا عيسى إنما أجرى عليها أهلها وكيف أرحم بكاهم وأبغضهم قطر من دماء الأنبياء ازدادت عليهم غضبا يا عيسى وقضيت يوم خلت السموات والأرض أنه من عبدني وقال فيكما بقولي أن أجعلهم جبراً لك في الدار ودعائك في المنازل وشر كلتك في الكرام وقضيت يوم خلت السموات والأرض أنه من أتىك وأملك الهين من دون الله أن أجعلهم في البرك الأسفل من النار وقضيت يوم خلت السموات والأرض أني منيت هذا الأمر على يدي عبدي محمد وأختم به الأنبياء والرسل ومولده بمكة ومهاجرة بطيبة وملكه بالثمام ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يزد بالتش ولا قوال بلقنا أسدده لكل أمر جميل وأحب له كل خلق كريم واجل التقوى ضيره والحكم سقوه والوفاء طبعته والمعدل سيرته والحق شريعته والاسلام ملكه اسمه أحد أهدى به بعد

الضلالة وأعلم به بد الجلالة وافق به يد المائدة وأرض به بد الضيقة أهدى به واقع به بين آذان صم وقلوب غلف وأهواء مختلفة متفرقة أجل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اخلاصاً لاسمى وتصديقاً لما جاءت به الرسل المهمم التسبيح والتعظيم والتهليل في مساجدكم وبحالهم وبيوتهم ومقابرهم ومثامهم يصلون لي قياماً وتموداً وركعاً وسجوداً ويقفون في سبيل صفوفاً وزخوفاً قرباتهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم وقرباتهم في بطونهم رهبان بلبل ليوث في النهار ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم .

وسند ذكر ما يصدق كثيراً من هذا السياق ما سنورده من سورتي المائدة والصف إن شاء الله وه
الثقة • وقد روى أبو حنيفة اسحق بن بشر بإسناده عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وابن عباس وسلمان الفارسي دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جعل المناقون والكافرون من بني اسرائيل يعجبون منه ويستهزؤن به فيقولون ما أكل فلان الباردة وما ادخر في منزله فيخبرهم فيزداد المؤمنون ايماناً والكافرون والمناقون شكاً وكفراناً وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل بأوى اليه انما يسبح في الارض ليس له قرار ولا موضع يعرف به فكان أول ما أحيا من الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهي تبكي فقال لها مالك أيها المرأة قالت ماتت ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها واني عاهدت ربي أن لا أبرح من موضعي هذا حتى أدفون ماذاقت من الموت أو يحياها الله لي فانظر اليها فقال لها عيسى أرأيت إن نظرت اليها أراجة أنت قالت نعم قالوا فصلي ركعتين ثم جاء مجلس عند القبر فنادى يا فلانة قومي باذن الرحمن فاخرجي قال فحرك القبر ثم نادى الثانية فانصدع القبر باذن الله ثم نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض رأسها من التراب فقال لها عيسى ما جأ بك عني فقالت لما جاءني الصيحة الاولى بعث الله لي ملكاً فركب خلقي ثم جاءني الصيحة الثانية فرجم الى روحي ثم جاءني الصيحة الثالثة فحقت أنها صيحة القيامة فشاب رأسي وحاجباي واشغار عيني من غممة القية ثم أقبلت على أمها فقالت يا أماه ما حلك على إن أدفون كرب الموت مرتين يا أماه أصبري واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا يلروح الله وكلته سل ربي أن يردي الى الآخرة وان يهون على كرب الموت فدعا ربه قبضها اليه واستوت عليها الارض فبلغ ذلك اليهود فزدادوا عليه غضبا

وقد منا في عقيب قصة نوح أن بني اسرائيل سألوه أن يحيي لهم سام بن نوح فدعا الله عز وجل وصلى الله فأحياء الله لهم خشعهم عن السفينة وأمرها ثم دعا فنادى ترابا . وقد روى السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس في خبر ذكره وفيه أن ملكاً من ملوك بني اسرائيل مات وحمل على سريره فجاء عيسى عليه السلام فدعا الله عز وجل فأحياء الله عز وجل فرأى الناس أسراً هائلاً ومنظراً عجيباً قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (إذ قال الله لعيسى بن مريم اذكري معي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك

روح القدس تكلم النّس في المهد وكلا واذا علمتكم الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتفتح فيها فتكون طيراً باذني وتبرئ الا كه والابرص باذني واذا تخرج الموتى باذني واذا كففت بني اسرائيل عنك اذ جثتهم باليناث قال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذا اوحيت الى الحوارين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) يذكره تعالى بنعمته عليه واحسانه اليه في خلقه اليه من غير أب بل من أم بلا ذكر وجعله آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ثم ارسله بعد هذا كله (وعلى والدتك) في اصطفاها واختيارها لهذه النعمة العظيمة واقامة البرهان على برائتها بما نسبها اليه الجاهلون ولهذا قال (اذ ايدتك روح القدس) وهو جبريل بقاء روحه الى أمه وقرنه معه في حال رسالته ومدافعتة لمن كفر به (تكلم الناس في المهد وكلا) أي يدعو الناس الى الله في حال صغركم في مهدكم وفي كحولتكم (واذا علمتكم الكتاب والحكمة) أي انشط والنفهم نص عليه بعض السلف (والتوراة والانجيل) وقوله (واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني) أي تصوره وتشكله من الطين على هيئة عن أمر الله بذلك (فتفتح فيه فتكون طيراً باذني) أي يأمرني يؤكّد تعالى بذكر الاذن له في ذلك لرفع التورم وقوله (وتبرئ الا كه) قل بعض السلف وهو الذي يولد أعمى ولا سبيل لاحد من الحسكة الى مداواته (والابرص) هو الذي لا طب فيه بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالا (واذا تخرج الموتى) أي من قبورهم أحياء باذني وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع ذلك مرارا متتدا ١٥ فيه كثافة . وقوله (واذا كففت بني اسرائيل عنك اذ جثتهم باليناث قال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) وذلك حين أرادوا اصله فرفه الله اليه واحذره من بين أظهرهم صيانة لجنابه الكريم عن الاذى وسلامة له من الردى وقوله (واذا اوحيت الى الحوارين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) قبل المراد بهذا الوحي وحى الهام أي أرشدكم الله اليه ودلّم عليه كما قال (وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى أن أرضيه فلذا خفت عليه فآتني في اليم) وقيل المراد وحى بواسطة الرسول وتوفيق في قلوبهم لقبول الحق ولهذا استجابوا قائلين (آمنا واشهد بأننا مسلمون)

وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم أن جعل له أنصارا واعوانا ينصرونه ويدعون منه الى عبادة الله وحده لاشريك له كما قال تعالى لبيد محمد ﷺ (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو أنقمت ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم إنه عزيز حكيم) وقال تعالى (وعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل أي قد جعلكم آية من ربكم أي أن خلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابريء الا كه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانفسكم بما تآكلون ومتدخرون في يومكم ان في

ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بمض الذي حرم عليكم وجبتكم بآية من ربكم فآخروا الله وأطيعوا الله وإن الله رفي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد باننا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتسبنا مع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزة مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكى فبث بآيت هجرت الابصار وخضعت لها الرقاب ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي اليه وعانوا ما عانوا من الامر الباهر المائل الذي لا يمكن صدوره الا من أيده الله وأجرى انطالق على يديه تصديقا له أسلخوا سراعا ولم يتلشخوا وهكذا عيسى ابن مريم بث في زمن الطائفة الحكيمة فزل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون اليها وإنى لحكيم إبراء الالهة التي هو أسوأ حالا من الاعى والابرص والمجنون ومن به مرض مزمن وكيف يتوصل أحد من انطلق الى ان يقيم الميت من قبره هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله وهكذا محمد ﷺ وعليهم أجمعين بث في زمن الفسحاء البلاء قتل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلفظه معجز تحدى به الانس والجن أن يأتوا بمثله أو بمثل سور من مثله أو بسورة وقطع عليهم بأنهم لا يقدرولن لا في الحال ولا في الاستقبال فان لم يضلوا ولن يضلوا وما ذلك الا لانه كلام انطالق عز وجل والله تعالى لا يشبهه شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

والمقصود ان عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمرأ كثيرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطيناتهم فانتدب له من بينهم طائفة صالحة فشكلوا له انصارا واعوانا قاموا بمتابعتهم وفصرته ومناصحته وذلك حين هم به بنو اسرائيل ووشوا به الى بعض ملوك ذلك الزمان فزموا على قتله وصلبه فآخذ الله منهم ورفضه اليه من بين أظهرهم والقي شبهه على أحد أصحابه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى وهم في ذلك غالطون ولحق مكابرون وسلم لهم كثير من النصارى مالدعوه وكلا الفريقين في ذلك غلطون قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وقال تعالى (وإذا قل عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جادهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن أنظم عن افترى على الله الكذب هو يدعى للاسلام والله لا يهدي التوالم الظالمين يريدون ليطغوا نورا لله بفواهم والله منهم نوره ولو كره الكافرون) الى أن قال بذلك (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكثرت طائفة فابدا الذين آمنوا على عدوم

فاصبحوا ظاهرين) . فبقي عليه السلام هو خاتم الانبياء بنى اسرائيل وقد قام فيهم خطيباً فيشرم بنجام
 الانبياء الآتى بعده ونوه باسمه وذكر لهم صفته ليرفوه ويتابعوه اذا شاهدوه اقامة للحجة عليهم واحساناً
 من الله اليهم كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدهونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل
 ياأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال
 التى كانت عليهم فلذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون)

قال محمد بن اسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ
 انهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قل دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى حين حملت
 فى كاهل خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام . وقد روى عن الرضا بن سارية وأبى
 امامة عن النبي ﷺ نحو هذا وفيه دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى وذلك ان ابراهيم لما بنى الكعبة قال
 (ربنا وابث فيهم رسولا منهم الآية) ولما انتهت النبوة فى بنى اسرائيل الى عيسى قام فيهم خطيباً فاخبرهم
 أن النبوة قد اقبلت عليهم وانها بسببه فى النبي الربى الامى خاتم الانبياء على الاطلاق احد وهو محمد
 ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الاقنى هو من سلالة اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهم السلام قال الله
 تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) يحتمل عود الضمير الى عيسى عليه السلام ويحتمل
 عوده الى محمد ﷺ ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على نصرة الاسلام واحله ونصرة بيته ومؤازرته
 ومعاوضته على اقامة الدين ونشر الدعوة فقال (ياأيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم
 للحواريين من أنصارى الى الله أى من مساعدنى فى الدعوة الى الله) قال الحواريون نحن انصار الله وكان
 ذلك فى قرية يقال لها الناصرة فسو بذلك النصارى قل الله تعالى (فانت طائفة من بنى اسرائيل
 وكفرت طائفة) يعنى لما دعا عيسى بنى اسرائيل وغيرهم الى الله تعالى منهم من آمن ومنهم من كفر
 وكان ممن آمن به أهل اعطاكى بكلمهم فيها ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير بث
 اليهم رسلاً ثلاثة أحدهم شمعون الصفا قاموا واستجابوا وليس هؤلاء هم المذكورون فى سورة يس لما
 تقدم تقرر فى قصة أصحاب القرية وكفراآخرون من بنى اسرائيل وهم جمهور اليهود فايد الله من آمن به
 على من كفر فيها بسبب واصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى (اذ قال الله لعيسى ائبى متوفيك
 وراضك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة الآية)
 فكل من كان اليه أقرب كان عالياً فى دونه ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذى لا شك فيه من
 أنه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين علوا فيه وامروه واتزوه فوق ما اتزله الله به
 ولما كان النصارى أقرب فى الجملة عما ذهب اليه اليهود عليهم لئان الله كان النصارى قاهرين اليهود فى أزمان
 الفترة الى زمن الاسلام واحله .

ذكر خبر المائدة

قال الله تعالى (اذ قل الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قلوا تريد أن نأكل منها وتطعمن قلوبنا وفلم أن قد صدقنا ونكون عليها من الشاهدين قل عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين . قل الله اتي منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين) قد ذكرنا في التفسير الاثر الواردة في نزول المائدة عن ابن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم من السلف ومضمون ذلك أن عيسى عليه السلام امر الحواريين بصيام ثلاثين يوماً فلما أتوها سألوهم من عيسى انزال مائدة من السماء عليهم لئلا كانوا منها وتطعمن بذلك قلوبهم ان الله قد تميل صياهم واجابهم الى طلبهم وتكون لهم عيداً يفترون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لا ولهم واخرهم لنعيمهم وقدرهم فوعظهم عيسى في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فنابوا عليه لأن يأل لهم ذلك من ربه عزوجل فلما لم يفتروا عن ذلك قام الى الصلاة وليس مسحا من شعر وصف بين قدميه وأطرق راسه وأسبل عينيه بلكا . وتضرع الى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا الى ما طلبوا فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون اليها تنحدر بين غمامتين وجعلت تدنو قليلا قليلا وكادت سأل عيسى ربه عزوجل أن يجعلها رحمة لا همة وان يجعلها بركة وسلامة فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مقعاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول (بسم الله خير الرازقين) فذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة . ويقال وخل . ويقال ورماد وثمار ولها رائحة عظيمة جدا قال الله لها كوني فكانت ثم أمرهم بالاكل منها فقالوا لا تأكل حتى تأكل فقال إنكم الذين ابتدأتم السؤال لما فابوا أن يأكلوا منها ابتداء فامر الفقراء والمهاجرين والمرضى والزمنى وكانوا قريبا من الف وثلاثة فأكروا منها فبدأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض زمن فقدم الناس على ترك الاكل منها لما رأوا من اصلاح حال أولئك . ثم قيل لهما كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل لهما كان يأكل منها نحو سبعة آلاف . ثم كانت تنزل يوما بديوم كما كانت تله صائح يشربون لبنها يوما بديوم . ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المهاجرين دون الاغنياء فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم مناصروهم في ذلك فرفضت بالكيفية ومسح الذين تسكلموا في ذلك خنازير .

وقد روى ابن ابي حاتم وابن جرير جميعا حديثا الحسن بن قزعة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سيد بن أبي عروة عن قتادة عن خلص عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا أن لا ينجسوا ولا يدخروا ولا يرفضوا لئلا يفسدوا وادخروا ورفضوا ففسدوا فرددوا

وخناظر ثم رواه ابن جرير عن يندار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن خلاص عن عمار موقوفا وهذا أصح وكذا رواه من طريق سمك عن رجل من بني عجل عن عمار موقوفا وهو الصواب والله أعلم . وخلاص عن عمار متقطع فلو صح هذا الحديث مرفوعا لكان فيضلا في هذه القصة فإن العلماء اختلفوا في المائدة هل نزلت أم لا فالجمهور أنها نزلت كما قلت عليه هذه الآثار كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ولا سابقا لوقوله (إني منزلها عليكم) كما قرره ابن جرير والله أعلم . وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح إلى مجاهد وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري أنها قلنا لا تنزل وأنهم أبو أنزولها حين قال (فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) . ولهذا قيل إن النصارى لا يعرفون خير المائدة وليس مذكورا في كتابهم مع أن خيرها مما يتوفر الدواعي على قتله والله أعلم . وقد قصصنا الكلام على ذلك في التفسير فليكتب من هناك * ومن أراد مراجعته فليظفره من ثم رقه الحد والمئة

فصل

قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا رجل سقط اسمه حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو هلال محمد بن سليمان عن بكر بن عبد الله المزني قال قد الحواريون نبيهم عيسى قتل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هر يمشي على الماء يرضه الموج مرة ويضمه أخرى وعليه كاه مرتد بنصفه ومزترد بنصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم قل أبو هلال ظنت أنه من أفاضلهم ألا أجيبك اليك يا بني الله قال بل قال فوضع إحدى رجله على الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال أوه غرقت يا بني الله فقال أرى يدك يا قصير الأيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شجرة مشى على الماء . ورواه أبو سعيد ابن الأعرابي عن إبراهيم بن أبي الجهم عن سليمان بن حرب عن أبي هلال عن بكر بنحوه . ثم قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان حدثنا إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم يا عيسى بأي شيء تمشي على الماء قل بالآيمان واليقين . قالوا فآما كما آمنت وأقنا كما آمنت قال فمشوا إذا قال فشوا معه في الموج ففرقوا فقال لهم عيسى ما لكم فقالوا خنا الموج قال ألا ختم رب الموج قال فأخرجهم ثم ضرب يده إلى الأرض قبض بها ثم بسطها فلذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر أو حصي قال أيها أعلى في قلوبكم قالوا هذا الذهب قال فأتبعنا عندي سواء وقدمنا في قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الثمر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوي إلى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدخر شيئا لند . قل بعضهم كان يأكل من غزل أمه صلوات الله وسلامه عليه .

وروى ابن عساکر عن الشعبي أنه قال كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنه الساعة صاح ويقول لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنه الساعة ويمكث وعن عبد الملك ابن سعيد بن بحر أن عيسى كان

إذا سمع الموعظة صرخ صراخ الشكلى . وقال عبد الرزاق أنا ما مر حدثنا جعفر بن بقان أن عيسى كان يقول (اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك قطع ما أرجو وأصبح الأمر يد غيرى وأصبحت مرتبها بسلى فلا قدير أقهر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تشؤبى صديقى ولا تحيل مصيبتى فى ديقى ولا تطل على من لا برحمتى) . وقال الفضيل بن عياض عن يونس بن عبيد كان عيسى يقول لا نصيب حقيقة الايمان حتى لا نبالى من أكل الدنيا . قل الفضيل وكان عيسى يقول فكرت فى الخلق فوجدت من لم يخلق اغبط عندى عن خلقى . وقال اسحاق بن بشر عن هشام ابن حسان عن الحسن قال إنا عيسى رأس الزاهد فى يوم القيامة . قال وإن الفرارين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة مع عيسى قال ويينا عيسى يوما فلم على حجر قد توسده وقد وجد لذة النعم إذ مر به ابليس فقال (يا عيسى ألست تزعم أنك لا تريد شيئا من عرض الدنيا فأخذ الجبر ورمى به اليه وقال هذا لك مع الدنيا . وقال مسهر بن سليمان خرج عيسى على أصحابه وعليه حبة صوف وكساء . وثبان حافيا بإكاشمتا مصفرا اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش فقال السلام عليكم يا بنى اسرائيل أنا الذى اتزلت الدنيا منزلة بلذات الله ولا عجب ولا خسر أندرون أين يلقى قالوا أين يتك يلروح الله قال يلقى المساجد وطهى الماء وإداهى الجوع وسراجى القمر بالليل وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس وريحافى قول الأرض ولباسى الصون وشعارى خوف رب العزة وجلساتى الزمنى والمساكين أصبح وليس لى شئ وأمسى وليس لى شئ وأنا طيب النفس غير مكترث فأنفى منى وأربع رواء بن عساكر^(١) وروى فى ترجمة محمد بن الوليد بن ابن بن حبان أبى الحسن القليل المصرى حدثنا هافى بن الخوكل الاسكندراني عن حيوة بن شريح حدثنى الوليد ابن أبى الوليد عن سفي بن ثعلب عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال أوحى الله تعالى إلى عيسى أن يا عيسى انتقل من مكان الى مكان فلا تعرف فتؤذى قومى وجلالى لأزواجك ألف حرراء ولأولم عليك أروباة عام . وهذا حديث غريب رفته وقد يكون موقوفا من رواية سفي بن ثعلب عن كعب الاحبار أو غيره من الاسرائيليين والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال قال عيسى للحواريين كاترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فتركوا لهم الدنيا . وقال قتادة قال عيسى عليه السلام سلوني فاني لئن التفت واني صغير عند قضى وقال اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال عيسى للحواريين كانوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين بحق ما أقول لكم أن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وأن حلاوة الآخرة وأنها عباد الله ليسوا بالمتنعين بحق ما أقول لكم ان شركم عالم يؤثر هواه على علمه يود أن الناس كلهم مثله .

(١) من هنا إلى قوله وقال عبد الله بن المبارك لم يوجد فى القسطنطين الموجودتين بالمكتبة المصرية

ودرى نحوه عن أبي هريرة وقال أبو مصعب عن مالك أنه بلغه أن عيسى كان يقول (يا بني اسرائيل عليكم بالما القراح والبقل البرير وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره) وقال ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول اعبروا الدنيا ولا تمروها وكان يقول حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر بزور في القلب الشهوة * وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة أودت أهلها حزنا طويلا وعن عيسى عليه السلام (يا ابن آدم الضيف اتق الله حيث ما كنت وكن في الدنيا ضيفاً واتخذ المساجد بيتاً وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكر ولا تهتم برزق غد فأها خطيئة) وعنه عليه السلام أنه قال كما أنه : لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على مرج البحر داراً فلا يتخذ الدنيا قراراً وفي هذا يقول سابق البربري *

لکم بیوت بمستن السیوف وهل * یفی علی الماء بیت أسه مدر
وقال سفیان الثوري قال عيسى بن مريم (لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في آله) . وقال ابراهيم الحربي عن داود بن رشيد عن أبي عبد الله الصوفي قال قال عيسى (طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله) وعن عيسى عليه السلام (ان الشيطان مع الدنيا وفكره من المال وترينه مع الهوى واستمكاته عند الشهوات) وقال الاعمش عن خثمة كان عيسى يضع الطعام لأصحابه ويقوم عليهم ويقول هكذا فاصنعوا يا بني وبقات امرأة لعيسى عليه السلام طوي لحجر حمك ولتدي أرضك . قال طوي لمن قرأ كتاب الله واتبعه . وعنه طوي لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسمه يته . وعنه طوي لمن تلت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتهت إلى غير آثم * وعن مالك بن دينار قال مر عيسى وأصحابه بمجعة فقالوا ما أتن ربحها قال ما أبيض أسنانها لينا هم عن الضية . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن زكريا بن عدي قال قال عيسى بن مريم يا معشر الخواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كارضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا . قال زكريا وفي ذلك يقول الشاعر .

أرى رجالاً بدني الدين قد قنوا * ولا أراهم رضا في البش باليون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنيام عن الدين

وقال أبو مصعب عن مالك قال عيسى بن مريم عليه السلام (لا تكثرُوا الحديث بغير ذكر الله فتفسد قلوبكم فإن القلب القاسي يبعد من الله ولكن لا تفلتون . ولا تنظروا في قنوب البعاد كأنكم أربلب وانظروا فيها كأنكم عبيد فأما الناس رجلان ساقى ومبتلى فلرحوا أهل البلاد واحمدوا الله على العافية) وقال الثوري سمعت أبي يقول عن ابراهيم التيمي قال قال عيسى لأصحابه (يحق أقول لكم من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب بكثير) . وقال

مالك بن دينار قال عيسى إن أكل الشمر مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب قليل في طلب الفردوس . وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجسد قال قال عيسى عملوا لله ولا تمسوا بطونكم انظروا إلى هذه الطير تندو وتروح لا تحترق ولا تمسد والله يرزقها فان قلم نحن اعظم بطونا من الطير فانظروا إلى هذه الأبقار من الوحوش والجر قتلها تندو وتروح لا تحترق ولا تمسد والله يرزقها . وقال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبد الله عن يزيد بن مسيرة قال قال الحواريون للمسيح يا مسيح الله انظر إلى مسجد الله مألحسه قال آمين آمين بحق ما أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً إلا اهلكه بذنوب أهله ان الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الاحجار التي تمجيبكم شيئاً أن أحب إلى الله منها القلوب الصالحة وبها يمر الله الارض وبها يخرب الله الارض إذا كانت على غير ذلك . وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه أخبرنا أبو منصور أحمد ابن محمد الصوفي أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن ابراهيم الوردانية قالت حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن المشيم املاء حدثنا الوليد بن ابان املاء حدثنا أحمد بن جعفر الرازي حدثنا سهيل بن ابراهيم الحنظلي حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز عن المشمر عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة فأعجبه البناء فقال أي رب مر هذه المدينة أن تعجيبني فأوحى الله إلى المدينة أيها المدينة انخرعي لجوابي عيسى قال ففانثت المدينة عيسى حبيبي وما تريد مني قال ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك ؟ قالت حبيبي جاء وعد ربك الحق فيست أشجارى ونفتت أنهارى وغربت قصورى وملئت سكانى . قال فأين أموالهم قالت جمعوها من الحلال والحرام موضوعة في طغي . لله ميراث السموات والارض . قال فنادى عيسى عليه السلام (فمجت من ثلاث أئمة طالب الدنيا والموت يطلبه وباني القصور والتمير منزله ومن يضطك ملء فيه والنار أمامه ابن آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تنزع جميع مالك لمن لا يحمذك وتقدم على رب لا يمتزك إنما أنت عبد بطنك وشهوتك وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك وانت يا ابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك) هذا حديث غريب جداً وفيه موطن حسنة فكتبناه لذلك .

وقال سفيان الثوري عن أبيه عن ابراهيم التيمي قال قال عيسى عليه السلام يا مشر الحواريين اجلسوا كنوزكم في الساء فان قلب الرجل حيث كنزه وقال ثور بن يزيد عن عبد العزيز بن غليان قال قال عيسى بن مريم من قلم وعلم وعمل دعى عظيما في ملكوت السماء . وقال أبو كريب روى أن عيسى عليه السلام قال لا خير في علم لا يمر ملك الوادى ويمر بك التلدى . وروى ابن عساكر بإسناد غريب عن ابن عباس مرفوعاً أن عيسى قام في نبي اسرائيل فقال (يا مشر الحواريين لا تعبدوا بالبحكم غير أهلها فتظلموها ولا تتمموها أهلها فتظلموهم والأمر ثلاثة . أمر تين رشده فاتبوه وأمر تين غيه

فاجنبوه وأمر اختلف عليكم فيه فردوا عليه إلى الله عز وجل . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن رجل عن عكرمة قال قال عيسى (لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً ولا تعلموا الحكمة من لا يريد بها فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريد بها شر من الخنزير) . وكذا حكى وهب وغيره عنه وعنه أنه قال لأصحابه (أنتم ملح الأرض فإذا قدمتم فلا دواء لكم وإن فيكم خصلتين من الجهل الضحك من غير عجب والصبيحة من غير مهر) وعنه أنه قيل له من أشد الناس خفة قال ذلة العالم فإن العالم إذا ذل يزل بزله عالم كثير . وعنه أنه قال (يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤسكم والآخره تحت أقدامكم قولكم شفاء وعلمكم دواء مثلكم مثل شجرة العفلى تجذب من رآها وتقتل من أكلها) وقال وهب قال عيسى (يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلوها ولا تدعون المساكين يدخلونها إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بفسه . وقال مكحول (التي يحيى وعيسى فدأخه عيسى وهو يضحك قال له يحيى يا ابن خالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قدأمنت) قال له عيسى (مالي أراك عاباً كأنك قد بشت) فأوحى الله إليهما (ان أحبكما إلى أبشكهما بصاحبه) وقال وهب بن منبه وقف عيسى هو وأصحابه على قبر وصاحبه يدلى فيه فجعلوا يذكرون أقبر وضيقته قال (قد كنتم فيها هو أضيقت منه من أرحام أمهاتكم فإذا احب الله أن يوسع وسم) وقال أبو عمر الضرير بلغني أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دماً . والآخر في مثل هذا كثيرة جداً . وقد أورد الحفاظ بن عساكر منها طرقاً صالحاً اقتصرنا منها على هذا القدر والله الموفق للصواب *

ذكر رفع عيسى عليه السلام الى السماء

﴿ في حفظ الرب ويان كذب اليهود والنصارى في دعوى الصلب ﴾

قال الله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعتك إلى مطهرتك من الذين كفروا وجادل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيها كنتم فيه فتخفون) وقال تعالى (فيها قضيتهم ميثاقهم وكنتم يابأت الله وقولهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً . وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رضى الله اليه وكان الله عزيزاً حكيم . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) فأخبر تعالى أنه رضى الى السماء بعد ما وقاه بالثوم على الصحيح المتطوع به وخلصه عن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به الى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان *

قال الحسن البصري ومحمد بن اسحاق كان اسمه داود بن نورا فأمر بقتله وصلبه فحضره في دار بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان وقت دخولهم أتى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روضة ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب أتى عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إحالة له وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وصلوا بسبب ذلك ضللا ميئاً كثيراً فحسبوا بعيداً وأخبر تعالى بقوله (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة فانه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام كما بنا ذلك بما ورد فيه من الأحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء وكما سنورد ذلك مستقصى في كتاب الفتن والملاحم عند أخبار المسيح الفجال فنذكر ما ورد في نزول المسيح المهدى عليه السلام من ذى الجلال لقتل المسيح الفجال الكذاب العامي إلى الضلال وهذا ذكر ما ورد في الآخرة في صفة ربه إلى السماء • قال ابن حاتم حدثنا أحمد بن ستان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المهلب بن عروة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه في البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحوارين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال إن منكم من يكفري في اثني عشرة مرة بعد أن آمن بي ثم قال أياكم يأتي عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي فقام شاب من أحدهم سناً فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال اجلس • ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا قال أنت هو ذاك فأتى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روضة في البيت إلى السماء • قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه قتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به واقتروا ثلاث فرق قالت طائفة كان الله فينا ما شاء ثم صد إلى السماء وهؤلاء البقرية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم ربه الله إليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم ربه الله إليه وهؤلاء الملحون فظاهرت الكافرون على الملأ قتلوه فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ • قال ابن عباس وذلك قوله تعالى (فأيذا الذين آمنوا على عدوم فاصبحوا ظاهرين • وهذا استناد صحيح إلى ابن عباس عن شرط مسلم ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه ورواه ابن جرير عن مسلم بن جندة عن أبي معاوية وهكذا ذكر غير واحد من السلف وعن ذكر ذلك مطولاً محمد بن اسحق بن بشار قال وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخر أجله حتى يلبس الرسالة ويكمل الدهوة ويكثر الناس الفحول في دين الله قبل وكان عنده من الحوارين اثني عشر رجلاً بطرس ومقرب بن زبدا ويحسب أخو مقرب واندراوس وقليس وابرثما ومتى وتوماس ومقرب بن

حقيا وتداوس وقتانيا ويودس كرايوطا وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى * قال ابن اسحق
وكان فيهم رجل اخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو الذي التى شبه المسيح عليه فسلب عنه قال
وبعض النصارى يزعم ان الذي صلب عن المسيح والذى عليه شبهه هو يودس بن كرايوطا والله اعلم .
وقال الضحاك عن ابن عباس استخلف عيسى شمعون وقتل اليهود يودس الذي التى عليه الشبه
وقال احمد بن مروان حدثنا محمد بن الجهم قال سمعت القراء يقولون في قوله (ومكروا ومكر الله والله
خير الماكرين) قال ان عيسى غاب عن خاتمه زمانا فالتها قدام رأس الجالوت اليهودى فضرب على عيسى
حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطلس الله عينيه عن
عيسى ثم خرج الى أصحابه فقال لم أراه ومعه سيف مسلول فقالوا أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه
فأخذوه وقتلوه وصليوه فقال جل ذكره (وما قتلوه وما صليوه ولكن شبه لهم) وقال ابن جرير حدثنا
ابن حيد حدثنا يعقوب التميمي عن هرون بن عنقرة عن وهب بن منبه قال أتى عيسى ومعه سبعة عشر من
الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صرهم الله كلهم على صورة عيسى قالوا لهم سحرتمونا
تبرزن الينا عيسى أولفتناكم جميعا قال عيسى لاصحابه من يشتري منكم هذه اليوم بليته قال رجل
أنا أخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصليوه فن ثم شبه لهم
وغفلوا أنهم قد قتلوا عيسى فظننت النصارى مثل ذلك انه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك
قال ابن جرير وحدثنا الثقف حدثنا اسحاق حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن مسقل
أنه سمع وهبا يقول ان عيسى بن مريم لما أعله الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدا
الحواريين وصنع لهم طعاما قال احضروني البلية فلن لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل
عشاء وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ ينزل ايديهم ويضعهم بيده ويمسح ايديهم بياحه فعاظموا
ذلك وتكلموه فقال ألا من رد على شيئا البلية مما أصنع فليس منى ولأننا منه فأقروه حتى اذا فرغ من
ذلك قال أما ما صنعت بكم البلية مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم يدي فليكن لكم في أسوة فانكم
ترون أني خيركم فلا تحظم بعضهم على بعض وليذل بعضهم لبعض فما بذلت نفسي لكم وأما حاجتي
التي استعنتكم عليها فقدموا الله ويجهدون في السماء ان يؤخر أجلى فلما فصبوا أنفسهم للدهاء وأرادوا
أن يجهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دهاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله أما تصبرون لي ليلة
واحدة تصبروني فيها قالوا والله ما ندري ما لنا والله لقد كنا نسر فنكثر السر وما نطيق البلية سمعنا وما
نريد دهاء الا حبل بيتنا وبينه قال يذهب بلراعى ويمترق الفم وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينسب به
نفسه . ثم قال الحق ليكن من بي أحدكم قبل أن يصيح اليك ثلاث مرات وليبني أحدكم بدرام مسيرة
وليا كل مني فخرجوا وغرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين قالوا هذا من

صاحبه فجهد وقال ماأنا بصاحبه فتكره . ثم أخذهم آخرون فجهد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأخزته . فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال متجملون لي إن ذلكم على المسيح بفعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأنذوه واستوهجوا منه ودربلوه بلبل وجعلوا يقدونه ويقولون أنت كنت نبي الموقى وتنهى الشيطان وتبىء الجنون أفلا تنجى نفسك من هذا الجبل ويصقون عليه ويقنون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفضه الله اليه وصلبوا ماشبه لهم فكش سبباً . ثم إن أمه والمرأة التي كان يدأبها عيسى فلما رأها الله من الجنون جاءها تبكيان حيث كان المصلوب فجاءها عيسى فقال على م تبكيان قلنا عليك فقال إني قد رفضي الله اليه ولم يصبنى إلا خير وإن هذا شئ شبه لهم فأمر الحواريين أن يلقون إلى مكان كذا وكذا فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وقد اتى كان بأهه ودل عليه اليهود فقال عنه أصحابه قالوا إنه ندم على ما صنع فاختنق وقفل فنه قتال فوكل ثياب الله عليه * ثم سألم عن غلام يتبعهم يقال له يحيى فقال هو معكم فانطلقوا فله سيصبح كل انسان منكم يحدث بلفه قوم فليترجم وليدعمهم * وهذا اسناد غريب عجيب وهو أصح مما ذكره النصارى من أن المسيح جاء إلى مريم وهى جالسة تبكى عند جذعة فأراها مكان السامير من جسده وأخبرها أن روحه رقت وأن جسده صلب وهذا بهت وكذب واختلاق ونحريف وتبديل وزيادة بطلة في الإنجيل على خلاف الحق ومقتضى النقل .

وحكى الحافظ بن صاكر من طريق يحيى بن حبيب فيما ينفه أن مريم سألت من بيت الملك بعد ما صلب المصلوب بسبعة أيام وهى تحسب أنه ابنها أن ينزل جسده فأجابهم إلى ذلك ودفن هناك فقالت مريم لأم يحيى ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح فذهبتا فلما دتما من القبر قالت مريم لأم يحيى ألا تستترين فقالت وعمن استترت قالت من هذا الرجل الذى هو عند القبر قالت أم يحيى إني لا أرى أحداً فرجت مريم أن يكون جبريل وكانت قد بدت عليها فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل وعرفته يا مريم أين تردين قالت أزور قبر المسيح فأسلم عليه وأحدث عهداً به فقال يا مريم إن هذا ليس المسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولكن هذا الذى اتى الذى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه . وعلامة ذلك أن أهله قد قدوه فلا يدرون ما فعل به فهم ييكون عليه فإذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة كذا وكذا فأتك تحقين المسيح قال فرجعت إلى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر النعضة . فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى فى النعضة فلما رآها أسرع إليها وأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها فأتا كان يفضل وقال يا أمه إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفضى اليه وأذن لى فى لقاءك والموت يأتيك قريباً فاصبرى واذكرى الله كثيراً ثم صعد عيسى فلم تبقه إلا تلك المرة حتى ماتت . قال وبلغنى أن مريم بقيت بسند

عيسى خمس سنين وماتت ولما ثلاث وخمسون سنة رضى الله عنها وأرضاه.

وقال الحسن البصري كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أرباباً وثلثين سنة وفي الحديث (إن أهل الجنة يدخلونها جرداً مردأً مكطلين أبناء ثلاث وثلثين). وفي الحديث الآخر على ميلاد عيسى وحسن يوسف وكذا قال حاد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلثين سنة *

فأما الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه ويعقوب بن سفيان النسوي في تاريخه عن سعيد بن أبي مسهر عن نافع بن يزيد عن عمار بن غزوة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول أخبرتني فاطمة أن رسول الله ﷺ أخبرها أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله وأنه أخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراي إلا ذاهب على رأس سنين * هذا لفظ النسوي فهو حديث غريب.

قال الحفاظ بن عساكر والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر وإنما أراد به مدة مقامه في أمته كما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال قالت فاطمة قال لي رسول الله ﷺ أن عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة وهذا منقطع. وقال جرير والثوري عن الأعشى أن إبراهيم مكث عيسى في قومه أربعين عاماً وروى عن أمير المؤمنين علي أن عيسى عليه السلام رفع عليه الثاني والشرين من رمضان وتلك الليلة في مثلها توفي على بعد طعنه بمضة أيام وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاتته سحابة فدفنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهي تنظر والقي إليها عيسى برداً له وقال هذا علامة ما بيني وبينك يوم القيامة والقي عامته على شمعون وجلس أمه تودعه بلصيحها تشير بها إليه حتى غاب عنها وكانت تحبه حباً شديداً لأنه توفر عليها حبه من حبه الوالدين إذ لا أب له وكانت لا تفارقه سراً ولا حضراً. قال بعض الشعراء

وكنت أرى كالموت من بين ساعة فكيف بين كان مواعده الحشر

وذكر اسحاق بن بشر عن مجاهد بن جبير أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل الذي شبه لهم وم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى يجهلهم ذلك تسلطوا على أصحابه يقتلوا والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق في ذلك الزمان قيل له إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحيى الموتى ويرى الأكمه والأبرص ويصل العرجات فشدوا عليه قتلوه وأهاتوا أصحابه وحسبهم فبث فجئ بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة فأنهم عن أمر المسيح فاخبروه عنه فبايعهم في دينهم وأعلى كلمهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم وبث إلى المصلوب فوضع عن جذعه وجئ بالجلد الذي صلب عليه ذلك الرجل فظفنه

فمن ثم عظمت النصارى الصليب ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم وفي هذا نظر من وجوه .
 أحدها أن يحيى بن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى فانه مصوم يعلم ما وقع على جهة الحق .
 الثاني أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلثمائة سنة وذلك في زمان قسطنطين بن قسطنطين باني
 المدينة المنسوبة اليه على ما سذكروه . الثالث أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم القوه بمخشجه جعلوا
 مكانه مطرأ القلعة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنطين
 المذكور فصدت أمه هيلانة الحراية القنداقية فلستخرجه من هناك معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة
 التي صلب عليها المصلوب فذكروا أنه ما مسها ذو عاعة الاعوق فقله أعلم أ كان هذا أم لا وهل كان
 هذا لان ذلك الرجل القى بذل فنه كان رجلا صالحا أو كان هذا عنة وقتة لأمة النصارى في ذلك
 اليوم حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللاكن ومن ثم اتخذوا الصلبانات وتبركوا بشكلمها
 وقبلوها . وأمرت أم الملك هيلانة فازيلت تلك القلعة وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة
 فهي هذه المشهورة اليوم بيلد بيت المقدس التي يقال لها القلعة باختيار ما كان عندها ويسمونها القلعة
 يعنون التي يقوم جسد المسيح منها . ثم أمرت هيلانة بأن توضع قلعة البلد وكنائسه وقازوراته على
 الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكسفن عنها القلعة
 بردائه وطهرها من الاخشاب والانياس ولم يضع المسجد ورامها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله
 ﷺ ليلة الاسراء بالانبياء وهو الاقصى .

ذكر صفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله

قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) قيل سمى
 المسيح لمسحه الارض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهوده
 واقتراهم عليه وعلى أمه عليهما السلام . وقيل لانه كان مسوح القدمين . وقال تعالى (وقيناه على آفام
 برسلنا وقيناه بميسى بن مريم وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) وقال تعالى (وآتيناه عيسى بن مريم
 البينات وأيدناه بروح القدس) والآيات في ذلك كثيرة جداً وقد تقدم ما ثبت في الصحيحين (مامن مولود إلا
 والشيطان يطن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ذهب يطن يطن في الحجاب)
 وقدم حديث عمر بن حاتم عن جنادة عن عبادة عن رسول الله ﷺ أنه قال (من شهد أن لا إله
 إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكنهه التي اتاها الى
 مريم وروح منه والجنة حق والنار حتى أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) رواه البخاري (وهذا
 لفظه ومسلم)

ودرى البخارى ومسلم من حديث الشعبي عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ (إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعصمها فتزوجها كان له أجران وإذا آمن ببني بن مريم ثم آمن بي فله أجران والبلد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران) هذا لفظ البخارى . وقال البخارى حدثنا ابراهيم بن موسى أنبأنا هشام عن ممر (ح) وحدثني محمود حدثنا عبد الرزاق أنبأنا ممر عن الزهرى أخبرني سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال النبي ﷺ (ليلة أسرى بي قتلت موسى قال فنته فلذا رجل حبسه قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شونة قال وقيت عيسى فنته النبي ﷺ قال ربة أحر كأنما خرج من ديماس يفي الحام ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده الحديث) وقد تقدم في قصتي ابراهيم وموسى ثم قال حدثنا محمد بن كثير أنبأنا اسرائيل عن عتيق بن المغيرة عن مجاهد عن بن عمر قال قال النبي ﷺ (رأيت عيسى وموسى وابراهيم . فلما عيسى فاحر جد عريض الصدر . وألموسى فأكدم جسيم بسيط كأنه من رجال الرط تغربه البخارى . وحدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى بن عقبة عن ثعلم قال قال عبد الله بن عمر ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهراني الناس المسيح النجال فقال ان الله ليس بأعور إلا أن المسيح النجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنة طافية وأرأى الآية عند الكعبة في المنام فلذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لثته بين منكيه رجل الشر يقطر رأسه ماء واضاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت قتل من هذا قتلوا المسيح بن مريم . ثم رأيت رجلا وراءه جند قتلوا أعور عين اليمنى كاشبه من رأيت باني قتلن واضاً يده على منكبي رجل يطوف بالبيت قتل من هذا قتلوا المسيح النجال . ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة . ثم قال البخارى تابعه عبد الله بن ثعلم ثم ساقه من طريق الزهرى عن سالم بن عمر قال الزهرى وابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية . فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين مسيح المهدي ومسيح الضلالة ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحذره الموحدون . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا ممر عن هام بن منبه عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال (رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له أسرت قال كلا والحق لا إله إلا هو قال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني) وكذا رواه محمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن الحسن وغيره عن أبى هريرة قال ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال (رأى عيسى رجلا يسرق فقال يفلان أسرت فقال لا والله ما سرت فقال آمنت بالله وكذبت بصرى) . وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحداً لا يخلف بظلمة الله كاذبا على ما شاهده منه عياناً قبل عذره ورجع على نفسه فقال آمنت بالله أي صدقت وكذبت بصرى لأجل حلفك . وقال البخارى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن

المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ (تحشرون حفاة عراة غرلا . ثم قرأ) (كما بدأنا أول خلق فبيده وعداً علينا انا كفافعلين) فأول انطلق يكسئ ابراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال لهم انزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فرقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم (و كنت عليهم شبيداً ملدنت فيهم فلما توفيتي كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . إن تعذبهم فاعذبهم عذابك . وإن تغفر لهم فاعفك أنت العزيز الحكيم) فترده دون مسلم من هذا الوجه . وقال أيضاً حدثنا عبد الله بن الزبير الجدي حدثنا سفيان سمعت الزهري يقول أخبرني عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله ﷺ يقول (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فاعلموا أنا عبد الله ورسوله .

وقال البخاري حدثنا ابراهيم حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج يصلي إذ جاءته أمه فدعته فقال أجبها أو أصلي قالت اللهم لآمتة حتى تريحه وجوه المومسات وكان جريج في صومعة فرضت له امرأة وكلته فأبى فأنشدها فأمكته من نفسها فولدت غلاماً فقيل لها من قال من جريج فأثوه وكسروا صومعته فأثروه وسبوه فوضأ وصلى ثم أتى النمل قال من أوك يا غلام قال فلان الراعي قالوا أنبئ صومعتك من ذهب قال لا إلا من ملين . وكانت امرأة ترضع ابناً لها في بني اسرائيل فربها رجل راكب ذو شاة قالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب قال اللهم لا تجعلني مثله . ثم أقبل على ثديها بمصه . قال أبو هريرة كافي أنظر إلى النبي ﷺ يمص أصبعه ثم مر بأمة قالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال . اللهم اجعلني مثلاً قالت لم ذلك قال الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرقت وزنت ولم تفل . وقال البخاري حدثنا أبو الجان حدثنا شبيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (أنا أولى الناس بابن مريم والانبيا . أولاد علات ليس بيني وبينه نبي فترده البخاري من هذا الوجه . ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي داود الحفري^(١) عن الثوري عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي الزناد عن الأخرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (أنا أولى الناس ببسبى عليه السلام والانبيا أخوة أولاد علات وليس بيني وبين عيسى نبي . وهذا أسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجوه من هذا الوجه وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن مسر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه . وقال أحمد

حدثنا يحيى عن ابن أبي عروة حدثنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال
 (الانبياء اخوة لصلوات . ودينهم واحد وأمهاتهم شتى . وأنا أولى الناس ببني مريم لأنه لم يكن
 بيني وبينه نهي وإنه نزل فلذا رأيتوه فأعرفوه فانه رجل مربوع الى الحرة والبياض سبط كأن رأسه قطر
 وان لم يصبه بل بين محصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويسطل الملل حتى يهلك في
 زمانه كلها غير الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتفع
 الأبل مع الأسد جميعا والتمود مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والفلان بالحيات لا يضر بعضهم
 بعضاً فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفونونه . ثم رواه احمد عن عفان عن
 همام عن قتادة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة فذكر نحوه وقال فيمكث أربعين سنة . ثم يتوفى ويصلى
 عليه المسلمون . ورواه أبو داود عن هبة بن خالد عن همام بن يحيى به نحوه . وروى هشام بن عروة عن
 صالح مولى أبي هريرة عنه أن رسول الله ﷺ قال (فيمكث في الأرض أربعين سنة . وسياق يان تزوله
 عليه السلام في آخر الزمان في كتاب الملاحم كما بسطنا ذلك أيضاً في التفسير عند قوله تعالى في سورة
 النساء (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) وقوله (وإنه لم
 للساعة الآخرة) وإنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد أقيمت صلاة المصباح فيقول له امام المسلمين تقدم
 ياروح الله فصل فيقول لا بمضكم على بعض أمراء مكفرة الله هذه الأمة . وفي رواية فيقول له عيسى
 إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلفه . ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال فليخذه عند باب
 له فيقتله بيده الكرمية . وذكرنا أنه قوى الرجاء حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من
 حجارة يرض وقد بنيت أيضاً من أموال النصاري حين حرقوا التي هدمت وما حولها فينزل عليها عيسى
 ابن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل من أحد إلا الاسلام وأنه يصح من فتح
 الرواح حاكماً أو متعزلاً أو لتتبعهما ويقيم أربعين سنة ثم يموت فيدفن فيها قبل في الحجرة النبوية عند
 رسول الله ﷺ وصاحبه . وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه
 السلام في كتابه عن عائشة مرفوعاً أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية ولكن
 لا يصح استناده وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا زيد بن اخزم الطائي حدثنا أبو قتية مسلم بن قتيبة حدثني
 أبو مودود المدني حدثنا همام بن الفضل عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال
 مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم عليهم السلام يدفنونه . قال أبو مودود وقد بقي من البيت
 موضع قبر . ثم قال الترمذي هذا حديث حسن كذا قال . والصواب الضحاك بن عثمان المدني . وقال البخاري
 هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه وروى البخاري عن يحيى بن حماد عن أبي عروة عن عاصم
 الأحرول عن أبي همام التهمدي عن سلمان قال الفترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ ثمانية سنين وعن قتادة خمسة

وستون سنة . وقيل خمسمائة وأربعون سنة وعن الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة . والمشهور ستمائة سنة * ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقمرية لتكون ستمائة بالشمسية والله أعلم *

وقد ابن حبان في صحيحه (ذكر المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على هديه) حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو هام حدثنا الوليد بن مسلم عن الميم بن حميد عن الوضين بن عطاء عن نصر بن عقبة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ (لقد قبض الله داود من بين أصحابه فاختاروا ولا بدلوا) وقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتي سنة . وهذا حديث غريب جداً وإن صححه ابن حبان . وذكر ابن جرير عن محمد بن اسحاق أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصي الحواريين بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في اتعظم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب فذكروا أنه أصبح كل اثنان منهم يتكلم بلسنة الذين أرسله المسيح إليهم . وذكر غير واحد أن الانجيل قلده عنه أربعة لوقا ومثى ومرقس وبوحنا وبين هذه الانجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة وزيادات كثيرة وهن بالنسبة إلى الأخرى وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه وهما مثى وبوحنا ومنهم اثنان من أصحاب أصحابه ^(١) وهما مرقس ولوقا وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من اهل دمشق رجل يقال له ضينا وكان محتجاً في مفارقة داخل الباب الشرقي قرياً من الكنيسة المصلبة خوفاً من بولس اليهودي وكان ظالماً غاشماً مبغضاً للمسيح ولما جاء به . وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد * ثم رجه حتى مات رحمه الله . ولما سمع بولس أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جهز بناله وخرج ليقتله فلقاه عند كوكبا فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه . فلما رأى ذلك وقع

(١) من هنا إلى قوله (كتاب اخبار الماضين الخ) لم يوجد بالتسخين الموجودتين بالمكتبة المصرية ووجد بها بدله هذه البارة . وهي وقد أئند الشيخ شهاب الدين التترافي في كتابه الرد على النصراني لبعضهم رد عليهم في قولهم بصلب المسيح وتسلمهم ذلك لليهود مع دعواهم أنه ابن الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً *

عجباً للمسيح بين النصراني * وإلى الله ولما نسبوه
اسلموه إلى اليهود وقالوا * لهم يمدقه صلبوه
فان كان ما تقولون حقاً * وصحيحاً فأين كان أبوه
حين خلى ابنه من الاعداء * اترام أرضوه أم اغضبوه
فلئن كان راضياً بلذام * فاعذروهم لائهم واقروه
ولئن كان سائطاً فتركوه * واعذروهم لائهم غلبوه

في نفسه تصديق المسيح فجاء اليه واعتذر بما صنع وآمن به قبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره فقال اذهب الى ضينا عندك بدمشق في طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعو لك فجاء اليه فدعا فرد عليه بصره وحسن إيمان يوحنا بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله ونبت له كنيسة باسمه فهي كنيسة يوحنا المشهورة بدمشق من زمن فتحها الصحابة رضى الله عنهم حتى خربت في الزمان التي سنورده إن شاء الله تعالى .

فصل

اخلف أصحاب المسيح عليه السلام بدورهم الى السماء فيه على أقوال كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف كما أوردناه عند قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدم فاصبحوا ظاهرين) قال ابن عباس وغيره قل قائلون منهم كان فينا عبد الله ورسوله فرغ الى السماء وقال آخرون هو الله وقال آخرون هو ابن الله فالأول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم كما قال (فخلطت الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) وقد اخلفوا في قل الأنجيل على أربعة أقاويل مابين زيادة وهضم ونحريف وتبديل ثم بعد المسيح بثلاثة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى . اخلف البطاركة الاربية وجميع الاساقفة والتساوسة والشمامسة والراهبين في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب واجتمعوا ونجاكوا الى الملك قسطنطين بنى القسطنطينية وهم المجمع الاول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اعتقت على قول من تلك المقاتلات فسما الملائكة وحض من عدم وأبدم وتفرقت الفرقة التابعة لربنا الله بن ادريس التي نجت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا البراري والبرادى وبنا العوام والديارات والقلايت وقنصوا بلبيش الزهيد ولم يخاطبوا أولئك الملل والنحل وبنت الملائكة الكتائب المائثة عدوا إلى ماكان من بناء اليونان فحولوا محاريبها الى الشرق وقد كانت إلى الشمال الى الجدى *

بيان بناء بيت لحم والقائمة

وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنت أمه حيلة القائمة يعنى على قبر المصلوب وهم يسمون اليهود أنه المسيح . وقد كثرت هؤلاء وهؤلاء ووضوا القوانين والأحكام ومنها بخلاف الحقيقة التي هي التوراة وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة ومن ذلك الخنزير وصلوا إلى الشرق ولم يكن المسيح صلى إلا الى صخرة بيت المقدس وكذلك جميع الانبياء بد موسى . ومحمد خاتم النبيين صلى اليها بد هجرة الى المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ثم حول الى الكعبة التي بناها ابراهيم الخليل . وصوروا الكتائب المائثة عدوا إلى ماكان من بناء اليونان فحولوا محاريبها الى الشرق وقد

ورجالهم التي يسمونها بالامانة. وهي في الحقيقة أكبر الكفر والخلافة وجميع الملكية والتسطورية أصحاب
نسطورس أهل المجمع الثاني واليقونية أصحاب يعقوب البرادعي أصحاب المجمع الثالث يمتدنون هذه
العقيدة ويختلفون في تفسيرها وهأتا أحكامها وحاشي الكفر ليس بكافر لابت على ما فيها ركة الالفاظ
وكثرة الكفر والظلال المغضى بصاحبه الى النار ذات الشواظ فيقولون يؤمن بالله واحد ضابط الكل
خالق السموات والارض كل ما يرى وكل ما لا يرى ورب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من
الاب قبل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر القى كان
به كل شيء من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجد من روح القدس ومن
سريم العذراء وتانس وصلب على عهد ملاطس النبطي وتالم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب
وصعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وأيضاً فسأى بجسده ليدير الاحياء والاموات القى لافاء
ملكه وروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب مع الاب والابن مسجوده وبمجد الناطق
في الانبياء كنيسة واحدة جامعة مقدسة يهولية واعترف بمسودية واحدة لمنفرة الخطايا وأنه حتى قيامه
الموتى وحياة الدهر العتيق كونه آمين .

كتاب أخبار الماضين

من بني اسرائيل وغيرهم الى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم فاما سنورد ذلك بعد
فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى قال الله تعالى (كذلك قص عليك من آباء ما قد سبق وقد
آتيناك من لدنا ذكراً) . وقال (نحن قص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هنا القرآن وان
كنت من قبله لمن النافلين) .

خبر نبي القرنين

قال الله تعالى (ويألفوك عن نبي القرنين قل سألتوكم مني ذكراً . انا مكنا له في الارض
وأآتيناه من كل شيء سيباً فاتبع سيباً . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها قرب في عين حمة ووجد
عندها قوما . قلنا إذا القرنين إما أن تصيبوا وما أن تتخذ فيهم حسنا . قل أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد
إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وستقول له من أمرنا يسراً . ثم
أتبع سيباً . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً . كذلك وقد أهلكنا
بما لديه خيراً . ثم أتبع سيباً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً .
قالوا إذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم
سداً . قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم حداً ما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى

بين الصديقين قال اغضوا حتى إذا جله نوا قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فإسطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له قبا . قال هذا رحمة من ربى فلذا جاء وعد ربى جله دكا . وكان وعد ربى حقا . ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب . وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالملئمة التامة وال سلطان المؤيد المظفر المنصور للقاهر المقتسط . والصحيح أنه كان ملكا من الملوك المحدثين وقيل كان نبيا . وقيل رسولا . وأغرب من قل ملكا من الملائكة . وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه سمع رجلا يقول لآخر إذا القرنين فقال له ما كنتم أن تسموا باسمه إلا نبيا حتى تسميتم باسمه الملائكة ذكره السهيلي . وقد روى وكيع عن إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان ذو القرنين نبيا . وروى الحفاظ بن عساكر من حديث أبي محمد بن أبي نصر عن أبي اسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أبي ذؤيب حدثنا محمد بن حماد أن أبا عبد الرزاق عن معمر بن ابن أبي ذؤيب عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (لا أدري أتبع كل لبيأ أم لا ولا أدري الحدود ككثرات لأهلها أم لا ولا أدري ذو القرنين كان نبيا أم لا) . وهذا غريب من هذا الوجه . وقال اسحاق بن بشر عن عثمان بن الساج عن خفيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ذو القرنين ملكا صالحا رضي الله عنه وأثنى عليه في كتابه وكان منصورا وكان الخضر وزيره . وذكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم . وقد ذكر الأزرق وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام ^(١) وروى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشيا وأن إبراهيم لما سمع قدومه تقاد ودعا له ورضاه وأن الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث أراد والله أعلم .

واختلوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين قيل لأنه كان له في رأسه شبه القرنين . قال وهب بن منبه كان له قرنان من نحاس في رأسه وهذا ضعيف وقال بعض أهل الكتاب لأنه ملك فارس والروم وقيل لأنه بلغ قرن الشمس غربا وشرقا . وملك ما بينهما من الأرض وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهري وقال ^(٢) الحسن البصري كانت له غديرتان من شر يطافهما ^(٣) فسمى ذا القرنين وقال اسحاق ابن بشر عن عبد الله بن زياد بن سمان عن عمر بن شبيب عن أبيه عن جده أنه قال دعا ملكا جبارا إلى الله فضره على قرنه فكسره ورضه . ثم دعا ففك قرنه الثاني فكسره فسمى ذا القرنين وروى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين فقال

(١) من هنا إلى قوله قل وهب بن منبه الخ لم يوجد بالتسعين المصريين

(٢) من هنا إلى قوله وروى الثوري لم يوجد بهما أيضا (٣) كذا بالأصول

كان عبداً نلصق الله فاحصه دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه ذات فأجابه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فأتى ففسى ذا القرنين . وهكذا رواه شعبة أنقاسم بن أبي مرة عن أبي الطفيل من علي بن * وفي بعض الروايات عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب لا رسولاً ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً .

وقد اختلف في اسمه فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون^(١) بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان .

وقد جاء في حديث أنه كان من حمير وأمه رومية وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لقله . وقد أفتد بعض الجاهل^(٢) في ذلك شراً يختصر بكونه أحد أجداده قال :

قد كان ذو القرنين جدى^(٣) مسلماً ملكاً تدين له الملوك ونحمد^(٤)

(١) كذا في السبى على البخارى بالعين المهملة والنون وهو خطأ والصواب غوث بالثين المعجمة والثاء المثلثة كما في أنساب السمانى . (٢) قوله بعض الجاهل هو تبع على ما في الراس للثعلب وهو تبع أبو كرب كما في التيجان في ملوك حمير والشر من قصيدة هي احد وخمسون بيتاً (٣) قوله جده جدى كذا في التيجان ورواه صاحب الراس في قصص الانبياء والفخر الرازى في تفسيره قبل . (٤) قوله ملكاً تدين له الملوك ونحمد كذا بالأصل بالثين المعجمة بدل الحاء المهملة ورواية الراس وتسجد بلجم بدل السين المهملة وعلى كلتا الروايتين يكون في البيت عيب من عيوب القوافى وهو الاكفاء وهو اختلاف القوافى بالضم والكسر فالت شعر مكسور الروى وهو الهال قال الشاعر في أول القصيدة

نحن الملوك ذوو اللا والسودد نحن الحماة بنو الهام الابعجد
سميتُ أسمد والسود طوالع لا بدان ترقى النحوس لأسمد
أفمداً وأثل والمقعق بسده ترجو انخلود وأنت غير غخذ

إلى آخره وأفتد الفخر الرازى في تفسيره هذا الشر هكذا

قد كان ذو القرنين قبلى مسلماً ملكاً علا في الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يحقى اسباب ملك من كرم سيد

وعليه فلا إكفاء واقتصر في الراس على الايات الثلاثة وترك البيت الأخير هنا وأفتدها كما أفتدها المورخ هنا غير أنه قال قبل بدل جدى وقال تسجد بدل نحمد كما علمت والشر في التيجان هكذا وليس فيه البيت الأخير أيضاً مع ذكره القصيدة كلها قال الشاعر في مكة

بلغ المشارق والمغارب يحيى اسباب امر من حكيم مرشد
فراى مغيب الشمس عند غروبها فى عين ذى خلب وثأط حرمه
من بعده بقيس كانت حتى ملكهم حتى أتلها الهدد

قال السهيلي وقيل كان اسمه مرزبان بن مرزبة . ذكره ابن هشام ^(١) وذكر في موضع آخر أن اسمه
الصعب بن ذى مرثد وهو أول التباينة وهو الذى حكم لآبراهيم في يثر السبع . وقيل إنه أفريدون
ابن أسفان الذى قتل الضحاك وفى خطبة قس يا ممشر اباد بن الصعب ذو القرنين ملك الخلقين وأذل
التقلين وعمر الفين . ثم كان ذلك كالخطة عين ثم أئشد ابن هشام للاعشى .

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوييا بلجنو فى جدث اشم مقيا
وذكر الدارقطني وابن ما كولا أن اسمه هرمس ^(٢) ويقال هرويس بن قبطون بن رومي بن لنطى
ابن كشلوخين بن يونان بن يافث بن نوح فلقه أعلم . وقال اسحق بن بشر عن سعيد بن بشر عن قتادة
قال اسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام . فاما ذو القرنين
الثاني فهو اسكندر بن فيليب بن مصرم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطى بن يونان بن يافث
ابن يوة بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومي بن الاصغر بن يقز بن البص بن اسحق
ابن ابراهيم الخليل كذا نسب الحفاظ ابن عساكر فى تلويحه . المقدوني اليوناني المصري بالى اسكندرية
الذى يؤرخ بألمه الروم وكان متأخراً عن الاول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة
سنة وكان ارطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذى قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم .

وأقام ذو القرنين فيها حجة خوفا يطوف على القفى المتوقد
إذ كان ذو القرنين جدى مسلما فقى تراه له المتاول تسجد
طاف المشارق والمغارب عالما يئى علوما من كريم مرشد
ورأى سير الشمس عند غروبها فى عين ذى خلب وثأط حرمه
فقد أذل الصعب صب زماته وألظ قوة عزه بالفرقد

ثم قال فى التيجان قال مساوية يا ابن عباس فما اطلب والثأط والحرمه قال اطلب الحسنة والثأط
ما تحبها من الطين والحرمه ما تحب من الحصى والحجر .

(١) قوله ذكره ابن هشام أى فى السيرة وقوله وذكر فى موضع آخر أى فى التيجان فى ملوك حمير
روايته عن وهب بن منبه اه محمود الامام .

(٢) والذى فى الرئاس عن اكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيليب بن بطربوس بن هرمس
ابن هرودوس بن منطون بن رومي بن لعين بن يونان بن يافث . اه محمود الامام

وإنما نهى عليه لأن كثيراً من الناس يمتدونها واحد وإن المذكور في القرآن هو الذي كان ارطاطا ليس
 وزره فبقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً ومملوكاً
 عادلاً وكان وزيره الخضر وقد كان نبياً على ما قررناه قبل هذا . وأما الثاني فكان مشركاً وكان وزره
 فيلسوفاً وقد كان بين زمانيهما تزيد من ألفي سنة . فأن هذا من هذا لا يستويان ولا يشتهبان إلا على غير
 لا يعرف حقائق الأمور • قوله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين) كان سببه أن قريشاً سألو اليهود
 عن شيء يمتحنون به علم رسول الله ﷺ فقالوا لهم سلوه عن رجل طواف في الأرض وعن فتية
 خرجوا لا يدري ما ضلوا فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين . ولهذا قال (قل
 سألتوا عليكم منه ذكراً) أى من خبره وشأنه (ذكراً) أى خيراً نافعاً كافياً في تريف امره وشرح
 حاله فقال (إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبياً) نبي وسعنا مملكته في البلاد وأعطيناه
 من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة . قال
 فتية عن أبي عروانة عن سيك عن حبيب بن حماد قال كنت عند علي بن أبي طالب وسأله رجل عن
 ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال له (سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له في
 النور) وقال أنبيك فسكت الرجل وسكت على رضى الله عنه . وعن أبي اسحاق السبعي عن عمرو بن
 عبد الله الوادعي سمعت معاوية يقول : ملك الأرض أربعة . سليمان بن داود النبي عليهما السلام . وذو
 القرنين ورجل من أهل حلوان . ورجل آخر . قيل له الخضر قال لا • وقال الزبير بن بكار حدثني
 إبراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك عن أبيه عن سفيان الثوري قال بلغني أنه ملك الأرض كلها
 أربعة (مؤمنان وكافران سليمان النبي وذو القرنين ونمرود وبخت نصر) وهكذا قال سعيد بن بشر
 سواء وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال (كان ذو القرنين ملك
 بعد الفروود وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب مد الله له في الاجل
 ونصره حتى قهر البلاد واحتوى على الاموال وفتح المدائن وقتل الرجال وجال في البلاد والقتلاع
 فسار حتى أتى المشرق والمغرب فذلك قول الله (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه
 ذكراً) أى خيراً (إنا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سبياً) أى علماً يطلب اسباب المنازل •
 قال اسحاق وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز فمن اتبعه على دينه وتاب عليه وإلا
 قتله . وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة وعبيد بن يعلى والسدي وقاتدة والضحاك
 (وآتيناه من كل شيء سبياً) معنى علماً وقال قتادة ومطر الوراق معالم الارض ومنازلها واعلامها وآثارها
 وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معنى تعليم الالسة كان لا يفترو قوماً إلا حطهم بنفهم والصحيح أنه
 يعم كل سبب يتوصل به الى نيل مقصوده في المملكة وغيرها فانه كان يأخذ من كل اقليم من الامتة

والمطاعم والازاد ما يكفيه ويمينه على اهل الاقليم الآخر *

وذكر بعض اهل الكتاب أنه مكث ألفا وستائة سنة يحبب الارض ويدعو أهلها الى عبادة الله وحده لا شريك له وفي كل هذه المدة نظر والله أعلم . وقد روى البيهقي وابن عساکر حديثاً متفقاً بقوله (وأتينا من كل شيء سبياً) متولوا جداً وهو منكر جداً . وفي استاده محمد بن يونس الكندي وهو منهم فلماذا لم نكتبه لسقوطه عندنا والله أعلم وقوله (فأتبع سيباً) أى طريقاً (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) يعنى من الارض اتحت الى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربى الذى يقال له أوقياتوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخلجان التى هى مبدأ الاطوال على أحد قولى اربلب الهيئة والثانى من ساحل هذا البحر كما قلنا . وعندنا شاهد مقيب الشمس فيما رآه بالنسبة الى مشاهدته (تقرب في عين حمسة) والمراد بها البحر في نظره فلن من كان في البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتقرب فيه ولهذا قال (وجدها) أى في نظره ولم يقل فإذا هى تقرب في عين حمسة أى ذات حافة . قال كعب الاحبار وهو الطين الاسود . وقرأ بعضهم حامية . وقيل يرجع إلى الاول . وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها . وقد روى الامام احمد عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثني مولى لبيد الله بن عمرو عن عبد الله . قال نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت فقال (في نورا الله الحامية لولا ما يزعم من أمر الله لاحرق ما على الارض) فيه غرابة وفيه رجل مبهم لم يسم ورفضه فيه نظر وقد يكون موقوفاً من كلام عبد الله بن عمرو فإنه أصاب يوم اليرموك زامتين من كتب المتقدمين فكان يبحث منها والله أعلم * ومن زعم من القصص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشى بجيوشه في ظلمات مدداً طويلة قد اخطأوا بعد النجدة . وقل ما يخالف العقل والنقل .

بيان طلب ذى القرنين عين الحياة

وقد ذكر ابن عساکر من طريق وكيع عن أبيه عن مشعر بن سلیمان عن أبي جعفر الباقر عن أبيه زين العابدين خبراً مطولاً جداً فيه أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رقيق فساله ذو القرنين هل تعلم في الأرض عيناً يقال لها عين الحياة فذكر له صفة مكانها فذهب ذو القرنين في طلبها وجعل الخضر على مقدمته فاتبعه الخضر اليها في واد في أرض الظلمات فشرب منها ولم يهد ذو القرنين اليها . وذكر اجتماع ذى القرنين ببعض الملائكة في قصر هناك وأنه اعطاه حجراً فلما رجع إلى بيته سأل العلماء عنه فوضوه في كفة ميزان وجعلوا في مقابلته ألف حجر مثله فوزنها حتى سأل الخضر فوضع قبالة حجراً وجعل عليه حفنة من تراب فرجع به . وقال هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى

بالتراب فسجد له الملاء تكريماً له واعظافاً والله اعلم * ثم ذكر تعالى أنه حكم في أهل تلك الناحية (قلنا إذا القرنين إما أن تصيب وإما أن تنخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً) أى فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة وبدأ عذاب الدنيا لأنه أضر عند الكافر (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وستقول له من أمرنا يسرا) فسداً بالأمر وهو ثواب الآخرة وعطف عليه الاحسان منه إليه وهذا هو العدل والعدل والايمان قال الله تعالى (ثم أتبع سيما) أى سلك طريقاً راجعاً من المغرب إلى المشرق فيقال إنه رجع في ثنتي عشر سنة (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تقطع على قوم لم ينجس لهم من دنسها سترا) أى ليس لهم ميوت ولا اكنان يستترون بها من حر الشمس . قال كثير من العلماء ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر إلى اسراب قد اتخذوها في الارض شبه القبور قال الله تعالى (كذلك وقد احطنا بما لديه خبراً) أى ونحن نعلم ما هو عليه ونحفله ونكافؤه بمراسنتنا في سيره ذلك كله من مغارب الارض إلى مشارقها .

وقد روى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما من السلف أن ذوا القرنين حج ماشياً فلما سمع ابراهيم الخليل بقدمه تقادمه فلما اجتمعا دما له الخليل ووصاه بوصايا ويقال انه جرى فرس ليركبها فقال لا أركب في بلدي الخليل فسخر الله له السحاب وبشرد ابراهيم بذلك فكانت قصته إذا أراد . وقوله تعالى (ثم أتبع سيماً . حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكلمون يعقرون قولاً) يعنى غشياً . يقال انهم هم الترك ابنا عم يأجوج ومأجوج فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تمدوا عليهم وأفسدوا في بلادهم وقطعوا السبل عليهم وبذلوا له حلاً وهو انخراج على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول اليهم فامتنع من أخذ انخراج اكلتوا بما أعطاه الله من الاموال الجزيلة (قل ما مكنت في ربي خير) ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالاً وآلات ليبقى بينهم وبينهم سداً وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون انخروج اليهم إلا من بينهما وبقية ذلك بحار مفرقة وجبال شاهقة فبناه كما قال تعالى من الحديد والتقطر وهو النحاس المذاب . وقيل الرصاص والصحيح الاول فجعل بدل الابن حديداً وبذل الطين نخباً ولهذا قال تعالى (فما استطاعوا أن يظهره) أى يملوا عليه بسلام ولا غيرها (وما استطاعوا له قياً) أى يماول ولا فوس ولا غيرها فقابل الاسهل بالاسهل والاشد بالاشد (قال هذا رحمة من ربي) أى قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بينه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم في تلك الحلة (فاذا جاء وعد ربي) أى الوقت الذى قدر خروجهم على الناس في آخر الزمان (جله ذلك) أى مساوياً للارض ولا بد من كون هذا ولهذا قال (وكان وعد ربي حقاً) كما قال تعالى (حتى إذا ضحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقرب الوعد الحق الآية) ولذا قال ههنا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) يعنى يوم فتح السد على الصحيح (وفتح في

الصور فجمعناهم جمعاً) وقد أوردنا الاحاديث المروية في خروج يأجوج ومأجوج في التفسير وسنوردها ان شاء الله في كتاب الفتن والملاحم من كتابنا هذا إذا انتهينا اليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه ومعوته وهدايته .

قال أبو داود الطيالسي عن الثوري بلغنا أن أول من صافح ذوالقرنين . وروى عن كعب الاحبار انه قال لما حوى إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا هو ملت أن تصنع طعاماً وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهن وتأذن لمن فيه إلا من كانت تمكلى فلا تأكل منه شيئاً فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه فقالت لمن سبطان الله كلكن تمكلى قتلن أى والله ما منا إلا من ائسكت فكان ذلك تسلياً لأمه . وذكر اسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد عن بعض أهل الكتاب وصية ذى القرنين وموعظة أمه موعظة بلغة طويلة فيها حكم وأمور نفيسة وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة وهذا غريب .

قال ابن عساکر وبلغني من وجه آخر أنه عاش ستاً وثلاثين سنة . وقيل كان عمره ثنتين وثلاثين سنة . وكان بعد داود بستمائة سنة وأربعين سنة . وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة وأحدى وثمانين سنة . وكان ملكه ست عشرة سنة . وهذا الذى ذكره انما ينطبق على اسكتند الثانى لا الأول وقد خلط في أول الترجمة وآخرها بينهما والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداءً بجماعة من الحفاظ والله أعلم • وعن جملها واحداً الامام عبد الملك بن هشام راوى السيرة وقد أنكر ذلك عليه الحفاظ أبو القاسم السهيلي رحمه الله انكاراً بليغاً ورد قوله ردّاً شديداً وفرق بينهما تفرقاً جيداً كما قدمنا قل ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذى القرنين تشبهاً بالاول والله اعلم •

ذكر أمتى يأجوج ومأجوج

﴿ وصفاتهم وما ورد من أخبارهم وصفة السد ﴾

هم من ذرية آدم بلا خلاف فلهذا لم الليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من طريق الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فابث بئ النار من ذريتك فيقول يارب وما بئ النار فيقول من كل ألف تسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فيخفف شيب الصير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد • قالوا يا رسول الله أينما ذلك الواحد قال رسول الله ﷺ (ابشروا فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً . وفي رواية قال ابشروا فإن فيكم أميناً ما كانتا في شيء إلا كثرته أى غلبته كثرة وهذا يدل على كثرتهم واتهم اصناف الناس مراراً عديدة . ثم هم من ذرية نوح لان

الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبد نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) وقال تعالى (فأجبتاه وأصحاب السفينة) وقال (وجعلنا ذرية ميم الباقين) وتقدم في الحديث المروي في المسند والسنن أن نوحاً ولد له ثلاثة وهم سام وحام وياث فسام أبو العرب وحام أبو السودان وياث أبو الترك فأجوج وأمجوج طائفة من الترك وهم مغل المغول وهم أشد بأساً وأكثر فساداً من هؤلاء ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم . وقد قيل إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد والجأ يأجوج وأمجوج إلى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم فتركوا من ورائه • فلها قيل لهم الترك .

ومن زعم أن يأجوج وأمجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فخلطت بقراب فخلقوا من ذلك وأنهم ليسوا من حواء فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النوادي في شرح مسلم وغيره وضمفوه وهو جدب بذلك إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن • وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً . فنههم من هو كالنحلة السحوق . ومنهم من هو غاي في القصر . ومنهم من يقترش أذناً من أذنيه ويتطلى بالأخرى فكل هذه أقوال بلا دليل ودرج بالغبير بغير برهان . والصحيح أنهم من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم . وقد قال النبي ﷺ (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً) ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن . وهذا فيصل في هذا الباب وغيره . وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذرية ألفاً فإن صح في خبر قلنا به والا فلا نزاع إذ يحتمل العقل والنقل أيضاً قد يرشد إليه والله أعلم . بل قد ورد حديث مصرح بذلك أن صح قال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصماني حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة عن مسلم عن أبي اسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال (إن يأجوج وأمجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لافسدوا على الناس معاشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذرية ألفاً فصاعداً . وإن من ورائهم ثلاث أمم) (تولى وتوليس ومنك) . وهو حديث غريب جداً واستاده ضعيف . وفيه ذكره شديدة • وأما الحديث الذي ذكره بن جرير في توفيقه أن رسول الله ﷺ ذهب إليهم ليلة الاسراء فدعاهم إلى الله فامتنعوا من إجابته ومانعته وأنه دعا تلك الأمم التي هناك (تولى وتوليس ومنك) فلجاؤوه فهو حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح أحد الكذابين الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث والله اعلم .

فإن قيل فكيف دل الحديث المتفق عليه أنهم فداه المؤمنين يوم القيامة وأنهم في النار ولم يموت إليهم رسل . وقد قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فليجواب أنهم لا يذبون إلا بعد قيام الحجة عليهم والاعذار إليهم كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فإن كانوا في زمن

الذي قبل بث محمد ﷺ قد أتتهم رسل منهم قد قامت على أولئك الحجة وإن لم يكن قد بث الله اليهم رسلا فهم في حكم أهل الفترة . ومن لم تبلغه الدعوة وقد دل الحديث المروى من طرق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ (أن من كان كذلك يتحنن في عرصات القيامة فن أجاب الداعي دخل الجنة ومن أبي دخل النار) وقد أوردنا الحديث بطرقه وألفاظه وكلام الانتماء عليه عند قوله (وما كنا معذبين حتى نبث رسولا) وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري إجماعاً عن أهل السنة والجماعة وامتنعوا لا يقتضي نجاتهم ولا ينافي الأخبار عنهم بأنهم من أهل النار لأن الله يطلع رسوله ﷺ على ما يشاء من أسر الغيب وقد اطّلع على أن هؤلاء من أهل الشقاء وأن سجاياهم تأتي قبول الحق والاعتقاد لهم لا يجيبون الداعي إلى يوم القيامة فيعلم من هذا أنهم كانوا أشد تكذيباً للحق في الدنيا لو بلغهم فيها لأن في عرصات القيامة يتناد خلق من كان مكذباً في الدنيا فأبغض الإيمان هناك لما يشاهد من الأحوال أولى وأحرى منه في الدنيا والله أعلم . كما قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمنا فأرجنا فصل صالحاً إماماً وقفون) وقال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) * وأما الحديث الذي فيه أن رسول الله ﷺ دعاهم ليلة الإسراء فلم يجيبوا فله حديث منك بل موضوع وضه عمرو بن الصبح .

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بنهما من الحديد والنحاس وسأوى به الجبال الصم الشاغحات الطوال فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دينهم . قال البخاري وقال رجل للنبي ﷺ رأيت السد قال وكيف رأيته قل مثل البرد المجرى قال رأيته هكذا . ذكره البخاري مطلقاً بصيغة الجزم ولم أره مستنداً من وجه متصل أرخصه غير أن ابن جرير رواه في تفسيره مرسلًا فقال حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قل ذكر لنا أن رجلاً قال (يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال افنته لي قال كالبرد المجرى طريقة سوداء وطريقة حمراء قل قد رأيته .

وقد ذكر أن الخليفة الواقع بث رسلا من جهته وكتب لهم كتاباً إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينهوا إلى السد فيكشفوا عن خبره وينظروا كيف بناء ذا القرنين على أي صفة فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه باباً عظيماً وعليه أنهار وأنه بناء محكم شاقق متين جداً وأن بقية الدين الحديد والآلات في برج هناك وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المناخبة لتلك البلاد ومحتة في شرق الأرض في جهة الشمال في زاوية الأرض الشرقية الشمالية ويقال إن بلادهم منسمة جداً وأنهم يقاتلون بأصناف من الماشيش من حراثته وزراعة وأصطياد من البر ومن البحر وهم أمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم . فان قيل فما الجمع بين قوله تعالى (فما اصطاعوا) أن يظهره وما استطاعوا له قها) وبين الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها قالت استيقظ رسول الله ﷺ

من نوم محرراً وجهه وهو يقول (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم
يأجوج ومأجوج مثل هذه وخلق تسعين) قلت يا رسول الله أتتهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثرت
النجس . وأخرجاه في الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال قال
رسول الله ﷺ (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد تسعين) . فلجواب أما على قول
من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن وإن هذا استمارة محضة وضرب مثل فلا
اشكال . وأما على قول من جعل ذلك أخباراً عن امر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا اشكال أيضاً
لأن قوله (فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له حياً) أى في ذلك الزمان لأن هذه صفة خير
ماض فلا ينفى وقوعه فيما يستقبل بل إن الله لم يفي ذلك قدراً وتسلطهم عليه بالتدريج قليلاً قليلاً حتى يتم
الاجل ويتقضى الامر المقدور فيخرجون كما قال الله تعالى (وهم من كل حذب يسطون) ولكن الحديث
الآخر اشكل من هذا وهو ما رواه الامام أحمد في مسنده قال حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة
عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال (إن يأجوج ومأجوج ليجفرون
السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شماع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفره غداً فيعودون
اليه كاشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يمسهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون
شماع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفر غداً إن شاء الله ويستقضى فيعودون اليه وهو كهيئة يوم
تركوه فيحفره ويخرجون على الناس فيستقون المياه وتتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى
السماء فترجع وعليها كهيئة الهم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيميت الله عليهم فتناً في
اقتاتهم فيقتلهم بها . قال رسول الله ﷺ (والذى نفس محمد بيده إن دواب الارض لتسمن وتشكر
شكراً من لحومهم ودمائهم ورواه احمد أيضاً عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به وهكذا رواه
ابن ماجه من حديث سعيد عن قتادة إلا أنه قال حديث أبو رافع ورواه الترمذى من حديث أبي
عروة عن قتادة به . ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه قد أخبر في هذا الحديث أنهم كل
يوم يلحسونه حتى يكادوا يندرون شماع الشمس ورائه لرقته فلن لم يكن ردف هذا الحديث محفوفاً
وإنما هو مأخوذ عن كتب الاخبار كما قاله بعضهم قد استرحنا من المؤنة وإن كان محفوفاً فيكون
محولاً على أن تسمنهم هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروى عن كتب الاخبار
أو يكون المراد بقوله (وما استطاعوا له حياً) أى تلفاً منه فلا يبقى أن يلحسوه ولا ينقضوه والله أعلم
وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في الصحيحين عن أبي هريرة فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
مثل هذه وعقد تسعين أى فتح حتماً تلفاً فيه والله أعلم •

﴿ قصة أصحاب الكهف ﴾

قال الله تعالى (أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً فضررنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ثم بشناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً. نحن خص عليك نيام بلحق بهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم حدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاً لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً. وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وبهى لكم من أمركم سرقا. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ونصحبهم أينما طأروا ومزقود وقلوبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم بسط خداعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولما كنت منهم رعباً. وكذلك بشناهم لئلا يلهوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم. قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابشروا أحدكم بوركتم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشرن بك أحدا. انهم ان يظهروا عليكم يرجوكم أو يصدوكم في ملهم ولن تفلحوا إذا أبدا. وكذلك أعفونا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وإن الساعة لأربب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بيانا ربههم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً. سيقولون ثلاثة رابهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب. ويقولون سبعة وثمنهم كلبهم. قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا سراها ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً. ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وإذا ذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً. ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تساً. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبعصره واسمع ما لم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه أحداً)

كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف وخبر نبي القريشين ما ذكره محمد بن اسحاق في السيرة وغيره ان قريشاً بشوا إلى اليهود يألوهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ ويألوهم عنها ليختبروا ما يجيبه فيها فقالوا سلوه عن أنعام ذبحوا في الدهر فلا يدرى ما صنعوا وعن رجل طواف في الأرض وعن الروح فأنزل الله تعالى (ويألوكم عن الروح. ويألوكم عن نبي القريشين) وقال ههنا (أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أى ليسوا بحجب عظيم بالفتية إلى ما اطلعتك عليه من الاخبار الغريبة والآيات الباهرة والسجائب النورية. والكهف هو النار في الجبل. قال شبيب الجلبى

واسم كهفهم حيزم وأما الرقيم فن ابن عباس أنه قال لا أدري ما المراد به . وقيل هو الكتاب المرقوم فيه
اسماؤهم وما جرى لهم كتب من يدهم اختاره ابن جرير وغيره . وقيل هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم .
قال ابن عباس وشعيب الجبائي واسمه بناجلوس . وقيل هو اسم واد عند كهفهم وقيل اسم قرية هنالك
والله أعلم .

قال شعيب الجبائي واسم كلهم حبران واعتناء اليهود بلهم ومعرفة خيرهم يدل على أن زلمتهم
متقدم على ما ذكره بعض المفسرين أنهم كانوا بعد المسيح وأنهم كانوا نصارى . والظاهر من السياق أن
قومهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام . قل كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم كانوا في زمن
ملك يقال له دقيانوس وكانوا من أبناء الاكبر . وقيل من أبناء الملوك واتفق اجتماعهم في يوم عيد لقومهم
فرأوا ما يتعامله قومهم من السجود للأصنام والتعظيم للآلئ فنظروا بين البصيرة وكشف الله عن
قلوبهم حجاب الغفلة والمهم رشدهم فصاروا أن قومهم ليدوا على شيء فخرجوا عن دينهم وانتبها إلى
عبادة الله وحده لا شريك له . ويقال إن كل واحد منهم لما أوقع الله في نفسه ما هداه إليه من التوحيد
انحاز عن الناس واتفق اجتماع هؤلاء القتيبة في مكان واحد كما صح في البخاري (الأدواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) فكل منهم سأل الآخر عن امره وعن شأنه فاخبره
ما هو عليه واتفقوا على الانحياز عن قومهم والتبصر منهم والخروج من بين أظهرهم والنزاع بدينهم
منهم وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور . قال الله تعالى (نحن قصص عليك بنام بلقيس أنهم
قضية آمنوا بربههم وزدتهم هدى ووطئنا على قلوبهم إذ قاموا فافتلوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا إذا شططنا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي
بدليل ظاهر على ما ذهبوا إليه وصاروا من الأمر عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزل قوم وما
يعبدون الا الله) أي واذ فارقتموه في دينهم وتبرأتم مما يعبدون من دون الله وذلك لانهم كانوا يشركون
مع الله كما قال الخليل (انني برا عما يعبدون إلا الذي فطرنى فله سبيدين) وهكذا هؤلاء القتيبة قل بعضهم
اذ قد فارقتم قومكم في دينهم فاعتزلوهم بايديكم لتسلوا منهم أن يوصلوا اليكم شر (فأدوا إلى الكهف
يفشركم ربكم من رحمة وبهوى لكم من أمركم مرهقا) أي يسبل عليكم ستره وتكونوا تحت حفظه
وكفنه ويحبل عاقبة أمركم إلى خير كما جاء في الحديث (اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا
من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة) . ثم ذكر تعالى صفة النار الذي أووا إليه واذ إليه موجه إلى
نحو الشمال واعاقه الجهة القليلة وذلك انهم الاماكن أن يكون المكان قبليا وبابه نحو الشمال قال (وترى
الشمس اذا طلعت ترازو) وقرىء تزود (عن كهفهم ذات اليمين واذ غربت تعرضهم ذات الشمال) فاخبر
ان الشمس متى في زمن الصيف وأشباهه تشرق أول طلوعها في النار في جانبها الغربي ثم تشرق في

الخروج منه قليلا قليلا وهو ازوارها ذات اليمين فترفع في جو السماء ويمتص عن باب النار ثم اذا قضيت للغروب تشرع في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلا قليلا الى حين الغروب كما هو المشاهد بمثل هذا المكان والحكمة في دخول الشمس اليه في بعض الاحيان أن لا يفسد هواؤه (وهم في غفوة منه ذلك من آيات الله) أي يتأزم على هذه الصفة دهرًا طويلا من السنين لا يأكلون ولا يشربون ولا تتدنى اجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن نجده له وليا مرشداً وتحبهم أيتاما وهم رقود) قال بعضهم لان اعينهم مفتوحة فلا تقصد بطول النض (وقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل في كل عام يتحولون مرة من جنب الى جنب ويحتمل أكثر من ذلك فانه أعلم (وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد) قال شيب الجبائي اسم كلهم حمران وقال غيره الوصيد اسكنة الباب . والمراد أن كلهم الذي كان معهم وصحبهم حال افرادهم من قومهم لهم ولم يدخل معهم في الكهف بل ربيض على باب ووضع يديه على الوصيد وهذا من جملة أدبه ومن جملة ما اكرموا به فان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولما كانت التبعة مؤثرة حتى كان في كلب هؤلاء صار باقيا معهم ببقائهم لأن من أحب قوماً ساعد بهم فاذا كان هذا في حق كلب فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل للاكرام . وقد ذكر كثير من القصص والمفسرين لهذا الكتاب نبأ وخبر أطويلا أكثر من متقى من الاسرائيليات وكثير منها كذب وعما لا فائدة فيه باختلافهم في اسمه ولونه .

واما اختلاف العلماء في محلة هذا الكهف فقال كثيرون هو بلرض ايلة . وقيل بلرض ينوي . وقيل بالبقاء . وقيل ببلاد الروم وهو اشدبه والله أعلم . ولما ذكر الله تعالى ما هو الاضع من خبرهم والاهم من أسرهم ووصف حالهم حتى كأن السامع رآه والخير مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم في ذلك الكهف وقلبهم من جنب الى جنب وان كلهم باسط ذراعيه بالوصيد . قال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا وملت منهم رجبا) أي لا عليهم من المهابة والجلالة في أسرهم التي صاروا اليه ولعل الخطاب هنا لجنس الانسان المخاطب لا بخصوصية الرسول ﷺ كقوله (فا يكدبك بعد بالدين) أي أيها الانسان وذلك لان طبيعة البشرية تفر من رؤية الاشياء المهينة غالبا ولهذا قال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا وملت منهم رجبا) ودل على أن الخير ليس كالماينة كما جاء في الحديث لان الخير قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب . ثم ذكر تعالى انه يشهم من رقبتهم بعد نومهم ثلاثمائة سنة وقس سنين فلما استيقظوا قال بعضهم لبعض كم لبتم قالوا لبنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبتم فابشوا احكم بورقكم هذه الى المدينة) أي بدراهمكم هذه يعني التي معهم الى المدينة ويقال كان اسمها دفسوس (فليظنر ايها أركى طامنا أي أطيب مالا) فليأتكم برزق منه (أي بطعام تأكلونه وهذا من زهدهم

ودورهم) (وليتلف) أى فى دخوله اليها (ولا يشعرون بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم يرجوكم أو يسدوكم فى ملتهم ولن تغفلوا اذا أبدا) أى ان عدمتم فى ملتهم بعد اذا اخذكم الله منها وهذا كله لظلمهم انهم رقدوا يوماً أو بعض يوم أو أكثر من ذلك ولم يحسبوا انهم قد رقدوا أزيد من ثلثائة سنة وقد تبدلت الدول أطوارا عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم وجاء غيرهم وذهبوا وجاء غيرهم ولهذا لا خرج أحد من وهو تيدوسيس (١) فبقا قبل وجاء الى المدينة متنكرا لئلا يعرفه أحد من قومه فبقا يحسبه تنكرا له البلاد واستنكره من يراه من اهلها واستنبوا شككه وصفته ودرأه فقال انهم حلوه الى متولهم وخافوا من أمره أن يكون جاسوساً أو تكون له صولة يخشون من مضرتها فقال انه هرب منهم ويقال بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من أمرهم فاضلقوا معه ليربهم مكانهم فلما قربوا من الكهف دخل الى اخوانه فخبروهم حقيقة أمرهم ومقدار ما رقدوا فلهذا أن هذا أمر قدرة الله فيقال انهم استنبوا راقدين ويقال بل ماتوا بعد ذلك .

وأما أهل البلدة فيقال انهم لم يهتدوا الى موضعهم من النار وعى الله عليهم أمرهم ويقال لم يستطعوا دخوله حسا (٢) ويقال مهابة لهم .

واختطفوا فى أمرهم قتالون يقولون (ابنوا عليهم بنيانا) أى سدوا عليهم باب الكهف لئلا يخرجوا أو لئلا يصل اليهم ما يؤذيهم وآخرون وهم التابعون على أمرهم قالوا (لنتخفن عليهم مسجدا) أى مبدأ يكون مباركا لجوارحه هؤلاء الصالحين . وهذا كان شائعا فيمن كتب قبلنا فلما فى شرعنا قد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال (لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا يبنونها مساجد) يخذلوا فافعلوا وأما قوله (وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وإن الساعة لا ريب فيها) فعنى أعتزنا أطلعنا على أمرهم الناس . قل كثير من المفسرين ليعلم الناس أن المهاد حق وإن الساعة لا ريب فيها اذا علموا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلثائة سنة ثم قاموا كما كانوا من غير تغير منهم فإن من أجابهم كما هم قادر على إعادة الأبدان وإن أكلها الديدان وعلى إحياء الاموات وإن صارت اجسامهم وعظامهم رقانا وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون (إنما أسرهم اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) . هذا ويحتمل عود الضمير فى قوله ليعلموا الى أصحاب الكهف إذ علمهم بذلك من أنفسهم ابغ من علم غيرهم بهم ويحتمل أن يعود على الجميع والله أعلم . ثم قال تعالى (سيقولون ثلاثة رابهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثمهم كلبهم) فذكر اختلاف الناس فى كيتهم فكفى ثلاثة أقوال وضف الأولين وقرئ الثالث فدل على انه الحق إذ لو قيل غير ذلك لحكاه ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح

(١) كذا بالاصول والذى فى ابن جرير أن اسمه عليخا وإن تيدوسيس فهو اسم الملك الذى كان على المدينة حين قيامهم من رقدتهم اه محمود الامام . (٢) كذا بالاصول وله جيتا

لوحاه فذل على ماقلناه ولما كان النزاع في مثل هذا لا حائل نحوه ولا جدوى عنده أُرشد نبيه ﷺ الى
الادب في مثل هذا الحال اذا اختلف الناس فيه أن يقول الله أعلم . ولهذا قال (قل رب أعمل بعثهم) وقوله
(ما يعلمهم إلا قليل) أى من الناس فلا تمار فيهم إلا سراة ظاهرا) أى سهلا ولا تتكلف أعمال الجدال
في مثل هذا الحال ولا تستفت في أمرهم احدا من الرجال ولهذا أبهم تعالى عنهم في أول القصة فقال
(إنهم قية آمنوا برهم) ولو كان في قية عندهم كبير قائمة قد كرها عالم التيب والشهادة وقوله تعالى
(ولا تخولن شئ) أى فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله واذا كر ربك اذا نصيت وقل عسى أن يهدين ربى
لاقرب من هذا رشدا) ادب عظيم ارشده الله تعالى اليه وحث خقه عليه وهو ما اذا قال احدم اى سأفعل
في المستقبل كذا فيشرع له ان يقول ان شاء الله ليكون ذلك تحميقاً لزمه لان السيد لا يعلم مايق غدولا
يدرى احذا الذى عزم عليه مقدر املا وليس هذا الاستثناء تليقاً وانما هو الحقيقى ولهذا قال ابن
عباس يصح الى سنة ولكن قد يكون في بعض الحال لهذا ولهذا كما ختم في قصة سليمان عليه السلام حين قال
لا طوفن اليلة على سبعين امرأة تدل كل واحدة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله قيل له قل ان شاء الله فلم
يقبل فطاف فلم تد منهن إلا امرأة واحدة نصف انسان قال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لو
قال ان شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته . وقوله (واذا كر ربك اذا نصيت) وذلك لان النسيان قد
يكون من الشيطان فذكر الله بطوره عن القلب فيذكر ما كان قد نسيه . وقوله (وقل عسى أن يهدين
ربى لأقرب من هذا رشدا) أى اذا اشتبه أمر واشكل حال والتبس أقوال الناس في شئ فارغب
إلى الله يسره لك ويسهله عليك ثم قال (ولبثوا في كهفهم ثلثائة سنين وازدادوا تساً) . لما كان في
الاخبار بطول مدة لبثهم قائمة عظيمة ذكرها تعالى وهذه التسع المزيده بالقرية وهى لتكبير ثلثائة
شمسية فان كل مائة قرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين (قال الله أعلم بما لبثوا) أى اذا سئلت عن مثل
هذا وليس عندك في ذلك هل فرد الامر في ذلك الى الله عز وجل (له غيب السموات والارض)
أى هو العالم بالتيب فلا يظلم عليه إلا من شاء من خلقه أبصر به وسمع) يعنى أنه يضع الاشياء في محالها
ولهذا التام بحقه وبما يستحقونه ثم قال (ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه احدا) أى ربك المنفرد
بالملك والمنصرف وحده لا شريك له .

قصة الرجلين المؤمن والكافر

قال الله تعالى في سورة الكهف بد قصة أهل الكهف (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما
جنتين من اعناب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كثيرا المجتئين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرا
خلالها نهراً وكان له ثمر قبل لصاحبه وهو يحاوره أنا اكثر منك مالا وأعز نفراً ودخل جتته

وهو ظالم لنفسه قل ما ظن أن يبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خييراً منها مقبلاً (إلى قوله) هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقاباً . قل بضئ الناس هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقفاً والجمهور أنه أمر قد وقع وقوله (واضرب لهم مثلاً) يعني لكفار قريش في عدم اجتماعهم بالصفاء والفقراء وازدراءهم بهم واقتدارهم عليهم كما قال تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) كما قدمنا الكلام على قصتهم قبل قصة موسى عليه السلام والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً ويقال إنه كان لكل منهما مال فأتى المؤمن ماله في طاعة الله ومرضاته ابتغاء وجهه * وأما الكافر فانه أخذ له بساتين وهما الجنتان المذكورتان في الآية على الصفة والنت المذكور . فيها عنب ونخيل نصف تلك العنب والزروع في ذلك والانهار ساحة ههنا وههنا للفقير والتزعة وقد استوفت فيها الثمار واضطربت فيها الانهار وابتهجت الزروع والثمار وانفخر مالكهما على صاحبه المؤمن الفقير قاتله (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أي أوسع جناناً . ومراده أنه خير منه ومنه ماذا أغنى عنك انفاقك ما كنت تملكه في الوجه الذي صرفته فيه كان الأولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلي فانفخر على صاحبه (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي وهو على غير طريقة مرضية قال (ما ظن أن يبيد هذه أبدا) وذلك لما رأى من اتساع أرضها وكثرة ماؤها وحسن نبات أشجارها ولو قد بدلت كل واحدة من هذه الأشجار لاستخلف مكانها أحسن منها وزروعها دائرة لكثرة مياهها . ثم قال (وما أظن الساعة قائمة) فوفق بزهرة الحياة الدنيا الغاية وكتب بوجود الآخرة الباقية الدائمة . ثم قال (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خييراً منها مقبلاً) أي ولئن كان ثم آخرة ومعاد فلا جدن هناك خيراً من هذا وذلك لانه اغتر بديناه واعتقد أن الله لم يمهله ذلك فيها إلا لحبه له وحظوته عنده كقول الماص بن وائل فيما قص الله من خبره وخير خباب بن الارت في قوله (أفرايت الذي كفر يا أتانا) وقال (لا وتين مالا وولدا . أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) وقال تعالى اخباراً عن الانسان إذا أضم الله عليه (ليقرن هنالك) وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إنى عنده للحسنى قال الله تعالى (فلننبئ الذين كفروا بما عملوا ولننذيقهم من عذاب غليظ) وقال قارون (إنما أوتيته على علم عندي) أي لم الله في أي استخه قال الله تعالى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جماعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) وقد قدمنا الكلام على قصته في اثناء قصة موسى . وقال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تحربكم عندنا زلنى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزء النصيب بما عملوا وهم في الفرقت آمنون) . وقال تعالى (أيعسبون أنما نعذبهم من مال وبينين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) . ولما اغتر هذا الجاهل بما خول به في الدنيا ففجد الآخرة وادعى أنها ان وجدت ليجدن عنده خيراً مما هو فيه وسمعه صاحبه يقول ذلك قال له

(وهو يحاوره) أى يبادله (أ كثر بالذى خلقك من تراب ثم من فطنة ثم سواك رجلاً) أى أوجدت
المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب . ثم من فطنة ثم صورك أطواراً حتى صرت رجلاً سواً مهيأً
بصيراً قلم وتبسط ومنهم فكيف أنكرت المعاد والله قادر على البداية (لكننا هو الله ربى) أى لكن أنا
أقول بخلاف ماقلت وأعقد خلاف معتقدك (هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً) أى لأبعد سواه واعتقد
أنه يمت الأجساد بعد فتلها ويميد الاموات ويجمع المظالم الرغلت وأعلم أن الله لا شريك له فى خلقه ولا
فى ملكه ولا إله غيره ثم أرشده إلى ماكان الاولى به أن يسلكه عند دخول جنته فقال (ولولا إذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ولهذا يستحب لكل من أعجبه شئ من ماله أو أهله أو حاله أن
يقول كذلك وقد ورد فيه حديث مرفوع فى محته نظر * قال أبو يعلى الموصلى حدثنا جراح بن مخلد حدثنا
عمر بن يوسف حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارَةَ عن أنس قال قال رسول الله ﷺ
(ما أقسم الله على عبد نعمة من أهل أو مل أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فيرى فيه أنه (١) دون
الموت وكان يتأول هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) قال الحافظ
أبو الفتح الأزدى عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارَةَ عن أنس لا يصح ثم قال المؤمن للكافر
(نفسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك) أى فى الدار الآخرة (وبرسل عليها حساباً من السماء) قال
ابن عباس والضحاك وقادة أى عذاباً من السماء . والظاهر أنه المطر المزجج الباهر الذى يقتل زروعها
وأشجارها فتصبح صعيداً زلقاً (وهو السراب الاملس الذى لا نبات فيه) (أو يصبح مأوفاً غوراً)
وهو ضد الممين السارج (فلن تستطيع له طلباً) يعنى فلا تقدر على استرجاعه قال الله تعالى (وأحيط بشره)
أى جاءه أسر أحاط بجميع حواصله وخرّب جنته ودمرها (فأصبح يقلب كفيه على ما عاق فيها وهى
خاوية على عروشها) أى خربت بالسكينة فلا عودة لها وذلك ضد ما كان عليه أمل حيث قال (وما أظن
أن تبيد هذه أبداً) وندم على ما كان سلف منه من القول (الذى كذب به بالله العظيم) فهو يقول ياليتنى لم
أشرك بربى أحداً . قال الله تعالى (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كن متصرماً هناك)
أى لم يكن أحد يتدارك ما فرط من أمره وما كان له قدرة فى نفسه على شئ من ذلك كما قال تعالى (فإله
من قرة ولا ناصر) وقوله (الزلزاله لله الحق) ومنهم من يتحدى بقوله (هناك الزلزاله لله الحق) وهو
حسن أيضاً لقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عيراً) فلحكم الذى لا يرد ولا
يمنع ولا يضال فى تلك الحال وفى كل حال لله الحق . ومنهم من رفع الحق جملة صفة للولاية وهما
متلازمان وقوله (هو خير ثواباً وخير عقاباً) أى معاملته خير لصاحبها ثواباً وهو الجزاء وخير عقاباً وهو
العاقبة فى الدنيا والآخرة . وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يفتن

بها ولا يثق بها بل يجمل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه. ولكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده. وفيها أن من قدم شيئاً على طاعة الله والافتاق في سيده غلب به وربما سلب منه معاملة له بتقيض قصده. وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وإن مخالفته وبال ودمل على من رد النصيحة الصحيحة. وفيها أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر وعند الأمر الحزم وبالله المستعان وعليه التكلان *

❦ قصة أصحاب الجنة ❦

قال الله تعالى (إنا بلونهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرنها مصبيين. ولا يستنون. فظاف عليها طائف من ربك وهم ناعمون. فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصبيين. أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين. فاضلقتوا وهم يتخافون. أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا إنا لضالون. بل نحن محرومون. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون. قلوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلامحون * قالوا ياولنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك المذاب والمذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) . وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أنهم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم اليهم فقابلوه بالكذب والمخالفة كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كثرة وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وفس الرار) . قال ابن عباس م كفار قريش ضرب تعالى لهم مثلاً بأصحاب الجنة المشتعلة على أنواع الزروع والثمار التي قد انتهت واستحقت أن تعبد وهو الصرام ولهذا قال (إذ أقسموا) فيما بينهم (ليصرنها) أي ليحطنها وهو الاستغلال (مصبيين) أي وقت الصبح حيث لا يرام قدير ولا يحتاج فيعطوه شيئاً غفلوا على ذلك ولم يستنوا في عيهم فجزم الله وسلط عليها الآفة التي أحرقتها وهي الضفة التي اجتاحتها ولم تبق بها شيئاً يتنفع * ولهذا قال فظاف عليها طائف من ربك يوم ناعمون * فأصبحت كالصريم) أي كالليل الأسود المنصرم من الضياء وهذه معاملة بتقيض المقصود (فتنادوا مصبيين) أي فاستيقظوا من نومهم فنادى بعضهم بعضاً قائلين (اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أي باكروا إلى بتانكم فصرموا قبل أن يرفع التهار ويكثر السؤال (فاضلقتوا وهم يتخافون) أي يتحدثون فيما بينهم خفية قائلين (لا يدخلها اليوم عليكم مسكين) أي اتفقوا على هذا واشتدوا عليه (وغدوا على حرد قادرين) أي اضلقتوا مجدين في ذلك قادرين عليه مضربين على هذه النية الفاسدة. وقال عكرمة والشامي (وغدوا على حرد) أي غضب على المساكين وأبد السدى في قوله أن اسم حرثهم حرد (فلما رأوها) أي وصلوا إليها و نظروا ما حل بها وما قد صارت إليه من الصفة المنكرة بعد تلك النفرة والحسن والبهجة فاهلقت بسبب النية الفاسدة فتند ذلك (قالوا إنا لضالون) أي قد نهينا عنها وملكتنا غير طريقها ثم قالوا (بل نحن محرومون) أي بل عوقبتنا بسبب سوء قصدنا وحرماننا بركة حرثنا (قال أوسطهم) . قال ابن عباس

ومجاهد وغير واحد هو أعلمهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) قيل تسبحون قاله مجاهد والسدى وابن جرير وقيل يقولون خيراً بدل ما قلتم من الشر (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا ياولنا إنا كنا طاغين) . فندموا حيث لا ينفع الندم واعترفوا بالذنب وبد القوة وذلك حيث لا ينج وقد قيل إن هؤلاء كانوا آخره وقد ورثوا هذه الجنة من أبيهم وكان يتصدق منها كثيراً فلما صار أمرها اليهم استهجنوا أمر أبيهم وأرادوا استقلالاً من غير أن يعطوا الفقراء شيئاً فما قبلهم الله أشد العقوبة ولهذا أمر الله تعالى بالصدقة من الثمار وحث على ذلك يوم الجدار كما قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) ثم قيل كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها ضروان . وقيل من أهل الحبشة والله أعلم قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى هكذا فنبذ من خالف أمرنا ولم يصطف على المحابيح من خلقنا (ولعذاب الآخرة أكبر) أى أعظم وأحكم من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) . وقصة هؤلاء شئنا بقوله تعالى (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والضيق بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) قيل هذا مثل مضروب لأهل مكة وقيل هم أهل مكة أنفسهم ضربهم مثلاً لأنفسهم ولا يتألف ذلك والله أعلم اهـ

❦ قصة أصحاب ايلة الذين اعتدوا في سبهم ❦

قال الله تعالى في سورة الاحراف (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبهم شرعاً ويوم لا يجنون لأنبيهم كذلك نجولهم بما كانوا يضفون . واذ قالت أمة منهم لم نظنون قرماً الله مهلكهم أو مضفهم عذاباً شديداً قالوا مفرة الى ربكم ولهم ينظون . فلما فسوا ماذكروا به آيحيما الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظفوا بذاب ببس بما كانوا يضفون . فلما حتوا عما ننهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسفين) وقال تعالى في سورة البقرة (وقد علم الذين اعتدوا منكم في السبت قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناهم نكالا للذين يبدفوا وما خلفها وموعظة للفتين) وقال تعالى في سورة النساء (أو) ظفهم كما لنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) . قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقادة والسدى وغيرهم هم أهل ايلة . زاد ابن عباس بين مدين والطور . قالوا وكانوا متسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان فكانت الحيتان قد ألفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطيد فيه وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمسكسب فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكثر غشيانها لظفهم من البحر فتأفف من هنا وهناك فظاهرة أمة مسترسلة فلا يهيجونها ولا يذفرونها (ويوم لا يجنون لأنبيهم) وذلك لأنهم كانوا يضفونها فإعدا السبت

قال الله تعالى (كذلك نلوم) أى نختبرهم بكثرة الحيتان في يوم السبت (بما كانوا يضقون) أى بسبب فسقهم المتقدم فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطليادها في يوم السبت بأن فصبوا الحبال والشباك والشصوص وحفروا الحفر التى يجرى منها الماء الى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها فضلوا ذلك في يوم الجمعة فلذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت عقلت بهذه المصائد فلذا خرج منهم أخدوها فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف أمره وانتهكوا عماره بلحيل التى هى ظاهرة للنظر وهى فى الباطن مخالفة محضة فلما فعل ذلك طاعة منهم افترق الذين لم يضلوا فرقتين . فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا واحتالهم على مخالفة الله وشرعه فى ذلك الزمن . وفرقة أخرى لم يضلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا (لم تضلون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) يقولون ما الفائدة فى نهيكهم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لاحتالهم فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا (منذرة إلى ربكم) أى فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتقوم به خوفاً من عذابه (ولعلمهم يتقون) أى ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع فيقيم الله عذابه ويفرض عليهم إذا هم رجعوا واستمعوا . قال الله تعالى (فلما فسوا ما ذكروا به) أى لم يلتفتوا الى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفظيع (انجيئنا الذين ينهون عن سوء) وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والنهي عن المنكر (وأخذنا الذين ظلموا) وهم المرتكبون الفاحشة (بمذابئ يس) وهو الشديد المؤلم الموجع (بما كانوا يضقون) . ثم فسر العذاب الذى أصابهم بقوله (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونا قررة خاسفين) . وسنذكر ماورد من الآيات فى ذلك . والمقصود هنا أن الله أخبر أنه أهلك الظالمين ونجى المؤمنين المنكرين وسكت عن الساكنين . وقد اختلف فيه العلماء على قولين قيل لهم من الناجين وقيل لهم من المالكين والصحيح الأول عند المحققين وهو الذى رجح اليه ابن عباس أمام المفسرين وذلك عن مناقرة مولاه عكرمة فكساه من أجل ذلك حلة سفية تكرمه . قلت وانما لم يذكرها مع الناجين لأنهم وإن كرهوا يوم اطعمهم تلك الفاحشة إلا أنهم كان ينبغي لهم أن يحملوا غلواهم بالمثل المأمور به من الانكار القولى التى هو أوسط المراتب الثلاث التى أعلاها الانكار باليد ذات البتان وبدها الانكار القولى باللسان وثلاثها الانكار بالجان فلما لم يذكرها نجوا مع الناجين إذ لم يضلوا الفاحشة بل أنكروها . وقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس وحكى مالك عن ابن رومان وشيبان عن قتادة وعطاء الخراساني ما يضمنونه أن الذين ارتكبوا هذا الصنع اعترضهم بقية أهل البلد ونهاتهم من نهم منهم لم يقلوا فكثروا يبيتون وحدهم وينفقون بينهم وبينهم أبواباً حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم فلبسوا ذات يوم وأبواب لجنهم مشقة لم يتنحروها وارتفع النهار واشتد الضياء فأمر بقية أهل البلد رجالاً أن يصعد على سلام ويشرف عليهم من فوقهم فلما أشرف عليهم إذ هم قررة لما أذنب يتماوون ويتجادون فتفتحوا عليهم الأبواب

فجملت القردة تعرف قرايبهم ولا يعرفهم قرايبهم فجلسوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون ألم نهنكم عن
صنيعكم فتشير القردة برؤسها أن نعم . ثم بكى عبدالله بن عباس وقال إنا نرى منكرات كثيرة ولا ننكرها
ولا نقول فيها شيئاً . وقال السوفى عن ابن عباس صار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير . وروى
ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس أنهم لم يعيشوا إلا فوقاً ثم هلكوا ما كان لهم ذل وقال
الضحاك عن ابن عباس أنه لم يش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل هؤلاء ولم يشربوا ولم ينلوا وقد
استقصينا الآمل في ذلك في تفسير سورة البقرة والاعراف . والله الحمد والمنة . وقد روى ابن أبي حاتم
وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال مسخت قلوبهم ولم يسخرها قردة وخنازير
وانما هو مثل ضربه الله (كمثل الجار يحمل اسفارا) وهذا صحيح اليه وغريب منه جداً وخالف لظاهر
القرآن ولما نص عليه غير واحد من السلف والخلف والله أعلم * ﴿ قصة أصحاب القرية ﴾ (إذ
جاءها المرسلون) تقدم ذكرها قبل قصة موسى عليه السلام ﴿ قصة سبأ ﴾ سيأتي ذكرها
في أيام الرب إن شاء الله تعالى وبه الثقة * ﴿ قصة قارون وقصة بلعام ﴾ تقدمتا في قصة
موسى وهكذا (قصة الخضر) و (قصة فرعون والسحرة) كلها في ضمن قصة موسى و (قصة البقرة)
تقدمت في قصة موسى وقصة (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) في قصة حزقيل
وقصة (الملائكة) بنى امرائيل من بعد موسى في قصة شمويل وقصة (الذي مر على قرية) في
قصة عزير *

﴿ قصة لقمان ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر فلما يشكر لنسه ومن كفر فإن الله غنى
جيد .) وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بالديه
حمله أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير . وإن جاهدك على أن
تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا مروةً واتبع سبيل من أطلب إلي ثم لي
مرجعكم فأنتمكم بما كنتم تعملون . يا بني اتها إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات
أو في الأرض يأتي بها الله إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصرخ ضدك فتدعى ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله
لا يحب كل غناز غفور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لصوت الجير) .
هو لقمان بن عطاء بن سدون . ويقال لقمان بن ثوران حكاه السهيلي عن ابن جرير والتبني . قال السهيلي
وكان نوبيا من أهل أيلة . قلت وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة وعبرة وحكمة عظيمة . ويقال كان قاضياً في
زمان داود عليه السلام فله أعلم . وقال سفيان الثوري عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان

عبدًا حبشيًا نجارًا . وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى اليك في شأن لقمان قال كان قصيرا اقلس من النوبة . وقال يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر اعطاه الله الحكمة ومنه النبوة . وقال الأوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال جاء اسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد لا تحزن من أجل انك اسود فانه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان الحكيم كل اسود نوبيا ذا مشافر . وقال الاعشى عن مجاهد كان لقمان عبداً اسود عظيم الشئتين مشفق القدمين وفي رواية مصنف القدمين . وقال عرب بن قيس كان عبداً اسود غليظ الشئتين مصنف القدمين فانه رجل وهو في مجلس أنس يحدثهم فقال له ألسنتي كنت ترعى معي الخنم في مكان كذا وكذا قل نعم قال فما بلغ بك ما أرى قل صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني رواه ابن جرير عن ابن حميد عن الحكم عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن ابن أبي يزيد بن جابر قال إن الله رفع لقمان الحكيم لحكمته فأراه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال ألسنتي كنت ترعى غنى بالاس قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال قدر الله واداء الأمانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني وقال ابن وهب أخبرني عبد الله بن عياش الغنائي عن عمر مولى حفرة قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبدني النحل قال نعم قل فأت راعي النمل الاسود قال أما سوادى فظاهر فما الذي يسببك من أمرى قال وطء الناس باطلك وغشيتهم بابلك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال ما هو قال لقمان غضى بصرى وكفى لسانى وعنة مطبى وحفظى فرجى وقيامى بدنى ووفائى بهدى وتكرمتى ضيق وحفظى جارى وتركى ما لا يعنينى فذاك الذى صيرنى كما ترى . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة ابن رباح عن ربيعة عن أبي الدرداء أنه قال يوما وذكر لقمان الحكيم قال ما أوفى من أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا ضمامة^(١) سكيناً طويل التفكير عيق النظر لم ينم نهراً قط ولم يره أحد يمزق ولا يقتنع ولا يبول ولا يتغوط ولا ينسل ولا يبيت ولا يضطك وكان لا يبعد متعاقاً فقهه إلا أن يقول حكمة يستبدها إياه أحد وكان قد تزوج وولده أولاد فأتوا غم يبك عليهم وكان ينشئ السلطان ويأتى الحكماء لينظر ويفكر ويستبر فبذلك أوفى ما أوفى * ومنهم من زعم أنه عرضت عليه النبوة لخاف أن لا يقوم بأعبائها فاختار الحكمة لأنها أسهل عليه وفي هذا نظر والله أعلم . وهذا مروى عن قتادة كما سذكره . وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق وكيع عن اسرائيل عن جابر الجعفي عن عكرمة أنه قال كان لقمان نبياً وهذا ضيف لحال الجعفي .

والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيما وليا ولم يكن نيا وقد ذكره الله تعالى في القرآن ثامني عليه
وحكى من كلامه فيها وعظه به ولله الذي هو أحب لخلق اليه وهو أشقى الناس عليه فكان من أول
ما وعظه به أن قال (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . فنهاه عنه وحذره منه . وقد قال البخاري
حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الاعشى عن ابراهيم عن عقبة عن عبد الله قال لما تزمت (الذين آمنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقتلوا أيتاما لم يلبس ايمانهم بظلم فقال رسول
الله ﷺ إنه ليس بذلك ألم تسمع الى قول لقمان (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) رواه مسلم
من حديث سليمان بن مهران الاعشى به ثم اعترض تعالى بالوصية بالوالدين وبين حقهما على الولد تأكده
وأمره بالاحسان اليهما حتى ولو كانا مشركين ولكن لا يطاعان على النحول في دينهما الى أن قال غيرا عن
لقمان فيها وعظه به ولله (يا بني اتها ان تلك محال حبة من خردل فحكن في صخرة أو في السموات أو
في الارض يأتي بها الله إن الله لطيف خبير) ينهاه عن ظلم الناس ولو بحجة خردل فان الله يسأل عنها
ويحضرها حوزة الحساب ويضمها في الميزان كما قال تعالى (ان الله لا يظلم مقال ذرة) وقال تعالى (ونضع
الموازين السقط لיום القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان محال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)
وأخبره أن هذا الظلم لو كان في الحفارة كالنردلة ولو كان في جوف صخرة صاه لا يلب لها ولا كوة أو لو
كانت ساقطة في شيء من ظلمات الارض أو السموات أو اتصاعها وامتداد أرجائها لم الله مكنها
(إن الله لطيف خبير) أي علمه دقيق فلا يخفى عليه القدر مما رأى لتناظر أو توارى كما قال تعالى (وما
ننطق من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) وقال
(وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) وقال (عالم الغيب لا يعزب عنه مقال ذرة في
السموات ولا في الارض ولا أضمر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) وقد زعم السدي في خبره
عن الصحابة أن المراد بهذه الصخرة الصخرة التي تحت الارضين السبع وهكذا حكى عن عطية السوفى
وأبي مالك والثوري والتمال بن عمر وغيرهم وفي حصة هذا القول من أصله نظر . ثم ان في هذا هو
المراد فنظر آخر فان هذه الآية منكرة غير معرفة فلو كان المراد بها مقالوه فقال فحكن في الصخرة واتما
المراد فحكن في صخرة أى صخرة كانت كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لمية
حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال لو أن أحدكم يسئل في صخرة
صاه ليس لها باب ولا كوة يخرج عنه الناس كنا ما كن ثم قال (يا بني أقم الصلاة) أى أدها بجميع
واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطأيتها وخشوعها وما شرع فيها واجتنب
ما ينهى عنه فيها . ثم قال (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) أى ببجدهك وطاقتك أى ان استطعت
بليد قبائك والا فبلسانك فان لم تستطع فبقيلك ثم أمره بالصبر قال (واصبر على ما أصابك) وذلك ان

الآسر بالمعروف والنهي عن المنكر في مظنة أن يهادى ويثأل منه ولكن له العاقبة ولهذا أمره بالصبر على ذلك ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج وقوله (ان ذلك من عزم الأمور) التي لا بد منها ولا يحيد عنها . وقوله (ولا قصر خدك للناس) قل ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك ويزيد بن الاصم وأبو الجوزاء وغير واحد مناه لا تتكبر على الناس وتميل خدك حال كلامك لهم وكلامهم لك على وجه التكبر عليهم والازدراء لهم . قال أهل اللغة وأصل الصبر داء يأخذ الابل في أعناقها فتلتوى رؤسها فتشبه به الرجل المتكبر القوي يميل وجهه اذا كلم الناس أو كأموه على وجه التعظم عليهم قل أبو طالب في شعره

وكننا قديما لا نهر خلافة اذا ما تنواصر الخلدود قهيمها

وقل عمرو بن حبي التثلي وكنا اذا الجبار صر خده أقننا له من ميله فقوما

وقوله (ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور) ينهاه عن التبخثر في المشية على وجه العظمة والفخر على الناس كما قال تعالى (ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) . يعني لست بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك هذه ولست بدقك الأرض برجلك تخرق الأرض بوطئك عليها ولست بتشاغلك وقاططك وترضك تبلغ الجبال طولا فاقصد على نفسك فلت تمدو قدرك . وقد ثبت في الحديث ينأ رجل يمشي في برده يتبخثر فيها اذ خفف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفي الحديث الآخر (ايك واسبال الازار قاتها من الخيلة لا يجهها الله) كما قل في هذه الآية (ان الله لا يحب كل مختال فخور) ولما نهاه عن الاختيال في المشي أمره بالقصد فيه قائم لا بد له أن يمشي فتناه عن الشر وأمره بالتخير فقال واقصد في مشيك أي لا تتباطأ مفرطا ولا تسرع اسراعا مفرطا ولكن بين ذلك قواما كما قال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) ثم قل (وأغضض من صوتك) يعني اذا تكلمت لا تتكلمك رفع صوتك فان أرفع الاصوات وأنكرها صوت الحير . وقد ثبت في الصحيحين الامر بالاستمادة عند سماع صوت الحير بالليل قلها رأيت شيطانا ولهذا نهى عن رفع الصوت حيث لا حاجة اليه ولا سيما عند العلاس فيستحب خفض الصوت وتخدير الوجه كما ثبت في الحديث من صنع رسول الله ﷺ فلما رفع الصوت بلاذان وعند الدعاء الى الفتنه لقتال وعند الاهلاك ونحو ذلك فذلك مشروع فهذا بما قصه الله تعالى عن قهتان عليه السلام في القرآن من الحكم والوصايا النافعة للجامة للخير المأمرة من الشر وقد وردت آثار كثيرة في أخباره ومواعظه وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة قهتان ونحن نذكر من ذلك ما ينسب إن شاء الله تعالى .

قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا سفيان أخبرني نسيك بن يجمع الضبي

عن قزعة عن ابن عمر قال أخبرنا رسول الله ﷺ قال إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن موسى ابن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله ﷺ قال قال لقمان لابنه وهو يظنه يابني إياك والتفتع فانه خونة بليل مذمة بالنهار وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عارة حدثنا ضرة حدثنا السري بن يحيى قال لقمان لابنه (يابني إن الحكمة أجلس المساكين مجالس الملوك) وحدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله قال قال لقمان لابنه يابني إذا أتيت لذي قوم فادهم بهم الاسلام يعني السلام ثم اجلس بناحيهم فلا تنطق حتى ترام قد ضقوا ذن أقاضوا في ذكر الله فاجل سبهم معهم وإن أقضوا في غير ذلك فحول عنهم الى غيرهم وحدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا ضرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جراباً من خر دل الى جانبه وجعل يظ ابنه وعظله ويخرج خرقة حتى غدا لخر دل قال يابني قد وعظتك وعظلة لو وعظها جبل تغداً قل فغضط ابنه. وقل أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراقي حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن الطرائقي عن ابن سفيان المقدسي عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ (انخذوا السودان فان ثلاثة منهم من أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن قال الطبراني يعني الحديث وهذا حديث غريب منكر وقد ذكر له الامام أحمد في كتاب الزاهد ترجمة ذكر فيها فوائد مهمة جداً فقال حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد (وقد آتينا لقمان الحكمة) قال الله والاصابة في غير نبوة. وكذا روى عن وهب بن منبه وحدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبداً حبشياً وحدثنا اسود حدثنا حماد عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطاً وحدثنا سياد حدثنا جعفر حدثنا مالك يعني بن دينار قال قال لقمان لابنه يابني اتخذ طاعة الله تجارة فأتاك الأرباع من غير بضاعة. وحدثنا يزيد حدثنا أبو الاشهب عن محمد بن واسع قال كان لقمان يقول لابنه يابني اتق الله ولا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك قلج. وحدثنا يزيد بن هرون وو كيع قال حدثنا أبو الاشهب عن خالد الربيعي قال قال لقمان عبداً حبشياً نجاراً قال له سيده اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال اتقى بطيب مضتين فيها فأتاه بالسان والقلب قال اما كان فيها شيء. أطيب من هذين قال لا قال فكنت عنه ما سكت ثم قال له اذبح لي شاة فذبح له شاة قال له وأتى أخبثا مضتين فرمى بالسان والقلب قال أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضتين فأنتى بالسان والقلب وأمرتك أن تلقى أخبثا مضتين فألقيت بالسان والقلب قال له إني ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا. وحدثنا داود بن رشيد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر عن أبي عثمان رجل من أهل البصرة يقال له الجعد أبو عثمان قال قال لقمان لابنه لا ترغب في ود الجاهل

فيرى أنك ترضى عمله ولا تهان بقت الحكيم فيزهد فيك . وحدثنا داود بن أسيد حدثنا اسماعيل ابن عياش عن ضميم ابن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن عبد الله بن زيد قال قال لقمان ألا أن يد الله على أفواه الحكما لا يتكلم أحدكم إلا ما لهيأ الله له . وحدثنا عبد الرزاق سمعت بن جريج قال كنت أقتع رأس بلبل فقال لي عمر أما علمت أن لقمان قال القناع بالهار مدة مدبرة أو قال مسبرة بالبلبل فلم تنزع رأسك بالبلبل قال قلت له إن لقمان لم يكن عليه دين . وحدثني حسن بن المنيد حدثنا سفيان قال لقمان لابنه يا بني ما ندمت على السكوت قط وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وحدثنا عبد الصمد ووكيم قالا حدثنا أبو الاشهب عن قتادة أن لقمان قال لابنه يا بني اعزل الشر يمتزلك فإن الشر للشر خلق . وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يا بني إياك والرجب فإن الراجب كل الراجب يعد القريب من القريب ويزيل الحكم كما يزيل الطرب . يا بني إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب ممحقة لقواد الحكيم . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا ثاقب بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد بن عمير قال قال لقمان لابنه وهو يظله (يا بني اختر المجالس على حينك فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالما يتنك عليك وإن تك غيباً يملوك وإن يظلم الله عليهم برحمة تصيبك معهم . يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه فانك إن تك عالما لا يتنك عليك وإن تك غيباً يزيدوك غيباً وإن يظلم الله إليهم يبد ذلك بسخط يصيبك معهم يا بني لا تقبلوا أمراء ربح القراعين يظفك دماء المؤمنين فإن له عند الله قاتلاً لا يموت . وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة (بني تكن كلنك طيبة وليكن وجهك بسطا تكن أحب إلى الناس من مطيرهم المعاء) وقال مكتوب في الحكمة أو في التوراة (الرفق رأس الحكمة) وقال مكتوب في التوراة كما ترحون ترحون وقال مكتوب في الحكمة (كما تزرعون تحصدون) وقال مكتوب في الحكمة أحب خليلك أو خيلك إليك . وحدثنا عبد الرزاق عن مسر عن أيوب عن أبي قلابة قال (قيل لقمان أي الناس أصبر قال صبر لا يتعبه أدنى . قيل فأى الناس أعلم قال من ازداد من علم الناس إلى علمه . قيل فأى الناس خير قال النفي . قيل النفي من المال قال لا ولكن النفي الذي إذا تمس عنه خير وجد والا أخفى خسه عن الناس .

وحدثنا سفيان هو ابن عبيد قال قيل لقمان أي الناس شر قال القبي لا يبالي أن يراه الناس مسيحاً . وحدثنا أبو الصمد عن مالك بن دينار قال وجدت في بعض الحكمة يمد الله عظام القرب يتكلمون بأهواء الناس ووجدت فيها لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم وما تعلم بما قد علمت فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فحزم حزمة ثم ذهب يحملها فحزم عنها فضم إليه أخرى . وقال عبد الله بن أحمد حدثنا الحكم بن أبي زهير وهو الحكم بن موسى حدثنا الفرج بن فضالة عن أبي سعيد قال قال لقمان لابنه

(بأنى لا يأكل طعامك إلا الاثيماء وشاور في أمرك العلماء . وهذا مجموع ما ذكره الامام أحمد في هذه المواضع وقد قمنا من الأكثر كثيراً لم يروها كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخراعى حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاخار الحكمة على النبوة قال فأباه جبريل وهو قائم فدر عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها . قال سعد سمعت قتادة يقول قيل لقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال إنه لو أرسل إلى بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنك أرجو أن أقوم بها ولكن خيري خفت أن أضف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلى . وهذا فيه نظر لأن سعيد بن بشير عن قتادة قد تكلموا فيه والنسب رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال يبنى الله والاسلام ولم يكن نبياً ولم يوح اليه . وهكذا نص على هذا غير واحد من السلف منهم مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس والله أعلم .

حـ قصة اصحاب الاخدود

قال الله تعالى (والساء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود . اذم عليها قوم . و هم على ما يضلون بالمؤمنين شهود . وما هموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شئ شهيد ان الذين خفوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) . قد تكلمنا على ذلك مستقصى في تفسير هذه السورة والله الحمد . وقد زعم محمد بن اسحاق أنهم كانوا يمدحون المسيح وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله . وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع مكر في العالم مراراً في حق المؤمنين من الجبابرة الكافرين ولكن هؤلاء المذكورون في القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع وأثر أورده ابن اسحاق وهما متارضان وهما نحن نوردهما لتفق عليهما . قال الامام أحمد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال لملك اتى قد كبرت سنى وحضر أجل فلدفع إلى غلاماً فلأعلمه الساحر فدفع إليه غلاماً فكان يملأه السحر وكان بين الملك وبين الساحر راهب فألقى النلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجب نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما جيك وإذا أتى أهله ضربه وقال ما جيك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك قتل جنى أهلى وإذا أراد أهلك أن يضربوك قتل جنى الساحر قال فبينا هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظلمة عظيمة قد جبت الناس فلا يستطيعون أن يمشوا فقال اليوم أعلم أمر الساحر أحب إلى الله أم أمر الراهب قال فأخذ حجراً فقال انهم إن كان أمر الراهب

أحب اليك وأرضى من أمر الساحر فاقبل هذه الهدية حتى يجوز الناس ورماعها فقتلها ومضى فأخبر الراهب بذلك فقال أى بنى أنت أفضل منى وأنتك ستبقى فإن ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرىء الا كنه والأبرص وسائر الأعداء ويشفيهم الله على يديه وكان جليس الملك فمضى فسمع به فأعلم بهدايا كثيرة قال اشئني ولك ما همنا اجمع فقال ما أنا اشئني أحدا إنما يشئني الله عز وجل فإن أمنت به ودعوت الله شفاك فأمن فدعا الله فشفاه . ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك فقال ربى قل أنا قل لا ربى وربك الله قال ولك رب غيرى قال نعم ربى وربك الله فلم يزل يمدبه حتى دل على الغلام فأتى به فقال أى بنى بلغ من سحرك أن تبرىء الا كنه والأبرص وهذه الادواء قال ما شئني أنا أحدا إنما يشئني الله عز وجل قال أنا قل لا قل أولئك رب غيرى قال ربى وربك الله قال فانخذ أيضا بالعدايب ولم يزل به حتى دل على الراهب فأتى الراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاء وقال للاعلى ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاء وقل للغلام ارجع عن دينك فأبى فبست به مع فر الى جبل كذا وكذا وقل اذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه والا فدهدوه فذهبوا به فلما علوا الجبل قل اللهم اكفنيهم بما شئت فرجع بهم الجبل فدهدوهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فبست به مع فر فى قرقرة قال اذا لجيتهم البحر فإن رجع عن دينه والا فاغرقوه فى البحر فلبججوا به البحر فقال الغلام (اللهم اكفنيهم بما شئت ففرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله . ثم قال الملك انك لست بقاتل حتى تحمل ما أمرك به فإن أنت ضلت ما أمرك به قتلتنى والا فانك لا تستطيع قتلى قل وما هو قال يجمع الناس فى صيد واحد ثم تصلبى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى . ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا ضلت ذلك قتلتنى فحمل ووضع السهم فى كبد القوس ثم رماه وقل بسم الله رب الغلام فوق السهم فى صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا رب الغلام آمنا رب الغلام قتل الملك أرايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فمر بافواه السكك فخر فيها الاخايد وأخرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدهمه والا فأتحموه فيها وقل فكأوا يتعادون فيها ويتواقون فجاءت امرأة بان لها ترصه فكأها تعامت أن تم فى النار فقال الصبي اصبرى يا أمه فانك على الحق كذا رواه الامام احمد ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن سلة زاد النسائي وحماد بن زيد كلاما عن ثابت به ورواه الترمذى من طريق عبد الرزاق عن ميمر عن ثابت بإسناده نحوه وجرد ابراهه كما بسطنا ذلك فى التفسير وقد أورد محمد ابن اسحاق هذه القصة على وجه آخر فقال حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان فى

قرية من قراها قريبا من نجران (ونجران هي القرية التي عليها جاع أهل تلك البلاد) ساحر
 يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلوا فيموت ولم يسوه إلى بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا رجل نزلها
 فأتى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك
 الساحر يعلمهم السحر فيموت التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب
 الخيمة أعجبه ما يرى من عبادة وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوجد الله وعبد وجعل
 يسأله عن شرائع الاسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يملئه فسكته اياه وقال له
 يا ابن أخي انك لن تحمله أخشى ضحكك عنه والتامر لا يظن الا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما يختلف
 النملان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضفه فيه عمد إلى قداح فجعل يجمعها ثم لم يبق لله
 اسما يملئه الا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أوقد نارا ثم جعل يقدحها قدحا قدحا حتى
 إذا مر بالاسم الاعظم قدح فيها بقده فوثب القدح حتى خرج منها لم تفره شيئا فأخذه ثم أتى به صاحبه
 فأخبره أنه قد علم الاسم الاعظم الذي قد كتبه فقال وما هو قال كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع
 قال أي ابن أخي قد أصبت فأمسك على نفسك وما أظن أن فعل بجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران
 لم يلق أحدا به ضر الا قال يا عبد الله أوجد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعافيك عما أنت فيه من
 البلاد ودعا له فوفى حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعا له فقال أفسدت على أهل قريقتي وخالفت ديني
 ودين آبائي لا مثلك بك قال لا تضر على ذلك فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى
 الارض مابه بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شيء الا هلك فيلقى به فيها فيخرج
 ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر والله لا تقدر على قتلي حتى توحده الله فؤمن بما آمنت به
 فانك ان فعلت سلطت على قهقري قال فوجد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر ثم ضربه
 بمصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله
 بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الانجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الاحزاب
 فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهل
 نجران عن عبد الله بن التامر قال أعلم أي ذلك كان قال فسار اليهم ذو نواس فيجئده فدعاهم إلى
 اليهودية وخبرهم بين ذلك أو القتل فاختروا القتل فخذوا الاخذود وحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم
 قتل منهم قريبا من عشرين الفا في ذي نواس وجئده أنزل الله على رسوله (قتل أصحاب الاخذود
 النار ذات الوقود الآيات) وهذا يقتضي أن هذه القصة غير ما وقع في سياق مسلم وقد زعم بعضهم أن
 الاخذود وقع في العالم كثيرا كما قال ابن أبي حاتم. حدثنا أبي حدثنا أبو اليان أنبأنا صفوان عن عبد الرحمن
 ابن جبير قال كانت الاخذود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصاري

قتلهم عن دين المسيح والتوحيد واتخذوا آتوا والقي فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد وفي
المراق في أرض بابل في زمان بخت نصر حين صمم الصنم وأمر الناس فسدوا له فامتنع داڤيال وصاحبا
عزريا ومشايل فأوقد لهم آتوا والقي فيها الحطب والنار ثم القاهما فيه فجلها الله عليهم برداً وسلاماً وأقذم
منها والقي فيها الذين بنوا عليه وهم تسعة رهط فاكلتهم النار وقال اسباط عن السدي في قوله (قتل
أصحاب الاخدود) قال كان الاخدود ثلاثة خد بالشام وخذ بالمراق وخذ بلجين رواه بن أبي حاتم . وقد
استقصيت ذكر أصحاب الاخدود والكلام على تفسيرها في سورة البروج وفي الحمد والمئة *

باب بيان الاذن في الرواية والتحديث عن أخبار بني اسرائيل

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا زيد بن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن
النبي ﷺ قال قال (حدثوا عني ولا تكذبوا عني) ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار وحدثوا
عن بني اسرائيل ولا حرج . وقال أيضاً حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار
عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال قال (لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن فمن كتب عني شيئاً غير
القرآن فليحبه وقال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج حدثوا عني ولا تكذبوا عني) قال ومن كذب على
قال همام احسبه قال متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وهكذا رواه مسلم والترمذي من حديث همام ورواه
أبو عروة الاسفراييني عن أبي داود السجستاني عن هبة عن همام عن زيد بن أسلم به ثم قال قال أبو داود
اخطأ فيه همام وهو من قول أبي سعيد كذا قال وقد رواه الترمذي عن سفيان عن وكيع عن سفيان بن
عيينة عن زيد بن أسلم بمضه مرفوعاً قاله أعلم قال الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الاوزاعي حدثنا
حسان بن عطية حدثني أبو كيثبة السلمي أن عبد الله بن عمرو بن العاص حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ
يقول يقول بطونا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده
من النار . ورواه أحمد أيضاً عن عبد الله بن عمر وعبد الرزاق كلاهما عن الاوزاعي به وهكذا رواه
البخاري عن أبي عاصم النبيل عن الاوزاعي به وكذا رواه الترمذي عن بندار عن أبي عاصم ثم رواه
عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف الرياني عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن
عطية وقال حسن صحيح وقال أبو بكر البرزاني حدثنا محمد بن المنثري أبو موسى حدثنا هشام بن معاوية حدثنا
أبي عن قتادة عن أبي حسان عن عبد الله بن عمرو قال كان نبي الله ﷺ يحدثنا عامة ليلة عن بني اسرائيل
حتى نصبح ما هم فيها الا لمظلم صلاتهم ورواه أبو داود عن محمد بن منثري ثم قال البرزاني حدثنا محمد بن منثري
حدثنا عفان حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أبي حسان عن عمران بن حصين قال كان رسول الله ﷺ يحدثنا

عامة ليلة عن بني اسرائيل لا يقوم الا لعظم صلات البزار وهشام احفظ من أبي هلال يعني أن الصواب عن عبد الله بن عمرو لا عن عمران بن حصين والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى هو الطعان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج استاذ صحيح ولم ينحرفه . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا وكيع حدثنا ربيع بن سدد الجعفي عن عبد الرحمن ابن سابط عن جابر قال قال رسول الله ﷺ حدثوا عن بني اسرائيل فانه قد كان فيهم الاعاجيب ثم أنشأ يحدث ﷺ قال خرجت طائفة من بني اسرائيل حتى أتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لوصيلنا ركبتين ودعونا الله عز وجل فيخرج لنا رجلا قد مات فساله يحدثنا عن الموت فضلوا فينا هم كذلك اذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك القبور بين عينيه أثر السجود قال يهلؤلا ما أردتم الى قد مدت منذ مائة عام فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يمدني كما كنت وهذا حديث غريب اذا تحرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحا فلما ما يمل أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذي يابديننا عن المعصوم فذلك مردود لا يرجع عليه ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز روايته أن نعتقد صحة ما رواه البخاري قائلا حدثنا محمد بن يساود حدثنا عثمان بن عمر حدثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويُسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله ﷺ (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل اليكم وإلينا وإلهمك واحد ونحن له مسلمون) فزده البخاري من هذا الوجه . وروى الامام أحمد من طريق الزهري عن أبي ثعلبة الانصاري عن أبيه أنه كان جالسا عند رسول الله ﷺ قال اذا جاء رجل من اليهود قال يا محمد هل تتكلم هذه الجنابة فقال رسول الله ﷺ الله أعلم قال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله ﷺ (اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم) فزده أحمد وقال الامام أحمد حدثنا شرح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجاهد عن الشعي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب قرأه على النبي ﷺ قال غضب وقال امتهروكون فيها يا ابن الخطاب والقى غصبي به لقد جئتكم به يضاء قية لا تسألون عن شيء فيخبروكم بحق فكذبوا به أو ياطل فصدقوا به والقى غصبي به لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يبتنى . فزده أحمد واستاده على شرط مسلم فهذه الاحاديث دليل على أنهم قد بدلوا ما بأيديهم من الكتب السماوية وحرفوها وأولوها ووضوها على غير مواضعها ولا سيما ما يدونه من المعربات التي لم يحيطوا بها علما وهي بلغتهم فكيف يعمرون عنها بنديها ولابل هذا وقع في قمرهم خطأ كبير ووم كثير مع ما لهم من المقاصد الناسدة والآراء الباردة وهذا يتحققه من نظر في

كتبهم التي بأيديهم وتأمل ما فيها من سوء التصير وقبيح التبديل والتغيير والله المستعان وهو ضم المولى
 وضم النصير . وهذه التوراة التي يبدونها ويخفون منها كثيرا فيها ذكره فيها تحريف وتبديل وتغيير
 وسوء تعبير يعلم من فطر فيها وتأمل ما قالوه وما أبدوه وما أخفوه وكيف يسوغون عبارة فاسدة البناء
 والتركيب باطلة من حيث معناها وألفاظها . وهذا كذب الاخبار من أجود من يقتل عنهم وقد أسلم في
 زمن عمر وكان يقتل شيئا عن أهل الكتاب فكان عمر رضى الله عنه يستحس بعض ما يقتله لما يصدقه
 من الحق وتأليفا لقلبه فتوسع كثير من الناس في أخذ ما عنده وبلغ أيضا هو في قتل تلك الأشياء التي
 كثير منها ما يساوى مداده . ومنها ما هو باطل لا محالة . ومنها ما هو صحيح لما يشهد له الحق الذي
 بأيدينا . وقد قال البخارى وقل أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع
 معاوية يحدث رجلا من قريش بالمدينة . وذكر كذب الاخبار فقال ان كن من اصدق هؤلاء الحديثين
 الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب يسقى من غير قصد منه .
 وروى البخارى من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال . كيف يسألون
 أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على رسوله أحدث الكتب بالله تقرأونه محضا لم يشب
 وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيره وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند
 الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا فيها كم ما جاءكم من السلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم
 عن الذي أنزل عليكم وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تسألوا أهل الكتاب عن
 شيء فاتهم لن يهدوك وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا باطل والله أعلم *

❦ قصة جريج أحد عباد بني اسرائيل ❦

قال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثني أبي سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبي هريرة قال
 قال رسول الله ﷺ لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم قال وكان في بني اسرائيل رجل عابد
 يقال له جريج فأتى صومعة وقعد فيها قال فذكر بنو اسرائيل عبادة جريج فقالت بنى منهم لئن شئتم
 لاقتنه قالوا قد شئنا ذلك قال فأنته فتمرضت له فلم يلفظ اليها فلم يكن فيها من راع كان يرمي يده
 الى أصل صومعة جريج فخلعت فولدت غلاما قالوا ممن قالت من جريج فأنته فتمرضت له فلم يلفظ
 وضربوه وهدموا صومعته قال ما شأنكم قالوا انك زينت بهذه البنى فولدت غلاما قال وأين هو
 قالوا هو هذا قال فقام فصل ودعاهم انصرف الى التلالم فطعنه بأصبعه فقال بالله يا غلام من أبوك قال انا
 ابن الراحى فوثبوا الى جريج فجعلوا يقولونه وقالوا غنى صومعتك من ذهب قال لا حاجة لي في ذلك
 ابنوا من ملين كما كانت قال وبينما امرأة في حجرها ابن لما ترضه اذ مر بها راكب ذو شارة قالت

اللهم اجعل ابني مثل هذا قال فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله قال ثم عاد الى ثديها فحسه . قال أبو هريرة فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي صنع الصبي ووضع اصبعه في فيه يمصها . ثم مرت بأمة تضرب فقالت اللهم لا تجعل ابني مثله قال فترك ثديها وأقبل على الأمة فقال اللهم اجعلني مثله قال فذلك حين تراجعا الحديث فقالت خلفي مر الراكب ذو الشارة قتلت اللهم اجعل ابني مثله قتلت اللهم لا تجعلني مثله ومردت بهذه الأمة قتلت اللهم لا تجعل ابني مثله قتلت اللهم اجعلني مثله قال يا أمتاه ان الراكب ذو الشارة جبار من الجبارة وان هذه الأمة يقولون زنت ولم تزن وسرقت ولم تسرق وهي تقول حسبي الله وهكذا رواه البخاري في أحاديث الانبياء وفي المظالم عن مسلم بن إبراهيم ومسلم في كتاب الادب عن زهير بن حرب عن يزيد بن هرون كلاهما عن جرير بن حازم به طريق أخرى وسياق آخر .

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال كان جريج يتبعني في صومته قال فأتته أمه فقالت يا جريج أنا أمك وكفى قال وكان أبو هريرة يصف كيف كان رسول الله ﷺ يضع يده على حاجبه الايمن قال وصادفته يصلي قال يارب أي وصلاتي فاختار صلاته فرجعت ثم أتته فصادفته يصلي فقالت يا جريج أنا أمك فكلمني فقال يارب أي وصلاتي فاختار صلاته فقالت اللهم هذا جريج وابنه ابني واتى كلمته فأبى أن يكلمني اللهم فلا سمته حتى تراه المومسات . ولو دعت عليه أن ينتن لانتن قال وكان راع يأوي إلى ديرة فخرجت امرأة فوقع عليها الراعي فولدت غلاماً قيل ممن هذا فقالت هو من صاحب الدير فأقبلوا بفؤسهم ومساجهم وأقبلوا إلى الدير فتادوه فلم يكلمهم فأقبلوا يهدمون ديرة قتل اليهم فقالوا سل هذه المرأة قال أراه تبسم قال ثم مسح رأس الصبي فقال من أبوك قل راعي العناب قالوا يا جريج نبينا ما هدمننا من دبرك بلذهب والفضة قال لا ولكن اعيدوه فأكلن فضلوهم ورواه مسلم في الاستيذان عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة .

سياق آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (كان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج كان يتبعني في صومته فأتته أمه ذات يوم فتادته فقالت أي جريج أي بنى أشرف على أكلك أنا أمك أشرف على قتال أي ربي صلاتي وأي فأقبل على صلاته ثم عادت فتادته مراراً فقالت أي جريج أي بنى أشرف على قتال أي رب صلاتي وأي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا سمته حتى تراه المومسة وكانت راعية ترعى غنأ لاهلها ثم تأوى إلى ظل صومته فأصابها قحط فحلت فاختفت . وكان من زنى منهم قتل قالوا ممن قالت من جريج صاحب الصومعة فجازوا بالفؤس والمرود فقالوا أي جريج أي مرأى انزل فأبى وأقبل على صلاته يصلي فتأذوا في هدم صومته

فلما رأى ذلك نزل فجعلوا في عنقه وعقها حبلاً فجعلوا يطوفون بهما في الناس فوضع أصبه على بطنها فقال اى غلام من أبوك قال أبى فلان راعى الضأن قبلوه وقاؤا إن شئت بيننا لك صومئتك من ذهب وفضة قال أعيدوها كما كانت وهذا سياق غريب واستاده على شرط مسلم ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

فهؤلاء ثلاثة تكلموا في المنهد عيسى بن مريم عليه السلام وقد تقدم الكلام على قصته وصاحب جريج بن البغي من الراعى كما سمعت واسمها يابوس كما ورد مصرحاً به في صحيح البخارى والثالث ابن المرأة التى كانت ترضعه فتمت له أن يكون كصاحب الشارة الحسنة فتمنى أن يكون كذلك الا أنه المتهمومة بما هي بريئة منه وهى تقول حسبى الله وهم الوكيل كما تقدم في رواية محمد بن سيرين عن أبى هريرة صرغوا . وقد رواه الامام أحمد عن هرون عن عوف الاعرابى عن خلاص عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قصة هذا الغلام الرضيع وهو استاذ حسن .

وقال البخارى حدثنا أبو اليان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الاعرج حدثنا أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ قال بينا امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهى ترضعه قالت اللهم لا تمت ابني حتى يكون مثل هذا قال اللهم لا تميتى مثله ثم رجم في الثرى وصر بصرأة تيمر ويلب بها قالت اللهم لا تميت ابني مثل هذه قال اللهم اجعلنى مثليها قال أما الراكب فانه كافر . واما المرأة فلهم يقولون لها تزي وتقول حسبى الله ويقولون قسرق وتقول حسبى الله . وقد ورد في من تكلم في المنهد أيضاً شاهد يوسف كما تقدم وابن ماشطة آل فرعون والله أعلم .

❦ قصة برصيصا ❦

وهى عكس قضية جريج فان جريجاً عصم وذلك قتن . قال ابن جرير حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودى أنبأنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعشى عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال ائى برىء منك ائى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) . قال ابن مسعود وكانت امرأة نزعى النعم وكان لها اخوة أربعة وكانت تأوى بالليل إلى صومعته رهاب قال فتزل الراهب فتجر بها فحملت فأنه الشيطان فقال له اقلمها ثم ادقها فانك رجل تصدق ويسمع قولك فتعلمها ثم دقها قال فأتى الشيطان اخوتها في المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعة فجر بأخكم فلما أحبلها قلمها ثم دقها في مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم والله قد رأيت البارحة رؤيا ما لدرى انصبا عليكم أم أترك قالوا لا بل قصها علينا قال قصها فقال الآخر وأنا والله قد رأيت ذلك فقال الآخر وأنا والله قد رأيت

ذلك قالوا فوالله ما هذا إلا لشيء فاضلقوا فاستمدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فآزروه . ثم انطلقوا به فأتاه الشيطان فقال انا أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فسجد لي سجدة واحدة وانجيت كما أوقعتك فيه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ قتل . وهكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك

وقد روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بياق آخر قال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا النضر بن شميل أنبأنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت عبد الله بن نهيك سمعت علياً يقول ان راهباً قبيد ستين سنة وان الشيطان أراد أن يأخذه فأسد إلى امرأة فأجبتها ولما أخوة قال لا خوتها عليكم بهذا القس ففداها قال فجاءها به اليه ففداها وكانت عنده فينا هو يرماعنها إذ أنجبتة فأنكها فخلعت فسد إليها قتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب انا صاحبك انك اعيتني انا صفت هذا بك فاطلق أنجيك مما صنت بك اسجد لي سجدة فسجد له قال اني يرى منك اني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني يرى منك اني أخاف الله رب العالمين)

❦ قصة الثلاثة الذين آووا الى الغار فانطبق عليهم ❦

خسروا الى الله تعالى بصالح اعمالهم ففرج عنهم . قال الامام البخاري حدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال بينا ثلاثة نفر من كان قبلكم يمشون إذ اساهبهم مغر فأووا الى غار فانطبق عليهم قال بعضهم لبعض انه والله يهلؤلاه لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه قال واحد منهم (اللهم ان كنت تعلم انه كان لي أجير عمل لي على فرق من أزر فذهب وتركه واتى عمدت الى ذلك الفرق ففرجته فصار من أمره اني اشتريت منه بقرأً وانه اتاني يطلب اجره قلت اعد الى تلك البقر فسقها قال لي انكالي عندك فرق من ازر قلت له اعد الى تلك البقر فأتها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا) فانساخت عنهم الصخرة . قال الآخر (اللهم ان كنت تعلم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت أتياهما كل ليلة بلين غنم لي فابطأت عنهما ليلة فجفت وقد رقدا وأهمل وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لاسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن اوقظهما وكرهت ان ادعما فيستكئنا لشرهما فلم ازل اناظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء . قال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لي ابنة عم من احب الناس الى واتى راودتها عن نفسها فأبى الا أن أتياها بمائة دينار فطلبها حتى قدرت فأتيتها بها فذهبها إليها فامكنتني من نفسها فلما قدمت بين رجلها قالت اتق الله ولا تقض انظام الابن حقه فميت وتركته المائة دينار فان كنت

قلم انى قلت ذلك من خشيتك فخرج عنا فخرج الله عنهم فخرجوا ، رواه مسلم عن سويد بن سعيد
عن علي بن مسهره وقد رواه الامام احمد منفردا به عن مروان بن معاوية عن عمرو بن حمزة بن عبد الله
بن عمر عن سالم عن ابيه عن النبي ﷺ بنحوه . ورواه الامام احمد من حديث وهب بن منبه عن
التميم بن بشير عن النبي ﷺ بنحو من هذا السياق وفيه زيادات ورواه البزار من طريق ابى اسحاق
عن رجل من بحيلة عن التميم بن بشير مرفوعا مثله ورواه البزار في مسنده من حديث ابى حنن عن
علي بن ابى طالب عن النبي ﷺ بنحوه

❦ خبر الثلاثة الاعمى والابرص والاقرع ❦

روى البخارى ومسلم من غير وجه عن همام بن يحيى عن اسحاق بن عبد الله بن ابى طلحة حدثني
عبد الرحمن بن ابى عروة ان ابا هريرة حدثه انه سمع رسول الله ﷺ يقول ان ثلاثة من بني اسرائيل
ابرص واعمى واقرع بدأ الله ان يبتليهم فبث الله اليهم ملكا فأتى الابرص فقال له أى شئ أحب اليك
قال لون حسن وجلد حسن قد قدرنى الناس قل فسخه فذهب عنه فاعطى لونا حسنا وجلدا حسنا . قال اى
المال أحب اليك قل الابل أو قال البقر (هوشك في ذلك ان الابرص والاقرع قال احدهما الابل وقال
الآخر البقر) فاعطى ثقة عشرة . قال يبارك لك فيها . قال وأتى الاقرع فقال له أى المال أحب اليك قال
شرح حسن ويذهب عني هذا قد قدرنى الناس فسخه فذهب واعطى شعرا حسنا قال تلى المال أحب اليك
قال البقر فاعطاه بقرة حاملا وقال يبارك لك فيها قال وأتى الأعمى فقال أى شئ أحب اليك قال يرد الله
الى بصرى فابصر به الناس قال فسخه فرد الله اليه بصره قال فأى المال أحب اليك قال الفم فاعطاه شاة
واندا فاتبع هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الفم ثم أتى
الابرص فى صورته وهيئته قال رجل مسكين تقطعت فى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك
أسألك بالنى اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بيرا اتبلغ عليه فى سفرى فقال له ان الحقوق
كثيرة فقال له كأتى اعرفك الم تكن ابرص يقدرك الناس فقيرا فاعطاك الله عز وجل قال قد وددت
لكابر عن كابر قال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت وأتى الاقرع فى صورته وهيئته قاله مثل
ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا قال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . وأتى الأعمى فى
صورته قال رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت فى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك
اسألك بالنى رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها فى سفرى قال قد كنت اعمى فرد الله الى بصرى فقيرا
قد أغناى فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشئ اخذته الله عز وجل قال أمك مالك فانما ابليتم
قد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك هذا لفظ البخارى فى احاديث بنى اسرائيل

« حديث الذي استلف من صاحبه ألف دينار فادها »

قال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه ذكر أن رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يبلغه ألف دينار فقال اتقني شهيداء اشهدهم قال كفى بالله شهيداً قال اتقني بكفيل قال كفى بالله كفيلاً قال صدقت فدفعتها اليه الى اجل مسمى فخرج في البحر فقصى حاجته ثم اتى مركبا يقدم عليه للاجل الذي اجله فلم يجد مركبا فانخذ خشبة ففقرها وادخل فيها ألف دينار وصحيفة معها الى صاحبها ثم زجج موضعها ثم اتى بها البحر ثم قال اللهم انك قد علمت اني استلفتت فلانة ألف دينار فأنقذت كفيلاً قلت كفى بالله كفيلاً فرضى بذلك وسألني شهيداً قلت كفى بالله شهيداً فرضى بذلك واني قد جهدت ان أجد مركبا أبث اليه بالتي أعطاني فلم أجد مركبا واني استودعتكها فومي بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا الى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه فينظر لمل مركبا يبحث بماله فاذا بالخشبة التي فيها المال فلانخذها لاهله حطباً فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال والله ما زلت جاهد في طلب مركب لآتيك بمالك فإني وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه قال هل كنت بشت الى شيء قال لم اخبرك اني لم أجد مركبا قبل هذا الذي جئت فيه قال قال الله ادى عنك الذي بشت به في الخشبة فانصرف بالملك واشداً . هكذا رواه الامام احمد مسنداً وقد علقه البخاري في غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد واسنده في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه والعبس من الحفاظ اني بكر البزار كيف رواه في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبي عوافة عن عمر بن سوسة عن ابيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال لا يروى الا من هذا الوجه بهذا الاسناد

« قصة أخرى »

« شبيهة بهذه القصة في الصدق والامانة »

قال البخاري حدثنا اسحاق بن نصر اخبرنا عبد الرزاق عن مسر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اشترى رجل من رجل عقاره فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني اتما اشتريت منك الارض ولم ابع منك الذهب وقال الذي له الارض اتما بعتك الارض وما فيها فحقاكا الرجل قال الذي لحاكا اليه الكيلولة قال احدهما الى غلام وقال الآخر لي جارية قال انكحوا الغلام الجارية واتقوا على افسهما منه وقصدقا هكذا روى البخاري هذا الحديث في اخبار بني اسرائيل واخرجه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقد

روى ان هذه القصة وقعت في زمن ذى القرنين . وقد كان قبل بنى اسرائيل بدهور مقطورة والله اعلم
قال اسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ عن سيد بن ابى عروة عن قتادة عن الحسن ان ذا القرنين
كان يتفقد امور ملوكة وعماله بنفسه وكان لا يطلع على احد منهم خيانة الا انكر ذلك عليه وكان لا يقبل
ذلك حتى يطلع هو بنفسه . قال فبينما هو يسير متكررا في بعض المدن جلس الى قاض من قضاتهم اياما
لا يختلف اليه احد في خصومة فلما أن طال ذلك بذى القرنين ولم يطلع على شئ من أمر ذلك القاضى وهم
بالانصراف اذا هو برجلين قد اختصما اليه فدعى احدهما فقال ايها القاضى انى اشتريت من هذا داراً
عمرتها ووجدت فيها كنزا وانى دعوته الى اخذه فابى على قتال له القاضى ماتقول قال مادفنت وماعلمت
به فليس هو لى ولا أقبضه منه قال المدعى ايها القاضى مر من قبضه قضضه حيث احببت فقال القاضى
تفر من الشر وتدخلنى فيه ما أصغتنى وماأظن هذا في قضاء الملك فقال القاضى هل لكما اسرا نصف
مما دعوتانى اليه قال نعم قال للمدعى لك ابن قال نعم وقال للآخر لك ابنة قال نعم قال اذهبافزوج
ابنتك من ابن هذا وجهرهما من هذا المال وادفعا فضل ما بقى اليهما فيشأن به ففكرونا مليا بغيره وشبهه
فصحب ذو القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضى ماأظنت ان فى الارض احدا يفعل مثل هذا أو قاضٍ
يقضى بمثل هذا فقال القاضى وهو لا يعرفه وهل احد يفعل غير هذا قال ذو القرنين نعم قال القاضى
فهل يظفرون فى بلادهم فصحب ذو القرنين من ذلك وقال بمثل هذا قامت السموات والارض

❦ قصه أخرى ❦

قال البخارى حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن أبى عدى عن شعبة عن قتادة عن أبى الصديق
النخعى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال كلف فى بنى اسرائيل رجل قتل ثمة وتسمين
انسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فساله قال هل من توبة قال لا فنهله فجعل يسأل قال له رجل ائت قرية كذا
وكذا فادركه الموت فناء يصدره فنجوها فاختصت فيه ملائكة الرحمة وملائكة الذباب فلوحي الله الى
هذه ان تقربى واوحى الى هذه ان تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجدالى هذه اقرب بشير فغفر له هكذا
رواه ههنا مختصراً وقد رواد مسلم عن بنى داود به ومن حديث شعبة ومن وجه آخر عن قتادة به . مطولا

❦ حديث آخر ❦

قال البخارى حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابى سلمة عن أبى
هريرة قال صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال يينا رجل يسوق بقرة إذ
ركبها فضر بها قتالت إنالم تخلق لهذا إنما خلقنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال قاتى أو
من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما كم (قال) وبينما رجل فى غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب

حتى كأنه استغفها منه قال له الذئب ^(١) هذا استغفناها متى فن لها يوم السبع يوم لاراعى لها غيرى
 قال الناس سبحان الله ذئب يتكلم قال فأتى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم (قال) وحدثنا
 علي قال حدثنا سفيان عن مسر عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثله .
 وقد أسنده البخارى فى المزارعة عن علي بن المدينى ومسلم عن محمد بن عباد كلاهما عن سفيان بن عيينة
 وأخرجاه من طريق شعبة كلاهما عن مسر به . وقال الترمذى حسن صحيح وأخرج مسلم الطريق الأول
 من حديث سفيان بن عيينة وسفيان الثورى كلاهما عن أبي الزناد .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد المرز بن عبد الله حدثنا إبراهيم عن سعد عن أبيه
 عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه ان
 كان فى أمتى هذه منهم فانه عمر بن الخطاب) لم يخرجهم مسلم من هذا الوجه وقد روى عن إبراهيم بن
 سعد عن أبي سلمة عن عائشة رضى الله عنها .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن حميد بن
 عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج على المنبر فتناول قُصعة من شركانت فى يدي حر سى
 فقال يا أهل المدينة أين علاؤكم سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول إنما هلكت بنو
 اسرائيل حين اتخذوا نساؤهم . وهكذا رواه مسلم وأبو داود من حديث مالك وكذا رواه مسر ويونس
 وسفيان بن عيينة عن الزهرى بنحوه وقال الترمذى حديث صحيح . وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا
 شعبة حدثنا عمرو بن مرة قال سمعت سعيد بن المسيب قال قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة آخر قدمة
 قدمها فخطبنا فأخرج من كه كبة شعر وقال ما كنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود ان النبي ﷺ
 ساء الزور يعنى الوصال فى الشعر تأبسه غنندر عن شعبة والمجب أن مسلماً رواه من غير وجه عن غنندر
 عن شعبة ومن حديث قتادة عن سعيد بن المسيب به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا سعيد بن قيس حدثنا ابن وهب قال أخبرني جرير بن
 حازم عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ وينا كلب يطيف
 بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بنى من بني اسرائيل فترعت موقها فسقته فنفر لها به . ورواه
 مسلم عن أبي الطاهر بن السرح عن ابن وهب به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد الله بن اسماء حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله بن عمر
 أن رسول الله ﷺ قال عذبت امرأة فى هرة فجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار فلا هى أعلمتها ولا سقتها
 إذ حبستها ولا هى تركها فأكل من خشاش الأرض . وكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن اسماء به .

حدث آخر ﷺ قال الامام أحمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا المستبرن الزيان حدثنا أبو فضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال كف في بني اسرائيل امرأة قصيرة فصنت رجلين من خشب فكانت تمشي بين امرأتين قصيرتين وانحلت خاتماً من ذهب وحثت تحت فمها أطيب الطيب والمسك فكانت إذا مرت بالجلس حركه فنفخ ريحه رواه مسلم من حديث الشتر وخليفة بن جعفر كلاهما عن أبي فضرة عن أبي سعيد مرفوعاً قريباً منه وقال الترمذي حديث صحيح .

حدث آخر ﷺ قال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة عن منصور سمعت ربي بن حراش يحدث عن ابن مسعود قال قال النبي ﷺ إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) فردد به البخاري دون مسلم وقد رواه بعضهم عن ربي بن حراش عن حذيفة مرفوعاً وموقوفاً أيضاً والله أعلم .

حدث آخر ﷺ قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد يعني بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب قال قال أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ وأنا رجل وامرأة له في السلف المطال لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائئاً قد أصابه سغبة شديدة قال لامرأته عندك شيء قالت نعم ابشر أنك رزق الله فاستحبها قال ويحك اجتنبي أن كان عندك شيء قالت فم هيئة نرجو رحمة الله حتى إذا طال عليه المطال قال ويحك قومي فأجبتني أن كان عندك شيء فأنتبني به فاني قد بلغت الجهد وجهدت قواي فم الآن ينضج التنور فلا تمبل فلما أن سكنت عنها ساعة ونمجت أيضاً أن يقول لها قالت من عند نفسي لو قت فنظرت الى تنوري فقامت فوجدت تنورها ملآن من جنوب الفم ورحاها تطحن فقامت إلى الرحي ففضتها واستخرجت مائي تنورها من جنوب الفم قال أبو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد ﷺ لو أخذت مائي رحيها ولم تنفضها لطحنت إلى يوم القيامة . وقال أحمد حدثنا أبو عاصم حدثنا أبو بكر عن هشام عن محمد بن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البيرة فلما رأته امرأته مالتى قامت إلى الرحي فوضتها وإلى التنور فسجرت ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فإذا البفنة قد امتلأت قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً قال فرجع الزوج قال أصبت بعد شيئاً قالت امرأته نعم من ربنا فرضتها إلى الرحي ثم قامت فذكر ذلك للنبي ﷺ قال (اما أنه لو لم ترهها لم تزل تدور إلى يوم القيامة) قال شهدت النبي ﷺ وهو يقول (والله لأن يأتي أحدكم بحزمة حطب ثم يحمله فيمعه فيستغف منه خير له من أن يأتي رجلاً فيأكله .

قصة الملكين التائبين ﷺ

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن سفيان بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في ملكه ففكر فلم أن ذلك منقطع عنه

وأن ما هو فيه قد شغل عن عبادة ربه فانساب ذات ليلة من قصره وأصبح في مملكة غيره وأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللبن بالآجر فيأكل ويتصدق بالفضل ولم يزل كذلك حتى رقى أمره إلى ملكهم فأرسل إليه فأبى أن يأتيه فركب إليه الملك فلما رآه ولي هارياً فرخص في أثره فلم يدركه فناداه يا عبد الله انه ليس عليك مني بأس قتام حتى أدركه فقال له من أنت وحك الله قال أنا فلان بن فلان صاحب مملكة كذا وكذا ففكرت في أمري فقلت إنما أنا فيه منقطع وأنه قد شغلني عن عبادة ربي عز وجل فتركته وكنت ههنا أعبد ربي فقال له ما أنت بأحوج لما صنعت مني قل قتل عن دابة فيها وتبعه فكانا جميعاً يمدان الله عز وجل فدعوا الله أن يعيتهما جميعاً فاتا ، قل عبد الله فلو كنت برملية مصر لأرثيتكم قبورها بما نمت التي نمت لنا رسول الله ﷺ .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن عتبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ إن رجلاً كان قبلكم رغبة الله ما لا قتال لبيته لما حضر أي أب كنت لكم قتلوا خير أب قل فاني لم أعمل خيراً قط فاذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في يوم عاصف ففعلوا فجاءه الله عز وجل فقال ما حلك قال غناقتك فتلقاه رحمة ورواه في مواضع أخر ومسلم طرق عن قتادة به . ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ربي بن حراش عن حذيفة عن النبي ﷺ بنحوه ومن حديث الزهري عن حيد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت مسرراً فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا قل فلقى الله فتجاوز عنه وقد رواه في مواضع أخر ومسلم من طريق الزهري به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني مالك عن محمد بن المنكدر عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد . ذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون قال أسامة قال رسول الله ﷺ الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فلذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تفرجوا فراراً منه . قال أبو النضر لا يخرجكم الا فراراً منه ورواه مسلم من حديث مالك ومن طرق أخر عن عامر بن سعد به حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا داود بن أبي الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يسر عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون أخبرني أنه عذاب يمشي الله على من يشاء من عباده وأن الله جل جلاله رحمة للؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلد صابراً محتسباً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد ففرد به البخاري عن مسلم من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن قريشاً أُمهم شأن الخزومية التي سرقت قالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ قالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة قال أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب ثم قال إنما هؤلاء الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أضمرُوا عليه الحد . وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وأُخرجت بنية الجماعة من طرق عن الليث بن سعد .

﴿حديث آخر﴾ وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت
التزال بن سيرة الهذلي عن ابن مسعود قال سمعت رجلا قرأ وصحبت رسول الله ﷺ قرأ خلالها
فجئت به إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فزفقت وجهه الكراهية وقال كلا كما يحسن ولا تخلفوا فإن من
كان قبلكم اختلفوا فهلكوا . فرد به البخاري دون مسلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم عن صالح عن ابن شهاب قال قال ابو سلمة بن عبد الرحمن ان ابا هريرة قال قال ابن رسول الله ﷺ قال ان اليهود والنصارى لا يصفون فقال لهم فزدد به دون مسلم وفي سنن ابي داود صلوا في ضالكم خالفوا اليهود .

● حديث آخر ● قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا صفيان عن عمرو عن طاووس عن ابن عباس سمعت عمر يقول قاتل الله فلانا لم يعلم أن رسول الله ﷺ قال لمن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها ورواه مسلم من حديث ابن عينة. ومن حديث عمرو بن دينار به ثم قال البخاري تابعه جابر وأبو هريرة عن النبي ﷺ ولهذا الحديث طرق كثيرة وسأني في باب الحيل من كتاب الأحكام إن شاء الله به التمة.

﴿حديث آخر﴾ قال البخاري حدثنا عمران بن ميسرة حدثنا عبد الوارث حدثنا خالد عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فأمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة وأخرجه بقية الجماعة من حديث أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي به . والقصود من هذا مخالفة أهل الكتاب في جميع شعارهم فإن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة كان المسلمون يتجنون وقت الصلاة بنير دعوة إليها . ثم أمر من ينادي فيهم وقت الصلاة (الصلاة جامعة) ثم أرادوا أن يدعوا إليها بشيء يفرقه الناس فقال قاتلون ف ضرب بالناقوس وقال آخر نودي أن فكروا ذلك لمشابهة أهل الكتاب فأمر عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في منامه الأذان قسما على رسول الله ﷺ فأمر بلال أن ينادي كما هو مبسوط في موضعه من باب الأذان في كتاب الأحكام .

﴿ حدیث آخر ﴾ قال البخاری حدثنا بشر بن محمد أنبأنا عبد الله أنبأنا معمر وموسى عن

الزهرى أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عائشة وابن عباس قالا لما نزل برسول الله ﷺ طلق ي طرح خيصة على وجهه فإذا أغم كنفها عن وجهه قال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وهكذا رواه في غير موضع مسلم من طرق عن الزهرى به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا أبو غسان قال حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال لنتبع سنن من قبلكم شيراً بشيراً وذراً بذراً حتى لو سلخوا جحر ضب لسلكتوه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال النبى ﷺ فن . وهكذا رواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به .

والمتصود من هذا الاخبار عما يقع من الاقوال والأفعال المنهى عنها شرعاً مما يشابه أهل الكتاب قبلنا أن الله ورسوله ينهايان عن مشابهتهم فى أقوالهم وأفعالهم حتى ولو كان قصد المؤمن خيراً لكنه تشبه فضله فى الظاهر فلهم وكانهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ثلاثا به المشركين الذين يسجدون للشمس حيث قد وإن كان المؤمن لا يخطر بباله شئ من ذلك بالكيفية وهكذا قوله تعالى . (يا أيها الذين آمنوا لا تعجلوا راعنا وقلوا انظروا لينا يصرك واسمع كلامنا وصدق قولهم راعنا من الرعدة قهى المؤمنين أن يقولوا ذلك وإن كان لا يخطر ببال أحد منهم هذا أبداً . قد روى الامام أحمد والترمذى من حديث عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ أنه قال بشت بالسيف بين يدى الساعة حتى يبد الله وحده لاشريك له وجعل رزق تحت ظل رعى وجعل القلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه قوم فهو منهم فليس للمسلم أن يتشبه بهم لافى أعيادهم ولا مواسمهم ولا فى عباداتهم لأن الله تعالى شرف هذه الأمة بخاتم الانبياء الذى شرعه الدين العظيم القويم الشامل الكامل الذى لو كان موسى بن عمران الذى أنزلت عليه التوراة وعيسى بن مريم الذى أنزل عليه الانجيل حين لم يكن لما شرع متبع لى لو كانا موجودين بل وكل الانبياء لما ساغ لواحد منهم أن يكون على غير هذه الشريعة المطهرة المشرفة المكرمة المظنة فإذا كان الله تعالى قد من علينا بأن جعلنا من أتباع محمد ﷺ فكيف يليق بنا أن تشبه قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل قد بدلوا دينهم وحرفوه وأولوه حتى صار كأنه غير ما شرع لهم أولاً . ثم هو بد ذلك كله منسوخ والتسك بالنسوخ حرام لا يقبل الله منه قليلا ولا كثيراً ولا فرق بينه وبين الذى لم يشرع بالكيفية والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا اقيث عن ثعلب عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال انما أجلكم من أجل من خلا من قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس

وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا قال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فصلت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فصلت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا قائم الذين يعملون من صلاة العصر إلى المغرب على قيراطين قيراطين الا لكم الأجر مرتين فضضب اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عمالا وأقل عطاء قال الله تعالى (هل ظلمتكم من حكم شيئا فقالوا لا قال فانه فضلي أوتيته من أنشاء) وهذا الحديث فيه دليل على أن مدة هذه الأمانة قصيرة بالنسبة إلى ماضى من مدد الأمان قبلها لقوله إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمان قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس فالماضى لا يملحه إلا الله كما أن الآتى لا يملحه إلا هو ولكنه قصير بالنسبة إلى ماضى ولا اطلاع لأحد على تجديد ما بقى إلا الله عز وجل كما قال الله تعالى (لا يجعلها لوقتها إلا هو) وقال (يسأونك عن الساعة أيان سرسها فيم أنت من ذكرها إلى ربك منهاها). وما تذكره بعض الناس من الحديث المشهور عند العامة من أنه عليه السلام لا يؤلف تحت الأرض فليس له أصل في كتب الحديث وورد فيه حديث أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة وفي صحته نظر. والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم وأن ذلك ليس منوطا بكثرة العمل وقتله بل بأمر آخر معتبرة عند الله تعالى وكما من عمل قليل أجري مالا يجديه العمل الكثير هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر سواها وهؤلاء أصحاب محمد ﷺ اتفقوا في أوقات لو اتفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ من أحدم ولا نصيفه من نحر وهذا رسول الله ﷺ بهته الله على رأس أربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة والاعمال الصالحة على سائر الانبياء قبله حتى على نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويصل بطاعة الله ليلا ونهارا صباحا ومساء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء أجمعين فهذه الأمانة انما اشرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبينا وشرفه وعظمته كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * فلا يعلم أهل الكتاب أن لا يتقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) •

فصل

وأخبار بني اسرائيل كثيرة جداً في الكتاب والسنة النبوية ولو ذهبنا فتقصى ذلك لطال الكتاب ولكن ذكرنا ما ذكره الامام أبو عبد الله البخاري في هذا الكتاب فيه مقنع وكفاية وهو مذكورة واتموزج

لهذا الباب والله أعلم * وأما الاخبار الاسرائيلية فيا يذكره كثير من المفسرين والمؤرخين فكثيرة جداً ومنها ما هو صحيح موافق لما وقع وكثير منها بل أكثرها عما يذكره الله اص مكدوب مقترى وضه زنا قتهم وضالهم وهي ثلاثة أقسام منها ما هو صحيح لمواقته ماقصه الله في كتابه أو أخبر به رسول الله ﷺ ومنها ما هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وستة رسوله ومنها ما يحتل الصدق والكذب فهذا الذي أسمرنا بالتوقف فيه فلا نصده ولا نكذبه كما ثبت في الصحيح إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم . ويجوز روايته مع هذا الحديث المتقدم (وخذثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)

ذكر تحريف أهل الكتاب وتبديلهم أديانهم

أما اليهود فقد أنزل الله عليهم التوراة على يدى موسى بن عمران عليه السلام وكانت كما قال الله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء) وقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس فيصليون قراطيس تبديونها وتنفون كثيراً) وقال تعالى (وقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للفتين) وقال تعالى (وآتيناها الكتاب المبين وهديناها الصراط المستقيم) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكاتوا عليه شهاداً فلا تتخشوا الناس واشتروا ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها برهة من الزمان ثم شرعوا في تحريفها وتبديلها وتغييرها وتأويلها وإبداء ما ليس منها كما قال الله تعالى (وان منهم لفريقاً يلوون السهم بل الكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) فأخبر تعالى أنهم يفسرونها ويتأولونها ويضمونها على غير مواضعها وهذا مالا خلاف فيه بين العلماء وهوانهم يتصرفون في معانيها ويحولونها على غير المراد كما بدلوا حكم الرجم بالجلد والتجسيم مع قلة لفظ الرجم فيها وكما أنهم كلوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضيف أقاموا عليه الحد مع أنهم مأمورون بإقامة الحد والقطع على الشريف والضيع . فلما تبديل الفاظها قال قائلون بأنها جميعها بدلت وقال آخرون لم تبدل واحتجوا بقوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندكم التوراة فيها حكم الله) وقوله (الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات الاية) وقوله (قل فاتوا بالتوراة فأتوها إن كنتم صادقين) وقصة الرجم قتهم كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر وفي صحيح مسلم عن البراء بن عازب وجابر بن عبد الله وفي السنن عن أبي هريرة

وغيره لما تحاكَوا إلى رسول الله ﷺ في قصة اليهودى واليهودية الذين زنيا فقال لهم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضهم ويجلدون فأمرهم رسول الله ﷺ بحضار التوراة فلما جازوا بها وجسوا يقرؤونها ويكتنون آية الرجم التي فيها ووضِع عبد الله بن صُور يديه على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له رسول الله ﷺ ارض بك يا أعور فرفع يده فلذا فيها آية الرجم فأمر رسول الله ﷺ بـرجمها وقال (اللهم إني أول من أحيا أسرك إذ أماتوه) وعند أبي داود أنهم لما جازوا بها نزِع الرُسادة من تحت فوضها تحتها وقال امتن بك وبمن اتزك وذكر بعضهم أنه قام لما ولم ألق على استاده والله أعلم . وهذا كله يشكك على ما يقوله كثير من المتكلمين وغيرهم أن التوراة اقطم تواترها في زمن بخت نصر ولم يبق من يحفظها إلا الزبير ثم الزبير إن كان نبياً فهو مصوم والتواتر إلى المصوم يكفي اللهم إلا أن يقال أنها لم تتواتر إليه لكن بعده ذكر يادجي وتيسى وكلهم كانوا متمسكين بالتوراة فلم تكن صحيحة موصولة بها لما اعتدوا عليها وهم أنبياء مصومون . ثم قد قال تعالى فيها أنزل على رسوله محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء منكم على اليهود في قصد المفسد إذ عدلوا عما يستدلون بحجته عندهم واتهم مأمورون به حتا إلى التحاكم إلى رسول الله ﷺ وهم ينادون ما جاء به لكن لما كان في زعمهم ما قد يوافقهم على ما يجدونه من الجلد والتحميم المصادم لما أمر الله به حتا وقولوا أن حكمكم الجلد والتحميم فاقبلوه وتكونون قد اعتدتم بحكم نبي لكم عند الله يوم القيمة وإن لم يحكم لكم بهذا بل بالرجم فاحذروا أن تقبلوا منه فانكر الله تعالى عليهم في هذا القصد الفاسد الذي اتماحلهم عليه الفرض الفاسد وموافقة الهوى لا الدين الحق فقال (وكيف يحكمونك وعدم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والرايون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله الآية) ولهذا حكم بالرجم قال اللهم إني أول من أحيا أسرك إذ أماتوه وسألم ما حلهم على هذا ولم تركوا أمر الله الذي يهديهم فقالوا إن الزنا قد كثُر في أشرافنا ولم يمكننا أن نقيم عليهم وكنا نرجم من زنى من ضغائننا قتلنا قاتلوا إلى أمر دُفئ فضله مع الشريف والوضيع فاصطلحتنا على الجلد والتحميم فهذا من جملة تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم وتأييدهم الباطل وهذا إنما ضلوه في الممانع مع بقاء لفظ الرجم في كتابهم كدليل عليه الحديث المتفق عليه فلماذا قال من قال هذا من الناس أنه لم يقع تبديلهم إلا في الممانع وإن اللفاظ باقية وهي حجة عليهم إذ لو أقاموا ما في كتابهم جميعه لتقدم ذلك إلى اتباع الحق ومتابعة الرسول محمد ﷺ كما قال الله تعالى (الذين يبعثون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم الآية) وقال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن

نحت أدرجلهم منهم أمة مقتصة الآية) وقال تعالى (قل يأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم الآية) وهذا المنهج وهو القول بأن التبديل إنما وقع في معانيها لا في الفاظها حكاه البخاري عن ابن عباس في آخر كتابه الصحيح وقرر عليه ولم يردده وحكاه العلامة غير الدين الرازي في تفسيره عن أكثر المتكلمين .

ليس للجانب لمس التوراة

وذهب قهها الحنفية إلى أنه لا يجوز لجانب من التوراة وهو محدث وحكاه الحنطاني في فتاويه عن بعض أصحاب الشافعي وهو غريب جداً . وذهب آخرون من العلماء إلى التوسط في هذين القولين منهم شيخنا الامام العلامة أبو الباس بن قيمة رحمه الله قال أما من ذهب إلى أنها كلها مبدلة من أولها إلى آخرها ولم يبق منها حرف إلا بدلوه فهذا بيد وكذا من قال لم يبدل شيء منها بالكلية بيد أيضاً والحق أنه دخلها تبدل وتغيير وتصرفوا في بعض الفاظها بالزيادة والنقص كما تصرفوا في معانيها وهذا معلوم عند التأمل وليسطه موضع آخر والله أعلم كما في قوله في قصة الذبيح اذبح ابنك وحيدك وفي نسخة بكرك اسحاق فلفظة اسحاق مقحمة مزيدة بلاسرية لأن الوحيد هو البكر اسماعيل لأنه وقد قبل اسحاق بأربع عشر سنة فكيف يكون الوحيد البكر اسحاق . وإنما حملهم على ذلك حسد العرب أن يكون اسماعيل غير الذبيح فأرادوا أن يذهبوا بهذه الفضيلة لهم فزادوا ذلك في كتاب الله افتراء على الله وعلى رسوله ﷺ وقد اغتر بهذه الزيادة خلق كثير من السلف والخلف وواقفهم على أن الذبيح اسحاق والصحيح الذبيح اسماعيل كما قدمنا والله أعلم وهكذا في تورات السامرة في المشر الكلمات زيادة الأمر بالتوجه إلى الطور في الصلاة وليس ذلك في سائر نسخ اليهود والنصارى .

وهكذا يوجد في الزبور المأثور عن داود عليه السلام مختلفاً كثيراً وفيه أشياء مزيدة ملحقة فيه وليست منه والله أعلم * قلت وأما ما يذهبون من التوراة المعربة فلا يشك مائل في تبديلها وتحريف كثير من الفاظها وتغيير القصص والافاظ والزيادات والنقص البين الواضح وفيها من السكذب البين وانطفا الفاحش شيء كثير جداً فلما ما يظنونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم فلا اطلاع لنا عليه والمظنون بهم أنهم كذبة خوة يكتفون الفرية على الله ورسوله وكتبه .

وأما النصارى فأنجليهم الأربعة من طريق مرقس ولوقا ومثي وبرحنا أشد اختلافاً وأكثر زيادة وقصاً وأغش سخاوتاً من التوراة وقد خالفوا أحكام التوراة والإنجيل في غير شيء قد شرعوا لأنفسهم فمن ذلك صلاتهم إلى الشرق وليست منصوباً عليها ولا مأموراً بها في شيء من الإنجيل الأربعة وهكذا تصورهم كتاباتهم وتركهم انطغان وقلمهم صيامهم إلى زمن الربيع وزيادته إلى خمسين يوماً وأكلهم

الخنزير ووضعهم الأمانة الكبيرة وإنما هي الخيانة البغيضة والرهابة وهي ترك التزويج لمن أراد التباعد
 وتحرره عليه وكتبهم القوانين التي وضعتها لهم الاساقفة الثلاثة والثانية عشر فكل هذه الاشياء ابتدعوها
 ووضعوها في أيام قسطنطين بن قسطن بن الاساقفة الثلاثة والثانية عشر فكل هذه الاشياء ابتدعوها
 أحد ملوك الروم وتزوج أمه هيلانة في بعض أسفاره للصيد من بلاد حران وكانت نصرانية على دين
 الرهايين المتقدمين فلما ولد لها منه قسطنطين المذكور تعلم الفلسفة وبهر فيها وصار فيه ميل بعض الشيء
 إلى النصرانية التي أمه عليها فظلم النصارى بها بعض الشيء وهو على اعتقاد الفلاسفة فلما مات أبوه
 واستقل هو في المملكة سار في رعيته سيرة عادلة فأحبه الناس وساد فيهم وغلب على ملك الشام بأسره
 مع الجزيرة وعظم شأنه وكان أول القيصرية ثم اتفق اختلاف في زمانه بين النصارى ومنازعة بين
 بترك الاسكندرية اكسندروس وبين رجل من علمائهم يقال له عبد الله بن أريوس فذهب اكسندروس
 إلى أن عيسى بن الله تعالى الله عن قوله وذهب ابن أريوس إلى أن عيسى عبد الله ورسوله واتبعه
 على هذا طائفة من النصارى واتفق الاكثرون الاخرسون على قول بتركهم ومنع ابن أريوس من
 دخول الكنيسة هو وأصحابه فذهب يستبدى على اكسندروس وأصحابه إلى ملك قسطنطين فضأله
 الملك عن مقاتله ففرض عليه عبد الله بن أريوس ما يقول في المسيح من أنه عبد الله ورسوله واحتج على
 ذلك فقال إليه وجئت إلى قوله قتال له قائلون فينبغي أن يثبت إلى خصمه قسم كلامه فأمر الملك بإحضاره
 وطلب من سائر الأقاليم كل أسقف وكل من عنده في دين النصرانية وجمع البطاركة الاربعة من
 القدس وانطاكية ورومية والاسكندرية فيقال لهم اجتمعوا في مدة ستة وشهرين ما يزيد على التي أسقف
 فيجمعهم في مجلس واحد وهو المجمع الاول من مجاميع الثلاثة المشهورة وهم مختلفون اختلافا متبايناً
 منتشراً جداً فمنهم الشرذمة على المقالة التي لا يوافقهم أحد من الباقين عليها فهؤلاء خمسون على مقالة
 وهؤلاء ثمانون على مقالة أخرى . وهؤلاء عشرة على مقالة وأربون على أخرى ومائة على مقالة ومائتان على
 مقالة وطائفة على مقالة ابن أريوس وجماعة على مقالة أخرى فلما تناقروا أمرهم واتشروا اختلافهم حار فيهم
 الملك قسطنطين مع أنه سعى الظن بما عدا دين الصابئين من اسلافه اليونانيين فسد إلى أكثر جماعاتهم
 على مقالة من مقالاتهم فوجدتهم ثمانية وعشرين أسقفاً قد اجتمعوا على مقالة اكسندروس ولم يجد
 طائفة بلغت عدتهم فقال هؤلاء أولى بنصر قولهم لأنهم أكثر الفرق فلجمع بهم خصوصاً ووضع سيفه
 وخاتمه اليهم وقال اني رأيتكم أكثر الفرق قد اجتمعت على مقالكم هذه فانا انصرها واذبح بها فاستبدوا
 له وطلب منهم أن يضعوا له كتاباً في الاحكام وأن تكون الصلاة إلى الشرق لأنها مطلق الكواكب
 النيرة وأن يصوروا في كتابهم صوراً لها جث فصلحوه على أن تكون في المحيطان فلما تواتروا على
 ذلك أخذ في نصرهم واظهار كتبهم واقامة مقالاتهم وابعاد من خالفهم وتضعيف رأيه وقوله فظهر أصحابه

بجاءه على مخالفتهم واتصروا عليهم وأمر ببناء الكنائس على دينهم وهم الملكية نسبة إلى دين الملك
 فبقى في أيام قسطنطين بسلام وغيرها في المدن والقرى أزيد من اثنتي عشر ألف كنييسة واعتنى الملك
 ببناء بيت لحم يبنى على مكان مولد المسيح وبنت أمه هيلانة قامة بيت القدس على مكان المصلوب
 الذي زعمت اليهود والنصارى بمجملهم وقلة عليهم أنه المسيح عليه الصلاة والسلام ويقال إنه قتل من أعداء
 أولئك وخذ لهم الأخاديد في الأرض وأجج فيها النار وأحرقهم بها كما ذكرناه في سورة البروج وعظم
 دين النصرانية وظهر أمره جداً بسبب الملك قسطنطين وقد أفسده عليهم فساداً لا إصلاح له ولا نجاح
 معه ولا فلاح عنده وكثرت أعيادهم بسبب عظمتهم وكثرت كنائسهم على أسماء عبادهم وتقام
 كفرهم وغفلت مصيبتهم وتخلد ضلالتهم وعظم باطلهم ولم يهد الله قلوبهم ولا أصلح باطلهم بل صرف
 قلوبهم عن الحق وأمال عن الاستقامة ثم اجتمعوا بعد ذلك مجمعين في قضية النسطورية واليقونية وكل
 فرقة من هؤلاء تكفر الأخرى وتمتد تخليدهم في نار جهنم ولا يرى محاسنهم في المآيد والكنائس وكلهم
 يقول بالانقياس الثلاثة أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة ولكن بينهم اختلاف في الحلول
 والاتحاد فيما بين اللاهوت والناسوت هل تدعه أو حل فيه أو اتحاد به واختلافهم في ذلك شديد
 وكفرهم ببيده غليظ وكلهم على الباطل إلا من قال من الأريوسية أصحاب عبد الله بن أريوس إن
 المسيح عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه كما يقول المسلمون فيه سواء ولكن
 لما استقر أمر الأريوسية على هذه المقالة تسلط عليهم الفرق الثلاثة بالاباد والطرده حتى قتلوا فلا يعرف
 اليوم منهم أحد فيما يعلم والله أعلم .

كتاب الجامع لأخبار الأنبياء المتقدمين

قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كالم الله ورفع بعضهم درجات
 وآتينا عيسى بن مريم الإنجيل وأيدناه بروح القدس الآية) وقال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى
 نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء وعيسى وأيوب
 ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم
 عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان
 الله عزيزاً حكيماً) . وقد روى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره وغيرها من طريق
 إبراهيم بن هشام عن يحيى بن محمد السائي السامي وقد تكلموا فيه حديثي أبي عن جدي عن أبي إدريس عن
 أبي ذر قال (قلت لرسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قلت لرسول الله كم
 الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر قلت لرسول الله من كان أولهم قال آدم قلت لرسول الله

بنى مرسل قال سمع خلقه الله يده وتخرج فيه من روحه ثم سواه قبلنا ثم قال يا أبا ذر أربعة سرايين آدم
 وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك
 يا أبا ذر وأول نبي من بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك . وقد
 أورد هذا الحديث أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات وقد رواه ابن أبى حاتم من وجه آخر قال
 حدثنا محمد بن عوف حدثنا أبو المنيرة حدثنا ماز بن رقاعة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبى امامة
 قال قلت لرسول الله كم الانبياء (قال مائة الف وأربعة وعشرون ألفا) الرسل من ذلك ثمانية وخمسة عشر
 جمعا غير آ . وهذا أيضا من هذا الوجه ضعيف فيه ثلاثة من الضعفاء ماز وشيخه وشيخ شيخه وقد قال
 الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أحمد بن اسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري حدثنا مكى بن ابراهيم
 حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (بث
 الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بنى اسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس) موسى وشيخه
 ضميان أيضا وقال أبو يعلى أيضا حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن ثابت البجلي حدثنا عبد بن خالد
 الانصارى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (كان بين خلا من اخوانى
 من الانبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ثم كنت أنا . يزيد الرقاشى ضعيف . وقد رواه الحافظ أبو بكر
 الاسماعيلى عن محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خالد حدثنا زياد بن
 سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (بث حلى
 أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بنى اسرائيل وهذا استاد لأبى به لكفى لأعرف حال
 أحمد بن طارق هذا والله أعلم .

حديث آخر قال عبد الله بن الامام أحمد وجدت فى كتاب أبى يعقوب حدثنى عبد المتعالى
 ابن عبد الوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الاموى حدثنا مجاهد عن أبى الورداء قال قال أبو سعيد هل تقرأ
 انوارا بالرجال قال قلت لا قال قال رسول الله ﷺ (لنى خاتم ألف نبي أو اكثر وما بث الله
 نبيا يقيم إلا وحذر أمته منه واتى قد بين لى فيه مالم يبين لاحد منهم وأنه أعور وأن ريكم ليس بأعور
 وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كلها نغمة فى حائط محمص وعينه اليسرى كلها كوكب درى معه
 من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن) وهذا حديث غريب
 وقد روى عن جابر بن عبد الله قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن على حدثنا يحيى بن سعيد
 حدثنا مجاهد عن الشعي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ (لنى خاتم ألف نبي أو اكثر وأنه ليس
 منهم نبي الا وقد أُنذر قومه النجال وأنه قد بين لى فيه مالم يبين لاحد منهم وأنه أعور وأن ريكم ليس
 بأعور . وهذا استاد حسن وهو محمول على ذكر عدد من أُنذر قومه النجال من الانبياء لكن فى الحديث

الآخر ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال فله أعلم .

وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قرات قال سمعت أبا حازم قال قاعدت أبا هريرة خمس ستين فسمته يحدث عن النبي ﷺ قال (كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلها هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال فوا بيعة الأول فالأول أعلمهم حقهم فإن الله سائلهم عما استمرام . وكذا رواه مسلم عن بشار ومن وجه آخر عن قرات به نحوه .

وقال البخاري حدثنا عمرو بن حفص حدثنا أبي حدثني الأعشى حدثني شقيق قال قال عبد الله هو ابن مسعود كأنى أظن إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لعومي أظنهم لا يعلمون رواه مسلم من حديث الأعشى به نحوه . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أن أبا نعيم عن زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد الخدري قال وضع رجل يده اليمنى على النبي ﷺ فقال والله ما أطيق أن أضرب يدى عليك من شدة حوائك قال النبي ﷺ (إنا مبشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الاجر ان كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالقتل حتى يقتله وان كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالفقر حتى يأخذ الباء فيجوبها وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء) هكذا رواه الامام أحمد من طريق زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد وقد رواه ابن ماجه عن دحيه عن ابن أبي ثديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قد ذكره . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان بن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء قال الأنبياء . ثم الصالحون . ثم الأمثل فالأمثل من الناس يتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلاءه وان كان في دينه رقة خفف عليه ولا يزال البلاء بالمعد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود . وقال الترمذي حسن صحيح وتقدم في الحديث (نحن مبشر الأنبياء أولاد ملات ديننا واحد وأمهاتنا شتى) والمعنى أن شرائهم وان اختلفت في الفروع ونسخ بعضها بعضاً حتى اتسعى الجميع إلى ما شرع الله لحمد ﷺ وعليهم أجمعين إلا أن كل نبي بشه الله قائماديه الاسلام هو التوحيد أن يمد الله وحده لا شريك له كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجبتنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بشنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الآية) . فأولاد الملأت أن يكون الأب واحداً والأمهات متفرقات فالأب بمنزلة الدين وهو التوحيد والأمهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها قال تعالى (لكل

جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال (لكل أمة جعلنا منسكاً مذكوراً) وقال (ولكل وجهة هو موليها) على أحد القولين في تفسيرها .

والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها إلا أن الجميع آصرة بعبادة الله وحده لا شريك له وهو دين الاسلام الذي شرعه الله لجميع الانبياء وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإياه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له رب أعلّم قال أسأت لب الصالحين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب وابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تخفون إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا الآية) . فدين الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الاخلاص له وحده دون مناسواه والاحسان أن يكون على الوجه المشروع في ذلك الوقت للمأمور به ولهذا لا يقبل الله من أحد عملاً بعد أن بث محمدًا ﷺ على ما شرعه له كما قال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) وقال تعالى (وأوحى إلى هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ) وقال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فانار موعده) . وقال رسول الله ﷺ (بثت إلى الأحمر والأسود) . قيل أراد العرب والعجم . وقيل الانس والجن . وقال ﷺ (والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم ابتعثوه وتركيتوني لضلّهم) (والاحاديث في هذا كثيرة جداً) . والمقصود أن اخوة السلات أن يكونوا من أب واحد وأمهاتهم شتى مأخوذ من شرب اللبيل بد التهل • وأما اخوة الاخفاف فمكس هذا أن تكون أمهم واحدة من آباء شتى . وأخوة الاعيان فهم الاشقاء من أب واحد وأم واحدة والله سبحانه وتعالى أعلم . وفي الحديث الآخر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة وهذا من خصائص الانبياء انهم لا يورثون وما ذاك إلا لان الدنيا أحرر عندهم من أن تكون مخلفة عنهم ولأن توكلهم على الله عز وجل في ذرائعهم أعظم وأشد وأكدر من أن يحتاجوا معه إلى أن يتركوا لورثتهم من بدمهم ما لا يستأثرون به عن الناس بل يكون جميع ما تركوه صدقة لقراء الناس ومحاويجهم وذو خلقهم . وسنذكر جميع ما يخص بالانبياء عليهم السلام مع خصائص نبينا ﷺ وعليهم أجمعين في أول كتاب النكاح من كتاب الاحكام الكبير حيث ذكره الأئمة من المصنفين اقتداء بالامام أبي عبد الله الشافعي رحمه الله عليه وعليهم أجمعين . وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الاعشى عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن أن عبد رب السكبة قال انتهيت إلى عبد الله بن عمرو وهو جالس في ظل الكعبة فسمعت يقول ويتناهن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ نزل منزلاً فثنا من يضرب خيابه ومنا من هو في جشره ومنا من يقتضل إذ نلت مناديه الصلاة جامعة قال فاجتمعنا قل فقام رسول الله ﷺ فخطبنا فقال (إله لم يكن نبى قبل إلا دل

أنته على خير مايلفه لهم وحذرهم مايلفه شرأ لهم وإن أمتكم هذه جلت عاقبتها في أولها وإن آخرها
سيصيبها بلاء شديد وأمور ينكرونها نجى قتن يريق بعضها بضاً نجى الفتنة فيقول المؤمن هذه
مهلكتي . ثم تنكشف . ثم نجى الفتنة فيقول المؤمن هذه . ثم تنكشف فن سره منكم أن يزحزح عن
النار وأن يدخل الجنة فلتذكره موته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يجب أن
يؤتى إليه ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فأن جاء آخر يتنازع فاضربوا
عنق الآخر . قال فأدخلت رأسى من بين الناس قتل أئمتك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله
ﷺ قال فأشار بيده إلى أذنيه وقال سمعت أذننى ووعاء قلبى قال قتل هذا ابن عمك عيسى ماموية
يا مرامنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وأن نقتل أنفسنا وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل) قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيئة . ثم رفع رأسه فقال أطفه
في طاعة الله وأعصه في معصية الله) ورواه أحد أيضاً عن وكيم عن الأعمش به وقال فيه
أيها الناس انه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على مايلفه خيراً لهم
وينفرد مايلفه شرأ لهم وذكر تمامه بنحوه . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي
وابن ماجه من طرق عن الأعمش به ورواه مسلم أيضاً من حديث الشعبي عن
عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ بنحوه^(١)

(هذه البشارة بالنسخة الخلية أجمتها كما هي)

آخر الجزء الثامن من خط المصنف رحمه الله تعالى يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أخبار العرب
وكان الفراغ من تمة هذا المجلد في سابع عشر شوال سنة سهر رنة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل
الصلاة والسلام بدمشق المحروسة على يد أقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته وعفوه وغفرانه ولطفه
وكرمه اسماعيل القرعى الشافى الانصارى غفر الله تعالى له وختم له بخير ولا حياه ولاخوانه ولنايحه
ولجميع المسلمين والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم قلباً كثيراً الى يوم الدين

(١) حاشية هكذا شكل أصل للنسخة الخلية أجمتها كما هو . والمفهوم من بقية الاجزاء أنها

مكتوبة في ثمانمائة وكسور

ذكر أخبار العرب

قيل إن جميع العرب ينتسبون إلى اسماعيل بن إبراهيم عليها السلام والنجية والاكرام • والصحيح المشهور أن العرب البادية قبل اسماعيل وقد قدمنا أن العرب البادية منهم عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجرم والماليق وامم آخرون لا يعلمهم إلا الله كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفي زمانه أيضاً . فلما العرب المستعربة وهم عرب الحجاز فن ذرية اسماعيل بن إبراهيم عليها السلام . وأما عرب اليمن وهم حير فالمشهور أنهم من قحطان واسمه مهزوم قاله ابن مأكولا وذكروا أنهم كانوا أربعة أخوة قحطان وقاحط ومقحط وقالح وقحطان بن هود . وقيل هو هود . وقيل هود أخوه وقيل من ذريته وقيل أن قحطان من سلالة اسماعيل حكاه ابن اسحاق وغيره فقال بعضهم هو قحطان بن عيمن بن قيدر بن اسماعيل . وقيل غير ذلك في نسبة إلى اسماعيل والله أعلم

وقد ترجم البخاري في صحيحه على ذلك قال (بلب نسبة اليمن إلى اسماعيل عليه السلام) حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد حدثنا سلمة رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ على قوم من اسلم يتناضلون بالسيف فقال ارموا بني اسماعيل وأنا مع بني فلان لأجد الفريقين فأمسكوا بأيديهم فقال مالك قاتوا وكيف نرى وأنت مع بني فلان فقال ارموا وأنا معكم كلكم . فأمره بالبخاري وفي بعض النسخ ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع ابن الأذرع فأمسك القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم • قال البخاري وأسلم بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعني وخزاعة فرقة من كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سبيل المرم كما سيأتي ياءه وكانت الأوس والنخزج منهم وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام ارموا بني اسماعيل فدل على أنهم من سلالة وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة اسماعيل وعندهم أن جميع العرب ينتسبون إلى قسرين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والمدنانية شعبان أيضاً ربيعة ومضر ابنا تزار بن مد بن عدنان والشعب النظامس وهم قضاة مختلف فيهم قتل لهم عدنايون قال ابن عبد البر وعليه الأكثرون ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وعنه مصعب الزبيري وابن هشام وقد ورد في حديث قضاة بن مسلم ولكنه لا يصح قاله ابن عبد البر وغيره ويقال لهم لن يزالوا في جاهليتهم وصدر من الاسلام ينتسبون إلى عدنان فلما كان في زمن خالد بن يزيد بن معاوية وكالوا أخواله انفسوا إلى قحطان فقال في ذلك أعشى بن ثعلبة في قصيدة له :

أبلغ قضاة في القربى لهم * لولا خلاف آل الله ما حرقوا
 قالت قضاة إنا من ذوى يمن * والله يسلّم ما برأ وما صدقوا
 قد ادعوا والدّاً مائل أمهم * قد يملون ولكن ذلك الفرق

وقد ذكر أبو عمرو السهلي أيضاً من شعر العرب ما فيه إبداع في تيسير قضاة في احتسابهم إلى
 اليمن والله أعلم . والقول الثاني أنهم من قحطان وهو قول ابن اسحاق والكلبي وطائفة من أهل النسب .
 قل ابن اسحاق وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يرب بن قحطان وقد قال
 بعض شراهم وهو عمرو بن مرة صحابي له حديثان :

يأبها الداعي ادعنا وإشر * وكن قضاة ولا تُؤزّر
 نحن بنو الشيخ المجان الأزهري * قضاة بن مالك بن حمير
 التلب المعروف غير المنكر * في الحجر المنقوش تحت المنبر

قال بعض أهل النسب هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن حمير وقال ابن لمية عن
 معروف بن سويّد عن أبي عثابة ^(١) محمد بن موسى عن عقبة بن عامر قال قلت لرسول الله أمان نحن
 من معد قال لا قلت فمن نحن قال أنتم قضاة بن مالك بن حمير قال أبو عمرو بن عبد البر ولا يختلفون
 أن جبهة بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمران بن إلخاف بن قضاة قبيلة عقبة بن عامر الجهني قتل
 هذا قضاة في اليمن في حمير بن سبأ وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره
 من أن قضاة امرأة من جرم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاة ثم خلف عليها مد بن عدنان
 وابنها صغير وزعم بعضهم أنه كان حلاقاً فقتل إلى زوج أمه كما كانت عادة كثير منهم فيسبون الرجل
 إلى زوج أمه والله أعلم *

وقال محمد بن سلام البصري النسابة : العرب ثلاثة جرائم المدنية والقحطانية وقضاة . قيل له
 فأيهما أكثر المدنية أو القحطانية فقال ما شئت قضاة أن تيامنت القحطانية أكثر وإن تعددت فالمدنية
 أكثر وهذا يدل على أنهم يتلومون في نسبهم فإن صح حديث ابن لمية المقدم فهو دليل على أنهم من
 القحطانية والله أعلم . وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
 لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال علماء النسب يقال شعوب . ثم قبائل ثم عمار . ثم بطون . ثم
 أقباض . ثم فصائل . ثم عشار . والمشيخة أقرب الناس إلى الرجل وليس بعدها شيء . ولينبدأ أولاً بذكر

(١) قوله أبي عثابة كذا بالأصل ياء بعد الألف وليس من الرجال من تكفى بهذه الكنية
 والموجود أبو عثابة بنون بعد الألف المافرى المصرى واسمه حى بن يرم بن حجيل بن جريح وهو
 الراوى عن عقبة بن عامر وعامر بن ياسر وغيرها لا محمد بن موسى أم محمود الامام

التحصانية ثم نذكر بدم عرب المجاز وم الدنانية وما كان من أمر الجاهلية ليكون ذلك متصلاً بيرة رسول الله ﷺ إن شاء الله تعالى وبه الثقة *

وقد قال البخارى ﴿بَابُ ذِكْرِ قِطْطَانَ﴾ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن نوري بن زيد عن أبي المخيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قِطْطَانَ يسوق الناس بصاه وكذا رواه مسلم عن قتيبة عن الدراوردي عن نوري بن زيد * قال السهيلي وقِطْطَانَ أول من قيل له أيت السن وأول من قيل له أنتم صباحاً . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المنيرة عن جرير حدثني راشد بن سعد المقرئ عن أبي حنيفة عن زكريا عن أن رسول الله ﷺ قال (كان هذا الأمر في حير فزعه الله منهم فجعل في قريش) (وسرى ع ودالي هـ م) قال عبد الله كان هذا في كتاب أبي وحيث حدثنا به تكلم به على الاستواء يعني وسيمود اليهم .

❦ قصة سبأ ❦

قال الله تعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين خواتى أكلن حظاً وأكلن شئاً من سدر قليل . ذلك جزيناهن بما كفرنوا وهل نجدنهن إلا الكفور . وجعلنا بينهما القرى التي باركننا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين . قالوا ربنا أبعد بين أسفارنا وظلهمنا أنفسهم بغيظناهم أحاديث ومزقناهم كل عرق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) قال علماء النسب منهم محمد بن اسحاق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يرب بن قحطان قالوا وكان أول من سبى من العرب فسمى سبأ لذلك وكان يقال له الرائي لأنه كان يعطى الناس الاموال من مناعه . قال السهيلي ويقال إنه أول من توج وذكر بعضهم أنه كان مسلماً وكان له شر فيه بوجود رسول الله ﷺ فمن ذلك قوله

سيمك بدنا ملكاً عظيماً	في لا يرخس في الحرام
ويعك بسده منهم ملوك	يدينون البلاد خير دام
ويعك بدم منا ملوك	يصير الملك فينا باقسام
ويعك بد قحطان في	تقى جيبته خير الالم
يسى أحداً ياليت آتى	أمر بسد مبث بام
فأعضده وأحبوه بنصرى	بكل مدحج وبكل رام
مق يظهر فكرونا نصره	ومن يلقاه يلقه سلاى

حكاية ابن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير

وقال الامام احمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعدة سمعت عبد الله بن العباس يقول إن رجلاً سأل النبي ﷺ عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض قل بل هو رجل ولد عشرة ففكر الذين منهم ستة والثام منهم أربعة . فأما اليمانيون فذبح وكنته والازد والأشيريون وأنمار وحير . وأما الشامية فطخم وجذام وعاملة وغسان وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك القطيفي هو السائل عن ذلك كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك وفيه الحمد .

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها وقد كان فيهم التباينة بأرض اليمن واحدهم تبع وكان للحكم تيجان يلبسونها وقت الحكم كما كانت الأكسرة ملوك الفرس يملكون ذلك وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمن مع الشجر وحضر موت تبعاً كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك مصر فرعون ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك الهند بطليموس وقد كان من جملة ملوك حير بأرض اليمن بقرين وقد قدمنا قصتها مع سليمان عليه السلام وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارة وثمار وزروع كثيرة وكأوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد فلما بدوا قصة الله كفراً أحلوا قومهم دار البوار .

قال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً وزعم السدي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي فآله أعلم . والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله . وكان ذلك في زمان بقرين وقبلها أيضاً واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل حطأ وأثل وشئ من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يحجازى إلا الكفور)

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سد مأرب كان صنعتها ان المياه تجري من بين جبلين ففسدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما بيناهم محكم جفاً حتى ارتفع الماء فحكم على أهالي الجبلين وغرسوا فيها البساتين والاشجار المثمرة الا نيقة وزدروا الزروع الكثيرة وقال كان أول من بناء سبأ بن يعرب وسلط اليه سبعين وادياً يقد اليه وجبل له ثلاثين فرسخة يخرج منها الماء ومات ولم يكمل بناؤه ففكته حير بعده وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ وكأوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالكتل على رأسها خنثى من الثمار ما يساقط فيه من فضبه وكثرة وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شئ من البراغيث والاقواب المؤذية لصحة هواهم وطيب فرائهم كما قال تعالى (لقد كان لسبأ في سكنهم آية جتان هن يعين وشمال كأوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وقال تعالى (وإذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)

فما عبدوا غير الله ويطروا نعمته وسألوا بمد تقارب ما بين قرام وطيب ما بينا من الباتين وامن
الطرقات سألوا أن يباعدين أسفارهم وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب وطلبوا أن يدلوا بالخير شرّاً
كما سأل بنو اسرائيل بدل المن والسوى البقول والقتاء والنوم والهدس والبصل فلبوا تلك النعمة
الظيمة والحسنة المقيمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه البعاد كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم
سيل الرم) قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الفار وهو الجرد ويقال الخلد فلما فطنوا لتلك
أرصدوا عندها السنانير فلم تكن شيئاً إذ قد حم القدر ولم يتنع الخذر كلا لا وزر فلما تحكّم في أصله الفساد
سقط وانهار فسلك الماء الترار قطعت تلك الجداول والأنهار واهطلت تلك الثمار ومادت تلك
الزروع والأشجار وتبدلوا بمدّها بردى. الأشجار والأثمار كما قال المزني الجبار (وبلغناهم بجهنم
جنتين ذوات أكل خط وأثل) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو الآراك وثمره البربر وأثل وهو
الخراف. وقيل يشبهه وهو حطب لامر له (وشى من سدر قليل) وذلك لأنه لما كان يشر التبق كان قليلاً
مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة اليه كما يقال في المثل لحم جبل غث على رأس جبل وعمر لاسهل
فبرقنى ولا سمين فينتقى ولهذا قال تعالى (ذلك جزيتكم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور) أى إنما
نقاب هذه القوة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا وخالف أمرنا وانتكح محارمنا وقال تعالى
(فلجناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن
يرتحلوا منها وينقلوا عنها ففرقوا في غور البلاد ونجدها يدي سبأ شذر مذر قزلت طواف منهم المحجاز
ومنها خراة ظاهرها مكة وكان من أمرهم ما سذكركه ومنها المدينة المنورة اليوم فكانوا أول من
سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فخالفوا الأوس
والخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ما سذكركه ونزلت طائفة أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا
فبا بعد يوم غسان وعاملة وبهراء وظم وجذام وتنوخ وقلب وغيرهم وسذكركم عند ذكر خروج
الشام في زمن الشيخين رضى الله عنهما

قال محمد بن اسحاق حدثني أبو عبيدة قال قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة وهو ميمون بن قيس.

وفي ذاك للوقتى أسوة ومأردى عني عليها الرمم

رخام بخته لهم حمير إذا جاء مواده لم يرم

فأروى الزرع وأعتابها على سمة مادم إذ قسم

فصاروا إياي لا يقدرو زعلى شرب طفل إذا ما نطم

وقد ذكر محمد بن اسحاق في كتاب السيرة أن أول من خرج من اليمن قبل سيل الرمم عمرو بن عامر
الخنسي وظم هو ابن عدى بن الحارث بن مرة بن أزد بن زيد بن مهن بن عمرو بن عريم بن يشجب

ابن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال لعلم بن عدي بن عمرو بن سبأ قاله ابن هشام . قال ابن اسحاق وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدثني أبو زيد الانصاري أنه رأى جرذا يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم فلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على القلة عن اليمن فساد قومه فاسرا صفر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقوم ببلد لطم وجهي فيه أصفر ولدي وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتصموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل في ولده وولد ولده وقالت الأزد لا تخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فسادوا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين برتلون البلدان فغار بهم عك فكانت حربهم سجالات في ذلك قال عباس بن مرداس .

وعك بن عدنان الذين تلبوا بسان حتى طردوا كل مطرد
قال فارتحلوا عنهم ففرقوا في البلاد فقتل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزل الاوس وانتزج يثرب ونزلت خزاعة مرأ ونزلت أزد السراة السراة ونزلت أزد عان عان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله هذه الآيات وقد روى عن السدي قريب من هذا وعن محمد بن اسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهنا وقال غيره كانت امرأته طريقة بنت الخير الحميرية كاهنة فاختبرت بقرب هلاك بلادهم وكأهم رأوا شاهد ذلك في الفأر الذي سلط على سد مأرب ففعلوا ما فعلوا والله أعلم . وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبي حاتم في التفسير .

فصل

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها وذهب أهل مأرب الذين كان لهم السد ففرقوا في البلاد وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن بل انما تشابه منهم أودية وبقي باليمن ستة وهم مذحج وكندة وأنمار والاشعريون وأنمار هو أبو خشم وبجيلة وحير فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فهم الملك والتبابعة حتى سلمهم ذلك ملك الحبشة بلعش الذي بشة محبة أميره أبرهة وإرباط نحواً من سبعين سنة ثم استرجعه سيف ابن ذي رزن الحميري وكان ذلك قبل مولد رسول الله ﷺ بقليل كما سنذكره مفصلاً قريباً إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التسلان هم أرسل رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن علياً وخالد بن الوليد ثم أباً موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويبينون لهم الحق ثم قلب على اليمن الأسود المنسي وأخرج نواب رسول الله ﷺ منها فلما قتل الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه كاستبين ذلك بعد البعثة إن شاء الله تعالى

قصة ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر

المقدم ذكره اللخمي كذا ذكره ابن اسحاق . وقال السهيلي ونساب البين قول نصر بن ربيعة
 ابن نصر بن الحارث بن غارة بن نغم وقال الزبير بن بكار ربيعة بن نصر بن مالك بن شموذ بن مالك بن
 عجم بن عمرو بن غارة بن نغم ونغم أخو جذام وسمى غلاما له نغم أخاه أي لطله قضه الآخر
 في يده فقدمها فسمى جذاما وكان ربيعة أحد ملوك حمير التباية وخبره مع شق وسطيح الكاهنين وإنذارها
 بوجود رسول الله ﷺ أما سطيح فسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن
 مازن غسان وأما شق فهو ابن صب بن يشكر بن دهم بن أفرق بن قيس بن عبقري بن أنمار بن زرار
 ومنهم من يقول أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن النوث بن ثابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن
 سبا ويقال إن سطيحا كان لأعضاء له وإنما كان مثل السطيحة ووجهه في صدره وكان إذا غضب انتفخ
 وجلس وكان شق نصف انسان ويقال ان خالد بن عبد الله بن القسري كان سلاته وذكر السهيلي أنها
 ولدا في يوم واحد وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخليل الحيرية ويقال أنها خلفت في فم كل منهما فودرت
 الكمامة عنها وهي امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره والله أعلم قال محمد بن اسحاق وكان ربيعة بن نصر
 ملك البين بين اصناف ملوك التباية فرأى رؤيا هائلة هائلة فقطع بها قلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عاتما
 ولا منجبا من أهل مملكته إلا جمه إليه فقال لهم إني قد رأيت رؤيا هائلة فظلمت بها فأخبروني بها
 وتأويلها قالوا انقصها علينا فنخبرك بتأويلها فقال اني ان أخبركم بها لم أطعن الى خيركم وتأويلها لانه
 لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يزيد هذا فليث الى
 شق وسطيح فانه ليس أحد أعلم منهما فها يخبرانه بما سأله فبعث اليهما فقدم اليه سطيح قبل شق
 فقال له إني قد رأيت رؤيا هائلة فظلمت بها فأخبرني بها فانك ان أصبتها أصبت تأويلها قال أفضل رايت
 حجة خرجت من غلة فوقت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جبهة فقال له الملك ما أخاطت منها
 شيئا يا سطيح فاعطاك في تأويلها قال أحلف بما بين الحرتين من حنث ليهبطن أرضكم الجيش . فليسلكن ما
 بين آيين الى جرش فقال له الملك يا سطيح ان هذا لنا لائق موجه فتي هو كلن أفي زماي أم بده قال
 لا وايلك بل بده يحين . أكثر من ستين أو سبعين . يحضين من الستين قال أفيدوم ذلك من سلطانهم أم
 يقطع قال بل يقطع لبعض وسبعين من الستين ثم يقتلون ويخرجون منها هارين قال ومن على ذلك من قطعهم
 واخرجهم قتل يلبهم أرم ذى وزن . يخرج عليهم من عدن . فلا يترك منهم أحدا باليمن . قال أفيدوم ذلك
 من سلطانهم أم يقطع قال بل يقطع قتل ومن يقطعه قال في ذكي . يأتيه الوحى من قبل البلى قال ومن هذا
 النهي قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر . يكون الملك في قومه الى آخر الدهر . قال وهل

للدهر من آخر قال فم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون. يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال
أحق ما تخبرني قال نعم . والشفق والشفق إذا انشق إن ما أنباتك يخلق. قال ثم قدم عليه شق فقال
له كقولك لسطيح وكنه ما قال سطيح لينظر أيتقان أم يختلان قال نعم رأيت حمة خرجت من
ظلمة . فوقت بين روضة وأكمة . فأكلت منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف أنها قد انفتحت وأن
قولها واحد إلا أن السطحاً قل وقت بأرض شهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة . وقال شق وقت بين روضة
وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فقال له الملك ما أخطأت يا شق عنها شيئاً فما عندك في تأويلها فقال
أحلف بما بين الحرتين من إنسان . لينزلن أرضكم السودان فيظلمن على كل طفلة البنات ويلبسكن ما بين أين
الى نجران فقال له الملك وأيك يا شق إن هذا لنا لفاظت موجب فتى هو كائن أنى زمانى أم بعده قال لا بل
بده زمان . ثم يستفدكم منهم عظيم خوشان . ويذيقهم أشد الهوان . قال ومن هذا العظيم الشأن قال غلام
ليس بدنى ولا مدنى يخرج عليهم من بيت ذى يزن . قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قل بل ينقطع برسول
مرسل يأتي بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل
قال يوم يجزى فيه الولات يدعى فيمن الساء بدعوات تسع منها الاحياء والاموات ويجمع الناس فيه
للبقيات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ما تقول قل أى ورب الساء والارض وما بينهما
من رفم وخضف . ان ما أنباتك به لحق ما فيه أمض . قل ابن اسحق فوقع في فخر ربيعة بن نصر ما قال
لخبرني به وأهل بيته الى العراق وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم
الحيرة قال ابن اسحق فن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن
عدى بن ربيعة بن نصر بنى الذى كان نخباً على الحيرة للملك الا كسرة وكانت العرب تهد اليه وتمتدحه
وهذا الذى قاله محمد بن اسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس . وقد
روى ابن اسحاق ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جىء بسيف النعمان بن المنذر سأل جبير بن مطعم
عن من كان قال من اسلاء قصص من مد بن عدنان قال ابن اسحاق فافقه أعلم أى ذلك كان

قصة تبع أبي كرب تبار اسعد ملك اليمن مع اهل المدينة
(وكيف أراد غزو البيت الحرام ثم شرفه وعظمه وكساه اللؤلؤ فكان أول من كاه)

قال ابن اسحاق فلما ملك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله الى خان بن تبار اسعد أبي كرب
وتبار اسعد تبع الآخر ابن كلي كرب بن زيد وزيد تبع الأول بن عمرو ذى الازغار بن أبرة
ذى النار بن الراس بن عدى بن صبي بن سبأ الامير بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن
عمرو بن قس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن النضر بن قطن بن عريب بن زهير

ابن أنس بن المبيع بن الربيع وهو حبر بن سبأ الأكبر بن يرب بن يشجب بن قحطان . قال ابن اسحاق وتبان أسد أبو كرب هو الذي قدم المدينة وساق الحبرين من اليهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل ملكة ريعة بن نصر وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة وكان قد مر بها في بدأته فلم يبع أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له قتل غيلة قدامها وهو جمع لآخراها واستقصا أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحى من الانصار ورئيسهم عمرو بن طلحة أخو بني النجار ثم أحد بني عمرو بن مبذول واسم مبذول عامر بن ملك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة عمرو بن عامر

وقال ابن هشام عمرو بن طلحة هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن ملك بن النجار وطلحاته وهي بنت عامر بن ذريق الخزرجية .

قال ابن اسحاق وقد كان رجل من بني عدي بن النجار يقال له أحر عدا على رجل من اصحاب تبع وجده يجد عدا له فضربه بمنجله قتله وقال انما التمر لمن أبره فزاد ذلك تبعاً حقا عليهم فاقبلوا فترجم الانصار انهم كانوا يقاتلون بالهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله ان قومنا لكرام وحكى ابن اسحاق عن الانصار ان تبعا انما كان حقه على اليهود انهم متعوم منه .

قال السهيلي ويقال انه انما جاء لتصرة الانصار أبناء عمه على اليهود الذين نزولوا عندهم في المدينة على شروط فلم يوافقوا واستطالوا عليهم والله أعلم .

قال ابن اسحاق فينا تبع على ذلك من قاتلهم اذ جاءه حيران من أحبار اليهود من بني قريظة عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالوا له أيها الملك لا تفعل فانك إن أبيت إلا ما تريد حيل يئسك وبينها ولم تأمن عليك جبل العقوبة فقال لما ولم ذلك قلا هي مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى ورأى أن لما علماً وأجبه ما سمع منها فانصرف عن المدينة وأتبسما على دينهما . قال ابن اسحاق وكان تبع وقومه أصحاب أولئك يبدونها فخرجوا إلى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كن بين عسفان وابع آله فر من هذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فقالوا له أيها الملك ألا تنلك على بيت مال دائرا غلته الملوكة قبلك فيه التولوز والزرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يبدنه أهلهم ويصلون عنده وانما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوكة وبني عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألنا عن ذلك فقالا له ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جنتك ما نعلم يتألفه عز وجل اتخذه في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليلكن من ممك جيا قال

فلذا تأمراني أن أصنع إذا انا قدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتمطط وتكرموه وتحلق رأسك عنده وتذل له حتى تخرج من عنده قال فما بمنصك أنما من ذلك قالا أما والله إن لييت أيتا إبراهيم عليه السلام وأنه لكما أخيرتك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بلا ونحن التي نصوبها حوله وبالدما التي يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أو كما قالا له فرف فصحبها وصدق حديثها وقرب النفر من هذيل قطع أيديهم وأرجلهم فمهمض حتى قدم مكة فضاف باليت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيها يذكرون ينحربها للناس ويطلع أهلها ويستقيم السل وأرى في المنام أن يكسوا البيت فكساء انلصف ثم أرى في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء الماطر ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء الملا والواصل ولكن تبع فيا يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولانه من جرم وأسرهم بطهيره وأن لا يقربوه دما ولا ميتة ولا مئلا ولا هي الحايض وجعل له بابا ومفتاحا ففى ذلك قالت سبيمة بنت الأحب تذكر ابنها خالد به عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وتنهاه عن البغي بمكة وتذكر له ما كان من أمر تبع فيها .

ابني لا تظلم	ككة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها	فى ولا يترك القرو
ابني من يظلم	ككة يلق أطراف الشرور
أبني يضرب وجهه	ويطج بخديه السمير
أبني قد جربها	فوجبت ظالمها يبور
الله آمنها وما	بيت برصتها قصور
والله آمن طيرها	والعصم تامن فى ثير
ولقد غزاها تبع	فكسا بينتها الحير
وأذل ربى ملكه	فيها فأوفى بالندور
يمشى اليها حافيا	بنائها ألقا بصير
ويظل يطلع أهلها	لحم المهارى والجوزور
يستقيم السل المصقى	والرحيض من الشحير
والفيل أهك جيشه	يرمون فيها بالصخور
والملك فى أقصى البلا	دوق الأعاجم والجوزور
فصيح إذا حدثت وأنهم	كيف عاقبة الأمور

قال ابن اسحاق ثم خرج تبع متوجها الى اليمن بن معه من الجنود والبحرين حتى اذا دخل اليمن

دعا قومه الى الدخول فيها فدخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن قال ابن اسحاق حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال سمعت ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن ثعلبة لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم قالوا نعم كئنا الى النار قال نعم قال وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن فارتحل بهم فيها فيختلفون فيه يأخذ الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلبا حتى قدوا فنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أظلمت فحوم حادوا عنها وهابوها فزجرهم من حضرم من الناس وأسرهم بالصبر لما فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما فمرق جباههما ولم تضرهما فاصفقت عند ذلك حمير على دينها فن هلاك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق وقد حدثني محدث أن الحبران ومن خرج من حمير انما اتبعوا النار ليردوها وقتلوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها فدنا منها الحبران بعد ذلك وجلا يتلوان التوراة وهي تنقص عنهما حتى رداها لي مخرجها الذي خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينها والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن اسحاق وكان رثام يتألم مظلومه وينحرون عنده ويكلمون فيه اذ كانوا على شركهم قال الحبران لتبع انما هو شيطان ينهم بذلك فخل بيننا وبينه قال فثأنا كما به فاستخرجنا منه فيما يزعم أهل اليمن كتاباً أسود فذبحناه ثم هدا ذلك البيت فبقايه اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي كانت تهرق عليه وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ (لا تسبوا تبعاً فانه قد كان أسلم) قال السهيلي وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (لا تسبوا أسعد الحميري فانه أول من كفى الكعبة) .

قال السهيلي وقد قال تبع حين أخبره الحبران عن رسول الله ﷺ شراً

شهدت على احمد انه رسول من الله باري التسم

فرو مد عمرى الى عمره اكنت وزيراً له وابن عم

وجاهدت بالسيف أعداءه وفوجت عن صدره كل دم

قال ولم يزل هذا الشر متوارثه الاقصار ويحفظونه بينهم وكان عند أبي أيوب الانصاري رضى الله عنه وأرضاه قال السهيلي وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أن قبراً حفر بصنماء فوجد فيه اسراً ثلث منها ملح من فضة مكتوب بالذهب وفيه هذا قبر ليس وحى ابقى تبع ما رواها تشهد ان

إلا الله إلا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك ملت الصالحون قبلها .

ثم صار الملك فيما بعد إلى حسان بن تيان أسعد وهو أخو البجعة الزرقاء التي صلبت على باب مدينة جو فسميت من يومئذ البجعة . قال ابن اسحاق فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تيان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطاعهم أرض العرب وأرض الأعراب حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم فكلدوا أخاه يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له أقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا فأجابهم فلجئوا على ذلك إلا ذارعين الجري فاقه نهى عمرآ عن ذلك فلم يقبل منه فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان :

ألا من يشترى سهرآ بنوم سعيد من بيت قرير عين

فاما حمير غدرت وخانت فمطرة الآله لقي رعين

ثم استودعها عمرآ . فلما قتل عمرو أخاه حسان ورجع إلى اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فسال الاطباء والحذاق من الكهان والعرافين عما به قيل له انه والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رحم بقاء إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر فشد ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه فلما خلاص إلى ذي رعين قال له إن لي عندك برامة قال وما هي قل الكتاب التي دفنت إليك فأخرجه فلما فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فخرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا

وثوب الخنينة^(١) ذي شناتر على ملك اليمن

وقد ملكها سبأ وعشرين سنة . قال ابن اسحاق فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك يقال له الخنينة يتوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم وكان مع ذلك أمرا فاسقا يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل إلى النمل من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك ثلاثا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله في فيه ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى يثب إلى ذرعة ذي نواس بن تيان أسعد أخى حسان وكان صبيا صغيرا حين قتل أخوه حسان ثم شب غلاما جميلا وسيا ذاهية وعقل فلما آذره رسوله عرف ما يريد منه فأخذ سكينتا جديدا لطيفا فخباء بين قدميه وضله ثم آذره فلما خلاصه وثب إليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حزن رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس أرطب أم يلس فقال سل نهماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا بأس^(٢) فنظروا إلى الكوة

(١) قوله الخنينة بالنون وهو كذلك في سيرة ابن هشام والذي في مادة شطر من القاموس يثاء المشاء من فوق

(٢) قال ابو ذر الخثمي قالوا في ضمير استرطبان ان معناه اخذته النار فالتارسيه اه وقال السهيلي وقوله

فأذا رأس غليظة مقطوع فخرجوا في أثر ذى نواس حتى أدركوه فقالوا ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحنا من هذا الخبيث فلكوه عليهم واجتمعت عليه حير وقبائل بلين فكان آخر ملوك حير وتسمى يوسف فأقام في ملكه زماناً، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الأنجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر. ثم ذكر ابن اسحاق سبب دخول أهل نجران في دين النصراني وإن ذلك كان على يدي رجل يقال له فيميون كان من عباد النصراني بأطراف الشام وكان مجاب الدعوة وصحبه رجل يقال له صالح فكان يتبدان يوم الأحد ويصل فيميون بقية الجمعة في البناء وكان يدعو للرضى والزمى وأهل الماهات فيشتفون ثم استأسره وصاحبه بعض الأعراب فباعوها بنجران فكان الذي اشترى فيميون يراه إذا قام في مصلاه بليت الذي هو فيه في الليل يمتلي عليه البيت نوراً فأعجبه ذلك من أمره وكان أهل نجران يمدون نخلة طويلة يلقون عليها حلى نساءهم ويصنفون عندها فقال فيميون لسيده أرايت أن دعوت الله على هذه الشجرة فهلكت أنتم أنتم الذي أنتم عليه بلال. قال نعم فجمع له أهل نجران وقام فيميون إلى مصلاه فدعا الله عليها فأرسل الله عليها قاصداً فجفها من أصلها ورماها إلى الأرض فأتبعه أهل نجران إلى دين النصرانية وحملهم على شريعة الأنجيل حتى حدثت فيهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب ثم ذكر ابن اسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصر على يدي فيميون وكيف قتله واصحابه ذو نواس وخدمهم الاخدود. وقال ابن هشام وهو الحفر المستطيل في الأرض مثل الخندق وأجج فيه النار وحرقهم بها وقتل آخرين حتى قتل قرياً من عشرين ألفاً كما قلنا ذلك مبسوطاً في أخبار بني إسرائيل وكما هو مستقصى في تفسير سورة (والسباء ذات البروج) من كتابنا التفسير والله الحمد.

ذكر خروج الملك باليمن من حير وصير ورته إلى الحبشة السودان

كما أخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان وذلك أنه لم ينتج من أهل نجران إلا رجل واحد يقال اسرطبان إلى آخر الكلام مشكل يفسره ما ذكره أبو الفرج في الأغاني قال كان الغلام إذا خرج من عند غليظة وتدلأ به قطعوا مشافرة فمته وذبحها وصاحوا به اربط أم يباس فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقه له يقال لها السراب قالوا. ذا نواس. اربط أم يباس. قال. ستمل الأحرار است ذى نواس. است رطب أم يباس. فهذا اللفظ مفهوم والذي وقع في الأصل يريد سيرة ابن هشام هذا مناهة ولفظه قريب من هذا ولله تغيير في اللفظ والله اعلم اه. محمود الامام

له دوس ذو ثلبان على فرس له، فسلك الرمل فنجزم ففضى على وجهه ذلك حتى أتى قبرص ملك الروم
فاستنصره على ذى نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم، وذلك لأنه نصراني على دينهم. فقال له بدت
ببلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة قائم على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك. فكتب اليه
بأمره بنصره والطلب بأثره. فقدم دوس على النجاشي بكتاب يقصر فيحث منه سبعين ألفاً من الحبشة
واسر عليهم رجلاً منهم يقال له ارباط ومعه في جنده ابرهة الاشرم فركب ارباط البحر حتى نزل بساحل
اليمن ومعه دوس وسار اليه ذو نواس في حير ومن اطاعه من قبائل اليمن. فلما اتفقا انهزم ذو نواس
واصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به ويقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل فيه فحاض به فخصخ
البحر حتى افضى به الى غمره فادخله فيها فكان آخر العهد به ودخل ارباط اليمن وملكها
وقد ذكر ابن اسحاق عاها انشأراً فربها وقع من هذه الكائنة الغريبة وفيها فصاحة وحلاوة
وبلاغة وملاوة وليسكن تركنا ايرادها خشية الاطالة وخوف الملالة والله المستعان

ذكر خروج ابرهة الاشرم على ارباط واختلافها واقتيالها وصوره ملك اليمن الى ابرهة بعد قتله ارباط

قال ابن اسحاق فقام ارباط بروض اليمن سنين في سلطانه ذلك ثم تلاذه ابرهة حتى تفرقت الحبشة
عليها. فأنحاز الى كل منها طائفة ثم سار أحدها الى الآخر. فلما تدارب الناس أرسل ابرهة الى ارباط
انك لن تصنع بان تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفتنبا شيئا شيئا، فبرزلى وابرزك قائما أصاب صاحبه
افصرف اليه جنده، فأرسل اليه ارباط اصفته فخرج اليه ابرهة وكان رجلاً قصيراً أليفاً وكان ذا دين في
النصرانية وخرج اليه ارباط وكان رجلاً جليلاً طويلاً وفي يده حربة له. وخلف ابرهة غلام يقال له
حنودة يمتع ظهره. ففرغ ارباط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه. فوفقت الحربة على جهة ابرهة فشرمت
ساحبه وعبه وأفعه وشفته فبذلك سمى ابرهة الاشرم. وحمل حنودة على ارباط من خلف ابرهة فقتله
وانصرف جند ارباط الى ابرهة. فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى ابرهة ارباط. فلما بلغ ذلك النجاشي
ملك الحبشة الذي يسميهم الى اليمن غضب غضباً شديداً على ابرهة وقال عدا على أميري قتله بغير أمري
ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يصل بلادهم ويمزق ناصيته فخلق ابرهة رأسه وملاً جراباً من تراب اليمن ثم بث
به الى النجاشي ثم كتب اليه: أيها الملك إنما كان ارباط عبك وأتبعك فلتفتنبا في أمرك وكل طاعتك
إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة واضبط لما وأسوس منه. وقد حقت رأسي كله حين بلغني قسم
الملك وبشت إلي بغير اب تراب من أرضي ليضه تحت قدمه فيبر قسه في. فلما انتهى ذلك الى النجاشي
رضى عنه وكتب إليه أن أميت بروض اليمن حتى يأتيك أسرى فاقام ابرهة باليمن

ذكر سبب قصد أبرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة فاهلكه الله عاجلاً غير آجل كما قال الله تعالى

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل *
فرمهم بمجارة من سجيل * فجعلهم كعصف ما كؤل)

قيل أول من ذلّل الفيلة إفريدون بن أميان الذي قتل الضحاك قاله الطبري وهو أول من اتخذ
للخيل السرج . وأما أول من سخر الخيل وركبها فطهروث وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ويقال
إن أول من ركبها إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب والله تعالى أعلم
ويقال إن الفيل مع غلظة خلقه يفرق من الهر . وقد احتال بعض أمراء الحروب في قتال المتوعد
باحتضار ستائير الى حومة الوحي ففترت الفيلة

قال ابن إسحاق ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء كنيسة لم ير مثلاً في زمانها بشيء من الأرض
وكتب الى النجاشي لى قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلاً لك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف
اليها حج العرب

فذكر السهيلي أن أبرهة استغل أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخبيثة وسخرم فيها أنواعاً من
السحر . وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا عاقلة . وجعل يقتل اليها من قصر
بقيس رخاماً واحجاراً وأمتة عظيمة وركب فيها صلباً من ذهب وفضة . وجعل فيها منابر من عاج
والبنوس وجعل ارتعاشها عظيماً جداً واتساعها بهراً فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحبشة كان من
يتعرض لآخذ شيء من ثيابها وامتنعها اصاحبه الجن بسوء . وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنين -
كعب وامرأته - وكان طول كل منهما ستون فرساً . فتركها أهل اليمن على حالها . فلم تزل كذلك
الى زمن الفتح أول خلفاء بني العباس فبث اليها جماعة من أهل الزم والحزم والعلم فتقضوها حجراً
حجراً ودرست آثارها الى يومنا هذا

قال ابن إسحاق فلما نعدت العرب بكتيب أبرهة الى النجاشي غضب رجل من النساء من كنانة
الذين يستنون شهر الحرام الى الحل بمكة أيام الموسم كما قرنا ذلك عند قوله (إنما النسيء زيادة في الكفر
الآية) قال ابن إسحاق فخرج الكنانى حتى أتى القليس قصد فيه أى أحدث حيث لا يراه أحد ثم
خرج فعلق بأرضه فأخبر أبرهة بذلك . فقال من صنع هذا . فقيل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى
تحبه العرب بمكة لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب الى بيتك هذا فغضب فجاء قصد فيها
أى أنه ليس لك بهل . فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . ثم أمر الحبشة

قهيأت ونجيزت. ثم سار وخرج منه بالليل وصمت بذلك العرب فاعظموه وفضلوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن ومولوكهم يقال له ذو فر . فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ومبايعة من هدمه واخراجه . فاجابه من أجابه إلى ذلك . ثم عرض له قتاله . فهزم ذو فر واصحابه وأخذ له ذو فر قاتلي به أسيراً . فلما أراد قتله قال له ذو فر ياليتها الملك لا تختلفي قاتله عسى أن يكون قتلى منك خيراً لك من القتل . فتركه من القتل . وجسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له حتى إذا كان بروض خشم عرض له خيل بن حبيب النخعي في قبيلتي خشم وبها شهران ونهاس ومن تبعه من قبائل العرب قتاله فهزمه أبرهة وأخذ له قبيل أسيراً قاتلي به فلما تم قتله قال له خيل أيها الملك لا تختلفي قاتلي ذلك بأرض العرب وهاتين يدي لك على قبيلتي خشم شهران ونهاس بالسبع والطاعة . فغلى سيده وخرج به معه يده . حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسود بن ميثب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن حنيفة في رجال حنيفة فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف . وليس يشا هذا البيت الذي تريد .

يسنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبحث ملك من يدلك عليه فتجاوز عنهم

قال ابن اسحاق واللات بيت لهم بالطائف كانوا يظلمونه نحو تعظيم الكعبة . قال فبشروا به أبرغال يده على الطريق إلى مكة . فخرج أبرهة ومعه أبرغال حتى أتته بالنخس . فلما أتته به مات أبرغال هناك فرجعت قبره العرب فهو القبر الذي يرجع الناس بالنخس وقد قدم في قصة ثمود أن أبرغال كان رجلاً منهم وكان يمنع بالحرم فلما خرج منه أصابه حجر فقتله وإن رسول الله ﷺ قال لأصحابه « رواية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب » فخرؤا فوجدوها قال وهو أبو حنيفة

قلت والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن اسحاق أن أبرغال هذا المتأخر وافق اسمه اسم جده الأعلى ورجعه الناس بما رجعوا قبر الأول أيضاً والله أعلم . وقد قال جرير :

إذا ملت للفرزدق فزجوه كرجلكم قسبر أبي رغال

الظاهر أنه الثاني

قال ابن اسحاق فلما نزل أبرهة بالنخس بث رجلاً من الحبشة يقال له الاسود بن مفضود على خيل له حتى انتهى إلى مكة . فبناق إليه أموال تهامة من قریش وغيرهم . وأصل فيها ما تقي بغير ليد المطلب ابن هاشم وهو يومئذ كبير قریش وسيدها . فهبت قریش وكناة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله . ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك . وبث أبرهة حنابلة الحميري إلى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريعتهم . ثم قل له إن الملك يقول إنني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن أنكرضوا

لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، قلن هو لم يرد حربى فالتفتي به فلما دخل حنطة مكة سأل عن سيد
 قريش وشرضا فقبل له عبدالمطلب بن هاشم . فجاءه فقال له ماأمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب والله
 ما تريد حربى وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أوكا قال - قلن
 بمنه منه فهو حرمه وبيته وإن يحل بيته وبيته فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حنطة فاطلق معى إليه فانه
 قد أمرنى أن آتية بك . فاطلق مع عبد المطلب ومعه بعض يفيه حتى أتى السكر فسأل عن ندى فر
 وكان له صدقاً - حتى دخل عليه وهو فى عيبه فقال له إذا فر هل عندك من غناء فىا تزل بنا؟ فقال له
 ذو غر وما غناء رجل أسير يمدى ملك ينتظر أن يقتله غداً أو غشياً ما عندى غناء فى شئ مما تزل
 بك إلا أن أنيساً سائس القيل صديق لى . فسأرسل إليه وأوصيه بك وأعظم عليه حثك وإسأله أن
 يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشرح لك عنده بخير أن قدر على ذلك . فقال حسبي . فبعث
 ذو غر الى أنيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب حين مكة يطعم الناس بالسبل والوحوش
 فى رؤوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بئر فاستأذن له عليه وأخذه عنده بما استطعت . قال افضل .
 فكلم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش يياك يستأذن عليك وهو صاحب حين مكة
 وهو الذى يطعم الناس بالسبل والوحوش فى رؤوس الجبال فالتفت له عليك فليكملك فى حاجة فاذن
 له أبرهة قال وكان عبدالمطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجلهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه
 تحته وكره أن تراه الحشدة يجلسه معه على سريره ملكه . فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه
 معه عليه إلى جانبه ثم قال لترجانه قل له عليك؟ فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتى أن يرد على الملك
 مائتى بئر أصابها لى فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتى حين رأيتك ثم قد زهدت
 فيك حين كلمتني . أتكلمنى فى مائتى بئر أصبها لك وتترك بيتا هودينك ودين أبائك قد جئت لأهدمه
 لا تسكمنى فيه ؟ فقال له عبدالمطلب إني أنا رب الأبل وإن لي بيتاً رأسه منه . فقال ما كان ليمتنع منى . قال
 أنت وذاك . فرد على عبدالمطلب إليه

قال ابن اسحاق ويقال إنه كان قد دخل مع عبدالمطلب على أبرهة يمر بن قاعة بن عدى بن الدليل
 ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة سيد بنى بكر وخويلد بن واثلة سيد هذيل فمرضوا على أبرهة ثلث
 أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك فله أعلم أكان ذلك أم لا
 فلما انصرفوا عنه انصرف عبدالمطلب الى قريش فخيرهم الخير وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز
 فى رؤوس الجبال . ثم قام عبد المطلب فاخذ بمقعة باب الكعبة وقام معه غر من قريش يدعون الله
 ويستنصرونه على أبرهة وجنده . وقال عبدالمطلب - وهو آخذ بمقعة باب الكعبة - :

لا م إن اليدى تبع رحله فلتنع رحلك

لا يتلبن صليهم ومحلم غدوا عمالك
ان كنت تتركهم وقب لنا قمر مابداك

قال ابن هشام هذا ماصح له منها . وقال ابن اسحاق ثم أرسل عبد المطلب حقة بلب الكعبة وأطلق هومون معه من قريش إلى شفاء الجبل يلحزون فيها يخطرون مأبرة فاعل . فلما أصبح أبره تنها فدخل مكة وهيا فيه وعي حيشه ، وكان اسم الفيل محموداً . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل غيل ابن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال أبرك محمود وأرجع راشداً من حيث أتيت . فانك في يد الله الحرام وأرسل أذنه . فبرك الفيل

قال السهيلي أي سقط إلى الأرض وليس من شأن الفيلة أن تبرك وقد قيل إن منها ما يبرك كالعير فله أعلم وخرج غيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا رأسه بالعبير زين ليقوم فابى فدخلوا محاجن لهم في سراه فبرغوه بها ليقوم فابى فوجهوا راجعا إلى اليمن فقام بهرول . ووجهوه إلى الشام ففضل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففضل مثل ذلك . ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(١) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يصمها حجر في مقاره وحجران في رجله أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هارين ينتدرون الطريق التي منها جأوا . ويسألون عن غيل بن حبيب ليبلغ على الطريق إلى اليمن فقال غيل في ذلك :

ألا حيث هنا بلودينا فستأكم مع الأصباح عينا
ردينة لو رأيت فلا تبه فسي جنب المحصب لاؤينا
إذا لفدرتني وحدث أمرى ولم تلمى على ملقت عينا
حدثت الله إذ أبصرت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن غيل كأن على الحبشان ديننا

قال ابن اسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل . وأصيب أبره في جسده وخرجوا به معهم يسقط أمثلة أمثلة كما سقطت أمثلة اتبعتها منه مدة تمت قيحا ودماح حتى قدموا به صناء وهو مثل فرخ الطائر . فاملت حتى انصدع صدره فن قلبه فيها يزعمون قال ابن اسحاق حدثني يعقوب بن حنبة أنه حدث أن أول ما رويت الحسبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما روى بها سائر الشجر الحرمل والمخظل والمشر ذلك العام قال ابن اسحاق فلما مات الله محمداً ﷺ كان مما يصدق الله على قريش من نعمته عليهم وفضله

(١) كذا في الأصل ولله مصحف عن البلشون فله يشبه الخطاطيف

مارد عنهم من أسرار الحبيشة لبقاء أمرهم ومستمهم قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل
 كيدهم في تضييل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترهمم بحجارة من سجيل . فجعلهم كصيف مأكول)
 ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتي بعدها وقد بسطنا القول
 في ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى وله الحمد والمنة

قال ابن هشام الأبايل الجماعات ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه . قال وأما السجيل فاختيرني يونس
 النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وزعم بعض المفسرين أنها كلمتان بالفارسية
 جعلتها العرب كلمة واحدة وأنها سنج وجل^(١) فالسنج الحجر والجل العلين . يقول المجارة من هذين
 الجنتين الحجر والعلين . قال والصف ورق الزرع الذي لم يقصب . وقال الكسائي سمعت بعض النحويين
 يقول واحد الأبايل ايل وقل كثيرون من السلف الأبايل الفرق من الطير التي يتبع بعضها بعضاً من
 ههنا وههنا . وعن ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كأكف السكاب وعن عكرمة كانت
 رؤوسها كرؤوس السباع خرجت عليهم من البحر وكانت خضراً . وقال عبيد بن عمير كانت سوداً بحرية
 في مناقيرها واكنها المجارة . وعن ابن عباس كانت أشكلاً كفتاء مغرب . وعن ابن عباس كان أصغر
 حجر منها كراس الإنسان ومنها ما هو كالإبل . وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق . وقيل كانت
 صفراً والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي شبة حدثنا أبو معاوية عن
 الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بث عليهم طيراً
 أنثنت من البحر أمثال الخناطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجله وحجراً في منقاره
 قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم . ثم صاحت وألقت ما في رجليها ومناقيرها . فأتبع حجر على
 رأس رجل الآخر من دبره . ولا يقع على شيء من جسده الا خرج من الجانِب الآخر . وبث
 الله ريحاً شديدة فضربت المجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً

وقد تقدم أن ابن إسحاق قال وليس كلهم أصابته المجارة يعني بل رجع منهم راجعون إلى اليمن
 حتى أخبروا أهلهم بما حل بهم من النكال وذكروا أن أبرهة رجع وهو يتساقط أمثلة أمثلة فلما وصل
 إلى اليمن انصدع صدره فمات لئله الله . وروى ابن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن سمرة
 عن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائيه بمكة اعميين مقدين يستطبلان . وتقدم أن سائس الفيل
 كان اسمه أنيساً فما قتله ظم يسم والله أعلم .

وذكر النقاش في تفسيره أن السيل احتمل جثثهم فألقاها في البحر . قال السهلي وكانت قصة الفيل

(١) أصله (سنة وكل) ولما لم تكتف العرب بالكاف بدلوا بالميم قالوا سنج وجل وركبوا

كلمة واحدة فهي مستعربة اهـ

أول الحرم من ستة وثلاثين وثلاثمائة^(١) من تاريخ ذي القرنين .

قلت وفي عامها ولد رسول الله ﷺ على المشهور . وقيل كان قبل مولده بسنين كما سذكر إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

ثم ذكر ابن اسحاق ما قاله العرب من الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام الذي يريد أن يشرفه ويظله ويظهره ويوقره بيعة محمد ﷺ وما يشرع له من الدين القويم الذي أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه وسيجل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ولم يكن مانعه بأصحاب الفيل نصرة قريش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة : فلن الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركي قريش وإنما كان النصر للبيت الحرام وارضاهم وتوطئة لبيعة محمد ﷺ . فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزهري السهمي

تسككوا ^(٢) عن مكة أنها	كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تخلق الشرى لى حرمت	إذ لا عزز من الأنم يرومها
سائل أمير الحبش عنها ما رأى	فلسوف ينهى الجاهلين عليها
ستون ألفاً لم يؤبوا أرضهم	بل لم يش بد الألب سقيمها
كانت بها عاد وجرم قبلهم	والله من فوق العباد يقيمها

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت الانصاري المدني :

ومن صنعه يوم قيل الحيو	ش إذ كلكا بشوه رزم
عاجنهم تحت أقرابه	وقد شرموا الله فأنفزم
وقد جلوا سوطه مغولا	إذا بموده قتاه كلم
فولى وأدبر أدرأجه	وقد باء بالظلم من كان ثم
فارسل من فوقهم حاصبا	لفظهم مثل لف القزم
نخص على الصبر أجارم	وقد تأجوا كئواج النعم

ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي قال ابن هشام ويردو لامية

ابن أبي الصلت :

إن آكلت ربنا فليأت	ما يجارى فيهن الا الكفور
خلق الليل والنهار فكل	مستبين حبابه مقفور

(١) كذا بالأصل والذي في السهيلي ستة اثنتين وثلاثين الخ اهـ .

(٢) قوله تسككوا كذا بالأصل وفي سيرة ابن هشام المطبوعة بالألم . لكن في ضميمها غريبها العنقنى تنكبوا بالياء . قال أى ارجعوا أخوتنا منها . قول نكبت فلان عن الشيء إذا صرفه عنه صرفحية وخوف

ثم يجلو النهار رب رحيم
حبس القيل بالنفس حتى
لازماً حقة الجران كاذبة
حول من ملوك كنفه أبدا
خلفوه ثم ابغروا جميعاً
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الخليفة بور

ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلم أيضاً :

قوموا فصلوا ربكم وتمسحوا
فندكم منه بلاد مصدق
كنيته بالسهل تمشى ودرجته
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردم
فولوا سراعا هارين ولم يوب
إلى أهل ملجش غير عصائب

ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات في عظمة البيت وحمايته بهلاك من أراد به سوء :

كله الا شرم الذى جاء بغير
واستهلت عليهم الطير باليد
ذاك من يرمي من الناس ير
ل فولى وجيشه مهزوم
دل حتى كأنه مرجوم
جج وهو قل من الجيوش ذميم

قال ابن اسحاق وغيره فلما هلك ابرهة ملك الحبشة بمده ابنه يكسوم . ثم من بعده أخوه مسروق
ابن ابرهة وهو آخر ملوكهم . وهو الذى انزع سيف بن ذى يزن الحيرى الملك من يده بالجيش الذين
قدم بهم من عند كسرى أو شروان كما سيأتى بيانه

وكانت قصة القيل في الحرم ستة وثمانين وثمانمائة من قريش ذى القرنين وهو الثانى اسكندر
ابن قليس المقدونى الذى يورخ له الروم ولما هلك ابرهة وابناه وزال ملك الحبشة عن اليمن هجر
القليس الذى كان بناه ابرهة وأراد صرف حج العرب اليه لجله وقلة عقله . وأصبح يبأ لا أنيس به .
وكان قد بناه على صنتين وهما كيب وامرأته وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعاً فى السماء وكانا
مصحوبين من الجن ولهما كان لا يتعرض أحد الى أخذ شئ من بناء القليس وأمنته الا أصابوه بسوء .
فلما يزل كذلك الى أيام السامع أول خلفاء بنى العباس قد ذكر له أمره وما فيه من الائمة والزخام الذى
كان ابرهة قله اليه من صرح بقميس الذى كان يلبس فيه من خرب حجراً حجراً وأخذ جميع ما
فيه من الائمة والحواصل هكذا ذكره السهيلي والله أعلم .

ذكر خروج الملك عن الحبشة ورجوعه الى سيف ابن ذى يزن الحميرى كما أخبر بذلك الكاهنان لربيعة بن نصر اللخمى

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : فلما هلك أبرهة ملك الحبشة يكوم بن أبرهة وبه كان يكفى فلما هلك يكوم ملك اليمن من الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة . قل : فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن النوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمى ابن الميسع بن الرنيج ، وهو حمير بن سبأ - وكان سيف يكفى بأمرة - حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكى اليه ما هو فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويلهم هو ويخرج اليهم من شاه من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا اليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لى على كسرى وفادة فى كل عام فاقم عندى حتى يكون ذلك فصل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تلجبه وكان تلجبه مثل القنقل ^(١) العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت والزبرجد والؤلؤ واللآلئ والنفضة ممقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاق فى مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تلجبه إنما يستر عليه بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه فى تلجبه فلذا استوى فى مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك الإبرك هبة له . فلما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطأ رأسه . فقيل ذلك لسيف فقال إنما ضلت هذا الهى لأنه يضيق عنه كل شئ . ثم قال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة . قل كسرى أى الاغربة الحبشة أم السند قال بل الحبشة فجتكت لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك فقال له كسرى بسدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لأودع جيشا من فارس بلوس العرب لا حاجة لى بذلك ، ثم أجازته بشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك فقال إن لهذا لشأنا ثم بث اليه فقال عمدت إلى حياة الملك تنثره للناس قال وما أصنع بمجاءك ما جبال أرضى التى جئت منها الا ذهب وفضة يرغبه فيها ، فجمع كسرى مرازبه فقال لهم ما ترون فى أمر هذا الرجل وما جاء له . فقال قاتل : أيها الملك إن فى سجنوك رجالا قد حبستهم لقتل فلأنتك بشتمهم مما فان يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم وإن غفروا كان ملكا أزددته ، فبث معه كسرى من كان فى

(١) القنقل : هو مكبال يمس ثلاثة وثلاثين منا . حكاه السهيلي .

سجونه وكانوا ثمانية دجل واستعمل عليهم هرز وكلن ذان فهم وأفضلهم حباً وبتاً فخرجوا في ثمان سفان ففرقت سفيتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفان فجمع سيف إلى هرز من استطاع من قومه وقال له رجلي ورجلك حتى نموت جيعاً أو نقتل جوعاً فقال له هرز أنصت وخرج إليه مسروق ابن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده فأرسل إليهم هرز ابناً له ليقاظهم فيختبر قاطم، فقتل ابن هرز فزاده ذلك حتماً عليهم فلما توافق الناس على مصافهم، قال: هرز أروني ملككم فقالوا له أترى رجلاً على الفيل عاقداً تلج على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء، قال: نعم، قالوا ذلك ملككم فقال أتركوه قال فوقوا طويلاً ثم قال علام هو؟ قالوا قد تحول على الفرس، قال أتركوه فتركوه طويلاً ثم قال علام هو؟ قالوا على البغلة قال هرز: بنت الحارث وذل ملكه، إلى ساربه قل رأيت أصحابه لم يتحركوا فأجبروا حتى أودنكم فاني قد أخطأت الرجل وإن رأيت القوم قد استداروا به ولاوا قد أصابت الرجل فأحبلوا عليهم، ثم ترقوسه وكانت فيا يزعون لا يوترها غيره من شدتها وأمر بإحياجه فصبا له ثم رماه فصرخ الياقوتة التي بين عينيه وتطلقت اللقطة في رأسه حتى خرجت من قفاه، ونكس عن دابته واستدارت الحبيشة ولانت به، وحملت عليهم الفرس قاتلهموا وقتلوا وهربوا في كل وجه، وأقبل هرز ليخلصه صناعته حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رايي منكبة أبداً اهدموا هذا الباب فهم، ثم دخلها نصباً رايته قال سيف بن ذي يزن الجهمي:

يقطن الناس ببلدك ن أنهما قد التأما
ومن يسبح بلا مها قلن الخطب قد قما
قلنا القيل مسروقا وروينا الكتيب دما
وإن القيل قبل لنا س وهرز مقسم قما
ينوق مشعشأ حتى قى السى والنما

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف بهتونه بمود الملك إليه وامتدحوه، فكان من جملة من وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم، فبشره سيف برسول الله ﷺ وأخبره بما يعلم من أمره وسيأتي ذلك مفصلاً في باب البشارات به عليه الصلاة والسلام.

قال ابن اسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي رمية التقي قل ابن هشام وروى لامية بن أبي الصلت:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ديم في البحر للأعداء أحوالا
يم قيصراً لما حان رحلته فلم يجد عنده بض القى سالا
ثم اتقى نحو كسرى بد عاشرة من السنين بين النفس والمالا
حتى أتى بيني الأحرار يحماهم إنك عرى قد أسرعت قتالا

لله دم من عصبة خرجوا ما لن أرى لهم في الناس أمثالا
 غلباً مرازية ييضاً أساوره أمداً ترب في الفيضات أشبالا
 يرمون عن سدق كأنها غبط بزخر يسجل المرمى اعجبالا
 أرسلت أسداً على سودال كلاب قد أنصبي شريدم في الأرض فلا لا
 فاشرب هنيئاً عليك التاج مرهقاً في رأس غمدان دارا منك عجلالا
 واشرب هنيئاً قد شالت فنانهم وأسبل اليوم في بردك إسبالا
 تلك المسكالم لأقربان من لبن شيا بماء ضادا بسد أبوالا

يقال - إن غمدان - قصر يابن بناء يرب بن قحطان وملكه بعده واحله وأثله بن حمير بن سبا
 ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة فلهه أهل .

قال ابن اسحاق : وقال عيسى بن زيد الحميري وكان أحد بني تميم :

ما بسد صناه كان يسرها ولاية ملك جزل مواهبها
 دفها من بني لقي قزع ال حزن وتندى مسكا على بها
 محفوة بلبلال دون عرى ال كائد ما يرقى غواربها
 يأنس فيها صوت التهام إذا جابوها بالشي قاصبها
 ساقط اليها الأسباب جند بني ال أحرار فرساتها مواكبها
 وفوزت بالثال توسق ليل نصف وتسى بها توالها
 حتى يراها الأقوال من طرف ال غل مخضرة كئائبها
 يوم ينادون آل بربر واليك سوم لا يظلمن عاربها
 فكان يرملق الحديشوزا لت أمة ثابت مراتبها
 وبذل الميج بالزراعة والا يام خون جم عجائبها
 بد بني تبع نخورة قد اطأنت بها مرازبها

قال ابن هشام : وهذا الذي عني سطيج بقوله يليه ارم ذي زن يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك
 منهم أحداً يابن . والذي عني شق بقوله : غلام ليس يدني ولا مدن يخرج من بيت ذي زن .

قال ابن اسحاق : وأقام وهرز والفرس يابن فن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين يابن
 اليوم . وكان ملك الحبشة يابن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت
 الحبشة اثنين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة : لوياط ثم أبرهة ثم يكوم بن أبرهة ثم مسروق
 ابن أبرهة .

ذكر ما آل اليه امر الفرس باليمن

قال ابن هشام : ثم مات وهز فسر كسرى ابنه المرزبان بن وهز على اليمن ثم مات المرزبان فسر كسرى ابنه التينجان ثم مات فسر ابن التينجان ، ثم عزله عن اليمن واسر عليها بلذان وفي زمنه بعث رسول الله ﷺ . قال ابن هشام فبلغني عن الزهري انه قال كتب كسرى الى بلذان انه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر اليه فاستبته فان قلب والا فاقبث إلى برأسه ، فبعث بلذان يكتب كسرى إلى رسول الله ﷺ فكتب اليه رسول الله ﷺ ان الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا من شهر كذا ، فلما أتى بلذان الكتاب وقف لينظر وقال ان كان نبياً فسيكون ما قال يقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ . قال ابن هشام : على يدي ابنه شيرويه . قلت : وقال بعضهم بنوه تماثلوا على قتله ، وكسرى هذا هو ابرويز بن هرم بن أئو شروان بن قباز ، وهو الذي غلب الروم في قوله تعالى : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض) كما سيأتي بيانه . قال : السهيلي وكان قتله ليلة الثلاثاء لمشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة . وكان والله أعلم لما كتب اليه رسول الله ﷺ بدعوه إلى الاسلام فضضب ومرض كتابه ، كتب الى نائبه باليمن يقول له ما قال . وفي بعض الروايات أن رسول الله ﷺ قال لرسول بلذان إن ربي قد قتل البلية بك فكان كما قال رسول الله ﷺ قتل تلك البلية ببنيها ، قتله بنوه لظلمه بعد عدله بعد ما ظلموه وولوا ابنه شيرويه فلم يش بعد قتله أباه الاستة أشهر أو دونها . وفي هذا يقول خالد بن حق الشيباني :

وكسرى إذ قتمه بنوه بلسيف كما اقتسم الحام
تمخضت المنون له يوم ألا ولكل حاملة تمام

قال الزهري : فلما بلغ ذلك بلذان بعث بسلامه واسلام من معه من الفرس الى رسول الله ﷺ فقالت الرسل : الى من نحن يا رسول الله . قال أنهم منا وإلينا أهل البيت . قال : الزهري ومن ثم قال رسول الله ﷺ سدان منا أهل البيت . قلت والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولهذا بعث الامراء الى اليمن لتسلم الناس الخيرة ودعوتهم الى الله عز وجل ، فبعث أولا خالد بن الوليد وعلى بن أبي طالب ، ثم اتبعهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل . ودانت اليمن واهلها للاسلام ومات بلذان فقام بعده ولده شهر بن بلذان ، وهو الذي قتله الاسود النمسي حين تنبأ وأخذ زوجته كما سيأتي بيانه واجلى عن اليمن نواب رسول الله ﷺ فلما قتل الاسود عادت اليد الاسلامية عليها . وقال ابن هشام : وهذا هو القتي عني به سطيع بقوله . نبي زكي يأتيه الوحي من قبل الله . والذي عني شق قوله بل يقطع برسول مرسل ، يأتي بلحق والمدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه

الى يوم الفصل .

قتل ابن إسحاق : وكان في حجر بلعين فيما يزعمون كتاب بلزور كتب بلزمان الاول : لمن ملك ذملر الحجير الاخيار ، لمن ملك ذملر الحيشة الاشرار . لمن ملك ذملر لفارس الاحرار ، لمن ملك ذملر لقرش التجار . وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودى :

حين شلت ذملر قيل لمن أ: ت قتالت الحجير الأخيار
ثم سلت من بعد ذاك قتالاً : متأناً للحبش أخبث الاشرار
ثم قالوا من بعد ذاك لمن أ: ت قتالت لفارس الأحرار
ثم قالوا من بعد ذاك لمن أ: ت قتالت الى قرش التجار

ويقال إن هذا الكلام الذى ذكره محمد بن إسحاق ، وجد مكتوباً عند قبر هود عليه السلام حين كشفت الريح عن قبره بأرض اليمن وذلك قبل زمن بقميس يسير في أيام ممالك بن ذى المنار أخى عمرو ذى الأذعار بن ذى المنار ويقال كان مكتوباً على قبر هود أيضاً وهو من كلامه عليه السلام حكاه السهيلي والله أعلم .

قصة الساطرون صاحب الحضرة

وقد ذكر قصته هاهنا عبد الملك بن هشام لاجل مقاله بعض علماء النسب : إن النعمان بن المنذر الذى تقدم ذكره في ورود سيف بن ذى رزن عليه وسؤاله في مساعدته في رد ملك اليمن اليه إنه من سلافة الساطرون صاحب الحضرة وقد قدمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر وأنه روى عن جبير بن مطعم أنه من أشلاء قيسر بن مسد بن عدنان فهذه ثلاثة أقوال في نسبه فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضرة . والحضر حصن عظيم بناه هذا الملك وهو الساطرون على حافة الفرات وهو منيف مرفق البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دوره بقدر مدينة عظيمة وهو في غاية الاحكام والبهاء والحسن والثناء ، واليه يجهى محوله من الاقطار والارجاء . واسم الساطرون الضيزن ابن معاوية بن عبيد بن أكرم من بني سليح بن حلوان بن الحلاف بن قضاعة كذا نسبته ابن الكلبي . وقال: غيره كان من الجرافة وكان أحد ملوك الطوائف وكان يقدمهم إذا اجتمعوا للحرب عدو من غيرهم وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا الساطرون ملك الحضرة وقتل غير ابن هشام : إنما القى غزا صاحب الحضرة سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان اذل ملوك الطوائف ورد الملك الى الأكسرة . وأما سابور ذو الأكتاف بن هرم بن قبيصة ذلك بدهر طويل والله

أعلم ذكره السبيل .

قال ابن هشام : فخره ستين وقال غيره أربع سنين ، وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيته بلرض العراق فشرقت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكال بالزبرجد والياقوت والؤلؤ وكان جميلا ، فغصت اليه أمة زوجي ان فتحت لك باب الحضر . قال : نعم انما أسي ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران فاختفت مغايبه بلب الحضر من تحت رأسه وبشت بها مع مولى لها ففتح الباب ويقال بل دلهم على نهر يدخل منه الماء متع فوجدوا منه الى الحضر ، ويقال بل دلهم على طلسم كان في الحضر وكان في عليهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتغضب رجلاها بمبيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل فاذا وقعت على سور الحضر سقط ذلك الطلسم فيفتح الباب فضل ذلك فافتتح الباب ، فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخر به وسار بها معه فزوجها فينا هي ثالثة على فراشها ليلا إذ جعلت تملل لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس . فقال لها سابور أهدا القى اسهرك ! قالت نعم ؟ قال فما كان أبوك يصنع بك قلت : كان يفرش لي الديباج ويلبني الحرير ويطنق المنع ويسقي الحمر . قال : أفكان جزاءك ما صنعت به . أنت الى بذلك اسرع ، فربطت قرون رأسها بذهب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها فقيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

ألم تر للحضر إذ أهله	بعضى وهل خاله من نعم ^(١)
أقام به شاهبور الجنو	دحولين تضرب فيه التدم
فما دعا ربه دعوة	أغلب اليه فلم ينقم
فهل زاده ربه قوة	ومثل مجاوره لم يقم
وكل دعا قومه دعوة	هدوا إلى أمرهم قد صرم
فوتوا كراماً بلسافكم	أرى الموت يمجسه من جشم

وقال عدى بن زيد في ذلك :

والحضر صابت عليه داهية	من فوقه أيد متاكها
دية لم توق والدعا	لحينها إذ أضاع راقها
اذ غبته صباه صافية	والحمر وهل يوم شادها
قلست أهلها بليها	تظن أن الرئيس خاطها

(١) كذا في سيرة ابن هشام والقي في معجم البلدان وهل خاله من سلم اه

فكان حظ العروس اذجشرا
صباح دأء فنجري سباتها
وخرب الحضر واستبيح وقد
احرق في خدرها مشاجها
وقال على بن زيد أيضا :

أيها الشامت المير بالعم
ر أنت المير الموفور
أم لديك الهد الوثيق من الا
يلم بل أنت جاهل منور
من رأيت النون خلدن أم
من ذا عليه من أن يضام خفير
ابن كسرى كسرى الملوك أنو
شروان أم أين قبله سابور
وبنو الاصفى الكرام ملوك الا
روم لم يبق منهم مذكور
واخو الحضر اذ بناء واذا حيا
ة نجي اليه ولطابور
شاده مرمرأ وجله كا
سا فطير في فراه وكور
لم يهيه ريب النون فبا
ن الملك عنه فباه مهجور
وتذكر رب الخورتي إذ
أشرف يوما واهدى تخكير
سره ماله وكثرة ما
لك والبحر مرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غب
طلة حى الى المات يصير
فم اضحوا كأنهم ورق ج
ف فألوت به الصبا والنبور

قلت : ورب الخورتي التي ذكره في شعره رجل من الملوك المتقدمين وعظه بعض علماء زمانه في أمره التي كان قد أسرف فيه وعنا وتجرد فيه واتبع نفسه هواها ولم يراقب فيها مولاها فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والذول وكيف بادوا ولم يبق منهم أحد وأنه ما صار اليه عن غيره الا وهو منتحل عنه إلى من بعده ، فأخذة موعظه وبلغت منه كل مبلغ فارعوى لنفسه ، وفكر في يومه وأمه ، وخاف من ضيق رمة . فتاب وأتاب وتزع عما كان فيه وترك الملك ولبس في القراء وساح في القلوات وحظي بالقلوات وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان رب السموات وقد ذكر قصته مبسطة الشيخ الامام موفق بن قدامة المقدسي رحمه الله في كتاب التوازين وكذلك أوردتها بإسناد متين الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتاب الروض الأنف المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبين .

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضر وهو ساطرون فقد قدم أنه كان مقدما على سائر ملوك الطوائف وكان من زمن اسكندر بن طينس القدوني اليوناني وذلك لانه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا وأخذ

ملكته وخرب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ومزق شمل الفرس شذر مندر عزم أن لا يجمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتزم لهم أمر فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس في أقاليم من أقاليم الارض ما بين عربيها وأعاجبها فاستمر كل ملك منهم يحمي حوزته ويحفظ حصته ويستغل محله فإذا هلك قام ولده من بعده أو أحد قومه فاستمر الأمر كذلك قريبا من خمسمائة سنة حتى كان أزدشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشتاسب بن طراسب فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ورجعت الممالك برمتها إليه وأزال ممالك ملوك الطوائف ولم يبق منهم نذ ولا طارف وكان تأخر عليه حصار صاحب الحضرة الذي كان أكبرهم وأشدهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومتقدمهم فلما مات أزدشير تصدى له ولده سابور فحاصره حتى أخذه كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ذكر بني اسماعيل وهم عرب الحجاز وما كان من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة

تقدم ذكر اسماعيل عليه السلام مع ذكر الأنبياء وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر فأسكنها بوادي مكة بين جبال قارآن حيث لا أنيس به ولا حديس وكان اسماعيل رضيما ثم ذهب وتركها هنالك عن أمراؤه له بذلك ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر وكاه فيه ماء فلما عند ذلك أنبع الله هاجر زمزم أنقى هي طام طعم وشقاء سقم كما تقدم بيانه في حديث ابن عباس الطويل الذي رواه البخاري رحمه الله . ثم نزلت جرم وهم طائفة من العرب الماربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم في الماء شيء إلا ما يشربون منه ويتوضئون به فلما نزلت هاجر بهم وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمهم في كل حين يقال أنه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه ثم لا ترعى الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعي كانت قصة التبعج كما تقدم بيان أن النبي هو اسماعيل على الصحيح ثم لما كبر تزوج من جرم امرأة ثم طلقها وتزوج غيرها وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرمي وجاءته بلبتين اثنتين عشر كما تقدم ذكرهم وهم : نابت وقيندر ومنشا . ومسح . وملثي . ودما . وأذر . ويطور . ونيش . وطبا . وقينما ^(١) هكذا ذكره محمد

(١) كذا في الأصل إحدى عشر . قال ابن جرير الطبري : وقد ينطق بأبيه أولاد اسماعيل بنو الألفاظ التي ذكرت عن ابن اسحاق وقد ضبطهم زميلنا الفاضل محب الدين افندي الخليلي في كتابه أنجاء الموجات البشرية في جزيرة العرب بعد بحثه عن ذلك في مختلف المصادر هكذا . نابت ، قيندار ، يطور ، تبا ، قومة ، مسح ، قديمة ، أدب ، أيل ، نقيس ، ميسام ، الميسع ، حداد .

ابن اسحاق وغيره عن كتب أهل الكتاب وله ابنة واحدة اسمها فسة وهي التي زوجها من ابن أخيه الميصون اسحاق بن ابراهيم فولد له منها الروم وطرس والاشبان أيضا في أحد القولين .

ثم جمع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجون في أنسابهم إلى واليه نابت وقيد ، وكل من الزئيم بعده والقائم بالأمور الحاكم في مكة والنظر في أمر البيت وزمنه نابت بن اسماعيل وهو ابن أخت الجرهميين ، ثم تطلبت جرم على البيت طمعا في بني أختهم فحكوا بمكة وما والاها عرضا عن بني اسماعيل مدة طويلة فكان أول من صار إليه أمر البيت بعد نابت مضا بن عمرو بن سعد بن الرقيب ابن عير^(١) بن بخت بن جرم ، وجرم بن قحطان ويقال جرم بن يقطن بن عير بن شالح بن ارغند ابن سام بن نوح الجرهمي . وكان نزلا بأهل مكة بقميتمان وكان السيد سيد قطوداه نزلا بقومه في أسفل مكة وكل منهما يشر من مر به مجتازا إلى مكة . ثم وقع بين جرم وقطوداه فقتلوا قتل السبيح واسترق الأبر لمضا وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينزعه في ذلك ولد اسماعيل مع كثرتهم وشرفهم واعتاد بمكة وبغيرها وذلك لخولتهم له ولطمة البيت الحرام . ثم صار الملك بعده إلى ابنة الحارث ثم إلى عمرو بن الحارث ثم بنت جرم بمكة واكثر فيها الفساد وألحدوا بالسجد الحرام حتى ذكر أن رجلا منهم يقال له إساف بن بني وامرأة يقال لها ثالثة بنت وائل اجتمعا في الكعبة فكان منه اليها الفاحشة فسخنها الله حبرين فقصهما الناس قريبا من البيت ليتبروا بها فلما طال المطال بعد ذلك بعد عيدا من دون الله في زمن خزاعة كما سيأتي يأتيه في موضعه . فكانا منصفين منصوين يقال لهما إساف وثالثة . فلما اكثرت جرم البني بالبلد الحرام تملأت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلا حول الحرم وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لأجل ما توقع من سيل الرم كما تقدم . وقبل ان خزاعة من بني اسماعيل فلقه أهل .

والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وأدوم للحرب واقتتلوا واعتزل بنو اسماعيل كلا الفريقين فتلبت خزاعة وم بنو بكر بن عبدمنة وغيثان والجوم عن البيت فبعد عمرو بن الحارث بن مضا الجرهمي وهو سيدم إلى غزالي التكتبوا من ذهب وحبر الزكن وهو الجبر الأسود والي سيف حلا وأشياء آخر فدعوا في زمنهم وعلم زمنهم وأدخل قومه فرجوا إلى اليمن . وفي ذلك يقول عمرو بن الحارث ابن مضا :

وقائلة والدمع سكب مبادر	وقد شرقت بالجمع منها المبادر
كأن لم يكن بين المحجون إلى الصفا	أعيس ولم يسر بمكة سلسر
قلت لها والقلب متى كانا	يلبطجه بين الجناحين طائر

(١) وفي السيل : ابن حم في المكائين .

على نحن كنا أهلها قزائنا صروف القبال والجود الموائر
 وكنا لواء البيت من بدنايت فطوف بذلك البيت والخير ظاهر
 ونحن ولينا البيت من بدنايت بز قسا يحظى لدينا المكثر
 ملكنا فمزنا فاعظم بملكنا فليس لحي غيرنا ثم فخر
 ألم تنكحوا من خير شخص علمه قاباؤه منا ونحن الأصاهر
 فان تنق الدنيا علينا بملها فان لها حالا وفيها الشاجر
 فاخرجنا منها المليك بقفرة كذلك بالناس تجري المقادر
 أقول إذا لم انطى ولم اتم إذا العرش لا يمس سبل وعامر
 وبليت منها أو بها لا أحبا قبائل منها حمير ويحار
 وصرفنا أحاديثا وكنا ببطلة بذلك عصتنا السنون القوار
 فسحت دموع العين تبكي لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاجر
 وتبكي ليت ليس يؤذى حمامه يظل به أمنا وفيه العاصفر
 وفيه وحوش لا ترام ابيسة اذا خرجت منه فليت تغادر

قال ابن اسحاق: وقال عمرو بن الحارث بن مضاى أيضا يذكر بنى بكر وغيثان الذين خلفوا
 بعدهم بمكة :

يا أيها الناس سيروا إن قصاركم ان تصبحوا ذات يوم لا تهرؤنا
 حشوا الملقى وأروا من أزمنا قيل الملت وقضوا ما تقضونا
 كنا أناسا كما كنتم فغيرنا دهر فاقم كما صرنا قصيرونا

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأيات أول شعر
 قيل في العرب وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يسم قائلها وذكر السهيلي لهذه الايات أخوة
 وحكي عندها حكاية مبيجة وانشادات مبررة . قال : وزاد أبو الوليد الأزرق في كتابه فضائل مكة
 على هذه الايات المذكورة المنسوبة الى عمرو بن الحارث بن مضاى :

قد مال دهر علينا ثم أهلكنا باليئينا فينا وز الناس قسرونا
 واستخبروا في صفيح الناس قبلكم كما استبان طريق حنده المونا
 كنا زمانا ملوك الناس قبلكم بمسكن في حرام الله مسكونا

قصة خزاعة وخبر عمرو بن لحي وعبادة الاصنام بارض العرب

قال ابن اسحاق : ثم أن غيثان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة ، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث التثباني وقريش إذ ذاك حلول وصرم ويوقلت منفردون في قومهم من بني كنانة . قالوا : وإنما سميت خزاعة خزاعة لأنهم تغزوا من ولد عمرو بن عاصر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فقتلوا بئر الظهران فأقاموا به . قل عون بن أيوب الأنصاري ثم انظر رجي في ذلك :

فلما هبطنا بطن مر تغزعت خزاعة منا في حلول كراكر
حت كل واد من تهامة واحمت بصم القنا والمهعات البواتر

وقال أبو المطهر اسماعيل بن رافع الأنصاري الأوسي :

فلما هبطنا بطن مكة أحلفت خزاعة دار الآكل المتحامل
فحلت أكارها وشقت قنابلا على كل حي بين نجد وساحل
فجاءهم من بطن مكة واحبوا بئر خزاعي شديد البكاحل

فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كبراً عن كبر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي الذي تزوج قبي بن كلاب ابنته حتى فولدت له بنه الأريفة عبد الدار وجد مناف وعبد المزي وعبداء ، ثم صار أسر البيت اليه كما سيأتي بيانه ويتفصّل في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة . واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة وقيل خمسمائة سنة والله أعلم . وكأوا سوس^(١) في ولايتهم وذلك لأن في زمانهم كان أول عبادة الأوثان بالحجاز وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحي لعنه الله فانه أول من دعاهم إلى ذلك وكان ذا مل جزيل جداً . يقال : أنه قتأ أربعين عشرين بيراً وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين ألف بدير وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بدير قتأ عين واحد منها لانه يدفع بذلك العين عنها . ومن ذكر ذلك الأزدقي وذكر السهلي : أنه دعا ذبح أيام الحبيص عشرة آلاف بدنة وكبى عشرة آلاف حلة في كل سنة يطعم العرب ويحيس لهم الحيس بالسمن والسمل ويلت لهم السوق . قالوا : وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع لشرفه فيهم وعلمه عندهم وكرمه عليهم .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره

(١) كذا بالأصل ولعلها : وكأوا قوم سوس في ولايتهم .

فلما قدم مأب من أرض البقاء وبها يؤخذ الميثاق وهم ولد علق وقيل ولد علق بن لاوذ بن سام ابن نوح رآهم يبعدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم قبيدون ؟ قالوا له : هذه أصنام تبدا فتنسطرها فتنسطرنا ونقتصرها فتنسمرنا . فقال : لهم ألا تطلون منها صنما قسيرا به إلى أرض العرب فيبعدونه . فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتطيئه .

قال ابن اسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة للحجارة في بني اسمايل عليه السلام أنه كان لا يظن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الا حل معه حجرا من حجارة الحرم فظنوا الحرم ، فحث ما نزلوا وضوه فظافوا به كلواهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يبعدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه .

وفي الصحيح عن أبي رجا السطاردى . قال : كنا في الجاهلية إذا لم نجده حجرا جئنا حية من التراب وجئنا بالثاة فلبيناها عليه ثم طفنا بها .

قال ابن اسحاق : واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غيره فبعدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات وفيهم هل ذلك بقايا من عهد ابراهيم عليه السلام يتسكون بها من تطيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفات والمزدلفة وهدى البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كثافة وقريش إذا حلوا قالوا : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فيوجدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويمجدون ملكها يده . يقول الله تعالى محمد ﷺ : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى ما يوجدونى لمرة حتى الا جلوا معى شريكا من خلقى .

وقد ذكر السهيلي وغيره : أن أول من لبى هذه التلبية عمرو بن لحي وأن ابليس تبسلى له في صورة شيخ فجلب يلقنه ذلك فيسبح منه ويقول كما يقول واتبعه العرب في ذلك .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا سمعهم يقولون لبيك لا شريك لك يقول : قد قداى حسب حسب . وقد قال البخارى ثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن آدم ثنا اسرائيل عن أبي حفص عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . قال : إن أول من سب السوايم وعبد الاصنام ، أبو خزاعة عمرو ابن عامر وإني رأيته يجر اسماءه في النار . فترد به احد من هذا الوجه . وهذا يقتضى أن عمرو بن لحي هو أبو خزاعة الذى تنسب اليه التلبية بكلامها كما زعم بعضهم من أهل النسب فيما حكاه ابن اسحاق وغيره ولو تركنا مجرد هذا لكان ظاهرا في ذلك بل كالنص ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه قال البخارى وقال أبو الهيثم : أخبرنا شبيب عن الزهري . قال سمعت سميد بن المسيب قال : البحيرة التى يمنع درها الطواغيت فلا يصلها أحد من الناس - والساقية - التى كانوا يسيبونها لآلهم لا يصل عليها

شيء . قال وقال أبو هريرة . قال النبي ﷺ : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يمر قصبه في النار . كان أول من سب السوائب . وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة به . ثم قال البخاري ورواه ابن الماد عن الزهري قال الحاكم أراد البخاري رواه ابن الماد عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري كذا قال .

وقد رواه أحمد عن عمرو بن سلمة الخزاعي عن الليث بن سعد عن يزيد بن الماد عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : رأيت عمرو بن عامر يمر قصبه في النار ، وكان أول من سب السوائب ويمر البحيرة . ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بخت كما قال الحاكم رحمه الله أعلم . وقال أحمد أيضاً حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يمر قصبه في النار ، وهو أول من سب السوائب . وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح الزهري عن سعيد عنه كما تقدم وقوله في هذا الحديث والقي قبله الخزاعي يدل على أنه ليس والد القيلة بل منسوب إليها مع ما وقع في الرواية من قوله أبو خزاعة نصيف من الراوي من آخر خزاعة أو أنه كان يكنى بأبي خزاعة ولا يكون ذلك من باب الاختيار بأنه أبو خزاعة كلهم والله أعلم . وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تكلم بن الجون الخزاعي يا أكرم رأيتم عمرو بن لحي ابن قبة بن خندف يمر قصبه في النار فأرأيت رجلاً أشبه رجلاً منك به ولا بك منه . قال أكرم : عسى أن يضري شبهه يا رسول الله قال : لا انك مؤمن وهو كافر ، انه كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان ويمر البحيرة وسب السائبة ووصل الوصيلة وحى الحامي . ليس في الكتب من هذا الوجه . وقد رواه ابن جرير عن هناد بن عتبة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه أو مثله وليس في الكتب أيضاً . وقال البخاري حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ : رأيت جهنم يحطم بعضها بضاً ورأيت محرراً يمر قصبه وهو أول من سب السوائب . فترد به البخاري . وروى الطبراني من طريق صالح عن ابن عباس مرغوما في ذلك . والمقصود أن عمرو بن لحي لمت الله كان قد اجتمع لهم أشياء في الدين غير بها دين الخليل فاتبه الرب في ذلك فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً ميتاً فظلموا شيئاً وقد أنكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في غير ما آية منه قال تعالى : (ولا تتولوا لم تصف أنكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فصتروا على الله الكذب) الآية . وقال تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصية ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرم لا يتقون) وقد تكللتنا على هذا كله مبسوطة وميتا اختلاف السلف في تفسير ذلك فمن أراد فليأخذ

من ثم والله الحمد والمنة . وقال تعالى : (ويجعلون لما لا يملكون مما رزقهم الله لتسلن عما كنتم
تفترون) . وقال تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً قالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا فإنا كنا لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك
زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردومهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فسلوه
قدوم وما يفترون) (وقالوا هذه أنعام وحرث حبر لا يصلها الأمن نشاء بزعمهم وأنعام حرمت
ظهورها وأنعام لا يذكر اسم الله عليها اقترأ عليه سيجزئهم بما كانوا يفترون) . (وقولوا ما في بطون
هذه الأنعام خالصة لذكورتنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاءه سيجزئهم وصفهم أنه
حكيم علم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله اقترأ على الله قد ضلوا وما
كانوا مهتدين) .

وقال البخاري في صحيحه .

باب جهل العرب

حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عروة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إذا شرك
أن تعلم جهل العرب فأقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً
بغير علم وحرموا ما رزقهم الله اقترأ على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وقد ذكرنا تغيير هذه الآية
وما كانوا ابتدعوها من الشرائع الباطلة الفاسدة التي عليها كبيرهم عمرو بن لحي قبيلة الله مصلحة ورحمة
بالدواب والبهائم وهو كاذب مفتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال أتبعه هؤلاء الجبهة العظام فيه بل
قد تأمروا فيها هواطم من ذلك وأعظم بكثير وهو عبادة الأوثان مع الله عز وجل وبدلوا ما كان الله يثبت
به إبراهيم خليله من الدين التوحيد والصراط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم
الشرك وغيرهوا شاتروا الحج وسالم الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضيف وأتبعوا في
ذلك من كان قبلهم من الأمم المشركين وشابهوا قوم نوح وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام
ولهذا ثبت الله إليهم نوحاً وكان أول رسول يثبت ينهي عن عبادة الأصنام كما تقدم بيانه في قصة نوح
(وقالوا لا تزدن آلهتكم ولا تزدن ودولاً سواعاً ولا يثوث ويثوث وفوق وفوقاً وقد أضلوا كثيراً) الآية
قال ابن عباس كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد
عبدوهم وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن إعادته ههنا .

قال ابن اسحاق وغيره : ثم صارت هذه الأصنام في الرب بد تدبيلهم دين إسماعيل فكان
ود لبني كلب بن مرة بن قنطب بن لحوان بن عمران بن الحلف بن قصاعة . وكان متصوفاً يدومة الجلوس

وكان سواع ابني هذيل بن الباس بن مدركة بن مضر . وكان منصوباً بمكان يقال له رهاط . وكان يوثق
ابني أنعم من ملو ولاهل جرش من مذحج وكان منصوباً بجرش . وكان يوثق منصوباً بمرض همدان
من اليمن ابني خيوان بطن من همدان . وكان فسر منصوباً بمرض حمير لقبيلة يقال لهم ذو الكلاع .

قال ابن اسحاق : وكان غلوان بلرضهم صنم يقال له عم أنس يقدمون له من أفهامهم وحروهم
قسماً بينه وبين الله فيما يزعمون فادخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسوه له تركوه له ومادخل في
حق الله من حق عم أنس ردوه عليه وفيهم أنزل الله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والاقدام نصيباً)
قال : وكان ابني ملكان بن كنانة بن خزيمية بن مدركة صنم يقال له سعد صخرة عقلة من أودهم طويلة
فاقبل رجل منهم بابل له مؤيلة ليقتلها عليه الناس بركة فيما يزعم فلما رأته الايل وكانت صرخة لا تركب
وكان الصنم يهراق عليه الحماة فزرت منه فذهبت في كل وجه وغضب ربهما واخذ حجراً فرماه به فم قتل
لا يترك الله فيك فزرت على اهل ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال :

اتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة يتنوفة من الارض لا يدعولني ولا رشد

قال ابن اسحاق : وكان في دوس صنم لمعرو بن حمزة الدوسي . قال وكانت قريش قد انقضت
صنا على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وقد خدع فيها ذكره ابن هشام انه أول صنم نصبه عمرو بن
لحي لسته الله .

قال ابن اسحاق : واتخذوا اساقاً وثالثة على موضع زمزم ينحرون عندها ثم ذكر أنها كانوا رجلاً
وامرأة فوقع عليها في الكعبة فسخطها الله فحبرن . ثم قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت سمعت عائشة تقول : ما زلنا نسمع أن اساقاً وثالثة كانوا رجلاً وامرأة
من جرم أحدنا في الكعبة فسخطها الله عز وجل فحبرن والله أعلم . وقد قيل إن الله لم يمهلهما حتى
يغرا فيها بل سخطها قبل ذلك فشد ذلك نصبا عند الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي قتلها فوضعهما
على زمزم وطاف الناس بهما وفي ذلك يقول أبو طالب :

وحيث يبيع الأشعرون ركايبهم بمغضى السيول من اساف وثقل

وقد ذكر الواقدي : أن رسول الله ﷺ لما أمر بكسر ثالثة يوم الفتح خرجت منها سوداء شعثاء
تشمس وجهها وتدعو لويل والثبور . وقد ذكر السهيلي : أن أبا ولسي وهما جيلان بلرض الحجاز اتما
سميا بلهم رجل اسمه أبا بن عبد الله فخر بلسي بنت حام فصليا في هذين الجبلين فزرقا بهما قال : وكان
بين أبا ولسي صنم لطي يقال له قلص .

قال ابن اسحاق : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنم يبدونه فلذا أراد الرجل منهم سفراً مسح به

حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره . واذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل ان يدخل على أهله . قال فلما بث الله محمداً ﷺ بالتوحيد قالت قريش (أَجْمَلُ الآكَلَةِ لَهَا واحداً أن هذا شيء عجيب) .

قال ابن اسحاق : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لما سدت وحجاب ، وتهدى لما كانت تهدى للكعبة وتطوف بها كلواثها بها وتتحرك عندها . وهي مع ذلك تعرف فضل الكعبة عليها لأنها بناء ابراهيم الخليل عليه السلام ومسجده . وكانت لقريش وبني كنانة المرزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيان بن سليم خلفاء بني هاشم وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح كما سيأتي . قال : وكانت اللات لتقيف بالطائف وكانت سدنتها وحجابها بنو منبب من هذيل وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بد مجي أهل الطائف كما سيأتي . قال : وكانت مناة للأوس والنخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية الشمال بقديد وقد خربها أبو سفيان أيضاً وقيل على بن أبي طالب كما سيأتي . قال : وكان ذو النطاسة لدوس وخمهم وبجيلة ومن كان ييلادهم من العرب بتيالة وكان يقال له الكعبة البمانية ، وليت مكة الكعبة الشامية وقد خربه جرير بن عبد الله البجلي كما سيأتي قال . وكلف قس لعل ومن يلها بجبل طى بين اجا وسلمى ، وهما جبلان مشهوران كما تقدم . قال : وكان رآم بنتا لحير وأهل اليمن كما تقدم ذكره في قصة تبع أحد ملوك حمير وقصة الحبرين حين خرباه وقتلانه كلباً أسود . قال : وكانت رضاء بنتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن نعيم ولها يقول المستورغ واسمه كعب بن ربيعة بن كعب :

ولقد شددت على رضاء شدة ففركها ففرا فقام اسما

وامان عبد الله في مكروها ويمثل عبد الله أغشى المحرما

ويقال إن المستورغ هذا عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمراً وهو الذي يقول :

ولقد سمعت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حلتها بعدها ماكان لي وازددت من عدد الشهور ستينا

هل ما لي الا كما قد فاتنا يوم يمر ولية تحبونا

قال ابن هشام : وروى هذه الآيات لزهير بن جندب بن هبل . قال السهيلي : ومن المفسرين الذين جازوا المائتين والثلاثمائة زهير هذا وعبيد بن شرية وحظف بن حنظلة السابقي والريح بن ضبع الغزاري وذو الأصبع البدواني ونصر بن دعلج بن أشجع بن ريث بن ضفان ، وكان قد أسود شعره بعد ايضاضه وتقوم ظهره بعد احوجاجه . قال : وكان ذو الكبيات ليكر وتقلب بن وائل وأيلد بن سباد وله يقول أغشى بن قيس بن ثعلبة :

بين الخورق والدير وبارق والبيت ذوالشرقات من سنداد
وأول هذه القصيدة :

ولقد علت وأن تطاول في المدى أن السيل سبل ذى الأعواد
ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إراد
نزّلوا بأقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض الخورق والدير وبارق والبيت ذوالكبات من سنداد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على مباد
واری التميم وكلا يلحى به يوماً يصير إلى بلّ ونهاد

قال السهيلي : الخورق قصر بناء النعمان الأكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناء رجل يقال
له سنار في عشرين سنة ولم يُر بناء أعجب منه فغشى النعمان أن يبنى لغيره مثله فآلقاه من أعلاه قتله ففى
ذلك يقول الشاعر :

جزاني جزاء الله شر جزائه جزاء سنار وما كان ذا ذنب
سوى رضعه البنيان عشرين حبة يد عليه بقرامد والسكب
فلما انتهى البنيان يوما تمامه وأخر كمثل الطود والبازخ الصمب
رمى بسنار على حق رأسه وذلك لمرأته من أقبح الخطب

قال السهيلي : أتت هذه الملاحظة في كتاب الحيوان والسنار من أسماء القمر والمقصود أن هذه البيوت كلها
هدمت . لما جاء الاسلام جهز رسول الله ﷺ إلى كل بيت من هذه سرايا تخربه وإلى تلك الأصنام
من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وعبد الله وحده لا شريك له كما سيأتى بآيه وتفصيله في
مواضع إن شاء الله تعالى وبه التمة .

خبر عدنان جد عرب الحجاز وهو الذى ينتهى إليه نسب النبي صلى الله عليه وسلم

لا خلاف أن عدنان من سلالة اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الآباء
بينه وبين اسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أرمون أباه وهو الموجود عند أهل الكتاب أخنوخ
من كتاب رخصا كاتب أرميا بن حقيّا على ما سنده وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة
عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة لما رواه موسى بن يعقوب
عن عبد الله بن وهب بن زمة الزمى عن عمته عن أم سلمة عن النبي ﷺ أنه قال معد بن عدنان

ابن أدد بن زدد بن اليرى بن امراق الثرى . قلت : أم سلمة فزدد هو الميسم واليرى هو نابت وامراق الثرى هو اسماعيل لأنه ابن ابراهيم و ابراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى قال الفارقلنى لا تعرف زندا الا فى هذا الحديث وزدد بن الجون وهو أبو دلالة الشاعر

قال المافظ أبو القاسم السهلى وغيره من الأئمة : مدة ما بين عدنان إلى زمن اسماعيل أكثر من أن يكون بينها أربعة أباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر ثنتى عشرة سنة . وقد ذكر أبو جعفر الطبرى وغيره أن الله تعالى أوحى فى ذلك الزمان إلى أرميا بن حلقيا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمه أنى قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كى لا تصيبه القطة فيهم فأتى مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل فضل أرميا ذلك واحتل معدا على البراق إلى أرض الشام فقتل مع بنى اسرائيل من بنى قنقهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة اسمها مائة بنت جوشن من بنى ديب بن جرم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتى وتمحضت جزيرة العرب وكان رخيا كاتب أرميا قد كتب نسب في كتاب عنده ليكون فى خزنة أرميا فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم . ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان .

قال السهلى : وإنما تكلمنا فى رفع هذه الانساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كل من اسحاق والبخارى والزيير بن بكار والطبرى وغيرهم من العلماء ، وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك ، وقال له من أين له علم ذلك قبل له فى اسماعيل فانكر ذلك أيضا وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع فى نسب الأقباء مثل أن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المصطفى فى كتابه .

قال : وقول مالك هذا نحو ما روى عن عروة بن الزبير أنه قال لموجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان واسماعيل ، وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان واسماعيل ثلاثون أباء لا يعرفون وروى عن ابن عباس أيضا أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والأصح عن ابن مسعود مثله . وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب إلى عدنان ، وقال أبو عمر بن عبد البر فى كتابه الانباه فى معرفة قبائل الرواء روى ابن لمية عن أبى الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء حططان الا قفرصاء . وقال أبو الأسود سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبى خيشمة وكان من أعلم قريش بأشجارهم وانسابهم يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان فى شعر شاعر ولا علم عالم قال أبو عمر : وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمر بن عبد المنون الأزدي ومحمد بن كعب القرظى إذا نزلوا (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) قالوا كذب النسابون .

قال أبو عمر رحمه الله: والملف عندنا في هذا غير ما ذهبوا والمراد أن من ادعى احصاء بني آدم قتلهم لا يملهم إلا الله الذي خلقهم وأما انساب العرب فلن أهل العلم بأيها وانسابها قد عروا وحفظوا جواهرها وأمهات قبائلها واختلفوا في بعض فروع ذلك.

قال أبو عمر: والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور ابن تيرح بن يرب بن يشجب بن ثابت بن اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن اسحاق بن يسار في السيرة.

قال ابن هشام: ويقال عدنان بن أد بن أدد ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه في قصة الخليل عليه السلام. وأما الانساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحمولة شهيرة جداً لا يتأري فيها اثنان والنسب النبوي إليه أظهر وأوضح من فلق الصبح وقد ورد حديث مرفوع بالنسب عليه كما سنورده في موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر انسابها وانظامها في حلت النسب الشريف والأصل المنيف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم. وما أحسن ما نظم النسب النبوي الامام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ في قصيدته المشهورة المنسوبة اليه وهي قوله:

مدحت رسول الله أنبي مدحه	وفود حظوظي من كريم المآرب
مدحت امرأ أفاق ^(١) المديح موحداً	بوصافه عن مبدع ومقارب
نيا ناسي في المشرق نوره	فلاحت هواده لاهل المنارب
أنتنا به الأنبا قبل مجيحه	وشاعت به الاخبار في كل جانب
وأصبحت للكمان تهف بهمه	وتتفي به رجم الظنون الكواذب
وأفقت الاصنام لظفا تهرأت	الى الله فيه من مقال الاكاذب
وقالت لاهل الكفر قولاً ميينا	أنا كم نبى من لوى بن غالب
ورام استراق السمع جن فزيت	مقاعدهم منها رجوم السكواكب
هدانا الى مالم نكن نهتدى له	لطول المعى من وانحطت المذاهب
وجاء بآيات تبين أنها	دلائل جبار مثيب مناقب
فنها انتفاق البدو حين نعمت	شعوب الضياع تهوؤس الاخشاب
ومنها نبوع الماء بين بناته	وقد علم الرود قرب المشارب
فروى به جها غفيراً واسهل	باعثاته طوعاً اكف المذائب

وبشر طفت بالاه من مس سهمه
 وضرع مره فاستد ولم يكن
 وخلق فصيح من ذراع مينة
 واخبره بالامر من قبل كبره
 ومن تلكم الآيات وحى أنى به
 تقاسرت الافكار عنه فلم يعلم
 حوى كل علم واحتوى كل حكمة
 أنا به لاهن روية مرفى
 يرايه طورا فى إجابة سائل
 واثبان برهان وفرض شرائع
 وتصريف أمثال وتثبيت حجة
 وفى مجمع النادى وفى حومة الوغى
 فىأتى على ماشئت من طرقاته
 يصدق منه البض بضاً كأنما
 وعجز الورى عن ان يحثوا بمثل ما
 تأبى ببذ الله أكرم والده
 وشيبة ذى الخلد الذى فخرت به
 ومن كان يستحق النعام بوجهه
 وهاشم البانى مشيد اخذاره
 وعبد مناف وهو علم قومه اذ
 وإن قصياً من كريم غراسه
 به جمع الله القبائل بعدما
 وحل كلاب من ذرى المجيد مقلا
 وسرة لم يحلل سريرة عزمه
 وكعب علا عن طالب المجد كبه
 وألوى لؤى بالمداة فطوعت
 وفى غالب يأس أبى البأس دونهم
 ومن قبل لم تسمح بمذقة شارب
 به حرة تصنى الى كف حالب
 لكيد هدو للداوة ناصب
 وعند بواده بما فى المواقب
 قريب المائى مستجم المجانب
 بلتاً ولم يخطر على قلب خاطب
 وقت سرام المستمر الموارب
 ولاصف مستمل ولاوصف تائب
 واثاء مستغف ووعظ مخاطب
 وقص أحاديث ونص مأرب
 وتعريف ذى جعد وتوقيف كاذب
 وعند حدوث المضلات الترائب
 قوم المائى مستد الضرائب
 يلاحظ معناه بين المراقب
 وصفاته معلوم بطول التجارب
 تبلغ منه عن كريم المناسب
 قرش على أهل العل والمناسب
 ويصدر عن آرائه فى التوائب
 بر المسامى وامتنان المواهب
 نطاط الأمانى واحكام الزرائب
 لنى منهل لم يدن من كف قاضب
 تسمها تهب الا كف السوالب
 تهاصر عنه كل دان وضائب
 صفاء سفيه أو محوة حائب
 فقال بادى السى أعلا المراتب
 له هم الشم الاتوف الأغالب
 يدافع عنهم كل قرن مغالب

وكانت لنهر في قريش خطابة
 ومازال منهم ملك خير ملك
 ولتضر طول يقصر الطرف دونه
 لسرى قد أبدى سكتاة قبله
 ومن قبله أبقى خزيمة حمده
 ومدركه لم يدرك الناس مثله
 والياس كان اليأس منه مقارنا
 وفي مضر يستجمع الفخر كله
 وحل تزار من رياسة أهله
 وكان معد عدة لوليه
 ومازال عدنان إذا عد فضله
 وأد تأدى الفضل منه بناية
 وفي أدد حلم تزين بلحبا
 ومازال يستلح جميع بالملح
 وببت بنه دوح الزواجر
 وحيزت قيذار ساحة حاتم
 هو أنسل اسماعيل صادق وعده
 وكان خليل الله أكرم من عنت
 وتارح ما زالت له أرمجة
 وتاحور نهار المدى حفظت له
 وأشرع في الهيابة ضميم غابة
 وأرغو تل في الحروب محكم
 وما بالغ في فضله ثلوقومه
 وشالح وارغند وسلم سميت بهم
 ومازال نوح عند ذي الررش فاضلا
 وملك أبوه كان في الروع رافعا
 ومن قبل لك لم يزل متوشلخ

يرمونها عند اشتجار المخاطب
 وأكرم مصحوب وأكرم صاحب
 بحيث التقي ضوء النجوم الثواقب
 محاسن تأتي إن تطوع لنائب
 تلذ تراث عن حميد الأقارب
 أصف وأعلى عن دفي المكاسب
 لأعدائه قبل اعتداد الكتاب
 إذا اعتزكت يوما زحوف المقائب
 محلا تناسي عن عيون الرواقب
 إذا خاف من كيد العدو المحارب
 توحد فيه عن قرين وصاحب
 وأرث حواه عن قروم اشايب
 إذا الحلم أزهاه قطوب المحواب
 ويتبع آمال البعيد المراهب
 ساقطه في مشعر الأهاضب
 وحكمة قبلت ومة حاجب
 فابده في الفخر مسمى لذهاب
 له الأرض من ماش عليها وراكب
 تبين منه عن حميد المضارب
 ما أثر لما يحصها عد حاسب
 يقد الطل بالمرفعات للقواضب
 ضنين على نفس المشع الثاقب
 ولا عابر من دونهم في المراقب
 سجايا حتم كل زار وعائب
 يمدح في المصطفين الاطايب
 جريئا على غش الكي المضارب
 ينود المدى بالآباء والشوازب

وكانت لادريس النبي منازل
ويلد بحر عند آل سراء
وكانت له لايل فهم فضائل
وقيتان من قبل أخى محمد قومه
وكن أنوش ناس للعبد فسه
ومزال شيت بالفضائل فاضلا
وكلهم من نور آدم أقسوا
وكان رسول الله أكرم منجب
متابعة آله أمهاته
عليه سلام الله في كل شارق
الاح لنا ضوءاً وفي كل غارب
من الله لم تهن بهمة راغب
أبي الخزايا مستدق المآرب
مهدبة من فاحشات المثالب
وقد بشأ الفضل وخد الركائب
وترها عن مرديت المطالب
شريقاً بريئاً من فميم المائب
وعن عوده أجتوا ثمار المناقب
جوى في ظهور الطيبين المناجب
ميرة من فاصحات المثالب
الاح لنا ضوءاً وفي كل غارب

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه من شعر الأستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناقشي المعروف بابن شرشير أصله من الأنبار ورد بغداد ثم ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وثمانين وكان متكلماً معتزلاً يحكى عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات فيما يحكى عن المعتزلة وكان شاعراً مطبقاً حتى أن من جملة اقتداره على الشعر كان يما كس الشعراء في المصاني فينظم في مخالفتهم ويحكي مالا يطبقونه من المصاني البديعة والالفاظ البليغة حتى نسب بعضهم إلى التهور والاختلاط وذكر الخطيب البغدادي أن له قصيدة على قافية واحدة قريباً من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم وأرخ وقته كما ذكرنا

قلت: وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلمه وقمه وحفظه وحسن لفظه وإطلاعه واضطلاعاه واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره وغرضه على هذه المصاني التي هي جواهر غنية من قاموس بحره فرحه الله وأثابه وأحسن مصيره وإياه.

ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز إلى عدنان

وذلك لأن عدنان ولد له ولدان سد وعك. قال السهيلي: ولعدنان أيضاً ابن اسمه الحارث وآخر يقال له المذهب. قال وقد ذكر أيضاً في بني الضحاك. وقيل إن الضحاك ابن لمد لا ابن عدنان. قال وقيل إن عدنان الذي تعرف به مدينة عدن وكذلك أين كانا ابنتين لعدنان حكاه الطبري قزوج عك في الأشعريين وسكن في بلادهم من اليمن فصارت لهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم فيقولون عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزدي بن يثوث ويقال عك بن عدنان بن القديب بن عبد الله

ابن الاسد ويقال الريث بدل القيب والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان . قال عباس بن مرداس
وعك بن عدنان الذين تلبسوا بسان حتى طردوا كل مطرد

وأما مد فولده أربعة نزار وقضاة وقصص وإيلو وكان قضاة بكره وبه كان يكنى وقد قدنا
الخلاص في قضاة ولكن هذا هو الصحيح عند ابن اسحاق وغيره والله أعلم .

وأما قص فيقال أنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان ثاقبا لكسرى
على الحيرة كان من سلالة على قول طائفة من السلف وقيل بل كان من حجر كما تقدم والله أعلم .

وأما نزار فولده ربيعة ومضر ونامار قال ابن هشام وإيلاد بن نزار كما قال الشاعر :

وَفُتُو حن أوجههم من إيلاد بن نزار بن مد

قل وإيلاد ومضر شقيقان أمها سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة ونامار شقيقة بنت عك بن
عدنان . ويقال جمعة بنت عك بن عدنان : قال ابن اسحاق فلما نامار فهو والد خشم وبجيلة قبيلة جرير
ابن عبد الله البجلي قل وقد تيامنت فلتحت بلجين . قل ابن هشام : وأهل البلي يقولون نامار بن أراش
ابن لحيان بن عمرو بن النوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ قلت والحديث المتقدم فذكر
سبأ يدل على هذا والله أعلم .

قالوا : وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فقطع يوما عن بيده فوثبت يده
فجعل يقول وإيديا وإيديا فاعتقت الأبل لذلك . قل ابن اسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين الياس
وعيلان وولد لالياس مدركة وطابخة وقمة وأمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاة . قل ابن
اسحاق وكان اسم مدركة عامراً واسم طابخة عمراً ولكن اصطاد صيدا فبناهما يطبخانه إذ فرت
الأبل فذهب عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أيها ذكره ذلك
قال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما قمة فيزعم فساب مضران خزاعة من ولد عمرو
ابن لحي بن قمة بن الياس قلت والأظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حجر كما تقدم والله أعلم .

قل ابن اسحاق : فولد مدركة خزينة وهذيل وأمها امرأة من قضاة وولد خزينة كنانة وأسدا
وأسدة والمون وزاد أبو جعفر الطبري (١) في أبناء كنانة على هؤلاء الأربعة عامراً والحارث والنضير

(١) قوله وزاد أبو جعفر الطبري الخ كذا بالأصول وهي عبارة مختلة لألف التبريد بزاد يقتضى
أن هذا المزيد ولد لمدركة وهو يناقض قوله في أبناء كنانة واليك عبارة أبي جعفر الطبري اسم فضر
قيس وأمهم برمة بنت مرة بن أذ بن طابخة وأخوته لآيه وأمهم نضير وملاك وملاكين ونامار والحارث
وعمر وسمد وعوف وضم وخمعة وجرو ووزوان وحيدان وأخوهم من أبيهم عبد مناة وأمهم فكيكة
وقيل فسكة وهي الزفراء بنت حن بن لحي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ولله سقط من الناسخ

وغنا وسدا وعرفا وجرولا والحدال وغزوان . قال وولد كنانة النضر وملكا وعبد مائة وملكان

الكلام على قريش نسبا واشتقاقا وفضلا

وهم بنو النضر بن كنانة

قال ابن اسحاق : وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة وسانر بنيه لامرأة أخرى وخالفه ابن هشام فجعل برة بنت مر أم النضر وملك وملكان . وأم عبد مائة هالة بنت سويد بن النضر بن من أزد شنوءة . قال ابن هشام : النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس قرشي . وقال ويقال فهر بن مالك هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس قرشي . وهذا القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزيير بن بكار ومصعب وغير واحد . قال أبو عبيد وابن عبد البر : والذي عليه الأكثر أن النضر بن كنانة لحديث الأسد بن قيس قلت وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلابي وأبو عبيدة مصر بن المثنى وهو جادة مذهب الشافعي رضي الله عنه . ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك واحتج بأنه ليس أحد اليوم عن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك ثم حكى اختيار هذا القول عن الزيير بن بكار ومصعب الزييري وعلى بن كيسان قل واليه المرجع في هذا الشأن وقد قال الزيير بن بكار وقد أجمع فساب قريش وغيرهم أن قريشا إنما خربت من فهر بن مالك والذي عليه من أدركت من فساب قريش أن ولد فهر بن مالك قرشي وإن من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من قريش ثم نصر هذا القول فصرا عزيرا وتحاي له بأنه ونحوه أعلم بأنساب قومهم وأحفظ لما أتوا وقد روى البخاري من حديث كليب بن وائل قال قلت لأبي ذر رضي الله عنه يعني زينب في حديث ذكره أخبرني عن النبي ﷺ أكان من مضر قالت فمن كان إلا من مضر من بني النضر بن كنانة . وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن ثابتة الأصباهي حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي ثنا الحسن بن صالح عن أبيه عن الجيث ^(١) الكندي قال جاء قوم من كنانة إلى رسول الله ﷺ فقالوا أنت منا وادعوه فقال لا ، نحن بنو النضر بن كنانة لا نفأ أمنا ولا نفأ من أمتنا .

وقال الامام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبي ثنا السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس

ما حكاه ابن هشام في سيرته ونسبه قال ابن اسحاق فولد كنانة بن خزيمه أربعة فخر النضر بن كنانة وملكان بن كنانة وعبد مائة بن كنانة وملكان بن كنانة . وبه يظهر قوله وزاد أبو جعفر الخ ولعل قوله فيا بد وولد كنانة الخ مؤخر من تقديم من الناسخ اه محمود الامام .

(١) كذا أورده هنا وفي أسد الغابة : ان ذلك غلط وإنما هو جفثيش او حفثيش الخ .

قال جاء رجل من كندة يقال له الجشيش الى النبي ﷺ قال يا رسول الله إنا نزع من ابن عبد مناف منا فاعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك ثم أعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك قال النبي ﷺ نحن بنو النضر بن كنانة لا يحق أنما ولا نتقي من أيننا قال الاشعث ألا كنت سكت من المرة الاولى فابطل ذلك قولهم على لسان نبيه ﷺ وهذا غريب أيضا من هذا الوجه والكلي ضيف والله أعلم .

وقد قال الامام احمد حدثنا بهز وثمان قال ثنا حماد بن سلمة . قال ثقي عقيل بن أبي طلحة وقال عفان عقيل بن طلحة السلي عن مسلم بن الحيص عن الاشعث بن قيس أنه قال أنبت رسول الله ﷺ في وفد كندة . قال عفان لا يروني أفضلهم قل قلت يا رسول الله إنا نزع أنسكم منا قال قال رسول الله ﷺ نحن بنو النضر بن كنانة لا يحق أنما ولا نتقي من أيننا . قال قال الاشعث بن قيس فوالله لا أسمع أحداً نقي قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلده الحد . وهكذا رواه ابن ماجه من طرق عن حماد ابن سلمة به وهذا إسناده جيد قوي وهو في فصل في هذه المسألة فلا تغفل الى قول من خالفه والله أعلم والله

الحمد والمنة . وقد قال جرير بن عطية التميمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فا الأم التي ولدت قريشاً بمقرقة النجار ولا عقيم

وما قوم بأفحج من أيكم ولا خال بأكرم من تميم

قال ابن هشام : يعني أم النضر بن كنانة وهي برة بنت مرة أخت تميم بن مر .

وأما اشتقاق قريش قيل من القرش وهو التجمع بعد التفرق وذلك في زمن قصي بن كلاب

قالهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم كما سيأتي بيانه وقد قال حذافة بن غثم المدوني :

أبوكم قصي كان يدعى مجماً به جمع الله القبائل من فهر

وقال بعضهم : كان قصي يقال له قريش قيل من التجمع والقرش التجمع كما قال أبو خزيمة اليسكري :

اخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرنا وقديم

وقيل سميت قريش من القرش وهو التكسب والتجارة حكاه ابن هشام رحمه الله . وقال الجوهري

القرش السكسب والجمع وقد قرش يقرش قال الفراء وبه سميت قريش وهي قبيلة وأبوم النضر بن كنانة

فكل من كان من ولده فهو قرشي دون ولد كنانة فما فوقه . وقيل من التفتيش قال هشام بن الكلاب

كان النضر بن كنانة تسمى قريشاً لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والتفتيش هو

التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيردونهم بما يلزمهم ببلادهم فسموا بذلك من فعلهم

وقرشمهم قريشاً وقد قال الحارث بن حطيرة في بيان أن القرش التفتيش :

أيها الناطق المقرش عنا عند عمرو فهل له إيتاء

حتى ذلك الزبير بن بكار وقيل قريش تصغير قرش وهو دابة في البحر قال بعض الشعراء :

وقريش هي التي تسكن البهـ ربهـا سميت قريش قريشا
قال البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن ثنادة أن أبا الحسن علي بن عيسى المالكي حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل
النفسي أن أبا كريب حدثهم حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي ركانة العامري
أن معاوية قال لابن عباس فلم سميت قريش قريشا؟ فقال له لداية تكون في البحر تكون أعظم دوابه فيقال
لهذا القرش لا تمر بشيء من الفئ والسين إلا أكلته . قال فأنشدني في ذلك شيئا فأفشدته شعر الجحى
إذ يقول :

وقريش هي التي تسكن البهـ ربهـا سميت قريش قريشا
تأكل الفئ والسين ولا تتركن الفئ الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حتى قريش يأكلون البلاد أكل الكيشا
ولهم آخر الزمان نهى يكثر القتل فيهم والجوشا

وقيل سموا بقريش من الحارث بن يثمد بن النضر بن كنانة وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم
فكانت العرب تقول قد جاءت غير قريش قتلوا وابن بدر بن قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة إليه
التي كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله أعلم .

ويقال في النسب إلى قريش قرشي وقريشي قال الجوهري وهو القياس . قال الشاعر :

لكل قريشي عليه مهابة سريـع إلى داعي النداء والتكرم

قال فإذا أردت بقريش الحى صرفه وإن أردت القبيلة منمته قال الشاعر في ترك الصرف :

• وكفى قريش المضلات وسادها •^(١)

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي عمر والاوزاعي قال حدثني شداد أبو عمار حدثني وائلة
ابن الاسقع قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من
كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم » . قال أبو عمر بن عبد الله يقال بنو
عبد المطلب فصيلة رسول الله ﷺ وبنو هاشم ثمه وبنو عبد مناف بطنه وقريش عمارته وبنو كنانة
قبيلته ومضر شعبة صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين .

ثم قال ابن اسحاق : فولد النضر بن كنانة مالكاً وغلباً قال ابن هشام والصلت وأمههم جميعا
بنف سعد بن القرب العدواني . قال كثير بن عبد الرحمن وهو كثير عزة أحد بني مليح بن عمرو
من خزاعة :

(١) البيت لمدي بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك على ما في اللسان وأوله : غلب المساميح
الوليد سباحة أم محمود الامام .

أليس أبي بالصلت أم ليس اخوتي لكل هجان من بني النضر أزهر
رأيت ثياب المصب يختلط السدى بنا وجههم والحضري المحضرا
فإن لم تكونوا من بني النضر فآثروا أروا كما بأذناب الفواجم أخضرا

قال ابن هشام : وبني مليح بن عمرو يمزون إلى الصلت بن النضر .

قال ابن اسحاق : فولد مالك بن النضر فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحارث بن مضاض الاصغر
وولد فهر غالباً ومحارباً والحارث وأسداً وأمه ليلي بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وأختهم لأبيهم جندلة بنت فهر . قال ابن اسحاق : فولد غالب بن فهر لؤي بن
غلب ونسيم بن غالب وهم اللقيين يقال لهم بنو الأدرم وأمهاسلى بنت عمرو الخزاعي . قال ابن هشام
وقيس بن غالب وأمه سلى بنت كعب بن عمرو الخزاعي وهي أم لؤي قال ابن اسحاق فولد لؤي بن
غالب أربعة نفر كعباً وعامراً وسامة وعوفاً . قال ابن هشام ويقال والحارث وهم جشم بن الحارث في
هزان من ربيعة وسعد بن لؤي وهما بنات في شيان بن ثعلبة وبنات حاضنة لهم وخزعة بن لؤي وهم
عابذة في شيان بن ثعلبة .

ثم ذكر ابن اسحاق خبر سامة بن لؤي وأنه خرج إلى عمان فكان بها وذلك لשתان كان بينه وبين
أخيه عامر فأخافه عامر فخرج عنه هارباً إلى عمان وأنه ملت بها غريباً وذلك أنه كان يرمي ^(١) ناقته
فلقت حية بمشفرها فوفقت لثقتها ثم نهشت الحية سامة حتى قتله فيقال إنه كتب بأصبه على الأرض :

عين فابكي لسامة بن لؤي ملقت ما بسامة اللأفة
لا أرى مثل سامة بن لؤي يوم حلوا به قبلاً لناقة
بلغنا عامراً وكعباً رسولاً أن قضى اليهما مشتاقه
إن تمكن في عمان داري فاني غالي خرجت من غير فاقه
رب كاس هزقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الخوف يا ابن لؤي ما لمن رام ذاك بلخلف طاقه
وخروس السرى تركت رزياً بعد جد وحدة ورشاقه

قال ابن هشام : وبلغوا أن بعض ولده أتى رسول الله ﷺ فاقسب إلى سامة بن لؤي فقال له
رسول الله ﷺ : « ألتاجر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله ؟ »

رب كاس هزقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه

(١) كذا بالأصول والقي في ابن اسحاق يتناهو يسير على ناقته إذ وضعت رأسها ترقع فاخذت
حية بمشفرها فصرتها حتى وقت الناقة لثقتها ثم نهشت الخاء محمود الامام .

قال أبل : وذكر السهلي عن بعضهم أنه لم يقب . وقال الزبير ولد أسامة بن لؤي غالبا والنبيت والحارث قالوا وكانت له ذرية بالرق يخضون عليا ومنهم على بن الجعد كان يشتم أبه لكونه سماه عليا ومن بني سامة بن لؤي محمد بن عرعة بن يزيد شيخ البخاري .

وقد ابن اسحاق : وأما عوف بن لؤي فانه خرج فبا يزعمون في ركب من قريش حتى اذا كان بإرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبلي به فافطلق من كان معه من قومه فانه ثلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بني ذبيان فحبسه وزوجه ولتائه وآخاه فتاع نفسه في ذبيان وثلبة فبا يزعمون .

قال ابن اسحاق : وحدثنني محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أن عمر بن الخطاب قال لو كنت مدعيًا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن عوف إنا لنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤي .

قال ابن اسحاق : وحدثنني ما أنهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال منهم من بني مرة إن شئتم أن ترجعوا الى فسيكم فارجعوا اليه . قال ابن اسحاق : وكان القوم أشرا في غطفان هم سادتهم وقادتهم قوم لهم صيت في غطفان وقيس كلها فاقاموا على نسبهم قالوا وكأوا يقولون اذا ذكر لهم نسبهم ما ننكره وما نمجده وبه لأحب النسب اليانم ذكر أشعارهم في اتانهم الى لؤي قال ابن اسحاق : وفيهم كان البسل وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضا قلت : وكانت ربيعة ومضر إنما يجرمون أربعة أشهر من السنة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم واختلفت ربيعة ومضر في الرابع وهو رجب قتالت : مضر هو القى بين جمادى وشعبان وقالت ربيعة هو الذي بين شعبان وشوال وقد ثبت في الصحيحين عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال في خطبة حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » فنص على ترجيح قول مضر لا ربيعة وقد قال الله عز وجل « إن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » فهذا رد على بني عوف بن لؤي في جعلهم الأشهر الحرم ثمانية فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه وقوله في الحديث ثلاث متواليات رد على أهل النسب الذين كانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر . وقوله فيه ورجب مضر رد على ربيعة . قال ابن اسحاق : فولد كعب بن لؤي ثلاثة ، مرة ، وعديا ، وهصيصا وولد مرة ، ثلاثة أيضا كلاب بن مرة ، وقيم بن مرة ، ويقظة بن مرة من أمهات ثلاث . قال وولد كلاب رجلين قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما ظلمة بنت سعد بن سيل أحد الجمرّة من جبهة الأسد من اليمن حلفاء بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وفي أبيها يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخصا واحداً من علمائه كعبد بن ميل
 فلما أضبط فيه عسرة وإذا ما واقف القرن بزل
 فلما يستدرج الخليل كما استدرج الحر القاطن الجبل
 قال السهيلي : سيل اسم خير بن جملة وهو أول من طليت ^(١) له السيوف بالذهب والفضة .
 قال ابن اسحاق : وإنما سمو الجدة لأن عامر بن عمرو بن خزاعة بن جشة تزوج بنت الحارث بن
 مضاى الجرهمي وكانت جرم إذ ذاك ولادة البيت فبنى للكعبة جداراً فسمى عامر بذلك الجدار قيل
 ولده الجدة لذلك .

خبر قصي بن كلاب وما كان من أمره في ارتجاعه ولأية
 البيت إلى قریش وانتزاعه ذلك من خزاعة واجتماع
 قریش إلى الحرم الذي جعله الله آمناً للعبيد بعد
 تفرقها في البلاد وتمزقها في الجبال والمهاد

وذلك أنه لما مات أبوه كلاب تزوج أمه ربيعة بن حرام من عنزة وخرج بها وبه إلى بلادهم
 فمضى قصي مكة وهو شاب فتزوج حمى ابنة رئيس خزاعة حليل بن حبشية ^(٢) . فلما خزاعة فرعم أن
 حليلاً أوصى إلى قصي بولاية البيت لما رأى من كثرة نسله من ابنته وقال أنت أحق بذلك فني . قال

(١) عبارة السهيلي وهو أول من حل السيوف الخ :

(٢) عبارة ابن اسحاق هكذا : فولدت له عبد الله وعبد مناف وعبد المزي وعبد الله فها أقشر ولد
 قصي وكثر ماله وعظم شرفه ذلك حليل فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر
 وإن قریشا قرعة اسماعيل بن ابراهيم وصريح ولده فكلهم رجلاً من قریش وبني كنانة ودعاهم إلى
 اخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح
 ابن ربيعة يدعوهم إلى عنزة والقيام معه فخرج رزاح بن ربيعة ومعه أخوته من بني ربيعة ومحمد بن ربيعة
 وجملة بن ربيعة ومعه لغيره أمه فاطمة فبين تبهم من قضاة في حاج العرب وهم يجمعون لنصرة قصي
 وخزاعة ترعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصياً وأمره به حين أقشر له من ابنته من الولد ما أقشر
 وقال أنت أولى بالكعبة والقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة فند ذلك طلب قصي ما طلب ولم نسع
 ذلك من غيره فله أعلم أي ذلك كان عبارة ابن اسحاق وبها يتبين لك ما في عبارة ابن كثير من
 الخطأ أم محمد الامام .

ابن اسحاق : ولم نسمع ذلك إلا منهم وأما غيرهم فلهم يزعمون أنه استنكث بلخوة من أمه وكان رئيسهم رزاح بن ديمة وأخوته وبني كنانة وقضاة ومن حول مكة من قريش وغيرهم فجللام عن البيت واستقل هو بولاية البيت لأن اجازة الحبيج كانت إلى صوفة وهم بنو النوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجار حتى يرموا ولا ينثرون من دمي حتى ينثروا فلم يزل كذلك فيهم حتى إقرضوا غورثهم ذلك بالله فمكّد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم فكنان أولهم صفوان بن الحارث ابن شجنة بن عتلارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان ذلك في يثرب حتى قام على آخرهم الاسلام وهو كرب بن صفوان . وكانت الاجازة من المزدلفة في عدوان حتى قام الاسلام على آخرهم وهو أبو سيارة عميلة بن الأوزل وقبل اسمه الماص واسم الأوزل خالد وكان يجيز للناس على أنهن له عوراء مكث يدفع عليهما في الموقف أربعين سنة وهو أول من جعل الهدية مائة وأول من كان يقول أشرق ثبير كما تغير حكاية السهيل .

وكان عاصم بن الظرب العدواني لا يكون بين العرب فتوة إلا انحأ كوا اليه فيرضون بما يقضى به فتحمأ كوا اليه مرة في ميراث خنثى فبات ليلته ساهرا يترى ماذا يحكم به فرأته جارية له كانت ترى عليه غنمه اسمها سخيلة قالت له مالك لا اهلك اليلة ساهرا ؟ فذكر لها ما هو مفكر فيه وقال لعلها يكون عندها في ذلك شيء قالت اتبع القضاء المبال قال فرجتها والله يا سخيلة وحكم بذلك .

قال السهيلي : وهذا الحكم من باب الاستدلال بالامارات والعلامات وله أصل في الشرع قال الله تعالى (وجاءوا على قيصه بدم كذب) حيث لا أثر لانياب الذهب فيه وقال تعالى (إن كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) . وفي الحديث أنظروها فلن جامت به أوروق جمدا جاليا فهو للذي رميت به . قال ابن اسحاق : وكان النسي في بني قميم بن عدى بن عاصم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمية بن مدركة بن الياس بن مضر . قال ابن اسحاق : وكان أول من فأس الشهور على العرب القلمس وهو حذيفة بن عبد بن قميم ابن عدى ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم كان آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس فأس أبي ثمامة قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجة اجتمعت اليه فخطبهم فغرم الاشهر الحرم فإذا أراد أن يحل منها شيئا أحل الحرم وجعل مسكاته صفرا ليواطأوا عدة ما حرم الله فيقول : (اللهم إني أحلت أحد الصفرين الصفر الأول وإنأت الآخر للعام المقبل) فتبته العرب في ذلك فقي ذلك يقول عير بن قيس أحد بني فراس بن غنم ابن مالك بن كنانة ويعرف عير بن قيس هذا بمجدل الطمان :

قد علمت مدد أن قومي كرام الناس أن لهم كراما

على الناس قتلونا بوتر وأى الناس لم تفك لجما

ألسنا الناس على مد شهود الحلل نجعلها حراما

وكان قصي في قومه سيدا رئيسا مطاعا مظلما والمقصود أنه جمع قريشا من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن اطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة وابلانهم عن البيت وتسلية الى قصي فكان بينهم قتال كثيرة ودماء غزيرة ثم ندبوا الى التحكيم فحبا كوا الى يسر بن عوف بن كعب ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فحكم بان قصيا أولى ببيت من خزاعة وان كل دم أصابه قصي من خزاعة وبنى بكر موضوع بشدته تحت قدميه وأن ما أصابه خزاعة وبنى بكر من قريش وكنانة وقضاعة فيه البية مؤداة وأن ينجلى بين قصي وبين مكة والكمية فمضى يسر يومئذ الشداخ . قال ابن اسحاق : فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فلكوه الا أنه أقر العرب على ما كانوا عليه لانه يرى ذلك ديناً في نفسه لا يبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنساء وصره بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله قال فكان قصي أول بنى كعب أصاب ملكا أطلع له به قومه وكانت اليه الحجابة والسقاية والرذلة والندوة والواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباطا بين قومه فقلز كل قوم من قريش منازلهم من مكة .

قلت : فرج الحق الى نصابه ، ورد شارد العدل بسد إياه ، واستقرت بقريش الدار ، وقضت من خزاعة المراد والاولاد ، وتسلت بينهم الشيق القديم . لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الاوثان ونصبها إياها حول السكبة ونحرم لها وقصرهم عندها واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها وأتزل قصي قبائل قريش أبطح مكة وأتزل طائفة منهم ظواهرها فكان يقال قريش البطاح وقريش الظواهر فكانت قصي بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وسدائته والواء وبنى داراً لازاحة الظلمات وفصل المنصومات سهاها دار الندوة اذا أهضمت قضية اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فالتشاوروا فيها وفصلوها ولا يقد عقد لواء ولا عقد نكاح الا بها ولا تبلغ جارية أن تدرع فتدور الا بها وكان يلب هذه الدار الى المسجد الحرام ثم صارت هذه الدار فيها يد الى حكيم بن حزام يد بني عبد المطلب فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم فلامه على بيعها معاوية ، وقال بت شرف قومك بمائة ألف ؟ قال انما الشرف اليوم بالحقوى والله لقد ابتعتها في الجاهلية بزق خررها أنا قد بنتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله فأثنا المتنبون ذكره البارقي في أسماهم رجال الموطأ وكانت اليه سقاية الحجيج فلا يشربون الا من ماء حياضه وكانت زمزم إذ ذاك مطبوسة من زمن جرم قد تناسوا أمرها من تهادم عهدها ولا يهتدون الى موضعها قال الواقدي : وكان قصي أول من أحدث وقيد النار بالزبدقة ليهتدى اليها من يأتي من عرفات والرذلة وهي إسطم الحجيج أيام الموسم الى أن يخرجوا راجعين الى بلادهم .

قال ابن اسحاق : وذلك أن قصيا فرضه عليهم فقال لهم يا مشر قرئش إنكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم وأن الحجاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاما وشربا أيام الحج حتى يصعدوا عنكم فقلوا فكأنوا يخرجون فلك في كل عام من أموالهم خرجا فيصدونه إليه فيصنعه طعاما لثلاث أيام متى تجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الاسلام ثم جرى في الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام يتي لثلاث حتى يتقضى الحج .

قلت : ثم انقطع هذا بعد ابن اسحاق ثم أمر بالخراج طائفة من بيت المال فيصرف في حل زاد وما لا بناء السبيل القاصدين الى الحج وهذا صنيع حسن من وجوه يطول ذكرها ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال من أجل ما فيه والاولى أن يكون من جوالي القمة لانهم لا يحجون البيت المتبقي وقد جاء في الحديث * من استطاع الحج فلم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا .

وقال قائلهم في مدح قصي وشرفه في قومه :

قصي لم يرى كان يدي مجما به جمع الله القبائل من فهر
هو املاو البطحا مجدا وسوددا وم طردوا عنا غواة بني بكر

قال ابن اسحاق : ولما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه وأخوته من آية الثلاثة ومحمود ومجلمة . قال رزاح في احيائه قصيا :

ولما أتى من قصي رسول قال الرسول أجبوا انظيلا
نهضنا اليه فهود الجيا د وطرحت عنا الملل الثقلا
نسير بها القيل حتى الصبا ح ونكس التمار ثلاثرولا
فبين سراع كورد القفا يمين بنا من قصي رسولا
جمنان السر من اشمندين^(١) ومن كل حي جمننا قبيلا
فياك حبة ما ليلة تزيد على الالف صيا رسيلا
فلما سردين على حبر وأسفلن من مستنخ صيلا
وجاوزن بالركن من ورقا ن وجاوزن بالمرج حيا حلولا
سردين على الحلى ما ذقه وعالجن من سرايلا طويلا
ندنى من العود أفلاما ارادة أن يشرقن الصيلا
فلما اتهمنا الى مكة أبنا الرجال قبيلا قبيلا
فلما وردم ثم حد السيو فوقي كل أوب خطنا القولا

(١) في السهيل : الاشمنان جيلان . ويقال اسم قبيلتين .

نخيزم^(١) بصلاب النور رخير القوى الميزز القليل
 قلنا خراة في دارها وبكرا قلنا وجيلا جيلا
 فنيانم من بلاد المدي لك كما لا يحلون أرضا سهولا
 فاصبح سيهم في الحدي د ومن كل حى شغينا النليل

قال ابن إسحاق : فلما رجع رزاح الى بلاده نشره الله ونشر حنا ، فعما قبلا عذرة الى اليوم .
 قال ابن اسحاق : وقال قصي بن كلاب في ذلك :

أنا ابن العاصين بنى لؤى بمكة منزلى وبها ريت
 الى البطحاء قد علت مصد ومروها رضيت بها رضيت
 قلت لئساب أن لم تأتل بها أولاد قيذر والتيت
 رزاح فاصرى وبه أسامى قلت أخاف ضيا ملحيت

وقد ذكر الأُموي عن الأشرم عن أبي عبيدة عن محمد بن حفص : أن رزاحا اتما قدم بدما نقي قصي
 خراة والله أعلم .

فصل

ثم لما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف التي كانت اليه من رئاسات قريش وشرفها من الرقادة
 والسقاية والحجابة والقواء والندوة الى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده . واتما خصصه بها كلها لأن بقية
 أخوته عبد مناف وعبدالمطلب وعبدالمطلب وعبدالمطلب كانوا قد شرفوا في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفاً كبيراً فأحب
 قصي أن يلحق بهم عبد الدار في السؤدد فخصه بذلك فكان أخوته لا ينازعونه في ذلك فلما اقترضوا
 تشاجر أبناءهم في ذلك وقتلوا اتما خصص قصي عبد الدار بذلك ليلحقه بلحقه فنحن نستحق ما كان
 أبؤنا يستحقونه وقال بنو عبد الدار هذا أمر جله لنا قصي فنحن أحق به واختلفوا اختلافا كثيراً
 واحسنت بطون قريش فرقتين فرقة بايت عبد الدار وحالتهم وفرقة بايت بنى عبد مناف وحالقوم
 على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب ثم لما قتلوا مسحوا أيديهم بآركان الكعبة فسموا
 حلف المطيبين . وكان منهم من قاتل قريش بنو أسد بن عبدالمزى بن قصي وبنو زهرة وبنو نعيم وبنو
 الحارث بن فهر وكان مع بنى عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جهم وبنو عدى واعتزلت بنو عامر
 ابن لؤى ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منها ثم اصطالحوا واتقوا على أن تكون الرقادة
 والسقاية لبنى عبد مناف وأن تستقر الحجابة والقواء والندوة في بنى عبد الدار فانهم الأمر على
 ذلك واستمر .

(١) قوله نخيزم . قال السهيلي : أى نسوقهم سوقاً شديداً .

وحكى الاموى عن الاشرم عن أبي عبيدة قال: وزعم قوم من خزاعة أن قصيبا لما تزوج حبي بنت حليل وقل حليل عن ولاية الليث جعلها الى ابنته حبي واستناب عنها أبا غبشان سليم بن عمرو بن لؤى ابن ملكان بن قصي بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشترى قصي ولاية الليث منه بزق خرو ومود فكان يقال (أخسر من صفقة أبي غبشان) ولما رأيت خزاعة ذلك اشتدوا على قصي فاستنصر أخاه قسدم بن معه وكان ما كان ثم فوض قصي هذه الجهات التي كانت اليه من السداة والحجابة والواء والنسوة والزفدة والسقاية الى ابنته عبد الدار كما ساقى قصيبه وايضاها وافر الاجازة من مزدلفة في بني عدوان وافر النسي في قصيم وافر الاجازة وهو النفر في صوفة كما تقدم بيان ذلك كله مما كلف بأيديهم قبل ذلك.

قال ابن إسحاق: فولد قصي أربعة نفر وامرأتين عبد مناف وعبد الدار وعبد المزي وعيدا وتخصر وبرة، وأمههم كلهم حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وهو آخر من ولي البيت من خزاعة ومن يده أخذ الليث قصي بن كلاب. قال ابن هشام: فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر هاشما وعبد شمس والمطلب وأمههم هانكة بنت مرة بن هلال وتوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية. قال ابن هشام: وولد لعبد مناف أيضا أبو عمرو وتماضر وقلابة وحبة وريطة وأم الاخيم وأم سفيان. قال ابن هشام: وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب واسدا وأبا صفي وفضلة والشفا وخالدة وضميمة ورقية وحبة فأم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليث بن خدش ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار من المدينة وذكر أمهات الباقيين قال وولد عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة وهم العباس وحجرة وعبد الله وأبو طالب واسمه عبد مناف لاعران والزيير والحارث وكان بكر أبيه وبه كان يكنى وجعل ومنهم من يقول جعل وكان يلقب بالنيداق لكثرة خيره والمقوم وضارر وأبو لب واسمه عبد المزي وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة وذكر أمهاتهم الى أن قال وأم عبد الله وأبي طالب والزيير وجميع النساء الاصفية فاطمة بنت عمرو بن عاتكة بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال فولد عبد الله محمدا رسول الله ﷺ سيد ولد آدم وأمه أمية بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ثم ذكر أمهاتها فافرق الى أن قال فهو أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين. وقد تقدم حديث الاوزاعي عن شداد أبي عمار عن عائلة بن الاسقع قال قال رسول الله ﷺ إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم رواه مسلم وسيأتي بيان مولاه الكريم وما ورد فيه من الاخبار والاكثر وسنورد عند

سرد النسب الشريف فوائد اخر ليست هاهنا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر جمل من الأحداث الواقعة في زمن الجاهلية

قد تقدم ما كان من أخذ جرم ولاية البيت من بني اساعيل طمعوا فيهم لأنهم أبناء بناتهم وما كان من ثوب خزاعة على جرم واثرزاعهم ولاية البيت منهم ثم ما كان من رجوع ذلك الى قصي وبنيته واستمرار ذلك في أيديهم إلى أن بعث الله رسوله ﷺ فأقر تلك الوظائف على ما كانت عليه .

باب ذكر جماعة مشهورين كانوا في الجاهلية

خير خالد بن سنان العبسي الذي كان في زمن الفترة وقد زعم بعضهم أنه كان كان نبياً والله أعلم
قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن زهير التستري حدثنا يحيى بن المولى بن منصور الرازي حدثنا محمد بن الصلت حدثنا قيس بن الربيع عن سالم الأنطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي ﷺ فيسط لها ثوبه وقال بنت بني ضيمه قومه . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المولى بن منصور عن محمد بن الصلت عن قيس عن سالم عن سعيد عن ابن عباس . قال ذكر خالد بن سنان عند رسول الله ﷺ قال ذلك بني ضيمه قومه . ثم قال ولا تعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وكان قيس بن الربيع ثقة في نفسه إلا أنه كان رديء الحفظ وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها والله أعلم .

قال البزار : وقد رواه الثوري عن سالم الأنطس عن سعيد بن جبير مرسلًا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا المولى بن مهدي الموصلي قال حدثنا أبو عرواة عن أبي يوسف عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه : إني أظنني عنكم ثار الحربين فقال له رجل من قومه (١) والله يا خالد ما قلت لنا قط الا حفاً شأناك وشأن ثار الحربين تزعم أنك تطفئها فخرج خالد ومعه أناس من (٢) قومه فيهم عارة بن زيد فأثوفاً فاذا هي تفجر من شق جبل فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال إن أبطأت عليكم فلا تدعوني يسمي فخرجت كأنها خيل شقري يتبع بعضها بعضاً فاستقبلها خالد فجعل يضربها بمصاه وهو يقول : بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن ربيعة المزري أني لا أخرج منها وثياني يدي حتى دخل منها الشق فأبطل عليهم فقال لهم عارة بن زيد والله إن صاحبكم لو كان حياً لقد خرج اليكم بسد قالوا فادعوه باسمه . قال قالوا إنه قد ناهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه فخرج وهو أخذ برأسه فقال ألم أنهيكم أن تدعوني يسمي قد والله تقتلوني فادعوني فإذا مرت بكم الحرب فيها حمار أبقر فأبشوني فانكم تجدوني حياً فدفعوه فمرت بهم الحرب فيها حمار أبقر قلنا أبشوه قاله أمرنا (١) هو عارة بن زيد كما صرح به الحافظ في المستدرک اهـ . (٢) عدتهم ثلاثون كما في المستدرک اهـ .

أن تنبئه فقال لهم عارة لا تنبشوه لا والله لا نبحث مضر أنا تنبش موتانا وقد كن قال لهم خالد إن في عكن امرأته لوحين فن أشكل عليكم أمر فاطموا فيها فانكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يسعها حائض فلما رجوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم .

قال أبو يونس : قال مياك بن حرب سئل عن النبي ﷺ قال : ذاك نبي اضاع قومه قال : أبو يونس : قال مياك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبي ﷺ قال : مرحباً ببن أخي فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبياً والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتاج بها هاهنا والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامت قلة إن كان في زمن الفترة قد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن أولى الناس ببني بن مريم أنا لأنه ليس بيني وبينه نبي . وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال (لتفترقوا ما أنا من نذير من قبلك) وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبياً في العرب إلا محمداً ﷺ حاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل إلى الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لاهل الأرض شرعاً وبشرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وبهذا الملك بعينه يرد ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبي من العرب يقاله شبيب بن ذئب مهزم بن شبيب بن صفوان صاحب مدين وبث إلى العرب أيضاً حنظلة بن صفوان فكذبوها فسلط الله على العرب بخت فصر فقال منهم من القتل والسبي نحو ما تل من بني إسرائيل وذلك في زمن مد بن عدنان والظاهر أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين يدعون إلى الخير والله أعلم . وقد تقدم ذكر عمرو بن لحي بن قمة بن خنفة في أخبار خزاعة بعد جرهم .

ذكر حاتم الطائي أحد أجواد الجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أحزم بن أبي أحزم^(١) واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن النوث بن طلي . أبو سقاة الطائي الهذلي بن حاتم الصحابي كان جواداً محمداً في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الاسلام وكانت لحاتم ما تروى أمور دمجية وأخبار مستفزة في كرمه بطول ذكرها ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وإنما كان قصده السمة والذكر قال الحفاظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن اقد القيسي حدثنا أبو نصر هو الناجي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال ذكر حاتم عند النبي ﷺ قال ذاك أراد أمراً فأدركه (حديث غريب) قال الدارقطني فترده عبيد بن واقد عن أبي نصر الناجي ويقال إن اسمه حماد قال ابن عساكر : وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبي نصر الناجي وبين أبي نصر حماد ولم يسم الناجي

(١) كذا بالاصول وبلوغ الارب للأوكسي بلقاء المهمة والمنقول عن الاغانى بلقاء المعجمة ا هـ

ووقع في بعض روايات الحفاظ ابن عساكر عن أبي نصر شعبة التاجي والله أعلم
 وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن اسماعيل حدثنا سفيان عن سناك بن حرب عن سري بن قنطري
 عن عدى بن حاتم قال قلت لرسول الله ﷺ : ان أبي كان يصل الرحم ويصل فهل له في
 ذلك مني من اجر قال ان أبك طلب شيئا فاصابه . وهكذا رواه أبو يعلى عن التواتري عن غنم عن
 شعبة عن سناك به . وقال : ان أبك أراد أمراً فذكره يعني الذكر وهكذا رواه أبو القاسم البغوي عن علي بن
 الجعد عن شعبة به سواء . وقد ثبت في الصحيح في الثلاثة الذين تسربهم جهنم منهم الرجل الذي يتفق
 ليقال إنه كريم فيكون جزاؤه أن يقال ذلك في الدنيا وكذا في العالم والمجاهد وفي الحديث الآخر في
 الصحيح أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن عبدالله بن جلعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة
 فقالوا له كان يقرى الضيف ويصق ويتصدق فهل ينفعه ذلك فقال انه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لي
 خطيئتي يوم الدين هذا وقد كان من الاجواد المشهورين ايضاً المطمين في السنين المحلة والافات
 المرملة . وقال الحفاظ أبو بكر البيهقي أبا عبدالله الحافظ حدثني أبو بكر محمد بن عبدالله بن يوسف العائلي
 حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبدالواحد السكوني حدثنا ضرار بن مرد حدثنا عاصم بن حيد عن
 أبي حمزة الثمالي عن عبدالرحمن بن جندب عن كيل بن زياد النخعي قال قال علي بن أبي طالب : يا سبحان
 الله ما أزهّد كثيراً من الناس في خير عبداً لرجل يحبه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى فيه للخير أهلاً
 ولا كان لا يرجو ثواباً ولا ينشئ عقاباً لكان يقيني له أن يمارع في مكارم الاخلاق فلما قتل على سبيل
 النجاح . فقام اليه رجل وقال : فذاك أني أرى يا أمير المؤمنين أممته من رسول الله ﷺ . قال نعم . وهاهو
 خير منه لما أتى بسبايا طيء . وقت جارية حراء لساء زلفاء عطاء شاء الألف مستدلة القامة والمامة
 درما السكين خفلة الساقين لقاء الفخذين خبيصة النضرين ضامرة للكشحين مصقولة المتنين . قال
 فلما رأيته أعجبت بها وقلت لأطلبن الى رسول الله ﷺ فيبسطها في فتي فلما تكلمت أنيت جمالها
 لما رأيته من فصاحتها قالت يا محمد ان رأيته أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد
 قومي وان أبي كان يحمي القمار ويكس العاري ويشتع الجائع ويسقي الضيف ويظم الطعام
 وينشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط وأنا ابنة خاتم طيء . قال النبي ﷺ : يا جارية هذه صفة المؤمنين
 حقاً لو كان أبوك مؤمناً لترحتنا عليه خلوا عنها فان أبها كان يجب مكارم الاخلاق والله تعالى يحب مكارم
 الاخلاق . فقام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله ، والله يجب مكارم الاخلاق ؟ قال رسول الله ﷺ
 والتي غشى يده لا يدخل الجنة أحد إلا بمحسن الخلق .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عمار بن بكر عن أبي عبد الرحمن العائلي . هو القاسم بن عدى .
 عن عثمان عن عرك بن حليس العائلي عن أبيه عن جده وكان أخا عدى بن حاتم قال قيل لنوار امرأة

حاتم حديثنا عن حاتم قالت كل أمره كان عيباً أصابنا سنقصت كل شيء فاقشمت لها الأرض واغبرت لها السماء وضنت المراضع على أولادها وراحت الابل حدياً حديراً مابض بقطرة وحلقت المال وانلقت ليلة صئير بميدة ما بين الطرفين إذ نضاغى الأصبية من الجوع غبدالله وعدى وسقاة فوالله إن وجدنا شيئاً ملهم به فقام الى أحد الصبيان فخله وقت الى الصبية فظلمها فوالله إن سكنا الا بعد هدأة من الليل ثم عدنا الى الصبي الآخر فظلمناه حتى سكت وما كاد ثم افترشنا قطيعة لنا شامية ذات خمل فاضبنا الصبيان عليها ونمت أنا وهو في حجرة والصبيان بيننا ثم اقبل على يملأى لأنهم وعرفت ما يريد فتناومت فقال ملك أنمت فسكت فقال مارأها إلا قد نمت وما بي نوم فلما ادلمم الليل وتهورت النجوم وهدأت الأصوات وسكنت الرجل إذ جانب البيت قد رفع فقال من هذا؟ فولى حتى قلت إذا قد اسحرنا أو كدنا عاد فقال من هذا؟ قالت جارتك فلاة يا أبا عدى ما وجدت على أحد مولا فخيرك أيتك من عند اصيبة يتعاونون عواء الذئاب من الجوع قل أعجلهم على قالت النوار فوثبت فقلت ماذا صنعت أضطجع والله لقد نضاغى اصيبتك فاوجدت ما ملهم فكيف بهذه وبولدها فقال أسكتي فوالله لأشبهنك ان شاء الله قلت فاقبلت فعمل اثنين وتمشى جنبها أربعة كأنها فامة حولها ولما فقام الى فرسه فوجأ بجرته في لفته ثم قدح زنده وأورى فره ثم جاء بميدة فكشط عن جلده ثم دفع الميدة الى المرأة ثم قال دونك ثم قال ابني صيبانك فيضهم ثم قل سرورة أنا كلون شيئاً دون أهل الصرم فجل يطوف فيهم حتى هبوا واقبلوا عليه والتفع في ثوبه ثم اضطجع ناحية ينظر إلينا والله ماذا فرعة وأنه لاجوجهم اليه فاضبنا وما على الأرض منه الا عظم وحافر .

وقال الدار قطنى : حدثني القاضي أبو عبد الله الحاملى حدثنا عبد الله بن أبي سعد وحدثنا عيسى بن ثوبة بن حاتم الضافى عن أبيه عن جده قال قالت امرأة حاتم لحاتم يا أبا سفانة اشتيتي ان آكل أنا وانت طعاماً وحداً ليس عليه أحد فصرها فحولت خبيتها من الجماعة على فرسخ وأمر بالطعام فهو وهي مرخاة ستورها عليه وعليها فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال :

فلا تصبني قدرى وسترك دونها على انفس ما تطبخين حرام
ولكن بهذا القاع فلو قدى بميزل إذا أوقدت لا يضرام

قال ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعى الناس فاكلوا وكأوا فقالت ما أتممت لي ما قلت فاجابها قائى لا تطاعنى نفسى ونفسى أكرم على من أن يبنى على هذا وقد سبق لي السخاء ثم أنشأ يقول :

أمارس نفسى البخل حتى أعزها وأترك نفس الجود ما استيرها
ولا تشكبنى جارى غير أنها إذا غاب عنها بطل لا أزوورها
سيلتها خيرى ويرجع طها إليها ولم تحصر عليها ستورها

ومن شر حاتم :

إذا مابت اشرب فوق رى لسكر في الشراب فلا روى
إذا مابت أخجل عرس جارى ليخفى الغلام فلا خفى
أفصح جارى وأخون جارى فلا والله أفضل ما حيت
ومن شره أيضاً :

ما ضر جاراً لى أجاوره أن لا يكون لياه مثر
أغضى إذا ما جارى برزت حتى يوارى جارى الخدر
ومن شر حاتم أيضاً :

وما من شيعى شتم ابن عمى وما أنا مخلف من يرمي
وكلة حسد من غير جرم سمعت وقت مرى فاهذبنى
وعابوها على فلم تبغى ولم يرق لها يوما جيبى
وذى وجين يلقى طليقاً وليس إذا تقيب يأتينى
ظفرت بيته فكفت عنه محافظة على حصى ودينى
ومن شره :

سلى البائس المردود يا أم مالك إذا ما أتى بين نوى ومجرى
أأبسط وجهى إنه أول القرى وأبذل مروفى له دون منكرى
وقال أيضاً :

وانك ان أعطيت بطنك سؤله وفرجك فلا منتهى الدم أجما

وقال القاضى أبو الفرج الحافى بن زكرياه الجبرى حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبى حدثنا أبو الباس المبرد أخبرنى الثورى عن أبى عبيدة . قال لما بلغ حاتم طى قول المنس :

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبق الكثير على الفساد
وحفظ المال خير من فناه وعف في البلاد بشير زاد

قال ماله قطع الله لسانه حل الناس على البخل فلا قال :

فلا الجود حتى المال قبل فناه ولا البخل فى مال الشحيح يزيد
فلا تلتبس مالا ببش مقتر لكل غد رزق يوم جليل
ألم تر أن المال غاد ورايح وإن الذى يطيك غير بيد

قال القاضى أبو الفرج ولقد أحسن فى قوله : وإن الذى يطيك غير بيد . ولو كان مسلماً لرجى

له نظير في مادته وقد قال الله في كتابه: (واسألوا الله من فضله). وقال تعالى: (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعاني). وعن الواضح بن مسدد الطائي قال: وفد حاتم الطائي على النعمان ابن المنذر فاكرمه وادخله ثم زوده عند انصرافه جليلين ذهباً وورقاً غير ما عطاه من طرائف بلده فرحل، فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طي. قالت: يا حاتم أتيت من عند الملك وأيتنا من عند أهاليك بالقتل فقال: حاتم هلم فخذوا ما بين يدي فنوزعوه فوثبوا الى ما بين يديه من حياء النعمان فاقسموه فخرجت الى حاتم طريقة جاريته قالت له اتق الله وأبق على نفسك، فابعد عهولاً ولا يتاراً ولا درهما ولا شاة ولا جيراً، فالتفتا بقول:

قالت طريقة ماتني دراهمنا وما بنا سرف فيها ولا خرق
إن ينف ما عندنا فله يرزقنا ممن سوانا ولنا نحن نرزق
ما يأنف الدرهم الكارى خرقنا الا يمر عليها ثم ينطلق
إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت الى سبل المعروف تستبق

وقال أبو بكر بن عياش: قيل لحاتم هل في العرب أجود منك. قال: كل العرب أجود مني ثم انشأ يحدث. قال: نزلت على غلام من العرب يتيم ذات ليلة وكانت له مائة من النعم فذبح لى شاة منها وألقى بها فلما قرب الى صماغها قلت: ما أطيب هذا الدماغ قال فذهب فلم يزل يأثمى منه حتى قلت قد اكتفيت، فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة وبقي لاشئ. له؟ قبل فاصنعت به فقال: ومضى أبلغ شكره ولوصنت به كل شئ. قال: على كل حال قال أعطيت مائة تلة من خيار ايلي. وقال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب مكارم الاخلاق حدثنا العباس بن الفضل الربيعي حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثني حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طي. قالوا: كانت عنقرة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس أم حاتم طي لا تملك شيئاً سخاء وجوداً وكان اخوتها يمتحنونها فتأبى وكانت امرأة موسرة فحبسوها في بيت ستة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع. ثم اخرجوها بعد ستة وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك انطلق فدفنوا اليها صرمة من مالها وقالوا استمتنى بها فعاتبتها امرأة من هوازن وكانت تشاهد أسنانها قالت: دونك هذه الصرمة قد والله منى من الجور ما أليت ان لا أمنع سالماً أنثأت تقول:

لعمري لقدما عضني الجوع عضه فأكيت ان لا أمنع الدهر جانا
قولوا لهذا الماتى اليوم أعنتى وان أنت لم تفضل فضل الاصايبا
فإذا عاى ان تقولوا لا تخكم سوى عقلكم أو عقل من كان ما هنا
وماذا ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركى يا ابن امي الطبايبا

وقال الهيثم بن عدي عن ملحان بن عركي بن عدي بن حاتم عن أبيه عن جده . قال : شهدت حاتمًا يكذب نفسه فقال لي أي بني إني أعهد من نفسي ثلاث خصال والله ما خالفت جارة زريبة قط ، ولا أوتخت على أمانة إلا أدبتها ، ولا أوتي أحد من قبلي بسوء . وقال أبو بكر الخرائطي : حدثنا علي بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن يحيى المدوني حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلابي عن أبي مسكين . يعني جعفر بن المحرر بن الوليد . عن المحرر مولى أبي هريرة قال : سر نمر بن عبد القيس بقبر حاتم طيء فتزفوا قريباً منه فقام إليه بعضهم فقال له أبو الخيبرى فجعل يركض قبره برجله . ويقول : يا أبا جند أفرنا فقال له بعض أصحابه : ما تخاطب من رمة وقد بليت واجنهم الليل فناموا فقام صاحب القبر فرعاً يقول يا قوم عليكم فتن حاتمًا أتاني في النوم وانشدني شعراً وقد حفظه يقول :

أبا الخيبرى وانت امرؤ ظلمت الشيرة شتامها
أنت بصحبك تبني القري لدى حفرة قد صدت هامها
أبني لي الذنب عند المياد وحولك طيء وانماها
وإنا لتشيع أضيافنا وتأتي المطى فتنامها

قال وإذا ناقة صاحب القبر تكسركم فقيراً فنهروها وقاموا يشترون ويأكلون . وقالوا والله لقد أضافنا حاتم حياً وميتاً . قال : وأصبح القوم وارتدوا أصحابهم وساروا فلذا رجل ينوء بهم راكبا جللا ويقود آخر . قال : أيكم أبو الخيبرى قال أنا قال إن حاتمًا أتاني في النوم فخببرني أنه قرى أصحابك فقلت واسرني أن أحملك وهذا بغير غفده ودفعه إليه .

ذكر شيء من أخبار عبد الله بن جده حاتم

هو عبد الله بن جده حاتم بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بني تيم وهو ابن عم والده أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وكان من السكراء الأجواد في الجاهلية المخلصين للسنتين وكان في بدء أمره فقيراً مملقاً وكان شرباً يكثر من الجنائيات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقيبلته وأبغضوه حتى أبوه فخرج ذات يوم في شهاب مكة حائراً يلتمس فراى شفا في جبل فظن أن يكون به شيئاً يؤذى قصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه فلما اقترب منه اذا قميان يخرج اليه ويثب عليه فجعل يحمد عنه ويثب فلا يثنى شيئاً فلما دامته إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه ودخل النار فلذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم ومنهم المارث بن مضايف الذي طالت غيبته فلا يدري أين ذهب ووجد عند رؤسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وقتهم ومدد ولايتهم وإذا عندهم من الجواهر واللاآت والذهب والنفضة شيء كثير فآخذ منه حاجته ثم خرج وعلم بلب النار ثم انصرف إلى قومه فاصطام حتى أحبوه وسادهم وجعل يطمئ الناس وكما قل ماني يده ذهب إلى ذلك النار فآخذ حاجته ثم رجع فمن ذكر هذا

عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان وذكره أحد بن علي في كتاب رى الطائش وانس الواحش وكانت له جفنة يأكل منها الاكبل على بيده ووقع فيها صغير فزق وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله ﷺ قال لقد كنت استظل بظل جفنة عبد الله بن جعدان صكة عُمي أي وقت الظهيرة . وفي حديث مقتل أبي جهل أن رسول الله ﷺ قال لا صحابه تطلبوه بين القتلى وتصفوه بشجة في ركبته فأتى تراحت أنا وهو على مائدة لابن جعدان فدفعته فسقط على ركبته فانهشمت فآثرها بقى في ركبته فوجدوه كذلك . وذكروا أنه كان يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن حتى سمع قول أمية بن أبي الصلت :

ولقد رأيت الفاعلين وظلمهم فرأيت أكرمهم بنى الدين

اليريلك بالشهاد طمامهم لا ما يملنا بنو جعدان

فأرسل ابن جعدان الى الشام التي يمر بعميل البر والشهد والسن وجعل مناديا ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة أن هلموا الى جفنة ابن جعدان . قال أمية في ذلك :

له داع بمكة مشمل وآخر فوق كعبتها ينادى

الى دوح من الثيزى ملا ليل اليريلك بالشهاد

ومع هذا كله قد ثبت في الصحيح لسم أن عائشة قالت : يا رسول الله ان ابن جعدان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينصفه ذلك يوم القيامة . قال : لا إله لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .

ذكر امرئ القيس بن حجر الكندى صاحب إحدى المعلقات

وهي آخر من واشهر من التي أولها :

• قناتك من ذكرى حبيب ومنزل •

قال الامام أحمد : حدثنا هشام حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : أمرؤ القيس صاحب لواء الشراء الى النار وقد روى هذا الحديث عن هشام جماعة كثير من منهم بشر بن الحكم ، والحسن بن عرفة ، وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الامين ويحيى بن معين ، واخرجه ابن عسلى من طريق عبد الرزاق عن الزهري به وهذا منقطع وردى من وجه آخر عن أبي هريرة ولا يصح من غير هذا الوجه

وقال الحافظ ابن عساكر : هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يرب بن ثور بن صرغ بن معاوية بن كندة . أبو يزيد ويقال أبو وهب

ويقال أبو الحارث الكندي . كان يلعل دمشق وقد ذكر مواضع منها في شعره فمن ذلك قوله :

فما نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول غومل
فتوضح فالقراة لم يف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

قال وهذه مواضع مروة بمحوران . ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي حدثني
فروة بن سعيد بن عفيف بن معدى كرب عن أبيه عن جده . قال : سنا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل
وفد من اليمن قالوا يا رسول الله لقد أحيانا الله يبعث من شعر امرئ القيس . قال : وكيف ذلك ؟ قالوا
أقبلنا زيدا حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فكنتنا ثلاثا لا قدر على الماء ففترقنا إلى أصول
طلح وسمر ليوت كل رجل منا في ظل شجرة فبينما نحن بأخر رمق إذا راكب يوضع على بيرو فلما رآه بعضنا
قال والراكب يسمع :

ولم أرأت أن الشريعة همها وإن البياض من فرائصها داهي
قيمت العين التي عند ضارج يعني عليها الظل عرمضها طاهي

قال الراكب : ومن يقول هذا الشعر وقد رأى ما بنا من الجهد قال قلنا امرؤ القيس بن حنجر قال
والله ما كذب هذا ضارج عنكم فنظرنا فلذا سنا وبين أماء نحو من خمسين ذراعا فحبونا إليه على الركب
فلذا هو كما قال امرؤ القيس عليه الرعمض يعني عليه الظل قال رسول الله ﷺ : «ذاك رجل مذكور في
الدنيا منسى في الآخرة ، شريف في الدنيا خامل في الآخرة ، يده لواء الشراء يقودهم إلى النار» .
وذكر الكلبي : أن امرأ القيس أقبل برأيه يريد قتال بني أسد حين قتلوا أباه فربقاة وبها ذو
الخلصة وهو صنم وكانت العرب تستقسم عنده فاستقسم فخرج القدح الناهي ثم الثانية ثم الثالثة كذلك
فكسر القدح وضرب بها وجه ذي الخلصة وقال عضضت بإريك لو كان أبوك المقتول لما عوقفتي .
ثم اغار على بني أسد قتلهم قتلًا ذريما قال ابن الكلبي : فلم يستقسم عند ذي الخلصة حتى جاء الإسلام
وذكر بعضهم أنه امتدح قيس ملك الروم يستنجد به في بعض الحروب ويستغفره فلم يجد ما يؤمله عنده
فهباه بد ذلك فيقال إنه سقاء ما قتله فلباه الموت إلى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له عيب
فكتب هناك :

أجارتنا إن المزار قريب وإلى مقم ما أقام عيب
أجارتنا إنا غريان هنا وكل غريب للغريب نيب

وذكروا أن المقامات السبع كانت معلقة بالكعبة ، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها
على قريش فإن أبجأوها علقوها على الكعبة نظيما لأنها تجمع من ذلك هذه المقامات السبع فلا ولي
لامرئ القيس بن حجر الكندي كما تقدم وأولها :

قَتَابِكْ مِنْ ذَكَرَى حَيْبٍ وَمَنْزَلٍ يَسْقُطُ الْهَوَى بَيْنَ الدُّخُولِ وَخُومِلِ
وَالثَّانِيَةُ لِلنَّابِضَةِ الْفِيضِيَّةِ : وَاسْمُهُ زِيَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَيُقَالُ زِيَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ ضُبَابِ بْنِ جَابِرِ
ابْنِ يَرْبُوعَ بْنِ غِيْظِ بْنِ سُرَّةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَمْدِ بْنِ ذِيانِ بْنِ بَيْضِ وَأَوَّلَاهُ :
يَادَارُ مَيْسَةَ بِالْعِلْيَاءِ فَالْسَنْدُ أَقْوَتُ وَطَالُ عَلَيْهِمَا سَالَفُ الْأَبَدِ
وَالثَّلَاثَةُ لَزَهْرٍ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ رَيْمَةَ بْنِ رِيَّاحِ الْمَزْنِيِّ وَأَوَّلَاهُ :
أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دَمْنَةُ لَمْ تَكُفْ بِحَوْمَةِ الدَّرَّاجِ فَالْتَقَلَّمَ
وَالرَّابِعَةُ لِلطَّرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ بْنِ سَفْيَانَ بْنِ سَمْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْمَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَاظَةَ بْنِ
صَمْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَأَوَّلَاهُ :
تَلَوْتُ أَطْلَالَ بَيْرُوقَةَ تَهْدِيرِ تَلُوحِ كِبَالِي الْوُشْمِ فِي ظَاهِرِ الْبَدِ
وَالْخَامِسَةُ لِنُفْرَةَ بْنِ شَدَادِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ فُرَادِ بْنِ غَزُومَ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ خَالِبِ بْنِ قُطَيْمَةَ
ابْنِ عَيْسِ الْبَيْسِيِّ وَأَوَّلَاهُ :

هَلْ خَادِرُ الشَّرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّحٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتْ الدَّارَ بَسْدُ تَوْحٍ
وَالسَّادِسَةُ لِلْعُقْمَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ التَّمَنِانِ بْنِ قَيْسِ أَحَدِ بَنِي تَيْمٍ وَأَوَّلَاهُ :
طَلَا بِكَ قَلْبُ فِي الْحَسَانِ طُرُوبٍ بُيَيْدُ الشَّيَابِ عَصْرُ خَانَ مَشِيبِ
وَالسَّابِقَةُ - وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَّبِعُهَا فِي الْمَقَالَتِ وَهُوَ قَوْلُ الْأَصْمَى وَغَيْرِهِ - وَهِيَ لِبَيْدِ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ
مَالِكِ بْنِ جُفَيْرِ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ عَاصِرِ بْنِ حَصَصَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنصُودَ بْنِ
عَكْرَمَةَ بْنِ كُحَيْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ بْنِ مَضَرَ وَأَوَّلَاهُ :
عَفَتْ الدُّلُورُ كَحُلْهَا فَمَقَامُهَا بِمَقَى تَابُدِ غَوْلَا فَرَجَامُهَا
فَالْمَقْصِدَةُ الَّتِي لَا يَمُرُّ قَائِلُهَا بِهَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَى وَالْبُرَيْدُ وَغَيْرُهُمْ فِي قَوْلِهِ :
هَلْ بِالطَّلُورِ لَسَاتِلُ رَدٍ أَمْ هَلْ لَهَا بِحُكْمِ عَهْدٍ
وَهِيَ مَطْوِيَّةٌ وَفِيهَا مَعَالِي حَسَنَةٌ كَثِيرَةٌ .

ذَكَرْتُ شَيْءَ مِنْ أَخْبَارِ أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ كَانَ مِنْ
شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَدْ أَدْرَكَ زَمَنَ الْإِسْلَامِ

قَالَ الْخَافِظُ ابْنُ عَسَاكَرٍ : هُوَ أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْمَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ هَدَّةَ بْنِ عَزَّةَ
ابْنِ عَوْفِ بْنِ حَتِيفِ بْنِ مَنِبِّهِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ أَبُو عُمَيْيَانَ وَيُقَالُ أَبُو الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ شَاعِرُ جَاهِلِ قَدِيمِ

دشق قبل الاسلام وقيل انه كان مستحياً^(١) وانه كان في أول أمره على الايمان ثم زاع عنه وانه هو الذي أراد الله تعالى بقوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين). قال الزبير بن بكار: فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاهر ابن أبي الصلت واسم أبي الصلت ديمية بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن هيف وقال غيره كان أبوه من الشراء المشهورين بالطائف وكان أمية أشعرهم

وقال عبد الرزاق قال الثوري: أخبرني حبيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو قال في قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) هو أمية بن أبي الصلت وكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن أبي بكر الشافعي عن معاذ بن اثني عن مسدد عن أبي عرواة عن عبد الملك بن عمر عن نافع بن عاصم بن مسعود. قال: اني لفي حقة فيها عبد الله بن عمرو قرأ رجل من القوم الآية التي في الاعراف (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) فقال هل تدرون من هو؟ فقال بعضهم: هو صبي بن الراهب. وقال آخر: بل هو بطم رجل من بني اسرائيل قال لا قال فن؟ قال هو أمية بن أبي الصلت وهكذا قال أبو صالح والكلبي وحكاه قتادة عن بعضهم. وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن شبيب الراسبي حدثنا محمد بن مسلمة بن هشام الخزوعي حدثنا اسمايل ابن الطرخم عن اسمايل التقي حدثني أبي عن أبيه عن مروان بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه. قال: خرجت أنا وأميه بن أبي الصلت التقي نجاراً الى الشام فكلنا نزلنا منزلاً أخذ أمية سقراً له يقرؤه علينا فكانت كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجأؤهموا كرمهم واهدوا له وذهب معهم الى بيوتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبه واخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي يا سفيان في عالم من علماء النصارى اليه يتناهى علم الكتاب فقال: قلت: لا إله الا الله فلهن حديثي بما أحب لا أثق به ولئن حدثني بما أكره لاجدن منه. قال فذهبوا خلفه شيخ من النصارى فدخل على قال ما يملك أن تذهب الى هذا الشيخ قلت لست على دينه قل وإن فاك تسمع منه عجباً وتراه. ثم قال لي أني أنت قلت لا ولكن قرشي؟ قال فما يملك من الشيخ فوالله انه ليحكم ويوصي بكم. قال فخرج من عندها ومكث أمية عندهم حتى جاءه بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم اجعل على فراشه فوالله ما دام ولا قام حتى أصبح كئيباً حزينا ساقطاً غيرة على صبره ما يكلمنا ولا نكلمه. ثم قال: ألا ترحل؟ قلت وهل بك من رجل؟ قال نعم! فرحنا فسرنا بذلك لئتين ثم قال في الليلة الثالثة الا نتحدث يا أبا سفيان قلت وهل بك من حديث والله ما رأيت^(٢) مثل الذي رجست به من عند صاحبك قال أما ان ذلك لشيء لست فيه انما ذلك لشيء

(١) الذي في ابن عساكر وقيل انه كان نبياً

(٢) لفظ ما رأيت) ليست موجودة في تاريخ ابن عساكر

وجلت منه من متغلي قلت وهل لك من متغلب . قال : أى والله لا موقن ثم لأحين قال قلت هل أنت
قابل أمانتي قال على ماذا قلت على أنك لا تبث ولا تحاسب قال فضحك ثم قال : بلى ! والله يا أبا سفيان
لنبعثن ثم لنحاسبن وليدخلن فريق الجنة وفريق النار . قلت : ففى أيهما أنت أخبرك صاحبك قال لا علم
لصاحبي بذلك لاقى ولا فى نفسه قال فكنا فى ذلك ليثنين يجب منى وأضحك منه حتى قدمنا غرمة
دمشق فبما متاعنا واقفا بها شهرين فارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصرارى فلما رأوه جاؤوه واهدوا
له وذهب معهم الى بيوتهم^(١) فلما جاء الابد منتصف النهار فلبس ثوبيه وذهب اليهم حتى جاء بصد هداة
من الليل فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه فوافقه ما تلم ولا قام واصبح حزينا كئيبا لا يكلمنا ولا
نكلمه . ثم قال : الا ترحل قلت على ان شئت فرحلنا كذلك من به وحزنه ليالى^(٢) . ثم قال لى :
يا أبا سفيان هل لك فى المسير لتقدم اصحابنا قلت هل لك فيه قال نعم ! فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة
ثم قال : هيا صخر . قلت : ما مثاء ؟ قال حدثني عن عتبة بن ربيعة يحبب المظالم والمحامد قلت : أى
والله قال : ويصل الرحم ويأمر بصلتها . قلت لى والله ! قالو كرم الطرفين وسطى الشيرة قلت نعم ! قال
فهل تعلم قرشياً اشرف منه ؟ قلت لا والله لا أعلم قال امحوج هو قلت لا لى هو ذو مال كثير قال وكم أنى
عليه من السن قلت قد زاد على المائة قال فالشرف والسن والمال أزرين به قلت ولم ذلك بزرى به لا والله
بل يزيد خيراً قل هو ذاك . هل لك فى البيت قلت فيه قال فاضطجعنا حتى صرنا نقتل قل فسرنا حتى
نزلنا فى المنزل وقتنا به ثم ارتحلنا منه فلما كان الليل قل لى يا أبا سفيان قلت ما مثاء قل هل لك فى مثل
البارحة قلت هل لك فيه قال : نعم فسرنا لى لثنتين يختين حتى إذا برزنا قل : هيا صخر معه عتبة بن
ريعة قل قلت هيا فيه قال يحبب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قلت لى والله انه ليعضل قل
وذو مال قلت وذو مال قل أعلم قرشياً أسود منه قلت : لا والله ما أعلم قال كم أنى لمن السن قلت قد زاد على
المائة قال فان السن والشرف والمال أزرين به قلت كلا والله ما زرى به ذلك وانت قاتل شيئا قتله . قال لا
تذكر حديثي يأتى منه ما هوأت ثم قل فأن القى رأيت أصابني أنى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت
أخبرني عن هذا النبي الذى ينتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمت أنه من العرب ففى أى العرب
هو قل من أهل بيت فحببه العرب قلت وفيما يت فحببه العرب قل هو من اخوانكم من قريش
فأصابني والله شئ ما أصابني مثله قط وخرج من يدى فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو ان أكون إياه
قلت فإذا كان ما كنت فصفه لى قل رجل شاب حين دخل فى الكهولة . بؤس أمره يحبب المظالم
والمحامد ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو محوج كرم الطرفين متوسط فى الشيرة أكثر جنده من
الملائكة قلت وما آية ذلك قل قد رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام ثمانين رجفة كلها

(١) فى ابن عساكر الى بيوتهم (٢) كذا فى الاصل : ولعلها : فرحلنا كذلك وهو فى به الخ

فهامصيبة وبقيت رجفة عامة فيها مصائب . قال أبو سفيان : قلت هذا والله الباطل لئن بث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنا شريفا . قل أمية : والقي حلفت به ان هذا لكذا يا أبا سفيان تقول إن قول النصراني حق . هل لك في المبيت ؟ قلت نعم له فيه قل فيتنا حتى جاءنا القتل ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان ليلتان ^(١) أدر كنا راكب من خلفنا فأسأله فإذا هو يقول أصابت أهل الشام بدمك رجفة دسرت أهلها وأصابهم فيها مصائب عظيمة . قال أبو سفيان فأقبل على أمية فقال كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان قلت أرى وأظن والله ان ما حدثك به صاحبك حق قل أبو سفيان قد علمنا مكة فقصيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت اليمن فاجرت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فبينما أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون عليّ ويسألون عن بضائهم حتى جاءني محمد بن عبد الله وهند عندي ثلاث صبياتها فلم عليّ ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام . قلت : لهند والله ان هذا ليعجنني ما من احد من قريش له معي بضاعة الا قد سألني عنها وما سألني هذا عن بضاعته . قالت لي هند : أو ما علمت شأنه قلت وأنا فزع ما شأنه قالت يزعم أنه رسول الله فوقدني وتذكرت قول النصراني فرجفت حتى قلت لي هند مالك ؟ فأتيت قلت إن هذا هو الباطل لمو أعتل من أن يقول هذا قالت بلى والله أنه يقول ذلك ويدعو اليه وإن له لصحابة على دينه قلت هذا هو الباطل قال وخرجت فبينما أنا أطوف بالبيت إذ بي قد قبضته قلت له ان بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فأرسل من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومي فإني على . وقال اخذ لا آخذها قلت فأرسل فآخذها وأنا آخذ منك مثل ما آخذ من قومي فأرسل الى بضاعته فآخذها واخفت منه ما كنت آخذ من غيره . قال أبو سفيان فلم أنشب أن خرجت الى اليمن ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية بن أبي الصلت قال لي يا أبا سفيان ما نشاء هل تذكر قول النصراني قلت أذكره وقد كان قال : ومن ؟ قلت محمد بن عبد الله قال ابن عبد المطلب قلت ابن عبد المطلب ثم قصصت عليه خبر هند قال فقله يعلم ؟ واخذ يتصب عرقا . ثم قال : والله يا أبا سفيان لسه . إن صفته لمي ولئن ظهر وأناحي لاطلين من الله عز وجل في نصره عنرا قل : ومضيت الى اليمن فلم أنشب ان جاءني هناك استهلا ولا قبلت حتى نزلت على أمية ابن أبي الصلت بطائفت قلت يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ما قد بلغك وسمعت قال قد كان لمري قلت فأين أنت منه يا أبا عثمان قال والله ما كنت لأومن برسول من غير هيف ابدا قال أبو سفيان واقبلت الى مكة فوالله ما لميبيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يضربون ويحرقون قال أبو سفيان فجلت أقول ثلث جنده من الملائكة قال فدخلني ما يدخل الناس من التماسه وقد رواه الحافظ البيهقي في كتابه الفلائل من حديث اسماعيل بن طريح به ولكن سياق الطبراني القى أوردته المصداق والله أعلم .

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن احمد بن غنبل حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا يعقوب بن محمد الزهري
حدثنا مجاشع بن عمرو الاسدي حدثنا ليث بن سعد عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن
الزبير عن معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب أن أمية بن أبي الصلت كان بنوة أوبلياء فلما
قتلنا قال لي أمية يا أبا سفيان هل لك أن تقدم على الرقة فتحدث قلت نعم قال فقلنا قتال لي يا أبا سفيان
إيه عن عتبة بن ربيعة قلت: كريم الطرفين ويحجب المحارم والمظالم قلت نعم قال وشريف مسن قلت
وشريف مسن قال السن والشرف ازواجه قتلته كذبت ما ازداد سنا الا ازداد شرفا قال يا أبا سفيان
إنها كلمة ما سمعت أحدا يقولها منذ تبصرت فلا تسجل علي حتى أخبرك قل قلت هات قال إني كنت
أجد في كني بني يث من حرنا هذه فكنت أظن بل كنت لا أشك أني أنا هو فلما دارست أهل العلم
إذا هو من بني عبد مناف فتظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة
فلما أخبرني بسنه عرفت أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يوح إليه قال أبو سفيان فضرب الدهر ضربه
فلوحي إلى رسول الله ﷺ وخرجت في ركب من قریش أريد اليمن في تجارة فررت بأمية قتلته
كالسهرى به يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تنته قل أما أنه حتى تأتيه قلت ما يمنعك من اتباعه
قال ما يمنعني إلا الاستحياء من نساء حثيف إني كنت أحسن أني هو ثم يرفني تابها لنلام من بني عبد
مناف ثم قال أمية كأنني بك يا البسفان قد خلفته ثم قد ربطت فأربط الجدي حتى يؤتى بك إليه
فيحكم فيك بما يريد .

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الكافي قال يثنا أمية راقدا وسماجتان لهاذ فرغت أحدهما فصاحت
عليه قال لما ما شأئك قالت رأيت فسريرين كسطا سقف البيت فنزل أحدهما إليك فشق بطنك والآخر
واقف على ظهر البيت فناده قال أوعى قال نعم قال ازكي قال لا فقال ذاك خير أريد بأيكما فلم يضره وقد
دوى من وجه آخر سباق آخر قال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب
وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال قدمت القارة أخت أمية بن أبي الصلت على
رسول الله ﷺ بعد فتح مكة^(١) وكانت ذات لب وعقل وجمال وكان رسول الله ﷺ بها مسجبا قال لما
ذات يوم يا فاطمة هل تحفظين من شر أخيك شيئا قالت نعم وأحب من ذلك ما قد رأيت قالت كان
أخي في سفر فلما انصرف بدأني فدخل على فرقة على سرري وأنا ألق ادبما في يدي إذ أقبل طائران
أيضان أو كظليين أبيضين فوق علي السكوة أحدهما ودخل الآخر فوق علي فشق الواقع عليه ما بين
قصه إلى عاتقه ثم أدخل يده في جوفه فخرج قلبه فوضه في كفه ثم شبه فقال له الطائر الآخر أوعى قال وعى
قال ازكي قال أي ثم رد القلب إلى مكانه فالتأم الجرح أسرع من طرفه حين ثم ذهب فلما رأيت ذلك

دنوت منه فركته قلت هل تجد شيئا . قل : لا إلا توهينا في جسدی - وقد كنت ارتقيت عمارأيت -
قال مالي أراكي مرتاعة . قالت فاخبرته بالخبر فقال خير أريد بي ثم صرف عني ثم انشأ يقول :

باتت همومي تسرى طوارقها أكف عيني والدمع ساقها
ما أتاني من اليقين ولم أوت برأة يقين قطبها^(١)
أمن تظلي عليه واقدة الدار عيط بهم سرادقها
أم أسكن الجنة التي وعد السأبرار مصفوة نمارقها
لا يستوي المترلان ثم ولا الساعال لا تستوي طرائقها
هما فريقان فرقة تدخل الجنت تحفت بهم حدائقها
وفرقة منهم قد ادخلت الدار فاسمهم مراقبها
فما حدث هذه التملوب اذا همت بخير عاقت هرايقها
وصدها الشقاء عن طلب الجنة دنيا الله ملحقها
جدد دما نفسه فماتها يعلم ان البصير راقبها
مارغب النفس في الحياة وان تعي قليلا فالوت لاحبها
يوشك من فر من منته يوما على غرة يواقبها
ان لم تمت غبطة تمت هراما للموت كأس والمرء ذاتها

قال ثم انصرف الى رحله فلم يلبث الا يسيرا حتى طعن في حيارته^(٢) فاناق بالخبر فانصرفت اليه فوجدته
منعوشا قد سجي عليه فدنوت منه فشقق شقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته . وقال : ليبيكا
ليبيكا ها أنا ذا لديكا ، لا ذو مال فينديقي ولا ذو أهل فتحبيني . ثم أغنى عليه اذ شقق شقة قلت قد
هلك الرجل . فشقق بصره نحو السقف فرفع صوته . قال : ليبيكا ليبيكا ها أنا ذا لديكا ، لا ذو برأة
فما تنذر ، ولا ذو عشيرة فاقصر . ثم أغنى عليه اذ شقق شقة وشق بصره ونظر نحو السقف . قال :
ليبيكا ليبيكا ها أنا ذا لديكا ، يلطم محفود وبالذنب محفود ، ثم أغنى عليه اذ شقق شقة . قال : ليبيكا
ليبيكا ها أنا ذا لديكا

إن تنفر اللهم تنفر جانا وأى عبدك لا إلها

ثم أغنى عليه اذ شقق شقة قال :

كل عيش وان تطلو دهرآ صائر مرة^(٣) الى أن يزولا
ليني كنت قبل ملقد بدالي في قلال الجبال أرفع الوعولا

(١-١) كذا في النسخين ولم يظهر لنا المعنى (٢) في شراء النصرانية : انتهى امره الى أن يزولا

قالت : ثم مات . فقال رسول الله ﷺ : يا طرعة إن مثل أخيك كمثل القى آتاه الله آياته فانسلخ منها . الآية . وقد نكحكم الخطابي على غريب هذا الحديث . وروى الحافظ ابن عساكر عن الزهري انه قال قال أمية ابن أبي الصلت :

الارسل لنا منا يخبرنا ما بعد غايقتنا من رأس مجرا (١)

قل ثم خرج أمية بن أبي الصلت الى البحرين وتبأ رسول الله ﷺ واقام أمية بالبحرين ثمانين سنين ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقول محمد بن عبد الله قالوا يزعم أنه نبي هو الذي كنت تتنبى . قال : فخرج حتى قدم عليه مكة فلقبه . فقال : يا ابن عبد المطلب ما هذا القى قول قال أقول : إني رسول الله وإن لا إله إلا هو . قال : اني أريد أن أكلك فعدنى غدا قال فوعده غدا قال فذهب ان آتاك وحدى أوفى جماعة من أصحابي وتأتيني وحده أوفى جماعة من أصحابك قال رسول الله ﷺ أى ذلك شئت قال فأتى آتاك في جماعة فأتى في جماعة قال فلما كان الند غدا أمية في جماعة من قريش قال وغدا رسول الله ﷺ معه فمر من أصحابه حتى جلسوا في ظل الكعبة . قال : فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أشد الشعر حتى اذا فرغ للشعر قال أجبني يا ابن عبد المطلب . قال رسول الله ﷺ : (بسم الله الرحمن الرحيم . يسن والقرآن الحكيم) حتى اذا فرغ منها وثب أمية يجر رجله قال فتمتبه قريش يقولون ما تقول يا أمية قل أشهد انه على الحق . قالوا : هل تبعه قال حتى أنظر في أمره قال ثم خرج أمية الى الشام وقدم رسول الله ﷺ المدينة فلما قتل أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بدر ثم ترحل يريد رسول الله ﷺ فقال قائل : يا أبا الصلت ما تريد ؟ قال أريد محمدا قال وما تصنع ؟ قال أومن به والقي اليه مقاليد هذا الأمر قال : أتدري من في القلب ؟ قال لا قال : فيه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وهما ابنا خالك . وأمه ربيعة بنت عبد شمس . قال فجرح أذن ناقته وقطع ذنبا ثم وقف على القلب يقول :

ما ذا يسر قالق قل من صراة ججاج

التقصيدة إلى آخرها كما سيأتي ذكرها بتمامها في قصة بدر ان شاء الله . ثم رجع الى مكة والطائف وترك الاسلام . ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وقته كما تقدم وانشد شعره عند الوفاة :

كل عيش وإن تطاول دحرا حائر مرة الى أن يزولا

ليتى كنت قبل ما قد بدا لى فى قلال الجبال أدرعى الرعولا

فاجل الموت نصب عينيك واحذر غولة الفهر ان لادهر غولا

ثاملا ظفرها القساود والصدعان والطفل فى المنار الشكيلا

وبنات النياف واليعفر الثا فرو والمهجع البرام الضئيلا

(١) فى شعراء النصرانية : ألا نهي لنا منا فيخبرنا ما بعد غايقتنا من رأس محيانا

قوله: القساور جمع قسورة وهو الأسد. والصدعان ثيران الوحش واحدا صدع. والطفل الشكل من حرة المين، والبث الرخم، والنياف الجبال، واليعفر الغلي، والوهج ولد النامة. يعنى أن الموت لا ينجو منه الوحوش في البرارى ولا الرخم الساكنة في رؤس الجبال ولا يترك صغيرا لصغره ولا كبيرا لكبره. وقد تكلم الخطابي وغيره على غريب هذه الأحاديث. وقد ذكر السهيلي في كتابه التعريف والاعلام: أن أمية بن أبى الصلت أول من قال باسمك اللهم، وذكر عند ذلك قصة غريبة وهو أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر فيهم حرب بن أمية والد أبى سفيان قال فروا في مسيرهم بحجة فتلوهما فلما امسوا جاءتهم امرأة من الجان فأتيتهم في قتل تلك الحية ومهما قضيب فضربت به الأرض ضربة ففرت الأبل عن آخرها فذهبت وشردت كل مذهب وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردوها فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا فضربت الأرض بقضيبها ففرت الأبل فذهبوا في طلبها فلما أعيام ذلك قالوا والله هل عندك لما نحن فيه من مخرج فقال لا والله ولكن سأظفر في ذلك قال فاروا في تلك الحيلة فلهم يمجذون احدا يأتونه عما قد حل بهم من العناء اذا نار تلوح على يده فجأوها فاذا شيخ على باب خيمة بوقد ناراً واذا هو من الجان في غاية الضائقة والهمامة فسلموا عليه فسلمهم عامم فيه فقال اذا جاءكم قتل بسمك اللهم فاتها تهرب فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة او الرابعة قال في وجهها أمية بسمك اللهم فشردت ولم يقر لها قرار لكن عدت الجن على حرب بن أمية فتلوه بتلك الحية فدفنه اصحابه هناك حيث لا جبار ولا دار ففي ذلك يقول الجان:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وذكر بعضهم: انه كان يتفرس في بعض الاحيان في لغات الحيوانات فسكان يمر في السفر على الطير فيقول لاصحابه: ان هذا يقول كذا وكذا فيقولون لا نعلم صدق ما يقول حتى مروا على قطع غنم قد اقطعت منه شاة ومها ولها فلتقت اليه فتقت كأنها تستعنه. قال: اتدرون ما تقول له قالوا لا قال انها تقول أسرع بنا لا يبيئ الذئب فيا كلك كما أكل الذئب أخاك عام أول فسرعوا حتى صالوا الراعى هل أكل له الذئب عام أول حلا بتلك البقعة فقال نعم. قال: ومروا على بئر عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسها إليها ويرغو. قال: انه يقول لها انك رحلتى وفي الحداجة مخيط فآتروا تلك المرأة وحلوا ذلك الرجل فاذا فيه مخيط كما قال

وذكر ابن السكيت: ان أمية بن أبى الصلت بينما هو يشرب يوما إذ نصب غراب. قال: له بئيك التراب مرتين. فقيل له ما يقول؟ قال: انه يقول إنك تشرب هذا السكاس الذى في يدك ثم تموت. ثم نصب الغراب فقال انه يقول وآية ذلك أنى أنزل على هذه المزةة فأكل منها فيلق عظم في حلقى فأبوت. ثم نزل الغراب على تلك المزةة فأكل شيئاً فلق في حلقه عظم فأت. قال: أمية أما هذا فقد صدق في

فنه ولكن سأنظر هل صدق في أم لا ثم شرب ذلك الكأس الذي في يده ثم اتكأ فأت . وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مهدي عن الثوري عن عبد الملك بن عمار عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكاد أمية بن أبي الصلت أن يعلم

قال الامام أحمد : حدثنا روح حدثنا زكرياء بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن ميسرة انه سمع عمرو بن الشريد يقول قال الشريد كنت ردفًا لرسول الله ﷺ فقال لي : أمك من شر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت نعم ! قال فأنشدني فأنشدته بيتًا فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتًا به حتى أنشدته مائة بيت قال ثم سكنت النبي ﷺ وسكت وهكذا رواه مسلم من حديث سفیان بن عيينة عن أبي نعيم بن ميسرة به . ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي ﷺ . وفي بعض الروايات قال رسول الله ان كاد يعلم . وقال يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا ابراهيم بن سيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا حاتم بن أبي صفرة عن معاذ بن حرب عن عمرو بن نافع عن الشريد المهداني وأخوه تميم قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فبينما أنا أمشي ذات يوم اذا وقع ناقة خلفي فاذا رسول الله ﷺ قال الشريد قلت نعم : قال ألا أحلك قلت بلى وما من إعياء ولكني اودت البركة في ركوبتي مع رسول الله ﷺ فانزع خلفي فقال : أمك من شر أمية بن أبي الصلت ؟ قلت نعم ! قال هات فأنشدته قال أغنني قال مائة بيت فقال عند الله علم أمية بن أبي الصلت ثم قال ابن صاعد هذا حديث غريب فما الذي يروى أن رسول الله ﷺ قال في أمية آمن شره وكفر قلبه فلا أعرفه والله أعلم وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبي شيبة - حدثنا عتبة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ صدق أمية في شيء من شره قال :

زحل ونور تحت رجل يمينه والنسر للأخري وليث مرصد
والشس تبدو كل آخر ليلة حراء يصبح لونها يحدود
نأبي فما قطع لنا في رسلها إلا مذبذبة وإلا تجلد

قال رسول الله ﷺ صدق . وفي رواية أبي بكر الملقب عن عكرمة عن ابن عباس انه قال : إن الشس لا تطلع حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقول لها اطلعي اطلعي فتقول لا أطلع على قوم مبسوفين من دون الله فاذا همت بالطلع ألغها شيطان يريد أن يثبطها فتطلع بين قرنيه ونحره فاذا تعصفت للغروب عزمت لله عز وجل فأيتها شيطان يريد أن يثبطها عن السجود فتغرب من قرنيه ونحره . وأورده ابن عساكر مطولاً . ومن شره في حلة العرش :

فمن حامل إحدى قوائم عرشه ولولا إله الخلق كلوا وأبلاوا
قيام على الاقدام عانوا تحته فرائصهم من شدة الخوف ترعد
رواه ابن عساكر وروى عن الأصمعي أنه كان يثمد من شر أمية :

مجدوا الله فهو للمجد أهل دينا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق الذلس وسوى فوق السماء سريرا
شرجبا^(١) يتاله بصر العيب ن ترى دونه الملائك صورا

ثم يقول الأصمعي: الملائك جمع ملك والصور جمع أصور وهو المائل المتق وهو لاه حملة العرش.
ومن شر أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جهمان التيمي :

أأذكر حاجتي أم قد كفاي حياؤك إن شيمتك الحياه
وعلك بللقوق وانت فرع لك الحسب المهذب والسناه
كريم لا يغيره صلب عن الخلق الجليل ولا مسا
يبارى الريح مكرمة وجودا إذا ما الكلب أحبره الشتاء
واوضك ارض مكرمة يتها بنوهم وانت لها سماه
إذا أنفى عليك المرء يوما ككاه من تعرضه الشتاء

وله فيه مديح آخر. وقد كان عبد الله بن جهمان هذا من الكرماء الاجواد المدحجين المشهورين
وكان له جفنة يأكل الراكب منها وهو على بيمره من عرض حاقها وكثرة طعامها ، وكان يلاها لباب
البر يملك بالشهد والسنن ، وكان يمتق الرقاب ويعين على النوائب وقد سألت عائشة النبي ﷺ ايضه
ذلك ؟ فقال انه لم يقل يوما من الفهر (رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) ومن شر أمية البديع :

لا يبتكون الارض عند سؤاها كتطلب الصلات بالميدان
بل يسفرون وجوههم فترى لها عند السؤال كالحن الأنوان
واذا القتل اقام وسط رحالم ردوه رب صواهل وقان
واذا دعوتهم لكل ملعة سدوا شماع الشمس بقرسان

آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت .

بحيرا الراهب

الذي تومس في رسول الله ﷺ النبوة وهو مع عمه أبي طالب حين قدم الشام في نيجار من أهل
مكة وعمره إذ ذاك اثني عشرة سنة فرأى القهامة قنطرة من بينهم فصنع لهم طعاما ضيافة واستدعاهم كما

سأني يان ذلك في السيرة وقد روى الترمذي في ذلك حديثاً بطناً الكلام عليه هناك وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائنات في ترجمة بحيرا ولم يورد ما رواه الترمذي وهذا عجب وذكر ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكنفر^(١) فيها وبين بصرى ستة أميال وهي التي يقال لها (دير بحيرا) قل ويقال: انه كان يسكن قرية يقال لها منفة بالقاء وراء زيرا والله أعلم.

ذکر قس بن ساعدة الایادی

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجان: حدثنا داود القنطري حدثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو عبد الله المشرق عن أبي الحارث الوراق عن ثور بن يزيد عن مودق السجلى عن عبادة بن الصامت . قال : لما قدم وفد اباد على النبي ﷺ قال : يا معشر وفد اباد ما فعل قس بن ساعدة الایادی . قالوا : هلك يا رسول الله . قال : لقد شهدت يوماً بسوق عكاظ على جبل أحر يتكلم بكلام معجب موق لا أجدنى أحفظه . فقام اليه اعرابي من أقاصي القوم قال : أنا أحفظه يا رسول الله . قال : فسر النبي ﷺ بذلك قال : فكان بسوق عكاظ على جبل أحر وهو يقول : يا معشر الناس اجتمعوا فكل من قلت قات، وكل شيء آت آت، ليل داج، وسما ذات أبراج، وبحر غجاج، نجوم ترهر، وجبال مرسية، وأنهار مجرية، ان في السماء نلبرا، وان في الارض لبراً، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالقائمة فقاموا، أم تركوا فناموا . أقسم قس بالله قماً لا ريب فيه . ان لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا ثم أنشأ يقول :

في القاهلين الأولي من القروث لنا بصائر
لما رأيت موارداً للوت ليس لها مصادر
ورأيت قروى تحوها يعضى الاصافر والأكلر
لا من مضى يأتي اليه لكولا من الباقيين غابر
أيقنت أنى لا عسا لتحيث صار القوم صائر

وهذا استاد غريب من هذا الوجه وقد رواه الطبراني من وجه آخر قال في كتابه المعجم الكبير: حدثنا محمد بن السري بن مهران بن الناقض البغدادي حدثنا محمد بن حسان السهمي حدثنا محمد بن الحجاج عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس. قال : قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ قال : أيكم

(١) كذا في الأصلين . وفي معجم البلدان : كنفرة من قرى الشام . ولم نذكر على (المنفة ، وزيرا) في معاجم الأمكنة .

يعرف القس بن ساعدة الايادي . قالوا : كلنا يعرفه بل رسول الله . قال : فاقبل ؟ قالوا هلاك قال : فاما انفسا
بسكاظ في الشهر الحرام وهو على جبل آحر وهو يخطب الناس وهو يقول : يا ايها الناس اجتمعوا
واستمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات قلت ، وكل ما هو آت آت . إن في السماء نلبرا ، وإن في
الأرض لبراً ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لا تنور . وأقسم قس قساحاً
لئن كان في الأمر دى ليكون بده منخط . ان لله لدينا هو أحب اليه من دينكم الذى أتم عليه . مالى
أرى الناس يذهبون ولا يرجعون . أرضوا بلقاهم فقاموا . أم تركوا فناموا . ثم قال رسول الله ﷺ
أفيكم من يرى شره ؟ فأشده بعضهم :

في القاهين الأولي من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نحوها يسى الأصغر والأكبر
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محقق صار القوم صائر

وهكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق محمد بن حسان السلمي به . وهكذا
رويناه في الجزء الذى جمعه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر من درسته في أخبار قس قال حدثنا
عبد الكريم بن الهيثم الذيرعا قولى عن سعيد بن شبيب عن محمد بن الحجاج عن ابراهيم الواسطي تزيل
بفسداد ويعرف بصاحب الغريبة . وقد كذبه يحيى بن معين وأبو حاتم الرازى والدارقطنى وانهم غير
واحد منهم ابن عدى بوضع الحديث . وقد رواه البزار وأبو نعيم من حديث محمد بن الحجاج هذا ورواه
ابن درسته وأبو نعيم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهذه الطريق أمثل من التى
قبلها وفيه إن أبابكر هو الذى أورد القصة بكلمة نظماً ونثرها بين يدي رسول الله ﷺ : ورواه
الحافظ أبو نعيم من حديث احمد بن موسى بن اسحاق الخطمى . حدثنا علي بن الحسين بن محمد الخزمي
حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن سيد بن المسيب
عن ابن عباس . قال قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ فقال لهم : ما فعل حليف لكم يقال
له قس بن ساعدة الايادي وذكر القصة مطولة . وأخبرنا الشيخ المستد الرحلة احمد بن أبي طالب
الحجار بإجازة ان لم يكن مسلماً قال أجاز لنا جعفر بن علي الهمداني قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر احمد بن
محمد بن احمد بن ابراهيم السلفي مسلماً وقرأت على شيخنا الحافظ أبي عبد الله التقي أخبرنا أبو علي
الحسن بن علي بن أبي بكر الخلال مسلماً قال أنا جعفر بن علي مسلماً قال أنا السلفي مسلماً أنا أبو عبد الله
محمد بن احمد بن ابراهيم الرازى أنا أبو الفضل محمد بن احمد بن عيسى السدي أنا أبو القاسم عبيد الله

ابن احمد بن علي المقرئ - حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي قال حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن احمد السدي - قاضي قرطس - حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي من أهل حران حدثنا أبو عمرو سعيد بن يربيع عن محمد بن اسحاق حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال : كان الجارود بن الملق بن حنظل بن مولى البدي نصرانياً حسن المروءة بتفسير الكتب وتأويلها عالماً بسير الفرس وأقاويلها بصيراً بالفلسفة والطب ظاهر الدعاة والأدب كامل الجلال ذا ثروة ومال وانه قدم على النبي ﷺ وأخذ في رجال من عبد القيس ذوى أراء واستان وفصاحتين وحجج وبرهان فلما قدم على النبي ﷺ وقف بين يديه وأشار اليه وأنشأ يقول :

يا بني الهدى أتتك رجال قطعت فدفداً وآلا قال
وطوت نحوك الصالح تهوى لا تعد الكلال فيك كلالا
كل بهاء قعر الطرف عنها أرقها قلاصنا أرقلا
وطوتها الشاق يجمع فيها بكمة كانبهم تسللا
تبتنى دفع بأس يوم عظيم هائل أوجع القلوب وهالا
ومزادا لمحشر الخلق طراً وفراقاً لمن تمادى ضلالا
نحو نور من الآله وبرها ن وبروفة أن قتالا
خسك الله يا ابن آمنة انه يربها اذا نمت سجالا سجالا
فاجل الخط منك يا حبة لا مجزلاً لاحظ خف أحوالا

قال فاذله النبي ﷺ وقرب مجلسه وقاله . يا جارود لقد تأخر الموعد بك ويقومك . قال الجارود : فذاك أبي وأمي أما من تأخر عنك فقد فاته حظه وتلك أعظم حوية واغلظ عقوبة وما كنت فيمن رآك أو سمع بك فعداك وانبع سواك واتى الآن على دين قد علفت به قد جعلتك وما أنا بتركه لدينك أفذلك مما يمحض القنوب والمآثم والحبوب ؟ وبرضى الرب عن المريب قال رسول الله ﷺ : أنا ضامن لك ذلك واخص الآن لله بلواحدية ودعم عنك دين النصرانية . فقال الجارود : فذاك أبي وأمي مديك فاما أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد انك محمد عبده ورسوله . قال : فسلم واسلم معه انسى من قومه فسر النبي ﷺ بسلامهم ، واظهر من أكرامهم ملسروا به وابتهجوا به . ثم أقبل عليهم رسول الله ﷺ فقال : أفبكم من يعرف قس بن ساعدة الايلى قال الجارود فذاك أبي وأمي كلنا نعرفه وأبي من بينهم لبالم بخبره واقف على أمره كان قس يارسول الله سبطاً من أسباط العرب عمر ستائة سنة تفر منها خة أعمار في البراري والتقاليع يضح بالندسح على مثال المسيح لا يقره قرار ولا تكته دار ولا يستمتع به جار . كان يلبس الامساح ويفرق السباح ، ولا يقر من رهبانيته يحمى في سياحته يرض النعام

ويأنس بالهوام ، ويستمتع بالسلام ، يبصر فيمتير ، ويفكر فيختير ، فصار لذلك واحداً تضرب بحكته
الامثال ، وتكشف به الاحوال. أدرك رأس الخوارزمي سحان ، وهو أول رجل تأله من الرب ووحده ،
وأقر وعبد ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذر سوء المآب ، وأمر بالميل قبل الفتور ، ووعظ بالموت وسلم
بالقضاء ، على السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، ونذب بالاشمار ، وفكر في الاقدار ، وأنبأ
عن السماء والقاء ، وذكر النجوم وكشف الماء ، ووصف البحار ، وعرف الآثر ، وخطب راجياً ، ووعظ
دائماً ، وحذر من الكرب ، ومن شدة الغضب ، ورسّل الرسائل ، وذكر كل هائل ، وأرغم في خطبه ،
وبين في كتيبه ، وخوف الدهر ، وحذر الأثر ، وعظم الأمر ، وجنب الكفر ، وشوق الى الحنيفية ، ودعا
الى اللاهوتية. وهو القائل في يوم عكاظ : شرق وغرب ، ويتم وحزب ، وسلم وحرب ، ويايس ورطب ،
واجاج وعنب ، وشموس واقار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وأنث وذكور ، وبرار وبحور ،
وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع واشتات ، وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر واعدام ،
ورب واصنام ، لقد ضل الاتم ، فثو مولود ، ووأد مقود ، وتربية محصود ، وقهر وغنى ، وعحسن
ومسئ ، تباً لأرباب الفتنه ، ليصلحن المامل علمه ، وليفتدن الآمل امله ، كلا بل هو إليه واحد ، ليس
بمولود ولا ولد ، أعاد وابدئ ، وأملت وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والاولى . أما بعد :
فيا مشر إباد ، أين ثمود وحاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ وأين الليل والمواد ؟ كل له معاد يقسم قسم
رب العباد ، وساطع المهاد ، لتحشرن على الافراد ، في يوم التناد ، إذا فزع في الصور ، وهجر في
الناقور ، واشرقت الأرض ، ووعظ الرواض ، فاقبذ التناط ، وابصر اللاخط ، فويل لمن صدف عن
الحق الاشهر ، والنور الازهر ، والمرض الاكبر ، في يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير ،
وشهد النذير ، وبدد النصير ، وظهر التقدير ، ففريق في الجنة وفريق في السعير . وهو القائل :

ذكر القلب من جواه اذكار وليال خلالي - نهار
وسجال هواطل من غمام ثرن ماء وفي جواهر نلر
ضوها يطمس العيون وأرما دشداد في الخلقين تطار
وقصور مشيدة حوت الخلد ير واخرى خلت بهن قفار
وجبال شوامخ راسيات وبحار مياهن غزار
ونجوم تلوح في ظلم اليه ل نراها في كل يوم تدار
ثم شمس يحيا قر اليه ل وكل متابع موادر
وصغير وأشمط وكبير كلهم في الصيد يوما مزار
وكبير مما يقصر عنه حسه الخاطر التي لا يحار

فالتى قد ذكرت دل على **الا** غوراً لها هدى واعتبار

قال: فقال رسول الله ﷺ: معها نيت فلت انما بسوق عكاظ، واقفاً على جبل احمر يخطب الناس: اجتمعوا غصموا، وإذا سمعتم فموا، وإذا وعيتم فأنصتوا، وقولوا وإذا قلتم فامضوا، من عاش مات، ومن مات مات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، واحياء وأموات، ليل ناهج، وسما ذات أبراج، ونجوم ترعر، وبحار ترخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وأكلم، إن في السماء خبيرا، وإن في الأرض خبيرا، يحار فيه البصر، مهاد ووضوح، وسقف مرفوح، ونجوم تقود، وبحار لا تقود، ومنايا حوان، ودهر خوان، كحد النطاس، ووزن النطاس. أقسم قس قسما، لا كاذبا فيه ولا آثما، لئن كان في هذا الأمر رضى، ليكون سنط. ثم قال: أيها الناس إن الله ديننا هو أحب إليه من دينكم هذا الذى أنتم عليه وهذا زمانه واوانه. ثم قال: ما لى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، ارضوا بلقاهم فقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ والتفت رسول الله ﷺ إلى بعض أصحابه فقال: أيكم بروى شربه لنا؟ قال أبو بكر الصديق: فذاك أبى وأمى أنا شاهد له في ذلك اليوم حيث يقول:

في الزاهين الأولي من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نحوها يعض الأصغر والأكبر
لا يرجع الماضى السسى ولا من الباقيين غابر
أيقنت أنى لا يحا قحيث صار القوم صائر

قال: قام إلى رسول الله ﷺ شيخ من عبد القيس عظيم الهامة، طويل القامة، بيد مابين المنكبين فقال: فذاك أبى وأمى وأنا رأيت من قس عجبا. فقال له رسول الله ﷺ: ما الذى رأيت يا أخا بني عبد القيس؟ فقال: خرجت في شيبتي أربع ميرا أنى ندعى أثره في ثنائف قفاف ذات ضنايس وعرسات جنبات بين صدور جذعان، وغير حوزان، ومهمل ظلمان، ورصيع ايهقان، فبينما أنا في تلك القلوات أجول ببسبها واراق فندفعا إذا أنا بهضبة في فتراتنا أراك كاث مخضوضلة وأغصاتها متهيلة كأن بربرها حب النفل وبواسق اقحوان، وإذا بين خراوة ودروضة مدهامة، وشجرة عارمة، وإذا أنا بقس بن ساعدة في أصل تلك الشجرة ويده قضيب. فدنوت منا وقلت له: أنعم صباحا فقال: وأنت فقم صباحك وقد وردت العين سباع كثيرة فكان كلما ذهب سجع منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قس بالقضيب الذى بيده. وقال: اصبر حتى يشرب القى قبلك فدمرت من ذلك ذمرا شديدا هو ينظر إلى قال لا تخف. وإذا بقرين بينهما مسجد قلت ما هذا؟ القيران؟ قال قيرا أخوين كانا مبدان الله عز وجل بهذا الموضع فانا مقبرين قبريهما عبد الله حتى الحق بهما. قلت له: أفلا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وتبانيهم على

شرم؟ قال لي : شككتك أمك أو ما عشت أن ولد لسما عيل تركوا دين أبيهم واتبعوا الأضداد وعظموا
الانذار ثم أقبل على القبرين وافئسا يقول :

خليلي ميا طالما قد رقدتما أجد كما لا هضيان كرا كما
أرى النوم بين الجلد والعظم منكما كأن القى يبقى العار مسقا كما
أمن طول نوم لا تبييان داعيا كأن القى يبقى العار مسقا كما
ألم تطلأ أنى بهجران مفردا ومدى فيه من حبيب سوا كما
مقيم على قبريكما لست يلوحا إيلب اليلال أو يبيب صدا كما
أبيكما طول الحياة وما القى يرد على ذى لوعة أن بكما كما
فلو جعلت نفس لنفس أمرى فدى لجلت بنفسى أن تكون فدا كما
كأنكما والموت أقرب غاية بروحى فى قبريكما قد أنا كما

قال قال رسول الله ﷺ : رحم الله قفا أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة واحدة . وهذا الحديث
غريب جدا من هذا الوجه وهو سرسل إلا أن يكون الحسن سمعه من الجارود والله أعلم .

وقد رواه البيهقي : والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من وجه آخر من حديث محمد بن عيسى بن محمد
ابن سعيد القرشي البخارى ثنا أبو ثعلبة بن سليمان بن علي عن علي بن عبد الله عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما . قال : قدم الجارود بن عبد الله ^(١) فذكر مثله أو نحوه مطولا بزادات كثيرة فى نظمه
ونثره ، وفيه ما ذكره عن القى ضل ميره فذهب فى طلبه قال فبت فى واد لا آمن فيه حتى ولا أركن
إلى غير سبى ، أرقب الكوكب ، وأدنى النيهب ، حتى إذا الليل عصص ، وكاد الصبح أن يتنفس ،
هتف فى هاتف يقول :

يأيتها الرائد فى الليل الاجم قد بحث الله نيا فى الحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم يجلو دجيات الدياجى والبهيم
قال فلدت طرفى فادريت له شخصا ولا سمحت له خصا قال فانشأت أقول :
يأيتها الهاتف فى داجى الظلم أهلا وسهلا بك من طيف الم
يقن هداك الله فى لحن الحكيم ماذا القى تدعو اليه يقتنم

قال فإذا أنا بمنحة وقالا يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبث الله محمدا بالجور ، صاحب النجيب
الاحمر ، والتاج والمنفر ، والوجه الازهر ، والمحابب الاقر ، والطرف الاحور ، صاحب قول شهادة
أن لا اله الا الله وذلك محمد المبعوث إلى الاسود والايض أهل المدر والوبر ثم انشأ يقول :

(١) تقدم : انه الجارود بن المعلى واختلف فى اسم أبيه كما فى أسد الغابة وليس فى آية عبد الله فليظفر

الحمد لله الذى لم يخلق انطلق عبث
لم يخلقنا يوما سدى من بعد عيسى واكثر
أرسل فينا أحداً خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما حج له ركب وحث

وفيه من إنشاء قس بن ساعدة :

يا ناعى الموت والمحدود فى جثث عليهم من بقايا قولهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم فهم اذا اتقوا من نومهم أرقوا
حتى يمدوا بحال غير حالهم خلقاً جديداً كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم منها الجديد ومنها المنهيج الخلق

ثم رواد البهيق عن محمد بن عبد الله بن يوسف بن احمد الاصمغاني حدثنا أبو بكر احمد بن سعيد
ابن فرضنخ الاخشي بمكة ثنا القاسم بن عبد الله بن مهدي ثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن
الخرزمي ثنا سفيان بن عيينة عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . فذكر القصة وذكر
الانشاد قال فوجد واحد رأسه مصيبة فيها :

يا ناعى الموت والاموات فى جثث عليهم من بقايا نومهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم كما تقيبه من نوماته الصق
منهم عراة وموتى فى ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق

قال رسول الله ﷺ : والذى يشئ بلطق لقد آمن قس بالبعث . واصله مشهور وهذه الطرق على
ضعفها كالتعاضد على اثبات أصل القصة وقد تكلم أبو محمد بن درستويه على غريب ما وقع فى هذا
الحديث واكثره ظاهر إن شاء الله تعالى وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه فى الحواشى (١)

وقال البيهقي : أنا أبو سعيد بن محمد بن احمد الشيباني ثنا أبو عمرو بن أبي طاهر الحمدي أبانى لثقل
ثنا أبو لابة محمد بن المهدي الامودعي (٢) ثنا أبي ثاسيد بن هبيرة ثنا المتحر بن سليمان عن أبيه عن انس
ابن مالك قال قدم وقد ابد على النبي ﷺ قال : ما فعل قس بن ساعدة اقلوا هلك . قال أما إني سمعت
منه كلاماً أرى اني احفظه قال بعض القوم نحن نحفظه يا رسول الله . قال هلوا : قال قائلهم انى واقف بسوق
عكظ قال : يا أيها الناس استمعوا واسمعوا وعواء كل من عاش مات وكل من مات فأت وكل ما هو آت
أت عليل داجع وسماء ذات ابراج ونجوم ترعرع وبحار تزخر ووجيال مرسية وانهار مجرية وإن فى السماء
خلجراً وواين فى الارض لعباء وأرى الناس يموتون ولا يرجعون ارضوا بالقامة فاقلموا أعم تركونا موماً أقسم
(١) لم تصل اليها هذه الحواشى التى فيه عليها المصنف فى التمسح الى أيدينا . (٢) كذا فى الاصلين

قس قس بالله لا آمم فيه ، إن لله ديناً هو أرضى عما أنتم عليه ثم أنشأ يقول :

في القاهين الاو ا بين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مصارعاً لقوم ليس لها مصادر
ورأيت قروى نحوها بمضى الاكابر والاصغر
أبقت انى لا محاة حيث صار القوم صائر

ثم ساقه البيهقي من طرق آخر قد نبهنا عليها فيما تقدم ثم قال بعد ذلك كله وقد روى هذا الحديث عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن جابر بزيادة وقصان . وروى من وجه آخر عن الحسن البصري منقطعاً وروى مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة . قلت : وعادة بن الصامت كما تقدم وعبد الله بن مسعود كما رواه أبو نعيم في كتاب اللاتل عن عبد الله بن محمد بن هبان الواسطي عن أبي الوليد طريف بن عبيد الله مولى علي بن أبي طالب بالوصل عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود قد ذكره . وروى أبو نعيم أيضاً حديث عبادة المظنم وسعد بن أبي وقاص . ثم قال البيهقي وإذا روى الحديث من أوجه أخرى وان كان بعضها ضيقاً دل على أن الحديث أصلاً والله أعلم

ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد المزي بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي القرشي المدوي . وكان الخطاطب والد عمر بن الخطاب معه وأخاه لأمه . وذلك لأن عمرو ابن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه وكان لها من نفيل أخوة الخطاطب قاله الزبير بن بكار وعبد ابن اسحاق . وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الاوثان وطرق دينهم وكان لا يأكل الا ما ذبح على اسم الله وحده . قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن اسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مستنداً ظهره الى الكعبة يقول يا يسر قريش واقبى نفس زيد بيده ما اصبح احد منكم على دين ابراهيم غيري . ثم يقول : اللهم اني لو أعلم أحب الوجوه اليك جدتك به ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحته وكذا رواه أبو اسامة عن هشام به وزاد وكان يصلي الى الكعبة ويقول إلى الله ابراهيم ، ودينى دين ابراهيم . وكان يحيى المروءة ويقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها ادفعها الى اكفها فلذا ترعرت فلن تثت فخذها وان تثت فادفعها . أخرجه النسائي من طريق أبي أسامة وعنه البخاري قال : وقال الليث كتب الى هشام بن عروة عن أبيه به . وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق : وقد كان عمر بن عمرو بن زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل بن أسد بن

عبدالمزى وعثمان بن الحورث بن أسد بن عبدالمزى وعبدالله بن جحش بن ريل بن صير بن صيرة بن
 برة بن كبير بن عثم بن دودان بن اسعد بن اسد بن خزعة . وأمه أمية بنت عبدالمطلب . واختزيب
 بنت جحش التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد مولاه زيد بن حارثة كاسيأتي بيانه . حضروا قريشاً عند
 وثن لهم كانوا يذبحون عنده ليعلمن أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض وقالوا تصادقوا
 وليكنم ببعضكم على بعض . فقال قائلهم قلن والله ما قومكم على شيء . لقد أخطأ دين إبراهيم وخالفوه ما وثن
 بعد ؟ لا يضر ولا ينفع فاجفوا لانفسكم فخرجوا يطلبون ويسيرون في الأرض يتنصرون أهل كتاب من
 اليهود والنصارى والممل كاهن . الخنيفة دين إبراهيم ، فلما ورقة بن نوفل فتنصر واستحکم في النصرانية
 واجتنب الكتب من أهلها حتى علم علما كثيراً من أهل الكتاب ولم يكن فيهم أحد أسراراً وأصل ثباتاً من
 زيد بن عمرو بن مخزوم اعتزل الأول وثن وطارق الأديان من اليهود والنصارى والممل كاهن إلا دين الخنيفة
 دين إبراهيم بوحده الله ويخلص من دونه ولا يأكل ذبيحته قومه فاذا هم بالفراق لما هم فيه . قال : وكان الخطاب
 قد آذاه أذى كثيراً حتى خرج منه إلى أعلى مكة ووصل به الخطاب شباباً من قريش وسفهاء من سفاهتهم
 فقال لا تتركوه يدخل فكلان لا يدخلها إلا أسراراً منهم فاذا علموا به اخرجوه وأخوه كراهية أن يفسد
 عليهم دينهم أو يتابعه أحد إلى ما هو عليه . وقال موسى بن عقبة سمعت من أرضي يحدث عن زيد بن
 عمرو بن نفيل كان يسب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأزل لها من السماء ماء وأنت لها
 من الأرض لم تدبجوها على غير اسم الله . انكراً لملك واعظامه ؟ وقال يونس عن ابن اسحاق وقد
 كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة فضرب في الأرض يطلب الخنيفة دين
 إبراهيم وكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلها أبصرته قد نهض للخروج وأرادت أدت الخطاب بن
 نفيل فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب الأول دين إبراهيم ويسأل عنه ولم يزل في
 ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل حتى أتى الشام فجعل فيها حتى أتى راهباً يسميه
 من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الخنيفة دين إبراهيم فقال له الراهب
 إنك لتسأل عن دين ما أتت بواجب من يملك عليه اليوم ، لقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه ،
 ولكنه قد أظلم خروج في هذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية ظم برض شيئاً منها فخرج
 سريماً حين قال له الراهب ما قبل يريد مكة حتى إذا كان بأرض ناعم هدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بريمه :

رشدت وأنت ابن عمرو وإنيما فنجيت تنوراً من النار حاميا
 بدينك رباً ليس رب كنه وتركك أو كنه الطواغي كاهيا
 وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ولو كان تحت الأرض ستينا واديا^(١)

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة : حدثنا أحمد بن طارق الوابشي ثنا عمرو بن عطية عن أبيه عن ابن عمر عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتأله في الجاهلية فاضلح حتى أتى رجلا من اليهود فقال له أحب أن تدخني منك في دينك . فقال له اليهودي لأدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب الله . فقال من غضب الله أفر . فاضلح حتى أتى نصرانياً فقال له أحب أن تدخني منك في دينك ، فقال له أنت أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من الضلالة . فقال من الضلالة أفر . فله النصراني فأتى أدخلك على دين إن تبوءته اعتديت . قل أي دين ؟ قال دين إبراهيم قال فقال اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم عليه أحيي وعليه أموت . قال فذكر شأنه للنبي ﷺ فقال : هو أمة وحده يوم القيامة . وقد روى موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر نحوه هذا وقال محمد بن سعد حدثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف أن قرشي عن اسماعيل بن مجاهد عن الشعبي عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال قال زيد بن عمرو بن نفيل : شاعت اليهودية والنصرانية ففكرتها فكنت بالشام وما والاها حتى أتيت راهبا في صومعة فذكرت له اغترابي عن قومي وكرهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية . فقال له : أراك تريد دين إبراهيم يا أخا أهل مكة انك تطالب ديننا ما يوجد اليوم (أحد دين) به وهو دين أليك إبراهيم كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا كان يصلي ويسجد إلى هذا البيت الذي يلاذك فخلق يملكه فلان الله يمش من قومك في بلدك من يأتي بدين إبراهيم الحنيفة وهو أكرم الملق على الله . وقال يونس عن ابن اسحاق حدثني بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل : إن زيدا كان إذا دخل السكة قل ليك حقا ، قسدا ، ورقا ، عنت بما عاذ به إبراهيم وهو قائم ، إذ قال الهى اننى لك حان راغم ، مها فحشنى فأتى جاشم ، البرأبني لالاحمال ، ليس مهجر كن قال . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي عن أبيه عن جده أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتسان الدين حتى اتنيا إلى راهب بالموصل ، فقال زيد بن عمرو من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ قال من بنية إبراهيم ، فقال وما تلتس قل ألتس الدين قل ارجع فته يوشك أن يظهر في أرضك . قال

فأما ورقة فتنصر وأما أنا فزمت على النصرانية فلم يوافق فرجع وهو يقول :

ليك حقا حقا قسدا ورقا البرأبني لالاحمال فهل مهجر كن قال ^(١)

أمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول : اننى لك حان راغم ، مها فحشنى فأتى جاشم ، ثم يخر فيسجد قال وجاء ابنه يعنى سعيد بن زيد أحد الشرة رضى الله عنه قال : يلرسول الله إن أبى كما رأيت وكما يملك فاستغفر له ، قال نعم فقه يمش يوم القيامة أمة واحدة . قال وأقيد بن عمرو بن زيد على رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة ومها يا كلان من سفرة لها ، فدعوا لها لطمها فقال زيد بن عمرو : يا ابن

(١) في هامش الحلبية : المهجر من المجر وحى شدة الحر . وقال : من القبلوة .

أخى أنا لا أكل مما ذبح على النصب. وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن ميسرة عن ابن أبي مليكة عن جبر بن أبي أهاب. قل: رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بواة بعد ما رجع من الشام وهو يراق الشمس فلذا زالت استقبال الكعبة فصلى ركعة سجدتين ثم يقول هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لأعبد حجراً ولا أصلي له ولا آكل ما ذبح له ولا استقم إلا زلام وإنما أصلي لهذا البيت حتى أموت. وكان يمجج فيقف بمرقة، وكان يلبي فيقول: ليك لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفع من مرقة ماشيا وهو يقول ليك متبدياً مرفوقاً:

وقال الواقدي: حدثني علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال سمعت زيد بن عمرو ابن خنيل يقول: أنا أنظر يوماً من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدق وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فأرأته فلقوه مني السلام وأسأله ما منه حتى لا يخفى عليك قلت: علم! قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليس تقارق عينه حرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبشه ثم يخرج قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فإليك أن تتخضع عنه فأتى طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكان من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين ورايك وينصتونه مثل ما منه لك ويقولون لم يبق نبي غيره. قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت رسول الله ﷺ قول زيد بن عمرو وأقراؤه منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيته في الجنة يسحب ذيو لا

وقال البخاري في صحيحه: ذكر زيد بن عمرو بن خنيل. حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عتبة حدثني سالم عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن خنيل بأسفل بلح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة فإني أن يأكل منها. ثم قال زيد إني لست أكل مما ذبحون على أصابعكم ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه وإن زيد بن عمرو يصيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأبنت لها من الأرض ثم يذبحونها على غير اسم الله أنكلاً فلك واعظاما له.

قال موسى بن عتبة: وحدثني سالم بن عبد الله ولا أعلمه إلا يحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو ابن خنيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال إني لعل أن أدبني دينكم فآخبرني فقال إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله قل زيد وما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئاً ولا أستطيعه فهل تدلني على غيره؟ قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً قل زيد وما الحنيف؟ قال دين إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله فخرج زيد فلقى عالماً من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من

على غيره قال ما علمه الا أن تكون حنيفا قل وما الحنيف ؟ قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في ابراهيم خرج فلما برز رفع يديه وقال اللهم إني أشهدك أني على دين ابراهيم . قال وقال الوليث : كتب الى هشام بن عروة عن أبيه عن اسباط بنت أبي بكر قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مستدا ظهره الى الكعبة يقول يلهمش قرئش والله ما منكم على دين ابراهيم غيبي وكان يحيي المؤودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكتفيك مؤنتها فياخذها فإذا ترعرعت قل لا يها إن شئت دفنتها اليك وإن شئت كفتك مؤنتها انتهى ما ذكره البخاري

وهذا الحديث الاخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر من طريق أبي بكر بن أبي داود عن عيسى ابن حماد عن الوليث عن هشام عن أبيه عن اسباط فذكر نحوه . وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن اسباط قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مستند ظهره الى الكعبة يقول : يلهمش قرئش إياكم والزنا فانه يورث الفقر . وقد ساق ابن عساكر هاتنا أحاديث غريبة جدا وفي بعضها نكارة شديدة . ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله ﷺ انه قال : يمش يوم القيامة أمة واحدة . فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا يوسف بن يقرب الصفار حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال سئل رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل انه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول الحق لله ابراهيم وديني دين ابراهيم ويسجد . قال رسول الله ﷺ يمشر ذاك أمة واحدة بيني وبين عيسى بن مريم . أسنده جيد حسن . وقال الواقدي : حدثني موسى بن شيبة عن خارجة ابن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال توفي وقرئش تبقى الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ بنفس سنين ، وقد تزل به وانه ليقول أنا على دين ابراهيم فسلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول الله ﷺ وأتى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله ﷺ فأنلاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : غفر الله له ورحمته مات على دين ابراهيم قال فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكرتهم الا ترحم عليه واستغفر له ، ثم يقول سعيد بن المسيب رحمه الله وغفر له . وقال محمد بن سعد عن الواقدي حدثني زكريا بن يحيى السدي عن أبيه قال مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن بأصل حراء ، وقد هدمت له ملة بمرض البقاء من الشام لما عدا عليه قوم من بني ظلم فقتلوه بمكان يقال له ميفة والله أعلم .

وقال الباغندي عن أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة فرأيت زيدا بن عمرو بن نفيل دوحين . وهذا اسناد جيد وليس هو في شيء من الكتب . ومن شمر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ما قدمناه في بدء النطق من تلك القصيدة الى الله أهدي مدحتي وثنايا وقولا رضىا لابني الدهر باقيا

الى الملك الأعلى الذى ليس فوقه إله ولا رب يكون مدانيا
وقد قيل إنها لامية بن أبى الصلت والله أعلم . ومن شره فى التوحيد ما حكاه محمد بن اسحاق
والزبير بن بكار وغيرهما :

وأسلت وجهي لمن أسلت له الأرض تحمل صخرًا حالًا
دحاها فلما استوت شديدا سواء وأرسي عليها الجبالا
وأسلت وجهي لمن أسلت له الزن تحمل عذابا لالا^(١)
إذا هي سبقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا
وأسلت وجهي لمن أسلت له الريح نصرف حالا حالًا
وقال محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة قال روى أبى أن زيد بن عمرو قال :
أرب واحد أم ألف رب أدين إذا خست الأمور
عزلت اللات والري جميعا كذلك يفضل الجلد الصبور
فلا الري أدين ولا ابتيتها ولا صنعى بنى عمرو أزد
ولا غنا أدين وكلف ريا لنا فى الدهر اذ حلّى يسير
عجيت وفى اليبال مسجات وفى الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أنفى رجلا كثيرا كلف شأنهم الفجور
وانقى آخرين ببر قوم فيربل^(٢) منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يثر ثوب يوما كما يقرح النسن النضير
ولكن اهد الرحمن دى لبخر ذنبى الرب الصفور
فحقى الله دهمكم استظلوا متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهم جنت وللكفار حامية صعيد
وخزى فى الحياة وإن يموتوا يلاقوا متضيق به الصدور

هذا تمام ما ذكره محمد بن اسحاق من هذه القصيدة . وقد رواه أبو القاسم البغوي عن مصعب بن
عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبى الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء
بنت أبى بكر : قالت قال زيد بن عمرو بن غنيل :

عزلت الجن والجنان عني كذلك يفضل الجلد الصبور
فلا الري أدين ولا ابتيتها ولا صنعى بنى طسم أدبر

(١) هذا البيت عن العسرية (٢) كذا فيربل بمعنى ينمو . وهى رواية ابن هشام . وسيأتى فيربو .

ولا غنا أدن وكان ربا
أربا واحداً أم ألف رب
ألم تعلم بأن الله أفنى
وابقى آخرين ير قووم
وينا المرء يستر لب يوما
لنا في العراذ حلّى صنير
أدين إذا قصت الأمور
رجالا كان شأهم الفجور
فيرو منهم الطفل الصنير
كا يروح الفصن النصير

قالت قال ورقة بن نوفل :

رشدت وأمنت ابن عرو وانما
لهديك ربا ليس ربا كئله
أقول اذا أهبطت أرضاً خوفة
حنانك ان الجن كانت رجاءم
وانت إلهي ربنا ورجائيا
وان كان تحت الارض سبعين وادبا
أدين لمن لا يسمع الصهر واعيا
أقول اذا صليت في كل يمة
تباركت لها كثرت باسمك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن ذئيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحوirth وعبيد الله ابن جحش فخنصروا إلا زيدا فإنه لم يدخل في شيء من الأديان بل بقى على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له متبعاً ما أمكنه من دين إبراهيم على ما ذكرناه . وأما ورقة بن نوفل فبإتقي خبره في أول المبعث . وأما عثمان بن الحوirth فقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر . وله خبر عجيب ذكره الأُموي وعنصره أنه لما قدم على قيصر فشكى إليه ما لقي من قومه كتب له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش فزم على ذلك فكتب إلى الأعراب تنهاه عن ذلك لما رأوا من عظمة مكة وكيف ضل الله بأصحاب الفيل فكساه ابن جفنة قيصاً مصبوغاً مسموماً فأتى من سمع فرأه زيد بن عمرو بن ذئيل بشر ذكره الأُموي تركناه اختصاراً وكانت وقته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر شيء مما وقع من الحوادث في زمن الفترة

فمن ذلك بيان السكبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله ابن عمرو وفي سننه ابن أبي عمير وهو ضعيف ، وأقرب الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام . كما تقدم وكذلك رواه

سلك بن حرب عن خالد بن عمره عن علي بن أبي طالب قال : ثم تهدم فينته المعلقة ثم تهدم فينته جرم
ثم تهدم فينته قريش . قلت : سيأتي بناء قريش له وذلك قبل المبعث بخمسين سنين وقبل بخمسة عشرة
سنة وقال الزهري كان رسول الله ﷺ قد بلغ الحظ . وسيأتي ذلك كله في موضعه إن شاء الله وبه الثقة

ذكر كعب بن لؤي

روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبقة عن محمد بن طلحة التيمي عن محمد بن إبراهيم بن
الحارث عن أبي سلمة . قال : كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه الروبة فيخطبهم
فيقول : أما بعد فاسمعوا وقلعوا ، وانهموا واعلموا ، ليل ساج ، ونهار ضاح ، والأرض مهد ، والسماء
بناء ، والجبال أولاد ، والنجوم اعلام ، والأولون كالآخرين ، والأثنى والذكر [والروح وما يهيج
إلى بل] فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم . فهل رأيتم من هالك رجع ؟ أو ميت
فشر ؟ أدار أماسكم ، والظن غير ما تقولون ، حرمكم زينوه وعظموه ، وتمسكوا به فيأتى له بأعظيم ،
وسينخرج منه نبي كريم ، ثم يقول :

نهار وليل كل يوم بمحادث سواء علينا ليلها ونهارها
يؤوبان بالأحداث حتى تأوبا وبالنعم الضاني علينا ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوق خيرها

ثم يقول : والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ، ويد ورجل ، لتنصبت فيها تنصب الجمل ، ولأرقلت بها
إرقال الصجل . ثم يقول :

يالبقي شاهداً نجوماء دعوتهم حين المشيرة ببنى الحنق خذلانا

قال وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله ﷺ خمسمائة عام وستون سنة .

ذكر تجديد حفر زمزم

على يد عبد المطلب بن هاشم التي كان قد درس رسمها بعد طم جرم لما إلى زماته
قال محمد بن اسماعيل : ثم إن عبد المطلب يتنا هو تميم في الحجر وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب
من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله المزني عن عبيد الله بن رزين
النافي أن سمع علي بن أبي طالب يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها . قال قال عبد المطلب
إني لنا في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة . قل قلت وما طيبة ؟ قال ثم ذهب عني قال فلما كان
الغد رجعت إلى مضجعي فميت فجاءني فقال احفر برة . قال قلت وما برة ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الند
(١) ما بين المرمين بياض في الحليية . وفيها : واحفظوا أنهاركم بدل أصهاركم .

رجعت إلى مضجعي فمنت فجاءني فقال اخبر المضنوة قال قلت وما المضنوة ؟ قال ثم ذهب عني
فلما كان الند رجعت إلى مضجعي فمنت فيه فجاءني فقال اخبر زمزم . قال قلت وما زمزم ؟ قال :
لا تزف أبداً ولا ترم ، تسقى الحبييج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم ، عند حرة الزراب الأعسم ،
عند قرية النبل . قال : فلما بين لي شأنها ودل علي موضعها وعرف أنه قد صدق غذا بمجوله ومه ابته
الحارث بن عبد المطلب وليس له يومئذ ولد غيره فخر فلما بدا لعبد المطلب الطلى كبر فرفعت قريش
أنه قد أدرك حاجته . فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب انما بشر ابنا اسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشر كنا
ملك فيها . قال : ما أنا بفعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيت من بينكم قالوا له
فانصنا قاتاً غير تاركك حتى نخاصك فيها . قال : فاجلوا بني وينسكم من شتم أحماكم إليه قالوا
كاهنة بني سعد بن هذيم قال : نعم وكانت بشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه فر من بني أمية
وركب من كل قبيلة من قريش فر فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز حتى إذا كانوا ببعضها عند ماء
عبد المطلب وأصحابه فطشوا حتى استيقنوا بالملكة فاستسقوا من مهم فأبوا عليهم وقالوا إنا بمنازة وإنا
نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد المطلب إلى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما
لكم الآن من القوة فكلما ملت رجل دفنه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً
فضيبة رجل واحد أسير من ضيعة ركب جميعه . فقالوا : نعم أسرنا به فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قدوا
ينتظرون الموت عطشى ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه ألقينا بأيدينا هكذا للموت لا تضرب في
الأرض لا تبتنى لأنفسنا لجز ففسى أن يرزقنا ماء يعض البلاد فارتحلوا حتى إذا بث عبد المطلب
راحله اغتبرت من تحت خفها عين ماء غيب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب
أصحابه واستسقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينتظرون اليهم في جميع هذه الأحوال فقال
هدوا إلى الماء قد سقانا الله فجاءوا فشربوا واستسقوا كلهم ثم قالوا قد والله قضى لك علينا والله
ما نخاصك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه القلادة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقائك
راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلصوا بينه وبين زمزم

قال ابن اسحاق فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم قال ابن اسحاق وقد سمعت من
يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الروي غير الكدر يسقى حبيج الله في كل مبر

ليس يخاف منه شيء ما عر

قال فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال قتلوا أنى قد أسرنا أن أخبر زمزم قالوا
فهل بينك وبينه ؟ قال : لا قالوا فارجع إلى مضجعتك التي رأيت فيه ما رأيت فإن بك حقا من الله

يبين لك وإن يك من الشيطان فمن يهود اليك فرج وتلم فأق قبيلا :

احفر زمزم . إنك إن حفرتها لن تنعم . وهي تراث من أهلك الأعظم . لا تخرف أبداً ولا تنزم . تسقى الحبيص الأعظم . مثل فام جافل لم يقسم . ينذر فيها نادر بنهم . تكون ميراثاً وعقداً محكم . ليست لبعض ما قد تلم . وهي بين الغرث والدم .

قال ابن اسحاق : فرجعوا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال وأين هي ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينثر الغراب غداً . قاله أعلم أي ذلك كان . قال فندا عبد المطلب وسه ابنة الحارث وليس له يومئذ ولد غيره . زاد الاموى ومولاه أصرم فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينثر عندها بين الوثنيين أساف وثلاثة الذين كانت قريش تنحر عندها فجاء بالمولد وقام ليحفر حيث أمر قامت إليه قريش وقالت واقفه لا نتركك تحفر بين وثنيي الذين تنحر عندها فقال عبد المطلب لآبائه الحارث : زدني حتى أحفر فوافقه لآمضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير تلزع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطى فبكى وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب التين كانت جرم قد دفنته ووجد فيها أسيافاً قلمية وأدعما . وقالت له قريش : يا عبد المطلب لنا ملك في هذا شرك وحق قال لا ولكن حلم إلى أمر نصف بيني وبينكم فضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له . قالوا : أنصفت فجعل للكعبة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم ولهذا قل أبو سفيان يوم أحد : أهل هبل . يعني هذا الصنم . وقام عبد المطلب يدعو الله . وذ كر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن عبد المطلب جعل يقول :

اللهم أنت الملك المحمود ربى أنت الميسمى المعبد

وملك الراسية المجلود من عندك الطارف والتلبد

إن شئت ألهت كما تريد لموضع الحلية والحديد

فبين اليوم لما تريد إلى نذرت الساعد المهود

اجله ربلى فلا أعود .

قال وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على التزالين للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف والادراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحاه قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف بالالكعبة ، وضرب في الباب التزالين من ذهب فكان أول ذهب حلية للكعبة فيها يزعمون . ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج وذ كر ابن اسحاق وغيره أن مكة كان فيها أيار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثم عددها ابن اسحاق وسماها وذ كر أما كتبها من مكة وحافرها إلى أن قال ففتت زمزم على البطار كلها

وانصرف الناس كلهم اليها لمسكنها من المسجد الحرام ولفضلها على مساوها من المياه ولانها بئر اسماعيل
 ابن ابراهيم واخترت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب . وقد ثبت في صحيح مسلم في
 حديث اسلام أبي ذر ان رسول الله ﷺ قال في زمزم : انها لطعام طعم . وشفاة سقم . وقال الامام أحمد
 حدثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
 ﷺ : ماء زمزم لما شرب منه . وقد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل وقد تكلموا فيه
 ولفظه ماء زمزم لما شرب له . ورواه سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن أبي الموالي
 عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ قال : ماء زمزم لما شرب له . ولكن سويد بن سعيد
 ضعيف والمخفوف عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم وقد رواه الحاكم عن ابن عباس
 صرفوا ماء زمزم لما شرب له وفيه نظر والله أعلم . وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس
 انه قال لرجل اذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذا كرا سمع الله وتغنى ثلاثا وتصلع منها فلذا فرغت
 فاحمد الله فان رسول الله ﷺ قال : إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتصلون من ماء زمزم . وقد ذكر
 عن عبد المطلب انه قال : اللهم اني لا احلها لمتنل وهي لثارب حل وبلى . وقد ذكره بعض الفقهاء
 عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح انه عن عبد المطلب فنه قاله هو الذي جدد حذر زمزم كما قدمنا
 والله أعلم . وقد قال الاموي في منازيه : حدثنا أبو عبيد أخبرني يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن
 حرملة سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احترف زمزم . قال : لا احلها لمتنل
 وهي لثارب حل وبلى . وذلك انه جعل لها حوضين حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فنهذ ذلك قال :
 لا احلها لمتنل ليزه المسجد عن ان يمتنل فيه . قال أبو عبيد قال الاصمى : قوله وبلى اتباع قال أبو عبيد
 والاتباع لا يكون بواو اللطف وانما هو كما قال متمر بن سليمان ان بل بنة حير مباح ثم قال أبو عبيد
 حدثنا أبو بكر بن عياش عن حاصم بن أبي النجود انه سمع زراً انه سمع العباس يقول : لا احلها لمتنل وهي
 لثارب حل وبلى . وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن عطاء انه سمع ابن
 عباس يقول ذلك وهذا صحيح الهباء وكأنها يقولان ذلك في أبيهما على سبيل التبليغ والاعلام بما
 اشترطه عبد المطلب عند حفره لما فلا يتافى ما تقدم والله أعلم . وقد كانت السقاية الى عبد المطلب أيام
 حياته ثم صارت الى ابنه أبي طالب مدة ثم اتفق انه املق في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس
 عشرة آلاف الى الموسم الآخر وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فنيا يتعلق بالسقاية فلما كان العام
 المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء قال لآخيه العباس اسلفني أربعة عشر ألفا ايضا الى العام المقبل أعطيك
 جميع مالك فقال له العباس : بشرط ان لم تمنعني تترك السقاية لي اكنسها قال : نعم فلما جاء العام الآخر
 لم يكن مع أبي طالب ما يعطى العباس فترك له السقاية فصارت اليه ثم من بعده صارت الى عبد الله ولده

ثم الى علي بن عبد الله بن عباس ثم الى داود بن علي ثم الى سليمان بن علي ثم الى عيسى بن علي ثم اخذها المنصور واستقلب عليها مولاه أبا رزين ذكره الاموي .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده

قال ابن اسحاق : وكان عبد المطلب فيا يزعمون نذر حين لقي من قريش مالتى عند جفر زمزم
لئن ولده عشرة فرم بلغوا معه حتى يمتوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة . فلما تكامل بنوه عشرة
وعرف انهم سيمتونه وهم . الحارث . والزبير . وحجل . وضرار . والقوم . وأبو لهب . والعباس .
وحمنة . وأبو طالب . وعبد الله . جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودهام الى الوفاء لله عز وجل بذلك فطاعوه
وقلوا كيف نصنع ؟ قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم اثتوق فضلوا ثم أتوه ، فدخل بهم
على هبل في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكان عند هبل قدح
سبعة وهي الازام التي يتحاكون اليها إذا أعزل عليهم أمر من عقل أو فسد أو امر من الأمور جأوه
فاستقسموا بها فأمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه . والمنصور ان عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقدح عند
هبل خرج القدح على ابنه عبد الله وكان اصغر ولدوا جميعهم اليه ، فآخذ عبد المطلب يد ابنه عبد الله واخذ
الشفرة ثم أقبل به الى اساف وثألة ليذبحه فقامت اليه قريش من انديتها قالوا : ما تريد يا عبد المطلب ؟ قال
اذبحه فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله والله لا نذبحه أبدا حتى تمدر فيه لئن فلت هذا لا يزال الرجل
يحيى . فإنه حتى يذبحه فما بقا الناس على هذا . وذكر بوس بن بكير عن ابن اسحاق ان العباس هو
الذي اجتذب عبد الله من تحت رجل ابيه حين وضعا عليه ليذبحه فيقال انه شج وجهه شجا لم يزل في
وجهه الى أن مات ثم اشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب الى الحجاز فان بها عرافة لها تابع فيسألها
عن ذلك ثم أنت على رأس امرتك ان امرتك بذبحه فاذبحه وان امرتك بأسرته وله فيه مخرج قبلته
فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهي سجاج فيا ذكره بوس بن بكير عن ابن اسحاق بخير
فركبوا حتى جأوها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خيره وخيرا به فقالت لهم ارجعوا غي اليوم حتى
يأتيني تأمى فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم
قد جئاني بالخير ، كم الذية فيكم ؟ قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا
صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه بالقدح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من
الابل حتى يرضى بكم وان خرجت على الابل فامحروها عنه قد رضى بكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى
قدموا مكة فلما اجتمعوا على ذلك الامر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الابل
ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا ثم

يزالوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القدر على عبد الله حتى بلغت الابل مائة . ثم ضربوا فخرج القدر على الابل قالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب . فتمسحها زعموا انه قال لا حتى اضرب عليها بالقدر ثلاث مرات فضربوا ثلاثاً ويقع القدر فيها على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا يمنع . قال ابن هشام ويقال ولا سبع . وقد روى انه لما بلغت الابل مائة خرج على عبد الله أيضاً فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين فخرج القدر على عبد الله فزادوا مائة أخرى فصارت الابل ثلاثمائة . ثم ضربوا فخرج القدر على الابل فنحرها عند ذلك عبد المطلب والصحيح الاول والله أعلم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سأته امرأة أنها نذرت ذبيح ولها عند الكعبة فامرها بذبيح مائة من الابل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت عبد الله بن عرفة بنتها بشي بل توقف . فبلغ ذلك مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال لهما لم يصيبا القتياب ثم امر المرأة أن تفعل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبيح ولها ولم يأمرها بذبيح الابل ، واخذ الناس بقول مروان بذلك والله أعلم .

ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله

من أمينة بنت وهب الزهرية

قال ابن اسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله فمهر به - فها يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي أم قال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة فنظرت إلى وجهه فقالت أين تذهب يا عبد الله ؟ قال مع أبي قالت لك مثل الأبل التي نحرت عنك وقم على الآن . قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة سناً وشرافاً فزوجه ابنته أمينة بنت وهب وهي يومئذ سيدة فها قومها . فزعموا أنه دخل عليها حين أمسكها مكانه فوقع عليها فحملت منه برسول الله ﷺ ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت بالأمس ؟ قالت له فارقك النور الذي كان ملك بالأمس فليس لي بك حاجة . وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصر وأتبع الكتب - أنه كان في هذه الأمة نبي فطعمت أن يكون منها فجعل الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محمد وأطيب أصل كما قال تعالى (أفله أعلم حيث يجعل رسالاه) وستذكر المولد مفصلاً واما قالت أم قال بنت نوفل من الشر تنأصف على ما قلنا من الأمر التي رآته وذلك فها زواه

البيهقي من طريق بونس بن بكير عن محمد بن اسحاق رحمه الله :

عليك بأكل زهرة حيث كانوا وأمنة التي حملت غلاما
تري المهدي حين نزا عليها ونورا قد تقدمه أماما

[إلى أن قالت] :

فكل انطلق يرجوه جيا يسود الناس مهديا إماما
براه الله من نور صفاه فأذهب نوره عنا الظلما
وذلك صنع ربك إذ جاء إذا ماسار يوما أو أقاما
فيهدى أهل مكة بهد كفر ويفرض بعد ذلكم الصياما

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرافلي : حدثنا علي بن حرب حدثنا محمد بن عمارة القرشي
حدثنا مسلم بن خالد الزنجي حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : لما انطلق
عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوج مراه على كاهنه من أهل قبيلة تهودة قد قرأت الكتب ، يقال
لها فاطمة بنت مر الخثمية قرأت نور النبوة في وجه عبد الله قالت يا فتى هل لك أن تنم على الآن
وأعطيك مائة من الابل ؟ قال عبد الله :

أما الحرام قللمت دونه والحلل لا حل فأسقيته
فكيف بالأمر الذي تبنيه يحصى الكريم عرضه ودينه ^(١)

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثا . ثم إن غصه
دعته إلى ما دعت به السكاهنة فأثاما قالت : ما صنعت بيدي ؟ فأخبرها . وقالت والله ما أنا بصاحبة
رية ولكني رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في . وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت
فاطمة تقول :

إني رأيت نجيلة لست فتلألأت بجنانم ^(٢) القطر
فلأثما نورا يضيء له ما حوله كالضياء البدر
ودرجتها خرا أبوه به ما كل قدح زنده يورى
له ما زهرة سلبت ثوبيك ما استلبت وما تدور
وقالت فاطمة أيضا :

بني هاشم قد غادرت من أخيك أمينة إذ لباه يتركلن

(١) زدنا هذه الشطرة من الروض الالف السهيل . وليس في المصرية جميع البيت . ولا ما بعده إلى
قوله : زهرة . (٢) في الاصل بجنانم . وصحاحه من السهيل والحنان السحاب السود كما في القاموس .

كما غادر المصباح عند خروجه قتال قد ميث له بدهان
وما كل ما يحوى الفتى من تلاله بحزم ولا مائه لتوانى
فاجل إذا طالبت أمراؤه سيكتفك جدران يمتلجان
سيكتفك إنما يد مقفلة وإما يد مبسوطة بيتان^(١)
ولما حوت منه أمينة ما حوت حوت منه فخراً ما لذلك لمن

وروى الامام أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة من طريق يعقوب بن محمد الزهرى عن
عبد الميز بن عمران عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس قال
إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فزل على حجر من اليهود قال قال لي رجل من أهل الديور -
بنى أهل الكتاب يا عبد المطلب أتأذن لي أن انظر إلى بضك ؟ قال نعم إذا لم يكن عورة . قال ففتح
إحدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الآخر فقال أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى نبوة
وإنما نجد ذلك في بنى زهرة فكيف ذلك ؟ قلت لا أدري قال هل لك من شاة ؟ قلت وما الشاة ؟ قال
زوجة . قلت أما اليوم فلا قال فإذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن
عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفيّة ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنه بنت وهب فولدت
رسول الله ﷺ قالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة فليج أى قاز وعلب عبد الله على أبيه
عبد المطلب .



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ وذكّر أبلمه وغزواته وسراياه والوفود اليه وشيائه وفضائله ودلائله الدالة عليه ﴾

باب ذكر نسبه الشريف وطيب أصله المنيف

قال الله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ولما سأل هرقل ملك الروم لابي سفيان تلك الاسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال كيف نسبه فيكم؟ قال هو فينا ذو نسب قال كذلك الرسل تبعث في انساب قومها بنى في اكرمها احسابا واكثرها قبيلة صلوات الله عليهم أجمعين .

فهو سيد ولد آدم وفخرم في الدنيا والاخرة . أبو القاسم . وأبو ابراهيم . محمد . واحد . والماحى الذى يعنى به الكفر . والباقي الذى ما بعده نبي . والحاشر الذى يحشر الناس على قدميه . والمحقى . ونهى الرحمة . ونهى التوبة . ونهى الملحمة . وخاتم النبيين . والفاتح . وطه . ويس . وعبد الله .

قال البيهقي : وزاد بعض العلماء قتال سباه الله في القرآن رسولا . نبيا . آمينا . شاهداً . مبشراً . نذيراً ، وداهيا الى الله بلذنه وسراجاً منيراً . ورؤفاً رحيماً . ومذكراً . وجعله رحمة وفضة وهاديا .

وستنورد الاحاديث المروية في اسمائه عليه الصلاة والسلام في باب فقده بعد فراغ السيرة . فانه قد وردت احاديث كثيرة في ذلك احتج بحججها الحفاظان الكبيران أبو بكر البيهقي وأبو القاسم بن عاكر وافرد الناس في ذلك مؤلفات حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم . واما التقي الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شارح الترمذي بكتابه الذى سباه/ الاحوفى فانه ذكر من ذلك أربعة وستين اسماً والله أعلم .

وهو ابن عبد الله وكان اصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذي يحثى الثاني المنفى بمائة من الابل كما تقدم قال الزهرى : وكلت اجل رجال قريش وهو أخو الحارث والزبير وحزمة وضرار وأبي طالب . واسمه عبد مناف . وأبي لهب . واسمه عبد المزي . والمقوم . واسمه عبد الكعبة . وقيل هما اثنان وحبل . واسمه المثيرة والنفذاق وهو كبير الجود . واسمه نوفل . ويقال انه حبل . فهؤلاء اعمامه عليه الصلاة

والسلام . وعامة ست وهن أروى . وبرة . وأميرة . وصفية . وعاتكة . وام حكيم . وهى البيضاء .
 وستكلم على كل منهم فيا بعد ان شاء الله تعالى . كلهم أولاد عبد المطلب . واسمه شبة . يقال لشبة
 كانت فى رأسه . ويقال له شبة الحمد لجوده . وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما لما سر بالمدينة فى
 تجارة الى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خدش بن خنثف بن عدى بن النجار
 انظر رجبى النجارى وكان سيد قومه فاجبته ابنته سلمى فخطبها الى أبيها فزوجها منه واشترط عليه مقامها
 عنده وقيل بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة فلما رجع من الشام بنى بها واخذها معه الى مكة
 فلما خرج فى تجارة أخذها معه وهى حبلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فأتى بزة ووضعت سلمى ولدها
 فسماه شبة فاقام عند اخواله بنى عدى بن النجار سبع سنين ثم جاء معه المطلب بن عبد مناف فاخذه
 خفية من أمه فذهب به الى مكة . فلما رآه الناس ورأوه على الراحة قالوا من هذا منك ؟ فقال عدى
 ثم جاؤا فهتؤ به وجلوا يقولون له عبد المطلب لتلك فطلب عليه وساد فى قريش سيادة عظيمة وذهب
 بشرفهم ورأسهم . فكان جماع أسرهم عليه وكانت اليه السقاية والزكاة بعد المطلب وهو القى جدد
 حفر زمزم بعد ما كانت مطومة من عهد جرم وهو أول من طلى الكعبة بذهب فى أبوابها من تينك
 التزائين التين من ذهب وجدعها فى زمزم مع تلك الاسياف القلبية قال ابن هشام : وعبد المطلب أخو
 أسد وقضه وأبى صفيح وحية وخالصة ورقية والشفاء وضيفة . كلهم أولاد هاشم واسمه عمرو وانما سمي
 هاشما لمسه الثريد مع اللحم قومه فى سقى الحبل كما قال مطرود بن كعب انظر اى فى قصيدته وقيل
 للزهرى والد عبد الله :

عمرو القى هشم الثريد قومه ورجال مكة مستنون عجايف

سنت اليه الرحطان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الاصيلاف

وذلك لانه أول من سن رحلتى الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه . وحكى ابن جرير انه كان ثوام
 أخيه عبد شمس وان هاشما خرج ورجله ملتصقة برأس عبد شمس فاختلعت حتى سال بينهما دم قتال
 الناس بذلك يكون بين أولادها حروب فكانت وقعة بنى النضير مع بنى أمية بن عبد شمس سنة ثلاث
 وعشرين ومائة من الهجرة . وشقيقهم الثالث المطلب وكان المطلب أصغر ولد أبيه وأمه عاتكة بنت مرة
 ابن هلال . ورايسهم نوفل من أم أخرى وهى واقعة بنت عمرو المازنية وكاتوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم
 وصارت اليهم الريسة وكان يقال لهم المبيرون وذلك لانهم أخذوا قومهم قريش الأمان من ملوك
 الأقاليم ليدخلوا فى التجارات الى بلادهم فكان هاشم قد أخذ امانا من ملوك الشام والروم وغسان
 واخذ لهم عبد شمس من النجاشى الأكبر ملك الحبشة ، واخذ لهم نوفل من الاكسرة ، واخذ لهم المطلب
 أمانا من ملوك حير . ولهم يقول الشاعر :

يا أيها الرجل المحول رحله إلا نزلت بأكل عبيد مناف
وكان الى هاشم السقاية والزفاعة بعد أبيه ، واليه والى أخيه المطلب نسب ذوى القربي ، وقد كانوا
شيقة واحداً في حالتي الجاهلية والاسلام لم يهترقوا ، ودخلوا معهم في الشعب ، وانخلف عنهم بنو عبد
شمس ونوفل . ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل
ولا يعرف بنو أب تباينوا في الوفاة مثلهم ، فإن هاشما مات بفزة من أرض الشام ، وعبد شمس
مات بمكة ، ونوفل مات بسلامان من أرض العراق ، ومات المطلب - وكان يقال له القمر لحسنه - برعان
من طريق اليمن . فهؤلاء الاخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب . ولهم
أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد ، وأصل اسمه عبد قصي . قال الناس عبد بن قصي
درج ولا عقب له . قاله الزبير بن بكار وغيره . واخوات ست وهن ، تماضر ، وحبة ، وريطة ، وقلاية ،
وأم الاثمن ، وأم سفيان . كل هؤلاء أولاد عبد مناف ومناف اسم صنم وأصل اسم عبد مناف المنيرة .
وكان قد رأس في زمن والده ، وذهب به الشرف كل مذهب . وهو أخو عبد الدار الذي كان أكبر
ولد أبيه واليه أوصى بالمناصب كما تقدم . وعبد العزى وعبد وبرة ونخضر وأمههم كلهم حتى بنت حليل بن
جش بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وأبوها آخر ملوك خزاعة وولادة البيت منهم ، وكلهم أولاد
قصي واسمه زيد . وانما سمي بذلك لأن أمه تزوجت بعد أبيه بريمية بن حزام بن عذرة فاسفر بها الى
بلاده وابنها صغير فسمى قصيا لذلك . ثم عاد الى مكة وهو كبير ولم يثب قريش وجعها من متفرقات
البلاد ، وأزاح يد خزاعة عن البيت ، واجلام عن مكة ورجع الحق إلى نصابه وصار رئيس قريش على
الاطلاق وكانت اليه الوفاة والسقاية - وهو سنها - والصدانة والحجابة والقواء وداره دار الندوة كما تقدم
بسط ذلك كله - ولهذا قال الشاعر :

قصي ، لعزى كان يدعى بمجماً به جمع الله القبائل من فهر
وهو أخو زهرة كلاهما ابنا كلاب أخى تيم ويقظة أبى عزمم ثلاثهم أبناء مرة أخى هدى
وهصيص وهم أبناء كعب وهو الذي كان يخطب قومه كل جمعة ويشهرهم بميث رسول الله ﷺ وينشد
في ذلك اشعاراً كما قدمنا ، وهو أخو عامر وسامة وخزيمة وسعد والحارث وعوف سببهم أبناء لؤي
أخى تيم الأقدم وهما أبناء غالب أخى الحارث ومحارب ثلاثهم أبناء فهر ، وهو أخو الحارث وكلاهما
ابن مالك . وهو أخو الصلت ويخلد ، وهم بنو النضر الذي اليه جماع قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل
عليه ، وهو أخو مالك ومسلكان وعبد مناة وغيرهم كلهم أولاد كنانة أخى أسد وأسدة والمون أولاد
خزيمة ، وهو أخو هذيل وهما ابنا مدركة - واسمه عمرو وأخو طابخة واسمه عامر وقعة ثلاثهم أبناء الياس

وأخي الياس هو غيلان والد قيس كلها وهما ولدا مضر أخي ديمة . ويقال لما الصريحان من ولد اسماعيل
واخوهما أثمار واباد ثيامنا اربتهم ابناه زرار أخي قضاة - في قول طائفة ممن ذهب الى أن قضاة
حجازية عدنانية - وقد تقدم يانه كلاهما ابنا مد بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء فجميع قبائل عرب الحجاز ينتمون الى هذا النسب
ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى . (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) لم يكن
بلن من بطون قريش الا وارسول الله ﷺ نسب يتصل بهم . وصدق ابن عباس رضى الله عنه فيها
قال وازيد مما قال ، وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهي اليه بالآباء وكثير منهم بالأمهات أيضا
كما ذكره محمد بن اسحاق وغيره في أمهاته وأمهات آبيه وأمهم ما يطول ذكره . وقد حرره ابن
اسحاق رحمه الله والمافظ ابن عساكر وقد ذكرنا في ترجمة عدنان فيه وما قيل فيه وانه من ولد
اسماعيل لا محالة وان اختلف في كم بينهما أباء؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم والله أعلم .
وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان الى آدم وأوردنا قصيدة أبي العباس الناشئة المتضمنة ذلك ،
كل ذلك في أخبار عرب الحجاز وفيه الحمد .

وقد تكلم الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاما مبسوطا جيدا محرراً
نافعاً . وقد ورد حديث في انسابه عليه السلام الى عدنان وهو على المنبر ولكن الله أعلم بصحته كما قال
المافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ - يثددا - حدثنا أبو عيسى
بكار بن احمد بن بكار حدثنا أبو جعفر احمد بن موسى بن سعد - أملاء سنة ست وتسعين ومائتين -
حدثنا أبو جعفر محمد بن ابان القلانسي حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ديمة القدادي حدثنا مالك بن
أنس عن الزهري عن أنس وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . قال : بلغ النبي ﷺ أن
رجالا من كنانة يزعمون أنهم منه وانه منهم قال « اتما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب فيأمننا
بذلك . وإنا ان نتقني من آبائنا ، نحن بنو النضر بن كنانة : قال وخطب النبي ﷺ قال « أنا محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس
فرقين إلا جعلني الله في خيرها فلخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية . وخرجت من
نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى أبي وأمي ، فانا خيركم قسا ، وخيركم أباء وهذا
حديث غريب جدا من حديث مالك . تفرد به القدادي وهو ضعيف . ولكن سند ذكره شواهد من
وجوه آخر . فمن ذلك قوله « خرجت من نكاح لامن سفاح » قال عبد الرزاق أخبرنا ابن عينة عن
جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شيء

من ولادة الجاهلية قال وقال رسول الله ﷺ « إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » وهذا مرسل جيد . وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن يحيى بن أبي بكير عن عبد النصار بن القاسم عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ : « ان الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح » وقد رواه ابن عدى موصولا قال حدثنا أحد بن حفص حدثنا محمد بن أبي عمرو المدني المكي حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال اشهد على أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح . وقال هشيم حدثنا المديني عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني إلا نكاح كنعان الاسلام » وهذا أيضا غريب أوردته المافظ ابن عساكر ثم استنده من حديث أبي هريرة وفي استنده ضعف والله أعلم . وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن عمه الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ : « ولدت من نكاح غير سفاح » ثم أورد ابن عساكر من حديث أبي عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وتبلىك في الساجدين) قال من نبى الى نبى حتى اخرجت نبيا . ورواه عن عطاء . وقال محمد بن سعد أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبي ﷺ خمائة أم فما وجدت فبين سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية . وثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « بشت من خير قرون نبى آدم قرنا قرنا حتى بشت من القرن الذى كنت فيه » وفي صحيح مسلم من حديث الاوزاعي عن شداد أبي عمار عن وائلة بن الاسقع ان رسول الله ﷺ قال : « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بنى اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم » وقال الامام احمد حدثنا أبو فهم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال قال العباس بن عبد المطلب بعض ما يقول الناس « فصد المتير قال : من أنا ؟ » قالوا أنت رسول الله قال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب » ان الله خلق الخلق فجعل في خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعل في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعل في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعل في خيرهم بيتا . فانا خيركم بيتا وخيركم فسا « صلوات الله وسلامه عليه دائما أبدا الى يوم الدين . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب قال قلت لرسول الله ان قريشا اذا التقوا لقي بعضهم بعضا بالباشا ، وإذا قرنا قرنا بوجوه لا نفرقا . . فضرب

رسول الله ﷺ عند ذلك غضبا شديدا ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحكم الله ولسوله» قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فذا كروا أحسابهم فجعلوا ملكا كمثل نخلة في كوة من الارض. قال رسول الله ﷺ: «إن الله يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم، ثم لما فرقهم [قبائل] جعلني في خيرهم قبيلة. ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم فآخبرهم خيرا وخيرهم بيتا».

ورداه أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن فضال عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن ربيعة ابن الحارث قال بلغ النبي ﷺ فذكره بنحو ما تقدم ولم يذكر الباس. وقال يعقوب بن سفيان حدثني يحيى بن عبد الحميد حدثني قيس بن عبد الله عن الأعمش عن عطية بن ربه عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما، فذلك قوله وأصحاب البين وأصحاب الشمال، فاما من أصحاب البين وأنا خير أصحاب البين، ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرهما ثلثا، فذلك قوله وأصحاب المينة والسابقون السابقون فاما من السابقين، وأنا خير السابقين، ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير وأنا أتقى وفد آدم وأكرمهم على الله ولا آخر، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وذلك قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، فاما وأهل بيتي مطهرون من القنوب». وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة. وروى الحاكم والبيهقي من حديث محمد بن ذكوان خال ولد حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال: لما قصود بنيته النبي ﷺ أذمرت به امرأة، فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله ﷺ قال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم مثل الزينة في وسط التن. فاضلقت المرأة فآخبرت النبي ﷺ فخاف رسول الله ﷺ: يرف في وجهه الغضب. قال: «ما بل أقوال تفلتن عن أقوام إن الله خلق السماوات سبعا فاختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق فاختار من انطلق إلى آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم فاما خيار من خيار، فمن أحب العرب فيحبني أحبهم، ومن أبغض العرب فيبغضني أبغضهم» هذا أيضا حديث غريب. وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا آخر» وروى الحاكم والبيهقي أيضا من حديث موسى بن عبيدة حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي أسامة أو أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «قل لي جبريل قلبت الارض من مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد، وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بني هاشم» قل الحافظ البيهقي وهذه الاحاديث وإن كان في روايتها من لا يمتنع به فيعضها يؤكد بضا ومعنى جسيما يرجع إلى حديث واحة بن الاسمع والله أعلم

قلت وفي هذا المعنى يقول أبو طالب يمدح النبي ﷺ :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر
فمن حصلت أشرف عبد منافها
ففي هاشم أشرفها وقديمها
وإن فخرت يوماً قلتم عهداً
تداعت قريش عنها وسمينها
وكننا قديماً لا نقر غلامها
ونحى حاشا كل يوم كربها
بنا أشس المود القواء وإعما
بنا كفافنا تنسدى وتنسى أروما

وقال أبو السكن ذكرى بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور : حدثني عمر بن أبي زحر بن حصين عن جده حميد بن منبه قال قال جدى خريم بن أوس هاجرت إلى رسول الله ﷺ فقيمت عليه منصرفاً من تبوك ، فاست فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك ، قال رسول الله ﷺ قل لا يفيض الله فاك فانتأ يقول :

من قبلها طبت في الظلال وفي
ثم هبطت البلاد لا بشر أذا
بل فففة تركب السفين وقد
تنقل من صلب إلى رحم
حتى احتوى بطنك المهيمن من
وأنت لما ولدت أشرفت ألا
فنعن في ذلك الضياء وفي لا
مستودع حيث ينصف الورق
ت ولا مضنة ولا علق
الجم فسرراً وأهل الفرق
إذا مفعى عالم بدا طبق
خندف طياء تحبها النطق
رض وضامت بدورك الأفق
نور وصيل الرشاد نطق

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي الحسن ابن أبي الحديد أخبرنا محمد بن أبي نصر أنا عبد السلام بن محمد بن أحمد القرشي حدثنا أبو حصين محمد ابن اسماعيل بن محمد التميمي حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد أنما رآني حدثني إسحاق بن إبراهيم بن سنان حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكشوف المدائني حدثنا ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال سألت رسول الله ﷺ قلت فذاك أبي وأمي أين كنت وأدم في الجنة فقال فبسم حتى بدت نواجذه ثم قال : « كنت في صلبه وركب في السفينة في صلب أبي نوح وقذف في في صلب أبي إبراهيم لم يلق أبواي على سفاح قط لم يزل الله يتلقى من الأصاب الحسية إلى الأرحام الطاهرة مفتي مهدي لا ينشب شبثان إلا كنت في خيرهما وقد أخذ الله بنبوة ميتاق ولا سلام مهدي

ونشر في التوراة والأنجيل ذكرى وبين كل نبي صفى قشرق الأرض بتورى والتام بوجس وعلنى
كتابه وزادنى [شرفا] في سمائه وشق لى اسما من أسمائه فذوالرش محمود وأنا محمد واحد ووعدنى أن
يحبونى بلطوس والكوثر وأن يبعثنى أول شافع وأول مشفع ثم أخرجنى من خير قرن لامتى، وم
الحمدون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» قال ابن عباس قال حسان بن ثابت في النبي ﷺ :

قبلها طبت في الظلال وفى مستودع يوم يتخفف الورق
ثم سكنت البلاد لا بشرًا : ت ولا طفلة ولا علق
مطر تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الترق
تنقل من صلب إلى رحم إذا مضى طبق بدا طبق

قال النبي ﷺ : « رحم الله حسان » قال على بن أبى طالب وجبت الجنة لحسان ورب السكبة ثم
قال الحافظ ابن عساكر هذا حديث غريب جداً
قلت : بل منكر جداً والمحفوظ أن هذه الأيات للعباس رضى الله عنه ثم أوردها من حديث أبى
السكن زكريا بن يحيى الطائى كما تقدم
قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلى قاله أهل .

تنبؤيه . قال القاضي عياض - في كتابه الشفاء - وأما أحمد الذى أتى فى الكتاب وبشرت به
الانبيا ففتح الله بحكته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف
القلب أو شك . وكذلك عهد لم يسمى به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده
أن نبياً يبعث اسمه محمد . فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو (والله أعلم
حيث يجعل رسالته) وم : محمد بن أحيعة بن الجلاح الأوسى . ومحمد بن صلة الأنصارى . ومحمد بن
البراء الكندى . ومحمد بن سفيان بن مجاشع . ومحمد بن حمران الجنى . ومحمد بن خزاعى السلى لا سابع
لهم . ويقال إن أول من سمى محمدًا محمد بن سفيان بن مجاشع . والذين يقول بل محمد بن ليحمد من الأزد .
ثم إن الله حتى كل من قسى به أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكل أحداً فى
أمره حتى تحققت الشبهة له ﷺ لم يتازع فيها . هذا لفته .

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين . لا رواه مسلم فى صحيحه من حديث غيلان بن جرير بن
عبد الله بن مبيد الزماني عن أبى قتادة أن أعرابيا قال يا رسول الله ، ما تقول فى صوم يوم الاثنين قال
« ذلك يوم ولدت فيه وأنزل على فيه » . وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن

خالد بن أبي عمران عن حنث الصنعاني عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، واستنبت يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورض الحاجر الأسود يوم الاثنين . تفرد به أحمد ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة وزاد نزلت سورة المائدة يوم الاثنين (اليوم أكلت لكم دينكم) . وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به وزاد أيضاً وكانت وقعة بدر يوم الاثنين . ومن قال هذا يزيد بن حبيب وهذا منكراً جداً . قال ابن عساكر والمخفوظ أن بدأ وتزول (اليوم أكلت لكم دينكم) يوم الجمعة وصديق ابن عساكر . وروى عبد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين . وهكذا روى من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين . وهذا مالا خلاف فيه أنه ولد ﷺ يوم الاثنين . وأبديل خطأ من قال ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول قاله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب أعلام الروي بأعلام الهدى لبعض الشيعة . ثم شرع ابن دحية في تفضيله وهو جدير بالتصنيف إذ هو خلاف النص . ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول قبل قليلين خلتا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ورواه الواقدي عن أبي مشر بن يحيى عن عبد الرحمن المدني . وقيل لثمان خلون منه حكاه الحميدي عن ابن حزم . ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن عمار بن محمد بن جبير بن مطعم وقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الطوارقي ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير في موف البشير النذير وقيل لمشر خلون منه قاله ابن دحية في كتابه ورواه ابن عساكر عن أبي جعفر الباقر ورواه مجاهد عن الشعبي كما مر . وقيل لثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن اسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس أنها قالوا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثامن عشر ^(١) من شهر ربيع الأول وفيه بث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات . وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم . وقيل لسبعة عشر خلت منه كما قاله ابن دحية عن بعض الشيعة . وقيل لثمان بقرين منه قاله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضين منه كما قاله عنه الحميدي وهو أثبت . والقول الثاني أنه ولد في رمضان قاله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جداً وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه في رمضان بإخلاف وذلك على رأس أربعين سنة من عمره فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم . وقد روى خيشمة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد كردوس الواسطي عن الملقى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن الزهري عن هيب الله بن عبد الله عن

(١) بهامش المصرية : قال مؤلفه : كذا رأيته الثامن عشر . وصوابه الثاني عشر

ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين في ربيع الأول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول. وهذا غريب جداً رواه ابن عساکر. قال الزبير بن بكار حملت به أمه في أيام التشريق في شب أبي طالب عند الحجره الوردية. وولد بمكة بدار المروقة بمحمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. ورواه الحافظ ابن عساکر من طريق محمد بن عثمان بن عتبة بن مكرم عن المسيب بن شريك عن شبيب بن شبيب عن أبيه عن جده قال: حل رسول الله ﷺ في يوم عاشوراء في الحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ستة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل. وذكر غيره أن الخيزران وهي أم هارون الرشيد لما حجت امرت بينا هذه الدار مسجداً. فهو يعرف بها اليوم. وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان. وهذا أحصل الزمان والفصول وذلك لستة اثنين وثمانين وثمانمائة لثنتي القرنين فيما ذكر أصحاب التريخ. وزعموا أن الطالع كان لمشرين درجة من الجدى وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من القرب وهي درجة وسط الساء. وكان موافقاً من البروج الحل وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل فله كله ابن حجة والله أعلم.

قال ابن اسحاق: وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل وهذا هو المشهور عن الجمهور. قال ابراهيم بن المنذر الحزامي: وهو القى لا يثلك فيه أحد من عدائنا أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل وبث على رأس أربعين سنة من الفيل. وقد رواه البيهقي من حديث أبي اسحاق السبسي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل وقال محمد بن اسحاق حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن غزوة عن أبيه عن جده قيس بن غزوة قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، كما قد بين. قال وسأل عثمان رضى الله عنه قيات بن اشيم أخا بني يصرين ليث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد. ورأيت خرق الفيل أخضر عجلاً. ورواه الترمذي والحاكم من حديث محمد بن اسحاق به.

قال ابن اسحاق: وكان رسول الله ﷺ عام عكاظ ابن عشرين سنة.

وقال ابن اسحاق: كان الفجار بد الفيل بشرين سنة. وكان بناء الكعبة بد الفجار بخمسة عشر سنة، والمبث بد بناتها بخمس سنين. وقال محمد بن جبير بن مطعم: كانت عكاظ بد الفيل بخمس عشرة سنة، وبناء الكعبة بد عكاظ بشرين سنين، والمبث بد بناتها بخمس عشرة سنة. وروى الحافظ البيهقي من حديث عبيد العزيز بن أبي ثابت المدني حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الحويرث قال سمعت عبيد الملك بن مروان يقول لقيت بن اشيم الكنانى ثم البلى: يا قيات أنت أكبر أم رسول الله

ﷺ قال: رسول الله ﷺ أكبر مني، وأنا اسن . ولد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقت بني أمي على دوث الفيل محبلا أحقه . وتنبأ رسول الله ﷺ على رأس أربعين سنة . وقال يعقوب بن مغيان حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا نعيم بن ابن ميسرة - عن بعضهم عن سويد بن غفلة أنه قال : أنا لدة رسول الله ﷺ . ولدت عام الفيل . قل البيهقي وقدروي عن سويد بن غفلة أنه قال أنا أصغر من رسول الله ﷺ بستين . قال يعقوب وحدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان النوفلي عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم . قل ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، وكانت بدمه عكاظ بخمس عشرة سنة ، وبني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل ، وتنبأ رسول الله ﷺ على رأس أربعين سنة من الفيل .

والقصد أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل على قول الجمهور قبل بدمه بشهر ، وقيل بأربعين يوما ، وقيل بخمسين يوما - وهو أشهر - وعن أبي جعفر الباقر كان قدوم الفيل للنصف من المحرم ، ومولد رسول الله ﷺ بدمه بخمس وخمسين ليلة ، وقال آخرون بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله ﷺ بشهر سنين . قاله ابن أبيزى . وقيل ثلاث وعشرين سنة رواه شيب بن شيب . عن أبيه عن جده كاهدم وقيل بعد الفيل بثلاثين سنة . قاله موسى بن عقبة عن الزهري رحمه الله . واختاره موسى بن عقبة أيضا رحمه الله . وقال أبو زكريا السجلاي : بعد الفيل بأربعين عاما ، رواه ابن عساكر وهذا غريب جدا ، وأغرب منه ما نقل خليفة بن خياط حدثني شيب بن حبان عن عبد الواحد بن أبي عمرو عن السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله ﷺ قبل الفيل بخمس عشرة سنة وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف أيضا ، قال خليفة بن خياط والمجتبع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل .

صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام

قد تقدم أن عبد المطلب لما ذبح تلك الابل المائة عن ولده عبد الله حين كان نذر ذبحه فسله الله تعالى لما كان قدر في الأزل من ظهور النبي الأمي ﷺ خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه ، فذهب كما تدم فزوجه اشرف بقيلة فدقش آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية ، فحين دخل بها وافضى إليها حملت برسول الله ﷺ ، وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجمع آمنة من النور ، فودت أن يكون ذلك متصلا بها لما كانت تسمع من أخبائها من الإشارات بوجود محمد ﷺ ، وإنه قد أوف زماه فرضت نفسها عليه . قال بعضهم ليزوجها وهو أظهر والله أعلم ، فلم تنتع دليها فلما احتفل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقته

أيامها كأنه تندم على ما كانت عرضت عليه . فعرض لها لتأوده . فقالت لا حاجتي إليك وتأسفت على ما قلنا من ذلك وأتخست في ذلك ما قلناه من الشر النصيح البليغ . وهذه الصائبة لعبد الله ليست له وإنما هي لرسول الله ﷺ ، فانه كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقد تقدم الحديث المروي من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »

والمقصود أن أمه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حل في بطن أمه على المشهور . قال محمد ابن سعد حدثنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي . وحدثنا سعيد بن أبي زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي ضمصة . قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في غير من غير أن قریش يحلونه تجارات ، ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله ابن عبد المطلب يومئذ مريض ، قال أتخاف عند أخوالي بني عدى بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فأنهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله قالوا خلفناه عند أخواله بني عدى بن النجار وهو مريض . فبث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث . فوجده قد توفي ودفن في دار النسابة فرجع إلى أبيه فاخبره ، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ورسول الله ﷺ يومئذ حل . ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي : هذا هو أئمت الاقاريل في وفاة عبد الله وسنة عتدنا . قال الواقدي : وحدثني معمر بن الزهري أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمرأ فأت . قال محمد بن سعد وقد أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وعن هواته بن الحكم : قال : توفي عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل سبعة أشهر . وقال محمد بن سعد : والأول أثبت أنه توفي ورسول الله ﷺ حل . وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن حسن عن عبد السلام عن ابن خربوذ . قال : توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله ﷺ ابن شهرين ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جده وهو ابن ثمان سنين ، فأوصى به إلى عمه أبي طالب . والذي رجحه الواقدي وكتابه المحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو جنتين في بطن أمه وهذا أبخ اليم وأعلى مراتبه . وقد تقدم في الحديث « وروايتي التي رأيت حين حل بي كأنه خرج منها نور أضادت له قصور الشام » وقال محمد بن اسحاق فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تبحث أنها أئمت حين حملت برسول الله ﷺ قبل لما إنك قد حملت ببسب هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض قولي : أعينته بلواحد ، من شر كل حاسد ، من كل برعاهد ^(١) وكل عبد رائد ، يذود عني ذائده ، فانه عند الحميد المجد ، حتى أراه قد أتى المشاهد . وآية ذلك أنه يخرج منه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام ، فإذا وقع فسيه محمداً . قل اسمه في التوراة احمد يصحده أهل السماء وأهل

الأرض، واسمه في الإنجيل احمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن محمد. وهذا وذلك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاعت له قصور الشام. ثم لما وضعت رأت عياناً تأويل ذلك كأنه قبل ذلك ما هنا والله أعلم.

وقال محمد بن سعد: أنبأنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري. وقال الواقدي: حدثنا موسى بن عبيدة عن أخيه ومحمد بن كعب القرظي. وحدثني عبد الله ابن جعفر الزهري عن عمه أم بكر بنت المسود عن أبيها. وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المزني وزيد ابن حشر عن أبي وجزة. وحدثنا معمر عن أبي نجيح عن مجاهد. وحدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس: دخل حديث بعضهم في حديث بعض. أن أمنة بنت وهب قالت لقد علقت به - تسمى رسول الله ﷺ - فما وجدت له مثقة حتى وضعت، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع إلى الأرض متمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب قبضتها ورفع رأسه إلى السماء. وقال بعضهم وقع جاثياً على ركبتيه، وخرج معه نور أضاعت له قصور الشام وأسواقها حتى رويت أعناق الأبل يصرى، رافقاً رأسه إلى السماء. وقال الحافظ أبو بكر البجلي أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن اسماعيل أنبأنا محمد بن اسحاق حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ابن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن أبي سويد التقي عن عثمان بن أبي العاص حدثني أمي أنها شهدت ولادة أمنة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولته، قالت فاشئ أنظره في البيت إلا نور وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إنني لأقول ليقمن علي.

وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابله وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سميت قال لا يقول برحمتك الله، وإبه سلط منه نور رؤيت منه قصور الروم. قال محمد بن اسحاق: فلما وضعت بثت إلى عبد المطلب جارية لها وقد هلك أبوه وهي حبل ويقال إن عبد الله هلك والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهراً فله أعلم أي ذلك كان - قالت قد ولد لك غلام فانظر إليه، فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه. فانخذ عبد المطلب فادخله على حبل في جوف الكعبة، فقام عبد المطلب يدعوه ويشكر الله عز وجل ويقول:

الحمد لله الذي أعطاني	هذا التلام الطيب الاردان
قد سادني السهد على النلان	أعينه بالبيت ذى الاركان
حتى يكون بجنة النتيان	حتى أراه بلغ النيان

أعنه من كل ذي شأن من حاسد مضطرب اللسان
 ذي سمّة ليس له عينان حتى أراه رافع اللسان (١)
 أنت الذي سميت في القرآن في كتب ثمانية اللسان

• احمد مكتوب على اللسان •

وقل البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر محمد بن احمد بن حاتم الهراودي (٢) - بمرور -
 حدثنا أبو عبد الله البوشنجي حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبازي حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان
 ابن ربيعة بن زياد بن الحارث الصهافي - بمصر - حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن
 أبيه الباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . قال : ولد رسول الله ﷺ مخنونا مسرورا ، قال فأنجب جده
 عبد المطلب وحظى عنده . وقال : ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن . وهذا الحديث في صحته نظر
 وقد رواه الحافظ ابن عساكر من حديث سفيان بن محمد المصيصي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن
 الحسن عن أنس . قال قال رسول الله ﷺ : من كرامتي على الله أني ولدت مخنونا ولم ير سوائي أحد
 ثم أوردته من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به . ثم أوردته من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو
 الباغدسي - حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسي حدثني خالد بن
 سلمة عن نفع عن ابن عمر . قال : ولد رسول الله ﷺ مسرورا مخنونا . وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد
 محمد بن احمد النضريني حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي حدثنا سليمان بن سلمة الخبازي
 حدثنا يونس بن عطاء حدثنا الحكم بن أبان حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه الباس . قال : ولد
 رسول الله ﷺ مخنونا مسرورا ، فأنجب ذلك جده عبد المطلب وحظى عنده ، وقال ليكونن لابني
 هذا شأن ، فكان له شأن . وقد ادعى بعضهم محته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر
 وفي هذا كاه نظر ، ومعنى مخنونا أي مقطوع الختان ، ومسرورا أي مقطوع السرة من بطن أمه . وقد
 روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عينة البصري حدثنا علي بن محمد المدائني السلي
 حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكر أن جبريل ختن النبي ﷺ حين طهر قلبه
 وهذا غريب جدا . وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشا عليها والله أعلم .
 وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنا أي محمد بن كامل القاضي - شفاها - أن محمد بن اسماعيل
 حدثني - يعني السلي - حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن أبي الحكم التنوخي .
 قال : كان المولود إذا ولد في قريش فدفوه الى نسوة من قريش الى الصبح يكفنان عليه برمة ، فلما ولد

(١) كذا في الاصلين . وفي السهيلي : رافع اللسان : ولعلها : حتى أدى منه رفيع اللسان .

(٢) كذا في المصرية . وفي الحليية : الهراودي وفي المصم در اورد ، ودر برات .

رسول الله ﷺ دفعه عبد المطلب الى نساء فكفان عليه برمة ، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد اغتقت عنه بانهن ووجدنه مفتوح اللينين شاخصاً يصبره الى السماء . فالتعن عبد المطلب قتلن له ما رأينا مولوداً مثله ، وجدناه قد اغتقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحاً عينيه شاخصاً يصبره الى السماء . فقال احفظنه فاني أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يصيب خيراً ، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً فلما أكلوا قالوا يا عبد المطلب أرايت ابنك هذا الذي أكرمنا على وجهه ما سميت به ؟ قال سميت به محمداً ، قالوا فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال أردت أن يحمد الله في السماء وخلقه في الأرض . قال أهل الله : كل جامع لصفات الخير يسمى محمداً كما قال بعضهم :

إليك - أيت الله - أعلمت فلفي الى الماحد القرم الكريم المحمد

وقال بعض العلماء : أهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً لما فيه من الصفات الحميدة ليلتقي الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى ، كما قال عنه أبو طالب ويروي لحسان :

وشق له من اسمه ليحبه قدوة للرش محمود وهذا محمد

وسند ذكر أسماء عليه الصلاة والسلام وشأنه وهي صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة ودلائل نبوته وفضائل منزلته في آخر السيرة إن شاء الله :

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد ابن شيبان الرمي حدثنا أحمد بن إبراهيم الجليل حدثنا الميمون بن جميل حدثنا زهير بن محارب بن ذكر عن عمرو بن بثرى عن العباس بن عبد المطلب قال قلت : يا رسول الله دعاني الى المخول في دينك أمانة لنبوتك ، رأيتك في المهد تنأى القمر وتشير اليه بأصبعك ، فحيث أشرت اليه مال قال : « إني كنت أحده ويحدثني ويظهرني عن البكاء ، واسمع وجهه حين يسجد تحت العرش » . ثم قال فترد به البقي وهو مجهول .

فصل

﴿ فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ﴾

قد ذكرنا في باب هواتف الجان ما تقدم من خروج كثير من الأصنام ليلتذ لوجوها وسقوطها عن أماكنها ، وما رآه النجاشي ملك الحبشة ، وظهور النور منه حتى أضاعت له قصور الشام حين ولد ، وما كان من سقوطه جاثياً رافعاً رأسه الى السماء ، وأطلق تلك البرمة عن وجهه الكريم ، وما شهد من النور في القدر القوي وله فيه ودنو النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السبيل عن تميم بن بن غنم الحافظ أن أليس بن أروع رثت : حين لمن ، وحين أهبط ،

وحين ولد رسول الله ﷺ ، وحين انزلت الفاتحة . قال محمد بن اسحاق : وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت : كان يهودى قد سكن مكة يتجر بها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال في مجلس من قريش : يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم والله ما نلده فقال الله أكبر ، أما اذا أخطأكم فلا بأس أنظروا واحتفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شمرات متواترات كأنهن عرف فرس . لا يرضع ليلتين وذلك أن عفرتنا من اللبن ادخل أصبه في فيه فنته الرضاع تصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم فقالوا هل معكم حديث اليهودى وهل بطنكم مولد هذا الغلام ؟ فاضطجوا حتى جاءوا اليهودى فآخبروه الخبر . قال فذهبوا معي حتى أنظر اليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على أمته فقالوا اخرجي الينا ابنك فآخرجته وكشفوا له عن ظهره . فرأى تلك الشامة . فوقع اليهودى منشيا عليه . فلما ألقوا له ملكا ويك ؟ قال قد ذهبت والله النبوة من نبي اسرائيل ، فرحم بها يامعشر قريش . والله ليطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني صالح بن ابراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زراراة قال حدثني من شئت من رجال قوى ممن لا أنهم عن حسان بن ثابت . قال : إني لنسلم بضعة ابن سبع سنين . أو ثمان سنين . أعتل ما رأيت وسمعت اذا يهودى في يثرب يصرخ ذات غداة يامعشر يهود فاجئوا اليه . وأنا أسمع . فقالوا ويك مالك ؟ قال قد طلع نجم احد النجوم في هذه الليلة . وروى الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي بكر بن عبد الله الصامري عن سليمان بن سحيم وذريح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت أبي مالك بن سنان يقول جئت نبي عبد الاشهل يوما لا نحدث فيه ونحن يومئذ في هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أنظر خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفته بن ثعلبة الأشهل - كالمستهزئ - به ما صفته ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عنيه حمرة وليس الشملة ويركب الحمار . سيفه حل عاتقه وهذا البلد مهاجرة . قال فرجعت الى قومي بنى خندرة وأنا يومئذ أتجيب عما يقول يوشع فسمع رجلا منا يقول ويوشع يقول هذا وحده ؟ كل يهود يثرب يقولون هذا . قال أبي مالك بن سنان فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأجدهم جميعا فآخذوا النبي ﷺ . فقال الزبير بن بطة : قد طلع الكوكب الاحمر الذي لم يطالع إلا لخروج نبي أو ظهوره ولم يبق أحد إلا احمد وهذا مهاجرة . قال أبو سعيد فلما قدم النبي ﷺ أخبره أبي هذا الخبر فقال رسول الله ﷺ : «لأؤسلم الزبير لا لمؤفوه من رؤساء اليهود فإنا م له تبع » وقال أبو نعيم : حدثنا عمر بن محمد حدثنا ابراهيم بن السندى حدثنا النضر بن سلمة حدثنا

إساعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع ^(١) سمعت زيد بن ثابت يقول : كان أجداد يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي ﷺ فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لا نبي بعده . واسمه أحمد ومهاجرة إلى يثرب فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا . وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه من طرق أخرى وفيه الحمد .
وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان : حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد بن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد ، قال قال زيد بن عمرو ابن ذيل قال لي جبر من أجداد الشام : قد خرج في بلدك نبي - أو هو خارج - قد خرج فجهه فارجع فصدقه واتبعه .

ذكر ارتجاس الأيوان

﴿ وسقوط الشرفات وخمود النيران ورؤيا الموبدان وغير ذلك من الدلالات ﴾

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجان : حدثنا علي بن حرب حدثنا أبو أيوب يمل بن عمران - من آل جرير بن عبد الله البجلي - حدثني غزوم بن هاني المخزومي عن أبيه . وأنت عليه خمسون ومائة سنة - قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نور طرس ، ولم يحد قبل ذلك بلف عام ، وغضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان إبلا صاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة واقشرت في بلادهم ، فلما أصبح كسرى أنزعه ذلك فخصبر عليه تشجاً ، ثم رأى أنه لا يندر ذلك من مرأته فجمعهم وليس تأجبه وجلس على سريره . ثم بث إليهم فلما اجتمعوا عنده . قال : أندرون فيم بثت إليكم قالوا لا إلا أن يضرنا الملك ، فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خود النيران فزاد عما إلى غه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله ، فقال الموبدان وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الليل ، فقال أي شيء يكون هذا يا موبدان ؟ قال حدث يكون في ناحية العرب - وكان أغلبهم من أعظمهم - فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ، أما بعد فوجه إلى رجل عالم بما أريد أن أسأله عنه ، فوجه إليه ببد المسيح بن عمرو بن حبان بن فيلة الضاسي ، فلما ورد عليه قل له : أنك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ فقال لتخبرني أو ليسألك عما أحب ، فان كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن أعلم . فأخبره بالذي وجه به إليه فيه . قل علم ذلك عند خال لي يكن مشارف الشام يقال له سطيج ، قل فائمه فأسأله عما سألتك عنه ثم اثني بضميره . فخرج عبد المسيح

(١) في المصرية : عن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت . بدل عن أم سعد الخ .

حتى انتهى إلى سطيح وقد أنشئ على الضريح . فلم عليه وكفه فلم يرد إليه سطيح جواباً فأنشأ يقول :

أصم أم يسع غطريف البين أم قاد قلز لم به شأو العنن
يا فصل الخلة أعبت من ومن أنك شيخ الحى من آل سنن
وأمة من آل ذئب بن حجن أزرق نهم الناب صرار الاذن
أيض فضفاض الرداء والبدن رسول قيل العجم يسرى للوسن
يجوب في الارض علندة شزن لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
ترفضي وجنا وتهوى في وجن حتى آتى عارى الجأحى والقطن
تلفه في الريح بوغاه الدمن كأنما حشحتن حشفي نكن^(١)

قال فلما سمع سطيح شره رفع رأسه يقول : عبد المسيح ، على جبل مشيح ، أنى سطيح ، وقد
أوفى على الضريح ، بئك ملك بنى ساسان ، لا تقياس الايوان ، وخود الثيران ، ورؤيا الموبدان ،
رأى إبلا صاباً ، تمود خيلا عرباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها ، يا عبد المسيح إذا كثرت
التلاوة ، وظهر صاحب المراوة ، وقاض وادى السباوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخدت فار فارس ،
فليس الشام لسطيح شاماً . يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرقت وكلا هوأت آت . ثم قضى
سطيح مكانه فهض عبد المسيح إلى راحته وهو يقول :

شمر فانك ماضى الزم شمير لا يزعرك تقريق وتغير
إن يحس ملك بنى ساسان أفرطهم فلن ذا الدهر أطوار دهارير
فرجما ربما أنصخوا بمنزلة يخاف صولهم الاسد المهاير
منهم أخوالصرح بهرام وإخوته والمزمزات وسابور وسابور
والناس أولاد عللات فن علوا أن قد أقل فحقور ومهجور
وردب قوم لهم محبان ذى اذن بدت تلهمهم فيه الزامير
وم هو الام إما إن رأوا نشباً فذاك بالتيب محفوظ ومنصور
وانظير والشر مقرونان في قرن فانظير متيج والشر مخذور

قال فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخيره بما قال لسطيح ، قال كسرى إلى أن يملك منا أربعة
عشر ملكاً كانت أمود وأمور ، فلك منهم عشرة في أربع سنين ، وملك بالقون إلى خلافة عثمان رضى
الله عنه . ورواه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن علي بن حرب الموصلى بنحوه .

(١) راجعنا كثيراً من مظان هذه القصة فوجدنا فيها اختلافاً كبيراً بزيادة ونقص وقد اعتمدنا في

قلت : كان آخر ملوكهم - الذى سلب منه الملك بزجر بن شهرد بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان وهو الذى انشق الايران فى زمانه . وكان لأسلافه فى الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم خيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح ^(١) .

أما - طليح هذا قتال الحافظ ابن عساكر فى تاريخه هو الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ابن عدى بن مازن بن الازد . ويقال الربيع بن مسعود واهه ردعا بنت سعد بن الحارث الجعورى وذكر غير ذلك فيه . قال وكان يسكن الجابية ثم روى عن أبى حاتم السجستاني قال سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا وكان من بعده قتيبان بن عاد . ولد فى زمن سيل العرم وحاش إلى ملك ذى نواس وذلك نحو من ثلاثين قرناً وكل من سكنه البحرين وزعت عبد القيس أنه منهم وتزعم الازد أنه منهم وأكثر المحدثين يقولون هو من الازد ولا يدرى من هو غير أن ولده يقولون إنه من الازد . وروى عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شئ من بنى آدم يشبه طليحاً إنما كان لحما على وضغ ليس فيه عظم ولا عصب إلا فى رأسه وعينه وكفيه وكان يطوى الثوب كما يطوى الثوب من رجله إلى عقه . ولم يكن فيه شئ يتحرك إلا لسانه . وقال غيره إنه كان إذا غضب امتنع وجلس . ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصي فالتحنوه فى أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عما يكون فى آخر الزمان . قال خذوا منى ومن الهام الله إليى : أشم الآن يامشعر العرب فى زمان المهرم سواء بصائرهم وبصائر المعجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشئ من هبكم ذووفهم ، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويتبعون الردم ، ويقتلون المعجم ، يطلبون النعم . ثم قال والباقي الابد ، والبالغ الاملد ليخرجن من ذا البلد ، نبى مهتد ، يهتدى إلى الرشدة ، يرفض يثوث والفند ، يبرأ عن عبادة الضدد ، يعبد رباً آخر ، ثم يتوكل الله بخير دار مجودا ، من الأرض مقوداً ، وفى السماء مشهوداً ، ثم على أمره الصديق إذا قضى صدق ، وفى رد الحقوق لا خرق ولا تزق ، ثم على أمره الخفيف ، محرب غطريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بنى أمية ثم بنى العباس . وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله . وقد قدمنا قوله لبيعة بن نصر ملك النعمين حين أخبره برؤيله قبل أن يخبره بها ثم ما يكون فى بلاد النعمين من الفتن وتغيير الدول حتى يعود إلى سيف بن ذى يزن فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قل بل ينقطع . قال ومن ينقطع ؟ قل بنى ذكى يأتيه الوحى من قبل الله قل ومن هذا النبي ؟ قال من ولد غالب بن فهر بن ملك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر قل وهل للدهر من آخر ؟ قال نعم ، يوم يجمع فيه الألوان والآخرون ، يمد فيه الحسنون ويشقى فيه المسيئون . قل أحق ما تخبرنى ؟

(١) من هنا إلى قوله وقال أبو نعيم فى صفحة ٢٧٢ مكتوب بمحاشية الحلبي لم يرد فى المصرية .

قال فم والشق والنسق واقهر إذا نسق إن ما أنباتك عليه لحق . وواقه على ذلك شق سوا بسوا .
بشارة أخرى كاجتم . ومن شر سطيح قوله :

عليكم بقوى الله في السر والجهر ولا تلبسوا صدق الامامة بالقد
وكونوا لجار الجنب حصناً وجنة إذا ما عرته النسابات من القهر

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ثم أورد ذلك الماقي بن زكريا الجبري قال : وأخبار سطيح
كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم . والمشهور أنه كان كاهناً وقد أخبر عن النبي ﷺ وعن فتنه
ومبعثه . وروى لنا بإسناد الله به أعلم أن النبي ﷺ سئل عن سطيح فقال : « نهى ضيه قومه » .

قلت : أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الاسلام المعهودة ولم أره بإسناد أصلاً .
وبروى مثله في خبر خالد بن سنان البسي ولا يصح أيضاً وظاهر هذه البارات تدل على علم جيد
لسطح وفيها روح التصديق لكانه لم يدرك الاسلام كما قال الجبري . فانه قد ذكرنا في هذا الاثر أنه
قال لابن أخته : يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب المراءاة ، وقاض وادي السواة
وغاضت بحيرة ساوة ، وخدت نار قوس ، فليس الشام لسطح شاماً بمك منهم ملوك وملكات ، على
عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وكان ذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بشهر -
أو شية - أي أقل منه - وكانت وقته بالمراف الشام مما على أرض العراق فانه أعلم بأمره وما صار اليه .
وذكر ابن طرار الجبري ^(١) أنه عاش سبعة سنين . وقال غيره خمسة سنين ، وقيل ثلاثمائة سنة فانه أعلم .
وقد روى ابن عساكر أن ملكاً سأل سطيحاً عن نسب غلام اختلف فيه فأخبره على الجلية في كلام
طويل مليح فصيح . فقال له الملك بسطيح ألا تخبرني عن عليك هذا ؟ فقال إن علي هذا ليس مني
ولا يجزم ولا بطن ولكن أخنثة عن أخ لي قد سمع الوحي بطور سيناء . فقال له أرايت أخاك هذا الحق
أهو ملك لا يفارقك ، قال انه ليزول حيث أزل ، ولا أطلق إلا بما يقول . وتقدم أنه ولد هو وشق بن
مصعب بن يشكر بن رهم بن بسر بن ثعبة الكاهن الآخر ولدا في يوم واحد ، فخلا إلى الكاهنة طريفة
فت الحنين الحبيدة فضلت في أفواهما فوراً منها الكاهنة وماتت من يومها . وكان نصف إنسان ويقال
إن خالد بن عبد الله القسري من سلاك ، وقد ملت شق قبل سطيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن غيلة النسائي النصراني فكان من المسيحيين وقد
ترجمه الحافظ ابن عساكر في ترجمته وقال هو الذي صالح خالد بن الوليد على ^(٢) . . . وذكر له معه قصة
طريفة وأنه أكل من يده سم ساعة فلم يصبه سوء لانه لما أخذه قال : بسم الله وبالله رب الارض والسماء
الذي لا يضر مع اسمه شيء . ثم أكل فله غشيب فغضب بيديه على صدره ثم عرق وأبق رضى الله عنه

(١) هكذا بلاسل وله الماقي بن زكريا الجبري (٢) كذا في الاصل يياض

وذكر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم (١)

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا المسيب بن شريك حدثنا محمد بن شريك عن شبيب بن شبيب عن أبيه عن جده . قال: كان يمر الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصام من أهل الشام وكان متخفراً بالعباس بن وائل وكان الله قد آتاه علماً كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب وورق وعلم . وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس ويقول إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يأهل مكة يدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه ومن أدركه وأتبعه أصاب حاجته ومن أدركه تخلفه خطأ حاجته وبقي ما تركت أرض الحر والخير والأمن ولا حلت بل أرض الجوع والبؤس والطوف إلا في طلبه وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول ما جاء به . فيقال له فضمه فيقول لا . ويحكم ذلك الذي قد علم أنه لاق من قومه مخافة على نفسه أن يكون ذلك داعية إلى ادعى ما يكون إليه من الأدنى يوماً . ولما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبدالله بن عبدالمطلب حتى أتى عيصاً فوقف في أصل صومعته ثم نادى يا عيصاه . فتداه من هذا ؟ فقال أنا عبد الله فأشرف عليه فقال كن البهقد ولد المولود الذي كنت أحتكم عنه يوم الاثنين ويستم يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال قته قد ولد لي مع الصبح مولود . قال فاستميت ؟ قال محمداً قال والله قد كنت أشتكى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت ثلاث خصال ففره بها منها أن نجيه ظلم البارحة وأنه ولد اليوم وإن اسمه محمد . انطلق إليه قال الذي كنت أشتكم عنه ابنيك . قال فإ يدريك أنه ابني ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره ؟ قال قد وافق ابنيك الاسم ولم يكن الله يشبهه علمه على اللقاء فانه حجة . وآية ذلك أنه الآن وجع فيشتكي أياماً ثلاثة ، فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يشفى . فاحفظ لسانيك فانه لم يصد أحد حسده قط ولم يبع على أحد كما يبنى عليه . إن تش حتى يبدو مقاله ثم يدعو لظهورك من قومك ما لا تحمله إلا على صبر وعلى ذل فاحفظ لسانيك ودارهته قل فإ عمره ؟ قال إن طال عمره وإن قصر لم يبلغ السبعين ، يموت في وتردونها من الستين في إحدى وستين أو ثلاث وستين في أعمار جل استه . قال وحمل برسول الله ﷺ في عاشر المحرم . وولد يوم الاثنين لتنتي عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل هكذا رواه أبو نعيم وفيه غرابة .

ذكر حواضنه ومراضه عليه الصلاة والسلام

كانت أم أيمن واسمها بركة تحضنه ، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من أبيه فلما كبر اعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهم . وارضضته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاه عمه أبي لهب ثوية قبل حليمة السديية . أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

(١) إلى هنا آخر الحاشية التي بالملية .

الزهري عن عروة بن الزبير عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة بنت أبي سفيان . قالت : يا رسول الله انكج اختي بنت أبي سفيان وسلم عزة بنت أبي سفيان . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو تحبين ذلك ؟ » قلت نعم . قلت لك بمحبة ، وأحب من شاركني في خير اختي . قال النبي صلى الله عليه وسلم « فإن ذلك لا يصل لي » . قالت فانا نحدث انك تريدان تنكح بنت أبي سلمة . وفي رواية : عزة بنت أبي سلمة قال « بنت أم سلمة ؟ » قلت نعم قال « انها لو لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي . انها لابنة أخي من الرضاة . ارضعتي واباسلمة ثوية . فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن » زاد البخاري قال عروة . وثوية مولاة لابي لب اعتمها فارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقامت ابو لب اريه بض أهله بشر خيبة . قال لماذا قيت ؟ قال ابو لب لم ألق بعدكم خيراً غير أتي سقيت في هذه بقاتي ثوية . وأشار الى الفترة التي بين الابهام والتي عليها من الاصابع .

وذكر السهيلي وغيره : ان الرائي له هو اخوه العباس . وكان ذلك بدسنة من وفاة ابي لب بدوقة يدور . وفيه ان ابلب قال ل عباس انه ليخف علي في مثل يوم الاثنين . فوالله لا بشرته ثوية بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أحضها من ساعته فجوزي بذلك لتلك .

ذكر رضاعه عليه الصلاة والسلام

من حليمة بنت أبي ذؤيب السدسية وما ظهر عليه من البركة وأبكت النبوة

قال محمد بن اسحاق : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليمة بنت أبي ذؤيب ، واسمها عبد الله ابن الحارث بن شعبة بن جابر بن رزام بن عامرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصة بن قيس عيلان بن مضر (١) قال واسم أبي رسول الله ﷺ الذي أرضعه - يعني زوج حليمة الحثاح بن عبد البر بن رظعة بن ملان بن عامرة بن سعد بن بكر بن هوازن . وأخوته عليه الصلاة والسلام - يعني من الرضاة - عبد الله بن الحارث وأنيصة بنت الحارث وحذافة بنت الحارث وهي الشيباء وذكروا انها كانت ترضع رسول الله ﷺ مع امه اذ كان عندهم .

قال ابن اسحاق : حدثني جهم بن أبي جهم مولى لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب ، ويقال له مولى الحارث بن حاطب . قال حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال حدثني عن حليمة بنت الحارث انها قالت اقممت مكة في فسرة (وذكر الواقدي بسنده انهن كن عشرة فسرة من بني سعد بن بكر يمتسن بها الرضاة) من بني سعد خمس بها أرضاء في سنة شياء قدمت

(١) والتي في ابن هشام : ابن عامرة بن قصبة بن نصر بن سعد بن بكر الخ وفي السهيلي قصبة بالقاف تصغير قصاة . وهي النواة . ووقع في جيم فسح ابن هشام قصبة بالقاف .

على أنى لى قراء كانت أذمت بلرك^(١) ومضى صبي لنا وشارف لنا والله ما بقى بقطرة . وما تلام
 ليلتنا ذك أجمع^(٢) مع صينا ذاك ما نجد فى ندى ما ينه ولا فى شارفنا ما ينه . ولكنا كنا نرجو
 النيث والفرج . فخرجت على أنى تلك فقد أذمت بلرك حتى شق ذك عليهم ضغاً وبعماً . فقدمنا
 مكة فوالله ما طعت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأله إذا قيل إله يتم تركه .
 قلنا ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ إنما نرجو المروف من أبى الولد فلما أمه فإذا عسى أن تصنع إلينا ،
 فوالله ما نرى من صواحى امرأة إلا أخذت رضيعاً غريباً . فلما لم نجد غيره وأجسنا الاطلاق قلت
 لزوجى الحارث بن عبد المزى والله إني لأكره أن أروح من بين صواحى ليس مى رضيع .
 لا فطعن لى ذلك اليتيم فلا خنفه . قال لا عليك أن تخلص نفسى أن يجعل الله لى فيه بركة . فذهبت
 فآخذته فوالله ما أخذته إلا أنى لم أجده غيره ، فها هو إلا أن أخذته فجئت به رحلى فأقبل عليه شديداً بما
 شاء من لبن . فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى . وقام صاحبه إلى شارفنا تلك فلما إليها
 لحافل ، غلب ما شرب وشربت حتى رويتا . فبقينا بخير لى . قال صاحبه حين أصبحنا بحليمة والله
 إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة . ألم ترى ما بقا به اليلة من الخير والبركة حين أخذته . فلم يزل الله
 عز وجل يزيدنا خيراً . ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله قطعت أنى بلرك حتى ما يتعلق بها حمار
 حتى أن صواحى ليقن ويك ما يفت أبى ذؤيب هذه آفاك التى خرجت عليها معنا ؟ فقول نعم والله إنها
 لى قتل والله إن لما لشأنا . حتى قدمنا أرض بنى سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها فإن
 كانت غنى لتسرح ثم تروح شباعاً لبنا فخطب ما شئنا وما حوالياً أو حولنا أحد تبغى له شاة بقطرة
 لبن وإن أغنامهم لتروح جيلعاً حتى إنهم ليقولون لعالمهم - أو لرعابهم - ويحكم أظفروا حيث تسرح
 غنم بنت أبى ذؤيب فسرخوا معهم . فيسرحون مع غنى حيث تسرح فتروح أغنامهم جيلعاً ما فيها بقطرة
 لبن . وتروح أغناى شباعاً لبناً فخطب ما شئنا . فلم يزل الله يرينا البركة تصرفها حتى بلغ ستين فكان يشب
 شباعاً لا تشبه النملان . فوالله ما بلغ الستين حتى كان غلاماً جباراً^(٣) قدمنا به على أمه ونحن أضن شىء به
 مما رأينا فيه من البركة . فلما رآه أمه قلت لما دعيتا نرجع بإبنا هذه السنة الأخرى قائما نحشى عليه وبه
 مكة . فوالله ما زلنا بها حتى قالت نعم . فسرحه معنا فأقنا به شهرين أو ثلاثة . فبينما هو خلف بيوتنا مع
 أخ له من الرضاعة فى بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد فقال ذاك أخى القرشى جاءه رجلان عليها ثياب بيض
 فاضجاده فشتا بطنه . فخرجت أنا وأبوه فتشد نحوه فتجده قائماً . ففعلنا لونه . فاعتقه أبوه وقال يا بنى

(١) أى جاءت بما تدم عليه . أو يكون من قولهم بخرضة أى قليلة الماء . وروى حتى أذمت أى
 حبسهم وكأنهم من الماء الدائم (٢) القى فى ابن هشام : وما تلام ليلتنا أجمع من صينا التى معنا من
 بكاه من الجوع . (٣) استجبر الصبي إذا قوى على الأكل .

ما شئت ؟ قال جادى وجلان عليها ثياب يرض أضجاعتى وثبتا جلى ثم استخر جادى منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجنا به معنا . قال أبوه بالحيلة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فاضلنى بنا زرده إلى أهل قبل أن يظهر به ما تخوف . قالت حليمة فاحملناه فلم ترع أمه إلا به . قدمتا به عليها فقالت ما رد كما به يا غلتر صد كنتما عليه حريصين ؟ فقال لا والله إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا التى علينا وقتلنا نفسى الامتلاف والاحداث زرده إلى أهل . فقالت ماذا بك فصدقتى شائكا ؟ فلم تدعنا حتى أخبرنا ما خبره ، فقالت أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل . والله إنه لكائن لابنى هذا شأن ألا أخبرك ما خبره ؟ قلنا لا . قالت حلت به فما حلت حلا قط أخف منه غلرت فى النوم حين حلت به كأنه خرج منى نور أضاعت له قصور الشام ثم وقع حين ولدت وقوعا ما يقفه المولود ، مضت على يديه رافعا رأسه إلى السماء ، فدعا عنك . وهذا الحديث قد روى من طرق أخر وهو من الاحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازى .

وقال الواقدي: حدثني معاذ بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال خرجت حلية تطلب النبي ﷺ وقد وجلت بهم قيل فوجدته مع أخته فقالت في هذا الحر؟ فقالت أخته يا أمه ما وجد أخني حراً. رأيت غمامة تظلل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع .

وقال ابن اسحاق: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا له: أخبرنا عن نفسك. قال: «فعم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام، ورات أُمي حنين حلت بي أنه خرج منها نور أضاعت له قصور الشام، واسترضت في بني سعد بن بكر فبينما أنا في بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض مسمها طست من ذهب مملوء ثلجا فاضبعاني فشقاني فم استخرجا قلبي فشقاه فخرج منه عقة سوداء فلقياها ثم غللا قلبي وبطنك الثلج، حتى إذا القياه ردا كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بشرة من أمة فوزني بشرة فوزتهم، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزني بمائة فوزتهم. ثم قال زنه بلف من أمة فوزني بلف فوزتهم، فقال دعه عنك فلو وزته بلمته لوزتهم.» وهذا استاد جيد قوي.

وقد روى أبو نعيم المافظ في الدلائل من طريق عمر بن الصباح وهو أبو نعيم عن نوري بن يزيد عن مكحول عن شداد بن أوس هذه القصة مطولة جداً ولكن عمر بن صباح هذا متروك كذاب متهم بالوضع . فلما لم تذكر لفظ الحديث اذ لا يرحب به ثم قال : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن خير حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقة بن الوليد عن بجر بن سعيد عن خالد بن مطان عن عبد الرحمن ابن عمرو السلمي عن حبة بن عبد الله أنه حدثه أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : « كانت حاضتي من نبي سعد بن بكر فاطلقت أنا وابن لهما في بهم لنا ولم نأخذ

مسازاداً قتلت يا أخى اذهب فالتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخى ومكثت عند الهم فقبل طائران
 أبيضان كأنهما نسران ، قال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال نعم اتقبلا يتدرا في فاخذاني فبطلاني لقنا
 ففقا بطلى ثم استخرجا قلى ففقا . فلخرجا منه علقين سوداوين ، قال أحدهما لصاحبه اتقني بماء ففج
 فضلا به جوفى ثم قال اتقني بماء برد فضلا به قلى ثم قال اتقني بالسكينة ففقا في قلى ثم قال أحدهما
 لصاحبه خطه فخطاه وختم على قلى بخاتم النبوة ، قال أحدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته
 في كفة ، فلذا أنا أنظر الى الألف فوق اشفق أن يخر على بضيم . قال لو أن أمته وزنت به لال بهم ثم
 انطلقا فتركا في وفرفت فرقا شديداً ، ثم اضلقت الى أمى فلخر برتها بالقى ففقت ففقت أن يكون قد
 لبس بي قتالت أميكنك بالله . فرحلت مبرأ لها وعلقت على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا الى أمى ،
 قتالت أدبت أمانتي وذمتي وحدتها بالقى ففقت فلم يرهما . وقالت إلى رأيت خرج مني نور أضاعت
 منه قصور الشام ، ورواه أحمد من حديث بقة بن الوليد به . وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره
 عن بقة بن الوليد به . وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا جعفر بن عبد الله بن
 عثمان القرشي أخبرني عيسى بن عمر بن عروة بن الزبير . قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر
 الضاري قال قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي حين علمت ذلك واستيقنت أنك نبي ؟ قال : يا أبا
 ذر أتاني ملكان وأنا يمض بطعام مكة فوقع أحدهما على الأرض ، وكان الآخر بين السماء والأرض
 قال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال هو هو . قال زنه برجل فوزني برجل فرجته ، وذكر ثامه ، وذكر
 شق صدره وخياطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال « فاهو الآن وليا عني فكانما أمين الأمر مائة »
 ثم أورد ابن عساكر عن أبي بن كعب بنحو ذلك . ومن حديث شداد بن أوس باسط من ذلك . وثبت
 في صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل
 عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فلخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علة
 سوداء قال هذا حظ الشيطان ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه
 وجاء الغلمان يسعون الى أمه . يسئ ظنهم . قالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال
 أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره . وقد رواه ابن عساكر من طريق ابن وهب عن عمرو
 ابن الحارث عن عبيد بن زياد عن ثابت بن النخعي عن أنس أن الصلاة فرضت بالدينة ، وأن ملكين
 أتيا رسول الله ﷺ فذهبا به الى زمزم فنقا بطنه فلخرجا حشوة في طست من ذهب فضلاه بماء زمزم
 ثم لبسا جوفه حكمة وعلما . ومن طريق ابن وهب أيضا عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه
 عن عبد الرحمن بن عاصم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس قال : أتى رسول الله ﷺ ثلاث ليال قال
 خذوا خيرهم ومسيديم ، فخذوا رسول الله ﷺ فصد به إلى زمزم فشق جوفه ثم أمى جود من ذهب ففصل

جوفه ثم ملئ حكة وإعانة . ونعت من رواية سليمان بن الخيرة عن ثابت عن أنس . وفي الصحيحين من طريق شريك بن أبي نمر عن أنس وعن الزهري عن أنس عن أبي ذر وقاحة عن أنس وعن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ في حديث الاسراء كما سيأتي قصة شرح الصدر ليتخذ وإياه غسل بماء زمزم ، ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين مرة وهو صغير ومرة ليله الاسراء ليتأهب للوفود إلى الملاء الأعلى وللمناجاة الرب عز وجل والمنول بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « أنا أهربكم ، أنا قرشي واسترحت في بني سعد بن بكر » وذكر ابن اسحاق : أن حليمة لما أُرِجت إلى أمه بعد قطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فلبوه وقالوا : إن استذهب بهذا الظلام إلى ملكتنا فكلنا له شأن فلم تكذب تنفلت منهم إلا بعد جهد . وذكر أنها لما ردت حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض ، فلما قربت من مكة افتتدته فلم يجده فقامت جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة في طلبه ، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش قاتياً به جده ، فأخذته على عاتقه وذهب فطاف به يورده ويدهو له ثم رده إلى أمه آمنة . وذكر الأُموي من طريق عثمان بن عبد الرحمن الواسطي . وهو ضعيف . عن الزهري عن سعيد بن المسيب قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حليمة على غير سياق محمد بن اسحاق . وذكر أن عبد المطلب أمر ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء الرب ليتخذ له مرضعة فطاف حتى استأجر حليمة على رضاعه وذكر أنه أقام عندها ست سنين تربيته جده في كل عام فلما كان من شق صدره عندهم ما كان رده إليهم فأقام هندا أمه حتى كان عمره ثمان سنين ماتت فكفله جده عبد المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فكفله عمه شقيقاً أبيه الزبير وأبو طالب ، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آيأت في تلك السفرة منها أن غلاماً من الابل كان قد قطع بعض الطريق في وادٍ محرم عليه فلما رأى رسول الله ﷺ بكى حتى حلك بكل كلكه الأرض فركبه عليه الصلاة والسلام . ومنها أنه خاض بهم سيلاً مرماً فأبى الله تعالى حتى جاوزوه ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فأنفرد به أبو طالب .

والقصد أن بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ثم حادت على هوازن بكالم فواضله حين أسرم بسد وقصمهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فتوا إليه برضاعه فاعتصمهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم كما سيأتي مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن اسحاق : في وقته هوازن عن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده . قل : كنا مع رسول الله ﷺ بمنين فلما أصلب من أموالهم وسبيائهم أدركه وفد هوازن بالجرأة وقد أسدوا ، فقالوا يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابتنا من البلاد ما لم يخف عليك ، فامنن علينا من الله عليك . وقام

خطيبهم زهير بن سرد قال : يا رسول الله إن ما في المخاض من السبايا خالاتك وحواضتك اللاتي كن
يكفلنك ، فلو أنا ملننا (١) ابن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك
رجونا عافتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

أمن علينا رسول الله في كرم	فالك المرء ترجوه وتخر
أمن على يضة قد عاقها قدر	ممزق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن	على قلوبهم النقاء والنمر
لن لم تداركها فناء تشهرها	يا أرجع الناس حلماً حين يخبر
أمن على نسوة قد كنت ترضها	إذ فوك بملؤه من محضها در
أمن على نسوة قد كنت ترضها	وإذ يزيدك ما تأتي وما تذر
لا تهلنا كن شالت فامته	واستبق منا قاتل مشر زهر
إنا لنشكر للنسي وإن كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس السكبي الرملي عن زياد بن طارق الجشعي
عن أبي سرد زهير بن جبرول - وكان رئيس قومه - قال لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم حنين فبينما
هو يميز بين الرجال والنساء وميت حتى فصلت بين يديه وأسمته شمرأ ، أذكره حين شب وفتاً في
هوازن حيث أرضوه :

أمن علينا رسول الله في دمة	فالك المرء ترجوه وتنتظر
أمن على يضة قد عاقها قدر	ممزق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الحرب هتافاً على حزن	على قلوبهم النقاء والنمر
إن لم تداركها فناء تشهرها	يا أرجع الناس حلماً حين يخبر
أمن على نسوة قد كنت ترضها	إذ فوك بملؤه من محضها الدر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضها	وإذ يزيدك ما تأتي وما تذر
لا تهلنا كن شالت فامته	واستبق منا قاتل مشر زهر
إنا لنشكر للنسي وإن كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس الغنوم قد كنت ترضه	من أمهاتك إن الغنوم مشهر
إنا نؤمل غنواً منك تلبه	هذي البرية إذ تغر وتنتصر
فأغفر عنا الله عما أنت راجه	يوم القيامة إذ يهدى لك النظر

(١) يعني أرضنا . وابن أبي شمر هو الحارث النضلي .

قال قال رسول الله ﷺ : « أما ما كان لي وليي عبد المطلب فهو الله ولهم » قالت الانصار : وما كان لنا فهو الله ورسوله ﷺ . وسيأتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم القرية وكانت ستة آلاف مابين صبي وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأغنى كثيراً . حتى قال أبو الحسين بن فارس فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم . فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة .

فصل

قال ابن اسحاق : بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنه بعد رضاعة حليته له . فكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنه بنت وهب ، وجده عبد المطلب في كلاله الله وحفظه ، بينته الله بناتاً حسناً لما يريد به من كرامته فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنه بنت وهب .

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله ﷺ آمنه توفيت وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قصمت به على اخواله من بني عدى بن النجار تزيره إياهم . فماتت وهي راجعة به إلى مكة . وذكر الواقدي بإسايده أن النبي ﷺ خرجت به أمه إلى المدينة ومها أم أيمن وله ست سنين ، فزارت اخواله . قالت أم أيمن فجاءني ذات يوم رجلان من يهود المدينة قالاني أخرجني اليانا أحمد نخطر إليه ، فنظرنا إليه وقلناه قتال أحدهما لصاحبه هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته ، وسيكون بها من القتل والسبي أمر عظيم . فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به ، فماتت بالأبواء وهي راجعة . وقد قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أيوب ابن جابر عن سالك عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن بريده عن أبيه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا يومئذ أن قال « مكانكم حتى أتاكم » فاضلنا ثم جاءنا وهو حليل ، قال : « إني أتيت قبر أم محمد فسللت ربي الشفاعة . يعني لما . فمنعنيها ، وإنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها ، وكنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام فكلوا واسكروا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن الاشرية في هذه الاوعية فاشربوا ما بدا لكم » وقد رواه البيهقي من طريق سفيان الثوري عن عقبة بن يزيد عن سليمان ابن بريده عن أبيه قال : انتهى النبي ﷺ إلى رسم قبر جلس وجلس الناس حوله ، فجعل يحرك رأسه كالخماط ثم بكى فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « هذا قبر أمته بنت وهب استأذنت ربي أن أزور قبرها فلنن لي ، واستأذنت في الاستغفار لما غلب علي ، وأدركتني رقبتها فبكت » . قال فما رؤيت ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة . تابعه محارب بن دثار عن بريده عن أبيه . ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن بحر بن نصر عن عبد الله بن وهب حدثنا ابن جريج عن أيوب بن هاني عن

ميسروق بن الابدع عن عبد الله بن مسعود . قال : خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فلما رأنا جلسنا ثم نطلى القبور حتى انتهى الى قبر منها - فتجاه طويلا ثم ارفع نحيب رسول الله ﷺ باكيا فيكينا ليكاه رسول الله ﷺ ثم ان رسول الله ﷺ اقبل علينا فتفاه عمر بن الخطاب قال يا رسول الله ما الذي ابكاك ؟ قد أبكوا فرحنا . فجاء فجلس بينا قال : « افزعكم بكائي ؟ » قلنا نعم ! قال : « ان القبر الذي رأيتموني اتلجى قبر أمته بنت وهب ، واتي استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي ، واستأذنت ربي في الاستفارها فلم يأذن لي فيه ، وتزل على (ما كان للهي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم ، وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاداء حليم) فاذن لي ما يأخذ الولد لوالده من الرقة فقلت الذي ابكاني » غريب ولم يخرجوه . وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وابكى من حوله ثم قال : « استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستفارها فلم يأذن لي ، فزودوا القبور تذكركم الموت . » وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن جنان عن حاد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : « في النار . » فلما قفا دجاء قال : « إن أبي وأباك في النار . » وقد روى البيهقي من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين عن ابراهيم بن سيد عن الزهري عن عاصم بن سعد عن أبيه . قال : جاء أعرابي الى النبي ﷺ قال إن أباي كان يصل الرحمه وكان ، وكان ، فأين هو ؟ قال : « في النار . » قال فكان الأعرابي وجيد من ذلك . قال يا رسول الله أين أبوك ؟ قال : « حيثما صرت قبر كافر فبشره بالنار . » قال فسلم الأعرابي بيد ذلك . قال : « قد كفني رسول الله ﷺ نعيًا ، لمصرود قبر كافر الا بشره بالنار . » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد - هو ابن أبي أيوب - حدثنا ربيعة بن سيف المافري عن أبي عبد الرحمن الجليل عن عبد الله بن عمرو . قال ولما نحن نغشى مع رسول الله ﷺ إذ بصر امرأة لا يظن أنه عرفها ، فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت اليه ، فلما فاطمة بنت رسول الله ﷺ قال : « ما أخرجك من بيتك يا فاطمة ؟ » قالت أتيت اهل هذا البيت ففرحت بهم منهم وعزيتهم . قال : « لك بيت منهم الكندي ^(١) » قالت ماذا الله أن أكون ببيتها معهم وقد سمعت تذكر في ذلك ما تذكر ^(٢) . قال : « لو ببيتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها عبد أبيك » ثم رواه أحمد وأبو داود والبيهقي من حديث ربيعة بن سيف بن مانع المافري الصنعبي

(١) أراد بها المقابر وذلك لأنها كانت مقابرهم في مواضع حليقة وهي جميع كدية القليلة القليل من الأرض
(٢) هو ما رواه اصحاب السنين من قوله ﷺ « لمن أفضأ اثرات القبور والمخنفين عليها المهاجد السرج »

الاسكندري وقد قال البخاري عنه ما كبر . وقال النسائي : ليس به بأس وقال مرة صدوق ، وفي نسخة ضعيف . وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطئ كثيراً . وقال الهذلي قطنى صالح . وقال ابن يونس في تاريخ مصر في حديثه ما كبر توفي قريبا من سنة عشرين ومائة ، والمراد بالكدي القيود - وقيل النوح -

والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافا لفرقة الشيعة وفي ابنه أبي طالب على ما سيأتي في وفاة أبي طالب ، وقد قال البيهقي - بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يسيئون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدعوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يندح في نسب عليه الصلاة والسلام لأن انكحة للكفار حبيصة . الأرقام يملكون مع زواجهم فلا يلزمهم تجديد القدر ولا مفارقتهم إذا كان مثله يميز في الاسلام والله التوفيق انتهى كلامه .

قلت : وأخبره عليه السلام عن أبيه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينفى الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والإطفال والمجانين والضم يمتحنون في الرصاة يوم القيامة كما بسطناه سنداً ومتناً [في تفسيرنا] عند قوله تعالى (وما كنا معذرين حتى نبعث رسولا) فيكون منهم من يجب ومنهم من لا يجب . فيكون هؤلاء من جهة من لا يجب فلا مائدة والله العدل والمنة .
وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في استناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيى أبويه ، فلما جاءه وأمناه ، قاله حديث منكراً جداً . وإن كان يمكننا بالنظر إلى قدرة الله تعالى . لكن الذي ثبت في الصحيحين يعارضه والله أعلم .

فصل

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم - يعني بعد موت أمه آمنة بنت وهب - فكان وضع لبيد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه لإجلاله . قال فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جرحى يجلس عليه . فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه . فيقول عبد المطلب إذا رأي ذلك منهم : دعوا إني فراقه إن له لنا ناء ، ثم يجلس معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع . وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري وحدثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حزة بن عبد الله . وحدثنا هاشم بن عاصم الأسدي عن المنذر بن جهم . وحدثنا معمر بن ابن أبي نعيم عن مجاهد . وحدثنا عبد الرحمن بن عبد البر بن أبي الحارث . وحدثنا ابن أبي سريته عن سليمان بن

سبح من نفع عن ابن جبير - دخل حديث بعضهم في بعض قالوا : كان رسول الله ﷺ يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده ، وكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا لم - وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك دعوا ابني لئلا يؤسى مسلماً .

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب احتفظ به قاتلهم تركه فمما أشبه بالقدم التي في المقام منه . قال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء : فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأبي أيمن - وكانت تحضه - يا بركة لا تنفلي عن ابني قاتلي وجدته مع غلمان قريب من السدة ، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة . وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول على يا بني فيؤتي به إليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياته ثم مات عبد المطلب ودفن بالمجور .

وقال ابن اسحاق : فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمان سنين هلك جده عبد المطلب بن هاشم . ثم ذكر جمه بناته وأسره إلهن أن يرثته . وهن ، أروى وأميمة وبرة ، وصغية ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء وذكر أشهارهن وما قلن في رثته أبهن وهو يسمع قبل موته وهذا أبلغ النوح . وبسط القول في ذلك وقد قال ابن هشام ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن اسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولّى الساقية وزمزم بعده ابنه العباس ، وهو من أحدث إخوته سناً فلم تزل إليه حتى قام الاسلام وأقرها في يده رسول الله ﷺ . وكان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله ﷺ أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . قال فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ وكان إليه ومعه . وقال الواقدي : أخيراً مصر عن ابن نجيم عن مجاهد . وحدثنا معاذ بن محمد الانصاري عن عطاء عن ابن عباس . وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا : لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده ، وكان لا ينأى إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه . وصب به أبو طالب صباة لم يصب مثله بشئ قط . وكان يخصه بالطعام وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبوا ، وإذا أكل منهم رسول الله ﷺ شبوا . فكان إذا أراد أن يندبهم قال كما أنتم حتى يأتي ولدي . يأتي رسول الله ﷺ فيأكل كل منهم فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن منهم لم يشبوا فيقول أبو طالب إنك

لمبارك . وكان الصبيان يصبحون رمحا شتاً ويصبح رسول الله ﷺ دهنياً كحلاً .
وقال الحسن بن عرفة حدثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمرو سمعت عطاء بن أبي رباح سمعت
ابن عباس يقول : كان بنو أبي طالب يصبحون رمحاً عسماً ويصبح رسول الله ﷺ صقيلاً دهنياً
وكانت أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم أول البكرة ، فيجلسون ويتهمون ويكف رسول الله
ﷺ يده فلا يتهب معهم . فلما رأى ذلك عه عزله له طعامه على حدة .
وقال ابن اسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن رجلاً من لُهب
كان عامماً فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بملابهم ينظر إليهم ويتلف لهم فيهم . قال فأتى أبو
طالب برسول الله ﷺ وهو غلام مع من يأتيه قال فنظر إلى رسول الله ﷺ ثم شفه عنه شيء . فلما
فرغ قل : اتلام على به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غييه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا على التلام
الذي رأيته آتياً فوالله ليكون له شأن . قال واضطلع به أبو طالب .

فصل

﴿ في خروجه عليه الصلاة والسلام مع عه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب ﴾

قال ابن اسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام . فلما تباهاً للرجل وأجمع السير
صب به رسول الله ﷺ - فبازرعون - فرق له أبو طالب وقال والله لا أخرجن به معى ولا أنزله ولا
يعارقنى أبداً - أو كما قال - فخرج به . فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له
بحيرى في صومعة له . وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب فيها . إليه
يصير علمهم عن كتاب فبازرعون . يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببخيري - وكانوا
كثيراً ما يجرون به - فلا يكلمهم ولا يمرض لهم - حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا قريباً من صومته صنع
لهم طعاماً كثيراً وذلك فبازرعون عن شيء رآه وهو في صومته ، يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ
في الركب حتى أقبل وعامة قتلته من بين القوم . ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه . فنظر إلى
الغامة حين أغلت الشجرة ونهضت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها . فلما رأى
ذلك ببخيري نزل من صومته وقد أمر بطعام فصنع . ثم أرسل إليهم . قال إني صنعت لكم طعاماً
يا مشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلدكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحرمكم . قال له رجل منهم
والله يا ببخيري إن لك لشأناً اليوم . ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فاشأنتك اليوم ؟ قال
له ببخيري صدقت قد كان ما تقول ولستكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فأتا كلون
منه كلهم فاجتمعوا إليه وتحلف رسول الله ﷺ من بين القوم لخدمة سنة في رجال القوم تحت الشجرة

فلما رأى بحيرى لم ير الصفة التى يعرف ويحبه عنده قال يا مشر قريش لا يتخلفن أحد منكم من طامى
 قالوا يا بحيرى ما تخلف أحد يبنى له أن يأتىك إلا غلام وهو أحدثنا سناً . فتخلف فى رحالنا . قال لا
 تملوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم . قال قال رجل من قريش مع القوم : واللوات والمرى إن كان
 لثوم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من طمام من بيتنا . ثم قام إليه فحضره وأجلسه
 مع القوم ، فلما رأى بحيرى جبل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جده ، قد كان يجدها عنده
 من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له يا غلام : أسألك بحق اللات
 والمرى الا أخبرتنى عما أسألك عنه . وانما قال له بحيرى ذلك لانه سمع قومه يخفون بهما . فزعوا أن
 رسول الله ﷺ قال له : لا تسألنى باللات والمرى شيئاً . فوالله ما ابضت شيئاً قط بنفسهما . قال له
 بحيرى : فبأله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟ قال له سألنى عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله
 من نومه وحيثه وأموده . فجعل رسول الله ﷺ يخبره . فوافق ذلك ما عهد بحيرى من صفته . ثم نظر
 إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التى عنده ، فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب
 فقال ما هذا السلام منك ؟ قال ابنى قال بحيرى ما هو بأتىك وما يبنى لهذا السلام أن يكون أبوه حياً ، قال
 فانه ابن أخى . قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت أرجع بابن أخيك إلى بلده واحذر
 عليه اليهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليقتله شرأ ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم
 فأسرع به إلى بلاده ، وخرج به عمه أبو طالب سريراً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن اسحاق : فزعوا فيما روى الناس أن ذرياً ، وثماماً ، ودرهما . وهم من أهل الكتاب .
 قد كانوا رؤا رسول الله ﷺ مثلاً رأى بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب فلما دونه
 فقدم عنه بحيرى . فذكرهم الله وما يحدون فى الكتاب من ذكره وصفته وأنهم اجتمعوا لما أرادوا به لم
 يخلصوا اليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه . وقد ذكر بونس بن بكير
 عن ابن اسحاق أن أبى طالب قال فى ذلك ثلاث قصائد . هكذا ذكر ابن اسحاق هذا السياق من غير
 استناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .

قال الحافظ أبو بكر الخليل فى حديث عباس بن محمد الدورى حدثنا فراد أبو نوح حدثنا يوسف
 عن أبى اسحاق عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب الى الشام ومعه رسول الله ﷺ
 فى أشياء من قريش . فلما أشرفوا على الزاهب . سبق بحيرى . فبعطوا لحظوا رحالهم فخرج اليهم الزاهب
 وكانوا قبل ذلك يمدون به فلا يخرج ولا يلجئ اليهم قال قتول وم يمدون رحالهم . فجعل يتخطهم حتى
 ساء . فاخذ يده النبي ﷺ قال هذا سيد العالمين . وفى رواية البيهقى زيادة هذا رسول رب العالمين . به
 الله رحمة العالمين . قال له أشياخ من قريش : وما عليك ؟ قال إنكم حين أنشركم من العقبة لم يبق

شجرة ولا حبر الاخر ساجدا ، ولا يسجدون الا لني ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كفته . ثم رجع فصنع لهم طلعاً فلما أتاهم به - وكان هو في رعية الابل - قال أرسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله . فلما دنا من القوم قال انظروا اليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مال في الشجرة عليه . قال انظروا الى في الشجرة مال عليه قل فيينا هو قائم عليهم وهو ينشدم ألا يذهبوا به الى الروم فان الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فلذا هو بسبعة نفر من الروم قد اقبلوا . قل فاستقبلهم فقال ما جاءكم بكم ؟ قالوا جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بث اليه ناس وإنا أخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال فهل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا لا إنا أخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال أن رأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا لا . قال فبايوه وأفادوا معه عنده . قال قال الراهب أنتدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده وبث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكمك والزيت . وهكذا رواه الترمذي عن أبي العباس الفضل بن سهل الأعرج عن قراد أبي نوح به . والحاكم والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن عباس بن محمد المورى به . وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان المخزومي مولاهم ، ويقال له الضبي ويعرف بقراد . سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري ، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرّحه ومع هذا في حديثه هذا غرابة ، قل الترمذي حسن غريب لا نرفعه الا من هذا الوجه . وقال عباس المورى ليس في الدنيا أحد يتحدث به غير قراد أبي نوح وقد سمعته منه أحد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لثراجه واغتراده . حكاه البيهقي وابن عساكر .

قلت : فيه من الفرائب أنه من مراسلات الصحابة فان أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خير سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول ابن اسحاق في جله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلى كل تقدير فهو مرسل . فان هذه القصة كانت ورسول الله ﷺ من السر فيا ذكره بعضهم ثقتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ﷺ فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضی الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذ من طريق الاستئاضة .

الثاني : أن الغمامة لم تذكر في حديث اصح من هذا .

الثالث . أن قوله وبث معه أبو بكر بلالا إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثقتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقل من ذلك ، فان كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب الأهم إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله ﷺ كبيراً . إما بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثقتي عشرة سنة غير محفوظ ، فله إما

ذكره مفيداً بهذا الواقدي . وحكى السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم . قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن اسماعيل بن أبي حنيفة عن داود بن الحصين . قالوا : لما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا بئر اهراب بحيرى . فقال لأبي طالب بالسر ما قل . وأمره أن يحتفظ به فردّه معه أبو طالب إلى مكة .

وشب رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكاؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومما بها لما يريد من كرامته حتى بلغ أنف كان رجلاً أفضل قومه سريرة ، وأحسن خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جوراً ، وأعظمهم حياءً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبصد من الفصح والأدب . ما روى ملأجاً ولا مملأجاً أحداً ، حتى ساء قومه الأيمن . لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضده حتى مات .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا خالد بن معدان حدثنا ميمون بن سليمان سمعت أبا يحدث عن أبي مجاز أن عبد المطلب - أبا طالب شك خالد - قال لما مات عبد الله عطف على محمد فكان لا يسافر - فمراً إلا كان معه فيه ، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلاً فأنه فيه راحب . قال إن فيكم رجلاً صالحاً : ثم قال ابن أبو هذا الغلام ؟ قال قال ها أنا ذا وله - أو قيل هذا وله - قال احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام إن اليهود حسدوا وإنى أشام عليه . قال ما أنت تقول ذلك ، ولكن الله يقوله . فردّه وقال اللهم إني أستودعك محمدًا ثم إنه مات .

قصة بحيرى

حكى السهيلي عن سير الزهري أن بحيرى كان حبراً من أحبار يهود . قلت : والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً والله أعلم . وعن المسعودى أنه كان من عبد القيس وكان اسمه جرجيس . وفي كتاب الماروف لأبي قتيبة سمع هاتف في الجاهلية قبل الإسلام بقليل يهتف ويقول : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة ، بحيرى ، ودرابن البراء الشنى ، والثالث المنتظر . وكان الثالث المنتظر هو الرسول ﷺ . قال ابن قتيبة وكان قبر رثاب الشنى وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما طش ، وهو المطر الخفيف .

فصل

في منشئه عليه الصلاة والسلام وسميه وكفاية الله له ، وحياته ، وكيف كان يتبعاً قآواه وعاملاً فأغناه قال محمد بن اسحاق : فشب رسول الله ﷺ يكاؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما

يريد من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جوراً ، وأعظمهم حياءً وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبدم من الفحش والاختلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال : « لقد رأيتني في غلمان من قريش ينقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كلنا قد نمرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقيل معهم كذلك وأدبر إذ لكتني لاكم ما أراه لسكة وجيمة ، ثم قال شد عليك إزارك . قال فأخذته فشددته علي ، ثم جلست أحمل الحجارة على رقبتي ولزاري على من بين أصحابي » . وهذه القصة شبيهة بما في الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس فان لم تكنها فهي مقدمة عليها كالنوطنة لها والله أعلم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة . فقال العباس لرسول الله ﷺ يحمل إزارك على عاتقك من الحجارة فقل غفر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : « إزاري » فشده عليه إزاره . أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق . وأخرجاه أيضاً من حديث روح بن عبادة عن زكرياء بن أبي إسحاق عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحاق الصافاني حدثنا محمد بن بكير الحضرمي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن مالك عن هكرمة حدثني ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت ، قال وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشيد . قال فكنت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا وأزرتنا تحت الحجارة ، فلذا غشنا الناس أقررتنا . فيفينا أنا أمشي ومحمد أمامي قال غفر وانبطح على وجهه ، نجفت أسعي وأقيت حجري وهو ينظر إلى السماء قلت ما شألك ؟ قام وأخذ إزاره قال « إني نويت أن أمشي عرياناً » . قال وكنت أكنسها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون . وروى البيهقي من حديث يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهيمون به من النساء إلا ليلتين كلتاها عصفت الله عز وجل فيها . قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رماهم أمهم - قلت لصاحبي أبصر لي غنى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان قال بلى . قال فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عزرا بنثر اربيل والزماير قلت ما هذا

قالوا تزوج فلان فلانة . جلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا من الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال ما فعلت ؟ قلت ما فعلت شيئا ثم أخبرته بالتي رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لي غنى حتى أسمر فضل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل التي سمعت تلك الليلة . فأنلت قيل لكبح فلان فلانة ، جلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا من الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال ما فعلت ؟ قلت لا شيء . ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدها شيء . من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته « وهذا حديث غريب جدا وقد يكون عن علي عنه ويكون قوله في آخره » حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته « مقحما والله أعلم .

وشيوخ ابن إسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات . وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح . قال شيخنا في تهذيبه ولم أفت على ذلك والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : حدثني أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن ابن علي بن عمار المامري حدثنا أبو أسامة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن أسامة بن زيد عن زيد بن حارثة . قال : كان صنم من نحاس يقال له أساف وثلاثة يتسبح به المشركون إذا طافوا . فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه ، فلما مررت مسحت به فقال رسول الله ﷺ « لا تمسه » . قال زيد فلفطنا قلت في نفسي لأمسه حتى أنظر ما يكون ، ففسحته فقال رسول الله ﷺ « ألم تنه » قال البيهقي : زاد غيره عن محمد بن عمرو بإسناده قال زيد فوالله أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالنبأ كرمه وأنزل عليه .

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لبحيري حين سأله باللات والزمى « لا تسألني بها فوالله ما أنقضت شيئا بنقضها » فلما الحديث الذي قاله الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو سعد الماليني . أنا أبو أحمد بن عدي الحافظ حدثنا إبراهيم بن أسباط حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير بن سفيان الثوري عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان النبي ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدهم قال فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نهوم خلف رسول الله ﷺ . قل كيف هوم خلفه وإنما عهده بسلام الأصنام ؟ قال فلم يمد يده فذكر أن يشهد مع المشركين مشاهدهم فهو حديث أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة حتى قال الأمام أحمد فيه لم يكن أخوه يلفظ بشيء من هذا . وقد حكى البيهقي عن بعضهم أن مناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام وذلك قبل أن يوحى إليه والله أعلم . وقد تقدم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه الله برسالة . وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالزبدية ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس برملت كما قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر

عن عثمان بن أبي سليمان عن ثعلب بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير . قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو على دين قومه ، وهو يقف على بير له برقت من بين قومه حتى يدفع مهمم ، توفيقاً من الله عز وجل له .

قال البيهقي : معنى قوله على دين قومه ما كان يقي من ادث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ولم يشرك بالله قط صلوات الله وسلامه عليه دائماً .

قلت : ويضم من قوله هذا أيضاً انه كان يقف برقت قبل أن يوحى اليه . وهذا توفيق من الله له . ورواه الامام أحمد عن يعقوب بن محمد بن اسحاق به . ولفظه رأيت رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه وإنه لواقف على بير له مع الناس برقت حتى يدفع مهمم توفيقاً من الله . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أضلت بيرا لي بركة فذهبت اطلبه فاذا النبي ﷺ واقف قلت إن هذا من الجحش^(١) ماشأه هنا ؟ واخرجاه من حديث سفيان بن عيينة به .

ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار

قال ابن اسحاق : هاجت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة ، وانما سمي يوم الفجار ، بما استحل فيه هذان الحيان - كنانة وقيس عيلان - من المحارم بينهم . وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس . وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة . حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

وقال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة - فيها حدثني به أبو عبيدة النخعي عن أبي عمرو بن الصلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان . وكان الذي هاجها أن هروة الرجال بن عتبة بن جفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيفة - أي تجلوة - للنعمان بن المنذر . فقال البراء بن قيس - أحد بني ضرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - اتبعها على كنانة ؟ قال نعم وعلى النلق . فخرج فيها عروة وأرحال وخرج البراء يطلب غنقه . حتى إذا كان بيمين ذي طلال بالمالية غل عروة فومب عليه البراء فقتله في الشهر الحرام ، فقلنا سمي الفجار ، وقال البراء في ذلك :

وداهية نهم الناس قبلي شذت لما بقي بكر ضلوعي

هدمت بها بيوت بني كلاب وارضعت الموالى بالفروع

(١) الجحش جمع أحمس . ومع قريش ومن ولقت ، وكنانة ، وجديدة سموا حماً ، لانهم تحموا في دينهم أي تشددوا . والحامسة الشجاعة كانوا يقفون في المزدلفة ، ويقولون : نحن اهل الله فلا نخرج من الحرم

رضت له بنى طلال كفى خرم يمد كلبلغ المريع

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جفر بن كلاب :

وابلغ - إن عرضت - بنى كلاب وعامر والمطلوب لما موال

وابلغ - إن عرضت - بنى نمير وأحوال القتييل بنى هلال

بلت الوافد الرجال أسمى مقبا عند تميم ذى طلال

قال ابن هشام : أتى آت قريشاً فقال : إن البراء قد قتل عروة ، وهو فى الشهر الحرام بمكاظ .

فارتحلوا وهو أذن لا تشر بهم . ثم بلغهم الخبر فأتبهم فادركهم قبل أن يدخلوا الحرم . فقتلوا حتى جاء

الليل فدخلوا الحرم فامسكت هوازن عنهم ، ثم اتقوا بعد هذا اليوم أيلما والقوم مستعدون على كل قبيل

من قريش وكثافة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم . قال وشهد رسول الله ﷺ بعض

أهلهم . أخرجه أعمامهم وقال رسول الله ﷺ « كنت أنبل على أعمامى » أى أرد عليهم نبل

عدوم إذا رموم بها .

قال ابن هشام : وحديث الفجار طويل هو أطول مما ذكرت وإنما منق من استقصائه قطعه

حديث سيرة رسول الله ﷺ .

وقال السهيلي : والفجار بكسر الفاء على وزن قال . وكانت الفجارات فى الرب أربعة ذكرهن

المسعودى . وآخرهن ، فجار البراء هذا : وكان القتال فيه فى أربعة أيام ، يوم شمعة ، ويوم البلاء ،

وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوماً - وهو الذى حضره رسول الله ﷺ وفيه قيدا

رئيس قريش وبني كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان أخهما تلالا ففروا . ولتهزمت يومئذ قيس

إلا بنى نضر فقتلهم نيترا . ويوم الحريرة عند نخعة . ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ . فلما توافوا

الموعد ركب حجة بن ربيعة جله ولدى يامشر مضر غلام قاتلون ؟ قالت له هوازن : ماتدو إليه ؟

قال الصلح ، قالوا وكيف ؟ قال ندى تسلامك ونزهنكم رهائن عليها ، ونفرو عن ديارنا . قالوا ومن لنا

بذلك قال أنا ، قالوا ومن أنت ؟ قال حجة بن ربيعة فوق الصلح على ذلك وبشوا إليهم أربعين رجلاً

فيهم حكيم بن حزام فلما رأته بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عروا عن ديانتهم واخضعت حرب

الفجار . وقد ذكر الاموى حروب الفجار وأيلما واستصلحا مطلولا فيها رواه عن الأثرم . وهو المنيعة

ابن على عن أبى حنيفة سمر بن النخعي فذكر ذلك .

فصل

﴿ فى شهوده عليه الصلاة والسلام حلف الفضول ﴾

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو سعد الماليني أن أبا أحمد بن على الحافظ حدثنا يحيى بن على

ابن هاشم الخفاف حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدي حدثنا اسماعيل بن علية عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ : « شهدت مع عموقي حلف المطيين فأحب أن أنسكه - أو كنه نحوها - وإن لي حر النعم » . قال وكذا رواه بشر بن الفضل عن عبد الرحمن . قال وأخيراً أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو بكر بن أحمد بن داود السناني حدثنا علي بن مهدي حدثنا أبو عروبة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « ماشهت حلفاً قريش إلا حلف المطيين ، وما أحب أن لي حر النعم وأني كنت هضته » قال : والمطيون هاشم ، وأميه ، وزهرة ، وعزوم ، قال البيهقي : كذا روى هذا التفسير مدرجاً في الحديث ولا أدري قائله ، وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول فان النبي ﷺ لم يدرك حلف المطيين .

قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصي وتنازحوا في القتي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من الساقية ، والرقاة ، واللوا ، والتدوة ، والحجابة ، ولزمهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا على النصرة لحزبهم فأحضر أصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب فوضوا أيديهم فيها وتحالفوا . فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت . فسموا المطيين كأندم وكان هذا قديماً ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جهمان كما رواه الحيدري عن سفيان بن عيينة عن عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن أبي بكر قال رسول الله ﷺ : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جهمان حلفاً فودعيت به في الاسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يمد^(١) ظالم مظلوماً » . قالوا : وكان حلف الفضول قبل المبعث بشرب سنة في شهر ذي القعدة ، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر . وذلك لأن الفجار كان في شيان من هذه السنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب وكان سببه أن رجلاً من زيد قدم مكة يبضاعة فاشتراها منه الماص بن وائل فحبس عنه حقه ، فاستبدى عليه الزبدي الا حلف عبد الدار وعزوماً وجهاً وسهياً وعدي بن كعب فأبوا أن يمينوا على الماص بن وائل وزبروه - أي اتهموه - فلما رأى الزبدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس - وقريش في أندية حول الكعبة - فنادى بأهل صوته :

يا آل فهر لظلم بضاعته يعطن مكة نافي الدار والغر

وعزم أشمت لم يقض عمرته بالرجل وبين الحجر والحجر

إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام ثوب الفاجر التندر

(١) كذا بالأصليين . والقى في السهلي : يمد ظالم مظلوماً .

قام في ذلك الزير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جعدان فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام فعاقدوا وعاهدوا بالله ليكونَ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة . ومارس يمين وحرا . مكنهما . وعلى الناس في الماش . قسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر . ثم مشوا إلى العاص بن وائل فأنزعوها منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه . وقال الزير بن عبد المطلب في ذلك :

حلفت لنصدقن حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار
نسيه الفضول إذا عقدنا يمينه الغريب لدى الجوار
ويلم من حوالى البيت أنا أبة الضيم نمنع كل عار
وقال الزير أيضاً :

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا ألا يقيم يطن مكة ظالم
أمر عليه تعاقدوا وتواثموا فلباد والمستر فيهم سالم
وذكر قاسم بن ثابت - في غريب الحديث - : أن رجلاً من خشم قدم مكة حاجاً - أو متبرأ -
ومعه ابنة له يقال لها القتول من أوصاف فناء الماين ، فاختص بها منه بيه بن الجباج وغيرها عنه . قال
الخنسي : من يمدق على هذا الرجل ؟ قبل له عليك بحلف الفضول . فوقف عند الكعبة ونادى
يال حلف الفضول : فاذمهم يقتلون إليه من كل جانب ، وقد امتضوا أسياهم يقولون : جارك النوث
فالك ؟ فقال إن نبيها ظلمي في بقى وانزعها مني قسراً فصاروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج
اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك قد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ، قال افضل ، ولكن متروى
بها البيلة ، قالوا والله ولا شخب لقمة فخرجها اليهم وهو يقول :

راح صهي ولم أحبي القتولا لم أودعهم وداعاً جيلا
إذ أجد الفضول أن ينعموها قد أراي ولا أخاف الفضولا
لا تخالي أني عشية راح الركا بهنم على أن لا يزولا (١)

وذكر أياً آخر غير هذه . وقد قيل إنما سمي هذا حلف الفضول لأنه أشبه حلفاً تحالفته جرم على
مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه . وكان الداعي إليه ثلاثة من أشرفهم اسم كل واحد منهم فضل :
وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة . وقال غيره

(١) كذا في الحلبية ، والمصرية : إن لا يزولا . وفي السيل : إن لا أقولا .

الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاة ^(١) وقد أورد السهيلي هذا رحمه الله .
وقال محمد بن اسحاق بن يسار : وتداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله
ابن جهمان لشرفة وسنه . وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد بن عبد المزي
وزهرة بن كلاب وبنو نمر . فقاموا وقاضوا على أن لا يجحدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم
من دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك
الحلف حلف الفضول .

قال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن يزيد بن المهاجر قتذذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن
عوف الزهري يقول قال رسول الله ﷺ : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جهمان حلفاً ما أحب
أن لي به حرالنعم ولودعي به في الاسلام لأجبت » .

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن المهاد الليثي أن محمد بن ابراهيم بن
الحارث التيمي حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي
سفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة ، أمره عليها ع معاوية بن أبي سفيان - . تنازعة في مال كان بينهما
بذي المروة فكان الوليد يحمل على الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لننصقي من
حتى ألا أخذن سني لم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ، ثم لادعون بحلف الفضول . قال فقال
عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال - وأنا أحلف بالله لئن دعاه لآخذن سني
لم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال وبلغت المسودين مخزومة بن نوفل الزهري
قال مثل ذلك . وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي قال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد
ابن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

فصل في تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي

قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة ليرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على
مالها مضاربة . فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أماته وكرم أخلاقه بنتت
إليه فعرضت عليه أن يخرج لها في مال لتجرأ إلى الشام وتطبع أفضل ما تطعى غيره من التجار . مع غلام
لها يقال له ميسرة ، قبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى

(١) كذا في الحلية . وفي المصرية : الفضل بن شراعة ، والفضل بن قضاة . ولم يذكر الثالث .
وفي السهيلي والتهامة : الفضل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاة .

نزل الشام ، فزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فطلع الراهب إلى مبصرة . قال: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟ قال مبصرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم قال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبى . ثم باع رسول الله ﷺ سلته - ينفى تجارته - التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري . ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه مبصرة ، فكان مبصرة - فيما يزعمون - إذا كانت المجاعة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلاهما من الشمس وهو يسير على بغيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فاضف أو قريبا ، وحدثها مبصرة عن قول الراهب وما كان يرى من اغلال اللاتكة إليه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبية مع ما أراد الله بها من كرامتها . فلما أخبرها مبصرة ما أخبرها بشت إلى رسول الله ﷺ فقالت له - فيما يزعمون - يا ابن عم أتي قد رغبت فيك فترابك وسطك ^(١) في قومك وأماك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه وكانت أوسط نساء قريش نبأ وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه ، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأهله ، فخرج معه حمة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

قال ابن اسحاق : فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم وكان به يكنى ، والطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قال ابن هشام : أكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر . وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال البيهقي عن الحاكم : قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال أكبر ولده عليه الصلاة والسلام القاسم ، ثم زينب ، ثم عبدالله ، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية . وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبدالله . وبلغت خديجة حسا وستين سنة ، ويقال خمسين . وهو أصح . وقال غيره بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجبية ثم مات بعد النبوة ، وقيل مات وهو رضيع قال رسول الله ﷺ : « إن له مرضا في الجنة يستكمل رضاه » والمرووف ان هذا في حق إبراهيم

وقال يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم بن عثمان عن القاسم عن ابن عباس قال ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ، ورقية . وقال الزبيري بن بكير عبد الله هو الطيب وهو الطاهر ، سمي بذلك لأنه ولد بعد النبوة فأتوا قبل البشارة .

(١) قوله : وسطك فسرره السهيل من الوسط . وقال قالان أوسط القبيلة اعرفها وأولاهها بالصميم .

وأما بناته فذكرني البشة ودخلن في الاسلام وهاجرن معه ﷺ قال ابن هشام : ولما ابراهيم بن مارية التبطية التي أهداه له القوقس صاحب اسكندرية من كورة افصنا^(١) وسخلكم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام في باب مفرد فقلت في آخر السيرة ان شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام : وكان عمر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خساً وعشرين سنة فيما حدثني غير واحد من أهل العلم ، منهم أبو عمرو المدني . وقال يعقوب بن سفيان كُتبت عن ابراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤدلي حدثني غير واحد أن عمرو بن أسد تزوج خديجة من رسول الله ﷺ وعمره خساً وعشرين سنة وقرش تبنى السكبة . وهكذا قل البيهقي عن الحاكم انه كان عمر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خساً وعشرين سنة وكان عمرها إذ ذاك خساً وثمانين . وقبل خساً وعشرين سنة . وقال البيهقي : « بلب ما كان يشتغل به رسول الله ﷺ قبل أن يتزوج خديجة »

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن عبد الله أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن أبي يحيى بن سعيد القرشي عن جده سعيد عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « ما بش الله نبياً إلا راعى غنم » فقال له أصحابه وانت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط » رواه البخاري عن أحمد بن محمد المسكي عن عمرو بن يحيى به . ثم روى البيهقي من طريق الربيع بن بدر . وهو ضيف . عن أبي الزبير عن جابر . قال قال رسول الله ﷺ : « أجرت غنم من خديجة سفرتين بقلوص » وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن حماد بن أبي عمار عن ابن عباس : أن أبا خديجة زوج رسول الله ﷺ وهو - اظنه - قال سكران . ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القمي أن أبا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثني ابراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤدلي حدثني عبد الله بن أبي عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن مقسم بن أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل أن عبد الله بن الحارث حدثه ان عمار ابن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله ﷺ خديجة وما يكتفون فيه يقول : انا أعلم الناس بتزويجها ، اني كنت له ركباً وكنت له إلفاً وخدا . وإني خرجت مع رسول الله ﷺ ذات يوم حتى اذا كنا بالجزرة أجزنا على أخت خديجة وهي جالة هلي ادم تيمها ، فنادت فأنصرفت اليها ووقفت على رسول الله ﷺ . قالت : اما صاحبك هذان حاجة في تزويج خديجة ؟ قال فما رفعت اليه فآخبرته فقال « بلى لسرى » فذكرت لما قول رسول الله ﷺ قالت اغدوا علينا إذا أصبحنا ، فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة واليسوا أبا خديجة حة ، وصرفت لحية ، وكلت أخاها فسلم أباه وقد

سقى خراً فذكر له رسول الله ﷺ ومكانه وسأله أن يزوجه فزوجه خديجة وصنوا من البقرة طعماً
فاكلناه ونظم أبوها ثم استيقظ صاحبها . قال : ما هذه الحلة وما هذه الصفرة وهذا العلم قالت له ابنته
التي كانت قد كملت علمها هذه حلة كسها محمد بن عبد الله ختنك وبقرة أمها ذلك قد بعثناهما حين
زوجه خديجة ، فانكر أن يكون زوجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحجر ، وخرج بنو هاشم برسول
الله ﷺ فجأوه فسلموه . قال ابن صاحبكم الذي تزعمون أني زوجه خديجة ؟ فبرز له رسول الله
ﷺ فلما نظر إليه قال إن كنت زوجة فبيل ذلك وإن لم أكن ضلت قد زوجته .

وقد ذكر الزهرى في سيره أن أبها زوجها منه وهو سكران وذكر نحو ما تقدم حكاة السهيلي .
قال المؤمل : المضحك عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها منه وهذا هو الذي رجحه السهيلي .
وحكاة عن ابن عباس وعائشة قالت وكان خويلد ملت قبل الفجار ، وهو الذي نزع تباً حين أراد
أخذ الحجر الأسود إلى البين ، قام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه
مارووه ، فتزعج عن ذلك وترك الحجر الأسود مكانه .

وذكر ابن اسحاق : في آخر السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها رسول الله ﷺ
فلله أمله .

فصل

قال ابن اسحاق : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد المزي
ابن قصي - وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد تبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلاماً من قول
الراعب وما كان يرى منه إذ كان المملكان يظلا - قال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً
لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه - أو كما قال - فجعل ورقة يستبطن
الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال في ذلك :

لجئت وكنت في الذكرى لجوجا	لهم طال ما بشت التشيجا
ووصف من خديجة بد وصف	قد طال انتظارى يا خديجا
يطعن المكين على رجائي	حديثك أن أرى منه خروجا
بما خيرتنا من قول قس	من الرهبان أكره أن يموجا
بأن محمداً سيود قوماً	ويخصم من يكون له حبيجا
ويظهر في البلاد ضيه نور	يقوم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحارب خادراً	ويلقى من يساله طوجا
فيأبى إذا ما كان ذاك	شهدت وكنت أولهم ولوجا

ولوجاً في التي كرهت قریش ولو جئت بمكثها عجيباً
أرجى بالتي كرهوا جميعاً إلى ذي الرث إن سفوا عروجا
وهل أسر السقالة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا
فان يبقوا وأبقى يكن أمور يضح الكافرون لما ضحينا
وإن أهلك فكل قى سيلقى من الأقدار متلفة خروجا

وقال ورقة أيضا فيادواه بونس بن بكير عن ابن اسحاق عنه :

أتبكر أم أنت المشية رائح وفي الصدر من إضاراك للوزن قاذح ؟
لفرقة قوم لا أحب فراقهم كأنك عنهم بعد يومين قرح
وأخبار صدق خبرت عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح
ألك التي وجهت ياخير حرة بنود و بالتجدد حيث الصالح
إلى سوق بصرى في الركاب التي غدت وهن من الاحمال قص دوالح^(١)
فيخبرنا عن كل خير بلمه ولحق أبواب لمن مفاع
بأن ابن عبد الله احمد مرسل إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وغلبي به أن سوف يحث صادقاً كأرسل البندان هود صالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويثبه حيا لؤى وغالب شياهم والأشبيون الجمالح
فان أبقى حتى يدرك الناس دهره فاقى به مستبشر الود قرح
وإلا فاقى ياخذ بجة فاعلى عن ارضك في الأرض الرخصة صالح

وزاد الأملوى :

فتبع دين التي أسس البنا وكان له فضل على الناس راجح
وأسس بنيانا بمكة ناجيا تلاً فيه بالظلام المصالح
مثاباً لأفناء القبائل كلها تحب إليه العملات الطالح
حراجيج^(٢) أمثال القداح من السرى يلقى في أرساغين السراج

ومن شعره فيما أورده أبو القاسم السهيلي في روضه :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا التنذير فلا يتردكم أحد

(١) الفخ : أن يمشى للبعير بالحل وقد أمته (٢) الحراجيج جمع حرجيج ، وهي الناقة الطويلة

لا تميدن الماء غير خالقكم فان دعوكم يقولوا يئنا حدد
 سبعان ذى الرش سبحانه يدوم له وقبلنا سبح الجوى والجد
 مسخر كل ما تحت السماء له لا ينهى أن يتاوى ملكه أحد
 لاشىء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الآله وبودى المال والولد
 لم تن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
 ولا سليمان إذ تجري الرياح به والجن والانس فبا بينها مرد
 أين الملوك التي كانت لغزتها من كل أوب إليها وافد يند
 حوض هنالك مورد بلا كذب لا بد من ورده يوماً كاوردوا
 ثم قال هكذا نسب أبو الفرج إلى ورقة، قل وفيه آيات تنسب إلى أمية بن أبي الصلت
 قلت : وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يستشهد في بعض
 الأحيان بشيء من هذه الآيات والله أعلم .

فصل

في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين .
 ذكر البيهقي بناء الكعبة قبل ترويعه عليه الصلاة والسلام خديجة . والمشهور أن بناء قريش الكعبة
 بعد ترويع خديجة كما ذكرته بشر سنين . ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن ابراهيم كما تقدمناه
 في قصته ، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخارى وذكر ماورد من الاسرائيليات في
 بنائه في زمن آدم ولا يصح ذلك ، فان ظاهر القرآن يقتضى أن ابراهيم أول من بناء مبدئاً وأول من
 أسسه ، وكانت قصته مظنة قبل ذلك متنى بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات قل الله تعالى
 (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله
 كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه ميلاً) وثبت في الصحيحين عن أبى ذر قال قلت
 يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قل : « المسجد الحرام » قلت ثم أى ؟ قال : « المسجد الأقصى »
 قلت كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » وقد تكلنا على هذا فيما تقدم ، وإن المسجد الأقصى أسسه
 اسرائيل وهو يقبوع عليه السلام . وفي الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض
 فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة . وقال البيهقي أخيراً أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله الصغار
 حدثنا احمد بن مهران حدثنا عبيد الله حدثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو .
 قال : كلف البيت قبل الأرض بأثنى سنة ، (وإذا الأرض مدت) قال من تحته مدت . قال وقد
 تابعه منصور عن مجاهد .

قلت : وهذا غريب جداً وكأنه من الزاملتين اللتين أحابها عبد الله بن عمرو يوم النيرموك وكان فيها اسرائيليات يحدث منها وفيها منكرات وغرائب .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبو صالح الجهمي حدثني ابن لمية عن يزيد بن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال قال رسول الله ﷺ : « بث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابيا لي يتاء ، فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أحياه الله نودي من تحت حبيبك يا آدم ، فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطفو به وقبل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ، ثم تناسخت التورون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت التورون حتى رفع إبراهيم القواعد منه » .

قال البيهقي : تفرد به ابن لمية هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضيف ، ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت والله أعلم .

وقال الربيع : أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال : حج آدم فبقته الملائكة قالوا بر نكك يا آدم لقد حججنا قبلك بألفي عام . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني يقيسة - أو قال حقة - من أهل المدينة عن عروة بن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح .

قلت : وقد قمنا جميعاً إليه . والمقصود الحج إلى محله وبقته وإن لم يكن ثم بناء والله أعلم .

ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المتقدم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وعمامة وهو في صحيح البخاري .

ثم روى البيهقي من حديث سفيان بن حرب عن خالد بن عروة قال سأل رجل علياً عن قوله تعالى (إن

أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركة وهدى للسالمين) أهو أول بيت بني في الأرض ؟ قل لا ولكنه

أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . وإن شئت بناتك كيف

بناتوه . إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض فضلق به ذراعاً فأسر إليه السكينة

وهي ريح خجوج لها رأس فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطلعت في موضع البيت تطوق الحية ،

فبنى إبراهيم حتى بلغ مكان الحجر قال لابنه أبني حجراً ففهم حجراً حتى أنه به فوجد الحجر الأسود

تدرك قال لا يمين أن لك هذا ؟ قال جاء به من لا يشكل على بناتك ، جاء به جبريل من السماء

فأنه . قال فر عليه الدهر فأنهم فبته العاقبة ، ثم أنهم فبته جرم ، ثم أنهم فبته قريش ورسول الله

ﷺ يومئذ رجل شاب . فلما أرادوا أن يرفسوا الحجر الأسود اختصموا فيه قالوا نحكم بيننا أول

رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم قضى بينهم أن يحمولوا في صراط

ثم ترضه جميع القبائل كلهم . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سفيان

ابن حرب عن خالد بن عرعة عن علي بن أبي طالب . قال : لما أتهم البيت بدرهم بته قريش فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يرضه فاقصوا أن يرضه أول من يدخل من هذا الباب فدخل رسول الله ﷺ من باب بني شبة فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل بقدر أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفضوه وأخذ رسول الله ﷺ فوضه ، قال يعقوب بن سفيان أخبرني أصبغ بن فرج أخيرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال لما بلغ رسول الله ﷺ الحلم جرت امرأة الكعبة فطارت شرادة من حجرها في ثياب الكعبة فحترقت فهدموها حتى إذا بنوها قبلوا موضع الركن اختصت قريش في الركن أي التباثل على رضة . قالوا نحمك أول من يطلع علينا ، فطلع عليهم رسول الله ﷺ وهو غلام عليه وشاح نمره فحكوه فأمر بالركن فوضع في ثوب ثم أخرج صيدل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفضوا إليه الركن فكان هو يرضه فكان لا يزداد على السن الأرض حتى يدعو الأميين قبل أن ينزل عليه الوحى ، فطقتوا لا ينحرون جزوا إلا التمسوه فيدهو لهم فيها ، وهذا سياق حسن ، وهو من سير الزهرى ، وفيه من الغرابة قوله : فلما بلغ الحلم . والمشهور أن هذا كان رسول الله ﷺ عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو الذى نص عليه محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عقبة : كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وهروة ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وغيرهم . ﷻ اعلم .

وقال موسى بن عقبة : كان بين النجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة . قلت : وكان النجار وحلف الفضول في سنة واحدة اذ كان عمر رسول الله ﷺ عشرون سنة . وهذا يؤيد ما قال محمد بن اسحاق والله اعلم .

قال موسى بن عقبة : وانما حل قريشاً على بناتها أن السيول كانت تأتي من فوقها ، من فوق الزم الذى صفوه فخر به فخافوا أن يدخلها الماء . وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة . فأرادوا أن يشيعوا بناتها وأن يرضوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاموا فاعدوا لذلك فتة وعالاً ثم غدوا إليها ليهدموها على شق وحذر أن ينتمهم الذى أرادوا . فكان أول رجل طلعها وهدم منها شيئاً الوليد بن المنيرة فلما رأوا الذى فعل الوليد متابعوا فوضوها فأعجبهم ذلك . فلما أرادوا أن يأخذوا في بناتها احضروا عاملهم فلم يقدر رجل منهم أن يعضى امامه موضع قدم فزعوا أنهم رأوا حية قد أحاطت بالبيت رأسها عند ذنبها . فأشعوا منها شقة شديدة ، وخشوا أن يكونوا قد قهروا عما علوا فيهلكة . وكانت الكعبة حرمهم ومنتمهم من الناس وشرفهم . فلما سقط في أيديهم والتبس عليهم امرهم قام فيهم المنيرة ابن عبد الله بن عمرو بن غزوم فذكر ما كان من فصحه لهم وأمره بإيم أن لا يتشاجروا ولا يتحدوا في بناتها . وأن يقتسموها أربعة . وأن لا يدخلوا في بناتها مالا حراما . وذكر أنهم لما عزموا على ذلك

ذهبت الحية في السماء وتقيت عنهم ودأوا أن ذلك من الله عز وجل . قال : ويقول بعض الناس إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أحياد .

وقال محمد بن اسحاق بن يسار : فلما بلغ رسول الله ﷺ خسا و ثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة وكانوا يهيمون بذلك ليسبقوها ويهاون هدمها . وإنما كانت رضا فوق القامة . فأرادوا رصفها وتسقيفها وذلك أن غزراً سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان في بئر في جوف الكعبة . وكان الذي وجد عنده الكنز دويك . مولى لبني ملح بن عمرو بن خزاعة . فقتلت قريش يده وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضروه عند دويك . وكان البحر قد رمى ببغينة الى جدة لرجل من نجار الروم . فتنحطمت . فاختدوا خشباً فأعدوه لتسقيفها . قال الاموى : كانت هذه البغينة لقبصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والنشب والحديد سرحها قبصر مع باقوم الرومي الى الكنيسة التي احرقها الفرس للحبشة فلما بلغت مرصاها من جدة بث الله عليها ريحاً فغطتها .

قال ابن اسحاق : وكان بمكة رجل قبلي نجار قتيلاً لم في أنفسهم بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى اليها كل يوم . فتشرف على جدار الكعبة وكانت بما يهاون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزأت " وكثت وضعت فها ، فكتاوا يهاونها ، فينأى يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تنصم ، بث الله عليها طائرًا فاختطفها فذهب بها . قالت قريش : إنا لرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رقيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية .

وحكى السهيلي : عن رزين أن سارقاً دخل الكعبة في أيام جرم ليسرق كنزها . فتهار البئر عليه حتى جاوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنت هذا البئر حية رأسها كراس الجدى وبطنها أبيض وظلها أسود فأقلت فيها خمسة عام وهي التي ذكرها محمد بن اسحاق .

قال محمد بن اسحاق : فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنائها قام أبو وهب عمرو بن عابد بن عبد بن عمران بن مخزوم . وقال ابن هشام عابد بن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً فومب من يده حتى رجع إلى موضعه . قال : يا مشر قريش لا تدخلوا في بيئاتنا من كبكم إلا طلياً . لا يدخل فيها مهر بنى ولا بيع ربا ، ولا مظلة أحد من الناس . والناس ينظرون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ثم رجع ابن اسحاق أن قاتل ذلك أبو وهب بن عمرو . قال وكان خال أبي النبي ﷺ وكان شريفاً ممدحاً .

وقال ابن اسحاق : ثم أن قريشاً تميزأت الكعبة . فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وما

بين الركن الأسود والركن اليماني ليقى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم . وكان ظهر الكعبة ليقى جمع وسهم . وكان شق الحجر ليقى عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى ولبني عدى بن كعب ، وهو الخضم . ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه . قال الوليد بن المغيرة أنا أبذؤكم في هدمها فأخذ المول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع إليهم إلا لا تريد إلا الخير . ثم هدم من فاجبة الركين فترى الناس تلك الميلة ، وقولوا : فنظر فلان أصيب لم يهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء . فقد رضى الله ما صنعنا من هدمها . فأصبح الوليد غدياً على عمله فهدم وهدم الناس معه . حتى إذا انتهى الهدم سبهم إلى الأساس . أساس إبراهيم عليه السلام . أنفوا إلى حجارة خضر كلاً سنة أخذ بعضها بعضاً . ووقف في صحيح البخاري عن يزيد بن رومان كاسنة الابل . قال السهيلي وأرى رواية السيرة كلاً سنة وهما والله أعلم .

قال ابن اسحاق : لحدثني بعض من يروى الحديث أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقطع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر انقضت مكة بأسرها . فانهبوا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن هبة : وزعم عبد الله بن عباس أن أولية قريش كانوا يهدمون أن رجلاً من قريش لما اجتمعوا لبزعوا الهجرة إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عمد رجل منهم إلى حجر من الأساس الأول فرضه وهو لا يدري أنه من الأساس الأول ، فأبصر القوم برقعة نحت الحجر كادت تتلحم بصر الرجل ، وترا الحجر من يده فوق في موضعه وفزع الرجل والبنات . فلما ستر الحجر عنهم ما نحت إلى مكانه عادوا إلى بنيانهم وقالوا لا تحركوا هذا الحجر ولا شيئاً يحذانه .

قال ابن اسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسرانية فلم يعرفوا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو أنا الله ذويكة ، خلقها يوم خلقت السماوات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وخلقها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها . قال ابن هشام بن جيلها . مبارك لأهلها في الماء والهن .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : مكة الله الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يجلها أول من أهلها . قال وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا في الكعبة قبل بيعت النبي ﷺ بأربعين سنة . إن كان ما ذكره حقاً . مكتوباً فيه : من يزرع خيراً يحصده غبطة ، ومن يزرع شراً يحصده ندامة . يملون البيئات ويميزون الحسنات . أجل كما يجتني من الشوك السنب .

وقال سعيد بن يحيى الأموي : حدثنا المعتمر بن سليمان الرقي عن عبد الله بن بشر الزهري . رفع الحديث إلى النبي ﷺ . قال : • وجد في المقام ثلاثة أصنع ، في الصفحة الأول : إلى أنا الله

ذوبكة ، صنتها يوم صنت الشمس والقمر وحقتها بسبعة أملاك حناء ، وباركت لأهلها في اللحم واللبن
وفي الصنح الثاني : إني أنا الله ذوبكة ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي . فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بته ، وفي الصنح الثالث : إني أنا الله ذوبكة ، خلقت الخير والشر وقدرته . فطوبى لمن أجريت الخير
على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه .

قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش جفت الحجازة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة . ثم
بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن . فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفه إلى موضعه دون الأخرى .
حتى تحاذروا أو تحالفوا ، وأعدوا للقتال قريش بنو عبد المطلب جنة معلومة دماً . ثم تماقدوا هم وبنو عدى
ابن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك اللحم في تلك الجفنة . فسما لعقة الدم . فمكنت
قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم اتهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا . فزعم بعض أهل
الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . وكان عاملاً آمن قريش كلها قال :
يا مشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه .
فصلوا . فكان أول داخل دخل رسول الله ﷺ . فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد .
فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله ﷺ : « هلوا إلى ثوباً » فأتى به وأخذ الركن فوضه
فيه يده ثم قال : « لناخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفوه جميعاً » فقلوا حتى إذا بلغت به موضعه
وضه هو يده ﷺ . ثم بنى عليه . وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ الأمين .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت . بنى أبا يزيد . حدثنا هلال بن يحيى ابن حبان
عن مجاهد عن مولاة . وهو السائب بن عبد الله . أنه حدثه أنه كان فيمن بنى السكبة في الجاهلية قال :
وكان لي حجر . أنا نحتة أعبدته من دون الله . قال : وكنت أجيء بلبين انظار التي أتته على فسي
فأصبه عليه فيجىء السكبة فيلحمه ثم يشتر فيبول عليه قال : فبينما حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى
الحجر أحد . فلما هو وسط أجازنا مثل رأس الرجل يكاد يترأى منه وجه الرجل . فقال بطن من
قريش : نحن فضه وقال آخرون نحن فضه . فقالوا اجعلوا بينكم حكماً . فقالوا أول رجل يطلع من
الفتح . فجاء رسول الله ﷺ فقالوا أناكم الأمين . فقالوا له فضه في ثوب . ثم دعا بطونهم فرفضوا نواحية
فضه هو ﷺ .

قال ابن اسحاق : وكانت للكبية على عهد النبي ﷺ ثمان عشرة ذراعاً وكانت تكسى القباطي .
ثم كيت بعد البرور . وأول من كساها الديباج الحاج بن يوسف .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر . وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام . قصرت بهم
التفة أى لم يتمكنوا أن ينزروه على قواعد إبراهيم . وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق . وجعلوه

مرضاة فلا يدخل اليها كل أحد فيدخلوا من شاموا ويمنوا من شاموا وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال لها : « ألم ترى أن قومك قصرت بهم الثقة . ولولا حدان قومك بكسر لتقتضى الكعبة وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ، وأدخلت فيها الحجر » ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناتها على ما اشار اليه رسول الله ﷺ وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل . لما بالبن ملصقان بالأرض شرقيا وغربيا . يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر . فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذ - فيما صنه ابن الزبير واعتقدوا انه قتل ذلك من تقاه نفسه . فامر بإعادتها الى ما كانت عليه ففعلوا الى الحائط الشامي فحصره واخرجوا منه الحجر وروصوا حجارته في أرض الكعبة . فارتفع بابها وسدوا الفري واستمر الشرق على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي - أوابه المنصور - استشار مالكا في إعادتها على ما كان صنه ابن الزبير . فقال مالك رحمه الله : إني أكره أن يتخذها الملوك ملبية . فتركها على ما هي عليه . فهي الى الآن كذلك . وأما المسجد الحرام : فاول من آخر البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اشترها من أهلها وهدمها فلما كان عثمان اشترى دورا وزادها فيه . فلما ولي ابن الزبير أحكم بنيانه ، وحسن جدرانه وأكثر ابوابه . ولم يوسمه شيئا آخر . فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانه وامر بالكعبة فكسكت الديباج . وكان الذي تولى ذلك يسمه الحجاج بن يوسف . وقد ذكرنا قصة بناء البيت والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله (ولإبراهيم القواعد من البيت واسماعيل) وذكرنا ذلك مطولا مستقصى فمن شاء كتبه هاهنا وفيه الحمد والمنة . قال ابن اسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبناها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب ، فيها كان من أمر الحية التي كانت قرش تهلب بنيان الكعبة لها :

عجبت لما تصورت العقاب	الى الثبائن وهي لها اضطراب
وقد كانت تسكون لها كئيش	واحيانا يكون لها وثاب
اذا قفنا الى التأسيس شدت	تهينا البناء وقد نهاب
فلما ان خشينا الزجر جاءت	عقاب تطلب لها افضاب
ففضتها اليها ثم خلت	لنا البنيان ليس لها حجاب
فقتنا حاشدين الى بناء	لنا من القواعد والترباب
غداة يرفع التأسيس مه	وليس على مساويتنا ثياب
أعزه الملك بنى لوى	فليس لأصله منهم فخاب
وقد حشنت هناك بنو عدى	ومرة قد قتلها كلاب

فبأننا الملك بك ذلك عزاً وعند الله يتمس الثواب
وقد قدمنا في فصل ما كان الله يحوط به رسول ﷺ من أقدار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس
عنه يتقلان الحجابة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجابة على كفه نهى عن خلع
إزاره فأعاده إلى سيرته الأولى .

فصل

وذكر ابن اسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحس ، وهو الشدة في الدين والصلاة .
وذلك لأنهم مظلوموا الحرم تعظيماً زائداً بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة . وكانوا
يقولون نحن أبناء الحرم وقحان بيت الله . فكانوا لا يقفون برقت مع عليهم أنها من مشاعر ابراهيم
عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قدروه من البدعة الفاسدة . وكانوا لا يدخرون من الذين
أقطا ولا سمنوا ولا يسلون شحماً وهم حرم . ولا يدخلون بيتاً من شر ولا يستظلون ان استظلوا الا
بيت من آدم . وكانوا يمتنون الحبيج والهيل - ماداموا محرمين شأن يأكلوا إلا من طعام قريش ،
ولا يعلفوا الا في ثياب قريش ، فان لم يجد احد منهم ثوب أحد من الحس وهم قريش وما ولدوا
ومن دخل منهم من كناية وخزاعة طاف عرباناً . ولو كانت امرأة ولهذا كانت المرأة اذا اتفق طوافها
لتلك وضمت يدها على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بهضه أو كله وبعد هذا اليوم لا أحله (١)

فان تكرر أحد من يجد ثوب أحس طفاف في ثياب غسه فليده إذا فرغ من الطواف ان يلقها
فلا يتنفع بها بعد ذلك . وليس له ولا لغيره أن يمسها . وكانت العرب تسمى تلك الثياب التي قال
بعض الشعراء :

كني حزناً كرى عليه كأنه لقي بين أيدي الطائفين حريم

قال ابن اسحاق : فكانوا كذلك حتى بث الله عهداً ﷺ وأنزل عليه القرآن رداً عليهم فيما
اجدعوه قال (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي جمهور العرب من عرقات (واستغفروا الله
إن الله غفور رحيم) وقد قدمنا أن رسول الله ﷺ كان يقف برقت قبل أن ينزل عليه توفيقاً من
الله له ، وأنزل الله عليه رداً عليهم فيما كانوا حرّموا من اللباس والطعام على الناس (يا بني آدم خذوا
زينةكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي
أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية . وقال زياد البكائي عن ابن اسحاق : ولا أدري أكان
اجتماعهم لتلك قبل الفيل أو بعده .

(١) وفي للمصرية وابن هشام : وما يدها منه فلا أحله .

كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

تلياً كثيراً . وذكر شئ من البشارات بذلك

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : وكانت الأخبار من اليهود والكهان من النصارى ومن العرب قد تحدوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب زمانه ، أما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه . قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهم مكتوباً عنهم في التوراة والإنجيل) الآية وقال الله تعالى (وإذا قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) . وقال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوا بما سيأثم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل) الآية ^(١) . وقال الله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قل أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقرنا قل فلا يسجدوا وأنا معكم من الشاهدين) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قل : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليبتمن » . يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا وأمرؤا باتباعه .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : (ربنا وإبنتهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك) الآية .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو البضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يا رسول الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاعت له قصور الشام » وقد روى محمد بن اسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن ممدان عن أصحاب رسول الله ﷺ عنه مثله . ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره واقتضاره قد ذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب إليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني اسرائيل كما تقدم . يدل هذا على أن من بينها من الأنبياء بشروا به أيضاً .

أما في الملائكة الأعلى فقد كان أمره مشهوراً منذ كورا معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد السكيتي

عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن الرياض بن سارية . قال قال رسول الله ﷺ : « إني عبد الله خاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طيخته ، وأما أنفكم بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بن إسرائيل ، وإني لأتى التي رأيت ، وكذلك أمهات المؤمنين » . وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال : إن أمه رأته حين وضعت نوراً أضاعت منه قصور الشام . وقد الإمام أحمد أيضاً حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله ، متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » . فورد بين أحمد .

وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي هريرة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعني أبا القاسم البغوي - حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم عن الأوزاعي حدثني يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم وفتح الروح فيه » . ورواه من وجه آخر عن الأوزاعي . وقال : « وآدم منجدل في طيخته » . وروى عن البغوي أيضاً عن أحمد بن المقدم عن هبة بن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هريرة - مرفوعاً - في قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال رسول الله ﷺ : « كنت أول النبيين في المطلق وآخرهم في البعث » . ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قال : يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » . وأما الكهان من العرب فاتهم به الشياطين من الجن مما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي لا تعجب عن ذلك بل تحذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منها بعض ذكر أموره ولا يلقى العرب لذلك فيه بالا . حتى بعث الله تعالى ، ووقفت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فرفوها ، فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر زمان مبته حجب الشياطين عن السمع ، وحل بينها وبين المقاعد التي كانت تقف لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ففرفت الشياطين أن ذلك لأمر حدث من أمر الله عز وجل . قال وفي ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرأنا نجماً يهتدى إلى الرش فآمنا به ولن فسررك برئنا أحداً) إلى آخر السورة . وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك قرأاً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الآية ، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

قال محمد بن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخضر أنه حدث أن أول العرب فزع للرعي بالنجوم حين رمى بها - هذا الخي من حيف - ولهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية

أحد بنى علاج وكان آدمى العرب وأمكرها ، فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويمر بها الاتواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس في مساكنهم هي التي يرى بها ، فهو والله طى الدنيا ، وهلاك هذا الخلق وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ .

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سهم - يقال لها النبطلة - كانت كاهنة في الجاهلية جادها صاحبها ليلة من الليالي ففحص تحتها ، ثم قال : أدر ما أدر ، يوم غمر وغمر ، قالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ؟ ثم جادها ليلة أخرى فافحص تحتها ثم قال : شوب ماشوب ؟ فصرع فيه كعب الجنوب . فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا ما ذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو ، فاعرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشب فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبه .

قال ابن اسحاق : وحدثني علي بن طلح الجرشى أن جنباً - بلثاً من العين - كان لهم كلهم في الجاهلية ، فما ذكر أمر رسول الله ﷺ واقشروا في العرب ، قالت له جنب انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله . قتل إليهم حين طلعت الشمس فوقهم قائماً متكئاً على قوس له ، ورفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل يترنو ، ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكنه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد في جبله راجعاً من حيث جاء ، ثم ذكر ابن اسحاق قصة سواد بن قارب وقد أخرناها إلى هواتف الجان .

فصل

قال ابن اسحاق : وحدثني حاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قولا إن مما دعانا إلى الاسلام - مع رحمة الله تعالى وهداية لنا - أن كنا نسمع من رجل من يهود - وكنا أهل شرك أصحاب أولئك - وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال يفتينا بينهم شرور فلذا قلنا منهم بعض ما يكرهون قولا لنا إنه قد هارب زمان نبي يبعث الآن فتتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسول الله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به . فبادرناهم إليه ، قائماً به وكفروا به . فبينما وفهم نزلت هذه الآية . (ولما جادهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستحقون على الذين كفروا فلما جادهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .

وقال ورقاء عن ابن أبي نجيح عن علي الأزدى : كانت اليهود تقول اللهم ابش لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستحقون به - أى يستنصرون به - رواه البيهقي . ثم روى عن طريق عبد الملك ابن هارون بن عتبة عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كانت اليهود بخير

تقاتل غطفان فكلما اتقوا هزمت يهود خير ، فهاذت اليهود بهذا الدماء قالوا : اللهم نألك بحق محمد النبي الأُمِّي الذي وعدتنا أن نخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، قال فكاكوا إذا اتقوا دعوا بهذا الدماء فهزموا غطفان ، فلما بحث النبي ﷺ كفروا به . فنزل الله عز وجل (وكاتوا من قبل يستحثون على الذين كفروا) الآية . وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحر ذلك أيضاً .

وقال ابن اسحاق : وحدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلام بن وقش - وكان من أهل بدر - قال كلف لنا جابر من يهود في بني عبد الأشهل ، قال فخرج علينا يوماً من يته حتى وقف على بني عبد الأشهل . قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على فروة لي مضطجع فيها بغناه أهلي ، فذكر اتيانهم والبث والحساب والميزان والجنة والنار . قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن يثا كائن بعد الموت ، وقالوا له ويحك يا فلان أو ترى هذا كائناً ؟ إن الناس يمشون بعد موتهم الى دار فيها جنة ، ولم يجوز فيها بأعمالهم ؟ قال نعم ، والذي يخلف به ويود أن له تحفة من تلك النار أعظم تنور في الدار يحموه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه وأن يتنجس من تلك النار غداً فقالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟ قال نبي يموت من نحو هذه البلاد . وأشار يده الى نحو مكة واليمن فقالوا ومتى نراه ؟ قال - فنظر الى وأنا من أحدهم سنا - قال أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة فوافقه ما ذهب الليل والنهار حتى بث الله رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا ، فأما به وكفره بنبأ وحسداً . قال قلنا له ويحك يا فلان ألت بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال بلى ولكن ليس به . رواه احمد عن يعقوب عن ابيه عن ابن عباس . ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير .

وروى أبو نعيم في الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن سلمة قال : لم يكن في بني عبد الأشهل الا يهودي واحد يقال له يوشع ، فسمته يقول - وإني لظلام في ازار - قد اظلمكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت . ثم اشار يده الى بيت الله ، فن ادركه فليصده . فبث رسول الله ﷺ فأسلمنا وهو بين أظهرنا لم يلم حسداً وبخا . وقد قدمنا حديث ابي سعيد عن ابيه في اخبار يوشع هذاعن خروج رسول الله ﷺ وصفته وصفته واخبار الزبير بن بطلان عن ظهور كوكب موهـد رسول الله ﷺ ورواه الحاكم عن البيهقي بإسناده من طريق يونس بن بكير عنه .

قال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي : هل تدري عم كان اسلام ثعلبة بن سمية وأسيد بن سمية ، وأسد بن عبيد - فمر من بني هذيل ، اخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا ساجدين في الاسلام - قال قلت لاه ، قال كان رجلا من اليهود من ارض

الثام يقال له ابن الهيثان قدم علينا قبل الاسلام بستين غل بين اظهر نالا والله ما رأينا رجلا قط لا يصل
 الخمس افضل منه ، فقام عندنا فكننا اذا قسط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيثان فاستسق لنا ، فيقول
 لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة ، فقول له كم ؟ فيقول صاعا من تمر ، أو مدين من شعير .
 قال فنخرجها ، ثم يخرج بنا الى ظاهر حرثنا فيستسق لنا ، فواقه ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب
 ويسقي . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثا . قال ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرفناه ميت قال
 يامشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الحر والحجير الى أرض البؤس والجوع ؟ قال قلنا أنت أعلم
 قال قلنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نى قد أظل زمانه ، هذه البلدة مهاجرة فكنت ارجوان
 يبعث قائمه ، وقد أظلم زمانه فلا تسبقن اليه يامشر يهود ، قاله يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري
 فيمن خلفه فلا يمتنعكم ذلك منه . فلما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بنى قريظة قل هؤلاء الفتية -
 وكانوا شبانا أحرارا - : يا بنى قريظة والله إنه لنبى الذى عهد اليكم فيه ابن الهيثان . قالوا ليس به قالوا
 على والله إنه لمو بصفته . فبزلوا فأسلموا فحزوا دماهم وأموالهم وأهلهم

قل ابن اسحاق فهذا ما بلغنا عن احبار يهود

قلت : وقد قمتنا في قدوم تبع الجاهلى وهو أبو كرب ثبان أسعد إلى المدينة ومحاصرته بإيها واه
 خرج اليه ذاك الحيران من اليهود فقال له إنه لاسيل لك عليا ، أنها مهاجر بنى يكون فى آخر الزمان
 قتله ذلك عنها . وقد روى أبو نعيم فى الدلائل من طريق الوليد بن مسلم حدثنا محمد بن حمزة بن
 يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده . قال قال عبد الله بن سلام : ان الله لا أراد هدى زيد
 ابن سمية قال زيد لم يبق شئ من علامات النبوة إلا وقد عرفها فى وجه محمد ﷺ ، حين نظرت اليه
 إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حله وجهه ، ولا يزيد شدة الجبل عليه إلا حلا . قال فكنت أتلفظ
 له لأن أخاطبه فأعرف حله وجهه ، قد كر قصة إسلافه لنبى ﷺ مالا فى ثمرة ، قال فلما حل الأجل
 أنيته فأعلنت بمجامع قيصة وورثته . وهو فى جنازة مع أصحابه - وفطرت اليه بوجه غليظ ، وقلت : يا محمد
 ألا تقضى حقى ؟ فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب اطل ، قال فنظر إلى عمر وعيناه يدوران فى وجهه
 كالنكاح المستدير . ثم قال يا عدو الله أقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ، وتعلم ما أرى ؟ فوالذى بعثه
 بلحقى لولا ما أحزن لومه لضررت بسقى رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عرى فى سكون وتودة
 وتيسم . ثم قال : « أنا وهو كنا أخرج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرنى بحسن الاداء ، وتأمره
 بحسن التباة ، اذهب به يا عمر فأقضه حقه . وزد عشرين صاعا من تمر » فأسلم زيد بن سمية رضى الله
 عنه . وشهد بنية المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وتوفى عام تبوك رحمه الله .

ثم ذكر ابن اسحاق رحمه الله : اسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه وأرضاه فقال حدثنى عامر بن

عرب بن قتادة الأنصاري عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس . قال حدثني سلمان الفارسي - من
 فيه - قال كنت رجلاً قريشياً من أهل أسبهان من أهل قرية يقال لها جى وكان أبى دهقان قريته وكنت
 أحب خلق الله إليه ، فلم يزل جبه إيلي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت في المنجوسية ،
 حتى كنت قطع النار التي يوقدها لا يتركها نخبو ساعة . قال وكانت لأبى ضيمة عطية ، قال فثقل
 في بئان له يوماً قال لي يا بني إني قد شئت في بنيان هذا اليوم عن ضيقي ، فذهب إليها فاطلمها ،
 وأسرني فيها بمض ما يريد . ثم قال لي ولا تحبس عني فانك إن أحببت عني كنت أم إلى من ضيقي
 وشئتني عن كل شيء من أسرى . قال فخرجت أريد ضيمته التي بشي إليها ففرت بكيسة من كنائس
 الأنصاري فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون . وكنت لأدري ما أمر الناس لحبس أبى إيلي في بيته ،
 فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ودرجت في أسرم .
 وقلت هذا والله خير من الدين التي نحن عليه ، فوافقه ما رحتم حتى غربت الشمس وترك ضيمة
 أبى فلم أنها . ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بث في طلبي
 وشئتني عن أسره كله . فلما جئت قال أبى إني كنت أظن أنك أعهد اليك ما عهدته ؟ قال قلت يا أبة
 مررت بأهل يصلون في كنيسة لهم فأبى ما رأيته من دينهم فوافقه ما زلت عندهم حتى غربت الشمس
 قال أبى إني ، ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين أبائك خير منه . قال قلت كلا والله إنه خير من
 ديننا . قال فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته ، قال وبشت إلى الأنصاري قتلتم : إذا قدم
 عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم . قال قدم عليهم ركب من الشام فجأؤني الأنصاري فأخبروني بهم .
 قتلتم إذا فقصوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني قال فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني
 بهم فأقبلت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قمعت الشام ، فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا
 الدين علماً ؟ قالوا الأسقف في الكنيسة . قال فجئت فقلت له إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن
 أكون منك وأخدمك في كنيستك وأتعلم منك فأصلي معك . قال ادخل فدخلت معه فكان رجل
 سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فلذا جموا له شيئاً كثره لنفسه ولم يسطع المساكين حتى جمع سبع
 قلال من ذهب وورق ، قال وابضه بضاً شديداً لما رأيته يصنع . ثم مات واجتمعت له الأنصاري
 ليدفنوه . قلت لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فلذا جتمعوه بها كثرها لنفسه
 ولم يسطع المساكين منها شيئاً . قال فقالوا لي وما علمك بذلك ؟ قال قلت لهم أما أدلكم على كثره ، قالوا
 نعم لنا . قال فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا لا ندفعه أبداً
 قال فصلبوه ورجعوه بالمجاعة . وجأؤا رجل آخر فوضوه مكانه . قال سلمان فما رأيته رجلاً لا يميل
 الخس أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً . قال فحبيته حبا

لم احب شيئاً قبله مثله . قال فاقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له انى قد كنت معك وأحببتك جبالاً
أحبه شيئاً قبلك وقد حضرتك ما ترى من أمر الله تعالى قال من توصى بى ؟ وبم تأمرى به ؟ قال أى بنى
والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه . فقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلاً
بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فخلق به . قال فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل . قلت
يا فلان إن فلاناً أوصاك عند موته أن أخلق بك وأخبرنى أنك على أمره ، فقال لى أقم عندى . فاقمت
عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلاناً أوصى
بى اليك وأمرنى بالحق بك وقد حضرتك من أمر الله ما ترى قال من توصى بى وبم تأمرى ؟ قال يا بنى والله
ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه الا رجلاً بنصيبين وهو فلان فخلق به ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب
نصيبين فاخبرته خبرى وما أمرنى به صاحباى . فقال أقم عندى فاقمت عنده . فوجدته على أمر صاحبه
فاقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يا فلان ان فلاناً كان أوصى بى الى
فلان ثم أوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى بى فلان اليك قال من توصى بى وبم تأمرى ؟ قال يا بنى والله ما
أعلمه بنى أحد على أمرنا أنك ان تأتية الا رجل بمسورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه .
فان أحبيت فائتته فانه على أمرنا . فلما مات وغيب لحقت بصاحب مسورية فاخبرته خبرى فقال أقم عندى
فاقمت عند خير رجل على مدى أصحابه وأمرهم . قال واكتسبت حتى كانت لى قبرات وغنية ، قال ثم
نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يا فلان انى كنت مع فلان فأوصى بى الى فلان ثم أوصى بى فلان الى
فلان ثم أوصى بى فلان الى فلان . ثم أوصى بى فلان اليك قال من توصى بى وبم تأمرى ؟ قال أى
بنى ، والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أنك ان تأتية ، ولكنه قد أغفل زمان بنى
مبعوث بدين ابراهيم يخرج بلوط العرب مهاجرة الى الأرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى
يأكل المدينة ولا يأكل الصدقة بين كنفه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق ذلك البلاد فافعل . قال
ثم مات وغيب ومكنت بمسورية ما شاء الله أن أمكث . ثم مر بى نفر من كلب فجاء فقلت لهم احملونى
الى أرض العرب وأعليكم بقراتى هذه وغنيق هذه قالوا نعم فاعطيتهموها وحملونى معهم حتى اذا
بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ورأيت النخل فوجرت أن
يكون البلد الذى وصف لى صاحباى ، ولم يحقق فى نفسى . فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى
قرظة من المدينة ، فابتاعنى منه فحملنى الى المدينة ، فوالله ما هو الا أن رأيتها فرمقتها بصفة صاحباى
لها ، فاقمت بها وبهت رسول الله ﷺ قائم بمكة ما أقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق ،
ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لى رأس عذق لسيدى أعمل فيه بض السمل . وسيدي جالس نفسى اذا
أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بنى قيلة . والله لئن لم ينجسوا الا أن يبقوا على

رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي . قال سلمان فلما سمعتها أخذتني الزعدة حتى ظننت أنني ساقط على سبيلي فزلت عن النخلة ، فجلت أقول لابن عمي ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال فغضب سيدي فلكنى فكلمته بكلمة شديدة . ثم قال مالك ولهذا ؟ أقبل على حاكك ، قال قلت لا شيء إنما أردت أن أستجبه عما قال . قال وقد كان عندي شيء قد جئته فلما أسيت أخذته . ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ . وهو قباه . فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح وملك أصحاب لك غريب ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتم أحق به من غيركم . قال فحبته إليه قال رسول الله ﷺ لا أصحاب « كانوا » وأمسك يده فلم يأكل ، قلت في نفسي هذه واحدة . ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ونحو رسول الله ﷺ إلى المدينة . ثم جئته فقلت له إنني قد رأيته لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . قال فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال قلت في نفسي هاتان ثنتان . قال ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يقيم الفرق قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه ثملتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه . ثم استدبرته أنظر إلى ظهره ، هل أرى نظام القى وصف لي صاحبي ؟ فلما رأي رسول الله ﷺ استدبرته عرف أنني أستبث في شيء وصف لي . فأتاني رداءه عن ظهره فنظرت إلى النظام فرعته ، فأكببت عليه أقبلي وأبكي فقال لي رسول الله ﷺ : « تحول » فتحولت بين يديه ، قصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس . فاجاب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه . ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد . قال سلمان : ثم قال لي رسول الله ﷺ « كاتب يا سلمان » فكانت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحياها له بالقمير ^(١) وأربعين أوقية . قال رسول الله ﷺ « لا أصحاب » أعينوا أنحاشاً « فأتوني في النخل : الرجل ثلاثين ودية ، والرجل بشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بشرة . بين الرجل قدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية . قال لي رسول الله ﷺ « اذهب يا سلمان فقرها ، فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضها يدي » . قال : فقرت ، وأعاني أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأكبرته . فخرج رسول الله ﷺ معي إليها . فجلنا قرب إليه الودى ، ويضه رسول الله ﷺ يده حتى إذا فرغنا فوالذي نفس سلمان يده ما ماتت منها ودية واحدة . فاديت النخل وتقي على السال . فأتني رسول الله ﷺ بمثل يضة الساجدة من ذهب من بعض المادن . قال « ما فعل الفارسي المكتاب » ؟ قال فدعيت له قال « خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان » قال قلت : وأين تقع هذه مما على يارسل الله ؟ قال « خذها فإن الله سيؤتي بها عنك » قال فاختصتها فوزفت لهم منها . والذى نفس سلمان يده . أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم وعتي سلمان . فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حراً ثم لم يمتني منه شهيد .

(١) قدير النخلة : حفرة تحفر لفضيلة إذا حولت فتنفس فيها . من النهاية .

قال ابن اسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان أنه قال لما قلت وأين تقع هذه من النقي على يارسل الله؟ أخذها رسول الله ﷺ فقامها على لسانه، ثم قال: «خذها فأوفهم منها» فأخذتها فأوفهم منها حقهم كله أربعين أوقية.

وقال محمد بن اسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حدثني من لا أنهم عن عمر بن عبد العزيز ابن مروان قال حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره أن صاحب عمورية قال له: إيت كذا وكذا من أرض الشام، فإن بها رجلا بين غيظتين يخرج كل سنة من هذه الفضة مستجيرا يصتره ذوو الاسقام فلا يدعوا لاحد منهم الاثنى فأسأله عن هذا الدين الذي تبقى فهو بخيرك عنه. قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بموضعهم هناك حتى يخرج لهم تلك البيلة مستجيرا من احدى الغيظتين الى الاخرى. ففشي الناس بموضعهم لا يدعوا لريض الاثنى وغلبوني عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الفضة التي يريد ان يدخل الا منكبه. قال فتناوله فقال من هذا؟ وانتفت الى قال قلت برحمتك الله أخبرني عن الحنيفة دين ابراهيم، قال انك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلك زمان نبي يمشي بهذا الدين من أهل الحرم، فانه فهو يملك عليه. ثم دخل فقال رسول الله ﷺ لسلمان: «لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد قتيت عيسى بن مريم» هكذا وقع في هذه الرواية. وفيها رجل مبهم وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة. وقد قيل إنه الحسن ابن عارة ثم هو متقطع بل معضل بين عمر بن عبد العزيز وسلمان رضي الله عنه. قوله لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد قتيت عيسى بن مريم غريب جداً بل منكرو. فان الفترة أقل ما قيل فيها انها أربع مائة سنة، وقيل ستمائة سنة بالشمسية، وسلمان أكثر ما قيل انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة. وحكي الباس ابن يزيد البحراني اجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة. واختلفوا فيما زاد الى ثلاثمائة وخمسين سنة والله أعلم. والظاهر أنه قال لقد قتيت وصي عيسى بن مريم فهذا ممكن بالصواب.

وقال السهيلي: الرجل المبهم هو الحسن بن عارة وهو ضعيف وإن صح لم يكن فيه نكارة. لان ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بسد مافرح فوجد أمه وامرأة أخرى يبيكان عند جذع المصلوب فأخبرها أنه لم يقتل وبث الموادرين بعد ذلك. قال وإذا جاز نزوله مرة جاز نزوله مراراً ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويتزوج حبيزة امرأة من بني جذام وإذا مات دفن في حجرة روضة رسول الله ﷺ.

وقد روى البيهقي في كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق كما تقدم ورواها أيضاً عن الحاكم عن الاصم عن يحيى بن أبي طالب. حدثنا علي بن عاصم حدثنا حاتم بن أبي صفرة عن مالك بن حرب عن يزيد بن صوحان أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول

إسلامه . فذكر قصة طويلة وذكر أنه كان من رامهرمز وكان له أخ أكبر منه غنى وكان سلمان فقيراً
في كنف أخيه ، وأن ابن دهاق كان صاحباً له وكان يختلف معه إلى سلم لم وأنه كان يختلف ذلك
الغلام إلى عباد من النصارى في كهف لم فسأله سلمان أن يذهب به معه اليهم فقال له إنك غلام وأخشى
أن تم عليهم فيقتلهم أبى ، فالتزم له أن لا يكون منه شيء يكرهه فذهب به معه فاذا هم ستة أو سبعة -
كان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا
فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالصل المتقدمين وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته أيده بالمعجزات . وقالوا
له يا غلام إن لك رباً وإن لك معاداً وإن بين يديك جنة وتراً وإن هؤلاء القوم الذين يبدون النيران
أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دينه . ثم جعل يتقدم مع ذلك الغلام اليهم ثم
لزمهم سلمان بالكلية ثم أجلاهم ملك تلك البلاد وهو أبو ذلك الغلام الذي صحبه سلمان اليهم عن أرضه
واحتمس الملك ابنه عنده وعرض سلمان دينهم على أخيه الذي هو أكبر منه فقال إني مشغل بنفسي
في طلب المعيشة فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل فلم عليهم أهلها ثم أرادوا أن يتركوا
عندهم فأبى الا لا محبتهم فخرجوا حتى أتوا وادياً بين جبال فتهدر اليهم دهبان تلك الناحية يملون
عليهم واجتمعوا اليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ويسألونهم عن فيثون على خيراً ، وجاء رجل
مظلم فيهم فخطبهم فأنشئ على الله عما هو أهله وذكر الرسل وما أيدها به وذكر عيسى بن مريم وأنه كان
عبد الله ورسوله وأمرهم بلخير ونهام عن الشر ، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان وثرمه قال فكان
يصوم النهار ويقوم الليل من الأحد إلى الأحد فيخرج اليهم ويظلمهم ويأمرهم وينهام فمكث على ذلك
مدة طويلة ، ثم أراد أن يزور بيت المقدس فصاحبه سلمان إليه قال فكان فيا يمشى يلتفت إلى ويقبل
على فيعطى ويخبرني أن لي رباً وأن بين يدي جنة وتراً وحسباً وملئني . ويذكرني نحر ما كان يذكر
للقوم يوم الأحد قال فيا يقول لي : يا سلمان إن الله سوف يمت رسولاً اسمه أحمد يخرج من تهامة
ياكل المدينة ولا يأكل الصدقة بين كفيه خامم النبوة وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فلما أتاه شيخ
كبير ولا أحسبى أدركه قال أدركته أنت فصدقه واتبعه ، قلت له وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه
قال وإن أمرتك فإن الحق فيا يبغي به ورضى الرحمن فيا قال . ثم ذكر قدومهما إلى بيت المقدس وأن
صاحبه صلى فيه هاهنا وهاهنا ثم قام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظل مكان كذا أن يوقفه ففكره سلمان حيناً
آخر أزيد مما قال ليستريح ، فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك ثم خرجا من بيت
المقدس فسأله فقد قال يا عبد الله سألتك حين وصلت فلم تعلق شيئاً وها أنا أسألك فظفر ظم بمجد أحداً
فأخذ بيده وقال قم بسم الله فقام وليس به بأس ولا قلة ^(١) كأنما نشط من عقال . قال لي يا عبد الله

احمل على متاعى حتى اذهب إلى أهلى فأبشروهم ، فشتفت به ثم أدركت الرجل فلم ألقه ولم أدر أين ذهب وكلا سألت عنه قوماً قالوا أما لك حتى لقيت ركب من العرب من بنى كلب فأتاهم فلما سمعوا لقي أُنح رجل منهم بعيره فدخلني خلفه حتى أتوا بى بلادهم . فباعوني فاشتري امرأة من الانصار فجعلتني في حائط لها وقدم رسول الله ﷺ . ثم ذكر ذهابه اليه بالصدقة والهدية ليستلم ما قال صاحبه ، ثم تطلب النظر إلى خاتم النبوة فلما رآه آمن من ساعته . وأخير رسول الله ﷺ خبره الذى جرى له . قال فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق فاشتراه من سيده فاعنته ، قال ثم سأله يوماً عن دين النصارى فقال : لا خير فيهم . قال فوقع في غشى من أولئك الذين همجبتهم ومن ذلك الرجل الصالح الذى كان معي بيت المقدس فدخلني من ذلك أمر عظيم حتى أنزل الله على رسول الله ﷺ (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) فدعاني رسول الله ﷺ فجئت وأنا خائف فجلست بين يديه فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) (الآية) . ثم قال « يا سلمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين » قلت يا رسول الله والذى بينك والحق لم أرني باتباعك . قلت له فإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال نعم فتركه فإن الحق وما يرضى الله فيها يأمرك . وفي هذا السباق غرابة كثيرة وفيه بعض الحفاضة لسباق محمد بن اسحاق وطريق محمد بن اسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً وأقرب إلى ما رواه البخارى في صحيحه من حديث متبر بن سليمان بن طرخان التيمي عن أبيه عن أبي عثمان التيهدي عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضمة عشر ، من رب إلى رب ، أى من معلم إلى معلم ومرب إلى مثله والله أعلم .

قال السبلى : تداوله ثلاثون سيدياً من سيد إلى سيد ، قلله أعلم . وكذلك امتنعى قصة إسلامه الحافظ ابو نعيم في الدلائل وأورد لها أسانيداً وفناظلاً كثيرة ، وفي بعضها أن اسم سيده التى كاتبته حلبة قلله أعلم .

ذكر أخبار غريبة في ذلك

قال أبو نعيم في الدلائل : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن زكريا التللابي حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي السوية المقرئ حدثنا عباد بن كتيب عن أبيه عن أبي عتودة الخزاعي عن سير بن سودة العامري (١) قل كنت عشيقاً لبقلة من عقائل الحلى ، وأركب لها الصمب والذلول لا أبقى من البلاد مسرحاً أرجو رجحاً في متجر إلا أتيت ، فأنصرفت من الشام بمرث وأنت أريد به كبة الموسم

(١) قد قصيت الدلائل . فلم أقف على هذا الخبر . فظيهر .

ودهماء العرب، فدخلت مكة ببل مسددة فأقمت حتى تمرى عنى قيس الليل فرفعت رأسى فإذا قباب مسامة شفت الجبال، مضروبة بأنواع العلاف وإذا جزر تنجر وأخرى تملق، وإذا أكلة وحشة على الطهارة يقولون: لا تبجلوا إلا بجلوا، وإذا رجل يجر على فتر من الأرض، ينادى يا وفد الله ميلا إلى الغداة. وأنيسان على مدرجة يقول: يا وفد الله من طعم ظيحر إلى الشاء، فغيرى ما رأيت فأقبلت أريد عبد القوم، فصرف رجل القى بي، وقال أملكك، وإذا شيخ كان في خديه الأساريع، وكان الشرى ترفد من جبينه، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد أبرز من ملائها جة فيناة كأنها ساسم. قال في بعض الروايات تحته كرمى ساسم^(١) ومن دونها خرقة بيده قضيب متخضر به حوله مشايخ جلسوا كسى الأذن ما منهم أحد يفيض بكلمة. وقد كان نعى إلى خير من أخبار الشام أن اللهى الأمى هذا أو أن نجومة، فلما رأيته ظننته ذلك. قلت السلام عليك يا رسول الله. قال: ميمه، كلا وكان قد وليتى إياه قلت من هذا الشيخ؟ فقالوا هذا أبو فضلة، هذا هاشم بن عبد مناف، فوليت وأنا أقول هذا والله المجيد لا محمد آل جنة. يعنى ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم آل جنة. - وهذه الوظيفة التى حكها عن هاشم هى الرقادة يعنى إطعام المجهج زمن الموسم.

وقال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن أحمد بن أبى يحيى حدثنا سعيد بن عثمان حدثنا على بن قتيبة أن الخراساني حدثنا خالد بن الياس عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم عن أبيه من جده. قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال: بينا أنا نائم فى الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي ففزعت منها فزعاً شديداً، فأتيت كاهنة قريش وعلى مطرف خزرجى تضرب منكبي فلما نظرت إلى عرفت فى وجهي التغير وأنا يومئذ سيد قومي فقلت: ما بل سيدنا قد آتانا متهنير اللون؟ هل رآه من حدثنا الدهر شئ؟ قلت لها بلى! وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ولم أفضل لأنى كبير قومي. فجلدت قلت لى رأيت الليلة وأنا نائم فى الحجر كأن شجرة تنبت قد نل رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نوراً أزهى منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً. ورأيت العرب والمجم ساجدين لها وهى تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتماها ساعة تنقى وساعة تزهر، ورأيت دهلاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها. فلما دنوا منها أنهرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً فيكسر أنظهم^(٢) ويقلع أعينهم. فرفست يدي لآ تناول منها نصيباً، فتمنى الشاب قلت لمن النصيب؟ قال النصيب لمؤلا الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها. فاقبعت مذعوراً فزعاً فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس.

(١) ساسم: الأولى عيدان السمسم. والثانية خشب أسود كالأبنوس (٢) الذى فى الدلائل: أحاسم.

ثم قال - يعني عبد المطلب - لأبي طالب ، لك تكون هذا المولود قال فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد رسول الله ﷺ وبعد ما بث . ثم قال كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين ، فيقال لأبي طالب ألا تؤمن ؟ فيقول السبب والمبار .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكرياء التلاني حدثنا العباس بن بكر الضبي حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب - منهم أبو سفيان بن حرب ، قدمت اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً وانصرف بأبي سفيان ويلنفر ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويضل مثل ذلك ، فقال لي في يوم الذي كنت أصنع فيه ، هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إليّ غداً ؟ قلت نعم . فنصرفت وأنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى انقاء فلما قننه ، اليوم قاموا واحتبسوا . فقال هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ﷺ قلت لا ، فقال أبو سفيان إياي تسكتم ؟ وأي بني أخيك ينبغي أن يقول هذا الرجل واحد ؟ قلت وأبيهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبد الله ، قلت قد فعل ؟ قال بلى قد فعل . واخرج كتاباً باسمه من ابنة حنظلة بن أبي سفيان فيه : أخبرك أن محمداً قام بالاطح فقال : «انا رسول ادعوك الى الله عز وجل» فقال العباس قلت اجده بأبي حنظلة صائق . قال مهلاً يا أبا الفضل فوالله ما أحب أن يقول مثل هذا ، إني لأخشى أن يكون علي ضرر من هذا الحديث يا بني عبد المطلب ، إنه والله ما برحت قريش تزعم ان لكم هنة وهنة ، كل واحدة منهما غية . لتشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت نعم قد سمعت . قال فهذه والله شؤمتكم . قلت فلعلها يتنقذ ، قال فما كان بعد ذلك الا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة بخلخير وهو مؤمن ، فمنا ذلك في مجالس اليمن ، وكان أبو سفيان يجلس بمجلساً باليمن يتحدث فيه خبر من أخبار اليهود ، فقال له اليهودي ما هذا بخلخير ؟ فبني أن فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان صدقوا واتبعه ، قال اليهودي أخو أبيه ؟ قال نعم . قال فحدثني عنه . قال لا تسألني ما أحب ان يدي هذا الأمر ابداً ، وما أحب ان أعياه وغيره خير منه ، فرأى اليهودي انه لا ينمس عليه ولا يحسب ان يسيبه . فقال اليهودي ليس به بأس على اليهود ، وتوراة موسى . قال العباس فتداني الخبر ، فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الند ، وفيه أبو سفيان بن حرب والخبر ، قلت للخبر فبني انك سألت ابن عبي عن رجل منا زعم انه رسول الله ﷺ وأخبرك أنه عمه ، وليس به . ولكن ابن عمه واتبعه واخوابه . قال أخو أبيه ؟ قلت أخو أبيه ، فأقبل على أبي سفيان فقال صدق ؟ قال نعم صدق ، قلت سألني قن كذبت فليد علي ، فأقبل علي فقال فتدتك هل كان لابن أخيك صبوة أوسفة ؟ قلت لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان ، والله كان اسمه عند قريش الامين . قال فهل كتب يده ؟ قال العباس فقلت انه خير له ان يكتب يده فاردت ان أقولها ثم ذكرت مكان أبي سفيان يكذني ويرد علي

قلت لا يكتب فومب الخبر ونزل رداؤه وقال فبحث يهود ، وقتل يهود . قال الباس فلما رجنا الى منزلنا ، قال أبو سفيان يا أبا الفضل إن اليهود تفرع من ابن أخيك ، قلت قد رأيت ملأيت ، فهل لك يا أبا سفيان ان تؤمن به ، فان كان حقا كنت قد سبقت وان كان باطلا فمك غيرك من الكفا ؟ قال لا أؤمن به حتى أرى الخليل في كداء ، قلت ما تقول ؟ قال كلمة جاءت على في الا اني اعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء . قال الباس فلما استفتح رسول الله ﷺ مكة ونظروا الى الخليل وقد طلعت من كداء ، قلت يا أبا سفيان تذكر الكلمة ؟ قال اي والله اني لقد اكرها فالحمد لله الذي هداني للاسلام . وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق وان كان في رجاه من هو متكمم فيه والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناه في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلت ، وهو شبيه بهذا الباب وهو من أغرب الاخبار واحسن السياقات وعليه النور . وسأقي أيضا قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله ﷺ واحواله ، واستدلالة بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقاله : كنت أعلم انه خارج ، ولكن لم أكن أعلم انه فيكم ، ولو أعلم اني اخلص اليه لثجشمت لقيه . ولو كنت عنده لاضلعت عن قدميه . وثاني كن ما تقول حقا لئلا يسكن موضع قدمي هاتين . وكذلك وقع وفيه الحمد والمنة . وقد أكثر الحفاظ أبو نسيم من إيراد الآكل والخبير عن الرهبان والاحبار والرب . فأكثروا وأطيبوا واحسن وأطيب رحمه الله ورضى عنه .

١١) قصة عمرو بن مرة الجهني

قال الطبراني : حدثنا علي بن ابراهيم النخعي الأهوازي حدثنا عبد الله بن داود بن دهاش بن اسماعيل بن عبد الله بن شريح بن يسير بن سويد صاحب رسول الله ﷺ حدثنا أبي عن أبيه دهاش عن أبيه اسماعيل أن أبا عبد الله حدثه عن أبيه أن أبا يسير بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهني قال : خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في نزمي وأنا بمكة ، نورا ساطعا من الكعبة حتى وصل الى جبل يثرب . واشعر جبهة . فسمعت صوتا بين انود وهو يقول : اهتفت الظلام ، وصطع الضياء ، وبث خاتم الانبياء . ثم اضاء اضاءة أخرى ، حتى نظرت الى قصور البيرة وأبيض المدائن ، وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الاسلام ، وكسرت الاستم ، ووصلت الارحام ، فاقبعت فرعا قلت لقومي : والله ليحدثن لهذا الحى من قریش حدث . واخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا الى بلادنا جادني رجل يقال له أحمد قد بث قاتنته فخرته بما رأيت . قال « يا عمرو بن مرة أنا النبي المزل الى العباد كافة . أدعهم الى الاسلام ، وآسرهم بمحق الدماء وصله الأرحام ، وعبادة الله

ورفض الأصنام ، وحج البيت وصيام شهر رمضان من اتقى عشر شهرا . فمن اجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار . قال من يعرو يؤمنك الله من هول جهنم . قلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله امنت بما جئت من حلال وحرام ، وان رغم ذلك كثيرا من الأقوام . ثم أئتمتة أبياتا فلهاجين سميت به . وكان لنا صنم . وكان أبي ساذناه فقت اليه فكسرتة . ثم لحقت بالهي ﷺ وأنا أقول :

شهدت بأن الله حق وانني لا آله الا اجدار أول تارك

وشمرت عن ساق الازار مهاجراً اليك أجوب القفر بيد الله كاذك

لا صبح خير الناس قساً ووالها رسول ملك للناس فوق الميثاق

قال النبي ﷺ : « مرحبا بك يا عرو بن مرة » قلت يا رسول الله ابشئ الى قومي . لعل الله يمن عليهم في كما من على بك فيمضي اليهم . وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن غفلاً . ولا متكبراً ولا حسوداً » فذكره أئى قومه ، فدعاه الى ما دعاه اليه رسول الله ﷺ فسلموا كلهم . الا رجلاً واحداً منهم ، واه . وقد بهم الى رسول الله ﷺ . فرحب بهم وحيام . وكتب لهم كتاباً هذه نسخته « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الله على لسان رسول الله ﷺ ، بكتاب صادق ، وحق ناطق مع عرو بن مرة الجهني لجميعة بن زيد : ان لكم بطون الأرض وسوهمها ، وتلاع الأودية وظهورها ، تزرعون نباته وتشربون صافيه ، على ان تحروا بنفسى ، وتصلوا صلاة الحس وفي التبيمة والصريمة ان اجتمعتا وان تفرقتا شاة شاة ، ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة البقة (١) وشهد على غينا ﷺ من حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شاس . وذكر شعرا قاله عرو بن مرة في ذلك كما هو . بسوط في المسند الكبير والله الثقة وعليه التكلان .

وقال الله تعالى : (واخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح واربهم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق نبي آدم يوم (ألت بربكم) أخذ من النبيين ميثاقاً خاصاً ، وأكد مع هؤلاء الحجة أولى الزم أصحاب الشرائم الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد روى الحافظ أبو فسيم في كتاب دلائل النبوة من طرق عن الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة : سئل النبي ﷺ متى وجبت لك النبوة ؟ قال « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » وهكذا رواه الترمذى من طريق الوليد بن مسلم . وقال حسن غريب من حديث أبي هريرة ، لا فرقة الا من هذا الوجه .

وقال أبو فسيم : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا يعقوب بن اسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر

التفيل حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن روم عن الصنابحي . قال قال عمر : يا رسول الله ، متى جلت نبياً ؟ قال : « وآدم منجلد في الطين » ثم رواه من حديث قصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفي عن الشعبي عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » وفي الحديث الذي أورده في قصة آدم حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الانبياء بنور بين أعينهم . والظاهر - والله أعلم - أنه كان على قدر منازلهم ورتبهم عند الله . وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد ﷺ كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كاهم . وهذا تنويه عظيم وتنبيه ظاهر على شرفه وعلو قدره . وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن حلال السلمي عن العرياض بن سارية . قال قال رسول الله ﷺ : « اني عند الله ناطم النبيين وان آدم لم يمتجبل في طينه وسأنيكم بأول ذلك : دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ، ورويا أي التي رأيت . وكذلك أمهات المؤمنين برين » ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وزاد : « إن أمه رأيت حين وضعت نوراً أضاعت منه قصور الشام » وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعيد عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » استاده جيد أيضاً وهكذا رواه ابراهيم بن طهمان وحماد ابن زيد وخالد الحذاء عن بديل بن ميسرة به . ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي عن شيخان عن الحسن بن دينار عن عبد الله بن سفيان عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة : حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، في قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) قال : « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقة عن سعيد بن نسير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً مثله . وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيخان عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال مثله . وهذا أثبت وأصح والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملائكة الأعلى وأنه معروف بذلك عنهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم يفتح فيه الروح ، لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والارض لا محالة فلم يبق الا هذا الذي ذكرناه من الاعلام به في الملائكة الاعلى والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه

« نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، المقضى لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيتهم من بعدهم » وزاد أبو نعيم في آخره : فكان عليه السلام آخرهم في البعث وبه ختمت النبوة . وهو السابق يوم القيامة . لأنه أول مكتوب في النبوة والهدى . ثم قال : ففي هذا الحديث التفضيل لرسول الله عليه السلام لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم . ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من يشته له في آخر الزمان . وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد وروى الحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام - عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام : « لا اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى ، قال الله : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد ؟ قال يا رب لأنك لما خلقتنى يدك وضعت فى من روحك رفعت رأسى ، فأريت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله . فقلت أنك لم تصف الى اسمك الا احب الخلق اليك . قال الله صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى » واذ قد سألتنى بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » قال البيهقي : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف والله أعلم .

وقد قال الله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتكم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فن تولي بد ذلك فأولئك هم الفاسقون) قال على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الانبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد عليه السلام وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه [وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه] (١) وهذا تنويه وتنبية على شرفه وعظمته فى سائر الملل وعلى ألسنة الانبياء وإعلام لهم ومنهم برسالة فى آخر الزمان . وإنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين . وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره ، وجلى مجده وموهبه وبلده ابراهيم الخليل فى قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت (ربنا وابش فيهم رسولاً منهم يشكو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) فكان أول بيان أمره على الجلية والوضوح بين أهل الأرض على لسان ابراهيم الخليل أكرم الانبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهما وعلى سائر الانبياء . ولهذا قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج - ينفى ابن فضالة حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يا نبي الله ما كن به اصرأك ؟ قال « دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاعت منه قصور الشام » تفرد به الامام احمد ولم يخرججه أحد من أصحاب الكتب الستة . وروى الحافظ أبو بكر بن أبى عامر فى كتاب

المولد من طريق بقية عن صفوان بن عمرو عن حجر بن حجر عن أبي عريق أن إعراباً قال يا رسول الله
أى شيء كان أول أمر نبوتك ؟ قال « أخذ الله منى الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم . ورأت أم
رسول الله ﷺ في منامها أنه خرج من بين رجلها سراج أضأت له قصور الشام ^(١) . وقال الامام
محمد بن اسحاق بن يسارة حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن هذان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم
قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن ذلك . قال « دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى . ورأت أمى حين
حبلت كأنه خرج منها نور أضأت له بصرى من أرض الشام « إسناده جيد أيضاً ، وفيه بشارة لأهل
محلتنا أرض بصرى وإليها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ، والله الحمد والمنة ولهذا
كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، كما سيأتى
ببانه . وقد قدمها رسول الله ﷺ مرتين في محبة عمه أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة وكانت
عندها قصة بحيرى الراهب كما بيناه . والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها . وبها مبرك الناقة
التي يقال لها ناقة رسول الله ﷺ بركت عليه فأثر ذلك فيها فيما يذكر . ثم هل وبني عليه مسجد مشهور
اليوم . وهى المدينة التي أضأت أعناق الابل عندها من نور النار التي خرجت من أرض الحجاز سنة
أربع وخمسين وستائة وفق ما أخبر به رسول الله ﷺ في قوله « نخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها
أعناق الابل يصرى » وسبأى الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .
وقال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهونه مكتوباً عندم في التوراة والانجيل ،
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال
التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه وفصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)
الآية . قال الامام احمد حدثنا اسماعيل عن الجبري عن أبي صخر القيلي حدثني رجل من الأعراب
قال : جبلت جلوية الى المدينة في حياة رسول الله ﷺ . فلما فرغت من بى قلت لاثنتين هذا
الرجل فلا تسمن منه . قال : فلقائى بين أبي بكر وعمر بمشون ، فبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود
نشر التوراة يقرأها يمزى بها فنه عن ابن له في الموت كاحسن الثنيان وأعلمهم . قال رسول الله ﷺ
« أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تعبدني في كتابك ذا صفى وعرجى ؟ » قال برأسه هكذا - أى
لا - قال ابنه : إى والذى أنزل التوراة إننا نجد في كتابنا صفتك وعرجك وأشهد أن لا إله إلا الله ،
وأنتك رسول الله . قال : « أقيموا اليهودى عن أخيك » ثم ولى كفته والصلاة عليه . هذا إسناده جيد
وله شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه . وقد أبو القاسم البغوي حدثنا عبد الواحد
ابن غياث - أبو بحر - حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الصلتان بن عاصم

وذكر أن خاله قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ شخص بصره إلى رجل قدامي ردى عليه قبض
وسراويل وغلان . قال فجعل النبي ﷺ يكله وهو يقول : يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ :
أشهد أني رسول الله ؟ قال لا . قال رسول الله ﷺ : أقرأ التوراة ؟ قال نعم قال : أقرأ
الانجيل ؟ قال نعم . قال : والقرآن ؟ قال لا . ولو نشاء قرأته . قال النبي ﷺ : فم تقرأ التوراة
والانجيل ، أتجدي نبياً ؟ قال إنا نجد نبتك ونخرجك . فلما خرجت رجونا أن تكون فينا . فلما
رأيتك عرفناك أنك لست به . قال رسول الله ﷺ : ولم يا يهودي ؟ قال : إنا نجد مكتوباً : يدخل
من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا نرى ملك إلا قرأ ميراً . قال رسول الله ﷺ : إن
أمتي لا أكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً . هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه .
وقال محمد بن اسحاق عن سالم مول عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قل : أني رسول الله ﷺ [يهود]
قال : أخرجوا أعلمكم . قالوا عبد الله بن صوريا ، فخلا به رسول الله ﷺ ، فناشده بدينه ، وما أنعم
الله به عليهم ، وأطمعهم من المن والسوى ، وظلهم به من الغمام . أنشدني رسول الله ؟ قال اللهم نعم .
وان القوم ليعرفون ما أعرف ، وأن صفتك ونفستك لمين في التوراة . ولستكم حسدوك . قل : فما
يمنحك أنت ؟ قال أكره خلاف قومي . وعسى أن يتبعوك ويسلوا فاسلم . وقال سلمة بن الفضل عن
محمد بن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول كتب رسول الله ﷺ إلى
يهود خيبر : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى ، وأمينه ، والمصدق بما جاء
به موسى ، ألا إن الله قل لكم يا مشر يهود وأهل التوراة ، إسمكم يهودون ذلك في كتابكم : إن محمداً
(رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتفون فضلاً من الله ورضواناً
سيام في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فأزده
فاستنظ فاستوى على سوقه يجب الأذراع لينبظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة وأجرًا عظيماً) . وإني أنشدكم بالله وبالله أنزل عليكم ، وأنشدكم بالله أنطم من كان قبلكم
من أسلافكم وأسيابكم المن والسوى ، وأنشدكم بالله أييس البحر لا يأمكم حتى أتياكم من فروع
وعده إلا أخبرتموا هل تجدون فيا أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في
كتابكم فلا كره عليكم ، قد تبين الرشد من الغي . وأدعوك إلى الله وإلى نبيه ﷺ .

وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب المبتدا عن سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب الأبحار ،
وروي غيره عن وهب بن منبه أن مثنصر بعد أن خرب بيت المقدس واستقل بني اسرائيل سبع
سنين رأى في المنام رؤيا عظيمة حالته فجبع الكهنة والحزار ، وسألهم عن رؤياه تلك . قالوا يقصها الملك
حتى نخبره بتأويلها . قال : إني فسيها ، وإن لم تخبروني بها لئى ثلاثة أيام قتلكم عن آخركم . فذهبوا

خائفين وجلين من وعيده . فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه . قال للسجان : اذهب اليه
قتل له إن هاهنا رجلا عنده علم رؤياك وتأويلها . فذهب اليه فأعلمه فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجد له .
قال له ما منكم من السجود لي ؟ قال : إن الله آتاني علماً وعلمني وأمرني أن لا أسجد لغيره . قال
له يختصم إلي أحب القين يوفون لأوليهم باليهود . فأخبرني عن رؤيالي . قال له دانيال : رأيت صنماً
عظيماً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه من فضة ، وأسفله من نحاس ،
وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر اليه قد أعجبك حسنه وإحكام صنعه قذفه الله
بمحجر من السماء . فوقع على قمة رأسه حتى طحنته واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديدته وفخارته حتى
تخيل لك أنه لو اجتمع الانس والجن على أن يميزوا بضه من بض لم يقدروا على ذلك . ونظرت لل
الحجر الذي قذف به ربو ويظم ويشتت حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى الا الحجر والسماء .
فقال له يختصم صدقت هذه الرؤيا التي رأيتهما فأتاويلها ؟ قال دانيال أما الصنم فأصنم مختلفة في أول
الزمان وفي وسطه وفي آخره ، وأما الحجر الذي قذف به الصنم فدين يقدف الله به هذه الامم في آخر
الزمان فيظهره عليها فيبيث الله نيكاً آمياً من العرب فيلدوخ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ
أصناف الصنم ويظهر على الأديان والامم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها ، فيمحس الله به
الحق ويرزق به الباطل ويهدي به أهل الضلالة ويعلم به الأمين ويقوى به الضعفة ويميز به الآثلة وينصر
به المستضعفين . وذكر تمام القصة في اطلاق يختصم بنو اسرائيل على يدي دانيال عليه السلام ،
وذكر الواقدي بأسانيد عن المغيرة بن شعبة في قصة وفوده على المقوقس ملك الاسكندرية وسؤاله له
عن صفات رسول الله ﷺ قريباً من سؤال هرقل لابي سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل
اساقفة النصارى في الكنائس عن صفات رسول الله ﷺ وأخبروه عن ذلك وهي قصة طويلة ذكرها
الحافظ أبو فسيم في اللآلئ . وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ مر بمدارس اليهود فقال لهم
« يا مشرك اليهود اسلموا فوالذي نفسي بيده إنكم لتجحدون صفتي في كتبكم » الحديث . وقال الامام
أحمد : حدثنا موسى بن داود حدثنا قليح بن سليمان عن حلال بن علي عن عطاء بن يسار قال قبيت
عبد الله بن عمرو بن الباص فقلت أخبرني عن صفات رسول الله ﷺ في التوراة قال أجبل والله
إني لموصوف في التوراة بصفته في القرآن ، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً
للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لاظف ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة
السيفة ولا يكن يفو ويفر ولن يقبضه الله حتى يقبضوا الملة المرجاء بأن يقولوا لا إله الا الله ينتج به أعيان
عياً وآذاناً صماً وقلوباً غفلاً . ورواه البخاري عن محمد بن سنان العوفي عن قليح به . ورواه أيضاً عن
عبد الله . قيل ابن رجاء ، وقيل ابن صالح . عن عبد الرزاق بن أبي سلمة عن حلال بن عليوة ونظيره قريب

من هذا وفيه زيادة . ورواه ابن جرير من حديث طليح عن هلال عن عطاء وزاد قال عطاء فقلت
 كتبنا فأنته عن ذلك فما اختلف حرفاء ، وقال في البيوع . وقد سجد عن هلال عن عطاء عن عبد الله
 ابن سلام قال المافظ أبو بكر البيهقي أخبرني أبو الحسين بن الفضل القطان حدثنا عبد الله بن جعفر
 حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الثالث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال
 ابن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سلام أنه كان يقول : إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ إنا أرسلناه
 شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين ، أنت عبدى ورسولى ، سميت المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
 ولا صخاب في الأسواق ولا يجزى السيف بمثلها ولكن يذو ويتجاوز ولن يقبضه حتى يقيم به الله
 العوجاء بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عمياً واذاناً صماً وقلوباً غفلاً . وقال عطاء بن يسار :
 وأخبرني البيهقي أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام أشبه ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان
 قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يحدث عنهما كثيراً ، ولعل أن كثيراً من
 السلف كانوا يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب فهي عندهم أعم من التي أنزلها الله على موسى وقد
 ثبت شاهد ذلك من الحديث . وقال يونس عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن ثابت بن شريح عن
 ابن أبي أوفى عن أم المرداء قالت قلت لكعب الأحبار كيف تجدون صفة رسول الله ﷺ في التوراة
 قال فجدد محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق وأعطى المفاتيح
 فيبصر الله به أعينا عوراً ويسمع آذاناً وقيم به ألسنا موجة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله واحد
 لا شريك له يمين به المظلوم ويمنه . وقد روى عن كعب من غير هذا الوجه . وروى البيهقي عن الحاكم
 عن أبي الوليد القتيبي عن الحسن بن سفيان حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم حدثنا
 حمزة بن الزلت عن سليمان الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة (وما كنت بمجانب
 الطور إذ نادينا) قال نودوا يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني ، وأعطيتكم قبل أن تسألوني .
 وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى إلى داود في الزبور ياداًود إنه سيأتي من يمدك نهي اسمه أحد
 ومحمد صادقاً سيداً لا أغضب عليه أبداً ، ولا ينصني أبداً وقد غفرت له قبل أن يصنني ما تقدم من
 ذنبه وما تأخر وأمنه مرحومة أعطيتهم من النوازل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وفرضت عليهم الفرائض
 التي افترضت على الأنبياء . وأرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء . إلى أن قال :
 ياداًود إني فضلت محمداً وأمنته على الأمم كلها . والعلم به موجود في كتب أهل الكتاب معلوم من
 الدين ضرورة وقد دل على ذلك آيات كثيرة في الكتاب العزيز تكلمنا عليها في مواضعها وفيه الحمد .
 فن ذلك قوله (الذين آمنواهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من

ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يملكون) وقال تعالى (إن الذين أتوا العلم من قبله إذا بئى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) أى إن كان وعد ربنا بوجود محمد وأرساله لكن لا بحالة فسبحان التقدير على ما يشاء لا يمجزه شيء. وقال تعالى أخيراً عن القسيسين والرهبان (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين) وفي قصة النجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام وغيرهم كما سأتى شواهد كثيرة لهذا المعنى والله الحمد والمنة.

وذكرنا في تضاعيف قصص الانبياء ما تقدم الإشارة إليه من وصفهم بجنة رسول الله ﷺ وفنه وبلد مولده ودار مهاجرة وفنت أمته في قصة موسى وشعباً وأرمياها ودانيال وغيرهم وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بني إسرائيل وخاتمهم عيسى بن مريم أنه قام في بني إسرائيل خطيباً قائلاً لهم (إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد). وفي الانجيل البشارة بفارقليط والمراد محمد ﷺ. وروى البيهقي عن الحاكم عن الأعمش عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن البزار بن حرب عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « مكتوب في الانجيل لافظ ولا غليظ ولا صغاب في الاسواق ولا يجرى بالسيعة مثله بل يغفو ويصنع » وقال يعقوب بن سفيان حدثنا فيض البجلي حدثنا سلام بن مسكين عن مقاتل ابن حيان قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم جد في أسرى وسمع وأطع بالابن الطاهرة البكر البتول. أنا خلقك من غير خل فخل فخلت لك آية للعالمين فأبلى فاعبد فين لاهل سورلين بالسرمانية ، بلغ من بين يديك اني أنا الحق القائم الحق لا أزول صدقوا باللهي الأبي الربى صاحب الجمل والمدرة والعمامة - وهي التاج - والنطين - والمرأوة - وهي القضيبة - الجسد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الانجيل الصبين الاحدب الاشعار الأدعج العينين الاقنى الاف الواضح انطدبن الكش الحجة عرقه في وجهه كالقؤل دبح المسك ينضح منه كأن عقه ابريق فضة وكان الذهب يجرى في تراقيه له شرات من ابته الى سرته تجري كالقضيبة ليس في بطنه شر غيره شئن الكف والتدم اذا جاء مع الناس غرم وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر ويتطرد من صلب ذو النسل القليل - وكأنه أراد التذكور من صلبه هكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان. وروى البيهقي عن عثمان بن الحكم بن رافع بن سنان حدثني بعض عومتي وأبائي أنهم كانت عديم ورقة يتوارثونها في الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وبقيت عديم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ذكر وهاله وأتوه بها مكتوب فيها بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب. هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان ليبلون اطرافهم ويوترون على

أوساطهم ويخوضون البحور الى أعينهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطلوان ، وفي عاد ما أهلكوا بالريح ، وفي ثمود ما أهلكوا بالصيحة : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب . ثم ذكر قصة أخرى قال فجب رسول الله ﷺ لما قرأت عليه فيها .

وذكرنا عند قوله قتلى في سورة الأعراف (التي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) قصة هشام بن العاص الأموي حين بعث الصديق في سرية الى هرقل يدعو الى الله عز وجل . فذكر أنه أخرج لهم صور الانبياء في رقة من آدم الى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين على النمت والشكل التي كانوا عليه . ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسول الله ﷺ قام قائما إكراما له . ثم جلس وجل ينظر إليها ويتأملها . قال قتلنا له من أين لك هذه الصورة ؟ قال : إن آدم سأل ربه أن يرهب جميع الانبياء من ذلك ، فنزل عليه صورهم ، فكان في خزنة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ، فذهبها الى دانيال . ثم قال : اما والله إن ضي قد طابت بلطروج من ملكي وأنى كنت عبدا لاشركم ملكا حتى أموت . ثم أجازنا فاحسن جاشتنا وسرحنا . فلما أتينا أبا بكر الصديق حدثنا بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا ، قال فيكي وقال : مسكين لو أراد الله به خيرا لفضل ، ثم قال أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نصت محمد عندهم . رواه الحاكم بطوله فليكتب ها هنا من التفسير . ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

وقال الأموي : حدثنا عبد الله بن زياد عن ابن اسحاق . قال وحدثني يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية قال : قلت برقيق من عند النجاشي أعطانيهم فقالوا لي يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير أن نخبرنا ، فرأوا بكر قتلته أهو هذا ؟ قالوا لا ، فرأوا بكر قتلته أهو هذا ؟ قالوا لا فدخلنا الدار فرأوا رسول الله ﷺ فنادوني يا عمرو هذا رسول الله ﷺ فنظرت فلذا هو هو من غير أن يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوبا عندهم وقد تقدم انذار سبأ لقومه وبشارته لم يوجود رسول الله ﷺ في شر أسلفناه في ترجمته فأغنى عن إعادة ، وتقدم قول الخبرين من اليهود تتبع الباقى حين حاصر أهل المدينة إياها مهاجرين فيكون في آخر الزمان فرجع منها ونظم شمرأ يتضمن السلام على النبي ﷺ .

قصة سيف بن ذي يزن الحميري وبشارته بالنبي الأُمِّي

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخوافي في كتابه هواتف الجان : حدثنا علي بن حرب حدثنا احمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عمرو بن بكر . هو ابن بكرا القتيبي . عن احمد بن القاسم عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس . قال : لما ظهر سيف بن ذي يزن قال ابن المنذر . واسمه الثمان بن قيس . على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بستين أمة وفود

العرب وشراؤها تهته وتلدحه وقد ذكر ما كان من حسن بلائه ، وأتاه فبين أتاها وفود قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس أبي عبد الله ^(١) وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسد في أهل من وجوه قريش تقدموا عليه صنعاء ، فلذا هو في رأس غمدان التي ذكره أمية أبي الصلت :

واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً . في رأس غمدان داراً منك محلاً

فدخل عليه الأذن ، فأخبره بمكانهم فلذن لهم ، فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام فقال له ان كنت ممن يشككم بين يدي قد أدناك ، فقال له عبد المطلب ان الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيماً صعباً متيناً ، شامخاً بلذخاً ، واغبتك منبتاً طابت أرومته، وعذيت جرومته ، وثبت أصله ، وبقى فرعه في أكرم موطن وأطيب معدن فانت - أبيت الهن - ملك العرب وديهما الذي تخصب به البلاد ، ورأس العرب التي له تتقاد ، وعمودها التي عليه البلاد ، ومقلها التي يلجأ إليه البلاد . وسلفك خير سلف ، وأنت لثامنهم خير خلف . فلن يخذ من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدة بيته ، اشخصنا إليك التي أبهجك من كشف الكرب التي قد فحشنا ، وقد التهنته لا وقد المرزقة . قال: وإيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال أنعبد المطلب بن هاشم . قال ابن أختنا ؟ قل نعم ، قل ادن فدنا ، ثم أقبل عليه وعلى القوم قال مرحباً وأهلاً وفاقاً ورحلاً ، ومستنخاسلاً ، وملسكاً وبعلاً ^(٢) . يعطى عطاء جراً . قد سمع الملك مقالكم وعرف قرايتكم ، وقبل وسبيلكم ، فأنتم أهل الليل والتهار ، ولستم الكرامة ما أقم والحياه إذا ظفتم ، ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود ، فاقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم أتبه لهم اقتباهة فارسل إلى عبد المطلب فذنى بحمله واختلاه ثم قال: يا عبد المطلب إلى مضى إليك من سر على ما لو يكون غيرك لم أبع به . ولكني رأيتك معدنه فاطلعتك طلبه فليكن عندك مطوي حتى يأذن الله فيه ، فلف الله بئنه أمره ، أتى أجد في الكتاب المكنون والصلح المحزون التي اختزنته لافسنا واحتجناه دون غيرنا خبراً عظيماً ، وخطراً جلياً فيه شرف الحياة وقضية الرقة للناس عامة ولرحمك كافة ولك خاصة . قال عبد المطلب أيها الملك مثلك سر وبر ، فما هو فذاؤك أهل البر زمرأ بعد زمر ؟ قال إذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كنفه شامة كانت له الامامة ، ولستم به الزعامة إلى يوم القيامة . قال عبد المطلب - أبيت الهن - لقد أتيت بغير ما آب به وافد ، ولولا هبة الملك واجلاله واعظامه لآسأته من بشارته إلى ما ازداد به سرورا . قال ابن خنيز بن هذا حيتي يولد فيه أوقد ولد واسمه محمد . يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعه . ولدناه سراراً والله بلغه جهاراً ، وجعل له منا انصاراً يميزهم أوليائه ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، ويستبيح بهم كرام الأرض ، يكسر الأوثان ويخمد النيران ، يهد الرجن ويدير

(١) كلمة أبي عبد الله . غير موجودة في الدلائل . (٢) الرميل الكثير السواء .

الشیطان ، قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويضله وينهى عن المنكر ويطلبه . قال عبد المطلب
أيها الملك - عز جديك وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عرك . فهذا نجارى قبل الملك سارلى بأفصاح
فقد أوضح لى بعض الايضاح . قال ابن دى يزن : والبيت ذى الحجب والعلامات على القب انك
يا عبد المطلب لجد غير كذب ، فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع رأسك تلج صدرك وعلا أسرك فهل
أحسست شيئا عما ذكرت لك . قال أيها الملك كان لى ابن وكنت به مصعباً وعليه رفيقا فزوجته كريمة
من كرائم قومه أمته بنت وهب بن مات بنلام سميت محمداً فأت أبوه وأمه وكفنته اناوعه . قال ابن دى
يزن إن الذى قلت لك كما قلت فاحفظ بابنك واحذر عليه اليهود قاتمهم له أعداء . ولئن يجعل الله لهم
عليه سبيلا ، وأطوما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين منك قاتى لست آمن ان تدخل لهم العساة
من أن تكون لىكم الرئاسة فيطلبون له التوائل وينصبون له الخبائل فهم فاعلون أو ابتازم ولولا انى
اعلم أن الموت محتاجى قبل مبته لمرت بجحلى ورجلى حتى اصير يثرب دار مملكته قاتى أجعد فى
الكتاب الناطق والسلم السابق ان يثرب استحكام امره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا انى أقيه
الآ قات واحذر عليه الماعات لاعلنت على حداثة سنه أسره ولا وطأت استان العرب عقبه ، ولكنى
صارف ذلك اليك عن غير قصير بمن ملك . قل ثم أمر لسكل رجل منهم بشرة أعيد وعشرة اماء
وبعائة من الابل وحلتين من البرود وبخسة اوطال من الذهب وعشرة اوطال فضة وكوش مملوءه عنبراً
وأمر لعبد المطلب بشرة أضاف ذلك وقل له : اذا حال المحول فأتى فأت ابن دى يزن قبل أن
يحول المحول ، فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول لا ينطقى رجل منكم بجيزيل عطاء الملك قاته الى غاد
ولكن لىنطقى بما يبق لى ولتقى من يمدى ذكره وفخره وشرفه ، فاذا قيل له متى ذلك قال سيملم ولو
بد حين قال وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جلبنا النصح نفعه المطايا على أكوار اجمال ونوق
مقننة مراقبها تعالى إلى صناء من فجع عيق (١)
قوم بنا ابن دى يزن وقترى بذات بطونها فم الطريق
وترعى من غشائه بروقا مواصلة الوميض الى بروق
فلسا واصلت صناء حلت بدار الملك والحسب العريق

ومكثنا رواء الحافظ ابو نعيم فى الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بكار التستنى ثم قال أبو نعيم
أخبرت عن أبى الحسن على بن ابراهيم بن عبد ربه بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن
السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن دى يزن حدثنى أبى أبو يزن ابراهيم حدثنا حى اجد بن محمد ابو
(١) كذا بالاصول ولم نجد هذا الشعر فى الدلائل ولا فى غيره من المراجع .

رجاء به حدثنا عبي محمد بن عبد العزيز حدثني عبد العزيز بن عفير عن أبيه عن زرعة بن سيف بن ذى
 يزن الحميري قال لما ظهر جدى سيف بن ذى يزن على الحبيشة . وذكره بطوله . وقال أبو بكر الخرائطي
 حدثنا أبو يوسف يعقوب بن اسحاق القلوصي حدثنا الملا بن الفضل بن أبي سوية أخبرني أبي عن أبيه
 عبد الملك بن أبي سوية عن جده أبي سوية عن أبيه خليفة قال سألت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة
 ابن خثعم بن سعد قلت كيف مياك أبو محمد ؟ قال سألت أبي عما سألتني عنه ، قال خرجت رابع
 أربعة من بني تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جنعب بن العقيد ، ويزيد
 ابن ربيعة بن كنانة بن حروب بن ملز ، ونحن نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا
 على غدير عليه شجرات فحدثنا فسمع كلامنا راهب ، فأشرف علينا فقال إن هذه لثة ما هي بلفة هذه
 البلاد قلنا نعم نحن قوم من مضر ، قال من أى المضرين ؟ قلنا من خندف قال أما إنه سييمث وشيكا
 نبى خاتم النبيين ، فادعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . قلنا له ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال
 فرجسنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمداً . معنى ان كل واحد منهم طمع أن أن
 يكون هذا النبي المبشر به ولده .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عبد الله بن أبي سعد حدثنا حازم بن عقال بن الزهر بن
 حبيب بن المنذر بن أبي الحصين بن السموأل بن عادي حدثني جابر بن جدان بن جميع بن عثمان بن
 مياك بن الحصين بن السموأل بن عادي . قال لما حضرت الأوس بن حذافة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر
 الواة اجتمع اليه قومه من غسان فقالوا إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى وكنا نأمرك بالتزويج في
 شبائك فتأبى وهذا أخوك الخردج له خمسة بنين ، وليس لك ولد غير مالك قال : لن يهلك هالك ترك
 مثل مالك إن الذى يخرج النار من الوئمة ^(١) قادر أن يجعل لملك نسلا ورجالا يسلا وكل إلى الموت
 ثم أقبل على مالك وقال : أى بنى المنية ولا الدنية ، العقاب ولا الثعالب ، التجلد ولا التلدد ^(٢) القبر خير
 من القبر ، إنه من قل ذل ، ومن كرم ، من كرم الكريم الدفع عن الحرم . ولله يومان فيوم لك
 ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر ، وكلامها سينحسر ، ليس ثبتت منها
 الملك المتزوج ، ولا التميم المطروح ، سلم ليومك حياك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدت للسبايا يوم آل محرق وأدرك أمسى صيحة اللهف المحرق
 فلم أر ذا ملك من الناس واحداً ولا سوقة إلا إلى الموت والقبر
 فذل الذى أردى ثموداً وجرحاً سيقب لى نسلا على آخر الدهر

(١) الوئمة الحجارة ، يريد ما يكون من شرر إذا قدحت الحجارة بلزند .

(٢) فى الامالى لابي على القتالى هذه القصه بىاق غير هذا وزيادة وقصاف .

تحربهم من آل عمرو بن عامر
 فان لم تكن الايام أبين جدتي
 قلت لشارباً علا فوق عرشه
 ألم يأت قومي أن لله دعوة
 إذا ثبت المبعوث من آل غالب
 هناك فابنوا نصره يسلاكم
 فيوز بها أهل السادة والبر
 بمكة فيا بين مكة والحجر
 في عامر إن السادة في النصر

قال ثم قضى من ساعته .

باب في هوائف الجان

﴿ وهو ما ألقته الجان على ألسنة الكهان ومسوحاً من الأوثان ﴾

وقد تقدم كلام شق وسطيح لريمة بن نصر ملك اليمن في البشارة بوجود رسول الله ﷺ ،
 رسول ذكرى يأتي إليه الوحي من قبل العلي . وسأتي في المولد قول سطيح لعبد المسيح : إذا كثرت
 التلاوة وغضت بحيرة ساوة وجاء صاحب المراوة يعني بذلك رسول الله ﷺ كما سيأتي بيانه مفصلاً (١)
 وقال البخاري حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثني ابن وهب حدثني عمرو بن محمد بن زيد . أن
 سالمًا حدثني عن عبد الله بن عمر قال ما سمعت عمر يقول لشيء قط . إني لأظنه إني لا أظنه إلا كان كما يظن . بينا عمر بن
 الخطاب جالس إذ مر به رجل جبل ، فقال لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان
 كاهنهم ، على الرجل ، فدعى به فقال له ذلك قال : ما رأيت كالذيوم استقبل به رجلاً مسلماً . قال فإني
 أهرم عليك إلا ما أخبرني قال كنت كاهنهم في الجاهلية ، قال فما أعجب ما جاءك بك به جنيثك ؟ قال بينا
 أنا في السوق يوماً جادتي أعرف فيها الفزع . قالت :

ألم تر الجن وإبلاسا . ولبسا من جد أنكساها ؟

ولحقها بقلاص وأجلسها

قال عمر صدق بينا أنا نائم عند آلهم جاء رجل بسجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً
 قط أشد صراخاً منه يقول : يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله فوب القوم ، قلت
 لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقامت
 فأتينا أن قيل هذا نبي . فخر به البخاري .

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأزدي . ويقال السدوسي من أهل السراة من جبال البلقاء .

(١) من أول الباب إلى هنا كله غرقت به النسخة الحلبية ولم ترد في المصرية .

له حجة ووفادة . قال أبو حاتم وابن منته روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بن علي ، وقال البخاري له حجة . وهكذا ذكره في أسماء الصحابة أحمد بن روح البرذعي الحافظ ، والدارقطني ، وغيرهما . وقال الحافظ عبد الله بن مكي عن سعيد المصري سواد بن قارب بالتحفيف . وقال عثمان الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي كان من أشرف أهل اليمن ذكره أبو نعيم في الدلائل . وقد روى حديثه من وجوه آخر مطولة باليسط من رواية البخاري .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان أنه حدث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب . فلما نظر إليه عمر قال إن الرجل لمل شركه ما فرقته يد أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فلم عليه الرجل ثم جلس ، قال له عمر : هل أسلمت ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين . قال فهل كنت كاهنا في الجاهلية ؟ قال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيته منذ وليت ما وليت . قال عمر : اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا فبعد الأضنام ونفتق الأوتان حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام . قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال فخيرني ما جاء به صاحبك . قال جاءني قبل الإسلام بشهر أو شيعة ^(١) قال : ألم تر إلى الجن والبالسا ، والبالسا من دينها ، ولحقها بالقلاس وأحلاسها . قال ابن اسحاق : هذا الكلام سبع ليس بشر . [قل عبد الله بن كعب] .

قال عمر عند ذلك يحدث الناس : والله أتى لسند وثق من أوثق الجاهلية في غر من قریش قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننظر قسمه أن يقدم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أشد منه ، وذلك قبل الإسلام بشهر أو شيعة يقول : يا ذريح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا إله إلا الله . قال ابن هشام ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا إله إلا الله قال وأنتدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجن والبالسا وشدها البس بإحلاسها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كانوا

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا يحيى بن جبير بن النعمان الشامي حدثنا علي بن منصور الأنباري عن محمد بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي . قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل . فقيل يا أمير المؤمنين أنفرك هذا المار ؟ قال ومن هذا ؟ قالوا هذا سواد بن قارب الذي أمه ربه بظهور رسول الله ﷺ قال فارسل إليه عمر . فقال له أنت مراد

(١) أى دونه قليل ، وشيع كل شئ . ما هو له تبع . حكاية السهيل .

ابن قارب قال نعم . قال فأنت على ما كنت عليه من كهاتك ؟ قال فضضب . وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين ، فقال عمر يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهاتك ، فأخبرني ما أتاك ريثك بظهور رسول الله ﷺ ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رثي فضربني برجله وقال قم يسود بن قارب ، واسمع مقالتي واعقل إن كنت تفعل ، إنه قد بث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عباده ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتغلبها وشدها ليس بأقاربها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدما لها كاذابها

قال قلت دعني أنام ، فأتى أمسيت ناعساً . قال فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال : قم يسود بن قارب واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تفعل ، إنه قد بث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عباده ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتغلبها وشدها ليس بأقاربها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين رواهبها وأحجارها

قال قلت دعني أنام ، فأتى أمسيت ناعساً ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله . وقال : قم يسود بن قارب ، واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تفعل ، إنه قد بث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عباده ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن ونحاسها وشدها ليس بأقاربها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما خير الجن كأنحاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسم بينك إلى راسها

قال سمعت وقلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحلت تلقى ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فإذا رسول الله ﷺ في أصحابه فدنوت فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال هات فأنتأت أقول :

أتاني نجي بد هده ورقدة ولم يك فيها قد تلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أنك رسول من لؤي بن غالب
فشرت عن ذيلي الأزرار ووسطت بي العطب الوجناء غير السباب
فاشهد أن الله لا شيء غيره وأنت مأمون على كل غالب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله بالإن لا كرمين الأطلاب

فرأى بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان قباجاه شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة سواك بمن عن سواد بن قارب

قال فزع رسول الله ﷺ وأصحابه بمقاتي فرساً شديداً ، حتى روى الفرح في وجوههم . قال فوثب إليه عمر بن الخطاب فأنزله وقال قد كنت أشتي أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك ريثك اليوم ؟ قال أما منذ قرأت القرآن فلا ، وهم العوض كتاب الله من الجن . ثم قال عمر : كنا يوماً في حى من قریش يقال لهم آل ذريح وقد ذبحوا عجلاتهم والجزار يابلج ، إذ سمعنا صوتاً من جوف السجل - ولا نرى شيئاً - قال يا آل ذريح ، أمر نجيح صانع يصبح بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله ، وهذا منقطع من هذا الوجه ويشهد له رواية البخاري . وقد تساعدوا على أن السامع الصوت من السجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم .

وقد الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل النخاعلى في كتابه الذى جمعه في هواتف الجن : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدب حدثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثنا سعيد بن عبيد الله الوصابي عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي . قال : دخل سواد بن قارب السدوسي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال نشدتك بالله يسواد بن قارب ، هل تحسن اليوم من كها نك شيئاً ؟ فقال : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، ما استقبلت أحداً من جلسائك بمثل ما استقبلني به قال سبحان الله يا سواد ما كنا عليه من شركنا أعظم مما كنت عليه من كها نك ، والله يا سواد قد بلغني عنك حديث إنه لعجيب من العجيب ، قال إى والله يا أمير المؤمنين إنه لعجيب من العجيب . قال فحدثني قال كنت كها نك في الجاهلية ، فينا أة ذات ليلة فم إذ أتاني نجي ففرضني برجله . ثم قال يا سواد اسم أقل لك ، قلت هات . قال :

عجبت للجن وأجاسها (١) ورحلها ليس بأجاسها

تهوى إلى مكة تبني الهدى ماؤمنوها مثل أرجاسها

فرحل إلى الصفوة من هاشم واسم بينك إلى رأسها

قال فسمت ولم أحل بقوله شيئاً ، فلما كانت الليلة الثانية أتاني ففرضني برجله ثم قال لي قم يا سواد

ابن قارب اسم أقل لك ، قلت هات . قال :

عجبت للجن وتسلها وشدها ليس بأقناها

تهوى إلى مكة تبني الهدى ما صادق الجن ككذابها

فرحل إلى الصفوة من هاشم ليس المقادير كأذناها

(١) وفي المصرية وإجاسها . وفي ابن هشام وإجاسها . وفي السبيل روايت مختصة .

قال خرك قوله مني شيئا ونمت فلما كانت الآية الثالثة أتاني فضربني برجله ثم قال يا سواد بن قارب
أعقل أم لا تعقل ؟ قلت وما ذاك ؟ قال ظهر بمكة نبي يدعو إلى عبادة ربه خلقي به ، اسمع أقل لك .
قلت مات قال :

عجيت للجن وتعارها وزحلتها ليس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى مامونو الجن ككفارها
تأرجل إلى الصفوة من هاشم بين روايها وأحبارها

قال قلت أن الله قد أراد بي خيراً . صمت إلى بردة لي ففتنتها ولبستها ووضعت رجل في غرز
ركاب الناقة . وأقبلت حتى انتهيت إلى النبي ﷺ فرض علي الإسلام فأسلمت ، وأخبرته الخبر فقال
« إذا اجتمع المسلمون فخيرهم » فلما اجتمع المسلمون قمت قلت :

أتاني نجي بد هذه ورقدة ولم يك فيا قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أذاك رسول من لوى بن ظلب
فشرت عن ذيلي الأزار ووسط بي الله علب الوجناء غير السباب^(١)
واطم أن الله لا رب غيره وأذك مأمون على كل غاب
وأذك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فرنا بما يأتيك يا خير مرسل وإن كان فيا جاء شيب القوائب^(٢)

قال فسر المسلمون بذلك ، فقال عمر هل تحس اليوم منها بشي . قال أما اذ علمني الله القرآن فلا
وقد رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن عمر بن حفص . قال لما ورد سواد بن قارب على عمر
قال : يا سواد بن قارب ما جئ من كذاتك ؟ غضب وقال ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحداً
من العرب بمثل هذا ، فلما رأى ما في وجهه من الغضب ، قال : أقطر سواد الذي كنا عليه قبل اليوم
من الشرك أعظم . ثم قال يا سواد حدثني حديثاً كنت أشتى اسمه منك ، قال نعم ، بين أنا في ابل
لي بالسرارة ليلاً وأنا نائم وكان لي نجي من الجن أتاني فضربني برجله فقال لي قم يا سواد بن قارب قد
ظهر بهامة نبي يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، قد ذكر القصة كما تقدم وزاد في آخر الشعر :

وكن لي شفيها يوم لا ذو قرابة سواك بمن عن سواد بن قارب^(٣)

(١) كذا في الأصلين . والقي في السجل :

فرفت اخيل الأزار وشمرت بي الرمس الوجناء هول السباب

(٢) في السجل : فرنا بما يأتيك من وحى ربنا وإن كان فيا جئت شيب القوائب

(٣) في السجل : بمن فتيلاً عن سواد بن قارب .

قال رسول الله ﷺ : « سر في قومك وقل هذا الشر فيهم » .

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن عمار بن عطاء المخاربي عن عباد بن عبد الصمد عن سيد بن جبير قال أخبرني سواد بن قارب الأزدي . قال : كنت قائماً على جبل من جبال السراة فأتاني آت فصرخ بي برجله - وذكر القصة أيضاً .

ورواه أيضاً من طريق محمد بن البراء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء . قال قال سواد بن قارب : كنت نزلًا ببلند فجاءني رثي ذات ليلة فذكر القصة . وقال بعد انشاد الشعر الأخير فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : « أظنت يا سواد » .

وقال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة ^(١) حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الرحمن بن الحسن حدثنا علي بن حرب حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن عبد الله العمالي . قال كان منا رجل يقال له مازن بن المصوب يسكن صناعية يقال لها صاباء من عمان ، وكانت تظنه بنو الصامت وبنو حطامة ومهرة وهم احوال مازن . أمه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن خويص ^(٢) أحد بني ثمران قال مازن : فترنا يوماً عند الصنم كثيرة - وهي القديحة ^(٣) - فسمعت صوتاً من الصنم يقول : يا مازن اسمع نسر ، ظهر خير ويطن شر ، بث نبي من مضر ، يدين الله الأكبر ، فذع فحيثما من حجر . فسلم من حرمصر . قال فترعت فقلت فزعاً شديداً . ثم عترنا بعد أيام بحيرة أخرى ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : اقبل الى اقبل ، سمع مالا تعجل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق منزل ، فأمن به كي تعدل عن حرثك وتعمل وتودها الجنادل . قال مازن : قلت إن هذا لمحب وان هذا ظهير يراد بي وقسم علينا رجل من الحجاز فقلت ما الظهير وراك ؟ قال ظهر رجل يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه أجيوا داعي الله ، فقلت هذا نبأ ما سمعت ، فترت الى الصنم فكسرتة جذاذاً وركبت راحلتي حتى قدمت على رسول الله ﷺ فشرح الله صدرى للإسلام ، فسلمت ، وقلت :

كسرت لبحراً ^(٤) جذاذاً وكان لنا ربا طيف به ضللا يتضال

فلما شئى هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه منى على بال

يا راكبا بلغن عمراً واخوتها إلى من قال رجباً لبحر قال

يعني يمررو الصامت واخوتها حطامة . قلت يا رسول الله إلى امرؤ مولع بالطرب والبلوك من النساء وشرب الخمر . وألحت علينا السنون فاذبحن الأموال واهزلن السراير وليس لي ولد ، فاذبحوا

(١) هذه القصة كانت مؤخرة في الحليية . (٢) في الدلائل لأبي نعيم حويص بلقاء المهمة .

(٣) شاة تذبح في رجب أو ذبيحة تذبح للاصنام فيصب دمها على رأسها . من التهاية .

(٤) وفي الدلائل : لبحراً بلقاء .

الله أن يذهب عني ما أجد ويأتمننا بالحيا ، وهب لي ولدا قال النبي ﷺ : « اللهم أبده بطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبلاثم وبالمهرقة وآته بالحيا وهب له ولدا » قال فذهب الله عني ما أجد واخصبت عمان وتزوجت أربع حرار وحفظت شطر القرآن ، وهب لي حيان بن مازن وأنا أنأ يقول :

اليسك رسول الله خيت مطبق تحبب الغياث من هجان إلى العرج
لنشفع لي ياخير من وطى الحصى فيغزولي ربي طررج بالفتح
إلى مشر خالفت في الله دينهم فلا رأيهم رأي ولا شرهم شر جي
و كنت أسرا بالخر والعر مولدا شباني حتى آذن الجسم بالهيج
فبدلني بالخر خوفا وخشية وبالمهر احصانا لخصن لي فرجي
فأصبحت همى في الجهاد وثيق فله ماصوى والله ما حجي

قال فلما أتيت قومي أيوني وشتموني ، وأسروا شاعرا لهم فهباني ، قتلت إن رددت عليه قائما أجمو فنى . فرحت عنهم فأتيت منهم زلفة عذبة وكنت القيم بلورهم قالوا يا ابن عم : هبنا عليك أسرا وكرهنا ذلك فان أيت ذك طررج وقم بأمرنا وشأنا وما تدب به . فرجيت معهم وقلت :

ليفضكم عندنا سر مذاقه وبضنا عندكم يا قومنا لين
لا يظعن الدهر إن بثت مائكم وكلكم حين يفتى عينا فطن
شاعرا مضمع عنكم وشاعركم في حديثنا مبلغ في شمتنا لسن
ما في القلوب عليكم فاطموا وغر وفي قلوبكم البضاء والاحن

قال مازن : فهدام الله بد إلى الاسلام جميعا .

ودرى الحافظ أبو فهم من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال إن أول خير كان بالمدينة بمسح رسول الله ﷺ أن أسراة بالمدينة كان لها تابع من الجن ، فجاء في سورة طائر أبيض فوقع على حائط لهم ، وقالت له لم لا تنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك ، وتضربنا ونضربك ؟ فقال لها إنه قد بث نبي بمكة حرم الزنا ومنع منا القمار .

وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن علي بن الحسين . قال : إن أول خير قدم المدينة عن رسول الله ﷺ أن أسراة تدعى قطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار فقالت ألا تنزل ؟ فقال لا إله إلا الله قد بث الرسول القى حرم الزنا .

وارسله بعض التاجين أيضاً وسماه بين لوزان وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة ، ثم لما قدم عاتبه فقال اني جئت الرسول فسمه يحرم الزنا فليلك السلام .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن حاتم بن عمر بن قتادة . قال قال عثمان بن عفان :

خرجنا في صير الى الشام - قبل أن يبعث رسول الله ﷺ - فلما كنا بفراه الشام - وبها كاهنة - فتمرضتنا ، فقالت أتاني صاحبى فوقف على بلى ، قلت ألا تدخل فقال لا سبيل الى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق ، ثم انصرفت فرجعت الى مكة فوجدت رسول الله ﷺ قد خرج بمكة يدعو الى الله عز وجل .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله الزهرى . قال : كان الوحي يسمع فلما كان الاسلام منعوا وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سميرة لما تابع من الجن ، فلما رأى الوحي لا يستطاع أناتها فدخل في صدرها فضج في صدرها فذهب عقلها فجعل يقول من صدرها : وضع التناق ومنع الرقاق وجاء أمر لا يطاق واحد حرم الزنا .

وقال الحافظ أبو بكر الخطاطبى : حدثنا عبد الله بن محمد البلى - بمصر - حدثنا عمار بن زيد حدثنا عيسى بن يزيد عن صالح بن كيسان عن حدث عن مرداس بن قيس السدوسى قال حضرت النبي ﷺ - وقد ذكرت عنده الحكاة وما كان من تغييرها عند خروجه - قلت يا رسول الله قد كان عندنا في ذلك شيء أخبرك أن جارية منا يقال لها انطلة لم يسلم عليها إلا خيراً ، إذ جاءتنا قالت يا مشر دوس المعبب السجب لما أصابنى ، هل علمت إلا خيراً ؟ قلنا وما ذاك ؟ قلت أتى لى غنى إذ غشي ظلة ووجدت كعس الرجل مع المرأة قد خشيت أن أكون قد جبلت . حتى إذا دنت ولائها وضمت غلاماً أنصف له أذنان كلذى الكلب فكش فينا حتى أنه يلبس مع الثلمان إذ ومب وثبة والتي لزاره وصاح بأعلى صوته وجعل يقول : يا ويلة يا ويلة ، يا عولة يا عولة ، يا ويل غم ، يا ويل فهم ، من قابس النار . انجيل والله وراء النقية ، فمن قيان حسان نجية . قال فركبنا وأخذنا للاداة وقلنا يا ويلى ما ترى فقال [هل] من جارية طامث قلنا ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا هو والله عندى عقيقة الأم قلنا فسلها فأتى بالجارية وطلع الجبل وقال للجارية اطرحى ثوبك واخرجى في وجوههم ، وقال لقوم اتبعوا أثرها ، وقال لرجل منا يقال له احمد بن حابس يا احمد بن حابس عليك أول فارس . فجعل احمد فطن أول فارس فصرعه واتهموا فقتلناه . قال فأبينا عليهم بيتاً وصميناها ذا انطلة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول حتى إذا كان منكك يا رسول الله قال لنا يوماً يلمشر دوس نزلت بنو الحارث بن كعب فركبنا قال لنا أكدسوا الخيل كدساً ، أحشوا القوم رسماً ، أغوم غدية واشربوا الخمر عشية . قال فقتلناهم فنهزموا وغلبونا فرجنا اليه قلنا ما حالك وما الذى صنعت بنا فنظروا اليه وقد احمرت عيناه واتصبت أذنه وانهم غضباناً حتى كاد أن ينفطر وقام فركبنا واغترها هذه له ومكثنا بعد ذلك حيناً ثم دما قتل هل لكم في غزوة نهب لكم عزا ونجبل لكم حرراً ويكون في أيديكم كنزاً ؟ قلنا ما أخرجنا إلى ذلك فقال اركبوا فركبنا قلنا ما تقول قتال بنو الحارث بن مسلة ، ثم قل قنوا فوقنا

ثم قال عليكم بهم ، ثم قال ليس لكم فيهم دم ، عليكم بمضرم أربلب خيل وقسم ثم قال لا ، رهط دريد
 ابن الصبة قليل السدد وفي التهمة ثم قال لا ، ولكن عليكم بكعب بن ديمة وأسكنوها ضيمة ماسر بن
 صمصمة فليكن بهم الوقعة قال فليتناهم فهزمونا وفضحونا فرجنا وتلنا ويك ماذا تصنع بنا قل ما أدرى
 كذبي الذي كان يصدقني . أسجنوني في بيتي ثلاثاً ثم اثقني فضلتنا به ذلك ثم أتينا به بدثة ففتحنا عنه
 فإذا هو كأنه حجرة نلر ، فقال يا مشر دوس حوست اللها وخرج خير الأنبياء قلنا أين ؟ قال بمكة
 وأنا ميت فدفنوني في رأس جبل فاني سوف أضطرم ناراً وإن تركتموني كنت عليكم حاراً فإذا رأيتم
 اضطرابي وتلهم فادفوني بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر بسك اللهم فاني أهدى وأطقى . قال وإنه
 مات فاشتمل ناراً فضلتنا به ما أمر وقد فتنناه بثلاثة أحجار قول مع كل حجر بسك اللهم فهد وطى
 وأقتنا حتى قدم علينا الحاج فآخبرونا بميثك يا رسول الله . غريب جداً . وروى الواقدي عن أبيه عن
 ابن أبي ذئب عن مسلم بن جندب عن النضر بن سفيان الهذلي عن أبيه . قال : خرجنا في عيد لنا إلى
 الشام فلما كنا بين الزرقاء ومان قد عرسنا من الليل فإذا بنارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها
 النيام هبوا فليس هذا بيمن رقاد قد خرج أحد فطردت الجن كل مطرد ففرعنا ونحن رقة حزوة كلمهم
 قد سمع بهذا فرجنا إلى أهلنا فلذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش في نبي قد خرج فيهم من نبي
 عبد المطلب اسمه احمد . ذكره أبو نعيم . وقال الخواطي : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر -
 حدثنا عمار بن زيد حدثني عبد الله بن الولاء حدثني يحيى بن عروة عن أبيه أن قرأ من قريش منهم
 ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وزيد بن عمرو بن خليل وعبيد الله بن جحش بن رباب
 وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون اليه قد اغتفوا ذلك اليوم من كل ستة عيداً كانوا
 يظفونه وينحرون له الجزور ثم يأكلون ويشربون الخمر ويمسكون عليه فدخلوا عليه في الليل فرأوه
 مكبواً على وجهه ، فأذكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله ، فلم يلبث أن اهلب اهلباً عنيفاً ، فأخذوه
 فردوه إلى حاله فأهلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعطوا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث له قد
 أكثر التنكس إن هذا لامر قد حدث وذلك في البيلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ فجعل عثمان يقول :

أيا صنم اليد التي صف حوله صناديد وفد من بعيد ومن قرب

تنكست مغلوباً فما ذاك قل لنا أذاك صفيه أم تنكست للعتب

فان كان من ذنب أتيانا فانتا نبوء بأقرار وتلوى عن الذنب

وإن كنت مغلوباً ونكست صاغراً فما أنت في الأوثان بالسيد الرب

قال فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير

وهو يقول :

تردى لمولود أنزلت بنوره
وخرت له الأوتان طراً وأرعدت
ونز جميع الفرس باخت وأظلت
وصدت عن السكبان بالنيب جنبها
فيا لتقصي ارجوا عن ضلالكم
وهبوا إلى الاسلام والمنزل الرحب

قال فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنم بضعكم على بعض ، فقالوا
أجل ، فقال لهم ورقة بن نوفل قتلون والله ما قومكم على دين ولقد اختلوا الحجة وتركوا دين إبراهيم
ما حجر تطيفون به لا يسم ولا يصير ولا ينفع ولا يضربا قوم التمسوا لأنفسكم الدين . قال فخرجوا
عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن الخنيفة دين إبراهيم عليه السلام فأما ورقة بن نوفل
فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علماً وأما عثمان بن الحوثر فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده
وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس ثم إله خرج بسد ذلك فضرب في الأرض حتى بلغ
الزقة من أرض الجزيرة فلقى بها راهباً عالمًا فأخبره بالنبي يطلب فقال له الراهب إنك لتطلب ديناً ما
تجد من يحميك عليه ، ولكن قد أضلكت زمان نبي يخرج من بلدك يستدين الخنيفة فلما قال له ذلك
رجع يريد مكة فآذنت عليه نغم قتلوه ، وأما عبد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي ﷺ ثم
خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر وطارق الاسلام فكان بها حتى هلك هناك
نصرانياً . تقدم في ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل له شاهد .

وقد قال انرا ائلي : حدثنا أحمد بن اسحاق بن صالح أبو بكر الوراق حدثنا عمرو بن عثمان حدثني
أبي حدثنا عبد الله بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن محمد بن عبد الرحمن بن أنس السلي
عن العباس بن مرداس أنه كان يمر في لقاح له نصف النهار إذ طلعت عليه فامة يضاء عليها راكب عليه
ثياب ياض مثل اللبن قال : يا عباس بن مرداس ألم تر أن السماء قد كفت احراسها ، وإن الحرب
تجرعت اغناسها ، وإن الخيل وضعت احلاسها ، وإن القى تزل بالير والتقوى ، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ،
صاحب الناقة القصوى قال فرجت مرعوباً قد راغني ما رأيت وسمعت حتى جئت وثناً لنا يدعي الضياد
وكنّا فبيده ونسككم من جوفه فكنت ماحوله ثم تسحت به وقبلته فلما صاخب من جوفه يقول :

قل لقبائل من سليم كلها هلك الضياد وفقر أهل المسجد

هلك الضياد وكان يعبد مرة قبل الصلاة مع النبي محمد

إن القى وورث النبوة والهدى بد ابن مريم من قريش مهتد

قال فخرجت مرعوباً حتى أتيت قومي قصصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر وخرجت في ثلاثمائة

من قومي بني حارثة الى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة فدخلنا المسجد فلما راى رسول الله ﷺ قال لي: « يا عباس كيف كان اسلامك » قصصت عليه القصة . قال فسر بذلك واسلمت أنا وقومي . ورواه الحافظ أبو نعيم في اللآلئ من حديث أبي بكر بن أبي عاصم عن عمرو بن عثمان به . ثم رواه أيضا من طريق الأصمعي حدثني الوصافي عن منصور بن المتمر عن قبيصة بن عمرو بن اسحاق الخزازي عن العباس بن مرداس السلمي . قال : أول اسلامي ان مرداسا ابني لما حضرته الوفاة أوصاني بسمه له يقال : نجاد نجحت في بيت وجلت آتية كل يوم مرة فلما ظهر النبي ﷺ سمعت صوتا مرسلا في جوف الليل داعيا فوثقت الى ضياد مستغنيا وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول :

قل تقبيلة من سليم كلها هلك الا نيس وعاش أهل المسجد
أودى ضياد وكان يبيد مرة قبل الكتاب الى النبي محمد
ان القى ورث اننبوة والمهدي بد ابن مريم من قريش مهتد

قال فكشمت الناس قلما رجع الناس من الأحزاب يينا أنا في ابلي بطرف العقيق من ذات عرق راقدًا سمعت صوتا واذا برجل على جناح نعامه وهو يقول : النور القى وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة المضياء في دير اخوان بني المقتاد ، فلباه هاتف من شماله وهو يقول :

بشر الجبن وابلاسها ان وضعت الملى أحلاسها
وكلات السماء أحراسها

قال فوثقت مذمورا وعلت ان محمدا مرسل ، فركبت فرسي واحتثت السير حتى انتهيت اليه فبأيمته ثم انصرفت الى ضياد فخرقه بالنار ثم رجعت الى رسول الله ﷺ فأنشدته شعرا أقول فيه :

لمرئ أئى يوم أجعل جاهلا ضيادا لرب العالمين مشاركا
وتركى رسول الله والأوس حوله أولئك أنصار له ما أولئك
كتارك سهل الأرض والحزن يبتنى ليالك في وعت الأمور المسالكا
فأمنت بالله القى أنا عبده وخلفت من أمسى يريد المهادكا
ووجهت وجهي نحو مكة قاصدا أطيع نبي الأكرمين المباركا
نبي أنما بد عيسى بناطق من الحق فيه الفصل فيه كذلك
أمين على القرآن أول شافع وأول مبعوث يحجب الملائكا
تلافي عرى الاسلام بد انتقاضها فاحكمها حتى أقام المناسكا
عينك يا خير البرية كلها توسطت في الفرعين والمجد مائكا
وافت المصن من قريش اذا سمعت على ضررها تتيق القرون المباركا

إذا انصب الحيان كعب ومالك وجدناك محضا والنساء الموارثا

قال انظر اعلى : وحدنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر حدثنا عمارة بن زيد حدثنا اسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق حدثني شيخ من الانصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد ابن مسلمة قال بلغني أن رجلا من خشم كانوا يقولون إن عمادنا إلى الاسلام انا كنا قوما نعبد الاوثان فبينما نحن ذات يوم عند وثني لنا إذ أقبل غر يقاضون اليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم إذ هتف بهم حاتم يقول :

يا أيها الناس ذروا الاجسام	من بين اشيخ الى غلام
ما أنتم وطائش الاحلام	ومستد الحكم الى الاصنام
أكلكم في حيرة نيام	أم لا ترون ما ألقى أسمى
من ساطع يجلو دجى الظلام	قد لاح فئاظر من نهام
ذاك نبي سيد الانام	قد جاء بمد الكفر بالاسلام
أكرمهم الرحمن من امام	ومن رسول صادق الكلام
أعدل في حكم من الاحكام	يأمر بالصلاة والصيام
والبر والفضائل للارحام	ويجزى الناس عن الآثام
والرجس والافاثان والحرام	من حاتم في ذروة السنام

مستطنا في البلد الحرام

قال فلما سمعنا ذلك غرقنا عنه وأتينا النبي ﷺ فسلمنا .

وقال انظر اعلى : حدثنا عبد الله البلوي حدثنا عمارة حدثني عبيد الله بن العلاء حدثنا محمد بن عكيم عن سعيد بن جبير أن رجلا من بني نعيم يقال له رافع بن عير - وكان أهدى الناس للطريق واسرام بليل ، وأهجمهم على هول ، وكانت الرب تسببه فالتك دعوى العرب لهدايته وجراثة على السير - فذكر عن بدء إسلامه قال إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم فترلت من راحتي ونحتها وتوسدت ذراعها ونمت وقد تمومت قبل نومي قلت أعوذ بظلم هذا الراعي من الجن من أن أؤذي أو أحاج فأريت في منامي رجلا شابا يرصد نقي ويده حربة يريد أن يضربني في فمها ، فاقبته فالتك فرما فتنظرت بيما وشالا فلم أر شيئا ، قلت هذا حلم ثم عدت ففتوت فأريت في منامي مثل رؤياي الأولى فاقبته فدرت حول نقي فلم أر شيئا وإذا نقي ترعد ، ثم غوت فأريت مثل ذلك فاقبته فأريت نقي فضطرب والتفت فإذا أنا برجل شاب كالنبي رأيت في المنام يده حربة ورجل شيخ يمسك يده برده منها وهو يقول :

بأملك بن مهلهل بن دؤر مهلفني لك مئزى وإزاري
عن ناقة الأنسي لا تعرضها واختربها ما شئت من أوارى
وقد بدا لي منك ما لم احتسب ألا رعيت قراني وضاري
تسو اليه بحيرة مسمومة تبا لنفسك يا أبا النصار
لولا الحياء وأن أهلك جيرة لست ما كشفت من أخبارى

قال فأجابه الشاب وهو يقول :

آردت أن تملو وتغضى ذكرنا في غير مزربة أبا العيزار
ما كان فيهم سيد فيها مضى إن الخيلار هو بنو الاخيار
فقصد قصصك يلمسكبر انما كان الخير مهلهل بن دؤر

قال فيينا ما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش قال الشيخ لفتي قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت فداء ناقة جارى الأنسي ، قام الفتى فخذ منها ثوراً وأصرف . ثم التفت إلى الشيخ قال يا هذا إذا تزلت وأديا من الأودية خفت هوله قل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادى ولا تمذ بأحد من الجن قد بطل أسرها قال قلت له ومن محمد هذا ؟ قال نبي عربي لا شرق ولا غربى بث يوم الاثنين . قلت وابن مسكنه قال يثرب ذات النخل . قل فركبت راحتي حين برق لي الصبح وجددت السير حتى تحسنت المدينة فرأى رسول الله ﷺ فحدثني بمحدثي قبل أن أذكر له منه شيئا ودماني إلى الاسلام فسلمت . قل سيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذى أنزل الله فيه (وإله كان رجال من الأنس يموذون رجال من الجن فزادهم رهقا) وروى النضر أطل من طريق إبراهيم بن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي . قال : إذا كنت بواد تخاف السبع قل أعوذ بدانيال والجب ، من شر الأسد . وروى البلوى عن عمارة بن زيد عن إبراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق حدثني يحيى بن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن ابن عباس قصة قتال علي الجن باليتر ذات النمل التي بالبحثة حين بعث رسول الله ﷺ يستقي لهم الماء فزادوا منه وقطعوا الدلو فقتل اليهم ، وهي قصة معطوة منكزة جدا والله أعلم .

وقال النضر أطل : حدثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره حدثنا سليمان ابن بخت شريحيل الدمشقي حدثنا عبد القدوس بن الحجاج حدثنا خالد بن سعيد عن الشعبي عن رجل قال كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبي ﷺ ينذاكرون فضائل القرآن قال بعضهم خواتيم سورة النحل ، وقال بعضهم سورة يس ، وقال علي فأنتم عن فضيلة آية الكرسي أما لهما سبعون كلمة في كل كلمة بركة . قال وفي القوم عمرو بن معدى كرب لا يهجر جوابا ، قال أين أنتم عن

بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال عرحدثنا يا أبا ثور . قال عينا أنا في الجاهلية إذ جهنني الجوع فأفقت فرسي في البرية فما أصبت الابيض النعم ، فيينا أنا أسير اذا أنا بشيخ عربي في خيمة ، والى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ومعه غنيمات له ، قلت له استأسر نكحتك أمك . فرفع رأسه الى وقال يا قتي ان أردت قري فأزول وإن أردت معونة أعتاك . قلت له استأسر قال :

عرضنا عليك النزول منا تكرما فلم ترعوى جهلا كفعل الاشائم

وجئت بهتان وزور ودون ما تمنيت به بالبيض حز النلاصم

قال ووثب الى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأنني مثلت نحتي . ثم قال أعتك أم أدخل عتك ؟ قلت بل خل عني قال خل عني . ثم انضى فاضى جاذبني بالمعادة . قلت استأسر نكحتك أمك قال :

بسم الله والرحمن فوزنا هناك والرحم به قهرنا

وما تقي جلادة فني حانظ اذا يوم لمركة برزنا

ثم وثب لي وثبة كأنني مثلت نحتي . قال أعتك أم أدخل عتك ؟ قال قلت بل خل عني . خل عني فانطلقت غير بيد . ثم قلت في قضى يا عمرو أيقهرك هذا الشيخ . والله لووت خير لك من الحياة ، فرجعت اليه فقلت له استأسر نكحتك أمك . فوثب الى وثبة وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم فكأنني مثلت نحتي ، قال أعتك أم أدخل عتك ؟ قلت بل خل عني قال هيات ، يا جارية إثنيني بالمدينة فأنته بالمدينة فخر ناصيتي وكانت العرب إذا غفرت رجل غفرت ناصيته استبيده ، فكنت مع أخدعه مدة . ثم انه قال يا عمرو أريد أن تركب معي البرية وليس في منك وجل ، فاني بسم الله الرحمن الرحيم لوانق قال فسرنا حتى أتينا واديا أشبا مهولا مولا . فنادى بأعلى صوته بسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبق طير في وكره الاطار . ثم أعاد القول فلم يبق سيمع في سريره الاهرب ، ثم أعاد الصوت فذا نحن بجيش قد خرج علينا من الوادي كالنخعة السحوق ، قال لي يا عمرو اذا رأيتنا قد أعتدنا قتل غلبه صاحبي بسم الله الرحمن الرحيم . قال فلما رأيتهما قد أعتدنا قتل غلبه صاحبي بلاث والزي فلم يصنع الشيخ شيئا ، فرجع الى وقال قد علمت أنك قد خالفت عمولي . قلت أجل ولست بمائد ، فقال إذا رأيتنا قد أعتدنا قتل غلبه صاحبي بسم الله الرحمن الرحيم ، قلت أجل فلما رأيتهما قد أعتدنا قتل غلبه صاحبي بسم الله الرحمن الرحيم ، فأنكسار عليه الشيخ فبحه بيده فاشتق بطنه فاستخرج منه شيئا كهيئة القنديل الاسود ثم قال يا عمرو هذا غنمه وغل . ثم قال اتدري من تلك الجارية ؟ قلت لا ، قال تلك الفارعة بنت الليل الجرهمي من خيال الجن . وهؤلاء أهلها بنو عمار يزورني منهم كل عام رجل ينصرني الله عليه بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال قد رأيت ما كان مني الى الجيش . وقد غلب على الجوع ففتى بشي . آكله ،

فأصابت بفرس البرية فما أصبت إلا بفض النعام ، فأنقذه به فوجدته نائماً ، وإذا تحت رأسه شيء كهيئة الخشبة ، فاستلته فلذا هو سيف عرضه شبر في سبعة أشبار ، فضربت ساقيه ضربة أفتت الساقين مع القدمين ، فاستوى على قفا ظهره وهو يقول قاتلك الله ما أغدرك يا غدار . قال عمر : ثم ماذا صنعت ؟ قلت فلم أزل أضربه بسيفي حتى قطعت له إرباً . قل فوجم قتلك ثم أنشأ يقول :

بالتغر نلت أخا الإسلام عن كذب ما إن سمعت كذا في مالف العرب
والصبح تأخر مما جئتكم كراما بنا لما جئت في السيد الأدب
إني لأعجب أني نلت قتله أم كيف جازاك عند الذنب لم تنب ؟
فم عنائك مرأت وقد عقت بالجسم منك يداه موضع المطب
لو كنت آخذ في الإسلام ما ضلوا في الجاهلية أهل الشرك والصلب
إذاً لئالك من عدلى مشطبة تدعو لقاتلها ببوليل والحرب

قلت ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت ثم إنني أتيت الجارية . فلما رأني قالت ما فعل الشيخ قلت قتله الجبشي ، قالت كذبت بل قتله أنت بتدرك ثم أنشأت تقول :

يا عين جردى لفارس المغوار ثم جردى بوا كفات غزار
لا تملي البكاء إذ خانك الله هر بواف حقيقة صبار
وتقى وضى وقار وحلم وعديل الفخار يوم الفخار
لطف ضفى على بقاتك عمرو اسلمتك الأملر للأقدار
ولصبري ولم ترمه بحداد رمت لنا كضام بدار

قال فأحفظني قولها فاستلقت سيفي ودخلت الخلية لا قتلها فلم أر في الخلية أحداً فاستنقت الماشية وجئت إلى أهلي . وهذا أثر عجيب . والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم وقطع القرآن ، وفيما نعله بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يشوذبها .

وقال الخراساني : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد قال حدثني عبد الله بن العلاء عن هشام بن عروة عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : كان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل يذكران أنها أتتا النجاشي بعد رجوع أبرهة من مكة ، قالاً فلما دخلنا عليه قال لنا أصدقائي أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه ففرض عليه بالقداح فلم ونحرت عنه أبل كثيرة ؟ قلنا نعم . قال فهل لكما علم به ما فعل ؟ قلنا تزوج امرأة يقال لها أمية بنت وهب تركها حاملاً وخرج قال فهل حملان ولد أم لا ؟ قال ورقة بن نوفل أخبرك أيها الملك أني ليلة قد بت عنده وثق لنا كفاً لطيف به ، وفيه إذ سمعت من جوفه هامناً يقول :

وله النبي قللت الاملاك ونفى الضلال وادبر الاشراك

ثم انكس الصم على وجهه . قال زيد بن عمرو بن نفيل عندي كثيره أبيه الملك . قل هات قل
أنا في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حل آية حتى أتيت
جبل أبي قيس لأريد انخلو فيه لأمر رايي إذ رأيت رجلاً نزل من السماء له جنانان أخضران ، فوقف
على أبي قيس ثم أشراف على مكة فقال : ذل الشيطان وبطلت الأوثان ولد الأمين ، ثم فشر بوباً معه
وأهوى به نحو المشرق والمغرب فرأيت قد جلى ما تحت السماء وسطح نور كذا أن يختلف بصري
وهالتي ما رأيت . وخلق الملائكة بجانبه حتى سقط على الكعبة . فسطع له نور أشرقت له بهامة .
وقل : ذكت الأرض وأدت ريسها . وأوماً إلى الأصنام التي كانت على الكعبة فقطت كلها . قال
النجاشي ويحكاً أخبر كما عا أصابي ، إني لتأتم في الليلة التي ذكرتها في قبة وقت خلوقي ، إذ خرج على
من الأرض عنق ودأس ، وهو يقول حل الويل بأصحاب القيل ، ومنهم طير أبيل ، بمجاجة من سجيل
هالك الأشرم المستدى الجرم ، ووله النبي الأنبي ، المسكى الحرمي ، من أجابه مد ، ومن أباه عند . ثم
دخل الأرض فغاب فذهبت أصبح فلم أطق الكلام ، ودمت القيام فلم أطق القيام ، فصرت القبة
بيدي ؟ فسمع بذلك أهل الجؤفي قلت احببوا غنى الحيشة فجيوم هي ثم أطلق عن لساني ورجلي .
وسأيت إن شاء الله تعالى في قصة المولد رؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شراقة من إبنائه ،
وخود يرائه ورؤيا موبداته ، وتخسير سطيج لذلك هل يدي عبد المسيح ^(١) . وروى المافظ أبو
القاسم بن عساكر في تلويفه في ترجمة المارث بن هاني بن المدح بن المقداد بن زمل بن عمرو المذري عن
أبيه عن جده عن أبيه عن زمل بن عمرو المذري قال : كان لبي عذرة صنم يذل له حمام وكانوا يظلمونه
وكان في بني هند بن حرام بن غيبة بن عبد بن كثير بن عذرة وكان ساذج رجلاً يقال له طارق وكانوا
يعتقون عنده . فلما ظهر رسول الله ﷺ سمعنا صوتاً يقول يا بني هند بن حرام : ظهر الحق وأودى
صام ودفع الشرك الاسلام . قال فزعنا ذلك وهالنا فركبنا أياماً . ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق
يا طارق . بث النبي الصادق ، بوحى نطق ، صدى صاعداً بآرض تهامة ، لتأمره السلامة ، وتغاذيه
الندامة ، هذا الوداع متى إلى يوم القيامة . قال زمل فوقع الصنم لوجهه . قال فابتعت راحلة ورحلت
حتى أتيت النبي ﷺ مع فر من قومي وأشدته شراً قلته :

اليك رسول الله أعلمت نصها
لا نصر خير الناس نصراً مؤزراً
واشهد أن الله لا شيء غيره
أدين به ما أعلمت قدى فلي

(١) قد مضت هذه القصة في ميلاده ﷺ . من هذا الجزء

قل فأسلت وابتعته . وأخبرته بما سمعنا قال : « ذاك من كلام الجن » . ثم قال : « يا مسهر
العرب أنتي رسول الله إليكم وإلى الأنام كافة ، أدعوم إلى عبادة الله وحده ، وإلى رسوله وعبدته ، وأن
تحبوا البيت وتقوموا شهراً من إثنى عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجابني فله الجنة نزلاً ، ومن
عصاني كانت النار له مقبلاً » . قل فأسلتنا وعقد لنا لواء . وكتب لنا كتاباً فأنسخته : « بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله لزم بن عمرو ومن أسلم معه خاصة إلى بيته إلى قومه عاملاً فمن أسلم ففى
حزب الله ورسوله . ومن أبى فله أمان شهرين . شهد على بن أبى طالب ومحمد بن مسلمة الأنصارى »
ثم قال ابن عساكر : غريب جداً

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مناقبه : حدثنى محمد بن سعيد - معنى عنه - . قال قال
محمد بن المنكدر إنه ذكر لى عن ابن عباس قال حلف هاشم بن الجبن على أبى قيس قال :

قبح الله وأبكم آل قهر ما أدق القول والافهام
حين قمى لمن يبيب عليها دين آبائها الحلة الكرام
حالف الجبن جن بصرى عليكم ورجال^(١) النخيل والآطام
يوشك الخيل أن تردعنا تهاوى قتل القوم فى حرام بهام
هل كريم منكم له نفس حر ماجد الوالدين والأنعام
ضارب ضربة تكون نكالا ورواحاً من كربة واضغام

قال ابن عباس فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة فتنشدونه بينهم . قال رسول الله ﷺ : « هذا شيطان
يكلم الناس فى الآوتان يقال له مسر ، والله عزبه » فكثروا تلاوة آيكم فإذا هافت يهتف على الجبل يقول :

نحن قتلنا فى ثلاث مسرا إذ سفه الجبن وسن المنكرا
قنته سيفا حاماً مشهرا بشفه نينا المطهرا

وقال رسول الله ﷺ : « هذا عيريت من الجبن اسمه سمج آمن فى سميته عبد الله أخبرنى أنه فى
طلبه ثلاثة أيام » قال على جزاء الله خيراً يا رسول الله .

وقد روى الحافظ أبو نعيم فى الالائل قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو الفضل
محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبى حرب الصقل حدثنا عباس بن الفرج الرقاشى حدثنا سليمان بن
عبد العزيز بن أبى ثابت عن أبيه عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس عن
سعد بن عباد قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى حضر موت فى حاجة قبل الهجرة ، حتى إذا كنت فى
بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول :

أبا عمرو ثوبى السهود وراح النوم وامتنع المجدود
 تذكر عصاة سلفوا وبلدوا وكل انطلق قصرم بيد
 تولوا واردين الى المنايا حياضا ليس منها الورود
 مضوا ليلهم وبقيت خطفاً وحيداً ليس يحنى وجد
 سدى لا أستطيع علاج أمر إذا ما عالج الطفل الوليد
 فلأيا ما بقيت الى اناس وقد باتت بمهلكها نود
 وعاد والقرون بنى شوب سراء كلهم يوم حصيد

قال ثم صاح به آخر : يا خرب ذهب بك السجب . ان السجب كل السجب بين زهرة ويثرب .
 قال وما ذاك يا شاحب ؟ قال نبي السلام ، بث يغير الكلام الى جميع الأنام ، فخرج من البلد الحرام
 الى نضيل وآطام . قل ما هذا النبي المرسل والكتائب المتزل ، والامى المضل ؟ قل رجل من ولد لؤى
 ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . قال جهات قلت عن هذا سقى ، وذهب عنه زمنى قد
 رأيتنى والنضر بن كنانة نرى غرضاً واحداً ، وشرب حلباً بلوداً ، ولقد خرجت به من دوحه في غداة
 شبة وطلع مع الشمس وغرب معها ، يروى ما يسمع ويثبت ما يبصر . ولئن كان هذا من ولده لقد سل
 السيف وذهب الخوف ، ودحض الزنا ، وهلك الربا . قال فآخرى ما يكون ؟ قال ذهبت الضراء
 والبؤس والمجاعة ، والشدة والشجاعة ، الا بقية في خراعة . وذهبت الضراء والبؤس ، وانطلق المنفوس
 الا بقية من الخبز والاروس . وذهبت الخلاء والفقر ، والنجمة والفساد ، الا بقية في بنى بكر . ينى
 ابن هوازن . وذهب الفل المنتم والعمل الموثم ، الا بقية في خشم . قال أخرى ما يكون ؟ قال إذا
 غلبت البرة ، وكفلت الحرة ، فخرج من بلاد الهجرة ، وإذا كف السلام ، وقطعت الارحام فخرج من
 البلد الحرام . قال أخرى ما يكون ؟ قال لولا أذن نسمع ، وعين تلع لاخبرتك بما تنزع . ثم قال :

لا مقام هدأته بنيم يا ابن غوط ولا صباح أنما

قال ثم صرصر صرصرة كأنها صرصرة جبل ، فذهب الفجر فذهبت لا تفلر فاذا عطاية وثمان
 ميطان . قال فاعلمت أن رسول الله ﷺ هاجر الى المدينة إلا بهذا الحديث . ثم رواه عن محمد بن
 جعفر عن إبراهيم بن علي عن النضر بن سلمة عن حنان بن عباد بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام
 عن شهر بن ابن عباس عن سعد بن عباد . قال : لما بعث رسول الله ﷺ ليله القبة خرجت الى حضر
 موت لبعض الحاج ، قل قضيت حاجتى ثم أقبلت حتى اذا كنت يعض الطريق نمت ، فترعت من
 الليل بصائح يقول :

أبا عمرو ثوبى السهود وراح النوم واتطعم المجدود

وذكر مثله بطوله.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن علي حدثنا النضر بن جهمه حدثنا أبو غزوة محمد بن موسى عن البطاف بن خالد الواسطي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال سمعت نجما الهذلي يقول: كنت بالشام حين بعث النبي ﷺ، فخرجت لبعض حاجتي فذكرني الليل. قلت أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة. قال فلما أخذت، ضجى إذا أنا بمناد ينادي - لا أراه - عذبا فأن الجن لا يجير أحدا على الله قلت أيم الله قول؟ فقال قد خرج رسول الأمين رسول الله وعلينا خلقه بالمجنون. فأسلنا واتبعناه وذهب كيد الجن ودميت بالشهب. فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين فسلم. قال نعم فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب فالت رأيا وأخبرته الخبر. قال الراهب قد صدقوك فخرج من الحرم ومهاجرة الحرم وهو خير الانبياء فلا تسبق إليه. قل نعم فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله ﷺ فسلمت.

وقال حاتم بن اسماعيل عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن عبد الله بن ساعدة الهذلي عن أبيه قال كنا عند صنمنا سواع، وقد جلبنا إليه غنا لنا ما شاذ قد أصابها جرب، فاديناها منه لتعالب بركته فسمعت مناديا من جوف الصنم ينادي قد ذهب كيد الجن ودميت بالشهب لبي اسمه أحمد. قال قلت غويت والله. فصدفت وجه غنى منجلا إلى أهل فرأيت رجلا. فغيرني ظهور النبي ﷺ. ذكره أبو نعيم هكذا مطلقا قال: حدثنا عمر بن محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن السدي حدثنا النضر بن جهمه حدثنا محمد بن مسلمة الخزوعي حدثنا يحيى بن سليمان عن حكيم بن عطاء الظفري - عن أبي سليم من وقد راشد بن عديده - عن أبيه عن جده عن راشد بن عديده قال كان الصنم الذي يقال له سواع بالملاة من رهط تدعى له هذيل وهو ظفر بن سليم فارسلت بنو ظفر راشد بن عديده بهدية من سليم إلى سواع قال راشد فالتيت مع الفجر إلى صنم قبل صنم سواع، فإذا صارخ يصرخ من جوفه: العجب كل العجب من خروج نبي من نبي عبد المطلب، يحرم الزنا والزنا والبيع للاصنام. وحرست السماء ودميت بالشهب العجب كل العجب. ثم هتف صنم آخر من جوفه ترك الضار وكان يبدهم يخرج النبي أحمد، يصلي الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام، والبر والصلات للأرحام. ثم هتف من جوف صنم آخر هاتفت يقول:

إن الذي ورث النبوة والمهدي

بد ابن مرهم من قريش مهتد

نبي أتى بخبر بما سبقي وبما يكون اليوم حقا أو غدا^(١)

(١) كذا في الأصول وهذا البيت لم يرد في السيرة النجاشية (سبل المهدي والرشاد) وورد في البيت الأول

قل لقتال من سليم كلها هلك الأئمة وعاش أهل المسجد

أودى بهار وكذا يمد مرقة قبل الكتاب إلى النبي محمد

قال راشد: قاليت سواعاً مع الفخري والعلبان بلحسان ماخولة، وأياكلان ماينسني له، ثم يبرجان عليه يوهما، فتند ذلك يقول راشد بن عبد ربه:

أرب يول العلبان برسه لقد ذك من بالث عليه الثعالب

وذلك عند مخرج النبي ﷺ ومهاجرة إلى المدينة ونعام الناس به فخرج راشد حتى أتى النبي ﷺ المدينة ومعه كلبه، واسم راشد: يومئذ ظالم، واسم كلبه راشد فقال النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال ظالم: «ما اسمك؟» قال: «ما اسمك؟» قال راشد: «اسمك كلبك ظالم» وضحك النبي ﷺ. وبلغ النبي ﷺ وأقام بمكة معه ثم طلب من رسول الله ﷺ قطعة بوهاط. ووصفها له: قطعته رسول الله ﷺ بالملاة من وهاط ثأو الفرس، وورمته ثلاث مرات بمحجر، وأعطاه إداوة ملوذة من ماء وتعل فيها وقال له: «فرغها في أملا القطعة ولا تمنع الناس فضلها» فضل جبل الماء معينا يجرى إلى اليوم ففرس عليها النخل. ويقال إن وهاط كلها تشرب منه قبلها الناس ماء الرسول ﷺ. وأهل وهاط يقتلون بها وبلغت دمية راشد الركب الذي يقال له ركب المحجر، وتغدا راشد على سواع فسكره.

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا علي بن إبراهيم الخزازي الأهوازي حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دحط بن إسحاق بن مسرع بن يسر بن سويد صاحب رسول الله ﷺ حدثنا أبي عن أبيه دحط عن أبيه إسحاق أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن يسر أن أباه يسر حدثه عن عمرو بن مرة الجملي أنه كان يحدث قال: خرجت حاجياً في جماعة من قومي في الجاهلية. فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً صاعداً من الكعبة حتى أضاء في جبل يقرب وأشمر جبهة. فسمت صوتاً في النور وهو يقول: اهتمت الظلاء، وسطع الضياء، وبث خاتم الأنبياء، ثم أضاء إنفاة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض الدائن. فسمت صوتاً في النور وهو يقول: ظهر الإسلام، وكسرت الأصنام، ووصلت الأرحام، فأتيت فزعا، قتلت قريش وألفه ليعدني في هذا الحى من قريش حدث، وأخبرتهم بما رأيت. فلما اتهمنا إلى بلادنا جاءنا رجل فأنبأنا أن رجلاً يقال له أحمد قد بث فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال: «يا عمرو بن مرة إلى المرسل إلى البادية كافة أدهمهم إلى الإسلام، وأمرهم بحسن الفداء وصلة الأرحام، وعبادة الله ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر من أثنى شهر شهر آ وهو شهر رمضان، فمن أجاب فله الجنة. ومن عصي فله النار، فأمن يا عمرو بن مرة يأمرك الله من نار جهنم» قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. آمنت بكل ما جئت به من خلال وحرام، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام، ثم أئتممت أبنائاً قلها حين سمعت به وكان لنا صنم وكان أبي سادنا له فسمت إليه فسكرته ثم خلعت النبي ﷺ وأنا أقول:

شهدت بأن الله حق وأنتي لآفة الأحبار أول تارك
 فشمرت عن ساق أزالو مهاسجر اليك أدب النور بد الكاذك
 لا صعب غير الناس ضناً ووالها رسول ملك الناس فوق الخباياك

قال النبي ﷺ : « مرجأ بك يا عمرو بن مرة » . قلت يا رسول الله بأي أنت وأمي إيسر بي
 الى قومي ، لعل الله أن يمن بي عليهم كما من بك علي ، فبقي إليهم وقال : « عليك بقول السديد ولا
 تسكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً » فأبيت قومي قلت لهم : يا بني رفاة تم يا بني جبهة إلى رسول
 من رسول الله اليكم أدهوكم إلى الجنة ، وأخذكم النار ، وأمركم بحق العدل ، وصلة الأرحام ، وعبادة
 الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشر شهراً . فمن أجاب فله
 الجنة . ومن عصي فله النار . يا معشر جبهة إلى الله - وله الحمد - جعلكم خيار من أئمة منه ورفض
 اليكم في جاهليتهم ما يجب إلى غيركم من الرفق ، لأنهم كانوا يجمعون بين الأخين ، ويخلف الرجل
 على امرأة أبيه ، والترات في الشهر الحرام . فأجيبوا هذا النبي المرسل ﷺ من بني لؤي بن غالب .
 ثألوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، سارعوا سارعوا في ذلك يكون لكم فضيلة عند الله . فأجابوا إلا
 رجلا منهم قام قال : يا عمرو بن مرة أسر الله عليك عيشك ، أتاؤنا أن نرفض آلهتنا ونغرق جماعتنا
 بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدع هذا القرشي من أهل نهامة ؟ لا ولا مرجأ ولا كرامة ، ثم أنشأ يقول :

لئن ابن مرة قد أتى بمقالة ليست مقالة من يريد صلاحا
 لئى لأحسب قوله وقاله يوماً وإن طال الزمان رباحا
 أنفسه الاشباح عن قد مضى من رام ذلك لأصاب قلاحا

قال عمرو بن مرة : الكاذب مني ومنك أسر الله عيشه ، وأبكم لسانه ، وأكبه بصره . قال عمرو
 ابن مرة والله ما مات حتى سقط فوه ، ولكن لا يجد طعم الطعام ، وعي وخرس . وخرج عمرو بن مرة
 ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي ﷺ ، فحسب بهم وجابهم وكتب لهم كتاباً هذه فسخته : « بسم
 الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق ، وحق تاطق ، مع عمرو
 ابن مرة الجهمي لجبهة بن زيد إن لكم بطون الارض وسهولها ، وتلاع الاودية وظهورها ، ترعون نباته
 وتشربون صافيه . على ان تقرأوا بالحس ، وتصلوا بالصلاة الحس ، وفي التبة والصريعة شاتان ان
 اجتمعتا ، وان تفرقا شاة شاة . ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة لبقه » . وشهد من حضرنا
 من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضي الله عنهم . وذلك حين يقول عمرو بن مرة :

ألم تر أن الله أظهر دينه وبين برهان القرآن لعالم
 بكتاب من الرحمن نور لجمنا وأحلافنا في كل بلد وحاضر

الى خير من يمشى على الارض كلها وافضلها عند احتكار الصراثر
 أطنا رسول الله لما تقلمت بطون الاعادي بالظبي والخواطر
 فتحن قبيل قد بنى المجد حولنا اذا اجتلبت في الحرب هام الاكابر
 بنو الحرب فخر بها يند طويمة ويض تلالا في أ كف المغاور
 ترى حوله الانصار تحمي أميرهم بسمر العوالي والصفاح البواتر
 إذا الحرب دارت عند كل عطية ودارت رحاها باليوث المواصر
 تبلج منه القون وازداد وجهه ككل ضياء البدر بين الزواهر

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموى فى منازيه : حدثنا عبد الله حدثنا أبو عبد الله حدثنا المجاهد ابن سعيد والالجبل عن الشعبي حدثنى شيخ من جهينة قال : مرض منا رجل مرضا شديداً فقتل حتى حفرناه قبره وهياناً أمره غاغى عليه ثم فتح عينيه وفاق فقال أحرمتم لى ؟ قلوا نعم ، قال فافضل الله منك - وهو ابن عم له - قلنا صالح مرآغا يسأل عنك ، قال أما إني يوشك أن يهمل فى حفرتى انه أتى آت حين أغشى على فقال ابك جبل ؟ أما ترى حفرتك تتشل ، وأمك قد كانت تشك ؟ أ رأيتك أن حولناها عنك بالمحول ، ثم ملأناها بالجندل ، وقفنا فيها الفصل ، الذى مضى فجزأك ، وظن أن لن يضل . أنشكر لربك ، وقصل وتدع دين من أشرك وضل ؟ قال قلت نعم . قل قم قد برئت . قال فبرىء الرجل . ومات الفصل فجبل فى حفرة . قال الجهمي : فرأيت الجهمي بعد ذلك يصلى ويسب الأوثان ويقع فيها .

وقال الأموى : حدثنا عبد الله قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مجلس يتحدثون عن الجن ، قال خريم بن قاتك الاسدى : الا أحدثك كيف كان اسلامي ؟ قال بلى ، قال لى يوما فى طلب ذودى أنا منها على أثر تنصب وتصد ، حتى إذا كنت ببارق العراق انفتحت راحطى وقلت أهوذ بظيم هذه البلية أعوذ برئيس هذا الوادى ، فلذا بهاتف بهتف نبي :

ويحك ، عذ بالله ذى الجلال والمجد والبطاء والافضل
 ثم اتل آيت من الاعتال ووجد الله ولا تبالى

قال قدهرت ذعراً شديداً ثم رجعت الى قضى قلت :

يا أيها الهاتف ما حول أرشدعك أم تضليل ؟

• بين هداك الله ما الحويل •

قال قتال :

هذا رسول الله ذو الخيرات يثرب يدعو الى النجاة
 يأمر بغير وبصلاة ويزع الناس عن المنان

قال قلت له: والله لا أبوح حتى آتية وأومن به ، فنصبت رجلي في غرر زاحتي وقلت :

أرشدني أرشدني هدينا لاجت ماعثت ولا عريتنا

ولا برحت سبلاً مقبنا لا تقرر الخير التي آتيتنا

• على جميع الجن ما قبينا •

قال :

صاحبك الله وأدى رحلكا وعظم الأجر وعانا فحكا

آمن به أفلح ربى حكا وأقصره فمرا عزنا فصركا

قال قلت من أنت عافك الله ، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ قال أنا ملك بن ملك ، وأنا قهيه على

جن نصيبين . وكفيت إياك حتى أضما إلى أهلك أن شاء الله . قل فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة

والناس إرسال إلى المسجد والنبي ﷺ على المنبر كأنه البدر يخطف الناس ، قلت انيخ على باب المسجد

حتى يصلي وادخل عليه فسلم وأخبره عن إسلامي ، فلما انفتح خرج إلى أبوذو قال مرحبا واهلا وسهلا

قد بلغنا اسلامك ، فادخل فصل ، فقلت ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فلخبرني بإسلامي . قلت الحمد

له . قال « أما إن صاحبك قد وفق لك وهو أهل ذلك ، وأدى إياك إلى أهلك » . (١)

وقد رواه الطبراني في ترجمة خريم بن فاتك من معجبه الكبير قائلا حدثنا الحسين بن اسحاق

اليسيري حدثنا محمد بن إبراهيم النخعي حدثنا عبد الله بن موسى الاسكندري حدثنا محمد بن اسحاق عن

سميد بن أبي سعيد القبري عن أبي هريرة قال قال خريم بن فاتك لسمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين ألا

أخبرك كيف كان بدء إسلامي ، قال بلى اذكره غير أنه قال فخرج إلى أبو بكر الصديق قال ادخل ،

فقد بلغنا اسلامك ، قلت لا أحسن الظهور ، فدخلت المسجد فرأيت رسول الله ﷺ كأنه

البدر وهو يقول « ما من مسلم تروا فاحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويعقلها إلا دخل الجنة » . قال

لي عمر لتأتيني على هذا بيعة أو لا نسكن بك ، فشهد لي شيخ قريش عمار بن حنان فاجاز شهادته . ثم

رواه عن محمد بن عمار بن أبي شيبة عن محمد بن تميم عن محمد بن خليفة عن محمد بن الحسن عن أبيه قال

قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك حدثني بمحدث يصحني فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي القشقي حدثنا

سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شرحبيل حدثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن

عبد الله بن أبي ليلى قال أتى رجل ابن عباس قال بلغنا أنك تذكر سبطيا ترغم أن الله خلقه ، لم يخلق

من بني آدم شيئا يشبهه ؟ قال قال نعم إن الله خلق سبطيا للناسي لحما على وضوء (٢) ولم يكن فيه عظم ولا

(١) رواية الطبراني ليست في المصرفة . (٢) الوضوء شرائع من جريد النخل .

عصب إلا الجمجمة ، والسكان . وكان يطوى من رجله إلى رقبته كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه . فلما أراد الخروج إلى مكة حمل على وضعة فأتى به مكة ، فخرج إليه أربعة من قريش عبد قيس ، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي ، والاحوص بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص فأتوا إلى غير نسيهم وقالوا نحن أئس من جمع أئتناك بلتنا قدومك ، فرأينا أن إيتانا إليك حق لك واجب علينا وأهدى إليه عقيل ضيعة هدية ، وصدة دينة ، فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا ، أهل يراها سطيح أم لا . فقال : يا عقيل تلوني يدك فتأوله يده فقال : يا عقيل والمالم الخفية ، والناظر الخطية ، والذمة الوفية ، والسكبة المبنية ، إنك للجانى بالمدينة ، والصفحة الهندية ، والصفحة الزديفة . قالوا صدقت يا سطيح ، فقال والآن بالفرح ، وتوس فرح ، وسائر الفرح ، والعظيم المنبطح ، والنخل والربط والبلح ، إن التراب حيث مرصنح ، فأخبر أن القوم ليسوا من جمع ، وإن نسيهم من قريش ذى البطح قالوا صدقت يا سطيح نحن أهل البيت الحرام ، أئتناك لتزورك لا بلتنا من هلك . فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده فليل أن يكون عندك في ذلك علم قل : الآن صدقم ، خذوا منى ومن إلهام الله إلهى ، أئتم يا معشر العرب في زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصائر المعجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشون من عقبكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون العنم ، ويلقون الردم ، ويقتلون النجم ، يطلبون النجم ، قالوا يا سطيح فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذى الأركان ، والأمن ، والسكان لينشون من عقبكم ولدان يكسرون الأوثان ، وينكرون عبادة الشيطان ، ويوحدون الرحمن ، ينشرون دين الدين ، يشرفون البنيان ، ويستفتون الغنيان ، قالوا يا سطيح من فعل من يكون أولئك ؟ قل : وأشرف الاشراف ، والمفضى للاشراف ، والمزعزع للاحقاف ، والمضعف لاضعاف ، لينشون الآلاف من عبد شمس وعبد مناف ، نشروا يكون فيه اختلاف . قالوا يا سوطه يا سطيح بما تخبرنا من العلم بأمرهم ومن أى بلد يخرج أولئك ؟ فقال والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرجن من ذا البلد ، فى يهدى إلى الرشدي رفض يثوث والفند ، يبرأ من عبادة الضدد ، يبدربأ أفراد ، ثم يتوجه الله محموداً ، من الأرض معقوداً ، وفى السماء مشهوداً . ثم على أمره الصديق إذا قضى صدق ، فى رد الحقوق لا خرق ولا تزق ثم على أمره الخفيف ، محجرب خطريف ، ويترك قول العنيف . قد ضاف المضيف . وأحكم التحنيف . ثم على أمره داعياً لأمهه مجرباً ، فتجتمع له جموعاً وعصباً ، فيقتلونه قمة عليه وغضباً ، فيؤخذ الشيخ فيذبح أرباً فيقوم به رجال خلبا . ثم على أمره الناصر يخطط الرأى برأى المناكر يظهر فى الأرض الساكر ثم على بعده ابنه يأخذ جمه ويقل حمده . ويأخذ المال ويأكل وحده ، ويكثر المال بقبه من بعده ، ثم على من بعده عدة ملوك لا شك القم فهم مسفوك ، ثم بدم المملوك يطوبهم كللى القرونك . ثم على من بعده مظهرود يقضى الحق ، ويدنى مصر يشتتح الأرض اختاحاً منكراً ، ثم على قصير القامة ، يظهره علامة

يموت موتاً وسلامة . ثم على قليلاً يكره يترك الملك يثر على أخوه بنه سابر ، يختص بالأموال والمنازل
ثم على من بعده أهوج ، صاحب دنيا وفيه خلج ، يتناوره ساشره وذووه ، ينهضون اليه يخلطونه بأخذ
الملك ويقتلونه ، ثم على أمره من بعده السابغ ، يترك الملك محلاً ضائع ، بنوه في ملكه كلكشوه جامع ،
عند ذلك يطعم في الملك كل عريان ، وعلى أمره القهقان . يرضى تزاراً جمع قحطان ، إذا التفتيا بدمشق
جمان بين بغيان ولبنان ، يصنف العين يومئذ صفان . صنف المشورة ، وصف المخدول . لا ترى
الاحياء محلول . وأميراً متلول . بين القرباب والخيول . عند ذلك تخرب المنازل وتسلم الأرامل ،
وتسقط الحوامل وتظهر الزلازل ، وتطلب الغلظة وائل ، فتتضب تزار فتدنى العبيد والأشرار ،
وتقصى الأمثال والأخبار . وتقلو الأسمار في صفر الاصفار يقتل كل حيا منه ، ثم يسرون إلى خنادق
وإنها ذات أشمار وأشجار تصده الأنهار ويهزمهم أول النهار ، تظهر الأخبار فلا ينضمهم نوم ولا
قرار . حتى يدخل مصرآ من الأنصار ، فيسركه القضاء والافتدار . ثم يمجي الزمة تلف مشاة ، تقتل
السكاة ، وأسر الحماة . وتهلك الفتوة هناك بدرك في أعلى المياه . ثم يبور الدين ، وتقلب الأمور ،
وتسكفر الزبور ، وتقطع الجسور ، فلا يفلت إلا من كان في جزائر البحور ، ثم تبور الجيوب ، وتظهر
الأعاريب ليس فيهم معيب على أهل الفسوق والريب في زمان عصيب ، لو كان للقوم حيا ، وما تقى
المقى . قالوا ثم ماذا يسطيح ؟ قال ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن ، يذهب الله على رأسه الفتى .
وهذا أثر غريب كتيابه لفرأته وما تضمن من الفتى والملاحم . وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ريمة
ابن نصر ملك اليمن ، وكيف بشر بوجود رسول الله ﷺ وكذلك تقدم قصة سطيح مع ابن أخته
عبد المسيح حين أرسله ملك نبي سامان ، لارتجاس الإيوان ، وخود النيران ، ورويا الموهذان .
وذلك ليلة مولد النبي فسبح بشر يمه سائر الأديان ؟

ثم الجزء الثاني من البداية والنهاية ويلي الجزء الثالث وأوله

﴿ بلب كيفية بدء الوحي الى رسول الله ﷺ ﴾

فهرست الجزء الثانى

﴿ من البداية والنهاية ﴾

صفحة	صفحة
٢	باب ذكر جماعة من انبياء بنى اسرائيل
٢	بد موسى عليه السلام
٤	قصة حزقيال بن بوزى
٥	» اليسع عليه السلام
٥	فصل عن ابن جرير في شمويل بن يالى
٩	قصة شمويل وبده أمر داود عليه السلام
١٦	» داود عليه السلام وما كان في أيامه
١٨	وفضائله ودلائل نبوته
٢٠	ذكر مدة حياته وكيفية وقته عليه السلام
٢٥	قصة سليمان بن داود عليهما السلام
٢٧	الكلام على المهدد وقصة بليقيس
٢٨	» على انجيل الصافات وما يتصل بذلك
٢٩	من الاحكام
٣٠	الكلام على الريح التي سخرها الله تعالى
٣٢	لسليمان
٣٣	الكلام على عين القطر وتسخير الجن له
٣٨	عليه السلام
٤٠	الكلام على لسان سليمان وعدد من
٤١	ذكر وقته ومدة ملكه وحياته
٤٢	باب ذكر جماعة من انبياء بنى اسرائيل
٤٣	من لا يعلم وقت زمانهم على التبيين
٤٤	فمنهم شيمان امصيا
٤٥	ومنهم أرميا بن حقييا من سبط لاوى
٤٦	ابن يعقوب
٤٧	تليط الله تعالى يختصر على بنى اسرائيل
٤٨	ذكر شئ من خبر دانيال عليه السلام
٤٩	وفضائله
٥٠	ذكر عيلة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع
٥١	الملائكة من بنى اسرائيل بعد خرقهم
٥٢	قصة المزير عليه السلام وذكر موته
٥٣	الأولى وإحيائه
٥٤	فصل ملحق في المزير والاختلاف في وقته
٥٥	قصة زكريا ويحيى عليهما السلام
٥٦	بيان سبب قتل يحيى عليه السلام
٥٧	قصة عيسى بن مريم عبد الله ورسوله عليه
٥٨	السلام - وفيها فضائل أمه مريم عليها السلام
٥٩	ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم
٦٠	البتول
٦١	باب بيان أن الله تعالى منزّه عن الولد والرد
٦٢	على النصارى من القرآن الكريم
٦٣	ذكر منشا عيسى بن مريم عليهما السلام
٦٤	ومرماه في صغره ومجابه ويان بده الوحي
٦٥	اليه من الله تعالى
٦٦	بيان نزول الكتب الأربعة ومواقبتها
٦٧	الكلام على شجرة طوبى وما على ويتصل به
٦٨	من الكلام على آيات عيسى ومسجراته
٦٩	ذكر خبر المائنة التي أنزلها الله تعالى آية
٧٠	ليسى عليه السلام
٧١	فصل في حكم ومواظب ما تورد عنه عليه السلام
٧٢	ذكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وبيان
٧٣	كذب اليهود والنصارى في دعوى الصلب
٧٤	ذكر قصة عيسى عليه السلام وشأنه
٧٥	وفضائله

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
١٠١	فصل في اختلاف أصحاب المسيح عليه السلام بدمه	١٤٠	قصص وأحاديث واردة في صحيح البخاري
١٠١	بيان عن بناء بيت لحم والقمامة	١٤٧	عن بني اسرائيل
١٠٢	كتاب أخبار الماضين من بني اسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة موسى أيام العرب وبجاهليتهم	١٤٧	قصة الملكين الثانيين الواردة في مسند الامم احمد وأحاديث من البخاري في أمثال من الامم الماضية وأكثرها عن بني اسرائيل
١٠٢	خبر ذي القرنين الوارد في القرآن الكريم	١٤٦	فصل للؤلؤ يذكر فيه اثنا عشر أخبار بني اسرائيل كثيرة
١٠٧	بيان طلب ذي القرنين عين الحياة	١٤٧	ذكر تحريف أهل الكتاب وتبديلهم أديانهم
١٠٩	ذكر أمي يأجوج ومأجوج وصفهم وما ورد من أخبارهم وصفة الدد	١٤٩	حكم لمس الخنثى للتوراة وفيه استطراد في الامايل الاربعة
١١٣	قصة أصحاب أهل الكهف	١٥١	كتاب الجامع لاختيار الامم المتقدمين
١١٧	قصة الرجلين المؤمن والكافر من قوله تعالى (واضرِبْ لَهم مِثْلا رَجلَينِ جَعلْنا لَاحِداً جَنتَينِ مِمَّنْ أَهْتَبَ وَحَفَّتْهُما بُنْجُلٌ)	١٥٦	ذكر أخبار العرب
١٢٠	قصة أصحاب الجنة من قوله تعالى (إنا بلونهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرنها مصيبين)	١٥٨	قصة سبأ
١٢١	قصة أصحاب إيلة الذين اعتدوا في سبهم	١٦١	فصل من قصة سبأ وخروجهم من اليمن
١٢٣	قصة لقمان من قوله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة: أن اشكر لله) الآية	١٦٣	قصة قتيب أبي كرب تبارك أسد ملك اليمن مع أهل اليمن
١٢٩	قصة أصحاب الأخدود	١٦٧	وثوب غلينة ذي شتار على ملك اليمن
١٣٢	باب بيان الاذن في الرواية والتحديث عن أخبار بني اسرائيل	١٦٨	ذكر خروج الملك باليمن من حيرة وصيرورة الى الحبشة والسودان
١٣٤	قصة جريج أحد عباد بني اسرائيل	١٦٩	ذكر خروج أبرهة الأشرم على ارباط واقتالها واستقلال الأشرم بملك اليمن
١٣٦	قصة برصيصا	١٧٠	ذكر سبب قصد أبرهة وقدمه بالقبيل مكة واحلاك الله تعالى إليه بالطير الايايل
١٣٧	قصة الثلاثة الذين آووا الى النار فأنطبق عليهم	١٧٧	ذكر خروج الملك عن الحبشة ورجوعه الى سيف بن ذي يزن الجعيري
١٣٨	خبر الثلاثة الأعشى والأبرص والأقرع الواردة في حديثي الصحيحين	١٨٠	ذكر ما آل اليه أمر الفرس باليمن
١٣٩	حديث الذي استلف من صاحبه ألف دينار	١٨١	قصة السلطون صاحب الحضرة

صحيحة	صحيحة
١٨٣ خبر ملوك الطوائف	٢٣٠ ذكر خبر قس بن ساعدة الايادي
١٨٤ باب ذكر بني اسماعيل وم حرب الحجاز وما كان من أمور الجاهلية الى زمان البعثة	٢٣٧ ذكر خبر زيد بن عمرو بن ثعلبة رضى الله عنه
١٨٧ قصة خزاعة وخبر عمرو بن لحي وعيادة الاصنام بارض العرب	٢٤٣ ذكر شيء مما وقع من الحوادث في زمن الفترة — من ذلك بيان الكعبة
١٩٠ باب جهل العرب	٢٤٤ ذكر كعب بن لؤي
١٩٣ خبر عدنان جد عرب الحجاز وهو الذي يتبعه اليه النسب النبوي	٢٤٤ ذكر تميم بن مرزوم
١٩٨ ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز الى عدنان	٢٤٨ ذكر قنبر بن عبد المطلب ذبح احد ولده
٢٠٠ الكلام على قريش فنبأهم بنو النضر اين مكانة	٢٤٩ ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب الزهرية
٢٠٥ خبر قصي بن كلاب وما كان من أمره في ارتجاعه ولاية البيت الى قريش وانتماعه ذلك من خزاعة واجتماع قريش الى الحرم بعد تفرقه في البلاد	٢٥٢ كتاب سيرة رسول الله ﷺ
٢٠٩ فصل في تخصيص قصي راسة قريش الى ولده عبد الدار	٢٥٩ باب مولد رسول الله ﷺ
٢١١ ذكر جل من الاحداث الواقعة في زمن الجاهلية	٢٦٢ باب صفة مولد الشريف ﷺ
٢١١ باب ذكر خالد بن سنان البجلي عن كان في الفترة	٢٦٦ فصل في ذكر ما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام
٢١٢ ذكر حاتم الطائي احد اجداد الجاهلية	٢٦٨ ذكر ارتعاش الايوان وسقوط شرفة وخود النيران ودفن الموفدان
٢١٧ ذكر شيء من اخبار عبد الله بن جهمان	٢٧٢ ذكر حواضنه ومراضه عليه الصلاة والسلام
٢١٨ ذكر امرى التيس بن حجر السكندى صاحب الملقبة	٢٧٣ ذكر رضاعه ﷺ من حليمة السعدية وما ظهر من البركة والآيات
٢٢٠ ذكر شيء من اخبار امية بن ابي الصلت الثقفي	٢٧٩ فصل في رجوعه ﷺ الى أمه وولائها واستطراد لذكر زيارته قبرها بعد النبوة واختاره عن حال أبوه
٢٢٩ ذكر خبر بحيرى الراهب	٢٨١ فصل في كونه ﷺ بدوفا ابويه مع جده عبد المطلب وعنه أبي طالب واختار ذلك
	٢٨٣ فصل في خروجه ﷺ مع عمه أبي طالب الى الشام وقصته مع بحيرى الراهب
	٢٨٩ قصة بحيرى الراهب ومنشؤه عليه الصلاة والسلام ومرياه وكفانيه لله

ص ٢٨٩	ذكر شهوده ﷺ حرب النجار	ص ٣٠٨	من البشارات
٢٩٠	فصل في شهوده ﷺ حلف الفضول	٣٠٨	فصل وما يتصل بذلك من البشارات عن ابن اسحاق وغيره
٢٩٣	فصل في تزويجه ﷺ بخديجة أم المؤمنين	٣١٦	فصل في ذكر اخبار غرية في ذلك
٢٩٦	فصل فياذ كرت خديجة من خاله ﷺ لابن عهاورة بن نوفل وما كانت تتوقع من نبوته	٣١٩	قصة عمرو بن مرة الجهمي
٢٩٨	فصل في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين	٣٢٨	قصة سيف بن ذي يزن وشارته بالنبي ﷺ
٣٠٥	فصل في سبب تسمية قريش الحس وما ابتدعه لذلك	٣٣٢	باب هواتف الجن وما اتته الجن على السنة الكيان ومسموعا من الاوثان
٣٠٦	كتاب مبعث رسول الله ﷺ وذكر شئ	٣٥٤	خبر عن سطوح في وصف الخلفاء ومن يدم من الملوك

﴿تم فهرست﴾

